الجمل

فيما جنى وما حمل

الجمل

قراءة نقدية
فيما جنى وما احتمل

أبو الحسن محمد علي مليح

دار المحجة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠١/٥٤١٢١١ - ٠٣/٢٨٧١٧٩
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهداء

أهدي ثواب هذا الجهد المتواضع إلى مقام الإمام المظلوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإلى الذين أخذوا بيدي وسدّدوا خطايي فيه.

المؤلف

مُقَدِّمَة

بعث الله سبحانه وتعالى عدداً كبيراً من الأنبياء والرسل عليهم السلام لهداية البشرية، ابتداءً من أب البشر النبي آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين النبي محمد صلى الله عليه وآله. فشمروا عن سواعدهم، وطلقوا الدنيا، وهجروا لذيذ الرقاد حتى قاموا بمهمتهم على أكمل وجه. ولم يقصِّر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله في هداية المسلمين، فقد بيَّن لهم معالم دينهم، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا وبيَّنها، ومن ضمن الأمور التي بيَّنها أمر الإمامة والخلافة بعده.

فقد عيَّن أمير المؤمنين عليه السلام وصياً وأخاً ووزيراً له يوم الدار بعد أن نزلت آية الإنذار. ومنذ ذلك التاريخ عُرف أمير المؤمنين عليه السلام بالوصي. كما قام رسول الله صلى الله عليه وآله بتعيين أمير المؤمنين عليه السلام ولياً للمسلمين في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة في غدير خم. وحاول أن يؤكد على إمامته بنص مكتوب في مرضه الأخير الذي توفي فيه حين رأى بوادر الإنفلاب تلوح في الأفق. فشغب عليه بعض الصحابة ومنعوه من كتابة الكتاب، وتحدوا أوامره علناً في مواجهة مكشوفة مستهجنة، واستولوا على مقاليد الأمور في السقيفة بعد وفاته مباشرة حين انشغل أهله بتغسيله. ومنعوا أمير المؤمنين عليه السلام من ممارسة حقه الشرعي في الإمامة.

ولم يكتفوا بذلك، فقد ضيقوا عليه الخناق، وطالبوه بالتنازل عن حقه الشرعي وأن يبايع زعماء الإنقلاب. وقد أشرنا إلى بعضه في البحث. وكلما مضى أحد زعماء الإنقلاب أتوا بواحد آخر متجاهلين أمير المؤمنين عليه السلام وحقه في الإمامة وكفاءته في إدارة شؤونها.

إلى أن قام ثالث القوم ففتح الباب على مصراعيه إلى بني أبيه من بني أُمية

يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع. حتى ثار عليه المسلمون وقتلوه. وقد تزعم طلحة والزبير وعائشة الثوار، ولما جاءت النتائج مخيبة لآمالهم حيث لم يجنوا إلا السراب، ورأوا أن المسلمين قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام المضطهد منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قلبوا له ظهر المجن. وجنَّ جنونهم وخرجوا عن طورهم، وكشَّروا عن أنيابهم، وقادوا المؤامرة ضده، وحرضوا عليه أوباش الناس وطغامهم، ونجحوا في تجييش جيش ناكث ضمَّ ٣٠,٠٠٠ متمرد، واصطدموا مع إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، كان النصر فيها حليف أمير المؤمنين عليه السلام. ولم يجنوا من حربهم الظالمة إلا الهزيمة والمذلة والخسران، وتحمل تبعات الحرب ومآسيها.

وكان من دواعي ذلك، كتبت هذا البحث لبيان أسباب تلك الحرب ودوافعها وملابساتها ونتائجها المرّة التي مزَّقت أوصال المسلمين وبددت قدراتهم وإمكاناتهم، وشتَّتت شملهم، والله من وراء القصد.

أبو الحسن المكي

١ / ٨ / ٢٠٠٢

البحرين

الباب الأول:

أسباب الثورة على عثمان

الفصل الأول:

الفساد المالي

لما آلت الخلافة إلى عثمان بعد هنٍّ وهن تفتقت مواهبه ومواهب أقربائه على خضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع. (بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة، فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف. فبكى زياد [بن عبيد مولى الحارث بن كلدة الثقفي] فقال: لا تبك، فإن عمر كان يمنع أهله وذوى قرابته ابتغاء وجه الله، وأنا اعطي أهلي وولدي وقرابتي ابتغاء وجه الله)[1].

فوصف المال بـ(مال عظيم) يدل على فظاعة الجريمة التي ارتكبها في الاستيلاء على تلك الأموال الكثيرة وتبذيرها على أولاده وأهله. وهذه الأموال أموال المسلمين وقد حرمهم منها، مبرراً تصرفه بقوله: (إن عمر يمنع أهله وذوي قرابته ابتغاء وجه الله، وأنا أعطى أهلي وولدي وقرابتي ابتغاء وجه الله!!). لو أعطيت أهلك وأولادك وقرابتك أموالاً من مالك الخاص ابتغاء وجه الله ما لامك أحد! لكنك تسرق أموال المسلمين وتبذرها على أقربائك وأهلك فهذه الخيانة، والخيانة والسرقة لا تكون لوجه الله!! وادعاؤك أن تصرفك هذا ابتغاء وجه الله تبرير واه وتحايل على الله ﷻ، فستذوق وبال أمرك. وتصرفك هذا يدل على أنك تصرّفت في الأموال بوعي وإدراك وبلا أدنى شبهة. وتوزيع عثمان تلك الأموال على أهله وولده بالصحاف يدل على كثرته، وما احتاج إلى توزيعه بالعدّ وإنما غرفه غرفاً بالصحاف. لكن ما مقدار ذلك المال الذي بعثه أبو موسى؟ قال أبو مخنف في إسناده: أنكر على

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد، ج٣ ص٣٥، نهج الحق: العلامة الحلى ص٢٩٤.

عثمان مع ما أُنكر أن حمى الحمى، وأن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري، وقال له: هذا حقك[1].

أي أن المال العظيم الذي بعثه أبو موسى مقداره مليون (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم)، قد أعطى منه زيد بن ثابت (١٠٠,٠٠٠درهم) وبقي منه (٩٠٠,٠٠٠درهم) وزَّعه على أهله وولده بالصحاف!! ما أكثر تلك الأموال التي اختلسها من صدقات المسلمين وأغدقها على أهله وولده، وحرم منها أصحابها الشرعيين من الفقراء والمساكين!! وما أقبح تلك الأقوال التي تدافع عن تلك الاختلاسات المالية في وضح النهار!! وهذا المبلغ كله في اختلاس واحد. فكم عدد المبالغ في الاختلاسات الأُخرى؟!.

(وروى الواقدي أيضاً بإسناده قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان، فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص)[2]. فكيف يهب له إبل الصدقة (الزكاة) وهو ليس من أصحابها؟! أليس هذا التصرف خيانة؟!.

وجاءت خيرات كثيرة من إفريقية فابتلعها آل الحكم (وكان الذي صالحهم (أي سكان إفريقية) عليه عبد الله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم. قلت: أو لمروان. قال: لا أدري)[3]. وفي المعجم الوسيط: القنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس. وهو في مصر في زماننا مائة رطل، وهو (٤٤,٩٢٨ من الكيلوجرامات)[4]، معنى ذلك إنه أمر لآل الحكم أو مروان لوحده بـ (٣٠,٠٠٠ رطل) من الدنانير الذهبية، أو ما يعادل (١٣٤٧٨,٤ كيلوجرام) من الدنانير الذهبية. وهذا المقدار كله في صفقة واحدة لمروان أو لأسرته. فلو صرفت تلك الكميات الهائلة من الذهب على فقراء المسلمين لأنعشت حياتهم ولم يتذمروا من عثمان وسياسته. ومن هذا وأمثاله ثار المسلمون وخصوصاً المصريين على عثمان لما رأوا خيراتهم وصدقاتهم تذهب إلى جيوب أفراد أسرة الخليفة وينحرم المسلمون منها. والدفاع المستميت عن الاختلاسات التي اختلسها عثمان

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى الأزدي الكوفي ج١ ص٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد، ج٣ ص٣٥، نهج الحق: العلامة الحلى ص٢٩٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٥٠.

(٤) المعجم الوسيط: ج٢ ص٧٦٢، (مادة قنطر).

بهذا الحجم جريمة أكبر من جريمة الاختلاس نفسه. فعثمان وأفراد أسرته قد استفادوا من تلك الأموال، وأما المدافعون والمبرّرون لذلك الاختلاس لم يستفيدوا شيئاً، بل أعطوها الصبغة الشرعية والمبرر القانوني، وفسَّقوا كل من يثيرها ويناقشها ويبيِّن عدم مشروعيتها.

وروى الواقدي (أنه ولَّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة، فبلغت ثلثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها)[1]. فإذا كانت صدقات قبيلة واحدة وهي قضاعة في سنة واحدة قد بلغت (٣٠٠,٠٠٠) وبدلاً من أن تذهب للمسلمين حسب ما فصلته الآية الكريمة وهبها ـ خلافاً لصريح القرآن الكريم ـ لعمه الحكم طريد رسول الله ﷺ. فما أعظم تلك الجريمة!! فقد وهب عمه الحكم (٣٠٠,٠٠٠) من زكاة المسلمين من قبيلة قضاعة، وهذا التصرف هو تصرف من لا يملك لمن لا يستحق!! من جانب، ومن جانب آخر، فقد عمل بما يخالف صريح القرآن الكريم في آية الصدقات. ومن جانب ثالث فقد كافأ طريد رسول الله ﷺ المهدور دمه لشدة عداوته لله ولرسوله، بتلك الأموال الطائلة (٣٠٠,٠٠٠). ولا خير في دفاع يبرر تلك الاختلاسات المالية من صدقات المسلمين لكي يهنأ بها الطرداء واللعناء الذين طالما آذوا رسول الله ﷺ، وذلك التبرير الواهي والدفاع الممجوج مما يؤذي رسول الله ﷺ.

وروى أبو مخنف والواقدي أن الناس أنكروا على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف. وكلمه علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن في ذلك. فقال: إن له قرابة ورحماً!!)[2]. فإنكار الصحابة على عثمان في إعطائه (١٠٠,٠٠٠) لسعيد بن العاص يدل على ثبوت تهمة الاختلاس في حق عثمان، فلو كان ذلك المبلغ من مال عثمان الخاص لما أنكر عليه الصحابة في ذلك التصرف، لأنه من حقه أن يتصرف في أمواله وفق الضوابط الشرعية. فاحتجاج الصحابة، وقيام أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ـ وهم وجهاء الصحابة ـ في تكليمه بشأن ذلك المبلغ،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٣٥، نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى ج١ ص٧٨.

يؤكد أن ذلك المبلغ ليس من أمواله الخاصة، وإنما من أموال المسلمين!! وتبريره لذلك التصرف بقوله: (إن له قرابة ورحماً) يدل على أن الأموال هي أموال المسلمين، وإلا لقال مثلاً: إن ذلك المال من مالي الخاص، لكنه لم يقل ذلك، بل قال عندما قيل له ـ كما في تكملة الخبر ـ (فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي!!) فتبريره بأن لسعيد بن العاص قرابة ورحماً تجيز له اختلاس الأموال، وأنه يحتسب في إعطاء قرابته من أموال المسلمين، كل ذلك يؤكد ثبوت تهمة الاختلاس في حقه. وبعد هذا الاعتراف وتدعيمه بذلك التبرير لا معنى للضجيج والعجيج الذي يتشبث به أنصار عثمان في الدفاع عنه.

وروى الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكتَّ كان خيراً لك. لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً، وأخفنا ثقلاً، فأعطاك ابن عمِّك خمس إفريقية!! وعملت على الصدقات، فأخذت أموال المسلمين!!)[1].

فهو يقسم بالله بدون حياء ولا خجل بأنه لم ينفق في داره من مال المسلمين درهماً فما فوقه دون أن يطلب منه أحد أن يؤكد ذلك الموضوع بالقسم. لكن قول المسور له (لو أكلت طعامك وسكتَّ كان خيراً لك!!) يدل على معرفة الصحابة باختلاسات مروان أموال المسلمين. وحتى تتأكد تهمة الاختلاس في حقه، قال له المسور: (لقد غزوت معنا إفريقية، وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً، وأخفنا ثقلاً، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين!!). فقد تصرف عثمان في أموال الخمس التي جاءت من إفريقية وأعطاها مروان وحرم منها أصحابها الشرعيين وهم أهل بيت النبي ﷺ ومروان ليس من أصحابها الشرعيين ولا تحل له، ومروان قبلها وهو يعلم أنها ليست له، وحكمها واضح وضوح الشمس في القرآن الكريم. واشترك الإثنان: عثمان ومروان في

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣، ص٣٧.

اختلاس أموال الخمس وصرفه في غير مواضعه. كما أن مروان عمل على الصدقات فسرقها (وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين!!) هذا مقدار الأمانة والورع عند بعض الصحابة. فكيف يثق الإنسان المسلم بجميع الصحابة؟!.

وروى الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف (أن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكلَّم عثمان، فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان)[1].

فكيف يحق له أن يشتري خمس إفريقية بذلك المبلغ؟ والخمس ليس سلعة للبيع والشراء!! وإنما يعزل ويصرف في مواضعه التي بيَّنها القرآن الكريم، وشراء مروان لذلك الخمس ليس من المواضع التي حدَّدها القرآن الكريم!! لكن مروان أراد بذلك البيع الصورى وسيلة للاستيلاء عليه ونهبه، بدليل قول الراوي (وكلَّم عثمان، فوهبها له!!). أي أن مروان كلَّم عثمان في أن يهبه أموال الخمس، ـ التي ادَّعى إنه اشتراها شراءً صورياً ـ فوهبها له!! فأين الشراء المزعوم؟! فقد تبين أن ذلك الشراء الظاهري ما هو إلا وسيلة للاستيلاء على أموال الخمس ونهبها، واشترك الإثنان في اختلاس الأموال: عثمان ومروان. أحدهما يدَّعي شراء أموال الخمس صورياً، والآخر يهبها علانية، يهب من لا يملك لمن لا يستحق!! ومن هذه الأموال وغيرها يتبجح مروان بقوله: (والله!! ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه!!).

أما ابن الأثير فقد ذكر أنه (لما فتح عبد الله [بن سعد بن أبي سرح] مدينة (سبيطلة) بث جيوشه في البلاد فبلغت (قفصة) فسبوا وغنموا، وسيَّر عسكراً إلى حصن (الأجمّ) وقد احتمى به أهل تلك البلاد فحصره وفتحه بالأمان، فصالحه أهل إفريقية على ألفي ألف وخمسمائة الف دينار!!)[2]. أي أن الغنيمة مقدارها (٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار)، فيكون مقدار الخمس (٥٠٠,٠٠٠ دينار). وقد ذهب في جيوب مروان بن الحكم.

ثم ذكر ابن الأثير أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما رجع من إفريقية قد

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣، ص٣٧.

(٢) الكامل: ابن الأثير ج٢ ص٤٨٤.

(حمل خمس إفريقية إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أخذ عليه!!)[1]. وسواء كان مبلغ خمس إفريقية (٥٠٠,٠٠٠ دينار) أو (٢٠٠,٠٠٠ درهم و ٢٠٠,٠٠٠ دينار) فلا يحق لمروان أن يشتريه، وإنما يصرف في مواضعه التي بيَّنها القرآن الكريم: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]. وشراء مروان لذلك الخمس ليس من تلك المواضع كما بيَّنته الآية الكريمة. ثم من أين لمروان ذلك المبلغ الكبير (٥٠٠,٠٠٠ دينار) حتى يشتري الخمس؟! فلا بد أنه قام بذلك الشراء الصوري من أجل الاستيلاء عليه. ولماذا وضعها عنه عثمان وتنازل عنها؟! فهل من حقه أن يتنازل عن ذلك المبلغ الهائل من الخمس؟! فلو كانت تلك الأموال الكبيرة من ماله الخاص لكان من حقه أن يتنازل عنها لمن يشاء، لكن تلك الأموال هي خمس الغنائم التي غنمها جيش المسلمين وهو لا يملك الخمس، فكيف يتصرف في ما لا يملك؟! وقول الراوي (وكان هذا مما أخذ عليه!!) يدل على ثبوت تهمة الاختلاس في حقه. فإذا كانت إحدى تهم الاختلاس تقدر بـ (٥٠٠,٠٠٠ دينار)!! فكم من الأموال التي اختلسها في المواقف الأخرى ووزعها على أهله وأقاربه؟!

وتسهيلاً على القارئ نورد الاختلاسات على أسماء الأشخاص الذين شاركوا في الاختلاس، وهم:

الأول: ـ أزواج بنات عثمان: أعطى عثمان أربعة أشخاص من قريش زوَّجهم بناته (٤٠٠,٠٠٠ دينار)[2].

الثاني: ـ أهله وأقاربه، وزيد بن ثابت: وزَّع المال الذي جاء من البصرة على أهله وأقاربه، وزيد بن ثابت. ومقداره (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم). أعطى زيد بن ثابت منه (١٠٠,٠٠٠ درهم) ووزَّع الباقي على أهله وأقاربه[3].

---

(١) الكامل: ابن الأثير ج٢ ص٤٨٤.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص١٩٩.

(٣) انظر: نصوص من تاريخ أبي مخمف: لوط بن يحيى ج١ ص٧٣، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٣٥.

الثالث: ـ الحارث بن الحكم بن أبي العاص: أعطاه عثمان (٣٠٠,٠٠٠ درهم) كما أعطاه إبل الصدقة ولم تُحدد قيمتها، كما أعطاه سوق المدينة المعروفة بـ (مهزور أو مهزون)، وقد تصدق بها النبي ﷺ على المسلمين، لكن عثمان استولى عليها وأعطاها للحارث بن الحكم[١].

الرابع: ـ آل الحكم: اعطى آل الحكم (٢,٥٢٠,٠٠٠ دينار). وقال بعضهم (٢,٠٢٠,٠٠٠ دينار)، وقال بعضهم (٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار). وقال بعضهم: أعطاهم خمس ذلك المبلغ وقد بلغ (٣٠٠ قنطار ذهب) ويعادل بالأوزان الحديثة (٣٠,٠٠٠ رطل من الذهب) أو: (١٣٤٧٨,٤ كيلو جرام من الذهب). وذكر بعضهم: أن ذلك المبلغ قد كان من نصيب عبد الله بن أبي سرح، وهو كما ذكر (جميع ما أفاء الله من فتح إفريقية بالمغرب ـ وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة ـ من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين)، وقال بعضهم: أعطاه مروان[٢].

الخامس: ـ الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ: وهبه صدقات قضاعة، وبلغت (٣٠٠,٠٠٠ درهم). كما أعطاه أيضاً (١٠٠,٠٠٠ درهم)، وأعطاه صدقات سوق المدينة)[٣].

السادس: ـ سعيد بن العاص: أعطاه (١٠٠,٠٠٠ درهم)[٤].

السابع: ـ مروان بن الحكم: وضع عنه خمس إفريقية، وقدر بـ (٥٠٠,٠٠٠ دينار)، وأعطاه أيضاً (١٠٠,٠٠٠ درهم)، كما أعطاه (فدك) بعد أن اعتصبها أبو بكر وعمر من فاطمة الزهراء عليها السلام، وبها نخل كثير يقدَّر بنخل الكوفة في القرن السادس،

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص١٩٨. العقد الفريد، ج٢ ص١٠٣، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٦٧، بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢١٨ (في الهامش).

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص٥٠ ـ ٥١، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢، ص٤٨٤، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٥٨ ـ ٢٥٩، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٩٩، ج٣ ص٣٧، بحار الأنوار: المجلسي ج١ ص٢٢٢ (الهامش).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٥ ـ ٣٨، ج١ ص١٩٨، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٤٢، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١١٧.

(٤) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٥. نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى ج١ ص٧٨.

وقُدِّرت وارداتها بـ (٢٤,٠٠٠ دينار) في السنة، وقيل (٧٠,٠٠٠ دينار)، وكانت غلتها أيام إمارة معاوية (١٠,٠٠٠ دينار). كما أعطاه (١٥٠,٠٠٠ أوقية)[١].

الثامن: ـ عبد اللهبن خالد بن أسيد بن أبي العاص: قدم على عثمان من مكة فأمر له مبلغاً من المال مقداره (٣٠٠,٠٠٠ درهم)، ولكل واحد من القوم الذين معه (١٠٠,٠٠٠ درهم)، ولم يُعرف عدد الذين معه. وذكر بعضهم: أن عبد الله بن أسيد طلب صلة من عثمان فأمر له بـ (٤٠٠,٠٠٠ درهم)، وزوَّجه ابنته وأمر له بـ (٦٠٠,٠٠٠ درهم)، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة[٢]!!

التاسع: ـ أبو سفيان بن حرب: اعطاه عثمان (٢٠٠,٠٠٠ درهم)[٣].

العاشر: ـ طلحة بن عبد الله: أعطاه عثمان (٢٠٠,٠٠٠ دينار)[٤].

الحادي عشر: ـ الوليد بن عقبة: استقرض الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخ عثمان من أمه قرضاً من بيت المال في الكوفة، ولما طالبه عبد الله بن مسعود بتسديده كتب إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: (إنما أنت خازن لنا!! فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال!!) وكان مقدار المال: (١٠٠,٠٠٠ درهم)[٥].

الثاني عشر: ـ عبد الله بن أرقم: أُرسل له (٣٠٠,٠٠٠ درهم) بعد أن عزله من خزانة بيت المال، فردَّها ولم يقبلها لأنها رشوة لشراء سكوته[٦].

---

(١) انظر: الكامل: ابن الأثير ج٢ ص٤٨٤. العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٣، ٢٧٧. بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٢١ (الهامش)، الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠. فدك: السيد محمد حسن القزويني الحائري ص١٣ (المقدمة) ص١٩٤ (الملحق).

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٥، ٣٨. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق اليعقوبي ج٢ ص١١٧، العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٣، الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٧٦، بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٢٢ (الهامش).

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص١٩٩. الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٧٧.

(٤) انظر الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٨٣.

(٥)الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٧١ ـ ٢٧٢، العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١١٩.

(٦) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٦. الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٧٧، أسد الغابة: ابن الأثير ج٣ ص١٧٢.

الثالث عشر: ـ محمد بن أبي حذيفة: بعث له عثمان بـ (٣٠,٠٠٠ درهم) وبحمل عليه كسوة لشراء سكوته، فرفضها لكونها رشوة[١].

هذا ما وقفنا عليه من الاختلاسات المالية التي اختلسها عثمان بن عفان من بيت مال المسلمين، ولعلَّ هناك اختلاسات مالية أخرى لم نقف عليها، وسنضع الإختلاسات المالية في الجدول الآتي تسهيلاً لحصرها:

جدول الإختلاسات المالية التي اختلسها عثمان بن عفان

	الأشخاص الذين استلموا الإختلاسات المالية	المبلغ	
		الدينار	الدرهم
١ ـ	أزواج بنات عثمان	٤٠٠,٠٠	
٢ ـ	أهل عثمان وأقاربه، وزيد بن ثابت		١,٠٠٠,٠٠٠
٣ ـ	الحارث بن الحكم		٣٠٠,٠٠٠
٤ ـ	آل الحكم	٢,٥٢٠,٠٠٠	
٥ ـ	الحكم بن العاص		٣٠٠,٠٠٠
			١٠٠,٠٠٠
٦ ـ	سعيد بن العاص		١٠٠,٠٠٠
٧ ـ	مروان بن الحكم	٥٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠
		٧٠,٠٠٠	
٨ ـ	عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص		٣٠٠,٠٠٠
			٤٠٠,٠٠٠
			٦٠٠,٠٠٠
	والذين جاءوا مع عبد الله بن خالد بن أسيد		١٠٠,٠٠٠
٩ ـ	أبو سفيان بن حرب		٢٠٠,٠٠٠
١٠ ـ	طلحة بن عبيد الله	٢٠٠,٠٠٠	
١١ ـ	الوليد بن عقبة		١٠٠,٠٠٠
	مجموع الإختلاسات المالية =	٣,٦٩٠,٠٠٠ دينار	٣,٦٠٠,٠٠٠ درهم

لقد بلغ مجموع الإختلاسات المالية التي اختلسها عثمان ووزعها على أهله

(١) انظر الغدير: الأميني ج٩ ص١٤٤.

وأقاربه: ثلاثة ملايين وستمائة وتسعون ألف دينار (٣,٦٩٠,٠٠٠ دينار) وثلاثة ملايين وستمائة ألف درهم (٣,٦٠٠,٠٠٠ درهم)[١].

هذا المبلغ هو مجموع الاختلاسات المالية التي اختلسها عثمان من بيت مال المسلمين ووزَّعها على أهله وأقاربه، دون أن نضيف إليها (٣٠٠,٠٠٠ درهم) التي أرسلها لعبد الله بن أرقم فردَّها ولا نعرف أين كان مصيرها!!، وكذلك لم نضف (٣٠,٠٠٠ درهم) التي أرسلها لمحمد بن حذيفة ورفضها ولا نعرف أين كان مصيرها.

وإذا أضفت إلى تلك المبالغ النقدية، المبالغ غير النقدية مثل إبل الصدقة التي وهبها لزوج ابنته الحارث بن الحكم، والحمل الذي عليه كسوة وأرسله لمحمد بن أبي حذيفة لزاد المبلغ، أضف إلى ذلك، أننا سجلنا (١٠٠,٠٠٠ درهم) لشخص واحد من الأشخاص الذين جاءوا مع عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص، ولم نعرف عدد الأشخاص الآخرين، ولا المبالغ التي دفعت لهم وأضف إلى ذلك أننا سجلنا غلة (فدك) لسنة واحدة وهي (٧٠,٠٠٠ دينار) ولم نعرف مقدار غلتها للسنوات الأخرى التي تذهب إلى جيوب مروان بن الحكم وينحرم منها أصحابها الشرعيون (فاطمة الزهراء وأولادها عليهم السلام). ولم نحسب قناطير الذهب التي بلغت (٣٠٠ قنطار ذهب) وهي تعادل (٣٠,٠٠٠ رطل من الذهب) أو: (١٣٤٧٨,٤ كيلوجرام من الذهب). وقد أخذها آل الحكم. ولم نحسب ثمن (١٥٠,٠٠٠ أوقية) اعطاها لمروان. والأوقية جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل المصري[٢]. وهي تعادل (١٢,٥٠٠ رطل من الذهب) ذهبت كلها في جيوب مروان. فلو أضفنا كل هذه المبالغ إلى المجموع السابق لزاد كثيراً.

وإذا أضفنا المبالغ التي اختلسها عثمان لنفسه إلى المجموع السابق لزاد المجوع أضعافاً مضاعفة. لأنه لا يمكن أن يختلس تلك الأموال الهائلة من بيت مال المسلمين ويبذِّرها على أهله وأقاربه من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم أغصان الشجرة الملعونة في القرآن ويحرم نفسه!! ولا يمكن أن نصغي إلى الاعتذار البارد الذي

---

(١) انظر: الغدير: الأميني ص٢٨٦، وقارن بين احصائيتنا وإحصائية الشيخ الأميني.

(٢) المعجم الوسيط: ج١ ص٣٣. مادة (آق).

يقول أنه غني ولا يمكن أن يتطاول على أموال المسلمين. فقد تطاول على أموالهم ووزَّعها على الطلقاء وأصحاب النفوس المريضة من أفراد أسرته ولم يخف الله ﷻ، ولم يتورع من القيام بتلك الاختلاسات العديدة لصالح غيره، فكيف يتورع عن ارتكابها لصالحه؟! والعمل هو هو، فكيف لا يتورع هناك، ويتورع هنا؟! بل كل الدلائل تشير إلى أنه لم يتورع في نهب أموال المسلمين لصالحه.

(لما قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً، وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ، فأقرضه عبد الله ما سأله، ثم إنه إقتضاه إيَّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنما أنت خازن لنا، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال!! فطرح ابن مسعود المفاتيح، وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك)[1].

تأمل في قوله: (إنما أنت خازن لنا، فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال!!) فهو قطب الرحى في الأسرة الأموية التي عناها بقوله: (. . . لنا). فهو يعتبر أن أموال المسلمين ملكاً له ولأفراد أسرته، فلا يمكن والحال ذلك أن يتورع في الاستيلاء عليها لصالحه، وهذا ما فهمه عبد الله بن مسعود، فطرح المفاتيح ورفض أن يكون خازناً لأسرة بني أُمية. فالدفاع عن عثمان وتبرءة ساحته من الاختلاسات المالية لصالحه هضم لحقوق المسلمين واستهتار بالقيم الإسلامية التي ذبحها عثمان.

وروى أبو مخنف أن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أُمية، قدم على عثمان من مكة، ومعه ناس، فأمر لعبد الله بثلاثمائة الف، ولكل واحد من القوم بمائة ألف، وصك بذلك على عبد الله بن الأرقم ـ وكان خازن بيت المال ـ فاستكثره وردَّ الصك به. ويقال: إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتاباً، فأبى وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم، فقال عثمان: إنما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟![2]).

---

(١) الغدير: الأميني ج٨ ص٢١٧، نقلاً عن: أنساب الأشراف: البلاذرى. نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى ج١ ص٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٣٥، نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى ج١ ص٨١.

فرفض عثمان أن يسجل على نفسه قيمة المبلغ يدل على أنه ينوي عدم تسديد المبلغ، وشخص بهذه النفسية المتعطشة للمال لا يتورع في اختلاس الأموال لصالحه. وقوله لعبد الله بن الأرقم: (إنما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟!) يؤكد القول السابق بأنه يرى أموال المسلمين له ولأفراد أسرته لا غير. وشخص يحمل هذا التفكير من العار الدفاع عن اختلاساته المالية وتبريرها.

وقال اليعقوبي: (وزوَّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة!!)[1]. فهذا التصرف الجريء في أموال المسلمين في البصرة وإعطاؤها لزوج ابنته وحرمان المسلمين الفقراء منها يشعر أنه لا يخاف الله ولا يؤمن بيوم الحساب، ولا يعتقد بأنه سيحاسب على نهب تلك الأموال. وما دام الحال كذلك فكيف يتورع عن نهب الأموال لصالحه؟! ولو أنه يعتقد بيوم الحساب وأنه سيحاسب على تلك الأموال لما أمر بها لزوج ابنته وهو يعلم أنه لا حق له فيها.

لما طفح الكيل من اختلاساته المالية وحاصره المسلمون المضطهدون اضطر إلى الإعتراف باختلاساته، وأبدى استعداده في تسليم المبالغ التي اختلسها شيئاً فشيئاً من الحوار الذي جرى بينه وبين المسلمين الذين حاصروا بيته. فقد قالوا له: (فمال الله الذي أعطيت قرابتك؟ قال: اكتبوا به عليَّ للمسلمين صكاً لأعمل به ما قدرت على تعجيله وأسعى في باقيه)[2].

فهم يتهمونه باختلاس أموال المسلمين (مال الله) التي أعطاها أقاربه بغير حق، وهو يعترف بتهمة الاختلاس، ويبدى استعداه في تسديدهاعاجلاً وآجلاً، بعد أن ضاق عليه الخناق. ولو لم ير نفسه سارقاً لما اعترف بالسرقة وأبدى استعداده بتسديد ثمن سرقته. لكن يبقى هذا السؤال يطرح نفسه. هل يجب على المسلمين أن يقطعوا يد عثمان للسرقة؟ أم أن الأحكام الشرعية لا تطبَّق على عثمان وأفراد أسرته؟ نوكل الجواب لفطنة القارئ. وانظر إلى اعترافاته الأخرى التي تشير إلى اختلاساته الأموال لصالحه[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١١٧.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٦.

فكل ما ذكرناه شواهد على أنه لم يتورع من نهب أموال المسلمين في وضح النهار. وما دام الحال كذلك فما مقدار الأموال التي كانت بحوزته؟.

١ ـ كان لعثمان بن عفان عند خازنه يوم قتل (٣٠,٥٠٠,٠٠٠ درهم) و(١٥٠,٠٠٠ دينار).

وقيل: (١٥٠,٠٠٠ دينار) و(١,٠٠٠,٠٠٠ درهم)[١].

٢ ـ ترك صدقات تصدق بها بـ(براديس) ووادي القرى بقيمة (٢٠٠,٠٠٠ دينار). وقيل: كانت قيمة ضياعه بوادي القرى وغيرها (١٠٠,٠٠٠ دينار)[٢].

٣ ـ خلَّف خيلاً كثيراً وإبلاً. وقيل: ترك (١٠٠٠ بعير) بالرَّبذة[٣].

٤ ـ له (١٠٠٠ مملوك)[٤].

٥ ـ لبس مطرف خزّ ثمنه (١٠٠ دينار)، وبرداً ثمنه (١٠٠ دينار). وكان ينضِّد أسنانه بالذهب[٥].

٦ ـ أخذ سفطاً فيه حلي وجواهر حلَّى به بعض أهله[٦].

٧ ـ جاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته[٧]. وفي المعجم الوسيط: الكيلة: وعاء يكال به الحبوب، ومقداره الآن ثمانية اقداح[٨].

أي أن مجموع ما عُرف من الأموال المنقولة لعثمان هو: ثلاثون مليون وخمسمائة ألف درهم (٣٠,٥٠٠,٠٠٠ درهم)، وثلاثمائة وخمسون الف ومائتا

---

(١) انظر العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص١٧٨، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٢، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٢) انظر العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص١٧٩، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٢، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٣) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٢، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص١٧٩، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٤) الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٥) الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٦) الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

(٧) الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥، الصواعق المحرقة: ابن حجر ص١١٣.

(٨) المعجم الوسيط: ج٢ ص٨٠٨ مادة (كال).

دينار) (٣٥٠,٢٠٠ دينار). وإذا أضفت إلى ذلك المبلغ ثمن (١٠٠٠ بعير) و(١٠٠٠ مملوك) والجواهر والحلي والذهب والفضة التي سرقها من بيت المسلمين سيكون مجموع المبالغ كبيراً: وهذا ما عُرف فقط. فما مقدار المبالغ التي لم يسجِّلها المؤرخون؟ وما مقدار المال الذي استهلكه قبل وفاته؟ كل ذلك لم نعرف مقداره. وإذا أضفت هذه المبالغ إلى المبالغ التي سرقها وأعطاها افراد أُسرته سيكون المبلغ كبيراً جداً.

ربما يقول قائل أن تلك الأموال التي كانت بحوزته هي أمواله الخاصة لأنه من الأثرياء ولم يتعد على أموال المسلمين!! هذا الكلام المجرد من الدليل لا يروى ظمأ العطشان.

ذكر اليعقوبي في تاريخه: (وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال!!)[1] أي أنها ليست جائزة مختلسة من بيت مال المسلمين لمرة واحدة، بل عطية تتكرر كل عام وتقطع من بيت مال المسلمين.

وقد اعترف عثمان صراحة بالتعدى على أموال المسلمين في الحوار الذي جرى بينه وبين وفود الثائرين على ظلمه كما نقله ابن أعثم الكوفي: (... أما قولكم عن عمالي، فإن ترون أحداً منهم يعامل الرعية بصورة سيئة فاعزلوه، وأما من وجدتموه مستقيماً وعادلاً فأقروه في عمله إن شئتم. ثم قالوا: ما قولك في الأموال التي هي أموال عامة وقد وزعتها بين أقاربك وأهل بيتك؟ فقال: إن أمير المؤمنين عمر كان يتصرف هكذا: فقد كان يرجح في العطاء أهل الفضل والسابقة. فقالوا يا عدو الله. إن أعطيات عمر لا تبلغ واحداً من مائة مما أعطيت. فقال لهم: حاسبوني ثم انظروا ما وهبته كم يبلغ وإني أتعهد أن أُوديه من مالي، فإن بقي شيء أتعهد بسداده!!)[2].

تأمل في قول المسلمين الثائرين على فساده المالي (ما قولك في الأموال التي هي أموال عامة وقد وزعتها بين أقاربك وأهل بيتك؟) فهم يتهمونه صراحة باختلاس أموال المسلمين وتبذيرها على أهله وأقاربه من أغصان الشجرة الملعونة

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١١٧.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفى ج٢ ص٤٠٨.

في القرآن، ولم ينكر هذه التهمة بل أقرَّ بها غاية الأمر أنه برَّرها بتبرير واهٍ عندما ادَّعى إنه سار على سنَّة عمر في تبذير أموال المسلمين (إن أمير المؤمنين عمر كان يتصرف هكذا: فقد كان يرجح في العطاء أهل الفضل والسابقة!!).

ولما احتج عليه المسلمون الناقمون على فساده المالي (قال لهم: حاسبوني ثم انظروا ما وهبته كم يبلغ وإني أتعهد أن أُوديه من مالي، فإن بقي شيء أتعهد بسداده!!).

وهذا الكلام فيه اعتراف صريح بسرقة أموال المسلمين وتبذيرها على أقاربه.. ولو لم يقم بتلك السرقات الفاضحة لأنكرها ولم يعترف بها، واستعداده لتسديد تلك الأموال المسروقة يؤكد تلك السرقات. وما دام الأمر كذلك فيجب عليه أن يسلِّم نفسه لعدالة القضاء لإقامة الحد الشرعي عليه بقطع يده لسرقته أموال المسلمين لكن عثمان لم يسلِّم نفسه للقضاء.

وهذا الاعتراف بسرقة أموال المسلمين فيه إدانة لأتباعه الذين يدافعون عن سرقاته. فماذا ستكون حجتهم أمام الله عزَّ وجلَّ في ذلك الدفاع المخزى الذي ضيَّع حقوق المسلمين؟!

فإضافة إلى ما ذكرنا من الشواهد على تعديه على أموال المسلمين كما وردت علينا قبل قليل، فقد ذكر البلاذرى: (كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلَّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلَّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت!! فأرغم الله أنف من رغم)[1]. وفي رواية أخرى (كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلَّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلَّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام!! فقال له عليّ: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. وقال عمار بن ياسر: أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك. فقال عثمان: أعليَّ يا ابن المتكاء تجترئ؟! خذوه. فأُخذ ودخل

(١) الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٥.

عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب. فلما أفاق توضأ وصلى وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا فيه في الله، وقام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى وكان عمار حليفاً لبنى مخزوم فقال: يا عثمان، أما عليّ فاتقيته وبنى أبيه، وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بنى أمية عظيم السُرَّة، فقال عثمان: وإنك لهاهنا يابن القسرية!! قال: فإنهما قسريتان ـ وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة ـ فشتمه عثمان وأمر به فأُخرج، فأتى أمَّ سلمة وإذا هي غضبت لعمَّار. وبلغ عائشة ما صنع بعمَّار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد. فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول. فالتجَّ المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله... وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بنى مخزوم إلى أم سلمة وغضبها لعمار فأرسل إليها: ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه: دع ذا عنك يا عثمان ولا تحمل الناس من أمرك على ما يكرهون. واستقبح الناس فعله بعمار وشاع فيه فاشتد إنكارهم له)[1].

تأمل في قول الراوي في الرواية الأولى (كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجواهر...) أي أن الجواهر التي نهبها عثمان من بيت المال في المدينة وليست ملكاً له من ماله الخاص، والذي يتجرأ على سرقة حلي وجواهر المسلمين من بيت مالهم في المدينة لا يتورع في سرقة الأموال من بيت المال في وضح النهار. وقد زيَّن بعض أهله بتلك الجواهر والحلي التي سرقها من بيت المال، فلو كان رجلاً غنياً غنًى فاحشاً، فما الذي دعاه إلى تلك السرقة؟. وقول الراوي: (فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه) يدل على ثبوت تهمة الاختلاس والسرقة لأموال المسلمين في حق عثمان. فلو كان ذلك السفط المليء بالجواهر والحلي ملكاً لعثمان لما وُضع في بيت المال بل وضع في

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى ج١ ص٨٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٤٩، الغدير: الأميني ج٩ ص١٥.

بيته، هذا من جانب، ومن جانب آخر لما احتج عليه المسلمون وكلموه بكلام شديد حتى أغضبوه.

ومما يؤكد ذلك الاستنتاج قوله للصحابة الغاضبين على تصرفه: (هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم!!). فهو يعترف صراحة دون لبس: أن تلك الجواهر والحلي التي استولى عليها ونهبها هي مال الله، أي هي ملك للمسلمين وليست من ماله الخاص. لكنه تجاوز الحدود الشرعية وجميع الشرائع السماوية عندما قال (. . .أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم!!). فإذا كان ذلك السفط المليء بالجواهر والحلي مال الله، فبأي حق تعطى ذلك لمن شئت من أهلك أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وتمنعه ممن شئت من أصحابه ومستحقيه من المسلمين؟! فإذا كان الرجل بهذه الدرجة من الغطرسة والفرعنة، يسرق أموال المسلمين ويتبجَّح بأن له الحق في أن يعطيها من يشاء من أهله ويمنعها من يشاء، فكيف يكون ـ والحال ذلك ـ خليفة للمسلمين؟!

وقال عثمان في الرواية الأخرى: (لنأخذ حاجتنا من هذا الفيء، وإن رغمت أنوف أقوام!!) فإذا كان رجلاً ثرياً حقاً فهو لا يحتاج إلى تلك الجواهر والحلي حتي يحلِّي بها نساءه، ثم، لماذا يأخذ حاجته من ذلك الفيء على رغم أنوف المسلمين (وإن رغمت أنوف أقوام؟!) فهذا التصرف يدل على التسلط والجبروت والفرعنة. وقول أمير المؤمنين عليه السلام له: (إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه) يدل على ثبوت تهمة الاختلاس في حقه، وأن الأموال ليست ماله، وإلا لم يمنع ويحال بينه وبين ماله.

وتأمل في قول عمار بن ياسر أمام تلك السرقة الفاضحة (أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك. فقال عثمان: أعليَّ يا ابن المتكاء تجترئ؟ خذوه. فأُخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه ثم أخرج فحُمل حتى أُتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلَّى!!). فقد أعلن عمار بن ياسر امتعاضه من تلك السرقة التي لا يأبه صاحبها من احتجاج الصحابة، فجابهه بتلك الكلمات القارصة النابية (أعليّ يا ابن المتكاء تجترئ)؟!

ففي لسان العرب: •المتك والمتك من المرأة: عرق البظر، وقيل: هو ما

تبقيه الخاتنة. وامرأة متكاء: بظراء. وقيل: المتكاء من النساء: التي لم تخفض، ولذلك قيل في السب: ياابن المتكاء، أي عظيمة ذلك. وقيل هي المفضاة. وقيل: التي لا تمسك البول)[1].

فلم يدافع عثمان عن نفسه أمام احتجاج الصحابة وامتعاضهم بأن يقول مثلاً: إنه تصرف في ماله الخاص، وإنما جابه الصحابى الجليل عمار بن ياسر عندما امتعض من سرقته بقوله له: (أعليَّ يا ابن المتكاء تجترئ؟!). فلم يكتف بإثبات تهمة السرقة عليه وإقراره بها، بل جابه من يعترض على سرقاته ويقف حجر عثرة في طريقه بكلام بذيء (أعليَّ يا ابن المتكاء تجترئ؟!). فأي عذر يبقى بعد ذلك للأقلام المأجورة التي تدافع عنه؟! فالرجل يعترف بأن المال مال الله، وأنه سارق مال الله الذي خصصه للمسلمين على رغم أنف من يحتج أو يعترض على ذلك، وكل من يعترض على تلك الاختلاسات والسرقات سيجابه أولاً بالكلام القارص القبيح مثل (أعليَّ يا ابن المتكاء تجترئ؟!)، وإذا لم ينفع معه ذلك الكلام البذيء سيكون مصيره الضرب المبرح الذي يتعارض مع جميع الشرائع السماوية، والقوانين والأعراف الاجتماعية.

ولما رأي عثمان بن عفان أن الكلام القبيح لا يردع عمار بن ياسر عن اعتراضه على السرقات الفاضحة، قال لجلاوزته، (خذوه، فأخذ، ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غُشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أُتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى!!).

فقد أمر الجلاوزة بأخذه، فأخذته الجلاوزة، لكن ليس للتحقيق معه ثم الحكم عليه بالبراءة أو الإدانة إذا ثبتت إدانته، ولكن أخذته جلاوزة عثمان لتصفيته جسدياً، والذي مارس معه التصفية الجسدية عثمان نفسه (ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه!!). فالرواية خالية من التحقيق مع عمار، هذا في حالة كونه مذنباً، فيكف وهو لم يذنب؟! بل لما دعاه عثمان قام بضربه بنفسه ـ تحت حماية جلاوزته ـ ضرباً مبرحاً جاوز الحد حتى غُشي عليه!!. فلو ضربه ضرباً خفيفاً لما غشي عليه.

---

(١) لسان العرب: ابن منظور ج١ ص٤٨٥ مادة (متك). وانظر كتاب: الفرق: أبو حاتم السجستاني ص٣٢، الفرق: ثابت بن أبي ثابت ص٣١، كتاب الفرق: الأصمعي ص٧٠.

وقول الراوي (فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب) يدل على شدة الضرب الذي حلَّ على جسد عمار بحيث جعله مغشياً عليه من قبل الظهر إلى ما بعد المغرب وقد فاتته ثلاث صلوات، وأن الذي قام بذلك الضرب الهمجي هو عثمان بن عفان. ولم تدل الرواية على أن عثمان قد ندم على ذلك العمل الوحشي، بل كان مسروراً بذلك الضرب، وذلك لقول الراوي (ثم أخرج فحمل حتى أُتي به منزل أم سلمة).

ولما ضربه عثمان ضرباً مبرحاً لم تأخذه رأفة بعمار، بل أمر باخراجه، ولم يقدّم له العلاج، بل تركه في العراء كي يلاقى حتفه ويكون عبرة لغيره من المعترضين!! ولولا قيام بني مخزوم بحمله إلى بيت أم سلمة (رضي الله عنها) لمات من ذلك الضرب المبرح بعد إلقائه في العراء.

ومما يدل على أن عثمان لم يندم على ما فعله في عمار، بل هو راض عنه، قوله لأم سلمة (رضي الله عنها) بعد إيوائها لعمار وتجمع بني مخزوم عند بيتها (ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه: دع ذا عنك يا عثمان، ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون) فلم يكلّف نفسه بالسؤال عن مصير عمار وما حلَّ به!! بل احتج على أم المؤمنين أم سلمة بسبب تجمع رجال بني مخزوم عند بيتها لحزنهم على عمار وخوفهم عليه من الغشية التي أصابته.

والغريب في الأمر احتجاج عائشة على ضرب عمار بن ياسر (فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!). لكن ماذا قالت عائشة لعثمان حتى جعلته يغضب غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول؟ وما الكلام الذي جرى بينهما حتى التجَّ المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله؟! لقد تصرف الرواة في العبارة التي أوردها أبو مخنف في تاريخه وعدَّلوها بقولهم: فغضب غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتجَّ المسجد وقال الناس سبحان الله سبحان الله!!) فهذا الكلام يوحي بأن العبارات التي قالها عثمان وعائشة كل واحد منهما للطرف الآخر عبارات حادة لا يحتمل العامة سماعها، ولهذا أُهملت واستبدلت بالعبارة السابقة التي توحي بصدق ذلك الحدس. لكنها ذُكرت في مصادر أُخرى فراجع[1].

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٩٥ ـ ٢٩٨.

ودليل آخر على اختلاس عثمان أموال المسلمين لصالحه، فقد (جاء إليه أبو موسى بكيلة (في الصواعق: حلية) ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره!!)[1]. فالذي يزوج ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد ويأمر له بـ(٦٠٠,٠٠٠ درهم) من بيت مال المسلمين في البصرة[2]، لا يتورع أن يوزع كيلة (حلية) ذهب وفضة على نسائه وبناته!! والذي يستولى على سفط مليء بالحلي والجواهر ويحلِّي به أهله، لا يتورع أن يقسِّم كيلة من ذهب وفضة بين نسائه وبناته!! والذي يجابه الصحابة الذين يعترضون على سرقاته بقوله: (هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم!!) لا يتورع أن يقسِّم كيلة من ذهب وفضة بين نسائه وبناته!!

وتأمل في قول الراوي (وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره!!) فلم يقل الراوي: أنفق قليلاً أو كثيراً.. بل قال (أكثر) على صيغة اسم التفضيل. أي أن عثمان استولى على بيت مال المسلمين وأنفق أكثر الأموال التي كانت فيه ـ وهي أموال المسلمين ـ في مصالحه الخاصة في عمارة ضياعه ودوره. فأي عذر يبقى لأصحاب النفوس المريضة والأقلام المأجورة في الدفاع عن سرقات عثمان وتبريرها؟!

بل لم يكتف عثمان بسرقة أموال المسلمين له ولأفراد أسرته، بل تمنى أن يحقق لهم أكثر من ذلك. عن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار، فقال: إني سائلكم، وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم بالله، أتعلمون أن رسول الله كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم. فقال عثمان: لو أن بيدى مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم[3].

إقرأ واعجب من أماني عثمان لأفراد أسرته. يقول الله ﷻ في أسرة عثمان: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا

(١) الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٨٥، الصواعق المحرقة: ابن حجر ص١١٣.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ج٢ ص١١٧.
(٣) المسند: أحمد بن حنبل ج١ ص٦٢، أُسد الغابة: ابن الأثير ج٣ ص٦١٢.

﴿يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠]. فالله ﷻ يسميهم الشجرة الملعونة في القرآن[١]. وعثمان يتمنى لو أن مفاتيح الجنة بيده ليعطيها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم!!

وقال رسول الله ﷺ في بني أمية: (أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء)[٢]. وعثمان يتمنى لو أن مفاتيح الجنة بيده ليعطيها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم!! وروى عبد الله بن مسعود: لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية[٣]. وعثمان يتمنى لو أن مفاتيح الجنة بيده ليعطيها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم!! وروى السيوطى والزمخشرى (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين)[٤]. وعثمان يتمنى لو أن مفاتيح الجنة بيده ليعطيها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم!!.

لقد استطاع عثمان أن يغدق على بني أمية ملايين الدنانير والدراهم من بيت مال المسلمين لما مكَّنه الصحابة من التحكم في أمورهم وأموالهم، ولما وصل طغيانه المالي حداً لم يستطيعوا تحمله ثاروا عليه وقتلوه. لكنه لم يستطيع أن يدخل بني أمية في الجنة، ولن يستطيع أن يحصل على مفاتيح الجنة حتى يحقق أمنيته لأن الله ﷻ لن يمكنه من ذلك، وإنما الذي يمكنه الله ﷻ من ذلك هو قسيم الجنة والنار، وهو خبير وجدير في أن يضع بني أمية في موضعهم المناسب.

على كل حال، فقد أشار رسول الله ﷺ إلى الاختلاسات المالية لبني أمية قبل أن تقع، وحذَّر المسلمين من شرِّها ووبالها، لكن للأسف أن كثيراً من

---

(١) انظر: الدر المنثور: السيوطى ج٤ ص٢١١.

(٢) الدر المنثور: السيوطى ج٤ ص٢١١.

(٣) انظر: تطهير الجنان واللسان: ابن حجر ص٦٤، نهج الحق: العلامة الحلى ص٣١٢، كتاب السبعة من السلف: السيد مرتضى الفيروزآبادي ص٢٠٦.

(٤) الدر المنثور: السيوطى ج٤ ص٩٥، الكشاف: الزمخشري ج٢ ص٣٧٧.

الصحابة قد مكنوا بني أمية من تلك الاختلاسات عداوة لبني هاشم حتى لا يجمعوا بين النبوة والخلافة، فجرّوا الويلات على الأمة بسوء تصرفهم وحقدهم الدفين. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً)[1].
وعثمان بن عفان من بني أمية، بل هو أول خلفائهم. وتأمل في قول نبي الرحمة ﷺ (اتخذوا ... مال الله نحلاً...) مما يدل على أن ملايين الدنانير والدراهم التي استولى عليها عثمان وصرفها على نفسه وأهله وأقاربه من بني أمية هي مال الله، وبعبارة أخرى: هي مال المسلمين. وهذه شهادة من رسول الله ﷺ في جرائم بني أمية قبل أن تقع، وقد تحققت على أرض الواقع كما أخبر الرسول ﷺ. فأي عذر يبقى لابن حجر الهيتمي وغيره من أصحاب الأقلام المأجورة في الدفاع عن اختلاسات عثمان وتبرير سرقاته والتنكر لشهادة رسول الله ﷺ في حقه؟!

وعن أبي ذر الغفاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً)[2].
وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً)[3].
ففي الرواية الأولى إذا بلغ بنو أمية أربعين، وفي الرواية الثانية والثالثة اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً. ولا تعارض بن الروايات، فيمكن الجمع بينها. فإذا بلغ بنو أمية فرع بنى العاص ثلاثين رجلاً، وبنو أمية فرع أبي سفيان عشرة رجال فيكون المجموع أربعين رجلاً أموياً، ثلاثون رجلاً أموياً عاصياً، وعشرة رجال أمويين سفيانيين. وعثمان بن عفان عاصي من جانب وأموي من جانب آخر. فهو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي[4].

---

(١) المستدرك: الحاكم النسابوري ج٤ ص٤٧٩.
(٢) المستدرك: الحاكم النسابوري ج٤ ص٤٨٠.
(٣) المستدرك: الحاكم النسابوري ج٤ ص٤٨٠.
(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير ج٣ ص٦٠٦.

وإذا تأملت حديث النبي ﷺ (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً . . .) تجد أن أبا العاص جد عثمان بن عفان بن أبي العاص. ولم يستثن رسول‌الله ﷺ أحداً من بني العاص مما يدل على أن عثمان محسوب من ضمن الثلاثين من بني العاص من جانب لأنه حفيد أبي العاص، ولاستيلائه على (٣,٦٩٠,٠٠٠ دينار)و(٣,٦٠٠,٠٠٠ درهم) من بيت مال المسلمين وتوزيعها على أهله وأقاربه من بني العاص مثل أزواج بناته وعمه الحكم بن العاص وأولاد عمه مروان بن الحكم والحارث بن الحكم، وسعيد بن العاص وغيرهم من جانب آخر. كما استولى لنفسه من بيت مال المسلمين على (٣٥٠,٢٠٠ دينار) و(٣٠,٥٠٠,٠٠٠ درهم)، غير الجواهر والذهب والجمال والعبيد، مما ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ أشد الانطباق (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً . . .). وإذا لم ينطبق على عثمان بتلك المبالغ الهائلة التي سرقها، فعلى من ينطبق الحديث النبوي الشريف؟!

وبسبب هذه الاختلاسات المالية الكبيرة ثار المسلمون وفي مقدمتهم الصحابة على عثمان، واتهموه صراحة بتلك الاختلاسات، واستقال بعضهم من مسؤولية الاشراف على بيت المال لما وجدوا أن عثمان لا يرتدع عن اختلاس أموال بيت المال. ولم تقتصر الاختلاسات على عثمان وأهله وأقاربه بل امتدت إلى بطانته والمحيطين به من غير أقاربه. والغريب في الأمر أن أولئك البطانة التي بشمت بالمال قد ركبت موجة الاحتجاجات وقادت المعارضة ضد عثمان. ومن هؤلاء:

أولاً: طلحة:

ترك بعد موته (٢,٢٠٠,٠٠٠ درهم) و(٢٠٠,٠٠٠ دينار). وقوِّمت أصوله وعقاره بـ(٣٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم). كان يغل بالعراق ما بين (٤٠٠,٠٠٠ ـ ٥٠٠,٠٠٠) ويغل بالسراة (١٠,٠٠٠ دينار). باع أرضاً له من عثمان بـ(٧٠٠,٠٠٠). وكانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافياً، والوافي وزنه وزن الدينار. وقال بعضهم: ترك (١٠٠ بهار) في كل بهار ثلاث قناطر ذهب. والبهار: جلد ثور. وقيل: ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة. والقنطار يساوي ٤٤,٩٢٨ من الكليوجرامات. فـ(٣٠٠ بهار) تساوي (٩٠٠ قنطار ذهب) وهي تعادل بالأوزان الحديثة (٤٠٤٣٥,٢ كيلوجرام من الذهب)!! أو = ٣٠٠ جلد ثور مملوءة

بالذهب!! وأعطى عثمان طلحة في خلافته (٢٠٠,٠٠٠ دينار)!![1]. فإذا كان طلحة يملك تلك الأموال الهائلة التي تقدر بالملايين، فلماذا يعطيه عثمان (٢٠٠,٠٠٠ دينار)؟! ومن أين مصدر تلك الأموال؟ هل هي من أمواله الخاصة؟ فيكون العطاء في غير محله؟؟ لأنه أعطى رجلاً ثرياً ثراءً فاحشاً. ثم، لماذا يقبل طلحة تلك العطية الكبيرة (٢٠٠,٠٠٠ دينار) وهو يملك أضعافها؟ وهناك كثير من الفقراء والمساكين أحوج لذلك المال من طلحة، فلا معنى لذلك التصرف من المعطي والمعطى له!! وإذا كان ذلك المال (٢٠٠,٠٠٠ دينار) من بيت مال المسلمين، فتكون القضية، أعطى من لا يملك لمن لا يستحق!! والغريب في الأمر أن طلحة قاد الثوار ضد عثمان بتهم عديدة، منها تهمة اختلاس أموال المسلمين. وقد أعطى عثمان طلحة (٢٠٠,٠٠٠ دينار)، فإذا كان المبلغ من بيت مال المسلمين، فلا يحق لطلحة أن يعيِّر عثمان باختلاس الأموال، لأنه شريكه في التهمة نفسها، وإن كان المبلغ من مال عثمان الخاص فمن غير المروءة أن يقود الثوار ضد عثمان بعد أياديه البيضاء تلك!!

روي أن عثمان قال: (ويلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً!! وهو يروم دمي يحرِّض على نفسي اللهم لا تمتعه به، ولقِّه عواقب بغيه)[2].

فقد أعطى عثمان طلحة كذا وكذا بهاراً ذهباً. والبهار يساوي ثلاثة قناطير. والقنطار يساوي (٤٤,٩٢٨) كيلوجراماً. فالبهار الواحد يساوي (١٣٤,٧٨٤) كيلوجراماً ذهباً. ولم يعطه بهاراً واحداً بل أعطاه كذا وكذا بهاراً ذهباً. مما يدل على أنه أعطاه مبلغاً كبيراً من الدنانير الذهبية، فما مصدر تلك الأموال الطائلة؟! لا شك أن مصدرها من بيت المال. فالذي ينهب أموال بيت المال ويوزعها على أهله وأقاربه، لا يتورع في توزيعها على أصدقائه. وهذا المبلغ لم نحسبه في قائمة العطايا التي أعطاها أهله وأقاربه وأصدقائه.

---

(١) انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبرى ج٤ ص٢٦١ ـ ٢٦٣، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٧١ ـ ٢٧٣، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٣، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٥.

ثانياً: الزبير العوَّام:

كان للزبير (١٠٠٠ مملوك) يؤدون الخراج، وخلَّف بعد وفاته (١٠٠ فرس) باع الزبير داراً له بـ(٦٠٠,٠٠٠). ذكر القلعي أن تركته بعد قضاء دينه (٥٧,٦٠٠,٠٠٠) وقال ابنه عبد الله بن الزبير: حسبت ما عليه من الدين فوجدته (٢,١٠٠,٠٠٠). وإذا أضفت مبلغ الدين إلى المبلغ السابق بعد قضاء الدين كان المجموع (٥٩,٧٠٠,٠٠٠). كان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل إمرأة (١,١٠٠,٠٠٠). اشترى الزبير الغابة بـ(١٧٠,٠٠٠) فباعها ابنه عبد الله بـ(١,٦٠٠,٠٠٠). وعن عروة بن الزبير قال: كانت قيمة ما ترك الزبير (٥١,٠٠٠,٠٠٠) أو (٥٢,٠٠٠,٠٠٠). عن عروة بن الزبير: أن أبا بكر أقطع الزبير (الجرف) وعن عبد الله بن نمير: أن عمر أقطع الزبير العقيق أجمع. وعن أبي حصين: أن عثمان بن عفان أجاز الزبير بن العوام بـ(٦٠٠,٠٠٠) فنزل على أخواله بني كاهل فقال: اي المال أجود؟! قالوا: مال أصبهان. قال: اعطوني من مال أصبهان!![1].

تأمل في المبلغ الذي أعطاه عثمان للزبير، فإذا كان الزبير يملك تلك الأموال الطائلة التي بلغت (٥٩,٧٠٠,٠٠٠)، فلماذا يعطيه عثمان (٦٠٠,٠٠٠)؟! ومن أين مصدر الأموال؟! لقد حدَّد الزبير أن يكون مصدر اختلاسه لأموال المسلمين من بيت مال أصبهان!! وهذا دليل على أن الأموال التي جمعها الزبير ليست كلها من عرق جبينه، بل أكثرها من أموال المسلمين، من بيت مال المسلمين في أصبهان وغيرها، فضلاً عن القطائع التي حصل عليها من أبي بكر وعمر بن الخطاب!!

وما دام الحال كذلك، فلماذا يثور على عثمان بتهمة الاختلاس وهو أحد الرموز التي شاركت في التهمة نفسها؟!

ثالثاً: عبد الرحمن بن عوف:

آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري.

---

(١) انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبرى ج٤ ص٢٨٥ ـ ٢٩١، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، مروج الذهب: المسعودي ج٤ ص٣٣٣، الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٨٢.

فقال له سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت فأنزل لك عنها فإذا حلَّت تزوجتها. فقال له عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق بني قينقاع: قال: فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو. وعن أنس بن مالك قال: شكا عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوَّام إلى رسول الله ﷺ القمَّل فرخَّص لهما في قميص الحرير في غزاة لهما!! وهذان دليلان على أن عبد الرحمن بن عوف كان فقيراً، والرجل الغني لا يكون قاذورة يعشش القمل في جسمه. ووجود القمل علامة من علامات الفقر للافتقار إلى وسائل الصحة!!

وبعد ذلك وجدنا عبدالرحمن بن عوف باع أرضاً من عثمان بـ(٤٠,٠٠٠ دينار). وقال ولده طلحة: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم بماله، وثلث يصلهم!! وقال عبد الرحمن: يا أصحاب رسول الله ﷺ، كل من كان من أهل بدر له عليَّ (٤٠٠ دينار)!! فقام عثمان وذهب مع الناس!! فقيل له: يا أبا عمر ألست غنياً؟ قال: هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة، وهو من مال حلال!! فتصدق عليهم في ذلك اليوم بـ(١٥٠,٥٠٠,٠٠٠ دينار). وفي المقابل يمتنع من دفع دراهم قليلة لمناجاة رسول الله ﷺ!!

وخلَّف (١٠٠٠ بعير) و(٣٠٠٠ شاة) و(١٠٠ فرس) ترعى بالبقيع. وقيل: كان على مربطه (١٠٠ فرس) و(١٠٠٠ بعير) و١٠٠٠٠ شاة من الغنم). وكان فيما خلفه ذهب قطِّع بالفئوس حتى مجلت أيدي الرجال!! وصولحت إمرأته التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بـ(٨٣,٠٠٠). وقال الطائي: قسّم ميراثه على ستة عشر سهماً فبلغ نصيب كل امرأة (٨٠,٠٠٠ درهم). وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله (٨٤,٠٠٠) أي أن الثمن مقداره (٣٣٦,٠٠٠) وبعملية حسابية بسيطة، يكون مقدار ماله (٢,٦٨٨,٠٠٠). وباع أمواله من (كيدمة) وهو سهمه من بني النضير بـ(٤٠,٠٠٠ دينار)[1].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبرى ج٤ ص٣١٠ ـ ٣١٦، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٤٠ ـ ٢٤٥، الغدير: الأمينى ج٨ ص٢٨٤، مروج الذهب: المسعودي ج٤ ص٣٣٣.

لقد هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة فقيراً لا يملك شيئاً يعشش القمل في جسمه، ثم توفي عن تلك الثروة الطائلة، فمن أين حصل على تلك الأموال؟ أنا لا أدري، ولعلَّ القارئ يدري.

لكن كيف حصلت الجفوة بين عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان؟ رُوي أن عثمان اعتلَّ علة اشتدت به، فدعا حمران بن أبَّان، وكتب عهداً لمن بعده، وترك موضع الاسم، ثم كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأتى عبد الرحمن بن عوف فأخبره، فقال عبدالرحمن وغضب غضباً شديداً: أستعمله علانية، ويستعملني سرًّا!! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة. وغضب بنو أمية، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيَّر إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن بن عوف[1]!!

لقد ترك عثمان بن عفان موضع اسم الخليفة المرتقب فارغاً ثم كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف. وهذا التصرف يخالف مبدأ الشورى الذي يتشدق به ـ نظرياً فقط ـ أتباع خط السقيفة. مما يدل على تخبطهم وتلونهم في طريقة اختيار الخلفاء. فهم يقولون ما لا يفعلون!! يقولون بمبدأ الشورى، ويعملون بالنص!! ولنا أن نسأل عثمان بن عفان، لماذا اخترت عبد الرحمن بن عوف دون غيره من الصحابة؟ هل لذلك الإختيار علاقة برد الجميل (واستعمله علانية، ويستعملني سرّاً)؟!

لما بايع عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان بعد انتهاء مهزلة الشورى، قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الرحمن بن عوف (ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على تصفون، والله ما وليته الأمر إلا ليردَّه إليك، والله كل يوم في شأن)[2].

ولنا أن نسأل أيضاً: لماذا غضب بنو أمية؟ هل كان غضبهم لعدم كفاءة عبد الرحمن بن عوف لمنصب الخلافة؟ أم، لأنه ليس من بني أمية؟! ولماذا ضرب عثمان مولاه حمران بن أبَّان مائة سوط وسيَّره إلى البصرة؟ هل ضربه لأنه أفشى

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ج٢ ص١١٧، وانظر تجارب الأمم: مسكويه ج١ ص٢٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٩٤.

سراً من أسرار اختيار الخليفة؟ أم ضربه لسبب آخر؟ وهو رغبة زعماء قريش أن لا يطلع أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك الاختيار البعيد عن الانصاف، لأنهم آلوا على أنفسهم أن لا يجمعوا بين النبوة والخلافة في بني هاشم حتى لا يبجحوا على قومهم بجحاً بجحاً!! واطلاع أمير المؤمنين على ذلك الاختيار الذي تمَّ من وراء الجدران قد يفسد عليهم خططهم.

وقال أبو هلال العسكري في كتاب «الأوائل»: استيجبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن، فما ماتا إلا متهاجرين متعاديين. أرسل عبَد الرحمن إلى عثمان يعاتبه وقال لرسوله: قل له: لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس، وإن لي لأموراً ما هي لك: شهدت بدراً وما شهدتها، وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها، وفررتَ يوم أحد وصبرتُ[1].

ولما بنى عثمان قصره (طمار) بالزوراء، وصنع طعاماً كثيراً، ودعا الناس إليه، كان فيهم عبد الرحمن، فلما نظر للبناء والطعام قال: يابن عفان، لقد صدقنا عليك ما كنا نكذّب فيك، وإني أستعيذ بالله من بيعتك. فغضب عثمان، وقال: أخرجه عني يا غلام، فأخرجوه، وأمر الناس ألا يجالسوه... ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات[2].

لقد انتفضت على عثمان بطانته بعد أن أغدق المال على أفرادها. واستعاذ من بيعته الذي نصبه في منصب الخلافة، وكان نصيبه الاخراج مهاناً من قصر عثمان، والطلب من الناس ألا يجالسوه. وإذا كانت هذه درجة التبرم من عثمان من أقرب الأقربين إليه من أفراد بطانته. فما بالك بدرجة تبرم المضطهدين والفقراء والمساكين الذين أكل عثمان وبطانته خيراتهم وحرمهم منها؟!

ولم يقتصر الاختلاس المالي على البطانة التي ذكرناها، فهناك آخرون مثل: سعد بن أبي وقاص، ويعلى بن أمية، وزيد بن ثابت وغيرهم[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٩٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٩٦.

(٣) انظر مروج الذهب: المسعودي ج٤ ص٣٣٣، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٣٢، الغدير: الأميني ج٨ ص٢٨٤.

لقد مضى عثمان في اختلاس أموال المسلمين إلى أبعد حد، ولم يأبه للاحتجاجات العديدة التي شملت قطاعاً كبيراً من المسلمين في المدينة المنورة وفي المدن والأقاليم، وتعددت تلك الاحتجاجات وصدرت عن القريب والبعيد والعدو والصديق، والرجال والنساء، والذين بشموا من اختلاس أموال المسلمين، وأصحابها الذين حُرموا منها. ومن المعروف أن المال من أكبر العوامل المحركة للثورة. وقد استخف عثمان بذلك العامل الخطير في إشعال الثورة أيمّا استخفاف ولم يقدر خطورته فاكتوى بناره.

الفصل الثاني:

الفساد الإدراي والسياسي

اختار عثمان بن عفان ولاة معروفين بالفسق والفجور لإدارة الأقاليم البعيدة في الدولة الإسلامية، فعاثوا في الأرض الفساد ونهبوا أموال المسلمين ونكلّوا بهم، ولما استصرخ المسلمون عثمان بن عفان من جورهم وطلبوا منه أن يقيلهم ويستبدلهم بولاة صالحين لم يكلّف نفسه في استدعائهم ومحاسبتهم على ظلمهم وجورهم، بل أبقاهم شوكة في عيون المسلمين المضطهدين، وصخرة ثقيلة على صدورهم، وأمرهم بتشديد العقوبة والتنكيل بكل من يتجرأ على الشكوى أو التذمر منهم. ومن هنا انطلقت الحناجر هاتفة بالاستياء من عثمان ومن فساده الإداري والسياسي، واشتعلت ثورة المسلمين المضطهدين فأحرقت عثمان وولاته الظالمين، وانصبَّ لهيب الثورة أكثر ما انصبَّ على عثمان، وذهب ضحية فساده الإداري والسياسي والمالي، ولم يحصل على الدفن بعد الموت إلا بعد ثلاثة أيام كان مطروحاً خلالها على مزبلة من مزابل المدينة المنورة، ولم يقبر بعد ثلاثة أيام إلا في مقبرة اليهود بـ(حش كوكب). فيا له من مصير قد جلبه لنفسه بعناده وفساده.

وسنقتصر على ذكر الرموز الكبيرة في الفساد الإداري والسياسي الذين كانت لهم اليد الطولى في نشر الفساد الإداري والسياسي الذي أودى بحياة عثمان. كما أن عثمان بن عفان هو المسبب في بذر ذلك الفساد الإداري والسياسي عندما اختار تلك الرموز الفاسدة من الولاة الفسقة من أفراد أسرته بدلاً من اختيار الصحابة الأخيار الأكفاء.

أولا: الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

كان أخاً لعثمان من أمه. وكان جده أبو معيط يسمى ذكوان، كان عبداً رومياً من صفوية لأمية فاستلحقه. فالوليد ليس أموياً صريحاً، بل لصيقاً[1]. أسلم يوم فتح مكة. قال فيه ابن عبد البر: له أخبار فيها نكارة وشناعة، تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله[2]. فإذا كانت أخباره الشنيعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله، فلم ولّاه عثمان على رقاب المسلمين؟ وهذا من الفساد الإداري والسياسي الذي ابتلى به عثمان إذ يولّي الوليد بن عقبة وأمثاله على الكوفة!!

كان والده عقبة بن أبي معيط من المناوئين لرسول الله ﷺ، فلما عزم أمية بن خلف الجمحي على القعود عن الخروج مع مشركي مكة إلى عزوة بدر (أتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به، وقال: يا أبا علي استجمر فإنما أنت من النساء. فقال: قبّحك الله وقبح ما جئت به. وتجهز وخرج معهم)[3]. فلم يكتف بمحاربة رسول الله ﷺ، بل شجّع المتخاذلين عن حربه.

(وكان في الأسرى النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، فأمر [النبي ﷺ] علي بن أبي طالب عليه السلام بقتل النضر فقتله بالصفراء، وأمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن أبي معيط، فلما أرادوا قتله جزع من القتل، وقال: مالي أسوة بهؤلاء ـ يعني الأسرى ـ؟ ثم قال: يا محمد من للصبية؟ قال: النار!! فقتله بعرق الظبية صبراً)[4]. تأمل في قول عقبة بن أبي معيط للنبي ﷺ (يا محمد من للصبية؟ قال: النار!!). أي أن الأولاد الذين خلّفهم سيكون مصيرهم إلى النار، ومن هؤلاء ولده الوليد بن عقبة بن أبي معيط. فأي قيمة لهذا الرجل ما دام مصيره إلى النار؟! وما دام الحال كذلك، فلماذا يوليّه عثمان ولاية الكوفة؟ فبأي حجة سيلاقي ربه إذا حاسبه على ذلك؟ وفي رواية: أن أمير المؤمنين هو الذي قتل عقبة بن أبي معيط[5].

---

(١) انظر أسد الغابة: ابن الأثير ج٥ ص٤٦٧، الاستيعاب: ابن عبد البر، بهامش الإصابة ج٣ ص٦٣١.
(٢) الاستيعاب: ابن عبد البر، بهامش الإصابة ج٣ ص٦٣٣.
(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص١٥، السيرة النبوية: ابن هشام ج٢ ص٦١٠.
(٤) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص٢٧، الإصابة ابن حجر ج٣ ص٦٣٧.
(٥) انظر: السيرة النبوية: ابن هشام ج٢ ص٦٤٤.

هذا هو حال والد الوليد بن عقبة، أما الوليد نفسه فقد تكفَّل القرآن الكريم ببيان حاله ومصيره بحيث لا مزيد عليه ولا يرقى إليه الشك. عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه): أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك. فقال له عليّ: اسكت فإنما أنت فاسق. فنزل ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]. يعني بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد بن عقبة[١].

(وأخرج ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت بالمدينة في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط. قال كان بين الوليد وبين علي كلام. فقال الوليد بن عقبة أنا أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً وأردّ منك للكتيبة. فقال علي (رضي الله عنه): اسكت فإنك فاسق! فأنزل الله ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾، الآيات كلها[٢]. والشيء العجيب الذي ينبغي التأمل فيه هو أن الآيتين اللتين أعقبت الآية السابقة تفصيل لمصير المؤمن وهو أمير المؤمنين، ومصير الفاسق وهو الوليد بن عقبة، والآيتان هما قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ١٩-٢٠].

أي أن أمير المؤمنين عليه السلام الذي آمن وعمل الصالحات جزاؤه جنات المأوى، وأن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق مأواه النار، كلَّما حاول أن يخرج منها أُعيد فيها ولن يستطيع الخروج منها، بل سيذوق العذاب فيها. وما دام مصيره هذا المصير المخزي، فبأي حق ينصبه عثمان والياً على الكوفة؟ وبم يعتذر يوم القيامة إذا حوسب على ذلك؟ وهل من مهمة الخليفة أن ينصِّب الفسَّاق على رقاب المسلمين؟ ألم يكن تنصيب الفاسق الوليد بن عقبة على الكوفة تحدِّياً لأحكام القرآن الكريم؟ وإذا لم تقبل شهادة القرآن الكريم في تفسيق الوليد بن عقبة، فمن تقبل شهادته؟!

---

(١) أسباب النزول: الواحدي ص٢٤٨.

(٢) الدر المنثور: السيوطي ج٥ ص١٩٣، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ج٣ ص٤٤٥، شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني ج١ ص٤٤٥ ـ ٤٥٣.

قال الحارث بن ضرَّار الخزاعي (رضي الله عنه): (قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي دفعت زكاته، وترسل إليَّ يا رسول الله رسولاً إبَّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقَّت لي وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ. وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة. فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق ـ أي خاف ـ فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي!! فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث (رضي الله عنه). وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث. فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله!! قال (رضي الله عنه): لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيته بتة! ولا أتاني! فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي! قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني. وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسول الله ﷺ خشيت أن يكون سخطة من الله تعالى ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾[1] [الحجرات: ٦].

لقد أطلق القرآن الكريم على الوليد بن عقبة بن أبي معيط لقب الفاسق. فأي عذر يبقى لعثمان كي يولي الفسَّاق على رقاب المسلمين؟ الم يجد من الصحابة الأخيار من يحل محله؟ أم أنه لا يبالي بتولية الفساق من أهل بيته وأقاربه؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ج٤ ص٢١٠ ـ ٢١١، الدر المنثور: السيوطي ج٦ ص٩٦ ـ ٩٨، أسباب النزول: الواحدي ص٢٧٧.

لقد كذب الفاسق الوليد بن عقبة على رسول الله ﷺ عندما ادَّعى أن الحارث بن ضرَّار الخزاعي منعه من الزكاة وأراد قتله!! ولم يكتف بذلك، بل كذب على رسول الله ﷺ عندما قال: (إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام!!) كما جاء في بعض الروايات. لقد كذب على رسول الله ﷺ في أربعة أشياء:

١ ـ إن الحارث امتنع عن دفع الزكاة.

٢ ـ إن الحارث أراد قتله.

٣ ـ إن بني المصطلق جمعوا الجموع لغزو رسول الله ﷺ

٤ ـ إن بني المصطلق ارتدوا عن الإسلام.

لقد جمع بين أربعة أكاذيب، كل أكذوبة ألعن من أختها، ولم يتورع عندما رأى جيش المسلمين منطلقاً لتأديب المسلمين من بني المصطلق فيذهب إلى رسول الله ﷺ ويخبره بحقيقة الأمر قبل نزول الكارثة على المسلمين، ولولا تدخل القرآن الكريم في الأمر ببيان فسقه وفضح أكاذيبه لتسبب في قتل المسلمين الأبرياء. مما يدل على أن هذا الصحابي الكذاب الفاسق لا قيمة له بين صفوف المسلمين، ولا يزن عند الله ـ بسبب فسقه وكذبه ـ جناح بعوضة. وبسبب اختيار هذا الفاسق وأمثاله من الفسقة استشرى الفساد الإداري والسياسي لدى عثمان وبطانته، فكان سبباً من أسباب الثورة ضده والقضاء عليه. فلو التجأ عثمان إلى تولية الصحابة الأخيار على الأقاليم الإسلامية بدلاً من ولاته الفسقة لانتشر الصلاح في المجتمع وسادت الأمور على ما يرام. لكنه أصرَّ إلى آخر رمق من حياته على التمسك بأمثال هؤلاء الولاة وعدم عزلهم مع معرفته بفسادهم الإداري والسياسي، فجلبوا الكوارث والويلات على الأمة الإسلامية، وكانت الخاتمة أن احترق عثمان بفسادهم الإداري والسياسي.

هذا هو حال الوليد بن عقبة قبل أن يوليه الكوفة. وما دام هذا هو حاله وموقف القرآن الكريم منه، فما سبب توليته الكوفة؟

قال ابن أبي الحديد: عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن

حرب والحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبة، ولم يكن سريره يسع إلا عثمان وواحداً منهم، فأقبل الوليد يوماً فجلس، فجاء الحكم بن أبي العاص فأومأ عثمان إلى الوليد، فرحل عن مجلسه، فلما قام الحكم قال الوليد: والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك ـ وكان الحكم عم عثمان والوليد أخاه لأمه ـ فقال عثمان: إن الحكم شيخ قريش. ما البيتان؟ قال:

رأيت لعم المرء زلفى قرابة ... دوين أخيه حادثاً لم يكن قدما
فأملت عمراً أن يشبَّ وخالداً ... لكي يدعواني يوم نائبة عمّا

يعني عمراً وخالداً ابني عثمان. قال: فرقَّ له عثمان. وقال: قد ولَّيتك الكوفة، فأخرجه إليها[1].

من خلال هذا الخبر لم نر أن عثمان قد ولَّى أخاه الفاسق الوليد بن عقبة الكوفة لكفاءته، بل ولَّاه الكوفة لتطييب خاطره من أجل موضوع بسيط وهو قيامه من سرير عثمان لكي يفسح المجال للحكم بن أبي العاص ليحل محله. وقد تكدَّر خاطره من ذلك القيام فأرضاه عثمان بتوليته على الكوفة. وقد نسي عثمان بأنه قد ولى رجلاً فاسقاً على رقاب المسلمين، والذي شهد عليه بالفسق القرآن الكريم. فأي عذر يبقى لعثمان في ذلك التصرف المخالف لتعاليم القرآن الكريم؟! والسبب الذي دفع عثمان لكي يولي أخاه الفاسق على الكوفة غير وجيه وغير مقبول.

لقد أفصح الوليد بن عقبة بن أبي معيط عن نفسه قبل أن يستلم أمور الكوفة من الوالي السابق سعد بن أبي وقاص. فلما قدم الوليد بن عقبة لاستلام مهام منصبه الجديد قال له سعد بن أبي وقاص: أكست بعدنا أم حمقنا بعدك!! فقال: لا تجزعن يا أبا اسحاق، كل ذلك لم يكن. وإنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون!! فقال سعد: أراكم جعلتموها ملكاً. وقال له ابن مسعود: ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس!![2].

هذا هو رأي الوليد بن عقبة بن أبي معيط. فهو يعتبر خلافة أخيه عثمان بن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٧ ص٢٧٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص٤٧٧.

عفان، وولايته على الكوفة ما هي إلا الملك، وقد تغذَّاه قوم ويتعشاه قوم آخرون!! فالشخص الذي يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد لا يستحق أن يكون والياً على الكوفة لأنه بؤرة فساد، وتولية أمثال هذا الفاسق على رقاب المسلمين عامل قوي في نشر الفساد السياسي والإداري. وهذا ما حصل بالفعل على أرض الواقع.

قيل: (إن الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم. وشهدوا عليه عند عثمان، فأمر علياً بجلده، فأمر عليٌّ عبد الله فجلده، وقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمَّت صلاتهم ... أأزيدكم؟ سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري[1])

هذا هو الوالي الذي نصبه عثمان على رقاب الملسمين!! يشرب الخمر المحرمة ويستهتر بالصلاة!! ولما ذهب وفد الكوفة إلى المدينة كي يشكو واليهم الفاسق (أتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر، فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب الخمر؟ فقالا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه. فزجرهما ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني!! فخرجا من عندة وأتيا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأخبراه بالقصة. فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود!! فقال له عثمان: فما ترى؟...)[2].

ضجَّ أهل الكوفة من فسق واليهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولما ذهب اثنان منهم يشكوانه عند الخليفة، (زجرهما ودفع في صدورهما، وقال تنحيا عني!!). من هذه الحادثة وغيرها اشترك أهل الكوفة مع الثائرين الذين ثاروا على عثمان للقضاء على الفساد الإداري والسياسي الذي اصطنعه عثمان وولاته الفسقة. ولو لم يقم أهل الكوفة وغيرهم بتلك الثورة لاستشرى الفساد الإداري

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٤.

(٢) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٦.

والسياسي في أوصال الأمة الإسلامية إلى درجة يصعب استئصاله، ولتغذى بنو أمية بالملك وتعشوا به وبات غيرهم بالجوع وماتوا وهم فقراء.

ثانياً: سعيد بن العاص:

هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. وقُتل أبوه يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب[١]. (فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة، فاستبدَّ بالأموال!!)[٢]. (ومات سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية في قصره بـ(العرصة) على ثلاثة أميال من المدينة، ودفن بالبقيع. وأوصى إلى ابنه الأشدق، وأمره إذا دفنه أن يركب إلى معاوية، وأن ينعاه ويبيعه منزله بالعرصة، وكان منزلاً قد اتخذه سعيد وغرس فيه النخل، وزرع فيه، وبنى قصراً معجباً!!)[٣]. ولما توفي سعيد نعاه ولده لمعاوية وأراد معاوية أن يحمل ديون سعيد بن العاص فرفض ابنه، وطلب منه معاوية أن يشتري قصره بـ(العرصة) فقال معاوية: (هيهات! لا تبيعون هذا المنزل، انظر غيره!!) ولما أصرَّ ابنه على بيعه اشتراه معاوية بـ(٣٠٠,٠٠٠ درهم وافية من دراهم فارس)[٤].

فمن أين حصل على تلك الأموال التي بنى فيها قصره العجيب؟ لقد رفض معاوية أن يباع ذلك القصر الفخم في البداية لكنه اشتراه تحت إلحاح ولده بـ(٣٠٠,٠٠٠ درهم).

لقد بنى قصره بأموال المسلمين التي نهبها من بيت المال بالكوفة كما صرَّح بذلك المسعودي (فلما اتصلت ايام سعيد بالكوفة، ظهرت منه أمور منكرة، فاستبدَّ بالأموال!!). هذا من جانب، ومن جانب آخر، قد أعلن صراحة أن كل شيء هوملك له ولبني أمية كما قال يوماً لأهل الكوفة: (لا تغضب يا أشتر! فإنما السواد كله لقريش، فما نشاء منه أخذنا وما نشاء تركنا، ولو أن رجُلاً قدَّم فيه رِجلاً لم

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير ج٢ ص٤٦٠.

(٢) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٣٧.

(٣) نسب قريش: المصعب الزبيري ص١٧٦.

(٤) انظر: نسب قريش: المصعب الزبيري ص١٧٧.

يرجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقطعتها!!)[1]. فالذي يتشدق بهذا الكلام لا يتورع عن نهب أموال المسلمين لبناء داره بـ(العرصة)!! ومن جانب ثالث، فقد ربَّى فيه عثمان بن عفان نزعة الاختلاس عندما أعطاه من مال المسلمين (١٠٠,٠٠٠ درهم) فقبلها[2]. كما مرَّ علينا سابقاً في الاختلاسات المالية لعثمان.

كان سعيد بن العاص من الولاة المتجبرين الذين لا يعرفون شيئاً في الإدارة والسياسة، فضلاً عن أمور الدين. ذكر ابن أعثم الكوفي عن سوء تصرفات هذا الطاغية: (بينا هو عشية في مسجد الكوفة وذلك في آخر يوم من شهر رمضان والناس يقول بعضهم لبعض: غداً الفطر، إذ سمع سعيد بن العاص ذلك فقال لمن حوله من الناس: من منكم رأى الهلال؟ فقال قوم: ما رأيناه بعد. فقام هشام (والأصح هاشم) بن عتبة بن أبي وقاص وقال: بلى، قد رأيته والحمد لله. فقال سعيد بن العاص: كيف رأيته بعينك هذه العوراء من بين الناس؟ فقال له هشام (هاشم): أتعيّرني بعيني العوراء وقد فقئت في سبيل الله يوم اليرموك في جيش المسلمين، وأنت مع أمك بتهامة في رعي البهيم!! قال: ثم وثب هشام (هاشم) من المجلس فصار إلى منزله. فلما كان من الغدّ لم يأمر سعيد الناس بالإفطار، وأصبح هشام (هاشم) في داره مفطراً، فتغذى عنده خلق كثير من الناس، وبلغ ذلك سعيد بن العاص فأرسل إليه وأحضره، ثم أمر به فضرب، وأمر بداره فأحرقت!!)[3].

لقد تصرف هذا الوالي تصرفات حمقاء، فقد شكك في شهادة الصحابي الجليل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بدون دليل شرعي يستند عليه، ولم يكتف بذلك، بل سخر من عينه العوراء، ولم يدر أنها عورت وهو يجاهد في سبيل الله في معركة اليرموك. بل أثبت للناس جهله في الإدارة والسياسة والدين. عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبيﷺ قال: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. فإن غمِّي عليكم فأكملوا العدد[4].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٤.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٣٥.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٣.

(٤) صحيح مسلم: ج٢ ص٤٦١، باب وجوب صوم رمضان، رقم الحديث (١٠٨١).

وفي صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن الأهلة فقال: هي أهلة الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيته فأفطر[1].

وما دام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال إنه رأى الهلال فقد وجب عليه الإفطار، وقد عمل بالحكم الشرعي ولا غضاضة عليه في ذلك، وهو من الصحابة الفضلاء الأخيار ممن لا يشهدون بالباطل، ومن الحماقة أن يقوم الوالي المتجبر سعيد بن العاص بردّ شهادته. فقد قال ابن الأثير في ترجمته: (نزل الكوفة، أسلم يوم الفتح. وكان من الشجعان الأبطال، والفضلاء الأخيار. فقئت عينه يوم اليرموك بالشام. وهو الذي فتح جلولاء من بلاد الفرس، وهزم الفرس، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف. وشهد صفين مع عليّ (رضي الله عنه)، وكانت معه الراية، وهو على الرجَّالة، وقتل يومئذٍ)[2].

فأي عذر يبقى لسعيد بن العاص كي يردَّ شهادة هذا الصحابي الجليل ويأمر أهل الكوفة بعدم الإفطار؟! وليته اكتفى بذلك، بل لما عرف من جواسيسه أن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فد أفطر وعيَّد وتغذى عنده خلق كثير من الناس (أرسل إليه وأحضره، ثم أمر به فضرب، وأمر بداره فأحرقت!!).

هذه صور من الفساد الإداري والسياسي لولاة عثمان، فقد أمر الوالي سعيد بن العاص بضرب الصحابي الجليل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وحرق داره ولا ذنب له إلا أنه رأى هلال شوال فأفطر حسب ما قاله الشرع، لكن ولاة عثمان الفاسدين لا يفقهون ذلك، بل يحكمون المسلمين وفق الأحكام الجاهلية التي تخالف الشريعة الإسلامية.

وقد أحدث هذا الفساد الإداري ردَّة فعل قوية في أسرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، (وبلغ ذلك سعد بن أبي وقاص وهو بالمدينة فغضب وأقبل إلى عثمان بن عفان ومعه وجوه المهاجرين، فقال: يا أمير المؤمنين! لماذا وثب عاملك سعيد بن

---

(١) وسائل الشيعة: الشيخ الحر العاملي ج٧ ص١٨٣، الباب الثالث من أبواب أحكام شهر رمضان، حديث٧. وانظر الحدائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني ج١٣ ص٢٤١، مهذّب الأحكام: السيد عبد الأعلى السبزواري ج١ ص٢٦٧.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير ج٥ ص٣٩٢، رقم الترجمة (٥٣٢١).

العاص على ابن أخي هاشم، فضربه وأحرق داره بالكوفة؟! والله لا برحت أو انتصفت أو لتكونن هٰهنا أشياء!! فقال عثمان: اصنع ما بدا لك يا سعد!! فوالله إنك لتعلم أنه مالي في ذلك ذنب. قال: فوثب عمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو يومئذٍ غلام حدث، حتى أتى إلى دار سعيد بن العاص بالمدينة فأشعل فيها النار، وأرسلت عائشة إلى عمر بن سعد بن وقاص فطلبته إليها وسألته أن يصفح عن ذلك، ففعل!![1].

(اصنع ما بدا لك يا سعد!!). لا يتم العلاج الصحيح للفساد الإداري والسياسي بهذا الأسلوب الأحمق، بل يتم علاج ذلك الفساد الإداري باستدعاء ذلك الوالي المتغطرس ومحاكمته وفق الأحكام الشرعية. وأما موقف عائشة من أقرباء المعتدي عليه والطلب منهم الصفح عن ذلك فموقف جميل، لكن ما موقفها من المعتدي؟ أنا لا أدري، ولعلَّ القاريء يدري!!

كان هاشم بن عتبة من المؤمنين الشجعان الأبطال، ومن الصحابة الفضلاء الأخيار، ومن السائرين على نهج أمير المؤمنين ومن شيعته البارزين ومن قواد جيشه في صفين، ومن حملة الرايات، وقد نال شرف الشهادة وهو يقاتل الفئة الباغية تحت راية أمير المؤمنين. وقد ارتجز في الحرب:

قد أكثروا لومي وما أقلّا ... إني شريت النفس، لن أعتلّا
أعور يبغي نفسه محلّا ... لا بد أن يَفُل أو يفلّا
قد عالج الحياة حتى ملّا ... أشلهم بذي الكعوب شلّا
مع ابن عمٍّ أحمد المعلّى ... فيه الرسول بالهدى استهلّا
أوَّل من صدَّقه وصلّى ... فجاهد الكفار حتى أبلى[2]

كما خاض حرب الجمل ضد عائشة تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام. وكان على خيل قريش وكنانة[3]. فقربه من أمير المؤمنين عليه السلام وكونه من شيعته هو السبب في رفض سعيد بن العاص لشهادته، وضربه وحرق داره. ولهذا السبب أرسلت عائشة

---

(١)كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٣.

(٢) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٣٢٧. وانظر أسد الغابة: ابن الأثير ج٥ ص٣٩٢. تاريخ الطبري: ج٦ ص٢٢ ـ ٢٤.

(٣) انظر: الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢١.

إلى أقرباء هاشم بن عتبة المعتدي عليه أن يصفح عن ذلك، ولم نسمع لها أنها وبخَّت المعتدي أو لامته أو طالبت بمحاكمته!!

لما جمع عثمان بن عفان ولاته وأخبرهم أن الناس يشكونه ويشكونهم من الظلم والتعسف وسوء السيرة، واستشارهم في ذلك، قال سعيد بن العاص: (يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب. قال: وما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة، متى تهلك يتفرقوا، ولا يجتمع لهم أمر!! فقال عثمان: إن هذا (لهو) الرأي، لولا ما فيه!!)[1].

أما ابن أعثم الكوفي، فقد ذكر أن سعيد بن العاص قال: (لا والله يا أمير المؤمنين! ما دعا الناس أن نقموا عليك إلا الحمام والفراغ من الحروب، وذلك أن العرب اليوم جلست في المحافل وتحدثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدو حتى لا يرجع أحدهم إذا رجع إلى منزله قد أهمته نفسه لا يتفرغ لعيب الأمراء!!)[2].

وسواء كان رأيه الأول أو الثاني، فهو مرآة لفساده الإداري والسياسي، فلم ينصح خليفته عثمان بالإصلاح الإداري والسياسي الذي ينهي الخلاف بين الخليفة والرعية، بل أمره بنقيض ذلك وهو أن يهلك قادة المسلمين المطالبين بالإصلاح الإداري والسياسي كي تتفرق كلمتهم، ولا يجتمع لهم أمر بعد ذلك، ويعجب عثمان بهذا الرأي الفاسد لولا الخوف من عواقبه الوخيمة!! أو أن يشغلهم بالحروب والغزوات، لا لوجه الله ونشر الإسلام في جميع أرجاء المعمورة، وإنما (حتى لا يرجع أحدهم إذا رجع إلى منزله قد أهمته نفسه لا يتفرغ لعيب الأمراء!!).

ولهذا لم يشأ عثمان ولا ولاته الظلمة أن يصلحوا فسادهم الإداري والسياسي، بل لما أمرهم بالرجوع إلى بلادهم وأعمالهم (لم يزدادوا على الناس إلا غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنة!!)[3]. فلم ير عثمان وولاته

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٩٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٣٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن الأعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٩.

(٣) كتاب الفتوح: ابن الأعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٩.

حلاً ناجحاً للإصلاح إلا الزيادة في الغلظة والجنف والجور في الأحكام عند تطبيقها على المسلمين، والعدول عن السنَّة إلى البدع الجاهلية التي أماتها الإسلام!!. ومن جوره في الحكم على المسلمين، والعدول عن السنة ما كتبه إلى سعيد بن العاص بعد أن ضرب هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهدم داره (ثم كتب عثمان إلى سعيد بن العاص يعزله على فعله بهشام (هاشم) بن عتبة، ويقبح عليه رأيه، فسكت سعيد بن العاص ولم يرتفع بما فعل)[1].

أين المحاكمة العادلة لذلك الوالي الظالم؟ فهل الحل ينحصر في لومه وتقبيح رأيه؟! ولماذا ضيَّع عثمان ووالية الظالم حقوق الصحابي الجليل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص؟! ولماذا لم يعوِّضه عن حرق بيته وضربه بدون سبب شرعي؟!

هذه صور من الفساد الإداري والسياسي لعثمان وولاته الفسقة. وهذا الفساد أحد الأسباب التي دفعت المسلمين المضطهدين إلى الثورة ضده وضد ولاته الظلمة.

ثالثاً: عبد الله بن عامر:

اسمه عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. وهو ابن خال عثمان بن عفان[2]. وكان سبب توليته البصرة الاقتراح الذي اقترحه غيلان بن خرشة على عثمان بن عفان، وذلك عندما قال له: (أما منكم خسيس فترفعوه، أما منكم فقير فتجبروه!! يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد!! فانتبه لها الشيخ، فولَّاها عبد الله بن عامر)[3]. ويقصد بالشيخ الأشعري أبا موسى الأشعري. لقد أراد هذا المنافق أن يرفع من خساسة بني أمية عن طريق توليتهم على رقاب المسلمين، وقد تمَّ له ما أراد. فلم ينصح خليفة بني أمية بأن يولِّي الصالحين من الصحابة على ولاية البصرة، وهذا ما لا يريده ولا يؤمن به، وإنما نصحه بأن يوليَّ البصرة خسيساً من بني أمية وما

---

(١) كتاب الفتوح: ابن الأعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٤.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير ج٣ ص٢٩٣ (رقم الترجمة ٣٠٣١). وانظر: نسب قريش: المصعب الزبيري ص١٤٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٥٥، الكامل: ابن الأثير ج٢ ص٤٩١.

أكثرهم، وقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: (أريت بني أمية على منابر الأرض، وسيتملكونكم!! فتجدونهم أرباب سوء!!)[1].

وتأمل في قوله: (يا معشر قريش!! حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد!!) فلم يقل يا معشر المسلمين، وإنما خصص نداءه لقريش ـ وعلى رأسها في ذلك الوقت عثمان ـ فهم لوحدهم لهم الحق في أكل مال البصرة ونهبه، لا لأبي موسى الأشعري اليماني!!

لما ولّي عثمان أقرَّ أبا موسى على البصرة ثلاث سنين ثم عزله في الرابعة. وقيل في الثالثة. (ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل (إيذج) والأكراد، فنادى أبو موسى في الناس وحضَّهم وندبهم وذكر من فضل الجهاد في الرّجلة حتى حمل نفر على دوابهم وأجمعو على أن يخرجوا رجَّالاً. وقال آخرون: لا والله لا نعجل بشيء حتى ننظر ما صنيعه، فإن أشبه قوله ما فعله فعلنا كما فعل أصحابنا. فلما كان يوم خرج، أخرج ثقله من البصرة على أربعين بغلاً!! فثقلوا بعنانه وقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول، وارغب من الرّجلة فيما رغبتنا فيه!! فقنَّع القوم حتى تركوا دابته ومضى، فأتوا عثمان فاستعفوه منه، وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن نقول فأبدلنا به. فقال: من تحبون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا!! وأحيا أمر الجاهلية فينا!! فلا ننفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعرين، ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمَّرت علينا صغيراً!! كان فيه عوض منه، أو مهتراً!! كان فيه عوض منه، ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه، فدعا عبد الله بن عامر وأمرَّه على البصرة!!)[2].

هذه سيرة ولاة عثمان، يحضون الناس على الجهاد وينسون أنفسهم!! وتأمل في قول الراوي في خروج أبي موسى الأشعري من البصرة بعد عزله (فلما كان يوم خرج، أخرج ثقله من البصرة على أربعين بغلاً!!). لما جاء والياً على البصرة لم يملك هذا الثقل، فمن أين كان له ثقل يُحمل على أربعين بغلاً؟! لقد نهب بيت المال في البصرة قبل أن يخرج، ومما يؤكد ذلك قول غيلان بن خرشة: في كل

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٥٥، الكامل: ابن الأثير ج٢ ص٤٩١.

أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا. وقوله الآخر الذي مرَّ علينا سابقاً: يا معشر قريش!! حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد؟!

وتأمل في قول غيلان بن خرشة في أبي موسى الأشعري (وأحيا أمر الجاهلية فينا!!). لقد نبذ أبو موسى الأشعري الإسلام وأحيا أمر الجاهلية في المسلمين في البصرة. ولا عجب من ذلك، فالذي ينهب أموال المسلمين لا يتورع في إحياء أمر الجاهلية!!

وتأمل في جواب غيلان بن خرشة عندما سأل عثمان وفد البصرة الذين جاؤوا يشكون واليهم وسألهم: من تحبون؟ فقال: (إذا أمَّرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه، أو مهتراً كان فيه عوض منه!!). لقد أبدى استعداده أن يقبل بوالٍ صغير أو خرف!! بدلاً من أبي موسى الأشعري. لكن ليس من عامة المسلمين، وإنما لا بد أن يكون هذا الوالي الصغير أو الخرف (مهتراً...) من أسرة بني أمية، والذي يدل على ذلك، قوله السابق لعثمان: (أما منكم خسيس فترفعوه، أما منكم فقير فتجبروه، يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد. فانتبه لها الشيخ فولَّاها عبد الله بن عامر). فلا عجب من أتباع خط السقيفة أن تكون مطالبهم بهذا المستوى. فالذين يقبلون بمعاوية بن أبي سفيان وإبنه يزيد الخمور والفجور وعبد الملك بن مروان وأبيه مروان والوليد بن يزيد وأضرابهم لا يرفضون أن يقبلوا بوالٍ صغير أو خرف لأن فيه العوض!! وأعجب من ذلك أنهم راضون عن والٍ صغير أو خرف أو خسيس يعيّنه عليهم عثمان بن عفان ولا يرضون بخلافة أمير المؤمنين وسيد الموحِّدين الذي نصَّبه عليهم الله ﷻ ورسوله الكريم، ولم يكن صغيراً ولا خرفاً ولا خسيساً، بل هو من بيت القداسة والطهارة، وباب مدينة العلم المحمدي. ولم يرفضوا خلافته فقط بل حاربوه في البصرة في حرب الجمل كما سنعرفه في الفصول القادمة. فما هو عذرهم أمام الله ﷻ عندما يبدون استعدادهم لقبول والٍ صغير أو خرف أو خسيس ويرفضون خلافة أمير المؤمنين عليه السلام؟!

لقد حزَّ في نفس أهل البصرة أن يأكل خيراتهم رجل أشعري لا علاقة له بقريش، ورضوا أن يلتهم خيراتهم رجل صغير أو خرف أو خسيس شرط أن يكون والياً قرشياً من بني أمية. (فلما زوَّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد أمر

له بـ(٦٠٠,٠٠٠ درهم)، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة[١]. فالذي أمر بنهب ذلك المال (٦٠٠,٠٠٠ درهم) من بيت مال البصرة هو خليفة قريش، واللذان استفادا من ذلك المال ابنة الخليفة وزوجها، وهما قرشيان، والذي سلَّم لهما المال والي البصرة ابن خال عثمان عبد الله بن عامر وهو قرشي، وهو وال صغير وخرف وخسيس، لأن أهل البصرة لما طلبوا من عثمان أن يرسل إليهم والياً بهذه الصفات أرسل إليهم ابن خاله عبد الله بن عامر (وكان عمره لمَّا ولي البصرة أربعاً أو خمساً وعشرين سنة)[٢].

لما قُتل عثمان هرب عماله بالأموال بعد أن سرق كل واحد منهم بيت المال الذي بحوزته، ومن هؤلاء السرَّاق عبد الله بن عامر والي عثمان على البصرة. هرب بقسم من المال وذهب إلى مكة وجهز به جيش الناكثين. فلما لم يجد بعض الناكثين نفقة يتجهزون بها قالوا: (كيف نستقل وليس معنا مال نجهِّز به الناس؟ قال يعلى بن أمية معي ستمائة ألف، وستمائة بعير، فاركبوها. وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به...)[٣].

فما مقدار ذلك المال الذي سرقه عبد الله بن عامر؟ ولماذا أبهم المؤرخون مقداره واكتفوا بقولهم (كذا وكذا...)؟ أما ابن الأثير فقد وصف المال بقوله: (وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير!!)[٤]. فلو كان المال قليلاً لما وصفوه بالكثرة، ولو كان قليلاً لما وظَّفه في تجهيز جيش الناكثين عن الحق. وهذا التصرف في أموال المسلمين ونهبها يعطينا صورة أخرى مشابهة لفسادهم الإداري والسياسي. فالغارق في الفساد المالي حتى أخمص قدميه لا يتورع عن الفساد الإداري والسياسي.

وكما وظَّف عبد الله بن عامر قسماً من الأموال التي نهبها من بيت مال البصرة في تجهيز جيش الناكثين، وظَّف القسم الآخر منها في تعمير ضياعه وبساتينه. (فله

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١١٧.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير ج٣ ص٢٩٣ (رقم الترجمة ٣٠٣١).

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٧.

(٤) الكامل في التاريخ: ابن الاثير ج٣ ص١٠١.

النِّباح الذي يقال له نباح ابن عامر، وله الجحفة، وله بستان ابن عامر بنخلة على ليلة من مكة، وله آثار في الأرض كثيرة)[1]. فمن أين له تلك الضياع والبساتين؟ أليست من المال الكثير الذي قدم به من البصرة؟!

رابعاً: عمرو بن العاص:

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم. كان (أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله ﷺ، والمكاشفين له بالعداوة والأذى، وفيه وفي أصحابه أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥][2]. وقد ورث عمرو بن العاص الاستهزاء والعداوة من أبيه.

ويلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر، لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً، فينقطع ذكره، يعني رسول الله ﷺ لأنه لم يكن له ﷺ ولد ذكر يعقب منه، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣][3]. هذا هو موقف والده من رسول الله ﷺ وعداوته الشديدة له. أما موقفه هو من رسول الله ﷺ وعداوته له لا يقل عن موقف أبيه وعداوته.

فقد كان (أحد من يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة، لأنه كان ﷺ يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة، وكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها. وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله ﷺ لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة، فروّعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرماح، حتى أجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الربيع بعلها، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ، نال منه وشقَّ عليه مشقة شديدة ولعنهم)[4].

لقد ارتكب عمرو بن العاص أربع موبقات، كل واحدة أعظم من الموبقات الأخر:

---

(١) نسب قريش: المصعب الزبيري ص١٤٨، المستدرك: الحاكم ج٣ ص٦٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٢.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٢.

الأولى: إيذاء رسول الله ﷺ بأنواع الأذى.

الثانية: شتم رسول الله ﷺ بأقذع الشتم.

الثالثة: وضع الحجارة في طريق رسول الله ﷺ لكي يعثر بها.

الرابعة: ترويع زينب ابنة رسول الله ﷺ حتى أجهضت جنينها ميتاً.

وبعد كل هذه الموبقات التي ارتكبها من الأذى والشتم والترويع يكافئه أتباع خط السقيفة بهذه الرواية المكذوبة. قال طلحة بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عمرو بن العاص من صالحي قريش!!)[1]. اقرأ واعجب أيها القارئ الكريم.

(وروى الواقدي أيضاً وغيره من أهل الحديث، أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ﷺ هجاءً كثيراً، كان يعلمه صبيان مكة، فينشدونه ويصيحون برسول الله إذا مرَّ بهم، رافعين أصواتهم بذلك الهجاء. فقال رسول الله ﷺ وهو يصلي بالحجر: «اللّهم إن عمرو بن العاص هجاني، ولست بشاعر، فالعنه بعدد ما هجاني»)[2].

لقد وظَّف شعره في هجاء رسول الله ﷺ ووصف أهل الحديث هجاءه بأنه كان (هجاءً كثيراً) يدل على ضخامة الإساءة والأذى التي حلَّت على رسول الله ﷺ من ذلك العدو اللدود. وفوق كل ذلك يأتي أصحاب الضمائر الخبيثة من أتباع خط السقيفة فيروون كذباً على لسان رسول الله ﷺ أنه قال: (إن عمرو بن العاص من صالحي قريش!!).

ولم يكتف عمرو بن العاص بأن يهجو رسول الله ﷺ هجاءً كثيراً، بل وظَّف صبيان مكة يعلمهم هجاءه الخبيث فينشدونه ويصيحون برسول ا إذا مرَّ بهم، رافعين أصواتهم بذلك الهجاء البذيء.

(وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص، عهدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ﷺ

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير ج٤ ص٢٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٢.

وهو ساجد بفناء الكعبة، فسال عليه، فصبر ولم يرفع رأسه، وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية، فاحتضنت ذلك السَّلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي، فرفع رأسه صلى الله عليه وآله، وقال: «اللّهم عليك بقريش»، قالها ثلاثاً، ثم قال رافعاً صوته: «إني مظلوم فانتصر»، قالها ثلاثاً. ثم قام فدخل منزله، وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب بشهرين)[1].

لقد اشترك عمرو بن العاص مع بعض مشركي قريش بوضع سلى جمل فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد في فناء الكعبة. و(السّلى): غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه[2]. لقد بلغ الغاية في العداوة والأذى.

(ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله، أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليزهده في الدين، وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة، وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده، إن أمكنه قتله، فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السِّير)[3]. فلم يدع مجالاً يظهر فيه عداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله إلا وقد ولجه. فأي قيمة لهذا الرجل حتى ينصَّب والياً على بلاد المسلمين؟! هذه عداوته قبل إسلامه، فما مدى عداوته بعد إسلامه؟

اجتمع ثلة من المنافقين من أصحاب النفوس المريضة في مجلس معاوية وهم: عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وطلبوا من معاوية أن يرسل إلى الإمام الحسن عليه السلام لكي يسبّوه ويسبوا أباه. وبعد امتناع وتردد في البداية وافق معاوية واستدعاه. ولما حضر الإمام الحسن عليه السلام (تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم ذكر علياً عليه السلام، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته، وامتنع من بيعته، ثم بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً، وادَّعى من الخلافة ما ليس له. ثم ذكر الفتنة يعيِّره بها، وأضاف إليه مساوىء، وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٢.
(٢) المعجم الوسيط: ج١ ص٤٤٧. مادة (سلي).
(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٣.

واستحلالكم ما حرَّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك!!، وإتيانكم ما لا يحل!! ثم إنك يا حسن، تحدّث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك وتركك أحمق قريش، يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك!! وإنما دعوناك لنسبّك وأباك، فأما أبوك فقد تفرَّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن تردّ علينا وتكذبنا؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فارددْه علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان!!)[1].

قوله (إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرَّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل)، يدل على أنه لا يؤمن بنبوة رسول الله ﷺ وإمامة أهل بيته، لأنه يخاطب جميع بني عبد المطلب ولم يستثن رسول الله ﷺ منهم. والذي يؤذي رسول الله ﷺ بأنواع الأذى ويشتمه ويضع الحجارة في طريقه ويهجوه في شعره لا يتورع أن يعلنها صراحة أن جميع بني عبد المطلب يحرصون على الملك ويستحلون الدماء المحرمة ويرتكبون ما لا يحل. ولو كان يؤمن بوحدانية الله عزَّ وجلَّ ورسالة نبيِّه ﷺ لما تفوه بهذا الكلام البذيء الذي يشم منه رائحة الكفر والزندقة، لأنه تفوّه بهذا الكلام في مجلس معاوية بالشام بعد صلح الإمام الحسن وبعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، وعمرو بن العاص محسوب على جماعة المسلمين، فلِمَ يسمي النبوة والإمامة ملكاً، وأن بني عبد المطلب حريصون على ذلك الملك؟

وتأمل في قوله للإمام الحسن عليه السلام (ثم إنك يا حسن، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك!!). يتفوه بهذا الكلام في حق الإمام الحسن الذي وصفه جده ﷺ بسيد شباب أهل الجنة. وأما قوله في الإمام الحسن بأنه (أحمق قريش!!)، فأحمق قريش هو الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٥ ـ ٢٩٤.

أنجبته أمه من عهر وسفاح، وتشاجر فيه أربعة من أراذل قريش فغلب عليه جزارها ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً، لا الذي ولدته سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. وأحمق قريش هو الذي لم تكن أمه في موضع مرضي، والذي قال له المنذر بن الجارود (أي رجل أنت لولا أن أمَّك أمَّك!! فقال: إني أحمد الله إليك لقد فكرت البارحة فيها فأقبلت أنقلها في قبائل العرب ممن أحب أن تكون منها، فما خطرت لي عبد القيس على بال!!)[1]. لا الذي والدته سيدة نساء العالمين وأبوه أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلين وجده سيد الأنبياء والمرسلين.

وتأمل في خبث سريرته، وسوء زندقته عندما قال للإمام الحسن عليه السلام (إنما دعوناك لنسبَّك وأباك، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس!!) هذا هو هدفه وهدف رفاقه من المؤلفة قلوبهم، ويتمثل هدفهم المخزي في سبّ الإمام الحسن وأبيه عليهما السلام، وقتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أعيتهم الحيلة في قتله، ثم يتبجَّح بقوله إنه لا إثم عليه ولا على زمرته الكافرة من الله، ولا عيب عليهم من الناس!!

لقد أعلنوا هدفهم واضحاً وضوح الشمس، ثم يأتي عثمان بن عفان فيولي أمثال هؤلاء المفسدين على رقاب المسلمين فيعيثون في الأرض الفساد.

ولما انتهى المنافقون من نفث سمومهم ردَّ عليهم الإمام الحسن عليه السلام، ومما قاله لعمرو بن العاص: (وأما أنت يابن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزَّارها، ألأمهم حسباً وأخبثهم منصباً، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل الله فيه ما أنزل. وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة. ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدَّك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب مع حليلتك، ففضحك الله وفضح

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٤.

صاحبك. فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرَّهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللّهم العنه بكل حرف ألف لعنة» فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن. وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعَّرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها. ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا ابن العاص! ألست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السَّير مني بمستنكر
فقلت: ذريني فإني امرؤ ... أريد النجاشيَّ في جعفر
لأكويَهُ عنده كيَّة ... أقيم بها نخوة الأصعر
وشأنئ أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عتبة جاهداً ... ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أنثني عن بني هاشم ... وما استطعت في الغيب والمحضر
فإن قبل العتب منِّي له ... وإلا لويت له مشفري[1]

تأمل في قوله:

وشأنئ أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
ولا أنثني عن بني هاشم ... وما استطعت في الغيب والمحضر

والاعتراف كما يقال سيد الأدلة! فهذا الشنآن (البغض) لرسول الله ﷺ وقول الزور والمنكر في حقه، وعدم التوقف عن الكيد لبني هاشم في محضره وغيابه هو الثمن لتوليته على رقاب المسلمين!! ولضخامة العمل الذي قدَّمه لأسياده القرشيين ولَّوه على بلد من أكبر الأمصار الإسلامية وهو مصر، يرتع ويلعب فيها.

ولما جمع عثمان ولاته لاستشارتهم في تذمر المسلمين من فساد ولاته السياسي والإداري، (اقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك! قال: أرى

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٩١ ـ ٢٩٢، جمهرة الخطب: ج٢ ص٢١ ـ ٢٨.

أنك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً وامض قدماً!! فقال عثمان: ما لك، قمل فروك؟! أهذا الجد منك؟! فأسكت عنه دهراً حتى تفرق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين لأنت أعز عليَّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شراً!!)[1].

وهذا الرأي الذي تبناه وآمن به وطبَّقه عملياً يعطينا صورة حقيقية لفساده الإداري والسياسي، فالذي يؤمن بهذه الآراء الخرقاء لا يمكن أن يكون والياً صالحاً عادلاً.

خامساً: معاوية بن أبي سفيان:

هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي[2]. كان من المؤلفة قلوبهم، تأخر إسلامه الظاهري عن إسلام أبيه. ودخل أبوه في الإسلام بعد أن أعيته الحيل بعد فتح مكة. وقد لام أباه لما عرف أنه دخل في دين النبي ﷺ، وأنشد معاتباً أباه:[3].

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا
خالي وعمّي وعمّ الأم ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننَّ إلى أمر تكلفنا ... والرَّاقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة: لقد ... حاد ابن حرب عن العزّى إذا فرقا

فقد بيَّن في شعره إلحاده وبغضه للدين، وتمسكه الشديد بعبادة الأصنام، وحزنه على رؤوس المشركين من أهل بيته الشجرة الملعونة في القرآن الذين لاقوا حتفهم في غزوة بدر. وقد ظل متمسكاً بهذه العقيدة الفاسدة إلى آخر عمره. وسيرته المليئة بالإلحاد والإستهتار بالأحكام الشرعية وإراقته الدماء الزكية لآلاف المسلمين الأبرياء تؤكد ذلك. وشهادة أمير المؤمنين تعضِّد فساد عقيدة معاوية،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٩٤ ـ ٩٥، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٣٥.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير ج٥ ص٢٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٩، جمهرة حطب العرب: أحمد زكي صفوت ج٢ ص٢٣، مقتل الحسين: الخوارزمي ج١ ص١٧٧، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٥٦٣.

وتنفي عنه الإسلام. (لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليّ عليه السلام: عباد الله إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال)[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام يشهد ـ وهو الصادق في شهادته ـ على معاوية وأصحابه بأنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنهم كانوا من الأشرار في صغرهم وكبرهم. فما عذر عثمان عندما يولي معاوية على رقاب المسلمين في الشام وهو يعلم أنه من الأشرار الذين لا دين لهم؟

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه. قال الحسن: فما فعلوا ولا أفلحوا[2].
وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. قال: فحدثني بعضهم قال: قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح[3].

فبدلاً من أن يمتثل عثمان لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وينفِّذ أمره، نراه يعمل نقيض ذلك، حيث نصَّبه والياً على رقاب المسلمين، ومكَّنه من أن ينشر الفساد الإداري والسياسي في بلاد المسلمين، وأول من اكتوى بنار فساده الإداري والسياسي عثمان نفسه. فجنى على نفسه وعلى المسلمين جناية ما زالت نتائجها جاثمة على صدور المسلمين إلى الآن.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يموت معاوية على غير الإسلام[4]. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يموت معاوية على غير ملتي[5].

---

(١) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٤٨٩. الغدير: الأميني ج٢ ص١٢٩.
(٢) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٢١٦.
(٣) المرجع السابق: ص٢١٦.
(٤) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٢١٧.
(٥) المرجع السابق: ص٢١٧.

فبعد رواية هؤلاء الصحابة الأحاديث النبوية التي تنبيء بالمصير الأسود لمعاوية، ونهايته الوثنية على دين الأصنام، لا يوجد هناك عذر لعثمان في توليه معاوية على رقاب المسلمين وتركِ الصحابة الأخيار. وهذه الأحاديث النبوية المتعلقة بكفر معاوية، قد رواها جمع من الصحابة وهي مشهورة بينهم، فلا عذر لعثمان في عدم سماعها. وقد أفصح الصحابة عن رأيهم في معاوية طبقاً للأحاديث النبوية التي قيلت في حقه. فهذا عبد الله بن عمر يقول: في حقه: إن معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار. ولولا كلمة فرعون: «أنا ربكم الأعلى» ما كان أحد أسفل من معاوية[1]. وقوله الآخر: ما بين تابوت معاوية وتابوت فرعون إلا درجة، وما انخفضت تلك الدرجة إلا أنه قال: «أنا ربكم الأعلى»[2].

فبعد شهادة الصحابة في حقه، فما عذر عثمان في توليته على رقاب المسلمين؟! ومن فساد معاوية (أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أُخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله!! إنه جمل وليس ناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودسَّ إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبرَّه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ عليّاً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرِّق بين الناقة والجمل!!)[3].

هذه صورة من الفساد الإداري والسياسي لأحد ولاة عثمان. فقد كان معاوية يعلم بأن الحيوان المتنازع عليه جملٌ وليس ناقة، وبإمكانه أن يتأكد من حقيقة الأمر بكل سهولة، لكن ديدنه الإنغماس في الفساد الإداري والسياسي حتى أخمص قدميه. وأبت عليه نفسه الشريرة أن يذعن للحق، وأصدر حكمه في الجمل للشامي بدلاً من الناقة المزعومة. ولم يكتف بهذا الاستهتار والفساد، بل زاد في

---

(١) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٢١٧.

(٢) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري ص٢١٨.

(٣) مروج الذهب: المسعودي ج٣ ص٣١.

الطنبور نغمة، فطلب من الكوفي أن يخبر علياً بأنه يقاتله بمائة ألف ذئب من ذئاب الشام لا يفرقون بين الناقة والجمل!! وقد صدق في ذلك، فقد جاء الشامي بخمسين رجلاً يشهدون على جمل الكوفي بأنه ناقة للشامي دون أن يكلفوا أنفسهم التأكد من حقيقة هذا الحيوان الذي لا تختلف فصيلتهم عن فصيلته!!

وبلغ فساده الإداري والسياسي ذروته عندما مسخ فكر أهل الشام ودينهم، فلما هزمت جيوش بني العباس الأمويين (نزل عبد الله بن علي الشام، ووجه إلى أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة!!)[1].

فمن المسؤول عن هذه الردَّة؟ هل هو معاوية الذي عمل جاهداً على ترسيخها؟ أم الذي نصبه والياً على الشام؟! فقد استغل معاوية تمكنه من رقاب المسلمين في الشام فعمل جاهداً على مسخ عقيدتهم والتلاعب في تغيير أحكام دينهم، مستغلاً طاعتهم العمياء له (وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء!!)[2].

فلو عرف معاوية أن وراءه محاسبة إدارية وسياسية لما نشر هذا الفساد الإداري والسياسي الذي طال العقائد والأحكام الشرعية. فكما يتحمل معاوية المسؤولية كاملة لهذا الفساد الإداري والسياسي يتحمل عثمان أيضاً نصيباً من هذه المسؤولية. فقد ترك أخيار الصحابة وفضلاءها وانتخب المفسدين والملحدين ومكَّنهم من رقاب المسلمين. ولما اشتكى المسلمون من فسادهم وجورهم لم يعزلهم بل أمرهم بالتضييق على كل من يتذمَّر من فسادهم الإداري والسياسي. لما انتفضت الأقاليم الإسلامية من فساد عثمان وولاته جمع ولاته الظلمة واستشارهم (. . . ثم أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي. . .)[3].

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٣ ص٣٣.

(٢) المرجع السابق: ج٣ ص٣٢.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص٩٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٣٥.

لم يأت معاوية بحل ينهي تذمر المسلمين من جور عثمان وجور ولاته في إدارتهم وسياستهم، بل كان همه أن يرجع إلى الشام لكي يمارس فساده الإداري والسياسي. ولهذا اقترح على عثمان أن يرد عماله إلى أعمالهم على أن يضمنوا له إخماد ذلك التذمّر والإجهاز عليه. ولهذا أصدر عثمان مرسومه الجهنمي البعيد عن روح الدين، والمخالف للأعراف الاجتماعية والسياسية، والذي أعطى الضوء الأخضر لولاته الظلمة في أن ينشروا الفساد الإداري والسياسي في طول البلاد وعرضها، وجعله رسمياً بنص القانون. وقد أورده المؤرخون بقولهم: (فردَّ عثمان عماله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه!!)[1].

هذا هو عثمان وهذا دوره المكشوف في نشر الفساد الإداري والسياسي وهو الذي حثَّ ولاته وعماله على ذلك الفساد، وهو الذي أعطاهم الضوء الأخضر في نشره بين المسلمين. لكن لم يقم أحد من الولاة في تنفيذ ذلك الفساد الإداري والسياسي كما قام به معاوية بن أبي سفيان. فقد استهتر بالدين، وعمل جاهداً في محق رسالة سيد المرسلين وحارب أهل بيته الطاهرين وشرَّدهم في البلاد ونكَّل بأتباعهم وتلاعب في مقدرات المسلمين، ولعن أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين على المنابر وفي الخطب والأذان والإقامة وقتل المسلمين على الظنة والتهمة. فمن المسؤول عن استهتاره وفساده الإداري والسياسي؟

قال ابن أبي الحديد: (وأما معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلة الدين والانحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص، ومن اتبعهما من طغام أهل اشام وأجلافهم وجهال العرب!!)[2]. وقال أيضاً: (ومعاوية عند أصحابنا مطعون في دينه، منسوب إلى الإلحاد، قد طعن فيه عليه السلام. وروى فيه شيخنا أبوعبد الله البصري في كتاب «نقض السفيانية» على الجاحظ، وروى فيه أخبار كثيرة تدل على ذلك وقد ذكرناها في كتابنا في «مناقضة السفيانية»)[3].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٧ ص٥٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٠ ص١٠١.

فإذا كان ابن أبي الحديد يشهد على معاوية بأنه كان فاسقاً مشهوراً بقلة الدين والانحراف عن الإسلام مطعوناً في دينه، منسوباً إلى الإلحاد. فما عذر عثمان أمام الله ﷻ عندما يحاسبه على تولية معاوية على رقاب المسلمين؟! هل سيجيب ـ إذا سُئل ـ بأنه لا يعرف شيئاً عن فسق معاوية وانحرافه عن الإسلام أمام الإله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟! لن يستطيع أحد أن يكذب أو يخفي شيئاً في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة.

نكتفي بهذا المقدار من الفساد الإداري والسياسي لولاة عثمان بن عفان. وعلى ضوء هذا الفساد يقاس فساد ولاته الآخرين الذين لم نتعرض لسيرتهم السيئة، روماً للاختصار.

الفصل الثالث:

الفساد القضائي

افتتح عثمان خلافته بالفساد القضائي الذي جرَّ عليه الويلات. فقد عطَّل الأحكام وألغى القصاص ولم يقم حدود الله، وضيَّع الأرواح والدماء البريئة التي سفكت بغير حق. بعد أن بويع لعثمان بالخلافة (جلس عثمان في جانب المسجد ودعا عبيد الله بن عمر، وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله (جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة). وكان يقول: والله لأقتلن رجالاً ممن شرك في دم أبي ـ يعرض بالمهاجرين والأنصار ـ فقام إليه سعد فنزع السيف من يده وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه. فقال عثمان لجماعة المهاجرين والأنصار: أشيروا عليَّ في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق. فقال علي عليه السلام: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قُتل عمر أمس، ويقتل ابنه اليوم!! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك!! قال عثمان: أنا وليّهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي!!. قال: وكان رجل من الأنصار يقال له: زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر قال:

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب ... ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله في غير حلّه ... حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل ... أتتهمون الهرمزان على عمر؟!
فقال سفيه والحوادث جمة ... نعم أتهمه، قد أشار وقد أمر

وكان سلاح العبد في جوف بيته يقلّبها والأمر بالأمر يعتبر

قال: فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره فدعا عثمان لبيد فنهاه. قال: فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان
فإنك إن غفرت الجرم عنه وأسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو إذ عفوت بغير حق فمالك بالذي تحكي يدان

فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه وشذَّ به[1].

طلب عثمان المشورة من المسلمين فأشار عليه أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتل عبيد الله بن عمر. لكن عثمان لم يأبه لهذه المشورة كأنه لم يسمع قول النبي صلى الله عليه وآله: إن أقضى أمتي علي بن أبي طالب عليه السلام[2]. بلى قد سمعه لكنه لا يريد أن يطبق عليه الحكم، ولا يرتاح من مشورة أمير المؤمنين عليه السلام وهو أقضى الأمة في مثل هذه المسائل، وإنما راقه أن يطبِّق مشورة بعض المهاجرين من ذوي النفوس المريضة الذين قال بعضهم: (قُتل عمر أمس، ويقتل ابنه اليوم!!) دون مستند شرعي يستندون عليه فيما ادَّعوه. وعضَّد رأيهم الشاذ قول عمرو بن العاص الذي لا يقل فساداً عن رأيهم: (يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك!!).

وبدون أن يكلِّف نفسه في أن يسأل الجاني عن سبب قتله للضحايا الذين لا علاقة لهم بالقتل، وهل قتلهم ببيّنة، أم بشبهة؟! وهل يحق للجاني أن يطبِّق القصاص؟ أم التطبيق من شوؤن الإمام؟! كل هذا لم يحدث!! وإنما أنهى ملف القضية بقوله: (أنا وليهم، وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي!!). مع علمه بأن الحل ليس بهذه الطريقة المضحكة، ولم يحدثنا التاريخ أنه أخرج الدية، وكيف وزَعها؟ وعلى من وزَّعها؟ ومتى تم ذلك؟! كل هذا لم يبيّنه التاريخ.

بل الذي بيّنه لنا التاريخ احتجاج قسم كبير من المهاجرين والأنصار على

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٤١، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص٤٦٧، الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٥.
(٢) المناقب: الخوارزمي ص٨١، ذخائر العقبى: المحب الطبري ص٨٣، إحقاق الحق: المرعشي ج٤ ص٣١٢ ـ ٣٢٤، الفصول المائة: السيد أصغر ج٥ ص٢٧١، ينابيع المودة: القندوري ج١ ص٢٢٥.

تعطيل الحكم الشرعي في القضية وتزويره لصالح الجاني ومن هؤلاء زياد بن لبيد البياضي الأنصاري الذي مرَّ علينا شعره قبل قليل.

لكن أبرز أولئك المحتجين على تعطيل الحكم الشرعي في هذه القضية أقضى الأمة أمير المؤمنين عليه السلام. فكان يقول: لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه[1]. وعن ابن جريج: (وكان علي بن أبي طالب لما بويع له أراد قتل عبيد الله بن عمر فهرب منه إلى معاوية بن أبي سفيان، فلم يزل معه فقتل بصفين)[2].

فلو كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أن قضاء عثمان صواباً لما تجرأ على إقامة الحدَّ على عبيد الله بن عمر. فقد كان استعداده وتصميمه على تنفيذ القصاص أكبر دليل على أن عثمان قد عطَّل حكم الله وعطَّل القصاص وحمى الجاني وأهدر الدماء البريئة. وكانت جموع المهاجرين والأنصار مؤيدة أمير المؤمنين عليه السلام في رأيه، لكن عثمان استخف بآراء المسلمين بعد أن طلب منهم المشورة واتبع هواه.

عن المطلب بن عبد الله: كان رأي عليّ حين استشاره عثمان، ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على قتله، لكن عمرو بن العاص كلَّم عثمان حتى تركه[3].

لقد ترك رأي أمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمة، وترك رأي الأكابر من الصحابة وعمل برأي عمرو بن العاص الذي كان من ألد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله كما مرَّ علينا سابقاً.

وعن الزهري: (لما استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا عليَّ في قتل هذا الذي فتق في الدين ما فتق. فأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشايعون عثمان على قتله)[4]. لكن عثمان لم يأبه لإجماع المهاجرين والأنصار على قتل عبيد الله بن عمر، وضرب آراءهم بعرض الحائط واتبع هواه. ومن هذا الفساد القضائي وأمثاله تعالت الأصوات بعزل عثمان.

---

(١) الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق: ج٨ ص١٣٤.

(٣) الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٤.

(٤) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد: ص١٣٦، الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٤.

وعن أبي وجزة عن أبيه قال: رأيت عبيد الله يومئذٍ وإنه ليناصي عثمان، وإن عثمان ليقول: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلي وصبيَّته صغيرة، وآخر في ذمة رسول الله ﷺ. ما في الحق تركك؟! قال: فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه؟! ولكني عرفت أن عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه!![1]. إذا كان الحق في عدم ترك عبيد الله بن عمر من القصاص، فلماذا تركته؟! وما حجتك أمام الله في ذلك؟

وقال اليعقوبي: أكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال: ألا إني وليّ دم الهرمزان، وقد وهبته لله ولعمر، وتركته لدم عمر. فقام المقداد بن عمرو فقال: إن الهرمزان مولى لله ولرسوله، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله. قال: فننظر وتنظرون. ثم أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً، فنسب الموضع إليه، كويفية ابن عمر[2].

أما قوله: (ألا إني وليّ دم الهرمزان، وقد وهبته لله ولعمر، وتركته لدم عمر!!) فقد ردَّ عليه الصحابي الجليل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم (إن الهرمزان مولى لله ولرسوله، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله!!) لم نجد له رداً مقنعاً إلا تبييت النية بإطلاق سراح عبيد الله بن عمر وجعله يسرح ويمرح في طول البلاد وعرضها، وذلك عندما قال: (ننظر وتنظرون) وإخراجه إلى الكوفة ومكافأته على جريمته التي ارتكبها.

وأما قوله: (وهبته لله ولعمر، وتركته لدم عمر!!) فقد بيَّن عمر بن الخطاب رأيه في ابنه الجاني عبيد الله (لما طعن عمر (رضي الله عنه) وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله، فقيل لعمر: إن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان. قال: ولم قتله؟ قال: إنه قتل أبي. قيل: وكيف ذاك؟ قال: رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي. وقال عمر: ما أدري ما هذا. انظروا إذا أنا مت فاسألوا عبيد الله البيِّنة على الهرمزان، وهو قتلني؟ فإن أقام البيّنة فدمه بدمي، وإن لم يقم البيِّنة فأقيدوا عبيد الله من الهرمزان. فلما ولي عثمان (رضي الله عنه) قيل له: ألا

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد: ص١٣٧، الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١١٣، الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٣.

تمضي وصية عمر (رضي الله عنه) في عبيد الله؟ قال: ومن ولي الهرمزان؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: قد عفوت عن عبيد الله بن عمر!!)[1].

فعمر بن الخطاب يطلب من الخليفة الذي سيكون بعده أن يحقق مع ابنه الجاني عبيد الله فإن أقام البينة، فدم الهرمزان بدمه، وإن لم يقم البينة فينبغي أن يقيم القصاص على عبيد الله. لكن عثمان لم يرقه هذا الإجراء، بل ادَّعى نقيض ما طلبه عمر وقال في ذلك: (وهبته لله ولعمر، وتركته لدم عمر) وهذا التصرف فساد قضائي واضح دفع ثمنه في النهاية. وكان هذا الفساد وهذا التصرف من المآخذ التي أُخذت على عثمان، وألهبت المسلمين على محاصرة بيته وقتله.

ومن الغريب حقاً أن تنشط فلول العثمانية في الدفاع عن عثمان، وتختلق له الأكاذيب وتنفي عنه الفساد القضائي. قال: سمعت (القماذبان) يحدث عن قتل أبيه قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمرَّ فيروز بأبي ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد فقال: أبسّ به. فرآه رجل فلما أصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز. فأقبل عبيد الله فقتله. فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه. ثم قال: يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله. فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي إلا أنهم يطلبون إليَّ فيه. فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم، وسبّوا عبيد الله. فقلت لهم: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبّوه. فتركته لله ولهم. فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرِّجال وأكفّهم[2].

قال الأميني: (لو كان هذا الولي المزعوم موجوداً عند ذاك، فما معنى قول عثمان في الصحيح المذكور على صهوة المنبر: لا وارث له إلا المسلمون عامة وأنا إمامكم؟ وما قوله الآخر في حديث الطبري نفسه: أنا وليهم وقد جعلته دية واحتملتها في مالي؟ ولو كان يعلم بمكان هذا الوارث، فَلِمَ حوَّل القصاص إلى الدية قبل مراجعته؟ ثم لمَّا حوَّله، فَلِمَ لم يدفع الدية إليه واحتملها في ماله؟ ثم أين صارت الدية وما فعل بها؟ أنا لا أدري. ولو كان المسلمون يعترفون بوجود

---

(١) الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٣.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٤٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص٤٦٧، الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٨.

(القماذبان) وما في الأرض أحد إلا معه وهو الذي عفى عن قاتل أبيه، فما معنى قول الخليفة: وقد عفوت، أفتعفون؟ وقوله في حديث البيهقي: قد عفوت عن عبيد الله بن عمر؟ وما معنى استيهاب خليفة المسلمين وولي المقتول حيّ؟ وما معنى مبادرة المسلمين إلى موافقته في العفو والهبة؟ وما معنى تشديد مولانا أمير المؤمنين في النكير على من تماهل في القصاص؟ وما معنى قوله عليه السلام لعبيد الله يا فاسق! لئن ظفرت بك يوماً لأقتلنك بالهرمزان؟ وما معنى تطلبه لعبيد الله ليقتله أبَّان خلافته؟ وما معنى هربه من المدينة إلى الشام خوفاً من أمير المؤمنين...)[1].

ويكفي ذلك أن ابن الأثير قد زيَّف تلك الأكذوبة واعتمد في تزييفه على حجة قوية عندما قال: (والأول أصح في اطلاق عبيد الله لأن علياً لما ولي الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاوية بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يتعرض له علي)[2].

بل كل الدلائل تشير إلى أنه يرفض تطبيق القصاص على عبيد الله بن عمر، فكيف يسلمه إلى (القماذبان) ولي الدم المزعوم؟! قال ملك العلماء الحنفي في بدائع الصنائع ج٧ ص٢٤٥ (روي أنه لما قتل سيدنا عمر رضي الله عنه خرج الهرمزان والخنجر في يده فظن عبيد الله أن هذا هو الذي قتل سيدنا عمر رضي الله عنه فقتله، فرفع ذلك إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه. فقال سيدنا علي رضي الله عنه لسيدنا عثمان: اقتل عبيد الله. فامتنع سيدنا عثمان رضي الله عنه وقال: كيف أقتل رجلاً قتل أبوه أمس؟ لا أفعل، ولكن هذا رجل من أهل الأرض وأنا وليه أعفو عنه وأودي ديته!!)[3].

فهو يمتنع أشد الإمتناع عن إقامة القصاص على الجاني، فكيف يسلمه إلى (القماذبان) المزعوم؟ والذي يقول بدون خوف من الحساب يوم القيامة: (كيف أقتل رجلاً قتل أبوه أمس؟ لا أفعل) كيف يسلمه إلى (القماذبان) المزعوم؟ فمن أحكامه الفقهية الغريبة التي لم ينزل الله بها من سلطان أن الجاني إذا قُتل أبوه أمس لا يقتل بأي حال من الأحوال.

---

(١) الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص٤٦٨.

(٣) الغدير: الأميني ج٨ ص١٣٩.

والذي يحتقر الأبرياء المقتولين ظلماً ويستهين بدمائهم (ولكن هذا رجل من أهل الأرض وأنا وليه أعفو عنه وأودي ديته) كيف يسلم الجاني إلى (القماذبان) المزعوم؟ لكن أتباع العثمانية لا يستحون في اختلاق الأخبار وتزويرها لصالح عثمان لكي ينفوا عنه تهمة الفساد القضائي. لكن أنى يصلح العطار ما أفسد الدهر؟!

ومن هذه المحاولات اليائسة لأفراد العثمانية في تبرير الفساد القضائي لعثمان قول المحب الطبري: (إن عثمان خاف من قتله ثوران فتنة عظيمة، لأنه كان بنو تيم وبنو عدي مانعين من قتله ودافعين عنه، وكان بنو أمية جانحين إليه حتى قال له عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم؟! لا والله لا يكون هذا أبداً. ومال في بني جمح. فلما رأى عثمان ذلك اغتنم تسكين الفتنة وقال: أمره إليَّ وسأرضي أهل الهرمزان عنه)[1].

قال الأميني: (أنا لا أدري من أين جاء المحب بهذا التاريخ الغريب من نهضة تيم وعدي ومنعهم من قتل عبيد الله، وجنوح الأمويين إليهم بصورة عامة؟ حتى يخافهم الخليفة الجديد. وأي خليفة هذا يستولي عليه الفرق من أول يومه؟ فإذا تبينت عليه هذه الضؤولة في مفتتح خلافته، فبأي هيبة يسوس المجتمع بعده؟ ويقتص القاتل، ويقيم الحدود، ولكل مقتص منه أو محدود قبيلة تغضب له، ولها أحلاف يكونون عند مرضاتها. ليس في كتب التاريخ والحديث أي أثر مما ادَّعاه المحب المعتذر، وإلا لكان سعد بن أبي وقاص أولى بالخشية يوم قام إلى عبيد الله وجزَّ شعره، وحبسه في داره، ولم يُر أي تيمي طرق باب سعد، ولا عدويّ أنكر عليه، ولا أموي أظهر مقته على ذلك، لكن المحب يريد أن يستفزهم وهم رممٌ بالية. ثم لو كان عند من ذكرهم جنوح إلى تعطيل هذا الحكم الإلهي حتى أوجب ذلك حذر الخليفة من بوادرهم، فإنه معصية تنافي عدالة الصحابة، وقد أطبق القوم على عدالتهم. ولو كان الخليفة يروعه إنكار المنكرين على ما يريد أن يرتكب، فلماذا لم يرعه إنكار الصحابة على الأحداث في أخرياته؟ حتى أودت به، أكان هيَّاباً ثم تشجع؟ سل عنه المحب الطبري)[2].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة: محب الدين الطبري ج٣ ص١٠٠.

(٢) الغدير: الأميني ج٨ ص١٤٣.

لم يحتج من بني عدي أحد إلا أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب التي شجَّعت أخاها على الانتقام. (قال محمد بن شهاب: قال حمزة بن عبد الله: قال عبد الله بن عمر: يرحم الله حفصة فإنها ممن شجَّع عبيد الله على قتلهم)[1].

فإذا كان عبيد الله يتحمل المسؤولية الكاملة في إهراق الدماء البريئة بغير حق، فأخته حفصة تتحمل جزءًا من تلك المسؤولية لأنها هي التي شجعته على ذلك القتل باعتراف أخيها عبد الله بن عمر، مما يؤدي إلى سقوط عدالتها.

ومن المدافعين عن الفساد القضائي لعثمان قاضي القضاة عندما قال: إن شيخنا أبا علي رحمه الله تعالى قال: (إنما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلى عز الدين، لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله، فيقال: قتلوا إمامهم وقتلوا ولده، ولا يعرفون الحال في ذلك فيكون فيه شماتة!!)[2].

اقرأ واعجب من استبسالهم في الدفاع عن جور خلفائهم وتضييعهم لحقوق المسلمين الأبرياء بكل تافه من القول واختلاق الزور، وتلفيق الأكاذيب. وقد ردَّ عليه السيد المرتضى بقوله: (وأي شماتة للعدو في إقامة حدّ من حدود الله تعالى! وإنما الشماتة كلها من أعداء الإسلام في تعطيل الحدود. وأي حرج في الجمع بين قتل الإمام وابنه؟ حتى يقال: كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام وابنه قُتلا، وإنما قتل أحدهما ظلماً والآخر عدلاً، أو أحدهما بغير أمر الله، والآخر بأمره سبحانه!)[3].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. لكن علماء خط السقيفة من أصحاب النفوس المريضة يرون في تعطيل القصاص عز الدين، وفي إقامة القصاص شماتة للأعداء!! كل ذلك من أجل سواد عيون عثمان بن عفان، ونفي الفساد القضائي عنه بكل حيلة حتى لو أدَّى بهم إلى الاستهزاء بآيات القرآن الكريم، وتشويه العقائد الإسلامية النبيلة.

ومن فساده القضائي تعامله مع قضية المصريين الثائرين على فساده وجوره

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد: ص١٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ج٣ ص٦١.

بطريقة غير لائقة، يكتنفها الغدر. فبعد أن اتفق مع الوفد المصري على أمور ترضي الطرفين (رجع الوفد المصريون راضين، فبينا هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ويشيئهم قال، قالوا له: ما لك؟ إن لك لأمراً. ما شأنك؟ قال: فقال أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. قال: فأقبلوا حتى قدموا المدينة...)[1].

لم يكتف الطبري ببتر الخبر بل أضاف إليه إضافات تشعر بأن أمير المؤمنين غير راضٍ عن رجوع الوفد المصري. وتعامل مع قضية الوفد المصري بطريقة فيها انحياز واضح إلى عثمان، وعمل بكل طاقته على ستر الحقائق التي تدين عثمان في فساده القضائي، فقد قال في هذا الموضوع: (وأما الواقدي فإنه ذكر سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم (ذا خشب) أموراً كثيرة. منها ما تقدم ذكره، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني ذكره لبشاعته!!)[2].

فإعراضه عن بعض الأمور التي لم يشأ أن يذكرها كراهة منه أن يذكرها لبشاعتها تدل على بشاعة الفساد القضائي عند عثمان. لو كانت تلك الأمور تدل على نزاهة القضاء عند عثمان لذكرها. وقد تبعه في ذلك ابن الأثير في كامله (قد ذكرنا سبب مسير الناس إلى قتل عثمان، وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتله لعلل دعت إلى ذلك!!)[3].

هذه جهود علماء القوم في التستر على الفساد القضائي عند عثمان، فكأنهم تأسفوا على عدم مشاركتهم في ذلك الفساد القضائي في حينه فاستدركوا بعملهم هذا لعلهم يحصلون على وزر ذلك الفساد، ويسجل لهم التاريخ جهدهم الذي بذلوه لنصرة خليفتهم.

وقد ذكر ابن أعثم الكوفي قصة الكتاب الذي أرسله عثمان إلى واليه في مصر في حق الوفد المصري برئاسة محمد بن أبي بكر، (فلما قرأ محمد بن أبي بكر الكتاب

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٨.

(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٥٨.

رجع إلى المدينة هو ومن معه، ثم جمع أصحاب النبي ﷺ وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصة الكتاب. قال: فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر!!)[1].

فقول الراوي (فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان) يدل على بشاعة الفساد القضائي لعثمان في هذه القضية. واشتداد حنق قبيلة بني هذيل على عثمان، وهياج قبيلتي بني مخزوم وغفار عليه يؤكد بشاعة ذلك الفساد القضائي. وهذا هو الذي دعا الطبري وابن الأثير في عدم التعرض لذكره بسبب بشاعته.

لكن ما حقيقة محتوى الكتاب الذي رفض الطبري وابن الأثير إيراده؟ لقد ذكر ابن أعثم الكوفي نص الكتاب كما يلي: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، أما بعد، فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء فاضرب عنقه صبراً، وأما علقمة بن عديس البلوى وكنانة بن بشر التجيبي وعروة بن سهم الليثي فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ودعهم يتشطحون في دمائهم حتى يموتوا، فإذا ماتوا فاصلبهم على جذوع النخل، وأما محمد بن أبي بكر فلا يقبل منه كتابه وشدّ يدك به، واحتل في قتله، وقرَّ على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى)[2].

أحكام قاسية، وقضاء بشع بكل معنى الكلمة. والكتاب إما صادر من عثمان، أو من أحد بطانته، وعلى أي الفرضين ينبغي على عثمان أن يفتح تحقيقاً قضائياً نزيهاً حول الموضوع. ويتعامل مع الموضوع بحياد ونزاهة، ويطبِّق مباديء العدل مهما كانت النتائج، ويعاقب الجاني أيًّا كان موقعه ووظيفته في المجتمع. فهل تعامل عثمان مع هذه القضية من موقع القاضي النزيه العادل؟

قال ابن أعثم الكوفي: (ثم إن علياً أخذ الكتاب وأقبل حتى دخل على عثمان فقال له: ويحك لا أدري على ماذا أنزل!! أستعتبك القوم فأعتبتهم بزعمك وضمنتني ثم أحقرتني وكتبت فيهم هذا الكتاب!! قال: فنظر عثمان في الكتاب ثم

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٢.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٤١٢.

قال: ما أعرف شيئاً من هذا، فقال علي: الغلام غلامك أم لا؟ قال عثمان: بل هو والله غلامي، والبعير بعيري، وهذا الخاتم خاتمي والخط خط كاتبي. قال عليّ رضي الله عنه: فيخرج غلامك على بعيرك بكتاب وأنت لا تعلم به؟ فقال عثمان: حيرتك يا أبا الحسن! وقد يشبه الخط الخط، وقد تختم على الخاتم، ولا والله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر. فقال عليّ: لا عليك فمن تتهم؟ قال: أتهمك وأتهم كاتبي. قال عليّ: بل هو فعلك وأمرك. ثم خرج من عنده مغضباً)[1].

ذكر ابن أعثم الكوفي أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي أخذ الكتاب من المصريين وذهب به إلى عثمان للتحقيق معه. بينما الطبري يروي ـ حسب انحيازه لعثمان ـ خلاف ذلك. (قال: فأتوا علياً فقالوا: ألم تر إلى عدو الله أنه كتب فينا بكذا وكذا، وإن الله قد أحلَّ دمه، قم معنا إليه. قال والله لا أقوم معكم، إلى أن قالوا: فلم كتبت إلينا؟ فقال والله ما كتبت إليكم كتاباً قط. قال: فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون؟ أو: لهذا تغضبون؟! قال: فانطلق عليّ فخرج من المدينة إلى قرية. قال: فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا...)[2].

فقد روى الطبري أن أمير المؤمنين عليه السلام رفض أن يقوم مع الوفد المصري في المضي إلى عثمان، وفضَّل الخروج من المدينة والذهاب إلى إحدى القرى. ولم يكتف الطبري بذلك التزوير بل ادّعى أن المصريين اتهموه بالكتابة إليهم، ثم اضطروا في النهاية إلى أن يذهبوا إلى عثمان ويحاسبوه بأنفسهم دون اصطحاب أمير المؤمنين عليه السلام. بينما يروي ابن أعثم الكوفي أن الذي حاسب عثمان وحقَّق معه هو أمير المؤمنين عليه السلام. ولا عجب أن يتصرف الطبري ذلك التصرف. فقد بيَّن رأيه في الموضوع عندما قال: (وأما الواقدي فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم (ذا خشب) أموراً كثيرة. منها ما تقدم ذكره، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة مني ذكره لبشاعته)[3].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١٣.
(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٨.
(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٨.

على كل حال، فقد قال عثمان بعد أن نظر في الكتاب: (ما أعرف شيئاً من هذا!!). إلى هذه الخطوة لم تثبت التهمة على عثمان، لكنه اعترف بجميع الملابسات التي تكوِّن بمجموعها صلب القضية، وذلك عندما قال: (بل هو والله غلامي والبعير بعيري وهذا الخاتم خاتمي والخط خط كاتبي).

فقد مسك الخيوط التي تساعده على معرفة الجناة الذين دبروا هذه المؤامرة الدنيئة بحيث لو قُدِّر لها أن تنفَّذ لأشعلت ثورة في الدولة الإسلامية لا تحمد عقباها. فينبغي عليه في هذه الحالة أن يحضر غلامه ويحقق معه. فالغلام هو الذي يعرف خيوط المؤامرة. ويوجه إليه هذه الأسئلة:

لماذا تركت عملك في الدار وذهبت إلى مصر؟ ومن الذي أمرك بالذهاب إلى مصر بغير إذني؟ ومن الذي أعطاك البعير الذي ركبته وذهبت به إلى مصر؟ ومن الذي كتب لك الكتاب؟ ومن الذي سلَّمه إليك؟ ومن الذي أمرك بإيصاله إلى والي مصر؟ ومن الذي ختم لك الكتاب؟ ومن الذي أمرك بإخفاء الكتاب في إداوة الماء؟ وما الغرض من إخفاء الكتاب بهذه الحيلة؟ وما الغرض من تنكبك الجادة أثناء الذهاب إلى مصر؟ ومن الذي أمرك بذلك؟... الخ. لو طرحت هذه الأسئلة على الغلام لساعدت عثمان على معرفة الجاني ومعاقبته. لكن عثمان اكتفى بقوله: (قد يشبه الخط الخط، وقد تختم على الخاتم، ولا والله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر).

ولما سأله أمير المؤمنين عمن يتهمه؟ (قال: أتهمك وأتهم كاتبي!!). عجباً لخليفة أمية. فبدلاً من أن يفتح تحقيقاً لمعرفة ملابسات الموضوع يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بتزوير الكتاب بدون دليل يعتمد عليه، ويضيف معه مروان بن الحكم ويحملهما المسؤولية كاملة، كاشفاً عن فساده القضائي بأوضح برهان.

فكيف يتهم عثمان أمير المؤمنين بكتابة الكتاب؟ فالغلام غلامه، والبعير بعيره، والخاتم الذي ختم به الكتاب خاتمه. بل كيف يحصل على خاتم عثمان وهو بيد كاتبه مروان؟ لقد اعترف عثمان بقوله: (والخط خط كاتبي!!) فكيف والحال هذه يتهم أمير المؤمنين؟! أليس هذا من الفساد القضائي؟!

ثم ما المصلحة لأمير المؤمنين عليه السلام أن يكتب كتاباً لابن أبي سرح بقتل

محمد بن أبي بكر وأصحابه وهم ليسوا بأعداء له بل من محبيه وأتباعه؟! ولماذا يلجأ أمير المؤمنين لقتل مسلمين أبرياء وهو المشهور بالتقوى والخوف من الله؟

لكن الذي قد انغمس في الفساد القضائي لا يتورع أن يتهم أمير المؤمنين بتلك التهمة الفاسدة. بل لا يبعد أن يشترك عثمان مع مروان الذي حامت حوله الشكوك في كتابة الكتاب، أو على أقل تقدير كان عالماً بالكتاب وكان راضياً عنه. ولهذا قال له أمير المؤمنين عليه السلام (بل هو فعلك وأمرك، ثم خرج من عنده مغضباً).

وكل الدلائل تشير إلى كتابته الكتاب أو رضائه عن الكتاب، وأن الكتاب كتب بموافقته. فلم يقم بإجراء تحقيق عادل حول ملابسات الموضوع الذي ألهب مشاعر المسلمين (فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر).

وكان ينبغي عليه أن يكون قاضياً نزيهاً متجرداً من العواطف والميول، ويعمل بصدق وإخلاص على أن تأخذ العدالة مجراها. لكنه لم يفعل ذلك. وانظر إلى جوابه عندما قال له كنانة بن بشر التجيبي: (يا عثمان إننا لا نرضى بالصفقة دون العمل، قد عاتبناك فأعتبتنا بزعمك فكتبت لنا بالوفاء إلى ذلك الكتاب وأشهدت شهوداً وأعطيتنا عهد الله وميثاقه، ثم إنك كتبت فينا ما كتبت!! فقال عثمان: إني لم أكتب، وقد حلفت لكم وليس يجب عليَّ شيء أكبر من اليمين. فقال كنانة بن بشر: إننا لا نصدقك على يمينك!!)[1].

فالمصريون يتهمونه بكتابة الكتاب وهو يحلف بأنه لم يكتب الكتاب، ويعتبر هذا الحلف يكفي عن التحقيق في ملابسات الموضوع. والمصريون لا يصدقونه على حلفه. فكيف صدقه المسلمون في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

بل قد اعترف غلام عثمان على من أرسله إلى مصر عندما قبض عليه (فقال له أصحاب محمد: ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر. فقالوا: هذا عامل مصر معنا. قال: ليس

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٤.

هذا أريد. وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر، فبعث في طلبه، فأتى به. فقال له: غلام من أنت؟ قال: فأقبل مرة يقول: غلام أمير المؤمنين، ومرة غلام مروان حتى عرفه رجل منهم أنه لعثمان. فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر، قال: بماذا؟ قال: برسالة. قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا أدواة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الأداوة، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح)[1].

فقول الغلام (أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر) اعتراف واضح لا لبس فيه على الأطراف المشتركين في الجريمة. ومن خلال التحقيق البيسط مع الغلام يعترف فيقول: (فأقبل مرة يقول: غلام أمير المؤمنين، ومرة غلام مروان...) مما جعله يضيف عنصراً ثالثاً للمشتركين في الجريمة وهو مروان بن الحكم. فينبغي في هذه الحالة أن يقف الثلاثة في قفص الإتهام وهم: عثمان بن عفان وغلامه ومروان بن الحكم. وعلى كل واحد من أولئك الثلاثة أن يبرأ ساحته بالأدلة الدامغة أن لا علاقة له بالجريمة. لكننا لم نر أحداً سأل الغلام عن دوره في الجريمة، ومن الذي أعطاه الكتاب وأمره بتوصيله؟ فلم يُجر أي تحقيق عن الدور البشع الذي قام به الغلام في الجريمة بالرغم من أنه يمثل الخيط القوي والدليل الحسي الواضح فيها.

وأما عثمان الذي اعترف خادمه بدوره الرئيسي فيها فقد اكتفى برد التهمة عن نفسه بقوله: (إني لم أكتب وقد حلفت لكم وليس يجب عليّ شيء أكبر من اليمين!!)[2]. دون أن يفنِّد اتهامات خادمه الذي أشار إلى دوره الصريح في الجريمة، وضلوعه فيها، بل اتهم أمير المؤمنين بالقيام بالجريمة عندما قال له: (أتهمك وأتهم كاتبي).

وأما مروان فلم يتجرأ أن ينفي التهمة عن نفسه، والتزم الصمت كأن الأمر لا يعنيه. ولا غرابة في ذلك. فقد حماه عثمان من أن تصل إليه يد العدالة. (فأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٦.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٤.

مروان، فأبى وكان مروان عنده في الدار. فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمر عثمان وعلموا أنه لا يحلف باطلاً إلا أن قوماً قالوا: لا نبريء عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب. وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد ﷺ بغير حق، فإن يك عثمان كتبه عزلناه، وإن يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره)[1].

لقد رفض عثمان أن يسلِّم مروان بن الحكم المتهم في الجريمة إلى الوفد المصري للتحقيق معه في دوره في الجريمة مع وجوده معه في الدار، ولم يكلف نفسه بالتحقيق معه بالرغم من اطمئنانه لدوره الواضح في الجريمة عندما اعترف بقوله: (والخط خط كاتبي... أتهمك وأتهم كاتبي). وبالرغم من هذا الاعتراف والإطمئنان لدور مروان إلا أنه لم يحقق معه، بل رفض رفضاً قاطعاً أن يوضع مروان في قفص الإتهام. وهذه صورة من صور الفساد القضائي عند عثمان الذي هو أحد الأسباب لقيام المسلمين بالثورة ضده.

فالذي يصدر أوامره لولاته الظلمة بالتضييق على المسلمين وحرمانهم من أعطياتهم لا يتورع أن يكتب ذلك الكتاب البشع أو يرضى بكتابته. (فردَّ عثمان عماله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه)[2]. فالهدفان متشابهان ولا غرابة فيهما.

والذي يقترح عليه أحد ولاته الظلمة اقتراحاً مشابهاً فيعجبه الاقتراح لا يتورع عن كتابة الكتاب أو الرضا بكتابته. وذلك عندما اقترح عليه واليه المتعطش للدماء سعيد بن العاص: (احسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف، إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان: إن هذا هو الرأي لولا ما فيه!!)[3]. فالذي يعتبر قتل قادة الثوار المسلمين هو الرأي الأصوب لا يتورع عن كتابة الكتاب.

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٩٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٤١، تاريخ الطبري ج٥ ص٩٤.

ومن صور الفساد القضائي عند عثمان موقفه الظالم من الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري. كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من الصحابة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وقيامه بهذا الواجب الديني جعله يصطدم بالولاة الظلمة الذين خضموا مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، فحكموا عليه بالأحكام الجائرة التي تتنافى مع أبسط أمور العدالة.

روى أحمد بن حنبل بسنده عن خالد بن وهبان عن أبي ذر قال: قال ﷺ: كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟! قال: قلت: إذاً والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاك أو ألحق بك. قال: أولا أدلك على ما هو خير من ذلك؟! تصبر حتى تلقاني[1].

تأمل في قول النبي ﷺ لأبي ذر (كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟!) أي أنه سيأتي خلفاء وأئمة جور بعد وفاة النبي ﷺ يستأثرون بأموال المسلمين، وأن أبا ذر سيعاصرهم وسيجد الجور متفشياً في حكمهم. وقد حدد بعضهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية حين قال: (إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع)[2].

وهذا دليل على أن الخليفة الذي عاصره أبو ذر وحكم عليه بالنفي إلى الربدة من أئمة الجور الذين استأثروا بأموال المسلمين بشهادة النبي الكريم وأمير المؤمنين عليهما السلام.

لم يحتمل عثمان أن يعترض أبو ذر على استئثاره بأموال المسلمين، ولهذا طلب منه أن يغادر المدينة. ذكر المسعودي: (قال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا بن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا!! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي!! غيِّب وجهك عني فقد آذيتنا. فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان...)[3].

---

(١) المسند: أحمد بن حنبل ج٥ ص١٨٠.

(٢) نهج البلاغة: جمع: الشريف الرضي ج١ ص٣٥.

(٣) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٤٠، وانظر شرح النهج: ابن أبي الحديد ج٨ ص٢٥٦.

فإذا كان عثمان من الأثرياء في الجاهلية والإسلام كما يقول أتباعه فما حاجته لأموال بيت المسلمين ينفقها فيما ينوبه؟! أليس هذا التعدي على مال بيت المسلمين مصداقاً لقول النبي ﷺ لأبي ذر: كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟ أليس هذا التعدي على مال بيت المسلمين تأكيداً لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام فيه وفي بني أبيه: إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع؟

ذهب أبو ذر إلى الشام فلم يحتمله معاوية بن أبي سفيان فكتب إلى عثمان: (إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك)[1].

لقد ضاق معاوية من اجتماع المسلمين إلى أبي ذر، واعتبر هذا التجمع مقدمة إلى إفسادهم على عثمان، مما يحتم عليه أن يستقدمه إلى المدينة.

لحد الآن هناك تهمة مقدمة من أحد ولاة عثمان ضد صحابي جليل قال فيه رسول الله ﷺ ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم. فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله فنعرف ذلك له. قال: نعم فاعرفوه له[2].

فينبغي على عثمان في هذه الحالة أن يقف موقف القاضي النزيه المتجرد من عواطفه، ويحقق في صحة التهمة الموجهة إلى أبي ذر، من عدمها، ولا يتخذ إجراءاً تعسفياً قبل التحقيق في الأمر وسماع أقوال الطرفين. لكن كيف تصرف عثمان بن عفان الذي ينبغي له أن يكون قاضياً عادلاً؟!

قال المسعودي: فكتب إليه عثمان بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به، حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف!!)[3].

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٤٠.

(٢) المستدرك: الحاكم ج٣ ص٣٤٢. وانظر: المسند: أحمد بن حنبل ج٢ ص١٦٣، ١٧٥، ٢٢٣، ج٥ ص١٩٧، ج٦ ص٤٤٢، السنن: ابن ماجة ج١ ص٥٥، رقم الحديث (١٥٦)، مجمع الزوائد: الهيثمي ج٩ ص٣٢٩، الغدير: الأميني ج٨ ص٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) مرج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٤٠.

قد يتبادر إلى الذهن من أول وهلة عند قراءة ذلك الخبر أن عثمان قد أمر بحمل أبي ذر إلى المدينة لا غير. أما حمله بتلك الطريقة الفظيعة فهو من تصرفات معاوية، ولم يأمره عثمان بحمله بتلك الكيفية التي فيها إهانة واضحة له. لكن هذا غير صحيح. فالذي أمره بحمله بتلك الحالة المهينة هو عثمان نفسه، وهو الذي وصف له ذلك الأسلوب المهين. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (فكتب إليه عثمان: أما بعد، فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر أبي ذر جندب بن جنادة، فإذا ورد عليك كتابي هذا فابعث به إليَّ واحمله على أغلظ المراكب وأوعرها، وابعث معه دليلاً يسير به الليل مع النهار حتى يغلبه النوم فينسيه ذكري وذكرك. والسلام. قال: فلما ورد كتاب عثمان على معاوية دعا بأبي ذر فحمله على شارف من الإبل بغير وطاء، وبعث معه دليلاً عنيفاً يعنف عليه حتى يقدم المدينة!!...)[1].

فالذي أمر بحمل الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري على أغلظ المراكب وأوعرها عثمان، وقد قام معاوية بتنفيذ تلك الأوامر الظالمة بحذافيرها. والأمر بحمل أبي ذر (على أغلظ المراكب وأوعرها...!!) قبل التحقيق في صحة التهمة الموجهة إليه يتنافى مع عدالة القضاء عند عثمان الذي ينبغي له أن يكون قاضياً عادلاً في هذه القضية. وهذا التصرف الجائر مصداق للفساد القضائي عند عثمان.

ولما مُثِّل أبو ذر أمام القاضي عثمان بن عفان جرت محاكمته على النحو التالي كما نقل ذلك ابن أبي الحديد: (روى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان. فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت! فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. فقال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتبع سنَّة صاحبيك، لا يكن لأحد عليك كلام، قال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك! قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا عليَّ في هذا الشيخ

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٧٤. وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٨ ص٢٥٨، ج٣ ص٥٥، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١١٩.

الكذَّاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرَّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام. فتكلم عليّ عليه السلام ـ وكان حاضراً ـ وقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]. قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره[١].

أما قول الواقدي: (فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت!!) هذا كلام مبهم لا يشفي الغليل، فينبغي عليه أن يفصِّل الحقائق ويذكر كلام كل واحد منهما للآخر حتى يتبيَّن مجرى العدالة في هذه المحكمة. لكنه قد ذكر بعضاً من هذا الكلام في الرواية الأخرى: (إن أبا ذر لما دخل على عثمان، قال له: لا أنعم الله بك علينا يا جنيدب! فقال أبو ذر: أنا جنيدب وسمَّاني رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله، فاخترت اسم رسول الله الذي سمَّاني به على اسمي. فقال عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: إن يد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن أغنياء! فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده، ولكني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولا، ودين الله دخلاً...)[٢].

تأمل في تصرفات القاضي النزيه عثمان بن عفان. فقد قال للصحابي الجليل أبي ذر في بداية المحاكمة: (لا أنعم الله بك علينا يا جنيدب!!) وهذا الكلام يتنافى مع عدالة القاضي، كما يدل على عدم مصداقية حكمه. ثم امعن النظر في احتقاره لأبي ذر عندما قال له (يا جنيدب!!) بالتصغير، ولم يدعه باسمه: (جندب).

وفي رواية أخرى: إن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله بقينٍ عينا نعم ولا لقاه يوماً زينا
تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي «قيناً» قط!![٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٥٦، ج٨ ص٢٥٩.
(٢) المرجع السابق: ج٣ ص٥٥.
(٣) المرجع السابق: ج٨ ص٢٥٨.

فالقاضي الذي يتفوه بهذا الكلام لأحد المتهمين أمامه لا يكون عادلاً بل عدالته منتفية. وهذا التصرف من القاضي عثمان بن عفان يعطينا صورة من صور الفساد القضائي لديه.

وامعن النظر فيما جرى في المحكمة. فقال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني! قال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتبع سنَّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام، فقال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك!!).

فقد كذَّب أبا ذر الذي شهد له النبي ﷺ بالصدق، واتهمه بأنه يريد الفتنة ويحبها، وأنه قد أفسد الشام عليه!! ولما طالبه أبو ذر بأن يتبع سنة صاحبيه أبي بكر وعمر خرج عن طوره وقال له: ما لك وذلك لا أم لك!!

فلم يستطع عثمان أن يأتي بأدلة دامغة تثبت أن أبا ذر يريد الفتنة ويحبها، ولم يأت بأدلة تثبت ضلوع أبي ذر في إفساد أهل الشام!! ومع كل ذلك فقد أصدر عليه أحكاماً غريبة تدل على غربته في القضاء.

(فقال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عثمان، وقال: اشيروا عليَّ في هذا الشيخ الكذاب!! إما أن أضربه، أو أحبسه، أو أقتله، فإنه قد فرَّق جماعة المسلمين!! أو أنفيه من أرض الإسلام!!).

عبادة الأمر بالمعروف والني عن المنكر تغضب القاضي عثمان بن عفان وتخرجه من طوره وتجعله يصف الصحابي الجليل أبا ذر بـ(الشيخ الكذَّاب!!).

وفي ظل أجواء الغضب والانفعال يصدر هذه الأحكام الجائرة على أبي ذر: ـ الضرب. أو: الحبس. أو: القتل، أو: النفي من بلاد المسلمين.

هذا التردد من عثمان يدل على أنه لا يعرف الحكم الشرعي في هذه القضية، هذا من جانب ومن جانب آخر طلبه المشورة من المسلمين الحاضرين (أشيروا عليَّ في هذا الشيخ الكذَّاب!!) دليل آخر على عدم معرفته بأحكام القضاء. والمشورة التي طرحها أمير المؤمنين على عثمان التي تخالف ما طرحه عثمان من خيارات دليل ثالث على تخبط عثمان في أحكامه القضائية. هذا في حالة ثبوت

التهمة في حق أبي ذر. أما في حالة عدم ثبوت التهمة في حق أبي ذر ـ ولم يستطع عثمان إثباتها ـ فدليل آخر يضاف إلى الأدلة السابقة التي تثبت تخبط عثمان في القضاء.

لما أشار أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان بمشورته التي تشبه مشورة مؤمن آل فرعون (أجابه عثمان بجواب غليظ لا أحب ذكره) كما يقول الواقدي. أو: (أجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه علي عليه السلام بمثله، ولم نذكر الجوابين تذمماً منهما!!) كما يقول ابن أبي الحديد[1].

فالجواب الغليظ الذي صدر من عثمان في حق أمير المؤمنين عليه السلام ينفي عدالة القاضي عثمان في هذه القضية، فهو الذي طلب المشورة من الحاضرين وكان أمير المؤمنين عليه السلام منهم. فلماذا يجابهه بذلك الجواب الغليظ؟! هل لكون المشورة تخالف روح الحكم الذي أراد أن يصدره عثمان على الصحابي الجليل أبي ذر؟ فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يجابهه بذلك الجواب الغليظ الذي رفض الواقدي أن يذكره؟ وإذا لم تكن تلك المشورة هي السبب فلماذا يوجه لأمير المؤمنين ذلك الكلام الغليظ؟!

لكن بماذا تلفظ القاضي عثمان بن عفان في حق أمير المؤمنين عليه السلام حين طلب منه المشورة؟ ولماذا لم يحب الواقدي أن يذكره؟ ولماذا ترفّع ابن أبي الحديد عن ذكره تذمماً منه؟! ألا يدل ذلك الجواب الغليظ على عدم نزاهة عثمان في دكة القضاء؟ لقد اطلعنا على ذلك الجواب الغليظ من مصدر آخر على الرغم من إخفاء الواقدي وابن أبي الحديد له، لكننا ننزه كتابنا عن ذكره[2]. فقد رأيت أيها القاريء الكريم مدى الفساد القضائي في مرافعات قضية أبي ذر.

ولما انتهت مهزلة القضاء في هذه القضية لم يترك عثمان أبا ذر يستقر في المدينة. (فلم يقم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها! قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم، وأنفك راغم!! قال: فإلى مكة. قال: لا! قال: فإلى البصرة؟ قال: لا! قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا! ولكن إلى

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٥٧، ج٨ ص٢٥٩.

(٢) راجع: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٧٥.

الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها. يا مروان: أخرجه، ولا تدع أحداً يكلمه!! حتى يخرج. فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته)[1].

فقد أصدر أمراً قضائياً بإخراج أبي ذر من المدينة رغم أنفه وبدون ذنب، وأمر بنفيه من المدينة إلى الربذة حتى يموت بها، وأمر أحد جلاوزته وهو مروان أن يخرجه بطريقة مذلة (أخرجه، ولا تدع أحداً يكلمه!!). فهل هذا التصرف قضاء عادل؟ أم فساد قضائي؟ الحكم متروك لك أيها القاريء الكريم.

ومن فساده القضائي مع عمار بن ياسر ما رواه البلاذري في الأنساب: (أنه لمَّا بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا. فقال عثمان: يا عاض أير أبيه!! أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفع في قفاه، وقال: ألحق بمكانه. فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه. فقال له عليّ: يا عثمان! إتق الله فإنك سيَّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره. وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه. فقال عليّ: رم ذلك إن شئت. واجتمع المهاجرون وقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيَّرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ. فكفَّ عن عمار[2].

لقد مات الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه في الربذة غريباً مظلوماً. قال عثمان بلسانه دون قلبه: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر بلسانه وقلبه: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا: فقال الخليفة والقاضي عثمان بن عفان: يا عاض أير أبيه!! أتراني ندمت على تسييره؟! فهل يستحق الصحابي الجليل عمار بن ياسر ذلك الكلام البذيء الذي صدر من عثمان؟ وهل الذي يقول في موت صحابي جليل نعم فرحمه الله من كل أنفسنا يعاقب بذلك الكلام الجارح المخالف للشريعة الإسلامية؟

لقد اعترف عثمان على نفسه بأنه لم يندم على تسييره أبي ذر إلى الربذة حتى لاقى حتفه. فهل يتورع في عدم تكرار ذلك الحكم القضائي الفاسد على صحابي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ص١٢٠.

(٢) الغدير: الأميني ج٩ ص١٩.

آخر؟! لا لم يتورع. فقد قال الراوي: (وأمر فدفع في قفاه وقال: ألحق بمكانه!!) فقد أصدر حكمين قضائيين على عمار بن ياسر لتفوهه في حق أبي ذر بقوله: (نعم فرحمه الله من كل أنفسنا).

الأول: أمر جلاوزته بدفع عمار بن ياسر في قفاه: (وأمر فدفع في قفاه!!).

الثاني: أصدر حكماً بنفيه إلى الربذة. (الحق بمكانه!!).

فهل هذا حكم قضائي عادل؟ أم فساد قضائي يخالف الشريعة الإسلامية؟! الحكم متروك لك أيها القاريء الغيور.

ولما تهيأ عمار بن ياسر للخروج إلى الربذة تنفيذاً للحكم القضائي الجائر جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان. فلماذا لم تذهب بنو مخزوم إلى صحابي آخر تشكو إليه ذلك الحكم القضائي الجائر؟ وعلام يدل ذلك؟ ولما جاءه أمير المؤمنين عليه السلام قال له: (يا عثمان اتق الله، فإنك سيَّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه!! فقال علي: رم ذلك إن شئت.

فهل الكلام الذي قاله عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام يندرج تحت راية العدالة؟ أم يندرج تحت بؤرة الفساد القضائي؟ فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام أحق بالنفي إلى الربذة من عمار بن ياسر، فلماذا لا ينفيه وفق أحكام العدالة القضائية؟ وهل يستحق أمير المؤمنين عليه السلام النفي إلى الربذة على ضوء الوساطة التي قام بها؟ وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يستحق النفي إلى الربذة، فلماذا قال له: أنت أحق بالنفي منه؟! أليس هذا التصرف صورة سيئة من صور الفساد القضائي عند عثمان؟!

وامعن النظر في قول المهاجرين: إن كنت كلما كلمك رجل سيَّرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ!!) أي أن تسيير الصحابة ونفيهم إلى الربذة ليس لأمر يستحقونه، بل لأنهم كلموه في أحكامه الجائرة المخالفة للشرع. وهذا مما لا يقبله عثمان.

وتأمل في قول الرواي: (فكف عن عمَّار). فإذا كان عمار بن ياسر يستحق النفي إلى الربذة، فلماذا عطَّل الحكم الشرعي في حقه وكفَّ عن نفيه؟ وإذا كان

عمار بن ياسر لا يستحق النفي إلى الربذة، فلماذا أصدر حكمه الجائر بنفيه إليها؟ ثم، أيهما الحكم القضائي الصائب؟ هل هو الحكم القضائي الذي يقضي بنفي عمار بن ياسر إلى الربذة؟ أم الحكم القضائي الذي يقضي بالكف عن عمار؟ فإذا كان الأول، فلماذا عارضه أمير المؤمنين وبنو مخزوم والمهاجرون؟ وإذا كان الثاني، فلماذا أصدر حكمه بنفي عمار إلى الربذة.

روى أبو مخنف: (كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجواهر، فأخذ عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له علي: إذاً تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه. وقال عمار بن ياسر: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعليَّ يا ابن المتكاء تجتريء؟ خذوه فأخذ، ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصلِ الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أوذينا في الله)[1].

وأما ابن قتيبة فقد ذكر سبب ذلك (ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي ﷺ فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس إفريقية لمروان... ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار، جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ، فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بني أميه، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: معي نفر تفرقوا فرقاً منك، قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت عليَّ من بينهم؟ فقال مروان: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٨٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٤٩.

من وراءه. قال عثمان: أضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي ﷺ، فأدخل منزلها، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم)[1].

وسواء كان سبب ضرب عثمان لعمار بن ياسر قوله: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، أو توصيله الكتاب الذي كتبه الصحابة لعثمان، لا يهمنا السبب بقدر ما يهمنا الضرب في حد ذاته.

إن كان سبب ضرب عثمان لعمار بن ياسر قوله: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك لا يستدعي أن يضربه ذلك الضرب المبرح الذي تجاوز فيه الحد الإنساني إلى الحد الهمجي (ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه!!) ولما قال له هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي: (يا عثمان أما على فاتقيته وبني أبيه، وأما نحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم السرة. فقال عثمان: وإنك لها هنا يا ابن القسرية؟! قال: فإنهما قسريتان ـ وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة ـ فشتمه عثمان وأمر به فأخرج!!)[2].

ما دخل أُمه القسرية بالموضوع؟ هل أراد أن يقحم أم هشام بن الوليد في الموضوع لكي يحرف مسار القضية؟ أم أنه كان يقصد شيئاً آخر؟ على كل حال. فلماذا شتم عثمان هشام بن الوليد وأمر بإخراجه؟ هل هذا التصرف يتفق مع عدالة القضاء؟ أم أنه صورة من صور الفساد القضائي عند عثمان؟!

فخرج هشام بن الوليد بن المغيرة (فأتى أم سلمة وإذا هي غضبت لعمار، وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً من نعاله ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد، فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!)[3].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥١.
(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٨٠.
(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٨٠.

فهل غضبت أم سلمة وعائشة من عدالة القضاء عند عثمان؟ أم من فساده القضائي؟! أليس هذا الفساد القضائي هو أحد الأسباب التي جعلت المسلمين يثورون على عثمان وفي مقدمتهم عائشة؟!

(وبلغ عثمان مصير هشام بن الوليد ومن مشى معه من بني مخزوم إلى أم سلمة وغضبها لعمار فأرسل إليها: ما هذا الجمع؟ فأرسلت إليه: دع ذا عنك يا عثمان ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون. واستقبح الناس فعله بعمار وشاع فيهم فاشتد إنكارهم له)[1].

لقد استنكر عثمان على أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إيواءها عمار بن ياسر، وتجمع المسلمين عند منزلها، فارسل إليها مستنكراً: ما هذا الجمع؟ فقيام عثمان بذلك الاستنكار دليل واضح على أنه لم يندم على خطئه في ضرب عمار بن ياسر ذلك الضرب المبرح الذي جاوز حدود الإنسانية (فضربه حتى غشي عليه). وهذا ما يؤكده أيضاً ردّ أم سلمة عندما أرسلت إليه: (دع ذا عنك يا عثمان، ولا تحمل الناس في أمرك على ما يكرهون). فردّ أم سلمة يؤكد عدم ندم عثمان على فساده القضائي في هذه القضية من جانب، وأن هذا الفساد القضائي أحد الأسباب التي حملت الناس على الثورة ضد عثمان من جانب آخر. ومما يؤكد هذا الاستنتاج قول الراوي: (واستقبح الناس فعله بعمَّار وشاع فيهم فاشتد إنكارهم له). فعثمان وحده هو الذي يتحمل استقباح الناس لفساده القضائي لما فعله بعمار، وهو الذي يتحمل نتائج إنكار الناس له بسبب ذلك الفساد. هذا إذا كان سبب ضربه لعمار بن ياسر حين قال: أشهد الله أن أنفي أول راغم!!.

أما إذا كان سبب ضربه لعمار ذلك الضرب الوحشي هو قيامه بتوصيل الكتاب الذي كتبه الصحابة إليه يعدّدون فيه مخالفاته الشرعية التي تخالف سنة رسول الله ﷺ فلا يستدعي الأمر أن يقوم بذلك التصرف الذي يخالف عدالة القاضي ونزاهته، بل ينبغي عليه أن يحقق في ذلك الكتاب، ويثبت للمسلمين ـ أو إلى ممثلهم عمار بن ياسر على الأقل ـ براءته مما ورد في الكتاب بالأدلة الدامغة. لكن عثمان لم يفعل ذلك، بل ركزَّ كل همه في معرفة صحابة النبي ﷺ الذين كتبوا

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٨١.

الكتاب لمعاقبتهم، ولما أيس من معرفتهم صبَّ جام غضبه على عمار ضارباً عدالة القضاء بعرض الحائط، كاشفاً حقيقة نفسه للناس، معرياً إيَّاها من جميع الأقنعة.

تأمل في قول الراوي: (فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار، جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده)، . فلا يمكن أن يتسلل الصحابة عن عمار ويتركوه وحده خوفاً من عدالة عثمان، بل تسللوا عن عمار وتركوه وحده خوفاً من بطش عثمان وفساده القضائي. وهذا ما أكده عمار لعثمان بكل وضوح عندما قال له: (كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك!!).

لم يقم عثمان بإجراء أي تحقيق في هذه القضية، بل ركز جهده في معرفة أصحاب القضية لمعاقبتهم. وتمثل التحقيق بالصورة الآتية: قال عثمان لعمار بن ياسر: (أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك. قال: من هم؟ قال لا أخبرك بهم. قال فلم اجترأت عليَّ من بينهم؟).

فلم يشر في تحقيقه لا من قريب ولا من بعيد إلى محتويات الكتاب، ولم يقم بتفنيدها بالأدلة الدامغة مما يدل على ثبوتها في حقه. وقد أثبت من خلال هذا التحقيق البعيد عن صلب القضية ضآلة درايته بأمور القضاء، وعدم نزاهته، وفساده القضائي بأبشع صوره.

لقد تدخل مروان بن الحكم في مجرى القضاء وحرفه عن مساره فاستحسن عثمان هذا التدخل السافر وأغرق نفسه في فساد قضائي هو في غنىً عنه. ولو لم يعرف مروان بن الحكم ضعف عثمان في أمور القضاء واستعداده لقبول ذلك الفساد القضائي لما تدخل ذلك التدخل السافر. ولو لم يكن عثمان جاهلاً بأمور القضاء وميالاً إلى الفساد القضائي ومستخفاً بدماء المسلمين وأرواحهم لما قبل بتدخل مروان في القضاء، ولما طبَّق مشورته الظالمة. لكن كل إناء بالذي فيه ينضح. وهذا ما نضحه إناء عثمان بن عفان الأموي.

لقد قال مروان: (يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود (يعني عماراً) قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلَّت به من وراءه. قال عثمان: اضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار!!).

لقد أصدر حكمه الظالم على عمار بالضرب، وأمر جلاوزته بتنفيذ ذلك (اضربوه فضربوه) فرأي أن هذا الحكم ليس كافياً فاشترك معهم لكي ينال الأجر في تطبيق الحكم الشرعي (وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه!!) ولم يكن تنفيذ الحكم سهلاً أو ليناً، بل كان عنيفاً مؤلماً (فغشي عليه). ولم تأخذهم في تنفيذ الفساد القضائي لومة لائم (فجروه حتى طرحوه على باب الدار!!) يلاقي حتفه في يوم مطير (فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ...).

لقد قام عثمان بالدور البطولي في تنفيذ ذلك الحكم الظالم الذي أصدره في حق عمار بأسلوب لا يختلف عن أسلوب الغاب، (قال له: أعليّ تقدم من بينهم! فقال: لأني أنصحهم لك. قال: كذبت يابن سمية! فقال: أنا والله ابن سمية، وابن ياسر! فأمر عثمان غلماناً له، فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه ـ وهي في الخفين ـ على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه!!)[1].

فهذا التصرف الهمجي يدل على حقد ولؤم وخبث سريرة وتعطش للدماء. فلا يوجد حكم في الشرع يحدد ضرب المجرم فضلاً عن البريء على مذاكيره!! ألم يكن لعثمان إيمان يمنعه من ذلك؟ ألم يكن له حياء يردعه عن ذلك التصرف المقزز؟! فالشخص الذي غرق في الفساد القضائي لا يردعه أي شيء. ومن هذا الفساد القضائي وغيره ثار المسلمون عليه وفي مقدمتهم وجوه الصحابة.

ومن فساده القضائي ما فعله بكعب بن عبيدة النهدي، مبعوث أهل الكوفة. قال ابن أعثم الكوفي: (جلس نفر من أهل الكوفة منهم يزيد بن قيس الأرحبى ومالك بن حبيب اليربوعي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وزياد بن حفيظة التميمي، وعبد الله بن الطفيل البكائي، وزياد بن النصر الحارثي، وكرام بن الحضرمي المالكي، ومعقل بن قيس الرياحي، وزيد بن حصن السنبسي، وسليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، ورجال كبير من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم، فكتبوا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملأ المسلمين

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٥٠.

من أهل الكوفة، سلام عليك! فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أن تكون قد خلقت لها فتنة وأن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك، يا عثمان! فاتق الله والزم سنَّة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقسم فيئنا بين أشرارنا والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشر وأهله وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منا وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء، فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحق أنصاراً وأعواناً، وإلا فلا تلوم إلا نفسك فإننا لن نصالحك على البدعة وترك السنَّة، ولن نجد عند الله عذراً إن تركنا أمره لطاعتك، ولن نعصي الله فيما يرضيك، هو أعزّ من أنفسنا وأجلّ من ذلك، نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً، ونستعينه وكفى بالله ظهيراً، راجع الله بك إلى طاعته، يعصمك بتقواه من معصيته. والسلام[1].

الذي كتب الكتاب هم المسلمون من أهل الكوفة، ورجال من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم، (من الملأ المسلمين من أهل الكوفة... ورجال كبير (كذا) من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم). والكتاب موجه إلى عثمان (لعبد الله عثمان أمير المؤمنين..) والهدف منه النصيحة لعثمان، والشفقة من تفرق الأمة (فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة...).

والباعث لكتابة الكتاب الجرائم والمفاسد التي ارتكبها عثمان في حق المسلمين (وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك، يا عثمان! فاتق الله والزم سنة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقسم فيئنا بين أشرارنا، والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا..).

قال ابن أعثم الكوفي: فلما كتبوا الكتاب وفرغوا منه قال رجل منهم: من

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩٠.

يبلغه عنا كتابنا؟ فوالله إن ما نرى أحداً يجتريء على ذلك، قال: فقال رجل من عنزة آدم ممشوق فقال: والله ما يبلغ هذا الكتاب إلا رجل لا يبالي أضرب أم حبس أم قتل أم نفي أم حرم، فأيكم عزم على أن يصيبه خصلة من هذه الخصال فليأخذه، فقال القوم ما ههنا أحد يحب أن يبتلي بخصلة من هذه الخصال، فقال العنزي: هاتوا كتابكم فوالله إني لا عافية لي، وإن ابتليت فما أنا يائس أن يرزقني ربي صبراً وأجراً. قال: فدفعوا إليه كتابهم[1].

فقول رجل من أهل الكوفة: (من يبلغه عنا كتابنا؟ فوالله إن ما نرى أحداً يجتريء على ذلك!!) دليل على الخوف والرعب الشديدين من بطش عثمان. وهو من أكبر الأدلة على الفساد القضائي. فلو كان متصفاً بالعدالة القضائية لما خاف منه المسلمون هذا الخوف الشديد الذي أكده ذلك الكوفي بالقسم بالله العظيم.

وقال ابن أعثم الكوفي: وبلغ ذلك كعب بن عبيدة النهدي، وكان من المتعبدين، فقال: والله لأكتبنَّ إلى عثمان كتاباً بإسمي وإسم أبي، بلغ ذلك من عنده ما بلغ، ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيدة، أما بعد! فإني نذير لك من الفتنة، متخوف عليك فراق هذه الأمة، وذلك أنك نفيت خيارهم وولَّيت أشرارهم وقسمت فيأهم في عدوهم واستأثرت بفضلهم ومزَّقت كتابهم وحميت قطر السماء ونبت الأرض، وحملت بني أبيك على رقاب الناس حتى قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم، ولعمري لئن فعلت ذلك فإنك تعلم أنك إذا فعلت ذلك وتكرمت فإنما تفعله من فيئنا وبلادنا، والله حسيبك يحكم بيننا وبينك، وإن أنت أبيت وعنيت قتلنا وأذانا ولم تفعل فإننا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشياً. والسلام[2].

لقد بين كعب بن عبيدة النهدي الفساد الإداري والسياسي عند عثمان (نفيت خيارهم ووليت أشرارهم... وحملت بني أبيك على رقاب المسلمين). وهو أحد الأسباب التي أودت بعثمان. كما بيَّن الفساد المالي (الاختلاسات المالية) عنده (وقسمت فيأهم في عدوهم، واستأثرت بفضلهم). وهو السبب الآخر الذي عجَّل

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩٠.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٣٩١.

بالقضاء عليه. كما بيَّن الفساد القضائي المعشش في ذهن عثمان (والله حسيبك بيننا وبينك، وإن أنت أبيت وعنيت قتلنا وأذانا ولم تفعل فإننا نستعين الله ونستجيره من ظلمك لنا بكرة وعشياً). وهو السبب الثالث الذي أثار الناس عليه.

ثم قال ابن أعثم الكوفي: (ثم جاء كعب بن عبيدة بكتابه هذا إلى العنزي وقد ركب يريد المدينة فقال: أحب أن تدفع كتابي هذا إلى عثمان، فإن فيه نصيحة له وحثاً على الإحسان إلى الرعية والكف عن ظلمها، فقال: أفعل ذلك، قال ثم أخذ الكتاب منه ومضى إلى المدينة. ورجع كعب بن عبيدة حتى دخل المسجد الأعظم فجعل يحدِّث أصحابه بما كتب إلى عثمان. فقالوا: والله يا هذا لقد اجترأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل!! فقال: لا عليكم فإني أرجو العافية والأجر العظيم، ولكن ألا أخبركم بمن هو أجرأ مني؟ قالو: بلى ومن ذلك؟ فقال: الذي ذهب بالكتاب. فقالوا بلى صدقت، إنه لكذلك وإنا لنرجو أن يكون أعظم هذا المصر أجراً عند الله غداً)[1].

فقول كعب بن عبيدة النهدي عن كتابه (فإن فيه نصيحة له وحثاً على الإحسان إلى الرعية والكف عن ظلمها!!) دليل على الفساد القضائي لدى عثمان. فإذا كان الخليفة يظلم رعيته، فكيف تترجى منه أن يكون عادلاً ونزيهاً في القضاء؟! وقول أهل الكوفة لكعب بن عبيدة النهدي: (والله يا هذا لقد اجترأت وعرضت نفسك لسطوة هذا الرجل!!) دليل آخر على الخوف الشديد من عثمان وفساده القضائي.

قال ابن أعثم الكوفي: وقدم العنزي على عثمان رضي الله عنه بالمدينة، فدخل وسلَّم عليه ثم ناوله الكتاب الأول وعنده نفر من أهل المدينة، فلما قرأه عثمان ارتدَّ لونه وتغيَّر وجهه، ثم قال: من كتب إليَّ هذا الكتاب؟ فقال العنزي: كتبه إليك ناس كثير من صلحاء أهل الكوفة وقرَّائها وأهل الدين والفضل. فقال عثمان: كذبت! إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد، فأخبرني من هم؟ فقال العنزي: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذاً والله أوجع جنبك وأطيل حبسك. فقال العنزي: والله لقد جئتك وأنا أعلم أني لا أُسلم منك. فقال عثمان: جرّدوه! فقال العنزي: وهذا كتاب آخر فاقرأه من قبل أن تجردني. فقال عثمان: آتِ به، فناوله

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩١.

إيَّاه، فلما قرأه قال: من كعب بن عبيدة هذا؟ قال العنزي: إيه! قد نسب لك نفسه، قال عثمان: فمن أي قبيل هو؟ قال العنزي: ما أنا مخبرك عنه إلا ما أخبرك عن نفسه، قال: فالتفت عثمان إلى كثير بن شهاب الحارثي فقال: يا كثير! هل تعرف كعب بن عبيدة؟ قال كثير: نعم يا أمير المؤمنين! هو رجل من بني فهد، قال: فأمر عثمان بالعنزي فجرَّدوه من ثيابه ليضرب. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لماذا يضرب هذا الرجل؟ إنما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب، فقال عثمان رضي الله عنه: أفترى أن أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس)[1].

فقول الكاتب: (فلما قرأه عثمان ارتدَّ (كذا، ولعل الصواب: اربَّد) لونه وتغير وجهه). دليل على أن القاضي عثمان قد استاء من الكلام الموجود في الكتاب، وهذا الاستياء قد أثَّر في سير العدالة القضائية لديه. وهذا التصرف نقطة سوداء في تاريخه القضائي. والذي لا يصلح للقضاء لا يصلح للخلافة من باب أولى.

وقال عثمان: (من كتب إليَّ هذا الكتاب؟ فقال العنزي: كتبه إليك ناس كثير من صلحاء أهل الكوفة وقرائها وأهل الدين والفضل. فقال عثمان: كذبت، إنما كتبه السفهاء وأهل البغي والحسد، فأخبرني من هم؟!). فقد كذَّب مبعوث أهل الكوفة، ووصف أهل الكوفة وفيهم الصحابة الأجلاء بالسفهاء وأهل البغي والحسد، بدون دليل شرعي يستند عليه. وهو أول علامة من علامات الفساد القضائي، وهو إصدار حكم قبل التحقيق فيه. فلم يحقق في محتوى الكتاب، وإنما أطلق حكمه الجائر على الذين كتبوا الكتاب، والذي قام بتوصيله.

فإذا كان القاضي عثمان يعرف الذين كتبوا الكتاب بالسفه والبغي والحسد، فلماذا يسأل مبعوث أهل الكوفة: (فأخبرني من هم؟). وإذا كان لا يعرفهم فلماذا وصفهم بالسفه والبغي والحسد؟! على كل حال، فقد (قال العنزي: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذاً والله أوجع جنبك وأطيل حبسك، فقال العنزي: والله لقد جئتك وأنا أعلم أني لا أسلم منك، فقال عثمان: جردوه!!). لم نر أي تحقيق في محتوى الكتاب، ولم يقم عثمان بتفنيد التهم الموجهة إليه، بل صبَّ اهتمامه في معرفة

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩١ ـ ٣٩٢.

الأشخاص الذين كتبوا الكتاب، ولما لم يفلح في ذلك قال للعنزي مبعوث أهل الكوفة: (إذاً والله أوجع جنبك وأطيل حبسك). وهذه أحكام جائرة في غير محلها، وقد أكدها العنزي وتوقعها بقوله: (والله لقد جئتك وأنا أعلم أني لا أسلم منك!!).

فالمعرفة مسبقاً بعدم عدالة القاضي وعدم نزاهته سبب وجيه في عدم إهليته لهذا المنصب، وما دام الأمر كذلك، فكيف يكون مؤهلاً لمنصب الخلافة الذي هو أعلى من منصب القضاء؟! فإدا كان هناك عتب، فالعتب يوجَّه بالدرجة الأولى إلى الصحابة الذين قبلوا بعثمان وتنكروا لأمير المؤمنين عليه السلام وأبعدوه عن منصب الإمامة والخلافة فابتلوا بجور عثمان وورَّثوا ذلك الجور إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولم يتجرؤوا في مناقشة عثمان في فساده القضائي.

وأمام رفض العنزي الإفصاح عن أسماء الأشخاص الذين كتبوا الكتاب، أصدر القاضي عثمان ـ دون أن يحقق في محتوى الكتاب ـ حكمه الجائر المتمثل في قوله: (جرّدوه!!). فلماذا يجرَّد من ثيابه؟! وأين التحقيق العادل؟! ولما استلم عثمان الكتاب الثاني حاول جمع التفاصيل الكاملة عن صاحبه دون التطرق لمحتوى الكتاب، ولما جمع التفاصيل الكاملة عن صاحبه بمساعدة أحد جلاوزته أمر بالعنزي (فجردوه من ثيابه ليضرب، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لماذا يضرب هذا الرجل؟ إنما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رسالة حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب، فقال عثمان رضي الله عنه: أفترى أن أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس).

فهذه الأحكام الهمجية دليل على تفشي الفساد القضائي عند عثمان. ولما أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بأن العنزي لا يجب عليه الضرب. قال له: (أفترى أن أحبسه؟!) دليل واضح على عدم معرفة عثمان بأحكام الفقه ومتطلبات أمور القضاء. فكيف ـ والحال هذه ـ يصلح أن يكون قاضياً فضلاً عن أن يكون خليفة للمسلمين؟

لقد أنقذ أمير المؤمنين عليه السلام العنزي مبعوث أهل الكوفة من مخالب الفساد القضائي عند عثمان، ولهذا لما وصل إلى الكوفة (ما بقي في الكوفة رجل مذكور إلا أتاه ممن كان على رأيه، ثم سألوه عن حاله فأخبرهم بما قال وما قيل له، ثم

أخبرهم بصنع علي رضي الله عنه، فعجب أهل الكوفة من ذلك ودعوا لعلي بخير وشكروه على فعله)[1]. لكن ما هو موقف أهل الكوفة من أمير المؤمنين في أواخر حياته وفي عهد ولديه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام؟ لقد تنكر أهل الكوفة لعدالة القضاء ونزاهته عند أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام واستبدلوا ذلك بالجور والفساد القضائي عند بني أمية وولاتهم الظلمة، واستبدلوا إمامة أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام بحكم أغصان الشجرة الملعونة في القرآن وملكيتهم البغيضة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

على كل حال، فقد استطاع العنزي مبعوث أهل الكوفة أن ينجو بجلده من مخالب الفساد القضائي عند عثمان بمساعدة أمير المؤمنين عليه السلام ومساندته، لكن كعب بن عبيدة النهدي لم يساعده الحظ في التخلص من تلك المخالب. فقد كتب عثمان إلى سعيد بن العاص: أن تسرّح إليَّ كعب بن عبيدة النهدي مع سائق عنيف حتى يقدم عليَّ به. والسلام[2].

فلم يجشّم نفسه في التحقيق في محتوى الكتاب، بل أصدر أمره بغير تحقيق بتسريح كعب بن عبيدة النهدي من الكوفة إلى المدنية مع سائق عنيف. مما يعطينا صورة واضحة لا لبس فيها عن فساده القضائي.

(فلما ورد كتاب عثمان رضي الله عنه على سعيد بن العاص ونظر فيه أرسل إلى كعب بن عبيدة فشدّه في وثاق ووجه به إلى عثمان مع رجل فظ غليظ، فلما صار في بعض الطريق جعل الرجل ينظر إلى صلاة كعب بن عبيدة وتسبيحه واجتهاده فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، بعثت مع رجل مثل هذا أهديه إلى القتل والعقوبة الشديدة أو الحبس الطويل، ثم أقبل بكعب بن عبيدة حتى أدخله على عثمان)[3].

لماذا يشد كعب بن عبيدة بالوثاق؟ ولماذا يُبعث مع رجل فظ غليظ؟ هذه كلها أحكام جائرة أمر بها عثمان بن عفان. وهي تعطينا صورة واضحة لا لبس فيها عن جوره القضائي الذي جرَّ عليه الويلات حتى أودى بحياته.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩٢.
(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٣٩٢.
(٣) المرجع السابق: ج٢ ص٣٩٢.

ولما أدخل كعب بن عبيدة على القاضي عثمان بن عفان (وسلَّم عليه جعل عثمان ينظر إليه ثم قال: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه». أنت تعلمني الحق وقد قرأت القرآن وأنت في صلب أبٍ مشرك!! قال كعب: على رسلك يا بن عفان، فإن كتاب الله لو كان للأول دون الآخر لم يبق للآخر شيء ولكن القرآن للأول والآخر، فقال عثمان، والله ما أراك تدري أين ربّك! قال: بلى يا عثمان! هو لي ولك بالمرصاد، فقال مروان: يا أمير المؤمنين! حلمك على مثل هذا وأصحابه أطمع فيك الناس، فقال كعب: يا عثمان، إن هذا وأصحابه اغمروك وأغرونا بك، قال عثمان: جرّدوه، فجرَّدوه وضربه عشرين سوطاً، ثم أمر به فردَّ إلى الكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أما بعد، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا فوجِّه به مع رجل غليظ إلى جبال كذا، فليكن منفياً عن بلده وقراره. قال: فلما قدم كعب على سعيد بن العاص دعا به فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له بكير بن حمران الأحمري فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان)[1].

لقد سخر القاضي عثمان من كعب بن عبيدة بمجرد دخوله عليه عندما تمثل بهذا المثل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وقد تجاهل موضوع الكتاب ولم يحقق فيه وحرَّف سير العدالة بأساليب تهكمية صبَّها على رأس المتهم الذي لم تثبت إدانته بعد مثل: (أنت تعلمني الحق وقد قرأت القرآن وأنت في صلب أب مشرك!!، والله ما أراك تدري أين ربك؟!).

لو عرضنا على القضاة هذا الأسلوب الذي استخدمه عثمان في التحقيق، ماذا سيقولون عنه؟ هل سيؤيدون هذا الأسلوب؟ أم يرفضونه؟ بالطبع سيرفضه كل قاض نزيه. فهذه الأساليب الصبيانية لا تمت إلى العدالة بصلة.

(فقال مروان: يا أمير المؤمنين! حلمك على مثل هذا وأصحابه أطمع فيك الناس!!). لماذا يتدخل مروان بن الحكم في سير العدالة دائماً؟! ولماذا لم يطلب عثمان منه عدم التدخل؟ وما مصحلته في ذلك التدخل السافر؟ فقد تنبه كعب بن عبيدة للدور السيء الذي يقوم به مروان، عندما قال: (يا عثمان إن هذا وأصحابه أغمروك (كذا: ولعل الصواب: أغروك) وأغرونا بك). ومن هذا التدخل وغيره

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩٣.

قال القاضي عثمان: (جرّدوه، فجرَّدوه وضربه عشرين سوطاً، ثم أمر به فردّ إلى الكوفة!!).

فقد أصدر حكمه على الرجل بعد تحقيق هزلي مبتور، وتدخل سافر من أحد بطانته الفاسدة بتجريده من ثيابه وضربه عشرين سوطاً، لا لشيء إلا لأنه تجرأ ونصح خليفة أمية. والذي قام بتنفيذ العقاب القاضي نفسه وذلك إبراءً لذمة القاضي وعدالته.

لكن هل اكتفى القاضي عثمان بهذه العقوبة الظالمة؟ لا لم يكتف بتلك العقوبة. فقد كتب إلى واليه على الكوفة بتنفيذ المرحلة الثانية من العقوبة: (أما بعد، فإذا قدم عليك كعب بن عبيدة هذا فوجِّه به مع رجل فظ غليظ إلى جبال كذا، فليكن منفياً عن بلده وقراره!!).

فلماذا يوجه به مع رجل غيلظ؟ فما هدفك من اختيار الرجال السيئين لتنفيذ عقوبتك على كعب بن عبيدة؟ ولماذا تنفيه إلى الجبال الوعرة؟ ولماذا تنفيه عن بلده وقراره؟ ما هدفك من كل ذلك؟ وهل كل من يكتب لك مثل ذلك الكتاب يستحق هذه العقوبة التي لم نجد لها أثراً في القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة؟!

وقد قام الوالي بتنفيذ تلك العقوبة الظالمة. (فلما قدم كعب على سعيد بن العاص دعا به فضمه إلى رجل من أصحابه يقال له بكير بن حمران الأحمري فخرج به حتى جعله كذلك حيث أمر عثمان!!).

هذه عقوبة من ينصح خليفة أمية أو يعترض على جوره ومفاسده. وقد صدق الله وهو أصدق القائلين في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. (اخرج البخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾. قال: هما الأقجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية. فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين)[1].

وعثمان بن عفان أول خليفة أموي وهو أول مصداق للآية الكريمة وقد أحل

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٩٥.

المسلمين درا البوار، وقد قتله جوره في النهاية، ورمي قومه جثته على المزبلة ثلاثة أيام، ثم دُفن في مقابر اليهود. وقد قالت إحدى زعيمات قومه: هذا قميص رسول الله لم يُبل وعثمان أبلى سنته!! وهذا الكلام مصداق لقوله تعالى فيه وفي أفراد أسرته: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتم رسول الله ﷺ لذلك فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠][1].

فقد اعتبر الرسول ﷺ بني أمية ملوكاً لا خلفاء شرعيين، وإنهم أرباب سوء، ولم يستثن أحداً منهم. وقد اهتم رسول الله ﷺ من استيلائهم على مقاليد الأمور. وعثمان بن عفان أول أولئك الملوك، ملوك السوء. وجوره القضائي أكبر شاهد على ذلك.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[2].

تأمل في قولها (وجدك) فجد مروان هو: أبو العاص بن أمية. وقد قال ابن الأثير في ترجمته هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن مناف القرشي الأموي... وهو ابن عم عثمان بن عفان بن أبي العاص[3]. فأبو العاص بن أمية هو الأساس الأول للشجرة الملعونة في القرآن وهو جد عثمان بن عفان أيضاً. فقد قال ابن الأثير في ترجمته عثمان بن عفان هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. فأبو العاص بن أمية هو الأساس الأول للشجرة الملعونة في القرآن، وهو جد عثمان

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

(٢) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

(٣) أسد الغابة: ابن الأثير ج٥ ص١٥٢، رقم الترجمة (٤٨٤١).

بن عفان أيضاً. فقد قال ابن الأثير في ترجمة عثمان بن عفان هو: عثمان بين عفان بي أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي[1].

فجد عثمان بن عفان أبو العاص بن أمية هو الأساس الأول للشجرة الملعونة في القرآن، وعثمان هو أحد أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وهو أول فرد من بني أمية عندما رآهم النبي ﷺ على منابر الأرض يتملكون المسلمين، فيجدهم المسلمون أرباب سوء.

واختلاساته المالية وفساده الإداري والسياسي، وفساده القضائي كما رأينا ذلك في هذا الفصل دليل على أنه أول مصداق لأغصان الشجرة الملعونة في القرآن التي حذر رسول الله ﷺ المسلمين من شوكها وشرها وثمرها السيء.

ولم يقتصر الفساد القضائي في الحالات التي ذكرناها. فهناك الكثير، ومن شاء فليراجع جوره القضائي مع عبد الله بن مسعود، ومالك الأشتر وأصحابه من وفد الكوفة الذين نفاهم إلى الشام. ولهذا نقتصر على هذا المقدار.

---

(١) أسد الغابة: ابن الأثير ج٣ ص٦٠٦، رقم الترجمة (٣٥٨٣).

الباب الثاني

مقتل عثمان

بعد أن استفحل الفساد المالي والإداري والسياسي والفساد القضائي عند عثمان وبطانته وأفراد أسرته أدَّى إلى قتله بصورة فظيعة وبائسة. وخرج من الدنيا ضحية لفساده المالي والإداري والسياسي والقضائي. ولم يجن عليه المسلمون، بل هو الذي جرَّ على نفسه الويلات والمصائب. وكان باستطاعته أن يجنِّب نفسه كل تلك المصائب لو كانت عنده ذرة من الإنصاف والاستقامة. لكن الحمق قد ركبه، والغرور والطيش قد تمكَّنا من قلبه، والفرعنة فد عشَّشت في قلبه المتحجِّر. وقد أحاطبت به بطانته الفاسدة والسيئة فلم تترك له فرصة للتفكير السليم واتخاذ القرار الصائب. فجرفتهم رياح الثورة وبدَّدت شملهم، وقطعت أوصالهم بعد أن ساموا الأمة سوم العبيد.

وكان وجوه الصحابة في المدينة المنوَّرة، ووجوه المسلمين في الأقاليم والبلدان الإسلامية في مقدمة الثائرين عليه. وتزعَّم بعض المهاجرين الثورة ضده إلى آخر رمق من حياته البائسة. وستجد عزيزي القاريء ـ في فصول هذا الباب ـ دور هؤلاء الثوار في القضاء على فساد عثمان. كما ستجد عزيزي القاريء براءة أمير المؤمنين عليه السلام من دم عثمان بكل وضوح. لقد ذهبت تهم الأمويين لأمير المؤمنين عليه السلام في تحريض المسلمين على عثمان أدراج الرياح. كما ذهب أولئك السيِّئون أصحاب القلوب المريضة إلى مزبلة التاريخ. وأضحت تهمهم الباطلة وصمة عار على جابههم وجباه أتباعهم. وقد بانت أكاذيبهم للناس. فحبل الكذب قصير.

الفصل الأول:

الثوّار

لما استفحل الفساد بجميع صوره عند عثمان وبطانته وأفراد أسرته احتج على ذلك الفساد المسلمون وفي مقدمتهم الصحابة. وكان احتجاجهم في بداية الأمر أشبه بالاحتجاج السلمي أو النصيحة. أو بمعنى آخر قد قاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال ابن قتيبة في ذلك: (ذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبي ﷺ، فكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البناء، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دار لنائلة، ودار لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبين عمه من بني أمية أحداث وغلمة لا صبحة لهم من ا لرسول ولا تجربة لهم بالأمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم، وتعطيله إقامة الحد عليه، وتأخيره عن ذلك، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليس لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام. . . . الخ)[1].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٠.

قد تطرق محتوى الكتاب إلى الفساد المالي الذي غرق فيه عثمان (وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان... وبنيان مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله... وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام).

كما تطرق محتوى الكتاب إلى الفساد الإداري والسياسي لدى عثمان وبطانته وأفراد أسرته وولاته (... وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالأمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات... وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة).

كما تطرق محتوى الكتاب إلى الفساد القضائي عند عثمان (وتعطيله إقامة الحد عليه، وتأخيره ذلك عنه). فضلاً عن صور الفساد الأخرى. كالفساد العقيدي (ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه). والدكتاتورية والاستبداد بالرأي (وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم).

فمحتوى الكتاب كما رأينا يتعلق بالفساد المتفشي عند عثمان وبطانته وأفراد أسرته، والذي كتب الكتاب مجموعة من الصحابة (اجتمع ناس من أصحاب النبي ﷺ). وكان عددهم عشرة وهم وجوه الصحابة مثل عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود كما قال ابن قتيبة: (ثم تعاهد القوم ليدفعنَّ الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار، جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده، فمضى حتى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له في يوم شاتٍ...)[1].

فوجوه الصحابة في المدينة هم الذين تزعَّموا الثورة على عثمان، وكانت

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥١.

ثورتهم في البداية اشبه بالاحتجاج السلمي ولم تتعد النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رسالة مكتوبة. لكن عثمان تعامل بخشونة وفظاظة مع ذلك الإحتجاج السلمي كما رأيناه في الباب الأول.

ولم يقتصر الإحتجاج السلمي ضد عثمان على الصحابة في المدينة، بل شمل المسلمين في الأمصار والأقاليم البعيدة، فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (جلس نفر من أهل الكوفة، منهم يزيد بن قيس الأرحبي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي... ورجال كثير من قرى أهل الكوفة ورؤسائهم، فكتبوا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين، من الملأ المسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك! فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد! فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذاراً وشفقة على هذه الأمة من الفرقة، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة وأن لك ناصراً ظالماً وناقماً عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداقك، يا عثمان! فاتق الله والزم سنَّة الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا، وقسم فيئنا بين أشرارنا والاستبدال عنا واتخاذك بطانة من الطلقاء وابن الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشر وأهله وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منا وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء...)[1].

وقد تعامل مع هذه الرسالة وحاملها بخشونة، ووصف المسلمين الذين قاموا بكتابتها بـ(السفهاء وأهل البغي والحسد) كما رأينا في الباب الأول. ولم يحقق في محتوى كل رسالة احتجاجية وصلته، بل جعل همه في معاقبة كل من يكتب رسالة أو يقوم بتوصيلها إليه.

ونتيجة لهذا الموقف الظالم اتسعت رقعة الاحتجاج والتذمر في صفوف المسلمين في المدينة وخارجها من الأقاليم البعيدة مما حدى بعثمان أن يستدعي ولاته الظلمة للتشاور في إخماد الثورة والقضاء عليها.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٩٠.

قال الطبري: (أرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وإلى سعيد بن العاص وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي، وإلى عبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طُلب إليه، وما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده قال لهم: إن لكل امريءٍ وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إليَّ أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليَّ. فقال عبد الله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمِّرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه. ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: يا أمير المؤمنين: إن كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تصب!! قال: وما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة، متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر!! فقال عثمان: إن هذا هو الرأي لولا ما فيه. ثم أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى لك يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي. ثم أقبل على عبد الله بن سعد، فقال: ما رأيك؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم. ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيتَ فاعتزم عزماً وامض قدماً!! فقال عثمان: ما لك قمل فروك؟! أهذا الجدّ منك؟ فأسكت عنه دهراً حتى إذا تفرَّق القوم قال عمرو: لا والله يا أمير المؤمنين، لأنت أعز عليَّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي فأقود إليك خيراً أو أدفع عنك شراً!!)[1].

لقد تركز الاجتماع المشؤوم على القضاء على المعارضة وأصحابها بشتى الطرق غير المشروعة والمخالفة لتعاليم الدين الحنيف. فمن قائل اشغل المسلمين في جميع الأقاليم بجهاد شكلي لا علاقة له بالدين، لا يجني منه المسلمين إلا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٩٤، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٤١، وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٩.

دبرة دوابهم وقمل فروهم. ومن قائل بتصفية زعماء المسلمين المعارضين لفساد عثمان وقادتهم تصفية جسدية حتى لا تقوم لهم قائمة ولا يجتمع لهم أمر، واستحسان عثمان لهذا الراي لولا الخوف من تبعاته. ومن قائل بتبذير أموال المسلمين واستخدامها في رشوة هؤلاء المسلمين المعارضين وشراء دينهم وضمائرهم بأبخس الأثمان. ومنهم من باع دينه ولبس رداء النفاق ليجلب خيراً لعثمان أو يدفع عنه شراً. ولم يقدموا أي حلٍّ لظاهرة الفساد المتفشي عند عثمان وولاته، بل شجعوه على المضي قدماً في ذلك الفساد، فداعب ذلك التشجيع الظالم قلب عثمان وجرَّأه على التمسك بالفساد والتشبث به.

فقد ذكر الطبري: (فردَّ عثمان عماله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه)[1].

فبدلاً من أن يترك الفساد الذي غرق فيه رأيناه يصبّ النفط على النار، فقد أمر عماله الظلمة بالتضييق على المسلمين المتذمِّرين من ظلمه وفساده وتجميرهم في البعوث الخاوية من نية الجهاد، وحرمانهم من أعطياتهم وأرزاقهم لا لشيء إلا لكي يحتاجوا إليه ويطيعوه!! ناسياً ان الطاعة تجب للخليفة العادل لا المفسد والظالم. وبسبب هذه التهوّر في الفساد الإداري والسياسي زادت شعلة الثورة ضد عثمان، ولم تقتصر على المسلمين البسطاء، بل اشترك فيها وجوه الصحابة.

أما ابن أعثم الكوفي فقد قال: (فعلم عثمان أن الرأي ما قال معاوية. فعزم على أن يرد عماله إلى بلادهم وأعمالهم، ثم أوصاهم وعهد إليهم وحذرهم الشكايات، فرجع معاوية إلى الشام، وعبد الله بن عامر إلى البصرة وسعيد بن العاص إلى الكوفة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر، فلم يزدادوا على الناس إلا غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام وعدولاً عن السنَّة!!)[2].

فلم يزدادوا على الناس إلا غلظة وجنفاً وجوراً في الأحكام والانحراف عن السنَّة بأمر من عثمان ورضاه. فهو الذي أمرهم بذلك كما صرَّح الطبري. وهذا من

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٩٥، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٤٢.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٣٨٩.

فساده الإداري والسياسي. فرجل بهذا المستوى من الفساد الإداري والسياسي لا يصلح أن يكون خليفة للناس البتة.

وأخذت أصوات المسلمين الثائرين على عثمان ترتفع، وبعد أن كانت على شكل احتجاج سلمي كتابي اتخذت طابع الحديث علانية عن فساد عثمان في المساجد وأماكن التجمعات. ووصلت هذه الاحتجاجات العلنية إلى مسامع عثمان لكنه لم يأبه لها في بداية الأمر ولم يقدِّر عواقبها، لكن ولاته الظلمة فطنوا إلى عواقبها الوخيمة، وهذا مما يبيِّنه الحوار التالي بين عثمان ووالية المتغطرس معاوية بن أبي سفيان كما يرويه ابن قتيبة: (قال عثمان لمعاوية: ما ترى؟ فإن هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر، ولا بد لهم مما في أنفسهم. فقال معاوية: الرأي أن تأذن لي فاضرب أعناق هؤلاء القوم!! قال: من؟ قال: علي وطلحة والزبير. قال عثمان: سبحان الله! أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه؟ قال معاوية: فإن لم تقتلهم فإنهم سيقتلونك. قال عثمان: لا أكون أول من خلف رسول الله في أمته بإهراق الدماء. قال معاوية: فاختر مني إحدى ثلاث خصال. قال عثمان: وما هي؟ قال معاوية: أرتِّب لك هاهنا أربعة آلاف فارس من خيل أهل الشام، يكونون لك رداءاً وبين يديك يداً. قال عثمان: أرزقهم من أين؟ قال: من بيت المال!! قال عثمان: أرزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمي؟ لا فعلت هذا. قال: فثانية. قال: وما هي؟ قال: فرِّقهم عنك فلا يجتمع اثنان في مصر واحد، واضرب عليهم البعوث والندب، حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته!! قال عثمان: سبحان الله!! شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله، وبقية الشورى أخرجهم من ديارهم وأفرق بينهم وبين أهلهم وأبنائهم؟! لا أفعل هذا. قال معاوية: فثالثة: قال: وما هي؟ قال: اجعل لي الطلب بدمك إن قتلت. قال عثمان: نعم هذه لك إن قتلت فلا يطل دمي)[1].

من خلال هذا الحوار نجد أن عثمان قد اشار إلى هوية المحتجين وأنهم من المهاجرين. وحاول معاوية أن يغري عثمان بضرب أعناق رؤوس المهاجرين

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٤٩. وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص١٠١.

وهم: أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير. ولم يكن هدف معاوية إلا ضرب عنق أمير المؤمنين عليه السلام فحسب، وإنما ضمَّ معه الزبير وطلحة للتغطية على خبث هدفه القديم المتمثل في محاربة الدين الحق الذي يمثله في ذلك الوقت أمير المؤمنين عليه السلام وتصفية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من جديد الأرض، وكان كبير أهل البيت في ذلك الوقت أمير المؤمنين عليه السلام. على الرغم من تيقنه من براءة أمير المؤمنين عليه السلام في تحريض الثوار ضد عثمان وتيقنه من تحريض طلحة والزبير للثائرين ضد عثمان. وقد يكون هدفه ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد.

عن علي بن الحسين قال: قال مروان بن الحكم: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم ـ يعني علياً عن عثمان!!ـ قال: قلت له: فما لكم تسبونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك[1].

ومروان بن الحكم لم يكن أكثر دراية من معاوية بهذا الأمر. وأما دور طلحة في تحريض الثائرين على عثمان يعرفه كل جاهل وعليم. وهذا ما سنعرفه لاحقاً. وما دام الحال كذلك، فلماذا ينسب معاوية تحريض الثائرين على عثمان لأمير المؤمنين؟ فحقده القديم على أهل البيت عليهم السلام هو الذي دفعه إلى ذلك، ودور أمير المؤمنين عليه السلام في تصفية أقارب معاوية من رؤوس الشرك والوثنية في غزوة بدر هو الذي دفعه إلى أن يشير على معاوية بضرب عنق أمير المؤمنين عليه السلام.

وتأمل في قول معاوية لعثمان: (أرتِّب لك هاهنا أربعة آلاف فارس من خيل أهل الشام يكونون لك ردءاً وبين يديك يداً. قال عثمان: أرزقهم من أين؟ قال: من بيت المال!! قال عثمان: ارزق أربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمي؟!).

فمعاوية يريد أن يبذر أموال بيت مال المسلمين على ٤٠٠٠ مرتزق من مرتزقة أهل الشام لكي يحموا عثمان من نقمة واحتجاج المسلمين الذين احتجوا على فساده. وهذا العدد الكبير من الجنود المرتزقة إن دلَّ على شيء فإنما يدل على اتساع رقعة المعارضة في عاصمة الإسلام والأقاليم الأخرى. ولو كان عدد أفراد المعارضة قليلاً لم احتاج الأمر أن يرابط ٤٠٠٠ جندي حول دار عثمان ليلاً

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٣ ص٩٩، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص١٨٤.

ونهاراً. ولماذا يكون أفراد ذلك الجيش من الشام؟ ولماذا لا يكونون من سكان المدينة المنوَّرة؟ فلو كان الصحابة من المهاجرين والأنصار في المدينة يؤيِّدون عثمان لأختير الجنود منهم. فهم أولى وأقرب إلى عثمان، ولا يحتاجون إلى أن يرزقوا من بيت المال، لأنهم يمارسون أعمالهم ووظائفهم في بلدهم، ويمكن جمعهم بسرعة وسهولة إذا استدعى الأمر. لكن اختيار جميع أفراد ذلك الجيش من الشام دليل واضح على أن المهاجرين والأنصار معظمهم غير راضين عن عثمان وفساده الإداري والسياسي والمالي والقضائي.

وتأمل في هدف معاوية وذلك في اقتراحه على عثمان حول الإجراء الذي ينبغي أن يتخذه ضد قادة المعارضة: (فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان في مصر واحد، واضرب عليهم البعوث والندب، حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته. قال عثمان: سبحان الله؟ شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله، وبقية الشورى أخرجهم من ديارهم وأفرق بينهم وبين أهلهم وأبنائهم؟!).

فإذا كان معاوية ذلك الصحابي هذا هو موقفه من شيوخ الصحابة وهذا هو هدفه من الجهاد فلا خير فيه ولا في أمثاله من الصحابة الذين تنكروا للدين وانقلبوا على أعقابهم. وأما عثمان فقد كان موقفه هذا في بداية الأمر لا غير، وبعد أن أدرك خطورة معارضة شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشورى فقد غيَّر رأيه فيهم ووصفهم بصفات لا تليق بهم. وبعد أن رفض استقبال ٤٠٠٠ جندي مرتزق من أهل الشام رافضاً اقتراح معاوية، كتب إلى معاوية وغيره من ولاته الظلمة أن يمدوه بالخيل والرجال ليحموه من احتجاج شيوخ المهاجرين والأنصار.

لقد استعمل عثمان جميع الحيل والأساليب الملتوية ليحمي نفسه من احتجاج المسلمين على فساده. لما توَّسط أمير المؤمنين عليه السلام بينه وبين الثائرين على فساده من الوفد المصري طلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يمهله ثلاثة أيام، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الثائرين من الوفد المصري (فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثة أيام على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار فكفَّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال ويستعدّ بالسلاح، وقد كان اتخذ

جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيِّر شيئاً مما كرهوه ولم يعزل عاملاً ثار به الناس!!)[1].

فقد اشترط على عثمان في هذا الكتاب أن:

١ ـ يرد كل مظلمة.

٢ ـ يعزل كل عامل كرهه المسلمون.

فالشرط الأول دليل واضح على أن عثمان قد ظلم المسلمين، وموافقته على هذا الشرط يؤكد ذلك الاستنتاج. وهذا بحد ذاته يدل على عدم أهلية عثمان للخلافة. فالخليفة الذي يظلم رعيته لا يستحق أن يكون خليفة عليهم. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. فإذا كان ولي الأمر ظالماً للمسلمين اشترط عليه أن يرد مظالمهم ووافق على ذلك فيكف يطيعونه؟ وإذا لم تجب طاعته لظلمه واعترافه بذلك الظلم فكيف يكون من أولي الأمر؟!

أما الشرط الثاني فهو دليل على الفساد الإداري والسياسي. ومع ذلك لم يف بإصلاح الشرطين السابقين رغم العهود والمواثيق المغلظة التي أخذت عليه. وهذا النكث بالعهود والمواثيق دليل على سوء العاقبة لذلك الناكث. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

فقد بيَّن الله سبحانه وتعالى بأن الفاسقين هم ممن يتصفون بنقض العهود والمواثيق وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والفساد في الأرض والخسارة يوم القيامة. وقد أخذت على عثمان العهود والمواثيق المغلظة (ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق) على أن يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل كرهه المسلمون لكنه لم يفِ بذلك، بل أخذ يتأهب للقتال

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١١٧، وانظر تجارب الأمم: مسكويه ج١ ص٢٨٨.

ويستعد بالسلاح ويتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ليقطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض، مما يجعله مصداقاً للآية الكريمة. فخليفة بهذا الوصف كيف يكون خليفة مرضياً عند الله سبحانه وتعالى؟! فالآية الكريمة تصنِّفه في خانة الفاسقين في الدنيا والخاسرين في الآخرة.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

فقد وصف الله سبحانه وتعالى أولى الألباب بأنهم ممن يوفون بعهد الله ولا ينقضون ميثاقه ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخافون ربهم خوفاً حقيقياً ويخافون سوء الحساب يوم القيامة.

وعثمان بن عفان لم يف بالعهد الذي كتبه بينه وبين المسلمين، وقد نقض الميثاق الذي أبرمه بينه وبين المسلمين، ولو كان يخشى الله خشية حقيقية ويخاف المساءلة يوم الحساب لوفى بالعهد ولم ينقض الميثاق بينه وبين المسلمين رغم وجود الشهود على ذلك من وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار. مما يدل دلالة قاطعة بأنه لم يكن من أولي الألباب الذين مدحتهم الآيات اللاحقة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]. وخليفة لا يتصف بهذه الصفات لا يمكن الركون إليه. وفي الركون إليه خطر عظيم يوم القيامة، وحسرة لا تنجبر.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

فقد لعن الله الناقضين عهده من بعد ميثاقه، وبشَّرهم بسوء الدار، ومؤرخو خط السقيفة قد اعترفوا على عثمان بأنه لم يف بعهده وميثاقه الذي قطعه على نفسه المتمثل في: رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهه المسلمون، بل نقض العهد والميثاق رغم وجود الشهود من وجوه المهاجرين والأنصار، ولم يكتف بذلك

النقض، بل اخذ يتأهب لقتال المسلمين الذين تعهَّد لهم وكتب الكتاب بينه وبينهم، واستعدَّ لهم بالسلاح، وجنَّد الجنود من رقيق الخمس لقتالهم وإخماد احتجاجهم مما يعطي المسلم دليلاً واضحاً بأنه ممن يستحق اللعنة من قبل الله سبحانه وتعالى، وممن ينتظره سوء الدار كما بينته الآية الكريمة السابقة.

وخليفة بهذا الاستحقاق من اللعن وسوء الدار لا يصلح أن يكون خليفةً على المسلمين البتَّة.

وتأمل في قول الطبري: (فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس!!). هذا دليل على أن عثمان قد رفض نصرة ٤٠٠٠ جندي شامي في بداية الأمر لا تورعاً من الخوف على تبذير أموال المسلمين في بيت المال لحرز دمه. فقد اطلَّع القاريء الكريم على اختلاسه لتلك الأموال في وضح النهار كما بيناه في الباب الأول. وإنما كانت الحالة في بداية الأمر لا تتطلب استقدام ٤٠٠٠ جندي مرتزق من الشام. لكنه لما رأى الجدَّ من المسلمين على إنهاء فساده بجميع صوره، واتساع رقعة المعارضة غيَّر رايه ونبذ العهود والمواثيق، وما طلبه التأجيل ثلاثة أيام في تنفيذ العهود والمواثيق إلا ذريعة للتأهب للقتال والاستعداد بالسلاح والتعدي على أحكام الشرع عندما وظَّف رقيق الخمس الذين لا حول لهم ولا قوة جنوداً للدفاع عن فساده.

وهذا التعدي الفاضح على أحكام الشرع مؤشر على وجود خلل في عقيدة عثمان، وهذا الخلل الخطير في العقيدة دليل على عدم استحقاقه منصب الخلافة. فلا يحق للخليفة التعدي على أموال وممتلكات الغير وتوظيفها في الدفاع عن مفاسده.

كما يدل ذلك الإستعداد المدجج بالسلاح والجنود، واستخدام الأساليب الملتوية غير المشروعة، على اتساع رقعة المعارضة حيث أنها شملت عاصمة الدولة الإسلامية ومعظم الأقاليم الإسلامية البعيدة كمصر والكوفة. ولو كانت المعارضة قليلة ومنحصرة في إقليم واحد لما تطلب الأمر كل تلك الاستعدادات الكبيرة والملتوية. وهذا مؤشر على أن المخطيء عثمان لا كل أولئك المسلمين. كما أن المسلمين قد أعطوا عثمان الفرص الكافية لتصحيح أوضاع الفساد عنده،

لكن عثمان ضيَّع كل تلك الفرص ونبذ كل العهود والمواثيق مما جعله مسؤولاً في تحمل نتائج كل تلك المآسي.

وتأمل في قول الطبري: (فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيِّر شيئاً مما كرهوه ولم يعزل عاملاً، ثار به الناس).

فقد ضيَّع فرصة الأيام الثلاثة التي طلبها ولم يلتزم بالعهود والمواثيق بل عمل على النقيض من ذلك حيث جيَّش الجيوش وخزَّن السلاح فلم يجدالمسلمون أمامهم حلاً إلا الثورة عليه بسبب فساده الإداري والسياسي مما يجعله أن يتحمل وحده نتائج ما حدث له ولغيره.

لكن هل اكتفى عثمان بجمع السلاح وتوظيف رقيق الخمس في جيش مرتزق للدفاع عن مفاسده؟ لا لم يكتف بذلك. قال ابن أعثم الكوفي: (وخشي أن يعاجله القوم فيقتل، فكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو الأمير بالبصرة وإلى معاوية بن أبي سفيان، وهو أمير الشام بأجمعها فكتب إليهم عثمان نسخة واحدة: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري ولم يرضهم شيء دون قتلي أو خلعي سربالاً سربلنيه ربي، ألا! وإني ملاق ربي فأعني برجال ذوي نجدة ورأي، فلعلَّ ربي يدفع بهم عني بغي هؤلاء الظالمين الباغيين عليَّ والسلام)[1].

فقد وصف المسلمين الثائرين عليه من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة بالبغي والسفه والجهل والعدوان ناسياً أنه قد نقض العهود والمواثيق التي كانت بينه وبينهم. والصفات السابقة تلائم الشخص الذي ينقض العهود والمواثيق لا الأشخاص الذين يوفون بها. هذا من جانب، ومن جانب آخر قيامه بالكتابة إلى ولاته الظلمة لإعانته برجال ذوي نجدة ورأي بالإضافة إلى تجميعه السلاح وتجييش الجيوش من رقيق الخمس يدل على اتساع رقعة المعارضة لفساده المتفشي في جميع جوانب الحياة، ولم يبق معه إلا أفراد أسرته وبطانته التي بشمت من أموال المسلمين. وهم قلة قليلة إذا قورنوا بعدد المعارضين. ومن هؤلاء القلة زيد بن ثابت. فبعد حوار جرى بين عثمان والمسلمين الذين حاصروا بيته

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٦.

(سكت عثمان وتكلم زيد بن ثابت وكان إلى جانب عثمان، فقال: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله». قال: فصاح الناس به: يا زيد، إن عثمان قد أشبعك من أموال الأرامل ولا بد لك من نصره!!)[1].

فقد اتضح سبب نصرة أولئك النفر لعثمان. وهناك كلام لطيف لابن أبي الحديد حول خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في قتل عثمان: (فأما قوله: «غير أن من نصره» فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأن الذين نصروه كان أكثرهم فسَّاقاً، كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار)[2]. فالفساق من أمثال مروان بن الحكم وأضرابه لا ينصرون خليفة عادلاً بل ينصرون حاكماً ظالماً فاسداً.

وقد روى الطبري صورة رسالته إلى معاوية بهذه الألفاظ: (كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة. فابعث إليَّ من قبلك من مقاتله أهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربصَّ به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد علم اجتماعهم!!)[3].

فقد كفَّر أهل المدينة واتهمم بأنهم أخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة ناسياً أن تماديه في الفساد ونقضه للعهود والمواثيق هو السبب الذي جعل المسلمين المهضومة حقوقهم يثورون عليه.

ذكر ابن أعثم الكوفي قصة الكتاب الذي أرسله عثمان إلى واليه في مصر في حق أعضاء ورؤساء الوفد المصري (فلما قرأ محمد بن أبي بكر الكتاب رجع إلى المدينة هو ومن معه، ثم جمع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصة الكتاب. قال: فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر)[4].

---

(١) المرجع السابق: ج٢ ص٤١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٢٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص١١٥.

(٤) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٢.

لم يبق أحد بالمدينة المنورة إلا حنق على عثمان لفساده في قضية واحدة وفي موقف واحد، واشتد حنق ثلاث قبائل عليه في الموقف نفسه. فلا يمكن أن يسكت أهل المدينة عن فساده في المجالات الأخرى. وحنقهم جميعهم عليه في هذا الموقف يعطينا صورة عن حنقهم عليه في المواقف الأخرى.

بل وصل الأمر إلى أن ينضمَّ قسم من مؤيديه إلى صفوف المعارضة. فقد نقل الطبري حواراً بين عثمان وعمرو بن العاص، قال في نهايته (فخرج عمرو بن العاص من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان)[1].

فقد قام عمرو بن العاص بدور التحريض والتأليب على عثمان على جميع الأصعدة، ولم يترك وسيلة إلا استخدمها في تحريض المسلمين على عثمان، لكننا لم نجد أحداً من أتباع خط السقيفة لامه أو فسَّقه أو أسقط عدالته على دوره في التحريض، بل وجهوا لومهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته.

وخرج عمرو بن العاص من المدينة إلى الشام أثناء حصار عثمان، فبينا هو في قصره بالشام إذ (مرَّ به راكب آخر فناداه عمرو: ما فعل الرجل؟ يعني عثمان. قال: قُتل. قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها إن كنت لأحرض عليه، حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل!!)[2].

لقد بلغ الغاية في التحريض، ولم يلمه أتباعه على ذلك الفعل.

ثم أخذت الثورة ضد عثمان منحاً آخر، فقد التجأ الثوار إلى أسلوب التكفير. ولم يقتصر تكفير عثمان على فرد واحد حتى يحكم على ذلك التكفير بأنه رأي شخصي، بل تبنَّى ذلك الأسلوب عدد كبير من الصحابة. وقد نقل ابن أبي الحديد طرفاً من هذه الشهادات عندما قال: (فإن تكفير عمار وغير عمار له معروف، وقد جاءت به الروايات، وقد رُوي من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عماراً كان يقول: ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر وأنا الرابع، وأنا شرّ الأربعة، «ومن لم

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٨.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١٠٩.

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وأنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله)[1].

فقول ابن أبي الحديد (فإن تكفير عمار وغير عمار له معروف) يدل على أن عماراً لم يقم وحده بتكفير عثمان، بل شاركه آخرون في ذلك التكفير، وهذا التكفير من الجميع معروف ومشهور عند المسلمين. وقد أكدته الروايات العديدة، وروي من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة. وقد حدَّد عمار ثلاثة من الصحابة معه، كلهم يكفرون عثمان.

وقال ابن أبي الحديد: (وروي عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له: بأي شيء كفَّرتم عثمان؟! فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله)[2].

تأمل في قول المسلمين لزيد بن أرقم: (بأي شيء كفَّرتم عثمان؟!) بصيغة الجمع، ولم يقولوا له: بأي شيء كفَّرت عثمان؟! بصيغة المفرد. مما يدل على أن هناك عدداً كبيراً من المسلمين يكفِّرون عثمان، ولم يقتصر ذلك التكفير على زيد بن أرقم. وقد بيَّن زيد بن أرقم سبب تكفير المسلمين لعثمان.

ذكر ابن أبي الحديد: (وروي عن حذيفة أنه كان يقول: ما في عثمان بحمد الله أشك، لكني أشك في قاتله، لا أدري أكافر قتل كافراً، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله، وهو أفضل المؤمنين إيماناً!!)[3]. وهذه شهادة أخرى من أحد الصحابة الأجلاء في تكفير عثمان، وإنه لا يخالجه الشك في كفره.

لما شاع انحراف عثمان وسارت به الركبان كان أول من دعا إلى خلعه من أهل الكوفة عمرو بن زرارة بن قيس بن الحارث، (وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زرارة، فكتب إليه عثمان: إن ابن زرارة أعرابي جلف فسيِّره إلى الشام. فسيَّره وشيَّعه الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس وعلقمة بن قيس بن يزيد وهو عم الأسود

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص٥١.

(٣) المرجع السابق: ج٣ ص٥١.

والأسود أكبر منه، فقال قيس بن قهدان بن سلمة من بني البداء من كندة يومئذٍ:

أقسم بالله ربّ البيت مجتهداً أرجو الثواب به سرّاً وإعلانا
لأخلعنَّ أبا وهب وصاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفانا[1].

يقصد بقوله أبا وهب الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة. ولما جاء على ذكر عثمان فقد وصفه بـ (كهف الضلالة!!) وهي على غرار تكفير الصحابة له وإن اختلفت الألفاظ.

ومن الذين كفَّروا عثمان عائشة بنت أبي بكر. فقد روى سبط ابن الجوزي في تذكرته: (أخبرني عن عائشة لما كانت تحرض الناس على عثمان يوم الدار وتقول اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[2].

وقد روى الطبري نص الحوار بينها وبين عبد بن أم كلاب أثناء رجوعها من مكة إلى المدينة بعد فراغها من العمرة: (... قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالإجماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز. اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب. فقالت: والله ليت إن هذه انطبقت على هذه إن تمَّ الأمر لصاحبك!! ردوني ردوني. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً!! والله لأطلبنَّ بدمه!! فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر!!)[3].

فقد كانت عائشة في طليعة الثائرين على عثمان (فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت!!). وقد كانت تحرض المسلمين على قتله لأنه قد كفر (ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر!!).

وقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على عائشة بأنها كانت تكفِّر عثمان في رسالته التي بعثها إليها كما أوردها سبط ابن الجوزي: (... ثم إنكِ طلبت على زعمك دم عثمان. وما أنت وذاك؟! عثمان رجل من بني أمية، وأنت من تيم!! ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!! ثم

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٧١.
(٢) تذكرة الخواص: العلامة سبط ابن الجوزي ص٦٧.
(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٧٢.

تطلبين اليوم بدمه، فاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترك. والسلام)[1].

فتكفير عائشة لعثمان مشهور، وقد انتشر بين الناس كالنار في الهشيم.

وقال ابن أبي الحديد: (إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان، حتى إنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ، فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنته!!)[2].

فإن كانت صادقة في ادِّعائها بأن عثمان قد أبلى سنَّة رسول الله ﷺ، فالمؤمن الحقيقي لا يبلي سنَّة رسول الله ﷺ بل يحافظ عليها ويعمل بها.

وقال ابن أبي الحديد (لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بشراف، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً!!)[3]. والمؤمن الحقيقي لا يقال له بعداً وسحقاً.

وقال: (وقد روي من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، قالت: أبعده الله! ذلك بما قدَّمت يداه وما الله بظلام للعبيد)[4].

وقال: وروي من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله أبعده الله! قتله ذنبه وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه!!)[5].

فبعد هذا التكفير لعثمان والدعوة عليه وتشبيهه بعاقر ناقة النبي صالح عليه السلام لم نجد أحداً من أتباع خط السقيفة يكفِّر عائشة بسبب تكفيرها للخليفة الأموي.

اقتصرنا على هذه النماذج من الثوار الذين ثاروا على فساد عثمان وتركنا صوراً كثيرة من الانتقادات التي وجهت لعثمان، فمن أرادها فليراجع إليها في مظانها[6].

---

(١) تذكرة الخواص: العلامة سبط ابن الجوزي ص٧٦.
(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.
(٣) المرجع السابق: ج٦ ص٢١٥.
(٤) المرجع السابق: ج٦ ص٢١٦.
(٥) المرجع السابق: ج٦ ص٢١٦.
(٦) راجع: الغدير: الشيخ الأميني ج٩ ص٦٩ ـ ١٦٧، بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٦٩ ـ ٣٠٤.

الفصل الثاني:

الحصار الأول

لما رأى المسلمون الثائرون على فساد عثمان أن الاحتجاج السلمي والنصيحة له وتكفيره علانية لا يكفي التجؤوا إلى أسلوب أكثر عنفاً معه وهو الحصار لعله يكون العلاج الناجح للقضاء على فساده بعد أن جرَّبوا الوسائل الأخرى التي لم تجد نفعاً معه.

قال ابن الأثير: (في هذه السنة ـ سنة ٤٣ ـ تكاتب نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم بعضهم إلى بعض أن أقدموا فإن الجهاد عندنا. وعظم الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وليس أحد من الصحابة ينهى ويذب إلا نفر منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت. فاجتمع الناس فكلموا علي بن أبي طالب عليه السلام فدخل على عثمان فقال له: الناس ورائي، وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك ولا أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه..)[1].

فالذي قام بعملية المكاتبة لجمع المسلمين لمحاصرة عثمان هم الصحابة وغيرهم، واعتبروا القدوم من جميع الأقطار لمحاصرة عثمان نوعاً من الجهاد بل هو أولى من جهاد الكفار وفتح بلدانهم. وبسبب مكاتبة الصحابة لبعضهم البعض وقدومهم لمحاصرة عثمان هان عليهم ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد بسبب غرقه في الفساد حتى أخمص قدميه.

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٤٣، تاريخ الطبري ج٥ ص٩٦.

ولم يجد عثمان أحداً من الصحابة يذبّ عن فساده إلا نفراً يسيراً مثل زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت.

وقال الطبري: (لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور: إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمد ﷺ فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك. فهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه!!)[1].

وقال ابن أبي الحديد: (فلما تكاثرت أحداثه وتكاثر طمع الناس فيه، كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق: إن كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا فإن دين محمد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه. فاختلفت عليه القلوب وجاء المصريون وغيرهم إلى المدينة حتى حدث ما حدث)[2].

فالصحابة في المدينة المنورة وغيرهم هم الذين استدعوا بعضهم للمجيء إلى عاصمة الإسلام لخلع الخليفة الغارق في الفساد بعد أن أعيتهم الحيل، فقدموا إلى المدينة المنورة لإقامة دين محمد ﷺ وخلع خليفتهم الذي أفسد دينهم. وهذا العمل الجماعي قام به وجوه الصحابة وغيرهم ممن سكن المدينة المنورة لا كما تصور بعض الروايات المغرضة بأن هذا العمل قام به فرد واحد هو ابن السوداء.

قد ذكر ابن قتيبة كتاب الصحابة من المهاجرين وبقية الشورى إلى الصحابة والتابعين في مصر بسرعة القدوم إلى المدينة المنورة لخلع الخليفة الأموي الذي بدَّل كتاب الله وسنَّة رسوله. وهذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، من المهاجرين الأولين وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أما بعد، أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله قد بدّل، وسنة رسول الله قد غُيِّرت، وأحكام الخليفتين قد بدِّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين إلا أقبل إلينا، وأخذ الحق لنا وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٤٩.

فارقكم عليه نبيكم، وفارقكم عليه الخلفاء، غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء أكله)[1].

فالذي كتب الكتاب هم المهاجرون الأولون من الصحابة وبقية الشورى. وهذه الفئة محترمة عند أتباع خط السقيفة وهم عدول ومنزهون عن الكذب والاجتماع على الباطل. والجهة التي أُرسل إليها الكتاب هم الصحابة والتابعون المرابطون في مصر. ومحتوى الكتاب هو دعوة الصحابة والتابعين الموجودين في مصر للمجيء إلى عاصمة الإسلام لكي ينقذوا خلافة رسول الله ﷺ من جور الخليفة الأموي وفساده.

فالفئات التي دعت الى حصار عثمان معروفة، والفئات التي لبَّت الدعوة وشاركت في الحصار معروفة أيضاً وكلهم من الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان. وهدف الحصار واضح هو إنقاذ الخلافة الإسلامية من جور خليفة أمية وفساده. وهذا ما سيعيننا على معرفة أهداف المحاصرين بعد قليل.

يقول الطبري: (وفي هذه السنة ـ ٣٤هـ ـ تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه)[2]. بينما كان مؤرخو خط السقيفة يحدّدون هوية الثائرين على عثمان بأنهم من الصحابة والمهاجرين الأولين وبقية الشورى والتابعين نرى الطبري يطلق عليهم المنحرفين عن عثمان!! لهوى في نفسه.

قال ابن عبد ربه بروايته عن الأصمعي: (كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر عثمان أربعة: عبد الرحمن بن عديس التنوخي، وحكيم بن جبلة العبدي، والأشتر النخعي، وعبد الله بن فديك الخزاعي، فقدموا المدينة فحاصروه وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار حتى دخلوا عليه فقتلوه)[3].

وقال المسعودي: (لما كان سنة حمس وثلاثين سار مالك بن الحارث النخعي

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٣، الغدير: الأميني ج٩ ص١٦٢

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٩٢.

(٣) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٥.

من الكوفة في مائتي رجل، وحكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة، ومن أهل مصر ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وقد ذكر الواقدي وغيره من أصحاب السير أنه ممن بايع تحت الشجرة، إلى آخرين ممن كان بمصر مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وسعد بن حمران التجيبي، ومعهم محمد بن أبي بكر الصديق، وقدكان تكلم بمصر، وحرَّض الناس على عثمان)[1].

(واخرج البلاذري وغيره بالإسناد: التقى أهل الأمصار الثلاثة: الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخربة العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه، وقالوا: لا يسعنا الرضا بهذا، فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستمعوه، فإن أعتب، وإلا رأوا رأيهم فيه. ففعلوا ذلك)[2].

فقد كان سبب اجتماع مسلمي الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام مسيرة الفساد عند عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه.

(فلما حضر الوقت خرج الأشتر مع أهل الكوفة إلى المدينة في مائتين. وقال ابن قتيبة: أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل في أربع رفاق، وكان أمراؤهم هو وزيد بن صوحان العبدي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وعلى الجميع عمرو بن الأهتم، وخرج حكيم بن جبلة العبدي في مائة من أهل البصرة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وفيهم: ذريح بن عبَّاد العبدي، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرَّش ـ ابن المحترش ـ وقال ابن خلدون: وكلهم في مثل عدد أهل مصر أربع رايات. وجاء أهل مصر وهم أربع مائة، ويقال خمس مائة ويقال سبع مائة ويقال: ست مائة ويقال: ألف. وفي

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٤٣.

(٢) الغدير: الأميني ج٩ ص١٦٨.

شرح ابن أبي الحديد: كانوا ألفين. وكان فيهم: محمد بن أبي بكر وسودان بن حمران السكوني، وميسرة ـ ويقال قتيرة ـ السكوني، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وكان من رؤوسهم، وعليهم أمراء أربعة:

١ ـ عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي. على ربع.

٢ ـ عبد الرحمن بن عديس أبو محمد البلوي على ربع.

٣ ـ عروة بن شييم بن البياع الكناني الليثي على ربع.

٤ ـ كنانة بن بشر السكوني التجيبي على ربع.

وعليهم جميعاً: الغافقي بن حرب العكي، وكان يصلي بالناس في أيام الحصار. قال الطبري: كان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل الخزاعي، وكان من أصحاب النبي ﷺ وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي.

فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان ووثب معهم رجال من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار منهم: عمار بن ياسر العبسي وكان بدرياً، ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً، والحجاج بن غزية وكانت له صحبة، وعامر بن بكير وكان بدرياً أحد بني كنانة)[1].

فقد اجتمع آلاف المسلمين من جميع الأقطار على عثمان لحصاره، فلا يمكن أن يكون جميع أولئك باغين مخطئين.

أما ابن أعثم الكوفي فقد ذكر (في ذلك الوقت وصلت من مصر جماعة من الوجهاء يشتكون عاملهم ودخلوا إلى المسجد النبوي فرأوا عدة من المهاجرين والأنصار فسلموا عليهم فردوا عليهم السلام وسألوهم عن الأمر الذي دعاهم للحضور فقالوا: لقد جئنا استنكاراً لبعض الأعمال التي صدرت عن عاملنا. فقال لهم علي بن أبي طالب: لا تتعجلوا في أمركم وأخبروا الإمام ما تريدون مشافهة، وقولوا إن العامل كان يفعل ما يشاء بحسب رأيه وليس حسب أوامر الخليفة وأخبروه بكل الأمور التي تنكرونها عليه...)[2].

---

(١) الغدير: الأميني ج٩ ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤٠٤.

ثم قال: (حينئذٍ توجه المصريون إلى منزل عثمان وطلبوا الإذن عليه، فلما أذن لهم دخلوا وسلموا عليه فأكرم أمير المؤمنين مثواهم وقرَّبهم إليه ثم قال لهم: ما الذي جاء بكم؟ هل أنتم ناقمون على أحد حتى مللتم ثم جئتم بلا أمر مني أو من عاملكم، فاذكروا مطالبكم؟! فقال المصريون: لقد جئنا بسبب الأعمال غير المرضية التي ظهرت من عاملكم وجئنا لإنكارها كي تستدعيه وتسأله عنها...)[1].

إلى آخر الحوار الذي جرى بينه وبين الوفد المصري. ثم قال ابن أعثم: (وبعدما سمع عثمان كلام المصريين تغيَّر لونه وأطرق ساعة يفكر. ثم بعد ذلك رفع رأسه وخاطبهم: يا قوم لقد بالغتم وتكلمتم بكلام كثير لا أدري كيف أبدأ الجواب...[2].

ثم اتفق مع الوفد المصري على أن يكتب رسالة واحدة إلى أهل الكوفة وأخرى لأهل مصر على هذا النحو:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى جملة عماله ونوابه. أما بعد، فاعلموا أن الناس يتكلمون في حقي بكلام ينسبوني منه إلى الظلم وإنني لا أرضى أبداً بالظلم ولا أقبل بأن يقوم عمالي ونوابهم بأي عمل أو حكم لا يوافقوا أحكام الله. ثم أقسم عليكم بأن كل من يرى لي عليه حقاً ويرى لزوم طاعتي بمجرد اطلاعه على مضمون هذه الرسالة أن يتجه إليَّ في الحال وليحضر إلى المدينة لأتحقق من أحوالكم. فإن صدر عنكم أي جور أو ظلم أصلحته ثم أوليّ رجلاً أميناً عادلاً مكانه، وسأحافظ على حقوق الرعية كما يجب إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله)[3].

ولما بعث هذه الرسالة إلى مصر والكوفة أصبح كالباحث عن حتفه بظلفه. قال ابن أعثم: (فلما وصلت هذه الرسالة إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر وعلم الناس بمحتواها، كان الأشتر النخعي أول من وصل إلى المدينة ومعه مئة نفر من أهل

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤٠٤.
(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٤٠٥.
(٣) المرجع السابق: ج٢ ص٤٠٦.

الكوفة ثم تلاه حكيم بن جبلة من البصرة ومعه مئتان وخمسون رجلاً وبعده أبو عمرو بن يزيد بن ورقاء الخزاعي وعلقمة بن عديس البلوي وكنانة بن بشر التجيبي وسودان بن حمران المرادي مع أربعمائة رجل من أهل مصر. وقد اجتمعوا في المدينة. وقد اتصل بهؤلاء بعض المهاجرين والأنصار الذين كانت لهم بعض المآخذ على عثمان وتشاوروا حول عثمان فقر رأي الجميع على عزله من الخلافة وإلا فإنهم يقتلونه. وعلى هذا القرار اتفقوا ثم واجهوا عثمان بقرارهم فندم عثمان على دعوتهم وفزع منهم. ثم دخل منزله وأغلق بابه وصعد إليهم وكلمهم من السطح قائلاً: أيها الناس ماذا تريدون مني؟ وأي عمل من أعمالي لا توافقون عليه حتى أبدله؟ وما هو هدفكم حتى أحققه لكم وأحصل على رضاكم؟! فأجابوا: لقد حجزت عنا ماء المطر ومنعت مواشينا من ورود ذلك الماء... الخ)[1].

لقد استقر رأي الجميع على عزل عثمان من الخلافة وإلا سيكون مصيره القتل. وتأمل في قول ابن أعثم: (ثم واجهوا عثمان بقرارهم فندم عثمان على دعوتهم وفزع منهم، ثم دخل منزله وأغلق بابه وصعد إليهم وكلمهم من السطح).

هكذا تكون الشورى وهكذا يكون التواصل بين الخليفة والرعية عن طريق الأبواب المغلقة وفوق سطوح المنازل!!

بعد ذلك استشار عثمان الصحابة لكي يخرجوه من المأزق الذي وضع نفسه فيه ومن هؤلاء عبد الله بن عمر، وكانت خلاصة رأيه قوله (... فالرأي هو أن لا تقر مثل هذه البدع في الإسلام. ففي أي وقت يمكن لمجموعة من الناس أن يسخطوا على الخليفة ويعزلوه ويعينوا مكانه. احفظ القميص الذي ألبسك الله إيَّاه ولا تنزعه وقل لأولئك القوم: بيني وبينكم كتاب الله وسنَّة نبيه. وعلى كل حال لا أرغب في خلافكم فإن هم رضوا بذلك فبها ونعمت، وإلا فقد أديت ما عليك، وليكن من أمرهم ما يكون!! فوقع هذا الكلام من عثمان موقعاً حسناً)[2].

ومن هذه النصيحة نسجت الأساطير حول قميص عثمان الذي قمصَّه الله إياه. وهذا مبلغ نصيحة عبد الله بن عمر للإسلام والمسلمين!!

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤٠٦ ـ ٤٠٩.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص ٤٠٩.

ثم استدعى المغيرة بن شعبة وقال له: (اذهب إلى أولئك القوم واسترضهم، وتعهد لهم بأداء كل ما يطلبونه... فذهب إليهم وحين اقترب منهم صاحوا به: إرجع يا أعور، ارجع يا فاسق، ارجع يا فاجر!!)[1].

هكذا يكون الحكم والتواصل بين الخليفة والرعية، وهذه نماذج الصحابة الذين يعتمد عليهم الخليفة في المهمات العظيمة.

(ثم استدعى عثمان عمراً بن العاص وحمَّله إليهم الرسالة السابقة. فكان ردهم عليه أقبح وقالوا له: لا سلام عليك. ارجع يا عدو الله يا بن النابغة فلست عندنا بمأمون لا نثق بك!!)[2].

لقد ارتكب عثمان بن عفان الطرق الوعرة لحل الخلاف بينه وبين رعيته، فبدلاً من أن يحاور رعيته بنفسه أغلق عليه بابه وركب فوق سطح داره وبعث لهم الصحابة السيئين الذين لا يزنون عند الله جناح بعوضة لعلهم ينهون الخلاف بينه وبين رعيته التي ضجَّت من الظلم والجور.

قال ابن أعثم: (حينئذٍ قال عبد الله بن عمر: يا أمير المؤمنين، إن أولئك القوم لم يستمعوا إلا لعلي بن أبي طالب، فإن أرسلته إليهم يمكن أن يسمعوا كلامه فيطيعوا الأمر. قال: فأرسل عثمان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أبا الحسن أنت لهؤلاء القوم فادعوهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنَّة نبيّه واكفني مما يكرهون، فقال علي: إن أعطيتني عهد الله وميثاقه أنك توفي لهم بكل ما أعطيهم فعلت ذلك. فقال عثمان: نعم يا أبا الحسن. اضمن لهم عني جميع ما يريدون. قال: فأخذ عليّ عليه عهداً غليظاً وميثاقاً مؤكداً، ثم خرج من عنده فأقبل نحو القوم، فلما دنا منهم قالوا: ما وراءك يا أبا الحسن فإننا نجلّك. فقال: إنكم تعطون ما تريدون وتعافون من كل ما أسخطكم، ويولّي عليكم من تحبون ويعزل عنكم من تكرهون. فقالوا: ومن يضمن لنا ذلك؟ قال علي: أنا أضمن لكم ذلك. فقالوا: رضينا.

قال: فأقبل علي إلى عثمان ومعه وجوه القوم وأشرافهم، فلما دخلوا عاتبوه

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص ٤١٠.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص ٤١٠.

فأعتبهم من كل ما كرهوا. فقالوا: اكتب لنا كتاباً وأدخل لنا في هذا الضمان علياً بالوفاء لنا بما في كتابنا. فقال عثمان: اكتبوا ما أحببتم وأدخلوا في هذا الضمان من أردتم. قال: فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله عثمان بن عفان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصرة والكوفة وأهل مصر، أن لكم عليّ أن أعمل فيكم بكتاب الله عزّ وجلّ وسنَّة نبيّه محمد ﷺ وأن المحروم يعطى والخائف يؤمن والمنفي يردّ، وأن المال يردّ على أهل الحقوق، وأن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أهل مصر ويولى عليهم من يرضون.

قال: فقال أهل مصر: نريد أن تولي علينا محمد بن أبي بكر، فقال عثمان: لكم ذلك، ثم أثبتوا في الكتاب: وأن علي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين بالوفاء لهم بما في هذا الكتاب. شهد على ذلك الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وسهل بن جنيف وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين)[1].

وبهذه الوثيقة المكتوبة انتهى الحصار الأول. والجدير بالذكر أن يتأمل القاريء الكريم الشروط التي اشترطها الإمام علي عليه السلام على عثمان لإنهاء الحصار، وببركة هذه الشروط انتهى الحصار. كما ينبغي التأمل في قبول المصريين بوساطة أمير المؤمنين عليه السلام واحترامهم له ورفضهم لوساطة الصحابة الذين سبقوه. وفي هذا عبرة للمعتبر. كما ينبغي التأمل في قول عبد الله بن عمر: (إن أولئك القوم لم يستمعوا إلا لعلي بن أبي طالب، فإن أرسلته إليهم يمكن أن يسمعوا كلامه فيطيعوا الأمر!!) بينما هو يصرح بأفضلية أبي بكر وعمر وعثمان ويجعل أمير المؤمنين عليه السلام من عامة الصحابة. فاقرأ واعجب.

أما الطبري فقد روى قصة الحصار الأول كالتالي:

(خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا (ذا خشب)[2].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١٠ ـ ٤١١.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٠٩.

وقال: (فلما نزل القوم (ذا خشب) جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع)[1].

فلما رأى عثمان ما رأى وعرف هدف المسلمين الثائرين (جاء علياً فدخل عليه بيته فقال يا ابن عم إنه ليس لي مترك، وإن قرابتي قريبة، ولي حق عظيم عليك، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي، وأنا أعلم لك عند الناس قدراً، وإنهم يسمعون منك، فأنا أحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإني لا أحب أن يدخلوا عليَّ، فإن ذلك جرأة منهم عليَّ، وليسمع بذلك غيرهم. فقال عليّ: على ما أردهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به عليّ ورأيته ليّ، ولست أخرج من يديك. فقال عليّ: إني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة، فكل ذلك تخرج فتكلم ونقول وتقول وذلك كله فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية. أطعتهم وعصيتني. قال عثمان:؟ فإني أعصيهم وأطيعك!! قال: فأمر الناس فركبوا معه المهاجرون والأنصار...)[2].

من هذا الخبر نستشف الخوف والرعب الشديد الذي أخذ بمجامع قلب عثمان، وأن ألحق ليس في جانبه، ولو كان على حق لما خشي من رعيته، والتجاؤه الذليل إلى أمير المؤمنين عليه السلام خير شاهد على ذلك. وقوله: (أحب أن تركب إليهم فتردهم عني فإني لا أحب أن يدخلوا عليّ ... على أن أصير إلى ما أشرت به عليّ ورأيته لي ولست اخرج من يديك... فإني أعصهم وأطيعك...). يدعم ما ذهبنا إليه.

قال الطبري: (وركب عليّ عليه السلام إلى أهل مصر فردَّهم عنه فانصرفوا راجعين)[3]. وقال: (لما رجع عليّ عليه السلام إلى عثمان رضي الله عنه، أخبره أنهم قد رجعوا. وكلمه عليّ كلاماً في نفسه. قال له: اعلم إني قائل فيك أكثر مما قلت. قال: ثم خرج إلى بيته، قال: فمكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له: تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً!! فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص ١٠٩.

(٣) المرجع السابق: ج٥ ص ١١٠.

من لا تستطيع دفعه!! قال: فأبى عثمان أن يخرج. قال: فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرٌ، فلما تيقَّنوا أنه باطل ما بلغهم رجعوا إلى بلادهم!! قال: فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: اتق الله يا عثمان...)[1].

يا للفظاعة من هذا الكذب المفضوح!! لا عجب أن يقوم مروان بحمل عثمان على الكذب لأنه غصن كبير من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، لكن أن يقوم خليفة المسلمين بذلك الكذب المفضوح في وضح النهار وعلى ملأ المسلمين وعلى منبر رسول الله ﷺ وفي مسجده فذلك الذنب الذي لا يغتفر. وبهذا الكذب الذي افتعله عن قصد وسبق إصرار حكم على نفسه بسقوط عدالته إلى الحضيض، وأثبت تهمة الكذب على نفسه، كما أثبت على نفسه الظلم والجريمة تجاه المسلمين المصريين، وأن الثائرين المصريين على حق وأنهم مضطهدون منه ومن ولاته الظلمة. فبأي عذر سيدافع عن نفسه أمام الله عزّوجلّ في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة؟!

وقال الطبري في رواية أخرى: (ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإن البلاد قد تمخَّضت عليك فلا أمن ركباً آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا عليّ اركب إليهم ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذراً، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول يا عليّ اركب إليهم فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك. قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة. فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس، فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكني منتني نفسي وكذبتني، وضلَّ عني رشدي، ...الخ)[2].

فقد أقر بالخطأ والجريمة وتاب ظاهراً لكنه سرعان ما نقض توبته، فقد جاء

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١١١.

إليه مروان بن الحكم فقال له كما يقول الطبري: (يا أمير المؤمنين، أتكلم أم أصمت؟! قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبي أنت وأمي، والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين، وخلف السيل الزبى، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها!! وإنك إن شئت تقر بالتوبة ولم تقر بالخطيئة!! وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس!! فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلمهم فإني أستحي أن أكلمهم!! قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم؟! قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب!! شاهت الوجوه!! كل إنسان آخذ بإذن صاحبه إلا من أريد. جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا!! اخرجوا عنا، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم، فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا!!)[1].

(تأمل في قول مروان: (والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها!!). فهذه العبارة تدل على نفسية مروان الخبيثة ورقّة دينه. ولا تسأل عن المرء واسأل عن جليسه! وعلام يدل اجتماع الناس على باب عثمان مثل الجبال؟! ولماذا يستحي عثمان من أن يكلمهم؟! هذه أسئلة حائرة تدل على مصداقية عثمان ومدى لياقته لمنصب الخلافة. وتأمل في كلام مروان للمسلمين المحاصرين دار عثمان تعطينا صورة حقيقية لأغصان الشجرة الملعونة في القرآن كما ذكرها القرأن الكريم ووضّحها الرسول الأمينﷺ. فلا يصلح غصن من تلك الشجرة أن يكون خليفة للمسلمين.

وتأمل في قول نائلة ابنة الفرافصة لزوجها عثمان كما يرويها الطبري: (تتقى لله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه، فإن له قرابة منك وهو لا يُعصى...)[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص ١١٢.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١١٢.

هذا هو مروان وهذا دوره في الفتنة، وإن كان هناك لوم، فاللوم يوجه لعثمان الذي اتخذ له بطانة سوء من أمثال مروان وغيره من أفراد الأسرة الأموية التي حاربت الإسلام والمسلمين. وهذا نموذج من نماذج الصحابة السيئين الذين ليس لهم عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة. والعجيب في الأمر أن يكون هؤلاء النماذج من المحيطين بعثمان لا من العناصر الثائرة عليه.

وقال عبد الرحمن بن الأسود عن مروان (قبَّح الله مروان!! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر... ولأزيدنكم على الرضا ولأنحيَّن مروان وذويه. قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عما كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياء من الناس!!)[1].

فلو لم يكن عثمان ميالاً للظلم والجور لما استطاع مروان أو غير مروان أن يزجّه فيه. ومكوث عثمان في بيته ثلاثة أيام لم يخرج منه استحياء من الناس دليل على ظلمه وجوره ونكثه للعهود والمواثيق التي ألزم بها نفسه. كما تدل على عدالة مطالب الثائرين ومظلوميتهم.

لكن الثائرين المصريين لم يحاصروا دار عثمان إلا بعد أن ألقوا عليه الحجة. ذكر الطبري بروايته عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: (كتب أهل مصر (بالسقيا أو بذي خشب) إلى عثمان بكتاب فجاء به رجل منهم حتى دخل عليه فلم يرد عليه شيئاً فأمر به فأخرج من الدار. وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وكان من أصحاب النبي ﷺ، وإلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي)[2].

فقد سدَّ أبواب الصلح وأصرَّ على بغيه وعناده، فلم يرد على كتاب المصريين، وأمر بالشخص الذي أوصل الكتاب أن يطرد من الدار!! أما الكتاب الذي كتبه الثائرون المصريون فهذه صورته كما رواها الطبري:

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص ١١٢.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص ١١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فاعلم أن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم. فالله الله ثم الله الله. فإنك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ولا تلبس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا، واعلم إنا والله لله نغضب وفي الله نرضى، وأنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرَّحة أو ضلالة مجلّحة مبلجة. فهذه مقالتنا لك وقضيّتنا إليك. والله عذيرنا منك. والسلام)[1].

إلى هنا ينتهي الحصار الأول. وقد وجدنا فيه أن المسلمين الثائرين كانوا على حق، وأن عثمان بن عفان على باطل. مرة يغلق بابه دونهم، ومرة يكلمهم من فوق سطح منزله، ومرة يوسِّط هذا أو ذاك من الصحابة بدلاً من أن يواجه الثائرين وجهاً لوجه، ومرة يتوب وينقض التوبة، ومرة يكتب على نفسه كتاباً ثم لا ينفِّذ ما جاء فيه.

(١)تاريخ الطبري ج٥ ص١١٦.

الفصل الثالث:

الحصار الثاني

بدأ الحصار الثاني منذ أن اكتشف الوفد المصري المؤامرة الخبيثة التي دبرها عثمان ومروان بن الحكم في حق زعماء الوفد المصري، فرجعوا وأحاطوا بدار عثمان واشترك معهم في الحصار الصحابة وعدة قبائل حتى قتلوا عثمان.

قال ابن أعثم الكوفي: (فأخذ أهل مصر كتابهم وانصرفوا ومعهم محمد بن أبي بكر أميراً عليهم، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة وإذا هم بغلام أسود على بعير له يخبط خبطاً عنيفاً فقالوا: يا هذا! اربع قليلاً، ما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب، من أنت؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين عثمان وجهني إلى عامل مصر. فقال له رجل منهم: يا هذا!! فإن عامل مصر معنا. فقال: ليس هذا الذي أريد. فقال محمد بن أبي بكر: أنزلوه عن البعير، فحطوه فقال له محمد بن أبي بكر: أصدقني غلام من أنت؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين. قال: فإلى من أرسلت؟ قال: إلى عبد الله بن سعد عامل مصر. قال: وبماذا أرسلت؟ قال: برسالة. قال محمد بن أبي بكر: افمعك كتاب. قال: لا. قال: فقال أهل مصر: لو فتشناه أيها الأمير فإننا نخاف أن يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففتشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثيابه حتى عروه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت على راحلته إدواة فيها ماء فحركوها فإذا فيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج. فقال كنانة بن بشر التجيبي: والله، إن نفسي تحدّثني أن في هذه الإدواة كتاباً. فقال أصحابه: ويحك! ويكون كتاب في ماء؟ قال: إن الناس لهم حيل، فشقوا الإدواة فإذا فيها قارورة مختومة بشمع، وفي جوف القارورة

كتاب، فكسروا القارورة وأخرجوا الكتاب فقرأه محمد بن أبي بكر فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، أما بعد، فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء فاضرب عنقه صبراً، وأما علقمة بن عديس البلوى وكنانة بن بشر التجيبي وعروة بن سهم الليثي فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ودعهم يتشطحون في دمائهم حتى يموتوا، فإذا ماتوا فاصلبهم على جذوع النخل، وأما محمد بن أبي بكر فلا يقبل منه كتابه وشدَّ يدك به، واحتل في قتله، وقرَّ على عملك حتى يأتيك أمري إن شاء الله تعالى)[1].

فقد كان سبب الحصار الثاني هو التصرفات الحمقاء لعثمان أو مروان أو كليهما. فكيف جاز لعثمان أو كاتبه مروان أن يكتب تلك الرسالة الحمقاء التي تدل على عدم تدين كاتبها والآمر بها؟! وهذه الرسالة هي التي ألهبت نفوس الثوار المصريين والصحابة ومجموعة من القبائل العربية الأخرى ضد عثمان وبطانته الفاسدة.

قال ابن أعثم الكوفي: (فلما قرأ محمد بن أبي بكر الكتاب رجع إلى المدينة هو ومن معه، ثم جمع أصحاب النبي ﷺ وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصة الكتاب، قال: فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر)[2].

لقد عمل محمد بن أبي بكر خيراً عندما رجع مع أصحابه وجمع الصحابة وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصته. وقد تصرَّف التصرّف الصحيح عندما وضع الصحابة أمام مسؤولياتهم الدينية والقانونية تجاه خليفتهم الظالم الغادر الذي لا يؤمن مكره وغدره. وأمام هذا التصرف العقلاني (لم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر!!).

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١١ ـ ٤١٢.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٤١٢.

فالذي هيَّج قبائل بني هذيل وبني مخزوم وغفار على عثمان هو الذي كتب ذلك الكتاب الأخرق الذي يأمر فيه بضرب زعماء الوفد المصري بطريقة بشعة لا تتفق مع الشرائع السماوية ولا الأعراف الإجتماعية وسواء كان كاتب ذلك الكتاب هو عثمان أم مروان أم كلاهما، فالمسؤولية تقع على عاتقهما كما سنعرفه بعد قليل.

وقال الطبري حول قصة ذلك الكتاب: (. . . ففتشوه فوجدوا معه كتاباً في إدواة يابسة فنظروا في الكتاب فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في أنفسهم وأموالهم، فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة، فبلغ الناس رجوعهم والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها وثار أهل المدينة!!(١).

فذلك الكتاب هو الذي أثار أهل المدينة ضد عثمان وأرجع المسلمين من جيمع الآفاق لحصاره وقتله. فالذين أمروا بكتابة الكتاب وتوصيله لعامل عثمان في مصر هم الذين يتحملون نتائج هذا الحصار وتبعاته.

قال ابن أعثم: (ثم إن علياً أخذ الكتاب وأقبل حتى دخل على عثمان فقال له: ويحك لا أدري على ماذا أنزل؟! أستعتبك القوم فأعتبتهم بزعمك وضمنتني ثم أحقرتني وكتبت فيهم هذا الكتاب! قال: فنظر عثمان في الكتاب ثم قال: ما أعرف شيئاً من هذا!! فقال علي: الغلام غلامك أم لا؟ قال عثمان: بل هو والله غلامي، والبعير بعيري، وهذا الخاتم خاتمي والخط خط كاتبي!! قال عليّ رضي الله عنه: فيخرج غلامك على بعيرك بكتاب وأنت لا تعلم به؟ فقال عثمان: حيرتك يا أبا الحسن! وقد يشبه الخط الخط، وقد تختم على الخاتم، ولا والله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر. فقال عليّ: لا عليك فمن نتهم؟ قال: أتهمك وأتهم كاتبي. قال عليّ: بل هو فعلك وأمرك. ثم خرج من عنده مغضباً)(٢).

لقد أنكر عثمان مسؤوليته في كتابة الكتاب، وفي المقابل اعترف بأن الغلام غلامه والبعير بعيره والخاتم خاتمه والخط خط كاتبه. ثم يقول متبجحاً لأمير

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١٣.

المؤمنين عليه السلام :(أتهمك وأتهم كاتبي!!). فإن كان حقاً لا يعرف عن الكتاب شيئاً (ما أعرف شيئاً من هذا!!). فكيف عرف أن أمير المؤمنين كتب الكتاب واتهمه بذلك؟! (أتهمك أتهم كاتبي!!). وإذا كان قد عرف بأن الخط خط مروان (والخط خط كاتبي) فلماذا لم يجر تحقيقاً عادلاً حول ملابسات الموضوع؟! فقد تأكد لديه هوية الذي أوصل الرسالة وهو خادمه، وهو في متناول يديه، والذي كتب الرسالة وهو ابن عمه ومن رجال بلاطه وهو في متناول يديه. كما تعرف على الأدوات التي استخدمت في الجريمة وهي الجمل والخاتم وهما من مقتنياته الخاصة. لقد اتضحت لديه خيوط المؤامرة كلها ولم يجشّم نفسه بالقيام بالتحقيق العادل الذي يطفيء لهيب الثورة ضده، ولم يثبت للثائرين براءته من المؤامرة بالدليل المقنع. بل وجدناه يغلق ملف القضية دون تحقيق يذكر مما قوّى الظنون بأن له ضلعاً في المؤامرة. وإلا كيف يتجاهل قضية خطيرة كهذه وهو يعرف أنه سيدفع حياته ثمناً رخيصاً لها؟!

ومما يؤكد ذلك أن المصريين (عرفوا أنه خط مروان، وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان، فأبى وكان مروان عنده في الدار!! فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمر عثمان... إلا أن قوماً قالوا: لا نبريء عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله بغير حق، فإن يك عثمان كتبه عزلناه، وإن يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في أمره!!)[1].

فرفضه تسليم مروان الذي دارت حوله الشكوك يدل على أن له ضلعاً في المؤامرة من جانب وأنه لا يرغب في فتح تحقيق عادل في القضية من جانب آخر، حتى لا تكتشف جميع خيوط المؤامرة ويتضح للمسلمين من هم المجرمون الذين اشتركوا في تلك المؤامرة الدنيئة.

وقال المسعودي: (ارتفع الصوت وكثر الضجيج، وأحدقوا بداره بالسلاح وطالبوه بمروان فأبى أن يخلي عنه!!)[2]. فهذا التصرف غير العقلائي من عثمان

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٠٧.

(٢) مروج الذهب المسعودي ج٢ ص٣٤٤.

يدل على أن له ضلعاً في المؤامرة. وإلا كيف يقبل أن يحاط بيته بالسلاح من أجل المطالبة بتسليم المتهم ويرفض ذلك؟ فإذا لم يقبل بتسليم المتهم للمسلمين المصريين الثائرين عليه أن يفتح تحقيقاً عادلاً في القضية تحت إشرافه وأمام جميع المسلمين في المدينة. لكنه لم يفعل لا ذا ولا ذاك. مما يقوي الظنون بضلوعه في المؤامرة.

قال ابن أعثم: (ثم خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! لا تتهموني في هذا الكتاب ولا تظنوا أني كتبته، فإنكم إن قلتم ذلك أثمتم، فوالله ما كتبته ولا أمرت به..)[1].

فإذا كان فعلاً بريئاً من التهمة، فلماذا يرفض أن يجري تحقيقاً في القضية؟! ولهذا (وثب إليه كنانة بن بشر التجيبي فقال: يا عثمان! إننا لا نرضى بالصفة دون العمل، قد عاتبناك فاعتبتنا بزعمك فكتبت لنا بالوفاء إلى ذلك كتاباً وأشهدت شهوداً وأعطيتنا عهد الله وميثاقه، ثم إنك كتبت فينا ما كتبت! فقال عثمان: إني لم أكتب وقد حلفت لكم وليس يجب عليّ شيء هو أكبر من اليمين. فقال كنانة بن بشر: إننا لا نصدّقك على يمينك!!)[2].

فعثمان يعتبر أن الحلف كافٍ لإبعاد التهمة عن نفسه، كما أن الحلف كافٍ لإلغاء فتح ملف التحقيق في القضية وإبراء ذمته أمام الله عزّ وجلّ (وقد حلفت لكم وليس يجب عليَّ شيء هو أكبر من اليمين!!). وقد أصرَّ على موقفه بتلك الحجة، لكن هذه الحجة لم تنطل على المسلمين الثائرين. فقد قال أحد قادتهم وهو كنانة بن بشر: (إننا لا نصدّقك على يمينك!!).

يا للفظاعة!! خليفة المسلمين لا يصدق على يمينه!! فكيف يصدِّق على أحقيته بالخلافة؟!

وقال الطبري في الحوار الذي جرى بين المصريين وعثمان بعد اكتشاف المؤامرة (... قالوا فإنا لا نعجّل عليك وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمَّالك الفسَّاق، واستعمل علينا من لا يتَّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٤.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٤.

قال عثمان: ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم!! الأمر إذاً أمركم!! قالوا: والله لتفعلنّ أو لتعزلنَّ أو لتقتلنَّ، فانظر لنفسك أو دع. فأبى عليهم!! وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. فحصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلي بالناس)[1].

فقد كانت مطالب المصريين واضحة ومحددة ومعقولة، لكن الغرور قد ركب عثمان، ودخل الشيطان في منخريه وتفوَّه بكلام الفراعنة (ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم!! الأمر إذاً أمركم!!). وآثر الحصار والعزل والقتل على تنفيذ ذلك المطلب المشروع.

أين هذا الكلام من خطبته التي صوَّر فيها نفسه كالحمل الوديع (. . . فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستننَّ بسنة العبد، ولأذلن ذلّ العبد ولأكونن كالمرقوق إن مُلكَ صبر، وإن عُتقَ شكر!!)[2]. وقوله الآخر: (والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً قناً لأرضينَّ به!!)[3].

فأي الأقوال التي تصور عثمان على حقيقته بغير أقنعة؟ هل هو القول الأول (ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم..)؟ أم القولان الآخران: (لئن ردني الحق عبداً لأستننَّ . . . وقوله: والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً. . .)؟احتفظ بهذا حتى يأتيك بيانه بعد قليل.

وقال المصريون: (. . . إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك وأن ننصرف عنك، ولكنه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت. ولقد انصرفنا عنك في المرة الأولى وما نخشى أن تكتب فينا، ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطي من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه؟ فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الإنقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله!!)[4].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٧.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص ١١١.

(٣) المرجع السابق: ج٥ ص ١١٢.

(٤) تاريخ الطبري ج٥ ص١٢١.

موقف المصريين واضح وقوي مسنود بالحجج والبراهين، وموقف عثمان ضعيف ينقض قوله فعله.

وألقى هذا الكتاب بظلاله على عثمان، واتسعت دائرة المعارضة والاحتجاج لتكشف القناع عن حقيقة عثمان أمام جميع المسلمين، كما أن هذه المعارضة الشاملة كشفت عن عدالة مطالب المسلمين الثائرين ومشروعيتها. (فكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله. فلما خاف القتل شاور أصحابه وأهل بيته. فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم. فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى تأتيه أمداده!! فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل وهي [كذا: ولعل الصواب: وهم] محملي عهداً. وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان!! فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به!! فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك، فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم!!)[1].

دخل أهل المدينة على خط المواجهة بقوة ووقفوا مع المصريين الثائرين، فلم يجد عثمان مخرجاً من هذه الورطة إلا استشارة أصحابه وأهل بيته. لكن أي أصحاب؟ وأي أهل بيت؟ قال ابن أبي الحديد: (فأما قوله «غير أن من نصره» فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقاً، كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار!!)[2].

وقال ابن الأثير: (... وليس أحد من الصحابة ينهى ويذب إلا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت[3]. فأصحابه الذين استشارهم أقلية فسقة قد بشموا من نهب أموال المسلمين.

أما أهل بيته الذين استشارهم فيكفي أن القرآن الكريم وصفهم بالشجرة

---

(١) المرجع السابق: ج٥ ص ١١٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص١٢٨.

(٣) الكامل: ابن الأثير ج٣ ص٤٣، تاريخ الطبري ج٥ ص٩٦.

الملعونة في القرآن، وتاريخهم الأسود في محاربة الإسلام والمسلمين يعرفه كل إنسان صاحب ضمير حي. فماذا يترجى المسلم الغيور من مشورة أولئك الفسقة؟

ومضمون المشاورة تنبيء عن نفسية أصحابها، كما تنبئنا تلك المشورة الظالمة عن فسق أولئك المستشارين وعدم تديّنهم، بل هم عبيد الدنيا، وأنهم لا يريدون الصلح ولا إرساء العدالة. فقد أشار عليه أولئك الفسقة بـ(أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى تأتيه امداده!!).

لقد اتضح الهدف الخبيث لأولئك المستشارين الفسقة. فقد أشاروا على عثمان أن يأمر أمير المؤمنين عليه السلام برد المصريين الثائرين المظلومين ويعطيهم ما يرضيهم ظاهراً لا لأجل إنهاء الظلم والجور وبسط العدالة وإنما لكسب الوقت حتى يأتيه المدد والعون من ولاته الظلمة.

ربما يقول قائل أن هذا الهدف من المناورة لم يتبناه عثمان، وإنما تبناه أصحابه وأهل بيته. صحيح أن الاقتراح في البداية كان اقتراح أصحابه وأهل بيته، لكن عثمان قد عمل به ونفذه في النهاية. فقد كان في البداية متخوفاً من تنفيذه لما يتطلب من التزامات، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن هذه الخدعة بهذا الهدف الخبيث لا تنطلي على المصريين الثائرين لسابقته في النكث والغدر في هذا المجال. ولهذا قال لمستشاريه: (إن القوم لن يقبلوا التعليل وهي [كذا] محملي عهداً. وقد كان مني في مقدمتهم الأولى ما كان!! فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به!!).

لكن مروان لم يترك له فرصة في التردد، فقال له: (يا أمير المؤمنين، مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك!!) وفي النهاية قبل المشورة الظالمة وعمل بالجور وهو يعرفه، وارتضى أن يعمل بالباطل عن سبق وإصرار (فأرسل إلى عليّ فدعاه، فلما جاءه، قال: يا أبا الحسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت ولست آمنهم على قتلي فارددهم عني، فإن لهم الله عزّ وجلّ أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي!!).

فقد اعترف بغدره ونكثه في السابق، وها هو يعود مرة أخرى لمعسول الكلام الذي يستر من وراءه الغدر والنكث. كل ذلك من أجل كسب الوقت ليس إلا حتى يأتيه المدد من ولاته الظلمة!! فما الفرق بين أن يكون ذلك الاقتراح الجائر من عثمان أم من مستشاريه الظلمة؟!

بل ذنبه في ذلك أعظم من ذنب المستشارين، فلو كان في قلبه ذرة من الإيمان والعدل والإنصاف لما أقدم على تحقيق ذلك الهدف الجائر أكثر من مرة؟! وإذا كان ذنب المستشارين عظيماً فذنب الخليفة أعظم!!

لقد اتضحت الصورة الحقيقية لعثمان، وتساقطت عنه الأقنعة المزيَّفة. فقوله: (ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم!! الأمر إذاً أمركم!!). هو الذي يصوّر عثمان على حقيقته ويدعّم هذا الرأي قيامه بتطبيق مشورة مستشاريه الظلمة.

وقوله: (. . . فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستننَّ بسنة العبد، ولأذلن ذلّ العبد ولأكونن كالمرقوق إن مُلكَ صبر، وإن عُتقَ شكر!!). وقوله الآخر: (والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً قناً لأرضينَّ به!!)ما هو إلا خدعة الصبي عن اللبن، ودرّ الرماد على العيون!!

ولما عرض عثمان الوساطة على أمير المؤمنين عليه السلام (قال له عليّ: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضى، وقد كنت أعطيتهم في مقدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك، ثم لم تفِ لهم بشيء!! فلا تغرني هذه المرة من شيء، فإني معطيهم عليك الحق. قال نعم. فوالله لأفينَّ لهم!! فخرج عليّ إلى الناس فقال: أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه. إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه. قال الناس قد قبلنا فاستوثق منه لنا، فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل!! فقال لهم عليّ: ذلك لكم. ثم دخل عليه فأخبره الخبر. فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة!! فإني لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد. قال له علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام. قال عليّ: نعم. فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه. ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكفَّ المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس!! فلما مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيِّر شيئاً مما كرهوه، لم يعزل عاملاً ثار به الناس!!)[1].

لقد أسقط عنه آخر ورقة توت، وخلع آخر أردية الحياء، ونفض من قلبه آخر ذرة من الإيمان وكشف للناس وجهه الحقيقي، ومزَّق اقنعة الدجل والزيف التي تستَّر بها، وأظهر ما أضمره في قلبه من نكث وغدر وخيانة للمسلمين، وأظهر استهتاراً بالله العظيم في قسمه عندما قال: (فوالله لأفينَّ لهم!!) ثم لم يفِ لهم بشي، وبيَّن للناس استهتاره بالعهود والمواثيق المغلظة التي أخذت عليه مما يخدش إيمانه وعدالته، بل ينفي عنه الإيمان والعدالة، وأظهر تعطشاً للظلم والجور واستبسالاً في القتال للدفاع عن ذلك الظلم والجور بجمع السلاح وتجنيد رقيق الخمس، فلا حرج ولا عتاب على المسلمين إذ ثاروا عليه وقتلوه. فهو الذي جنى على نفسه كل تلك المآسي.

وبهذا النكث الأخير قطع الأمل في رفع الحصار، واستنفذ كلَّ فرص الغدر والخيانة بالمسلمين، واقتنع بأن أسلوب الغدر والنكث لا يجدي شيئاً بعد اليوم، فاستخدم آخر سلاح في جعبته وهو الحسم العسكري.

قال ابن أعثم الكوفي: (وخشي أن يعاجله القوم فيقتل، فكتب إلى عبد الله بن عامر بن كريز وهو الأمير بالبصرة وإلى معاوية بن أبي سفيان، وهو أمير الشام بأجمعها فكتب إليهم عثمان نسخة واحدة: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري ولم يرضهم شيء دون قتلي أو خلعي سربالاً سربلنية ربي، ألا!

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٧.

وإني ملاق ربي فأعني برجال ذوي نجدة ورأي، فلعلَّ ربي يدفع بهم عني بغي هؤلاء الظالمين الباغيين عليَّ والسلام)[1].

فقد وصف المسلمين الثائرين من أهل الكوفة ومصر ومعهم الصحابة من المهاجرين والأنصار بالبغي والسفه والجهل والعدوان ناسياً أو متناسياً انه قطع على نفسه العهود والمواثيق على أن يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل فاسد من عماله الظلمة فلم يف لهم بذلك. ولماذا هذا الحسم العسكري وقد كان الحل السلمي في متناول يدك فرفضته مراراً؟!

أما الطبري فقد روى رسالته إلى معاوية بهذا اللفظ: (لما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة. فابعث إليَّ من قبلك من مقاتله أهل الشام على كل صعب وذلول. فلما جاء معاوية الكتاب تربصَّ به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد علم اجتماعهم!!)[2].

من الذي كفر وأخلف الطاعة؟ الخليفة الذي حكم بالظلم والجور ودعَّم جوره وظلمه بالغدر والخيانة ونكث العهود والمواثيق؟ أم أهل المدينة الذين أرادوا اجتثاث ذلك الظلم والجور من أساسه؟! الحكم متروك لك أيها القاريء الكريم.

والشيء المبكي أن معاوية جزى عثمان جزاء سنمَّار. روى البلاذري: (لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق، وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها، ولا تتجاوزها ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب. قال: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذٍ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه. وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه)[3].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١٦، الغدير: الأميني ج٩ ص١٩١.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٥، الغدير: الأميني ج٩ ص١٨٩ ـ ١٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٦ ص١٥٤، أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص٢٣٩.

هذا جزاء الطغاة المتكبرين. فقد نصَّب معاوية على الشام يعيث فيها فساداً، ولما ضاقت عليه الأمور سلَّمه عند الوثبة.

وقال اليعقوبي: (كتب (عثمان) إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجه إليه في اثني عشرة ألفاً. ثم قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام، حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره، فأتي عثمان، فسأله عن المدّة، فقال قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله!! ولكنك أردت أن أقتل فتقول: أنا وليّ الثأر. ارجع، فجئني بالناس! فرجع فلم يعد إليه حتى قتل!!)[1].

هذا جزاء من يتخذ المضلين عضداً. لقد سخر منه في أحلك الظروف، وباعه بثمن بخس ليبني ملكه العضوض. ولا عجب من ذلك فكلاهما من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، ومن الملوك الجبابرة. (أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أريت بني أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء!!)[2].

وأما ابن قتيبة فقد ذكر كتاب عثمان إلى أهل الشام عامة وإلى معاوية وأهل دمشق خاصة بهذه الألفاظ: (أما بعد، فإني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر فيَّ، وقد خيَّروني بين أن يحملوني على شارف من الإبل إلى دخل (الدخيل)، وبين أن أنزع لهم رداء الله الذي كساني. وبين أن أقيدهم ممن قتلت. ومن كان على سلطان يخطيء ويصيب. فيا غوثاه يا غوثاه، ولا أمير عليكم دوني، فالعجل العجل يا معاوية، وأدرك ثم أدرك، وما أراك تدرك!!)[3].

لقد ارتكب عثمان الطرق الوعرة لكي يخلِّص نفسه من مستنقع الفساد الذي غرق فيه، لكن هيهات، أنَّى يصلح العطار ما أفسده الدهر!!

(وكتب عثمان كتاباً بعثه مع نافع بن طريف إلى أهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة، وابن عباس يخطب، وهو يومئذٍ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم، فقام نافع ففتح الكتاب، فقرأه، فإذا فيه:

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١٢٢.

(٢) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

(٣) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٤، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٢٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين، إلى من حضر الحج من المسلمين، أما بعد، فإني كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصور، أشرب من بئر القصر، ولا آكل من الطعام ما يكفيني، خيفة أن تنفد ذخيرتي، فأموت جوعاً أنا ومن معي، لا أدعى إلى توبة أقبلها، ولا تسمع مني حجة أقولها، فأنشد الله رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلا قدم عليَّ، فأخذ الحقَّ فيَّ، ومنعني من الظلم والباطل. قال: ثم قام ابن عباس فأتم الخطبة ولم يعرض لشيء من شأنه!!)[1].

من العجيب أن يطلب عثمان من حجاج بيت الله الحرام أن يأخذوا حقه من المسلمين المحاصرين بيته وأن يمنعوه من الظلم والباطل. وقد مرَّ عليك أيها القاريء الكريم من الذي نهب حقوق المسلمين وحكمهم بالظلم والباطل!!

لما كتب عثمان تلك الرسائل إلى ولاته الظلمة يطلب منهم المدد والعون، كانت تلك الرسائل الشرارة التي ألهبت نفوس المسلمين المحاصرين دار عثمان فضيَّقوا عليه الخناق حتى أدى إلى قتله. قال ابن أعثم: (وعلم أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل مصر ان عثمان قد كتب إلى أهل الشام وأهل البصرة يستنجدهم، فكبس عليهم فلجوا في حصاره ومنعوه من الماء!!)[2].

وروى الطبري: (كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين. فلما مضت من الأربعين ثماني عشرة قدم ركبان من الوجوه، فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق: حبيب من الشام، ومعاوية من مصر، والقعقاع من الكوفة، ومجاشع من البصرة فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء)[3].

ولم تقف عائشة مكتوفة اليدين فقد أدلت بدلوها وكان لها نصيب الأسد في تاليب الناس على عثمان. قال ابن أعثم الكوفي: (وكانت عاشئة تحرض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس! هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وبليت سنته. اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً!!)[4].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٤، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٢٨٤، الغدير: الأميني ج٩ ص١٩٢.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٧.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٢٦.

(٤) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢١.

وجاء مروان يخادع عائشة لعلها تقف مع عثمان فقال لها: (يا أم المؤمنين، لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس؟ قالت قد فرغت من جهازي وأنا أريد الحج. قال: فيدفع إليك بكل درهم أنفقته درهمين. قالت: لعلك ترى أني في شك من صاحبك؟! أما والله لوددت أنه مقطّع في غرارة من غرائري، وأني أطيق حمله فأطرحه في البحر!!)[1].

هذا هو موقف عائشة، وهذا مستوى حقدها تجاهه، وسنعرف أيها القاريء الكريم في مستقبل البحث كيف تحول هذا الحقد إلى حبّ؟!

وقال ابن أعثم الكوفي: (ثم إنها خرجت تريد مكة، فلقيها ابن عباس فقالت له: يا ابن عباس، إنك قد أوتيت عقلاً وبياناً فإياك أن ترد الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان، فإني أعلم أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. ثم إنها مضت إلى مكة وتركت عثمان على ما هو فيه من ذلك الحصار والشدَّة!!)[2].

فقد وصفت عثمان بالطاغية وحذَّرت ابن عباس أن يردّ الناس عن قتله، وتوقعت أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. فإذا كان عثمان طاغية كما تدَّعي، فكيف اعتبرته خليفة لها؟! وكيف تؤمن بخلافة خليفة طاغٍ؟! وإذا لم تكن تراه خليفة لها لطغيانه، فمن هو خليفتها؟ وإذا لم يكن لها خليفة في ذلك الحين فإيمانها عليه علامة استفهام!! لأنها ستموت ـ بهذا الحال ـ ميتة جاهلية.

أما الطبري فقد روى كلامها لابن عباس على النحو التالي: (خرج ابن عباس فمرَّ بعائشة في الصلصل فقالت: يا بن عباس، أنشدك الله فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد جمَّ. وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح!! فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضي الله عنه!! قال: قلت: يا أمّة لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: إيهاً عنك، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك!!)[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١٢٢.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٢.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٠.

فقد طلبت من ابن عباس أن يخذِّل الحجاج عن نصرة عثمان، وأن يشكك فيه الناس لا لشيء إلا لتهيئة الأسباب لخلافة ابن عمها طلحة!! (وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح!! فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر!!). هذا هو هدفها من تضييق الخناق على عثمان، ولما لم يتحقق هدفها قلبت ظهر المجن وحاربت أمير المؤمنين عليه السلام، مدَّعية المطالبة بدم عثمان الذي كفَّرته ووصفته بالطاغية وألَّبت الناس عليه. وتأمل في قولها: (وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح!!). فما الذي حدا بطلحة على أن يعمل مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن؟ وما هو هدفه من ذلك؟!

قال ابن قتيبة: (أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان!! ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه، وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه!!)[1].

قد اتخذ دور القائد في التحريض على عثمان، وطلب من الثائرين المحاصرين دار عثمان أن يمنعوا عنه الطعام والشراب، ولما لم يحقِّق هدفه من الحصول على الخلافة بعد عثمان تزعَّم جيش الناكثين وحارب إمام زمانه أمير المؤمنين عليه السلام بحجة المطالبة بدم عثمان الذي حرَّض الناس عليه ومنعه الطعام والشراب!!.

بينما يروي الطبري نقيض هذا الموقف لأمير المؤمنين عليه السلام. (عن حكيم بن جابر قال: قال علي لطلحة أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان. قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها!!)[2].

وذكر ابن أعثم أن عثمان أشرف على المحاصرين من جدار داره ثم قال: (أيها الناس، هل فيكم علي بن أبي طالب؟ قالوا: لا. فسكت ونزل. قال: وبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، وهو في منزله، فأرسل إليه بغلامه قنبر فقال: انطلق إلى عثمان فسله ماذا يريد؟ فجاء قنبر إلى عثمان فدخل وسلَّم ثم قال: إن مولاي أرسلني إليك يقول لك: ما الذي تريد؟ فقال عثمان: أردته أن يوجه إلى بشيء من

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٣٩.

الماء، فإني قد منعته وقد أضرَّني العطش وبمن معي في هذه الدار!! فرجع قنبر إلى عليّ فأخبره بذلك، فأرسل إليه عليّ ثلاث قرب من الماء مع نفر من بني هشام، فلم يتعرض لهم أحد حتى دخلوا على عثمان فأوصلوا إليه الماء. فشرب وشرب من كان معه في الدار!!)[1].

وبعد هذه الأيادي البيضاء لأمير المؤمنين عليه السلام تجاه عثمان، وهذه الخدمة التي قدمها لعثمان في أحلك الظروف تقول نائلة بن الفرافصة زوجة عثمان بدون حياء ولا خجل في رسالتها التي كتبتها إلى معاوية: (. . . وكان عليّ مع المحرِّضين من أهل المدينة!! ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به!! . . .)[2].

اقرأ واعجب من اتهام نائلة بنت الفرافصة. فإذا لم تكن جريئة في إظهار براءة أمير المؤمنين من التحريض على عثمان، فقد بيَّن مروان بن الحكم ذلك. قال مروان بن الحكم للإمام علي بن الحسين عليه السلام: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم ـ يعني علياً عن عثمان ـ!! قال: فقلت له: فما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك!!)[3].

فقد جزى بنو أمية أمير المؤمنين من دفاعه عن عثمان بأن سنَّوا سبه ولعنه على المنابر، ونشأت على تلك السنَّة المذمومة أجيال إلى أن اختطفتهم يد المنية وهم متمسكون بها، لأن حكمهم المشؤوم لا يستقيم إلا بذلك السبّ كما جزى بنو أمية وأتباعهم أمير المؤمنين بأن حاربوه في معركة الجمل بحجة الثأر لدماء عثمان التي سبَّبوا في سفكها. كما جزى بنو أمية أمير المؤمنين عليه السلام بأن منعوا أولاده وأهل بيته من ماء الفرات حتى قتلوا عطاشى في مجزرة كربلاء مكافأة له على توصيله ثلاث قرب من الماء لعثمان ومن معه في الدار!!

وذكر أبو مخنف: (واشتد عليه طلحة بن عبيد الله في الحصار، ومنع أن يُدخل

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤١٧.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٤، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٢٨٧.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٣ ص٩٩، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص١٨٤.

عليه الماء حتى غضب علي بن أبي طالب من ذلك، فأدخلت عليه روايا الماء)[1].

لكن أبناء عثمان وأفراد أسرته وبطانته الفاسدة تنكروا لهذا الصنيع وحاربوا أمير المؤمنين عندما انضووا في جيش الناكثين تحت قيادة طلحة الذي اشتد في الحصار، ومنع أن يُدخل الماء على عثمان!! وهذه من عجائب الدنيا التي لم ير الدهر لها مثيلاً.

وقال أبو مخنف: (وأخذ طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام مفاتح بيت المال)[2]. أما ابن أعثم الكوفي فقد ذكر: (قد كان طلحة بن عبيد الله قد استولى على حصار عثمان مع نفر من بني تيم، وبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى عليّ بهذا البيت:

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فـأدركـنـي ولـمـا أمـزَق[3].

وذكر ابن الأثير: (قيل إن علياً كان عند حصر عثمان بخيبر، فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة، وكان ممن له فيه أثر، فلما قدم عليّ أتاه عثمان وقال له: أما بعد فإني لي حق الإسلام، وحق الإخاء والقرابة والصهر، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في الجاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن ينتزع أخو بني تيم ـ يعني طلحة ـ أمرهم!! فقال له عليّ: سيأتيك الخبر. ثم خرج إلى المسجد فرأى أسامة فتوكأ علي يده حتى دخل دار طلحة وهو في خلوة من الناس، فقال له: يا طلحة، ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟ فقال: يا أبا الحسن بعد ما مسَّ الحزام الطبيين! فانصرف علي حتى أتى بيت المال فقال: افتحوه. فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب وأعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده، وسرَّ بذلك عثمان، وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين أردت أمراً فحال الله بيني وبينه!! فقال عثمان: والله ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً. الله حسيبك يا طلحة!!)[4].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٦.

(٢) المرجع السابق: ج١ ص٨٩.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٣.

(٤) الكامل: ابن الأثير ج٣ ص٥٧ ـ ٥٨. وانظر تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٤، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١١١.

تأمل في قول طلحة لعثمان: (يا أمير المؤمنين أردت أمراً فحال الله بيني وبينه!!) فقد أراد أن يجني ثمرة الحصار، ويستولي على مقاليد الأمور بعد عثمان.

وقد فطن عثمان لهذا الهدف، ولهذا قال لطلحة لما جاء معتذراً (والله ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً!!). ولما لم يتحقق له ذلك الهدف قاد جيش الناكثين، وحارب إمام زمانه وسفك الدماء البريئة، وزهق أرواح الآلاف من المسلمين الصالحين في جيش أمير المؤمنين، كما زهق آلاف الأرواح في جيشه جيش الضلالة والغواية لتحقيق حلمه القديم الذي لم يستطع تحقيقه أثناء حصار عثمان.

وقال أبو مخنف: (. . . ففرَّق عليّ الناس عن طلحة، فلما رأى ذلك طلحة دخل على عثمان فاعتذر!! فقال له عثمان: يا بن الحضرمية ألَّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي، حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً، لا قبل الله ممن قبل عذرك!!)[1].

لكن أبناء عثمان وأفراد أسرة بني أمية قبلو عذر طلحة ابن الحضرمية الذي ألَّب الناس على عثمان ودعا إلى قتله، وطاب لهم الانضمام في جيشه والانضواء تحت لوائه لقتال من أحسن إلى عثمان في محنته، فكافؤوا الإحسان بالإساءة!!.

وكان هدف طلحة من الوضوح إلى درجة أن عائشة قد صرَّحت به لابن عباس كما مرَّ علينا سابقاً (وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح!! فإن يل يسر بسيرة ابن عمه ابي بكر!!).

ولم تكتف عائشة بمعرفة أهداف طلحة، بل عملت جهدها لتحقيق تلك الأهداف. قال ابن أبي الحديد: (وروى المدائني في كتاب «الجمل» قال: لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بـ (شراف)، فلم تشك في ان طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً! إيه ذا الإصبع!! إيه أبا شبل!! إيه يا بن عم، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حثّوا الإبل ودعدعوها!!)[2].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١١٧ ـ ١١٨.

وقال: (قال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة، وهي تقول: إيه ذا الإصبع!! لله أبوك!! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً!!)[1].

وقال: (وروي من طرق أخرى: أنها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله!! قتله ذنبه!! وأقاده الله بعمله!! يا معشر قريش لا يسومنّكم قتل عثمان، كما سام أحمر ثمود قومه. إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع!! فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام، قالت: تعسوا تعسوا لا يردّون الأمر في تيم أبداً!!)[2].

فقد كانت أهداف طلحة واضحة لدى عائشة. وما قولها: (أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً!!) إلا دليل لا يقبل الشك في معرفتها بتلك الأهداف. وما قولها الآخر: (تعسوا تعسوا لا يردّون الأمر في تيم أبداً!!) إلا دليل على تأسفها وندمها على عدم تحقيق أهداف طلحة من ذلك الحصار.

ولم يقتصر معرفة أهداف طلحة من الحصار وتحريض المحاصرين على عثمان وعائشة فقط، بل فطن إلى تلك الأهداف سعد بن أبي وقاص حين كتب إلى عمرو بن العاص يسأله عن قتل عثمان، ومن قتله، ومن تولى كبره؟ فكتب إليه سعد: (إنك سألتني من قتل عثمان؟ وإني أخبرك أنه قتل بسيف سلَّته عائشة وصقله طلحة، وسمه ابن أبي طالب!! وسكت الزبير وأشار بيده . . . وأخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه، وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه!!)[3].

تأمل في قوله (وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه!!). فهذا هو هدفه من الحصار والتحريض على الحصار، ولما فاته تحقيق ذلك الهدف حاول تحقيقه مرة ثانية عندما قاد جيش الناكثين. كما سنعرفه في مستقبل البحث.

أما اتهام سعد بن أبي وقاص لأمير المؤمنين فلا دليل عليه إلا الحقد الأعمى في قلبه وقلب ولده عمر بن سعد الذي قاد جيش الغواية والضلال في كربلاء،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٦، انظر: نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٠.

(٣) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٧.

ويكفيه من ذلك الحقد أنه لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام بحجة واهية أوهن من بيت العنكبوت.

وقد بين طلحة أسفه الشديد في عدم تحقيق هدفه في الحصول على الخلافة والاستيلاء على مقاليد الأمور كما ذكر الطبري أثناء ذكره بيعة أمير المؤمنين عليه السلام: (فخرج إلى المسجد فبايعه من بايعه، وبايعت الأنصار علياً إلا نفيراً يسيراً. فقال طلحة: ما لنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب (كلحسة الكلب أنفه)!!)[1].

فهذا الأسف الشديد بهذه الألفاظ الساخرة تدل على تطلعه الشديد للإمارة التي من أجلها قاد الناس في الحصار.

وقد روى ابن عبد ربه عن ابن عوف عن ابن سيرين أنه قال: (لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أشد على عثمان من طلحة!!)[2]. وبعد كل ذلك يتباكى على عثمان رياءً ونفاقاً، ويطلب بلا حياء ولا خجل من أمير المؤمنين أن يسلمه قتلة عثمان، بدلاً من أين يسلِّم نفسه للقصاص في محكمة العدل تحت الإشراف القضائي لأمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر البلاذري: (وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار!!)[3]. فهذا الاستيلاء على أمر الناس وتلك الزعامة ليست لوجه الله، وإنما الغرض من ذلك تحقيق هدفه الشخصي في حب الإمارة التي لو استطاع أن يشق بطنه من أجلها لشقه!!

كان طلحة لا يقيم وزناً لعثمان أثناء الحصار. (مرَّ مجمَّع بن جارية الأنصاري بطلحة بن عبيد الله فقال: يا مجمَّع ما فعل صاحبك؟ قال: أظنكم والله قاتليه! فقال طلحة: فإن قتل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل!!)[4]. هذا الاستخفاف بعثمان لم يدم طويلاً، فبعد أيام لما عرف أن الأمور خرجت من يديه قلب الدنيا من أجل عثمان ولم يقعدها لحد الآن.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٥٣، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٩، أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١٢٣.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١١٣، أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١١٢.

(٣) أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١٠٩.

(٤) أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١١٣.

وروى ابن أبي الحديد: (أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنّعاً بثوب استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام!!)[1].

وروي أيضاً: (أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوّروا منها على عثمان دراه فقتلوه!!)[2].

إن كان عثمان يستحق الرمي بالسهام، فلماذا تقنعت بثوبك واستترت به يا طلحة؟! وإن كان لا يستحق لبراءته، فلماذا لا تسلم نفسك لأولاده يقتصون منك في محكمة العدل العلوية؟!

ولماذا ساعدت الثائرين وأصعدتهم إلى السطح فتسوروا على عثمان فقتلوه؟! فإن كان عثمان يستحق ذلك، فلماذا خرجت للمطالبة بدم شخص يستحق القتل؟! وإن كان عثمان لا يستحق القتل، فلماذا أصعدت الثائرين فتسوروا عليه فقتلوه؟! ولماذا قدت جيش الناكثين وأنت مطلوب للعدالة؟! هذه أسئلة حائرة تحتاج إلى إجابة، نوكلها لأتباع عثمان الذين يحترمون القاتل والمقتول والظالم والمظلوم!!

اشتد الحصار بعثمان، فتفتقت ذهنية بطانته بأخر حلّ لإنقاذه من قبضة الحصار الذي بدا كأنه لا نهاية له. قال ابن أعثم: (أقبل سعيد بن العاص على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين! أرى لك من الرأي أن تخرج على القوم وأنت ملبٍّ كأنك تريد الحج، فإني أرجو أن لا يتعرضوا لك إذا نظروا إليك ملبياً، ثم تأتي مكة، فإذا أتيتها لم يقدم عليك أحد بما تكرهه. فقال عثمان: لا والله لا أختار على هذه المدينة التي اختارها الله تعالى لرسوله محمد ﷺ)[3].

تأمل في قوله: (. . . أن تخرج على القوم وأنت ملبّ كأنك تريد الحج!!) فليس المقصود الذهاب إلى أداء مناسك الحج حقيقة، وإنما للخدعة حتى تكون وسيلة للهرب من بطش الثائرين!! لكن أنى لهذه الخدعة أن تمر على الثائرين دون

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١١٤، شرح النهج: ج٩ ص٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٦، أحاديث أم المؤمنين عاشئة: السيد مرتضى العسكري ص١١٤.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٢.

أن يلتفتوا إليها. فهذا الحجاج بن غزية الأنصاري أحد بني النجار يقول: (والله لو لم يبق من عمره إلا ما بين الظهر والعصر لتقربنا إلى الله بدمه!!)[1].

قال ابن أعثم: (قال له سعيد بن العاص الثقفي: يا أمير المؤمنين! فإني أخبرك بثلاث خصال فاختر واحدة، قال عثمان: وما ذاك؟ قال: إما أن تقاتل القوم وتجاهدهم فنقاتل معك حتى نفني أرواحنا. قال عثمان: ما أريد ذلك. قال: فتركب نجائبك حتى تأتي الشام، فإن بها معاوية وهو ابن عمك وبها شيعتك وأنصارك. قال عثمان: والله لا أريد ذلك. قال: فأقلك على نجائبي حتى أقدم بك البصرة فإن بها قوماً من الأزد، وفيهم معروف لي وهم لي شاكرون. فتنزل بين أظهرهم فيمنعوك. فقال عثمان: لا والله لا خرجت من المدينة كائناً من ذلك ما كان)[2].

لكن المحاصرين لا يدعون عثمان يخرج من الدار لأي سبب كان. فقد روى أبو مخنف: (حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يُدخل عليه، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يُحرم ويلبِّي ويخرج فيأتي مكة فلا يقدم عليه. فبلغهم قوله فقالوا: والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه!!)[3].

لقد انسدَّت أمام عثمان كل الطرق ولم تنجح معه كل الحلول.

لقد اشتركت طوائف كثيرة وشرائح متنوعة من المسلمين لمحاصرة عثمان والإحاطة بداره. فهذا ابن قتيبة يقول: (فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرِّض الفريقين جميعاً على عثمان. ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه، وهو يدخل إليه الطعام والشراب!!)[4].

وذكر عثمان في رسالته لعبد الله بن عامر ومعاوية بن أبي سفيان الشرائح والفئات التي حاصرته وطوقت بيته: (بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفة وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري...)[5].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٧.
(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٢.
(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٦.
(٤) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٥٧.
(٥) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٦، الغدير: الأميني ج٩ ص١٩١.

ورسالته الأخرى لمعاوية كما رواها الطبري: (بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة...)[1].

وقال ابن أعثم: (وعلم أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل مصر أن عثمان قد كتب إلى أهل الشام وأهل البصرة يستنجدهم، فكبس عليهم فلجوا في حصاره ومنعوه من الماء!!)[2].

وذكرت نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان في رسالتها التي كتبتها إلى معاوية تصف فيها مقتل عثمان والفئات التي اشتركت في حصاره وقتله: (... وإن أهل المدينة حصروه في داره، يحرسونه ليلهم ونهارهم، قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء!! يحضرونه الأذى... وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر... فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل، وطوائف من مزينة وجهينة، وأنباط يثرب، ولا أرى سائرهم، ولكني سمَّيت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره، ثم إنه رُمي بالنبل والحجارة...)[3]. إلى آخر رسالتها.

وقال المدائني عن أبي مخنف ومسلمة بن محارب: (كتبت نائلة بين الفرافصة امرأة عثمان إلى معاوية كتاباً تخبر فيه بأمر عثمان ومقتله، وتعلمه أن أهل مصر أسندوا أمرهم إلى علي بن أبي طالب وابن أبي بكر وعمار بن ياسر، فأمروهم بقتله، وأن فيمن حصره خزاعة بن بكر وهذيلاً وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب...)[4].

أما قولها بأن علي بن أبي طالب ممن أمر الثائرين بقتل عثمان فهذا كذب وبهتان من هذه المرأة.

لما اكتشف محمد بن أبي بكر الكتاب الذي كتبه عثمان بضرب عنقه وعنق رؤساء الوفد المصري (رجع إلى المدينة هو ومن معه، ثم جمع أصحاب النبي ﷺ

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١١٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٧.

(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٤.

(٤) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٦.

وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصة الكتاب. قال: فلم يبق بالمدينة أحد إلا حنق على عثمان، واشتد حنق بني هذيل خاصة عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل صاحبهم عمار بن ياسر، وكذلك غفار لأجل صاحبهم أبي ذر!!)[1].

ولما وصلت رسائل عثمان إلى ولاته يدعوهم فيها إلى المجيء إلى المدينة للتحقيق في أحوالهم، سمع أهل الكوفة والبصرة ومصر فأسرعوا مقبلين (وقد اجتمعوا في المدينة، وقد اتصل بهؤلاء بعض المهاجرين والأنصار الذين كانت لهم بعض المآخذ على عثمان، وتشاوروا حول عثمان فقرَّ رأي الجميع على عزله من الخلافة وإلا فإنهم يقتلونه!! على هذا القرار اتفقوا، ثم واجهوا عثمان بقرارهم فندم عثمان على دعوتهم وفزع منهم، ثم دخل منزله وأغلق بابه وصعد إليهم وكلمهم من السطح...)[2].

ذكر الأميني عن ابن عساكر في تاريخه: (كان أبو مسلم الخولاني التابعي في المدينة فسمع مكفوفاً يقول: اللهم العن عثمان وما ولد!! فقال: يا مكفوف! ألعثمان تقول هذا؟! يا أهل المدينة! كنتم بين قاتل وخاذل، فكلا جزى الله شراً، يا أهل المدينة! لأنتم شرّ من ثمود، إن ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله، وخليفة الله أكرم عليه من ناقته!!)[3].

وقال شعبة: (ما رأيت رجلاً أوقع في رجال أهل المدينة من القاضي أبي اسحاق سعد «بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني الزهري المتوفي سنة ١٢٥» ما كنت أرفع له رجلاً منهم إلا كذَّبه!! فقلت له في ذلك. فقال: إن أهل المدينة قتلوا عثمان!!)[4].

وروى البلاذري عن المدائني عن عبد الله بن فائج إنه قال: نظر ثابت بن عبد لله بن الزبير إلى أهل الشام، فقال: إني لأبغضهم. فقال سعيد بن خالد بن

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٢.
(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٠٦.
(٣) الغدير: الأميني ج٩ ص١٥٩.
(٤) المرجع السابق: ج٩ ص١٥٨.

عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك. قال: صدقت، قتل أبي علوج الشام وجفاته، وقتل جدَّك (عثمان) المهاجرون والأنصار!!)[1].

من هذه الشواهد العديدة التي ذكرناها رأينا شرائح عديدة وفئات مختلفة شاركت في حصار عثمان وقتله. فعلام يدل ذلك؟ نوكل الجواب لفطنة القاريء.

وتضاربت الأقوال في عدد أيام الحصار. وقد جمع الأميني تلك الأقوال المتضاربة وحصرها فقال: (وقع في عدّ أيام حصار عثمان خلاف بين المؤرخين. فقال الواقدي: حاصروه تسعة وأربعين يوماً. وقال الزبير: حاصروه شهرين وعشرين يوماً. وفي رواية: إنهم حصروه أربعين ليلة. وقال ابن كثير: استمرَّ الحصر أكثر من شهر وقيل: بضعاً وأربعين. وقال الشعبي: كانت مدته اثنتين وعشرين ليلة. وفي رواية للطبري: كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين. وفي بعض الروايات: حصروه عشرين يوماً... إلى أقوال أخرى. ولعلَّ كل منها ناظر إلى ناحية من مدَّة ايام الحصارين أو مدة أحدها، ومن مدة نزول المتجمهرين حول داره، ومن أيام ضاق عليه الخناق، ومنع من إدخال الماء عليه، وحيل بينه وبين اختلاف الناس إليه، ومن حصار الثائرين عليه من الأمصار، ومن إصفاق أهل المدينة معهم على الحصار. إلى تأويلات أخرى يتأتى بها الجمع بين تلكم الأقوال)[2].

---

(١) الغدير: الأميني ج٩ ص١٥٧.

(٢) الغدير: الأميني ج٩ ص١٨٩.

الفصل الرابع:

النهاية المأساوية

روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي أيضاً، قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: والله إني لأنظر إلى طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم وبيده الرمح يجول حول الدار وكأني أنظر إلى بياض ما وراء الدرع)[1].

(وروى أبو إسحاق قال: لما اشتد بعثمان الحصار عمل بنو أمية على إخراجه ليلاً إلى مكة وعرف الناس ذلك فجعلوا عليه حرساً، وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله، وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان!!)[2].

وروى الطبري: (قال محمد وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن أبي حفصة قال: لما كان يوم الخميس دلّيت حجراً من فوق الدار فقتلت رجلاً من أسلم يقال له (نيار). فارسلوا إلى عثمان أن أمكنا من قاتله. قال: والله ما أعرف له قاتلاً!! فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران، فلما أصبحوا غدوا فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا، قد فتح له من دار آل حزم ثم دخلت الشعل على أثره تنضح بالنفط، فقاتلناهم ساعة على الخشب، وقد اضطرم الخشب، فأسمع عثمان يقول لأصحابه: ما بعد الحريق شيء، قد احترق الخشب واحترقت الأبواب!!)[3].

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ص١٤٦.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٢٣.

فالذي أنهى حالة الحصار وأشعل القتال هو أبو حفصة عندما قتل (نياراً) ورفض عثمان أن يسلّمه للمحاصرين ليقتصوا منه!! والاعتراف سيد الأدلة. وتأمل في قول عثمان: (والله ما أعرف له قاتلاً!!) وسيأتيك بيانه.

وروى الطبري بسنده عن (محمد بن عمرو، حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه عن أبي حفصة اليماني قال: كنت لرجل من أهل البادية من العرب، فأعجبته يعني مروان فاشتراني واشترى امرأتي وولدي، فأعتقنا جميعاً. وكنت أكون معه، فلما حُصر عثمان رضي الله عنه شمَّرت معه بنو أمية، ودخل معه مروان الدار. قال: فكنت معه في الدار. قال: فأنا والله أنشبت القتال بين الناس!! رميت من فوق الدار رجلاً من أسلم فقتلته، وهو نيار الأسلمي) فنشب القتال ثم نزلت، فاقتتل الناس على الباب، وقاتل مروان حتى سقط فاحتملته فأدخلته بيت عجوز وأغلقت عليه، وألقى الناس النيران في أبواب دار عثمان فاحترق بعضها. فقال عثمان: ما أحترق الباب إلا لما هو أعظم منه!!)[1].

فالذي أنشب القتال هو أبو حفصة اليماني عن سبق وإصرار، وقد اعترف بذلك، والباديء أظلم.

وروى الطبري: (لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضي الله عنه، وأبى إلا الإقامة على أمره، وأرسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم، فقام رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: (نيار بن عياض)، وكان شيخاً كبيراً، فنادى: يا عثمان، فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم!! فبينا هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم!! وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتل (نيار بن عياض) فلنقتله به. فقال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي!! فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه!!)[2].

فهذا الصحابي الشيخ الكبير قد نصح عثمان بن عفان بالاعتزال كحل للخروج من الأزمة بينه وبين المسلمين، وفي هذه الأثناء رماه رجل من أصحاب عثمان

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١٢٤.

بسهم فقتله، أو بحجر فقتله كما في الروايتين السابقتين، وعثمان فوق سطح داره يرى ذلك ولم ينكر. وهذا خلاف قوله في الرواية الأولى: (والله ما أعرف له قاتلاً!!) فكيف لا يعرف له قاتلاً والقتل وقع على ذلك الصحابي الشيخ الكبير أثناء حواره معه؟!

ثم تأمل في قوله: (لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي...!!) وهذا اعتراف بأنه يعلم بالقتل ويعرف القاتل وهو خلاف قوله في الرواية الأولى: (والله ما أعرف له قاتلاً!!). هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يريد أن يطبق مبدأ القصاص لأن المجرم والمعتدي من بطانته وأصحابه. وبهذا العناد الخاطيء الذي تمسك به ساعد على إشعال الثورة ضده.

أما من هو الذي أنشب القتال بين المحاصرين وأصحاب عثمان؟ فقد قال الطبري في الرواية الأخيرة: (...وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي...) بينما يقول في الرواية الثانية والأولى عن أبي حفصة اليماني: (أنا والله أنشبت القتال بين الناس!! رميت من فوق الدار رجلاً فقتلته... وقوله الآخر: دليت حجراً من فوق الدار فقتلت رجلاً...) فالإعتراف سيد الأدلة، لا الزعم الذي لا يرقى إلى درجة اليقين. وسواء كان الذي أنشب القتال بين المسلمين المحاصرين دار عثمان وبطانة عثمان هو أبو حفصة اليماني أم كثير بن الصلت الكندي، فكلاهما من بطانة عثمان، والذي نفَّذ الجريمة هو الذي يتحمل وزر نشوب القتال، كما يتحمل عثمان المسؤولية أيضاً لرفضه القصاص من المذنب، كما أنه محور العملية كلها بسبب فساده المالي والإداري والقضائي كما بيناه في الباب الأول.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: رأيت طلحة يرمي في أهل الدار وهو في خرقة وعليه الدرع وقد كفَّر عليها بقباء، فهم يرامونه فيخرجونه من الدار، ثم يخرج فيراميهم حتى دخل عليهم من قبل دار بن حزم فقتل!!)[1].

هذا دور طلحة في محاصرة عثمان والهجوم عليه. وقال الطبري (... فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصاري باب داره وهو إلى جنب دار

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي جد٣١ ص٤٩١.

عثمان بن عفان، ثم نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا، وخُلّي لهم عن باب الدار فخرجوا هُرَّباً في طرق المدينة، وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه، وقتل عثمان رضي الله عنه)[1].

لقد اشترك جار عثمان وهو عمرو بن حزم الأنصاري في القتال ففتح باب داره ونادى المحاصرين ودخلوا على عثمان من باب داره. أما بطانة عثمان فقد هربوا في طرق المدينة.

وقال أبو مخنف: (وجاء رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري ثم الزرقي بنار في حطب فأشعلها في أحد البابين فاحترق وسقط وفتح الناس الباب الآخر واقتحموا الدار)[2]. فالأنصار لهم دور في القتال.

ولما قُتل عثمان بقي ثلاثة أيام مطروحاً لم يقدم أحد على تجهيزه. وروى الطبري بسنده عن أبي بشر الغابدي قال: (نُبذ عثمان رضي الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن!!، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزّى، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كلّما علياً في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ففعل، وأذن لهم عليّ، فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له (حش كوكب)، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم!! فلما خرج به على الناس رجموا سريره، وهموا بطرحه!! فبلغ ذلك علياً فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفنَّ عنه ففعلوا!! فانطلق به حتى دفن رضي الله عنه في (حش كوكب)، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين)[3].

لم يجرؤ أحد على دفن عثمان لولا قيام حكيم بن حزام وجبير بن مطعم بالتوسط لدى أمير المؤمنين عليه السلام بدفنه، وقد نبذ ثلاثة أيام، ولما عرف الصحابة ذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة ورجموا سريره، فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام الأمر

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٢٥.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٧.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٣.

فأرسل إليهم ليكفنَّ عنه ففعلوا!!، ولم يجد أهله له مكاناً إلا مقبرة اليهود!! وسيحشر يوم القيامة من مقبرة اليهود!!

وقال ابن أعثم الكوفي: (ثم أمر عليّ بدفن عثمان، فحمل وقد كان مطروحاً على مزبلة ثلاثة أيام حتى ذهبت الكلاب بفرد رجليه، فقال رجل من المصريين وأمة: لا ندفنه إلا في مقابر اليهود!! قال حكيم بن حزام: كذبت أيها المتكلم! لا يكون ذلك أبداً ما بقي رجل من ولد قصي. قال: فحمل عثمان رحمة الله عليه على باب صغير قد جازت رجلاه من الباب، وأن رأسه ليتقعقع، وأوتي به إلى حفرته، فتقدم حكيم بن حزام فصلى عليه، ودفن في بقيع الغرقد)[1].

لما قتله المسلمون الثائرون لم يتركوه في بيته بل رموه على المزبلة ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب إحدى رجليه!! وهذا درس لمن اعتبر. لقد وصلت الكراهية والبغض لهذا الرجل في حياته وبعد قتله إلى درجة لا تطاق. بحيث رماه المسلمون على المزبلة ثلاثة أيام، ومنعوا من دفنه، ولما رأوا جماعته يحملونه على باب صغير رموا الجنازة بالحجارة!! فلم يحصل حتى على نعش يليق به.

وروى الطبري: (ولم يغسَّل عثمان، وكُفِّن في ثيابه ودمائه، ولا غُسِّل غلاماه!!)[2]. فلم يستطع أهله أن يغسلوه أو يكفنوه. وهذا منتهى الإهانة. فالغسل والتكفين حق من حقوق المسلم الميت على المسلمين. فلماذا لم يقم المسلمون وفي مقدمتهم الصحابة بذلك الحق؟ نوكل الجواب لفطنة القاريء.

فلم يقتصر التهام الكلاب على إحدى رجلي عثمان فقط، بل التهمت غلاميه اللذين قتلا معه!! (فأخرجوهما فارموا بهما، فجرَّ بأرجلهما فرمي بهما على البلاط فأكلتهما الكلاب!! وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار يقال لهما نجيح وصبيح، فكأن أسماؤهما الغالب على الرقيق!!)[3].

هذا مصير من دافع عن عثمان، ولو وجد عثمان من يدافع عنه لما طُرح في المزبلة ثلاثة أيام، ولما التهمت الكلاب الشاردة إحدى رجليه كما التهمت

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٤٤.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٤.

غلاميه. وهذه مهانة ما بعدها مهانة. ولو كانت الأحاديث التي نسجت حول عثمان صحيحة وسمعها المسلمون لما تركوه بهذه الحالة المهينة حياً وميتاً، وإنما تلك الأحاديث نسجت حوله في ايام معاوية وبأمر منه!!

قال الطبري: (حدثني الحارث قال: حدثني ابن سعد، قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أويس، قال: حدثني عم جدي الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه، قال: كنت أحد حملة عثمان رضي الله عنه حين قتل، حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإن بنا من الخوف لأمراً عظيماً حتى وارياه في قبره في «حش كوكب»)[1].

فلم يجد مشيعوه إلا باباً صغيراً، ورأسه يقرع الباب لإسراعهم به، وهم خائفون من ذلك خوفاً عظيماً حتى واروه في قبره في مقبرة اليهود. لكن ما منشأ ذلك الخوف؟! لقد كانوا خائفين من الصحابة والثائرين الذين اشتركوا جميعاً في حصاره وقتله، وهذا إن دلَّ على شيء، يدل على قيمة عثمان ومكانته في المجتمع الإسلامي. فدفنه بتلك الكيفية البائسة تدل على مدى قيمته ومكانته بين المسلمين!!

وروى الطبري: (عن عبد الله بن ساعدة قال: لبث عثمان بعدما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه، ثم حمله أربعة: حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، ونيار بن مكرم، وأبو جهم بن حذيفة. فلما وُضع ليصلى عليه جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه، فيهم أسلم بن أوس بن بحرة الساعدي، وأبو حية المازني، في عدة، ومنعوهم أن يدفن في البقيع!! فقال أبو جهم: ادفنوه!! فقد صلى الله عليه وملائكته. فقالوا: لا والله، لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً!! فدفنوه في (حش كوكب). فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك (الحش) في البقيع، فهو اليوم مقبرة بني أمية!!)[2].

لم يجد عثمان أحداً يحمل نعشه الذي هو عبارة عن باب صغير إلا أربعة!! أين كان المسلمون في ذلك الوقت؟ أين وجوه الصحابة والمهاجرين؟ ولماذا لم نجد لهم حضوراً في هذه الجنازة؟ وعلام يدل تغيبهم؟! ولماذا منع الأنصار دفن عثمان؟ وعلام يدل ذلك المنع؟! لقد أكد الأنصار على تصميمهم في منع عثمان

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٤.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٤.

من أن يدفن في مقابر المسلمين بالقسم (لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً!!). ألم يكن مسلماً؟! فإذا كان عثمان مسلماً، فلماذا لا يدفن في مقابر المسلمين؟! وإذا لم يكن مسلماً فلماذا اختير خليفة للمسلمين؟!

هذا التصميم الشديد للأنصار في منعهم عثمان من أن يدفن في مقابر المسلمين يحمل من الدلالات الشيء الكثير، كما أن غياب وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار عن جنازة عثمان يحمل من الدلالات الشيء الكثير أيضاً.

وتأمل في الوقت الذي اختير أن يدفن فيه عثمان. روى الطبري: (عن يسار بن أبي كرب عن أبيه، وكان أبو كرب عاملاً على بيت مال عثمان. قال: دفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم، وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة، فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل نعثل!! وكادت ترجم!! فقالوا: الحائط الحائط!! فدفن في حائط خارجاً)[1].

فاختيار هذا الوقت له دلالة من أجل التخفي عن أعين المسلمين، ومع ذلك فقد تنبه لهم بعض الأنصار ومنعوهم من دفنه في مقابر المسلمين. ومما يؤكد ذلك قول أحدهم: (وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به!! وإن بنا من الخوف لأمراً عظيماً!!). فكيف لو قاموا بدفنه في وضح النهار؟! فبقاؤه على المزبلة ثلاثة أيام، والتهام الكلاب إحدى رجليه دليل على أنهم لم يجرؤوا على القيام بدفنه في وضح النهار خوفاً من غضب المسلمين، فاستغلوا ذلك الوقت (بين المغرب والعتمة) لانشغال المسلمين بصلاة العشائين من جانب، ولوجود الظلام الذي يساعد على التخفي من جانب آخر. كما أنهم لم يجرؤوا على دفنه في ذلك الوقت إلا بعد أن أخذوا الإذن من أمير المؤمنين عليه السلام. ولولا تدخل أمير المؤمنين عليه السلام وأذنه لما تجرؤوا على الاقتراب من جنازته. وبقاؤه على المزبلة ثلاثة أيام يؤكد ذلك.

وقال ابن قتيبة: (ذكروا أن عبد الرحمن بن أزهر قال: لم أكن دخلت في شيء من أمر عثمان، لا عليه ولا له. فإني جالس بفناء داري ليلاً بعدما قتل عثمان بليلة

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٤٣.

إذ جاءني المنذر بن الزبير. فقال: إن أخي يدعوك فقمت إليه، فقال لي: إنا أردنا أن ندفن عثمان، فهل لك. قلت: والله ما دخلت في شيء من شأنه، وما أريد ذلك، فانصرفت عنه، ثم اتبعته، فإذا هو في نفر فيهم: جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة، والمسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول: طق طق!! فوضعوه في موضع الجنائز. فقام إليهم رجال من الأنصار، فقالوا لهم: لا والله لا تصلون عليه. فقال أبو الجهم: ألا تدعونا نصلي عليه، فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته. فقال له رجل منهم: إن كنت فأدخلك الله مدخله. فقال له: حشرني الله معه. فقال له: إن الله حاشرك مع الشياطين، والله إن تركناكم به لعجز منا. فقال القوم لأبي الجهم: اسكت عنه وكف، فسكت، فاحتملوه، ثم انطلقوا مسرعين كأني أسمع وقع رأسه على اللوح، حتى وضعوه في أدنى البقيع، فأتاهم جبلة بن عمر الساعدي من الأنصار، فقال: لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله، لا نترككم تصلون عليه. فقال أبو الجهم: انطلقوا بنا، إن لم نصلي عليه فقد صلى الله عليه، فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان، معها مصباح في حق، حتى إذا أتوا به (حش كوكب) حفروا له حفرة، ثم قاموا يصلون عليه، وأمهم جبير بن مطعم، ثم دلوه في حفرته، فلما رأته ابنته صاحت. فقال ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنَّ الذي فيه عينيك. فدفنوه ولم يلحدوه بلبن، وحثوا عليه التراب حثواً!!)[1].

فالدفن كان ليلاً (فإني لجالس بفناء داري ليلاً . . .). (فخرجوا ومعهم عائشة بن عثمان، معها مصباح في حق. . .) مما يؤكد أن اختيار هذا الوقت للتخفي عن أعين المسلمين، كما منعوهم من الصلاة عليه. وفي هذا الموقف دلائل كثيرة. وقول الراوي: (فدفنوه، ولم يلحدوه بلبن، وحثوا عليه التراب حثواً!!) دليل على مأساة عثمان حياً وميتاً. فرجل هذه قيمته، وهذا قدره عند المسلمين، فكيف يكون خليفة للمسلمين؟! أين مصداق كلامك يا عبد الرحمن بن عوف عندما قلت: (إني نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان!!)؟![2].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٤ ـ ٦٥.

(٢) المرجع السابق: ج١ ص٤٥.

الباب الثالث:

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام

بعدما قتل المسلمون عثمان، وتركوه مطروحاً على المزبلة ثلاثة أيام، اتجهت أنظارهم إلى مبايعة خليفة جديد. فلم يجدوا رجلاً كفءاً لمنصب الإمامة غير أمير المؤمنين عليه السلام، لإيمانه الصادق، وسبقه للإسلام، وكفاءته، فضلاً عن الآيات العديدة والأحاديث النبوية الشريفة التي تبيِّن إمامته وولايته في الأمة. فاتجهت القلوب والأبصار تجاه أمير المؤمنين عليه السلام عدا بعض أصحاب النفوس المريضة، وهم قلَّة، ممن يأبون أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم. وقد تذرَّعوا بأعذار واهية، فاستحبوا العيش بلا بيعة في أعناقهم. كما استحبوا العمى على الهدى. وسنتعرض لهم ولحججهم في فصول هذا الباب.

الفصل الأول:

المبايعون

روى الطبري بسنده عن (محمد بن الحنفية قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان رضي الله عنه. فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بد للناس من إمام!! ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك!! لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ. فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً. فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك!! قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين. قال سالم بن أبي الجعد، فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه، وأبى هؤلاء إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس)[1].

فلم يجد المسلمون أحداً أحق بالخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام لسبقة إلى الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ، كما أنهم أصروا على بيعته، ولم يقبلوا بأحد سواه. وتأمل في قول ابن عباس: (فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس!!). لقد أخذ المهاجرون والأنصار زمام المبادرة في البيعة، ثم تبعهم باقي الناس. فما عذر من تخلَّف عن بيعته؟!

وروى الطبري بسنده عن أبي بشير العابدي قال: (كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٢.

علياً، فقالوا: يا أبا حسن، هلّم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا والله. فقالوا: ما نختار غيرك!! قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان رضي الله عنه مراراً ثم أتوه في آخر ذلك. فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة. وقد طال الأمر. فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم، وإني قائل لكم قولاً، إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه. فقال: إني قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم. ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك)[1].

فالذين اجتمعوا لمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام هم المهاجرون والأنصار. وقد ذهبوا إليه مراراً للبيعة وأصرّوا عليه، وقد اشترط عليهم أن يقبلوا قوله حتى يقبل أن يتقلّد أمورهم، وقد وافقوا على قبول قوله بدون تردد أو تحفظ. وهذا دليل على أن خلافته كانت عن رضى من المسلمين، وما امتناع بعض الأشخاص من ذوي النفوس المريضة عن البيعة إلا خلل في عقيدتهم عندما أحبوا أن يبقوا بدون بيعة في أعناقهم.

ولم يرض بعض الصحابة بالبيعة فقط، بل وقفوا خطباء يشيدون بأمير المؤمنين عليه السلام نيابة عنهم وعن قومهم، يبيّنون فضله وأحقيته بالخلافة. ذكر اليعقوبي في تاريخه: (قام قوم من الأنصار فتكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار. فقال: والله يا أمير المؤمنين، لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك)[2]. فهذا المدح والإطراء لأمير المؤمنين والتلميح لغيره دليل على فرحة الأنصار بالخليفة الجديد، وفرحتهم بالخلافة الجديدة.

ثم (قام خزيمة بن ثابت، الأنصاري، وهو ذو الشهادتين: فقال: يا أمير

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١٢٤.

المؤمنين! ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك، فلأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك!!)[1].

فهذا المدح والتمجيد بأمير المؤمنين يقطع حجج الذين رفضوا البيعة بدون سبب يعتمدون عليه.

وروى اليعقوبي: (وقام صعصعة بن صوحان فقال: والله، يا أمير المؤمنين، لقد زيَّنتَ الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها!![2].

فخليفة بهذه الصفات الجليلة التي زيّنت الخلافة من الحمق التنكر لبيعته أو رفضها بحجج واهية أوهن من بيت العنكبوت.

وقال اليعقوبي: (ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال: أيّها الناس، هذا وصي الأوصياء وارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن الغناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ورسوله بجنة الرضوان. من كملت فيه الفضائل ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر، ولا الأوائل!!. ثم قام عقبة بن عمرو. فقال: من له يوم كيوم العقبة، وبيعة كبيعة الرضوان، والإمام الأهدى الذي لا يخاف جوره، والعالم الذي لا يخاف جهله!!)[3].

تأمل في قول الأشتر: (هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء...) فشخص بهذه المكانة السامية من الوصية ووراث علم الأنبياء لجدير بالمسلمين أن يتسابقوا إلى بيعته. وتأمل في قول عقبة بن عمرو في حق أمير المؤمنين عليه السلام (الإمام الأهدى الذي لا يخاف جوره، والعالم الذي لا يخاف جهله). ففيه تعريض بأصحاب الجور والظلم الذين سبقوه، وبأصحاب الجهل الذين تقدموا عليه. أما أمير المؤمنين عليه السلام فهو بريء من الجور والجهل.

وذكر أبو مخنف في كتاب «الجمل»: (أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، لينظروا من يولّونه أمرهم، حتى غصَّ المسجد بأهله، فاتفق رأي عمار وأبي الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع، ومالك بن عجلان وأبي

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١٢٤.
(٢) المرجع السابق: ج٢ ص١٢٤.
(٣) المرجع السابق: ج٢ ص١٢٤.

أيوب خالد بن يزيد على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، وكان أشدهم تهالكاً عليه عمَّار، فقال لهم: أيها الأنصار، فقد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم، وإن علياً أولى الناس بهذا الأمر، لفضله وسابقته. فقالوا: رضينا به حينئذٍ. وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين: أيها الناس، إنا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله وإن علياً من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه، ولا أولى به. فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل. وقاموا كلهم، فأتوا علياً عليه السلام، فاستخرجوه من داره، وسألوه بسط يده، فقبضها فتداكّوا عليه تداك الإبل الهيم على وردها، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً. فلما رأى منهم ما رأى، سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس. وقال: إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر. فنهض الناس معه حتى دخل المسجد، فكان أول من بايعه طلحة. فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوّفت ألا يتم له أمره، لأن أول يد بايعته شلّاء، ثم بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد الله بن سلام)[1].

فالأنصار والمهاجرون هم الذين اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله لينظروا من يولّونه أمرهم. تأمل في قوله: (حتى غص المسجد بأهله!!) مما يدل على أن قسماً كبيراً من المهاجرين والأنصار قد حضروا البيعة. والذين تخلفوا عن البيعة نفر يسير لا قيمة لهم أمام هذا الحشد الكبير من الصحابة. وقد أخذ عمار بن ياسر وأبو الهيثم بن التيهان ورفاعه بن رافع ومالك بن عجلان وأبو أيوب خالد بن يزيد زمام المبادرة، واتفقوا على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة. وقد خطب فيهم عمار بن ياسر، فعرض بعثمان وسيرته، وأشاد بأمير المؤمنين عليه السلام، فقال المهاجرون والأنصار: (رضينا به حينئذٍ). ثم تلكم أصحاب زمام المبادرة عن فضل أمير المؤمنين وجدارته، فقال الناس بأجمعهم: (قد رضينا، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل!!). فقد أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٧. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٤ ص٨. وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٥.

المؤمنين عليه السلام برضاهم وبرغبة منهم دون إكراه. ولم يشذ عن هذه البيعة إلا نفر يسير لا قيمة لهم، فلم يضروا إلا أنفسهم، وقد كشفوا بتخلفهم عن البيعة حقيقة إسلامهم ومدى هشاشته. فأي عذر سيقدمون أمام الله عزّ وجلّ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدرو؟!

وتأمل في قوله واصفاً تهالك الناس على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام: (فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على وردها، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً...) هذا التصرف من المهاجرين والأنصار يدل على مدى حبهم ورغبتهم في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن جرَّبوا ثلاث نماذج من الخلافة قبله فلم يتداكوا عليها كتداكهم على خلافته. هذا من جانب، ومن جانب آخر يعرِّي هذا التصرف المتقاعسين عن بيعة أمير المؤمنين ويفضح هشاشة إسلامهم، ويصوّرهم بصورة من لا يرغب في إمامة إمام عادل نزيه وهذا ما سنعرفه لاحقاً.

قال ابن أعثم الكوفي: (وبلغ أهل الكوفة قتل عثمان وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقامت الناس إلى أميرهم أبي موسى الأشعري. فقالوا: أيها الرجل! لم لا تبايع علياً وتدعو الناس إلى بيعته فقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ فقال أبو موسى: حتى أنظر ما يكون وما يصنع الناس بعد هذا. قال: فأنشأ رجل من أهل الكوفة أبياتاً مطلعها:

أبايع غير مكتتم علياً وإن لم يرض ذاك الأشعريا

إلى آخره.

قال: وأقبل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري، فقال: يا أبا موسى! ما الذي يمنعك أن تبايع علياً؟ فقال: أنتظر الخبر، قال: وأي خبر وقد قتل عثمان؟ أتظن أن يرجع إلى الدنيا؟ إن كنت مبايعاً لأمير المؤمنين وإلا فاعتزل أمرنا. ثم أنشأ أبياتاً مطلعها:

إن ابن عفان إذ أودى بشقوته طغى فحلَّ به من ذلكم غير

إلى آخره. قال: ثم ضرب هاشم بن عتبة بيده على الأخرى وقال: لي شمالي ويميني لعلي بن أبي طالب. فلما قال هاشم ذلك وثب أبو موسى الأشعري فبايع ولم يجد بداً من ذلك. قال: وبايعت أهل الكوفة علياً رضي الله عنه بأجمعهم، وأنشأ هاشم بن عتبة أبياتاً مطلعها:

أبـايـعـه فـي الله حـقـاً ومـا أنـا أبـايـعـه مـنـي اعـتـذاراً ولا بـطـلا

إلى آخره. قال: فبايعت أهل الحجاز وأهل العراقين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه)[1].

فقد كان أهل الكوفة من السبَّاقين إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، بعد المهاجرين والأنصار وإن تلكأ واليهم أبو موسى الأشعري، وما عمله هاشم بن عتبة بن أبي وقاص كان خيراً عندما حسم الأمر، عندما بايعت شمالُه يمينه. وأخذ البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام. وقطع الطريق على أبي موسى الأشعري. وبهذا التصرف الحازم (بايعت أهل الكوفة علياً رضي الله عنه بأجمعهم!!). كما بايع أهل الحجاز وأهل العراقين لأمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن أعثم الكوفي: (وبلغ ذلك أهل اليمن فبايعوا طائعين غير مكرهين، ثم إنهم قدموا عليه يهنونه بالخلافة، فأول من قدم عليه رفاعة بن وائل الهمداني في قومه من همدان وهو يقول أبياتاً:

نـسـيـر إلـى عـلـيّ ذي الـمـعـالـي بـخـيـر عـصـابـة يـمـنٍ كـرام

إلى آخره. قال: وقدم عليه كيسون بن سلمة الجهني في قومه جهينة وأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

أجـبـنـا عـلـيـاً بـعـل بـنـت نـبـيـنـا على كل خنذيذ من الخيل سابح

إلى آخره. قال ثم قدم عليه رويبة بن وبر البجلي في قومه من بجيلة، وأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

أجـبـنـاه دون الـهـاشـمـي سـوابـخ ومـوَّاه بـرق مـقـفـرات مـوادخ

إلى آخره[2].

دخل أهل اليمن في بيعة أمير المؤمنين فبايعوا طائعين غير مكرهين، وتوافدت عليه وفود همدان وجهينة وبجيلة فبايعهم وأكرمهم. ولم يتخلَّف عن بيعته إلا نفرٌ قليل، وأهل الشام.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٨.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٤٣٩.

الفصل الثاني:

الرافضون لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام

روى الطبري بسنده عن عبد الله بن الحسن قال: (لما قُتل عثمان رضي الله عنه بايعت الأنصار علياً إلا نفيراً يسيراً منهم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة. كانوا عثمانية!! فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة عليّ وكانوا عثمانية؟ قال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع. وأما زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حُصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصاراً لله مرتين. فقال أبو أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان!! فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة (مزينة) وترك ما أخذ منهم له!!)[1].

فالذين تخلفوا عن بيعة أمير المؤمنين كانوا من العثمانية، من الذين ربطوا مصيرهم بمصير عثمان من جانب، ومن الذين بشموا من نهب أموال المسلمين وصدقاتهم من جانب آخر. ولهذا السبب لا يترجى منهم أن يبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال الطبري: (حدثني من سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً. ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة)[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٣.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١٥٤.

فهروب القوم إلى الشام دليل على أنهم أمويو النزعة والهوى. فالذي يترك أمير المؤمنين ولا يبايعه ويلتجأ إلى الشام إلى معاوية بن أبي سفيان المتمرد على إمام زمانه دليل على انسلاخه من الدين وأنه من أصحاب الدنيا لا من أصحاب الدين.

وقال الطبري: (بايع الناس علياً بالمدينة، وتربَّص سبعة نفر فلم يبايعوه، منهم: سعد بن أبي وقاص ومنهم ابن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن وقش وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم)[1].

فلم يضرّ تربص هؤلاء أحداً إلا أنفسهم، وقد غدوا مضرب المثل للناس الذين رفضوا الحق وتمسكوا بالباطل.

وقال ابن أعثم: (أقبل عمار بن ياسر إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد بايعوك طائعين غير كارهين، فلو بعثت إلى أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك فدعوتهم ليدخلوا فيما دخل فيه الناس من المهاجرين والأنصار! فقال علي رضي الله عنه: إنه لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا!!)[2].

فالذي لا يأتي بنفسه للبيعة لا فائدة ترجى منه، وهذا ما سيعرفه القاريء الكريم عندما نتعرض لحججهم ومبرراتهم الواهية التي تذرعوا بها عندما رفضوا البيعة ليتأكد القاريء الكريم من هشاشة إسلامهم، وضعف ارتباطهم بالدين، وإن نسجت حولهم الأساطير.

قال أبو مخنف: (فأمر بإحضار عبد الله بن عمر، فقال له: بايع. قال: لا أبايع حتى يبايع جميع الناس!! فقال له عليه السلام: فأعطني حميلاً ألا تبرح. قال: ولا أعطيك حميلاً!! فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين! إن هذا قد أمن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه. فقال: لست أريد ذلك منه على كره. خلّوا سبيله. فلما انصرف قال أمير المؤمنين: لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً!!)[3].

---

(١) المرجع السابق: ج٥ ص١٥٥.

(٢)كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٤١.

(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٨. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٤ ص٩. أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٠٧.

شخص يرفض البيعة بدون سبب وبدون عذر مقبول، ويرفض أن يعطي أمير المؤمنين عليه السلام حميلا. ويكفي فيه شهادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يقول إلا حقاً (لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً!!). هذا الرجل حين يرفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام نراه يبايع يزيد بن معاوية الذي لم يترك محرماً إلا انتهكه. روى ابن حنبل في مسنده (أن ابن عمر جمع بنيه حين انتزى أهل المدينة مع ابن الزبير وخلعوا يزيد بن معاوية. فقال: إنا قد بايعنا هذا الرجل ببيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان!! وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشراك بالله تعالى: أن يبايع الرجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته!! فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون صيلماً فيما بيني وبينكم)[1].

فبيعة يزيد عنده أولى من بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ذهب في الدفاع عنها أبعد الحدود، في مقابل تقاعسه عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ألئم التقاعس. فما قيمته وقيمة امتناعه عن البيعة أمام المهاجرين والأنصار وبيعتهم؟!

ومن الغريب أن يروي عبد الله بن عمر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله يدينه في موقفه المخزي من رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. فقد روى مسلم في صحيحه (عن زيد بن محمد عن نافع. قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع، حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية. فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إني لم آتك لأجلس!! أتيتك لأحدثك حديثاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله. سمعت رسول الله يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[2].

أما رواية ابن حنبل فهي: (حدثنا محمد بن مطرف، حدثنا زيد بن أسلم، أنه قال: إن عبد الله بن عمر أتى ابن مطيع. فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: ما جئت لأجلس عندك!! ولكن جئت أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. سمعته يقول: من نزع يداً من طاعة، أو فارق الجماعة مات ميتة جاهلية)[3].

---

(١) المسند: أحمد بن حنبل ج٢ ص٩٦.

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص١٢٦ (رقم الحديث: ١٨٥١).

(٣) المسند: أحمد بن حنبل ج٢ ص١٣٣.

فمن المضحك المبكي أن يسمع عبد الله بن عمر سنَّة النبي ﷺ ثم لا يستن بها!! فقد سمع ـ على رواية مسلم ـ النبي ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». وبعد ذلك السماع نراه يرفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ويصرّ على رفضها بكل ما أوتي من قوة في موقف يشبه التحدي عن سبق وإصرار ودراية بعواقب الأمور، وهو يعلم أنه لا حجة له يوم القيامة أمام الله عزّ وجلّ في رفضه بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. وما دام الأمر كذلك، فهو لا يساوي عند الله جناح بعوضة. كما أنه مات وليس في عنقه بيعة لأمير المؤمنين وأولاده الطاهرين عليهم السلام. مما يثبت على نفسه أنه مات ميتة جاهلية. وبيعته لائمة الضلال من أمثال معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده عبد الملك بن مروان لا تنقذه من الميتة الجاهلية!!

كما أنه سمع ـ على رواية ابن حنبل ـ النبي ﷺ يقول: «من نزع يداً من طاعة أو فارق الجماعة مات ميتة جاهلية». فالتاريخ يشهد أنه نزع يده من بيعة أمير المؤمنين ورفضها رفضاً قاطعاً أمام أعين الصحابة من المهاجرين والأنصار، وفارق جماعة المسلمين الذين بايعوا بأجمعهم أمير المؤمنين مما يدل على أنه مات ميتة جاهلية بنص الحديث النبوي الذي سمعه ورواه ولم يعمل به!!

ونستدل من الحديث النبوي الذي رواه عبد الله بن عمر، أنه كان يعبد الله على حرف ولم يتغلغل الإيمان في قلبه. فلو كان مؤمناً حقيقياً لبادر إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يرفضها وهو يعلم أن في رفضها الهلاك يوم القيامة. كما لو أنه كان مؤمناً لما فارق الجماعة التي بايعت أمير المؤمنين عن اقتناع ورضى، وهو يعلم أن مفارقة تلك الجماعة التي اجتمعت على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام تعني الانسلاخ من الإسلام، (مات ميتة جاهلية). فهل المؤمن يفضل الانسلاخ من الإسلام والميتة الجاهلية على بيعة رجل صالح عادل؟! لا والله.

فقد كان يعرف خطورة التصرف الأعمى الذي تصرفه، والموقف الذي اتخذه، لكن الشقاء قد غلبه، ودخل الشيطان في منخريه. ولهذا نجده يتدارك الموقف وسوء المصير إذا تخلف عن بيعة يزيد بن معاوية أو نكثها، وهو يعلم بفسقه وخبث سريرته، لكنه يتجاهل ويتعامى عن خطورة الموقف ويأمن سوء المصير إذا تخلف

عن بيعة أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين. كما وجدناه يتدارك خطورة الموقف والمصير السيء الذي ينتظره إذا تخلَّف عن بيعة عبد الملك بن مروان، وهو يعلم أنه من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، لكنه يتجاهل تلك الأخطار المهلكة والمصير السيء عندما رفض بيعة أمير المؤمنين وأصرَّ على رفضها بعناد وسبق إصرار، وهو يعلم أن أمير المؤمنين نفس النبي ﷺ في الذكر الحكيم، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة، وهو من الرسول ﷺ بمنزلة هارون من موسى. فأي عذر يبقى له بعد ذلك؟!

لما ذهب إلى الحجَّاج ليبايعه لعبد الملك بن مروان، احتقره الحجَّاج وأعطاه رجله قائلاً إن يدي مشغولة فبايعه!![1]. فقد قبل بهذه الإهانة في هذه البيعة، ولم يقبل بالعزة والكرامة في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد: لما بايع الناس علياً عليه السلام وتخلف عبد الله بن عمر، وكلمه عليّ عليه السلام في البيعة فامتنع عليه، أتاه في اليوم الثاني، فقال: إني لك ناصح، إن بيعتك لم يرض بها كلهم!! فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين!! فقال عليه السلام: ويحك! وهل ما كان عن طلب مني له! ألم يبلغك صنيعهم؟ قم عنِّي يا أحمق، ما أنت وهذا الكلام؟!)[2].

كلامه لا يحتاج إلى تعليق، فقد أبان عن نفسه بنفسه، ونكتفي برد أمير المؤمنين عليه السلام عليه.

أما أبو مخنف فقد قال: (فبايع أهل المدينة علياً فأتاه ابن عمر فقال له: يا عليّ اتق الله ولا تتنزينَّ على أمر الأمة بغير مشورة!! ومضى إلى مكة)[3].

لم يكتف برفض البيعة لأمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، بل اتهمه بالوثوب على أمر الأمة بغير مشورة من المسلمين، كما لو أنه أعمى البصر

---

(١) راجع: الشيعة هم أهل السنّة: د. محمد التيجاني السماوي ص٢٣٥، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٤ ص١٠.

(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٠، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٠٨.

والبصيرة بحيث لم ير الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين أسرعوا إلى بيعته. فقد رأى ذلك بأم عينيه، وكان موجوداً في المدينة أثناء البيعة لكن الشقاء قد غلبه.

أما حسان بن ثابت فقد حكم على نفسه بالإدانة. فقد كان حاضراً يوم الغدير، وسمع تنصيب رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للناس، وفهم ما أراده النبي ﷺ فصاغه شعراً:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا	ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عاد علياً معاديا[1]

تأمل في البيت الثالث (. . . ولم تلق منا في الولاية عاصياً). فقد كان أحد العاصين لولاية أمير المؤمنين عليه السلام عندما رفض بيعته بدون سبب. فيكف يفسِّر عصيانه هنا بعد الطاعة في الولاية يوم الغدير؟! وتأمل في البيت الرابع: (. . . رضيتك من بعدي إماماً وهادياً). فقد عرف يوم الغدير وتأكد له بما لا مجال للشك فيه أن النبي ﷺ قد رضى بالإمام علي عليه السلام إماماً وهادياً للناس بعده. فكيف جاز له أن يرفض إمامة وهداية أمير المؤمنين عليه السلام؟ وما دلالة هذا الرفض؟ فالشخص الذي يرفض إمامة وهداية الإمام الذي ارتضاه رسول الله ﷺ لا قيمة له في المجتمع الإسلامي إذا عُدَّ الأخيار. وتأمل في البعدية (رضيتك من بعدي. . .) وما تحمله من دلالات. فالإمام الذي ارتضاه رسول الله ﷺ من بعده مباشرة هو أمير المؤمنين عليه السلام والذي رفض إمامته بداية ونهاية هو حسان بن ثابت.

وتأمل في البيت الخامس: (فكونوا له أتباع صدق موالياً). فلم يكن حسان من الأتباع الصادقين، وقد حكم على نفسه بنفسه عندما رفض بيعة أمير المؤمنين، كما لم يعترف بالولي الذي اختاره رسول الله ﷺ

---

(١) الغدير: الأميني ج٢ ص٣٤.

وتأمل في البيت السادس: (. . . وكن للذي عادا علياً معادياً). فقد أثبت بالدليل القاطع أنه من أعداء الله عزّ وجلّ لعداوته لأمير المؤمنين عليه السلام الذي رفض بيعته، كما أنه لم يكن من الذين والوا الولي الذي ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وآله. وما دام الحال كذلك، فما قيمة حسان بن ثابت في تنكره ورفضه السيء؟! والعجيب في الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان بمحضر وبمرأى وبمسمع من القصيدة، ولم يحتج على المعاني التي طرحها حسان في قصيدته، مما يدل على أنه راض عن المعاني التي توصَّل إليها حسان. وهذا يسمى سنّة تقريرية. وهذا بحد ذاته يؤكد على تنكب حسان طريق الحق لما رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام الذي نصَّبه رسول الله صلى الله عليه وآله ولياً وإماماً على المسلمين في غدير خم.

أما سعد بن أبي وقاص فقد بيَّن موقفه ابن أعثم الكوفي عندما قال: (اقبل سعد بن أبي وقاص إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أبا الحسن! والله ما أشك فيك أنك على الحق، ولكني أعلم أنك تنازع في هذا الأمر، والذي ينازعك فيه هم أهل الصلاة!! فإذا أحببت أني أبايعك فأعطني سيفاً له لسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر حتى أقاتل معك من خالفك بعد هذا اليوم!! فقال علي رضي الله عنه: يا بن نجاح يا سعد! أترى لو أن سيفاً نطق بخلاف ما نزل به جبرئيل عليه السلام هل كان إلا شيطاناً؟! ليس هكذا يشترط الناس على واليهم!! بايع واجلس في بيتك، فإني لا أكرهك على شيء. فقال سعد: حتى أنظر في ذلك يا أبا الحسن!! قال: فوثب عمار بن ياسر فقال: ويحك يا سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أيدعوك أمير المؤمنين إلى البيعة فتسأله أن يعطيك سيفاً له لسان وشفتان؟! أما والله إن فيك لهنات!!)[1].

لقد مات سعد بن أبي وقاص ولم يكن في عنقه بيعة لأمير المؤمنين ولا لأولاده الطاهرين، فكيف والحال هذه يكون من العشرة المبشرين بالجنة؟! وقد أكدَّ كل من ترجم لحياته رفضه بيعة أمير المؤمنين عليه السلام[2]. وقد اعترف على نفسه

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٤٢.

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر ج٢ ص٣٣ (رقم الترجمة: ٣١٩٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢ ص٤٣٣ (رقم الترجمة: ٢٠٣٨).

بأنه قد رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب منه معاوية أن يكفر عن خذلانه عثمان بأن يعينه على الطلب بدمه، فردَّ عليه بهذه الأبيات التي يدين بها تخاذله عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

معاوي داؤك الداء العياء ... وليس لما تجيء به دواء
أيدعوني أبو حسن عليّ ... فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له: أعطني سيفاً بصيراً ... تميز به العداوة والولاء
أتطمع في الذي أعيا علياً ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خيرٌ منك حياً ... وميتاً أنت للمرء الفداء[1]

تأمل في قوله: (فلم أردد عليه ما يشاء!!) أين هذا الكلام من قوله لأمير المؤمنين عليه السلام عندما طلب منه أمير المؤمنين بقوله: (بايع واجلس في بيتك، فإني لا أكرهك على شيء، فقال سعد: حتى أنظر في ذلك يا أبا الحسن!!). لقد قال هذا الكلام للتهرب من البيعة من جانب، وأنه كذب على أمير المؤمنين عليه السلام ولم ينظر في ذلك الطلب من جانب آخر. وقوله في قصيدته: (... فلم أردد عليه ما يشاء) يؤكد هذا الاستنتاج. مما يدل على أنه رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بعناد وسبق إصرار. وهذا الصنيع يفند مقولة أنه من العشرة المبشرين بالجنة، بل بتصرفه هذا التصرف يجعله من فئة من ماتوا ميتة جاهلية، لأنه مات ولم تكن في عنقه بيعة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا كنت تعلم أن أمير المؤمنين على حق وتؤكد هذا العلم بالقسم (والله ما أشك فيك أنك على الحق!!) فكيف تركت بيعة إمام الحق؟! ومن أين علمت أنه سينازعه على هذا الأمر أهل الصلاة؟ وما مصدر ذلك العلم؟ فإن نازعه أهل الصلاة على الخلافة فلا قيمة فيهم ولا في صلاتهم لأنهم نازعوا الإمام الذي كان على حق (والله لا أشك فيك أنك على الحق!!). مما يجعلهم بالضرورة أنهم على باطل. وكيف استشكلت على منازعة أهل الصلاة لأمير المؤمنين على الخلافة، ولم تتيقن من أحقية خلافة أمير المؤمنين (والله ما أشك فيك أنك على الحق)؟! فلماذا استبدلت اليقين بالشك؟!

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير ج٢ ص٤٣٥.

وأخيراً، لماذا اشترطت على أمير المؤمنين أن يعطيك سيفاً له لسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر؟! فهل هذه شروط البيعة؟ هل اشترط الصحابة من المهاجرين والأنصار هذا الشرط الغريب على أمير المؤمنين؟ لماذا تكون شاذاً في بيعتك إلى هذه الدرجة من الشذوذ؟! وهل اشترطت هذه الشروط الغريبة عندما بايعت أبا بكر وعمر وعثمان؟!

ذكر ابن قتيبة أن أمير المؤمنين عليه السلام طلب من عمار بن ياسر أن يذهب إلى المتخلفين عن البيعة ليكلمهم فذهب إليهم فكلمهم في ذلك. (. . . ثم أتى سعد بن أبي وقاص فكلمه، فأظهر الكلام القبيح!! فانصرف عمار إلى عليّ، فقال له عليّ: دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود!! وذنبي إلى محمد بن مسلمة أني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي)[1].

هذا هو موقف سعد بن أبي وقاص، وهذا ردُّه القبيح، وهذه حججه الواهية في امتناعه عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. فالحسد هو الذي منعه من البيعة. كما أن حقده الشديد على أمير المؤمنين هو الذي جعله يميل إلى عثمان وينحاز إليه عندما وضعه عمر بن الخطاب ضمن الرجال الستة، ولم يقبل بخلافة أمير المؤمنين مع بعض أفراد تلك العصابة. وقد بيَّن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية. (. . . فصغى رجل لضغنه!! ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهن!!)[2]. فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على سعد بأنه انحرف عنه ومال إلى عثمان بسبب حقده الشديد تجاهه، فلا غرابة في ذلك أن يمتنع عن بيعته بعد مقتل عثمان ويشترط تلك الشروط الغريبة الشاذة، ويظهر الكلام القبيح لما كلمه عمار بن ياسر في ذلك.

وقد ذكر المسعودي الحوار الذي جرى بينه وبين معاوية (لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في علي وشرع في سبِّه فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سبّ علي، والله لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأن لي من الولد ما لعلي أحب إليّ من أن يكون لي ما

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٧٣.

(٢) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ج١ ص٣٥.

طلعت عليه الشمس. والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قاله يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، ليس بفرَّار يفتح الله على يديه» أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وإيم والله ما دخلت لك داراً ما بقيت ثم نهض.

ووجدت في وجه آخر من الروايات، وذلك في كتاب علي بن محمد بن سلمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره، أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، ما كنت عندي قط ألأم منك الآن!! فهلّا نصرته، ولم قعدت عن بيعته؟! فإني لو سمعت من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعلي ما عشت، فقال سعد: والله إني لأحق بموضعك منك. فقال معاوية: يأبى عليك ذلك بنو عذرة! وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة)[1].

لقد ترك سعد بن أبي وقاص رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ولم يبايعه وهو يعلم علم اليقين تلك المحبة المتبادلة بينه وبين الله ورسوله. فما عذره في رفض بيعته أمام الله عزّ وجلّ؟! كما كان يعلم علم اليقين بأن منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من النبي ﷺ ومكانته منه كمنزلة النبي هارون من النبي موسى عليه السلام فما عذره أمام الله عزّ وجلّ لما ترك بيعة إمام يحمل تلك المكانة والمنزلة الرفيعة؟! فالشخص الذي يتنكر لبيعة إمام يتصف بتلك الخصال الحميدة والمنزلة الرفيعة لا خير فيه، ولا يمكن أن يكون فالحاً.

وقد عرف معاوية سعد بن أبي وقاص وما عليه من اللؤم، ولهذا قال له: (ما كنت عندي قط ألأم منك الآن!! فهلا نصرته؟! ولم قعدت عن بيعته؟!) ولهذا لم يرد عليه سعد ويفنِّد ذلك اللؤم. فالشخص الذي يقعد عن بيعة أمير المؤمنين الذي تبوأ تلك المكانة السامية، وحاز على تلك الفضائل الشريفة لا بد أن يكون لئيماً.

والشخص الذي يترك بيعة إمام تكون منزلته كمنزلة هارون من موسى يكون

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٣ ص ١٤ ـ ١٥.

حاله كحال من ترك النبي هارون وعبد العجل. فتنكره لبيعة أمير المؤمنين بالإمامة يشبه تنكر أصحاب العجل لنبوة وخلافة النبي هارون عليه السلام. والذين بايعوا أمير المؤمنين بصدق وإخلاص يشبهون المؤمنين الذين تمسكوا بنبوة النبي هارون ولم ينحازوا للعجل.

هذا هو موقف سعد بن أبي وقاص وحججه الواهية. وقس على ذلك حجج الأفراد الآخرين الذين امتنعوا عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. فكلهم منحرفون عنه، وهم من جماعة العثمانية. فزيد بن ثابت أشبع بطنه عثمان من عضدان (نخيل) المدينة. ولما خطب عثمان في المحاصرين يريد أن يستميل فيها قلوبهم، ولما انتهى كما ذكر ابن أعثم الكوفي: (فسكت عثمان وتكلم زيد بن ثابت وكان إلى جانب عثمان، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. قال: فصاح به الناس: يا زيد إن عثمان قد أشبعك من أموال الأرامل ولا بد لك من نصره!!)[١]. فالصحابي الذي شبع من نهب أموال الأرامل لا يمكن أن يبايع أمير المؤمنين عليه السلام لأنه لن يعطيه أموال الأرامل كما كان يعطيه عثمان!!

وذكر المسعودي: (قد ذكر سعيد بن المسيب أن زيداً بن ثابت حين مات خلَّف من الذهب والفضة ما كان يكسّر بالفؤوس!! غير ما خلَّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار!!)[٢]. فقد استولى على تلك الأموال التي كانت من أموال الأرامل وعضدان (نخيل) المدينة ببركة عثمان، وهو يعلم بأن أمير المؤمنين عليه السلام لن يمكنه من ذلك فكيف يبايعه؟!

وأما كعب بن مالك فقد التهم صدقات (مزينة) عندما أعطاها إياه عثمان!![٣]. والنعمان بن بشير (استعمله معاوية على حمص، ثم على الكوفة. واستعمله عليها بعد ابنُه يزيد بن معاوية. وكان هواه مع معاوية وميله إليه وإلى ابنه يزيد!!)[٤]. فماذا تترجى من رجل أموي النزعة والهوى؟!

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤١٩.

(٢) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص ٣٣٣.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٣.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير ج٥ ص٣٤٣ (رقم الترجمة: ٥٢٣٠).

ومسلمة بن مخلد كان والياً على مصر وإفريقية في عهد معاوية[1]. فلو كان علوي الهوى لما ولّاه معاوية، وقبوله أن يكون والياً للطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان ورفضه بيعة أمير المؤمنين عليه السلام كافيان في معرفة هشاشة دينه.

أما محمد بن مسلمة فيكفيه خزياً وعاراً اشتراكه مع العصابة التي هجمت على بيت أمير المؤمنين عليه السلام بعد أحداث السقيفة تحت قيادة عمر بن الخطاب، وهو الذي كسر سيف الزبير[2]. فماذا تترجى منه بعد اشتراكه في ذلك العمل الدنيء؟! هذه أحوال من رفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه حججهم ومواقفهم.

بقي اثنان من أخطر الرافضين بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. وهما: معاوية بن أبي سفيان، وعائشة بن أبي بكر. أما معاوية بن أبي سفيان فلن نتعرض له، لأن رفضه للبيعة يحتاج إلى دراسة مستقلة. وبحثنا لا يدور حول رفضه. لكننا سنشير إلى رفضه للبيعة في المواقف التي تخص بحثنا، وسنذكر ذلك الرفض في موضعه المناسب من البحث.

أما رفض عائشة لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام فلا بد من بيانه وتحليله، لكي يقف القاريء الكريم على مدى مشروعية ذلك الرفض، وأسبابه ونتائجه المدمرة.

ذكر الشيخ الجليل الفضل بن شاذان في كتابه الإيضاح: (رويتم أن عمر جعل اعطيات أمهات المؤمنين عشرة آلاف درهم، والدرهم يومئذٍ مثاقيل، ففضَّل أزواج النبي صلى الله عليه وآله على المهاجرين والأنصار وعلى أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل لعائشة اثني عشر ألف درهم!! ففضلها على المهاجرين والأنصار وعلى سائر قريش والعرب وعلى أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله)[3].

وذكر ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن الجوزي: (ثم فرض لزوجات رسول الله صلى الله عليه وآله لكل واحدة عشرة آلاف، وفضَّل عائشة عليهن بألفين!!)[4].

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٣٢١.

(٢) انظر: السنة: الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ج٢ ص٢٢٥ (رقم الحديث ١٢٢٠)، الاحتجاج: الطبرسي ج١ ص٧٣.

(٣) الإيضاح: الفضل بن شاذان ص١٣٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٢ ص٢١٤، وانظر: الإصابة: ابن حجر ج٤ ص٣٦٠، المستدرك: الحاكم ج٤ ص٨، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص١١٨.

هذا التفضيل لعائشة من قبل عمر بن الخطاب لا مبرر له، بل كان السبب في قطع حبل المودة بينها وبين عثمان فألَّبت عليه الناس وكفَّرته، كما سنعرفه بعد قليل، هذا من جانب. ومن جانب آخر، إن هذا التفضيل جعل من عائشة امرأة ثرية صعب عليها أن يهتز ذلك الثراء وتتبخر موارده على يد عثمان، فألبَّت عليه الناس بكل ما أوتيت من قوة.

لما حاول عبد الله بن الزبير أن يحجر على عائشة حلفت ألا تكلمه (فلما طالت هجرتها كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود عائشة فدخلوا عليها معهم ابن الزبير، فاعتنقها ابن الزبير فبكى وبكت عائشة رضي الله تعالى عنها بكاءً كثيراً، وناشدها ابن الزبير الله والرحم، فلما أكثروا عليها كلمته. ثم بعثت إلى اليمن فابتيع لها أربعين رقبة فأعتقتها!!)[1].

من أين لها هذه الأموال الضخمة بحيث أنها اشترت أربعين عبداً من اليمن وحررتهم دفعة واحدة؟!

وعن هشام بن عروة: (أن معاوية اشترى من عائشة بيتاً بمائة ألف بعث بها إليها!!)[2]. من أين لها هذا البيت الذي اشتراه معاوية بمائة ألف؟! إن كان ذلك البيت بيت زوجها النبي ﷺ، فهي لا تملكه للحديث الذي رواه أبوها: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة!! وإن كان بيتها الخاص قد اشترته من أموالها الخاصة، فمن أين لها تلك الأموال؟

لقد صعب على عائشة أن تتخلى عن تلك الحالة من الثراء عندما حاول عثمان أن يحجِّمها. قال ابن شاذان: (إن عائشة وحفصة أتتا عثمان حين نقص أمهات المؤمنين ما كان يعطيهن عمر، فسألتاه أن يعطيهما ما فرض لهما عمر!! فقال: لا والله ما ذاك لكما عندي، فقالتا له: فآتنا ميراثنا من رسول الله ﷺ من حيطانه!! وكان عثمان متكئاً فجلس، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام جالساً عنده فقال: ستعلم فاطمة عليها السلام أني ابن عم لها اليوم، ثم قال: ألستما اللتين شهدتما عند أبي بكر ولفَّقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله مالك بن الحويرث بن الحرثان، فشهدتم أن

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني ج٢ ص٤٩.

(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٤٩.

النبي ﷺ قال: إنا معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة. فإن كنتما شهدتما بحق فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما، وإن كنتما شهدتما بباطل، فعلى من شهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقالتا له: يا نعثل والله لقد شبهك رسول الله ﷺ بنعثل اليهودي فقال لهما: ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط. فخرجتا من عنده)[1].

فقد قام عثمان بتنقيص عطاء أمهات المؤمنين، ولم تحتج على تنقيص العطاء من أمهات المؤمنين إلا عائشة وحفصة، ولما جاءتا إلى عثمان تطلبان عطاءهما قال لهما: (لا والله ما ذاك لكما عندي!!). وسدَّ عليهما الطريق للحصول على زيادة في العطاء دون مبرر. فطلبتا منه أن يعطيهما ميراثهما من رسول الله ﷺ من حيطانه!! في هذه اللحظة انتفض عثمان ووقف موقفاً مشرفاً.

إن كانت عائشة وحفصة تريان صحة حديث (إنا معاشر الأنبياء لا نورّث...) وقد شهدتا عند أبي بكر بصحته، فلماذا تعملان بضده وتطلبان شيئاً ليس لهما؟! وإن كانتا لا تريان صحته، فلماذا شهدتا بالباطل وضيَّعتا حقوق فاطمة الزهراء عليها السلام..؟! فعائشة وحفصة قد أوقعتا نفسيهما في محظورين أحلاهما مرّ. فإما أنهما كاذبتان في الشهادة على ذلك الحديث، وإما أنهما كاذبتان في ادِّعائهما الميراث!!

هذا الموقف المحرج كان بداية انطلاق شرارة الحرب بين عائشة وعثمان، ومن هذا الموقف أطلقت عائشة على عثمان لقب (نعثل) وادَّعت أن النبي ﷺ هو الذي شبهه بذلك اللقب!!. وصبَّت عليه جامّ غضبها، وردَّ عليها عثمان الصاع صاعين.

لما اعترض عمار بن ياسر على اختلاسات عثمان قام بضربه ضرباً مبرحاً حتى غشي عليه فأدخل بيت أم سلمة رضي الله عنها، وغضبت لعمار (وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلاً

---

(١) الإيضاح: ابن شاذان ص١٤٠. وانظر: بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٩٥، سفينة البحار: الشيخ عباس القمي ج١ ص٥٢ ـ ٥٣، بيت الأحزان: الشيخ عباس القمي ص١٥٦، الأمالي: الشيخ المفيد ص١٢٥.

من نعاله، ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبلَ بعدُ، فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول فالتجَّ المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!)[1].

تأمل جيداً في قول أبي مخنف: (فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول، فالتجَّ المسجد وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!). ما سبب غضب عثمان؟ ولماذا غضب غضباً شديداً؟ وماذا قال عند سورة الغضب حتى ما درى ما يقول؟ ولمن وجَّه ذلك القول الشديد؟ وما دلالة قول الناس: سبحان الله سبحان الله؟!

لقد غضب عثمان من قول عائشة، وهذا الكلام من الشدة والبذاءة بحيث أحجم المؤرخون عن ذكره، واكتفوا بالإشارة إليه بقولهم: (حتى ما درى ما يقول.. وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!) وذلك حفاظاً على كرامة عثمان وسمعته.

لكن بعض المؤرخين ذكروا ذلك الكلام. (عن الحسن بن سعيد قال: رفعت عائشة ورقات من ورق المصحف بين عودين من وراء حجابها ـ وعثمان على المنبر ـ فقالت: يا عثمان! أقم ما في كتاب الله، إن تصاحب تصاحب غادراً، وإن تفارق تفارق عن قلىً. فقال عثمان: أما والله لتنتهينَّ أو لأدخلنَّ عليك حمران الرجال وسودانها!! قالت عائشة: أما والله إن فعلت لقد لعنك رسول الله ﷺ ثم ما استغفر لك حتى مات)[2].

(وعبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أخرجت عائشة قميص رسول الله ﷺ، فقال لها عثمان: لئن لم تسكتي لأملئنها عليك حبشاناً!! قالت: يا غادر يا فاجر! أخربت أمانتك ومزَّقت كتاب الله. ثم قالت: والله ما ائتمنه رجل قط إلا خانه، ولا صحبه رجل قط إلا فارقه عن قلىً)[3].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص٨٠، الغدير: الأميني ج٩ ص١٥، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص٨١.

(٢) بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٦٩. وانظر النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٤٨.

(٣) المرجع السابق: ح٣١ ص٢٩٦.

(وعن أبي عامر مولى ثابت، قال: كنت في المسجد فمرَّ عثمان فنادته عائشة: يا غادر يا فاجر! أخربت أمانتك وضيَّعت رعيتك، ولولا الصلوات الخمس لمشى إليك رجال حتى يذبحوك ذبح الشاة. فقال لها عثمان: امرأة نوح وامرأة لوط...)[1].

(وذكر فيه، أن عثمان صعد، فنادت عائشة ورفعت القميص، فقالت: لقد خالفت صاحب هذا. فقال عثمان: إن هذه الزعراء عدوة الله!! ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب: «امرأة نوح وامرأة لوط...» الآية. فقالت له: يا نعثل يا عدو الله! إنما سمَّاك رسول الله باسم نعثل اليهودي الذي باليمن ولاعنته ولاعنها)[2].

والزعراء: سيئة الخلق، قليلة الشعر[3].

(عن القاسم بن مصعب العبيدي، قال: قام عثمان ذات يوم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نسوة يكبن في الآفاق لتنكث بيعتي ويهراق دمي، والله لو شئت أن أملأ عليهن حجراتهن رجالاً سوداً وبيضاً لفعلت!! ألست ختن رسول الله على ابنته؟ ألست جهزت جيش العسرة؟ ألم أك رسول رسول الله إلى أهل مكة؟ قال: إذا تكلمت امرأة من وراء الحجاب، قال: فجعل تبدو لنا خمارها أحياناً. فقالت: صدقت لقد كنت ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، فكان منك فيهما ما قد علمت. وجهزت جيش العسرة وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وكنت رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة غيبك عن بيعة الرضوان لأنك لم تكن لها أهلاً!! قال: فانتهرها عثمان. فقالت: أما أنا فأشهد أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل أمَّة فرعون!! وإنَّك فرعون هذه الأمة!!)[4].

لقد هدَّد عثمان بن عفان عائشة بأن يدخل عليها حمران الرجال وسودانها، كما هددَّها ـ إن لم تسكت ـ أن يملأ عليها بيتها حبشاناً!! كما لو أنه إن شاء أن يملأ عليها حجرتها رجالاً سوداً وبيضاً من الأجانب لفعل!! كما سمَّاها زعراء عدوة الله!!.

---

(١) المرجع السابق: ح٣١ ص٢٩٧.

(٢) المرجع السابق: ح٣١ ص٢٩٧، ٤٨٣.

(٣) المعجم الوسيط: ج١ ص٢٩٣، لسان العرب: ابن منظور ج٤ ص٣٢٣ (مادة: زعر).

(٤) بحار الأنوار: المجلسي ج٣١ ص٢٩٧. وانظر النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٤٧.

لقد أخفى المؤرخون هذه الكلمات القارضة وتجاهلوها. وقد عبَّر عنها أبو مخنف بـ: (حتى ما درى ما يقول... وقال الناس: سبحان الله سبحان الله!!). وقد قالها في حالة غضب. كما قد لمَّح عثمان لعائشة بالكفر ككفر زوجتي النبي نوح والنبي لوط عليهما السلام، وذلك عندما جابهها بالآية الكريمة التي نزلت فيها وفي صاحبتها حفصة: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ولم تقف عائشة مكتوفة اليدين، فقد قالت لعثمان: (اشهد أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل أمة فرعون!! وإنك فرعن هذه الأمة!!). فإذا كان عثمان فرعون هذه الأمة حقاً، فلماذا قتلتِ الآلاف من الأبرياء من أجل المطالبة بدم فرعون كبير من فراعنة الأمة؟! وإذ لم يكن عثمان بن عفان فرعوناً، فلماذا كذبتِ على النبي ﷺ بذلك الحديث؟! وما جزاء من يكذب على النبي ﷺ؟! ولماذا شهدت على عثمان بالفرعنة؟! ولماذا تكفرِّينه في عدة مواطن وتحثين المسلمين على قتله؟! وإذا كان عثمان إمامكِ وخليفتكِ الشرعي، فلماذا آمنت بخلافة ذلك الفرعون الكبير؟! وإذا لم يكن ذلك الفرعون الكبير خليفتكِ وإمامكِ، فمن خليفتكِ وإمامكِ الشرعي؟!

ومما يؤيد استنتاجنا الذي ذهبنا إليه في أن عثمان قد تفوَّه بتلك الكلمات القارصة في حق عائشة ما ذكره البلخي في كتابه البدء والتاريخ. فقد قال: (وكان أشد الناس طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة. وخذلته المهاجرون والأنصار، وتكلَّمت عائشة في أمره، وأطلعت شعرة من شعر رسول الله ﷺ، ونعله وثيابه، وقالت: ما أسرع ما تركتم سنَّة نبيِّكم. فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال!! وغضب حتى ما كان يدري ما يقول!!!...)[1].

تأمل في قوله: (فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال!! وغضب حتى ما كان يدري ما يقول!!) فماذا قال عثمان في آل أبي قحافة؟! وما الذي قاله في حالة الغضب؟! ولماذا أخفى المؤرخون ذلك القول؟ وما قصدهم من ذلك العمل

---

(١) كتاب البدء والتاريخ: أحمد بن سهل البلخي ج٢ ص٢١٨، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٠٤.

الخياني؟! لقد أخفى المؤرخون ذلك القول حفظاً على سمعة الخليفة الذي تستحي منه الملائكة.

لقد أشار ابن أبي الحديد إلى ذلك القول من طرف خفي: (ثم أقيمت الصلاة، فتقدَّم عثمان فصلَّى بهم، فلما كبَّر قالت امرأة من حجرتها: يا أيّها الناس. ثم تكلَّمت، وذكرت رسول الله ﷺ، وما بعثه الله به، ثم قالت: تركتم أمر الله، وخالفتم عهده . . . ونحو هذا. ثم صمتت وتكلَّمت امرأة أخرى بمثل ذلك. فإذا هما عائشة وحفصة. قال: فسلَّم عثمان، ثم أقبل على الناس، وقال: إن هاتين لفتَّانتان!! يحلّ لي سبُّهما!! وأنا بأصلهما عالم!! فقال له سعد بن أبي وقاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله ﷺ؟! فقال: وفيم أنت؟! وما ها هنا؟! ثم أقبل نحو سعد ليضربه!! فانسلَّ سعد!!)[1].

وفي المعجم الوسيط: الفتَّان: الشيطان، واللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم. والفتَّانان: الدرهم والدينار[2]. وفتَّان: من أبنية المبالغة في الفتنة كما في لسان العرب.

فقد وصف عثمان بن عفان عائشة وحفصة بالشيطانين، أو اللصين، وأنهما من مثيري الفتن. كما بيَّن للصحابة الذين صلُّوا خلفه بأنه يجوز له أن يسبّهما دون إشكال شرعي!! وادَّعى أنه عارف بأصلهما ونسبهما، وأنهما ليستا من أصل كريم. وقول صاحب كتاب البدء والتاريخ يؤكد ذلك حين قال: (. . . فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال!! وغضب حتى ما كان يدري ما يقول!!). فماذا قال في آل أبي قحافة؟ ولماذا أخفاه المؤرخون؟!

ولو لم يتكلم في أصل عائشة وحفصة ونسبهما بكلام سيء وبذيء لما احتجَّ عليه سعد بن أبي وقاص. وقوله: (يحلّ لي سبُّهما!!) يؤكد ذلك. ومقتضى الموقف لا يساعد على القول بأن عثمان قد أشاد بنسب عائشة وحفصة وأصلهما الكريم. ولو أشاد بأصلهما ونسبهما لما احتجَّ عليه سعد بن أبي وقاص حتى كاد

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٥.

(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص٦٧٣ (مادة فتن)، كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي ج٨ ص١٢٨، لسان العرب: ابن منظور ج١٣ ص٣١٧.

أن يتعرَّض للضرب لو لم ينسلْ من بين يديه. فاحتجاج سعد، ومحاولة تعرضه للضرب من قبل عثمان يؤكد على أن عثمان قد عرَّض باصل عائشة وحفصة، وطعن في نسبهما بكلام سيء. وقيامه بتهديد عائشة بإدخال حمران الرجال وسودانها عليها يؤكد ذلك. وتهديده لها ـ إن لم تسكت ـ أن يملأ عليها بيتها حبشاناً ورجالاً سوداً وبيضاً يؤكد ذلك. واطلاقه عليها لقب (زعراء عدوة الله) يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه قد تكلَّم في أصلها ونسبها بكلام سيء وبذيء. ولهذا لم تسكت عائشة على تلك الإهانة، فردَّت له الصاع صاعين.

لقد بدأت رقعة الخلاف بين عثمان وعائشة تتسع حين أنقصها عطاءها. وقد أكَّد اليعقوبي هذا السبب في بدء الخلاف حين قال: (كان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيَّرها أسوة غيرها من نساء رسول الله)[1]. ثم جاء الرد العنيف لعثمان بتلك الكلمات القارصة مما ألهب نار الحقد في قلب عائشة تجاهه، وشنَّت عليه حرباً لا هوادة فيها. فقد ذكر اليعقوبي: (فإن عثمان يوماً ليخطب إذ دلَّت عائشة قميص رسول الله، ونادت: يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل، قد أبلى عثمان سنته!! فقال عثمان: ربّ اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم)[2].

وقال ابن أعثم الكوفي: (عزمت عائشة على الحج، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام، وذلك أنه أخَّر عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضبت، ثم قالت: يا عثمان أكلت أمانتك وضيَّقت رعيتك وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك، لا سقاك الله الماء من فوقك وحرمك البركة من تحتك!! أما والله لولا الصلوات الخمس لمشي إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحونك كما يذبح الجمل!! فقال لها عثمان: «﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾»[3].

---

(١)تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ج٢ ص١٢١، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص٥٨.
(٢) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ج٢ ص١٢٢.
(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢١.

وقال: (وكانت عائشة تحرّض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس، هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وبليت سنته!! اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً!!)[1].

وأرسل عثمان مروان إلى عائشة لكي تصلح بينه وبين الثائرين، فجاءها مروان فقال: (يا أم المؤمنين! لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس؟ قالت: قد فرغت من جهازي وأنا أريد الحجّ. قال: فيدفع إليك بكل درهم أنفقته درهمين. قالت: لعلك ترى أني في شك من صاحبك؟ أما والله لوددت أنه مقطَّع في غرارة من غرائري، وأني أطيق حمله، فأطرحه في البحر!!)[2].

وقبل أن تغادر إلى مكة فقد حكمت عليه بالكفر. فقد روى سبط ابن الجوزي في تذكرته (أخبرني عن عائشة لما كانت تحرِّض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[3].

ومن الحوار الذي جرى بينها وبين ابن أم كلاب لما سمعها تقول: قتل والله عثمان مظلوماً!! والله لأطلبن بدمه!! فقال لها ابن أم كلاب: (ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر!!)[4].

وقد جاء في الرسالة التي بعثها أمير المؤمنين إلى عائشة كما أوردها سبط ابن الجوزي: (ثم إنكِ طلبتِ على زعمك دم عثمان. وما أنت وذاك؟! عثمان رجل من بني أمية، وأنتِ من تيم!! ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[5].

وذكر ابن أعثم الكوفي: (ثم إنها خرجت تريد مكة، فلقيها ابن عباس فقالت له: يا ابن عباس، إنك قد أوتيت عقلاً وبياناً فإياك أن ترد الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان، فإني أعلم أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر. ثم

---

(١) المرجع السابق ج٢ ص٤٢١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن اسحاق ج٢ ص١٢٢.
(٣) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٧.
(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٢.
(٥) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٦.

إنها مضت إلى مكة وتركت عثمان على ما هو فيه من ذلك الحصار والشدَّة!!)[1].

أما الطبري فقد روى اللقاء بين عائشة وابن عباس على النحو التالي: (خرج ابن عباس فمرَّ بعائشة في الصلصل فقالت: يا بن عباس، أنشدك الله فإنك قد أعطيت لساناً إزعيلاً أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قد جمَّ. وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح!! فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضي الله عنه!! قال: قلت: يا أمّة لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: إيهاً عنك، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك!!)[2].

لقد تمثل موقف عائشة من عثمان في الأمور الآتية:

١ ـ الشهادة عليه بأنه فرعون هذه الأمة، مستندة في ذلك إلى حديث ترويه عن النبي ﷺ.

٢ ـ أبلى سنّة رسول الله ﷺ، ومخالفته للنبي ﷺ.

٣ ـ تأليب الناس عليه، وتحريضهم ضده بكل ما أوتيت من قوة.

٤ ـ تشبيهه بنعثل، والإدعاء بأن النبي ﷺ هو الذي لقبه بهذا اللقب.

٥ ـ الإدّعاء بأن النبي ﷺ قد لعن عثمان ثم لم يستغفر له.

٦ ـ وصفه بالغدر والفجور وتخريب الأمانة وتضييع الرعية، كما وصفته بالطاغي.

٧ ـ الدعاء عليه بالعطش وحرمانه البركة، كما دعت عليه أن يبعده الله ويسحقه لظلمه.

٨ ـ تحريض المسلمين على قتله.

٩ ـ تمنيها لو أن عثمان مقطَّع في غرارة من غرائرها لكي تطرحه في البحر.

١٠ ـ الشهادة عليه بالكفر.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٤٠.

١١ ـ إظهار شؤمه على المسلمين، وتشبيهه بأبي سفيان، وعاقر ناقة النبي صالح عليه السلام.

١٢ ـ الحث على خذلانه وتشكيك الناس فيه.

بعد هذا الموقف من عثمان سنراها كيف بدَّلت موقفها منه إلى النقيض. قُتل عثمان وعائشة في مكة، وقد عرفت خبرقتله وهي في طريق عودتها إلى المدينة فأظهرت الفرح والسرور بقتله. (روى المدائني في كتاب «الجمل» قال: لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي بـ (شراف)، فلم تشك في ان طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً! إيه ذا الإصبع!! إيه أبا شبل!! إيه يا بن عم، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حثّوا الإبل ودعدعوها!!)[1].

لم يدم هذا الفرح طويلاً لأنها تسرعت في إظهاره بمجرد أن سمعت الجزء الأول من الخبر وهو قتل عثمان، كما أظهرت سعادتها وانشراح صدرها بتولي ابن عمها التيمي طلحة مقاليد الأمور. وقد اعتمدت في قياسها على أن طلحة قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فلم تشك فى استيلائه ـ وفق تلك المقاييس ـ على مقاليد الأمور.

لكن هذا الفرح لم يدم طويلاً بمجرد أن سمعت الجزء الثاني من الخبر وهو بيعة الصحابة من المهاجرين والأنصار لأمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، فجنَّ جنونها وأظهرت حقدها الدفين لأمير المؤمنين على العيان وأظهرت العصيان، وعرَّت نفسها تماماً من أقنعة الدين وأردية التقوى. وتزعمت الفرقة الناكثة كما تزعم بعدها معاوية بن أبي سفيان الفرقة القاسطة الباغية.

تأمل أيها القاريء الكريم في قولها لعثمان: (بعداً لنعثل وسحقاً!!) لكي تعرف مصداقية كلامها بعد سماعها الجزء الثاني من الخبر.

قال أبو مخنف: إن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة، أقبلت مسرعة، وهي تقول: إيه ذا الإصبع!! لله أبوك!! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً!! فلما انتهت إلى «شراف» استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

قتل عثمان، قال: ثم ماذا؟ قال: حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً. فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!! ويحك!! انظر ما تقول!! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين. فولولت!! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحق. ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته. فلماذا تكرهين ولاتيه؟! قال: ما ردَّت عليه جواباً!!)[1].

تأمل في قولها: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!!). ما قيمة إسلام هذه المرأة بحيث تتمنى أن تنطبق السماء على الأرض وتخرب الدنيا بمجرد أن بايع المسلمون أمير المؤمنين بالخلافة؟! فهل الذي يتمنى هذه الأمنيات الفاسدة يعتبر من الأخيار؟! فلم تتمنّ هذا التمني الفاسد الذي يهلك الحرث والنسل إلا بسبب حقدها الشديد تجاه أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته. وكيف تتمنى أن تنطبق السماء على الأرض بسبب خلافة رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله؟![2]. ألا تحب هذا الشخص الذي يحبه الله ورسوله؟!

(عن جابر قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في المسجد وهو آخذ بيد علي. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ألستم زعمتم أنكم تحبوني؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا)[3]. وهذا التصرف من عائشة يدل على أنها لا تحب النبي صلى الله عليه وآله.

(وعن زر بن حبيش قال سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة وبريء النسمة أنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله إلي أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[4]. فكيف تخلّص عائشة نفسها من مضمون هذه الأحاديث؟

(وعن محمد بن منصور قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سأل رجل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «علي قسيم النار» فقال: هذا حديث يضطرب طريقه عن الأعمش ولكن الحديث الذي ليس عليه لبس هو قول النبي صلى الله عليه وآله: يا علي لا يحبك إلا مؤمن

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم ج٥ ص٢٣ ـ ٢٥ (أحاديث رقم: ٢٤٠٥، ٢٤٠٦، ٢٤٠٧).

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٨٥، ١٨٦.

(٤) المرجع السابق: ج٢ ص١٩٠ ـ ٢١٠.

ولا يبغضك إلا منافق. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. فمن أبغض علياً فهو في الدرك الأسفل من النار!!)[١].

فهل التي تتمنى أن تنطبق السماء على الأرض بسبب خلافة أمير المؤمنين تحبه أم تبغضه؟! وأين يكون مصيرها يوم القيامة: الجنة أم النار؟!

(أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا. فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم في عليّ والخلافة، والخلافة وعلي. إن الخلافة لم تزين علياً بل عليّ زيَّنها!!)[٢].

فما عذر عائشة عندما ترفض خلافة شخص زيَّن الخلافة ولم تزيِّنه؟!

وتأمل في قولها: (ويحك!! انظر ما تقول!! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت!!). فقد توجعت ودعت بالويل بمجرد أن سمعت أن المسلمين بايعوا أمير المؤمنين بالخلافة. فعلام يدل ذلك؟ ولم تصدِّق، ولم تفق من هذه الصدمة. ولهذا طلبت من الذي نقل لها الخبر أن يتحقق من صحته (انظر ما تقول!!). ولما تأكد لها أن أمانيها في تولية ابن عمها طلحة قد تبخرت وذهبت أدراج الرياح تجرعت الغصص ولاذت بالصمت (فما ردَّت عليه جواباً!!)

قال أبو مخنف: (حدثني أبو يوسف الأنصاري: أنه سمع أهل المدينة يتحدثون أن الناس لما بايعوا علياً عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة، ـ رضي الله تعالى عنها ـ ان الناس بايعوا لطلحة، فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشاً وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت إلى «سرف» استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، فقال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال: خيراً، صارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم علياً. فقالت: أوفعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت!! فقال لها: ولم؟ والله ما أرى اليوم في الأرض مثله، فلم

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص٢٥٣.

(٢) المرجع السابق: ج٣ ص١١٤.

تكرهين سلطانه؟! فلم ترجع إليه جواباً. وانصرفت إلى مكة فأتت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سمَّيناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بداً. فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خير منه فقتله!! فقتل ـ والله ـ وقد ماصوه كما يماص الثوب الرخيص، وصفوه كما يصفى القلب)[1].

لقد كانت مسرورة غاية السرور من قتل عثمان. ولما سمعت ببيعة المسلمين لأمير المؤمنين تحول ذلك السرور إلى حزن راساً على عقب. تأمل في قولها: (أوفعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت!!).

فهذا الفعل المتمثل في خلافة أمير المؤمنين يعتبر في عرفها جريمة لا تغتفر، ولهذا تمنت أن تنطبق السماء على الأرض ويخرب الكون حتى لا يكون أمير المؤمنين خليفة وإماماً على الناس. وإنها لتعلم علم اليقين أن الخلافة ثابتة لأمير المؤمنين رغم أنفها شاءت أم أبت. وهذا الرفض الأعمى لخلافته وإمامته لا يغيِّر من الواقع شيئاً، بل ألزمها ذلك الرفض عار الدنيا والآخرة، ومكثت سنوات عديدة ولم يكن في عنقها بيعة لأمير المؤمنين، وخرجت من الدنيا ولم تكن في عنقها بيعة له ولا لأولاده، ولكنها قبلت بخلافة الطليق ابن الطليق معاوية بن أبي سفيان، ولم تتمن أن تنطبق السماء على الأرض بسبب خلافته. ولم تحاربه حينما أمر زوجها النبي ﷺ بقتله. هذا من العجائب، بل من سوء المصير.

ولما سألها ابن أم كلاب: (فلم تكرهين سلطانه؟! فلم ترجع إليه جواباً!!) هذا هو ردّ المفلس الذي تشبث بالباطل. فلو كانت على حق في رفضها لدعمته بالدليل والبرهان لا الإكتفاء بالصمت المخجل الذي لا طائل تحته. ولماذا رجعت إلى مكة وقد خرجت منها إلى المدينة؟ هل يوجد هناك بيتها الذي أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ فيه؟! أم كان بيتها في المدينة؟! لماذا تجعل أحكام القرآن الكريم وراء ظهرها؟! ولماذا تركت بيتها واستترت بالحجر؟! أم وراء الأكمة ما وراءها؟!

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص٩٩، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢١٧. وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٧.

وتأمل في ادِّعاءتها الواهية: (إنا عتبنا على عثمان في أمور سميناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بداً!!). أين مواقفك الشديدة من ذلك العتاب المزعوم؟! هل عتابك يتمثل في الشهادة عليه بأنه فرعون هذه الأمة؟! أم عندما أبلى سنة رسول الله ﷺ؟ أم بتأليب الناس وتحريضهم على قتله؟! أم بالسخرية منه وتشبيهه بنعثل؟! أم بوصفه بالغدر والفجور والطغيان؟! أم بالدعاء عليه بالبعد والسحق؟! أم بتقطيعه ورميه في البحر؟ أم الشهادة عليه بالكفر؟! أم بتشبيهه بأبي سفيان وعاقر الناقة في الشؤم؟!

ثم متى تاب؟ هل تاب في اللحظة التي سمعت فيها خبر موته فقلتِ بعداً لنعثل وسحقا؟! ما هذا الادِّعاء الكاذب يا أم المؤمنين؟! فهل يقال ذلك الكلام للتائب؟! أم تاب قبل سماعك بخبر موته بمدة؟! فتكوني أظهرت الفرح والسعادة بموت خليفة قد تاب من ذنوبه!! ما هذا الادِّعاء المتناقض يا أم المؤمنين؟! فإذا لم تكوني عادلة وصادقة في هذا الموقف الذي جرى بما لا تشتهي السفن. فكيف تكونين عادلة وصادقة في الروايات التي ترونها عن رسول الله ﷺ؟! فهل التي تتمنى أن تنطبق السماء على الأرض بسبب خلافة أمير المؤمنين تكون عادلة وصادقة في رواياتها عن رسول الله ﷺ.

وتأمل في قولها: (فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خيرٌ منه فقتله!!) من الذي وثب على عثمان فقتله؟ لقد اتهمت عائشة أمير المؤمنين عليه السلام بالوثوب على عثمان وقتله!! كما ادَّعت بأن أمير المؤمنين عليه السلام لا يساوي إصبع من أصابع عثمان!! ما هذا الافتراء يا أم المؤمنين؟! لقد ذكرت في حديثك مع ابن عباس في (الصلصل) أن طلحة قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، وإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر!! ولم يتصرف أمير المؤمنين بمثل هذا التصرف. فكيف تتهمين أمير المؤمنين بقتل عثمان زوراً وكذباً؟!

وقد ذكر المؤرخون بأن طلحة منع الماء عن عثمان!! كما ذكروا بأن أمير المؤمنين عليه السلام أوصل إليه الماء رغم الحصار المحكم على بيته. فأيهما الذي حاول قتل عثمان؟ ولماذا تزوِّرين الحقائق؟! كما ذكر المؤرخون بأن طلحة قد جاء عثمان معتذراً وقال له: (يا أمير المؤمنين أردت أمراً فحال الله بيني وبينه!!)، فلم يقبل عثمان عذره!! وقد ذكر سعد بن أبي وقاص في رسالته لعمرو بن العاص:

(. . . وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه!!). كما ذكر المؤرخون: (أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام!!). كما ذكره المؤرخون بأنه دخل على عثمان من قبل دار ابن حزم الأنصاري!! فبعد كل هذه المواقف البطولية لطلحة، لماذا تبرئينه وتتهمين أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان؟!

فتبرأة المتهم واتهام البريء يسقط عدالة عائشة ومصداقيتها فيما ترويه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله لأنها غير صادقة. قد جعل الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبي في آية المباهلة. كما بيَّن النبي صلى الله عليه وآله بأن أمير المؤمنين سيد العترة هو الثقل الأصغر لا يفترق عن القرآن في حديث الثقلين، كما أنه أحب الخلق إلى الله في حديث الطير، وبمنزلة هارون من موسى في حديث المنزلة. وبعد كل ذلك تأتي عائشة وتقول عن أمير المؤمنين عليه السلام: (فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خير منه فقتله!!) اقرأ واعجب من هذا الاتهام الباطل!!

فلم تكتف عائشة برفض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بل اتهمته بقتل عثمان واستعدت لمحاربته كما سنعرف في مستقبل البحث.

قال ابن أبي الحديد: (وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حجَّ في العام الذي قتل فيه عثمان، وكان مع عائشة لما بلغها قتله، فتحمل إلى المدينة، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: إيه ذا الإصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله! حتى أتاها خبر بيعة عليّ، فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه!! ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردَّت معها. ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً!! فقلت لها: يا أم المؤمنين، ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعده الله، وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً!! فقالت: لقد كان ذلك، ولكني نظرت في أمره، فرأيتهم استتابوه حتى تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقلتوه!!)[1].

متى نظرت في أمره؟ ومتى رأتهم استتابوه؟! هل عرفت ذلك حينما تلفظت

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٦.

بهذا الكلام: (أبعده الله!!)؟ أم عرفت بتوبته عندما قالت: (لوددت أن هذه وقعت على هذه!!)؟

(وروي من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله: أبعده الله! قتله ذنبه وأقاده الله بعمله!! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه. إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الاصبع!! فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام قالت: تعسوا تعسوا!! لا يردون الأمر في تيم أبداً!!)[1].

فبعد أن دعت عليه بقولها: (أبعده الله)، وبعد أن ادَّعت أنَّه قد (قتله ذنبه وأقاده الله بعمله!!) نراها تتهم أمير المؤمنين بالوثوب عليه وقتله!! ناسية أو متناسية أن الله عزّ وجلّ سيحاسبها على ذلك الاتهام الباطل.

ولماذا يكون طلحة أحق بالأمر بعد عثمان من جميع الصحابة؟! هل لكونه تيمي من قبيلة تيم؟ لقد صرَّحت بذلك، وأن التيمية هي المقياس في نظرها لتولي الخلافة (تعسوا تعسوا!! لا يردون الأمر في تيم أبداً!!). وما دام المسلمون قد بايعوا خليفة من أسرة النبي صلى الله عليه وآله ولم يبايعوا طلحة التيمي، فقد: (تعسوا تعسوا!!).

ما هذه التعاسة التي تتباكين عليها؟ لقد كانت التعاسة ـ من وجهة نظرها ـ تتمثل في بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة!! فيا للتعاسة من ذلك الرأي التعيس!! لقد وصلت الأمور بعائشة إلى درجة أن الطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان على خبثه ولؤمه وزندقته لم يتفوه بتلك الكلمات، ولم يصف خلافة أمير المؤمنين بالتعاسة!! كما وصفتها عائشة بكلامها البذيء.

وما دام الحال، أن المقياس في تولي أمور الخلافة بعد عثمان هو مقياس التيمية، أي أن يكون الخليفة تيمياً كما ترى ذلك. نورد هنا مواقف الناس من مقياس التيمية: لما استولى طلحة على بيوت الأموال والخزائن قال عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام: (أما بعد، فإن لي حق الإسلام، وحق الإخاء والقرابة والصهر. ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في الجاهلية لكان عارا على بني عبد مناف أن ينتزع أخو بني تيم ـ يعني طلحة ـ أمرهم!!)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٥٧.

هذا هو رأي عثمان ـ الذي خرجت تطالب بدمه ـ في مقياس التيمية وصاحبه. وقد اعتبره من العار على بني عبد مناف أن يستولي طلحة التيمي على مقاليد أمور المسلمين. فأين تكون التعاسة يا عائشة؟ ومن أصحابها؟!

وقال رجل من جيش عائشة وهو بين الحياة والموت:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا ... فلم ننصرف إلا ونحن رواء
لقد كان عن نصر ابن ضبّة أمّه ... وشيعتها مندوحة وغناء
أطعنا بني تيم بن مرة شقوةً ... وهل تيم إلا أعبدٌ وإماء[1]

فما تيم إلا عبيد وإماء. هذا هو رأي أحد أتباعها ممن قضى نحبه تحت رايتها في حرب الجمل. فأين تكون التعاسة يا عائشة؟ وممن؟!

وذكر الطبري موقف أبي سفيان من خلافة أبي بكر التيمي: (قال أبو سفيان لعلي: ما بال هذا الأمر في أقل حيّ من قريش؟! والله لئن شئت لأملئنها عليه خيلاً ورجالاً!!)[2].

(وعن ثابت قال: لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل!! إنما هي بنو عبد مناف!!)[3].

(وحدثنا عوانة قال: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم!! يا آل عبد مناف، فيما أبو بكر من أموركمّ!)[4].

هذا هو موقف أبي سفيان من خلافة أبي بكر التيمي والذي هو أكبر رأس في قبيلة تيم. وتيم بدورها أقل حي في قريش. فأين تكون التعاسة يا عائشة؟ وممن؟

لما رجع ابن أم كلاب مع عائشة إلى مكة قالت له: ما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم أحد!! قلت: فإن كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع أشدّ بلاء وعناء. فقالت: يا أخا بني بكر لم أ سألك غير هذا. فإذا دخلت مكة

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٧٢.
(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٢٠٢. وانظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص١٨٩.
(٣) المرجع السابق: ج٣ ص٢٠٢.
(٤) المرجع السابق: ج٣ ص٢٠٢.

وسألك الناس، ما ردّ أمّ المؤمنين؟ فقل: القيام بدم عثمان والطلب به!!)[1].

فتعاسة المسلمين عندها جاءت من بيعتهم لأمير المؤمنين بالخلافة وعدولهم عن البيعة لطلحة!! فهل هذا مقياس التعاسة يا عائشة؟! لماذا تصل بك الأمور إلى هذه الدرجة من العداوة لأمير المؤمنين؟!

لم تكتف عائشة برفض بيعة أمير المؤمنين فقط، بل أظهرت حقدها الدفين تجاهه، وتركت بيتها الذي أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ فيه ورجعت إلى مكة، واتخذت حجر اسماعيل بيتاً لها، ومن هناك دبَّرت المؤامرة مع طلحة والزبير وأتباع الضلال، وجيشت الجيش لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام.

وعندما استقر بها المقام في مكة أخرجت كل أضغانها وبيَّنت السبب في عدم ذهابها إلى المدينة (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!)[2].

لقد استنكرت أن يبايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، واعتبرت تلك البيعة بمثابة استيلاء أمير المؤمنين على رقاب الناس!! (ما لعليّ يستولي على رقابنا!!). اقرأ أيها القاريء الكريم واحكم على هذا الرأي المتهافت. ولماذا ترفضين يا عائشة الدخول إلى المدينة ولعلّي فيها سلطان؟! وعلى أيّ دليل شرعي اعتمدت عليه؟! ألا يوجد في المدينة بيتك الذي أمرك الله أن تقرِّي فيه؟! لماذا تركت القرآن وراء ظهرك؟! لماذا بنيت تمردك الأعمى على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم؟!

هذا موقف عائشة، وهذا مدى رفضها لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وبهذا الرفض تعتبر عائشة من أخطر الرافضين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام ولا يساويها في شراسة موقفها من رفض البيعة إلا معاوية بن أبي سفيان. أما باقي المعارضين أمثال سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وحسان بن ثابت وغيرهم لم تتعد معارضتهم الامتناع عن البيعة والبقاء في بيوتهم. أما هي فقد شنَّت على أمير المؤمنين عليه السلام حرباً شعواء لا هوادة فيها، وسيسألها الله عزّ وجلّ عن أسباب تلك الحرب ومآسيها المدمِّرة.

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٦.

بقي شيء محير في موقف عائشة. لقد صبَّ عليها عثمان جام غضبه، وقال فيها وفي آل أبي قحافة حتى ما درى ما يقول من شدة الغضب، وحتى قال المسلمون متعجبين سبحان الله سبحان الله!! ووصفها بالزعراء عدوة الله ولمَّح لها بالكفر عندما ذكَّرها بالآية التي نزلت في حقها. كما هددها إن لم تسكت عن التعرض له بإدخال الرجال الأجانب من الحبشان وسودان الرجال وحمرانها عليها داخل حجرتها. وقد ردَّت له الصاع صاعين. فشهدت عليه بأنه فرعون هذه الأمة، واتهمته بأنه أبلى سنة رسول الله ﷺ، وألَّبت الناس عليه وحرَّضتهم على قتله وشبَّهته بنعثل. ووصفته بالطغيان والغدر والفجور وكفَّرته، وبيَّنت شؤمه على المسلمين. وبعد كل تلك المواقف الخطيرة، والكلام القارص الذي وجَّهه عثمان إليها، نراها تترفع على تلك الجراحات كلها، وتنسى ذلك الكلام القارص، وتصوِّر عثمان بالملاك الطاهر من الذنب وبالحمل الوديع البريء، وتشعل حرباً بين المسلمين، وتزهق فيها الأرواح البريئة، وتعرض نفسها للخطر وتهتك سترها بين الذئاب المتوحشة، وتخالف أوامر ربِّها ونبيِّها، كل ذلك من أجل المطالبة بدم عثمان الذي عرفنا موقفه منها وموقفها منه، كما تدَّعي كذباً وزوراً وبهتاناً.

كما تترفع على تلك الجراحات وتنسى ذلك الكلام القارص وترفض بيعة أمير المؤمنين ومولى المتقين وقائد الغر المحجلين على الرغم من أنه لم يغضب عليها غضباً شديداً، ولم يقل في حقها شيئاً حتى ما درى ما يقول، ولم يصفها بالصفات السيِّئة التي وصفها بها عثمان، ولم يهدِّدها بإدخال الرجال الأجانب عليها في حجرتها، ومع ذلك شنَّت عليه حرباً أهلكت فيها الحرث والنسل، وأيتمت الأيتام وأرملت الأرامل، دون سبب إلا الحقد الأعمى الذي ملأ صدرها، وغطى على بصرها وبصيرتها. فآثرت أن تبريء المتهم وتتهم البريء، وأن تثور على الولي والصديق وتحمي العدو، وتأخذ بثأر من قرصها بالكلام البذيء وهددها بالعمل السيء وتثأر ممن لم يقرصها بالكلام البذيء ولم يهددها بالعمل السيء. مستندة في كل ذلك على مواقف متناقضة، وأقوال متضاربة وأحاديث كاذبة، وادعاءات مزيّفة وتبريرات واهية وحجج مفتعلة.

ولهذا لا عجب أن يحكم عليها أتباعها بعدم أحقيتها في هذه الحرب، وإنما

العجب أن يعطيها أتباعها أجر المجتهد المخطيء، وأن يقولوا عنها وعن طلحة والزبير: نجا القادة وهلك الأتباع!!

فهل وجدت عزيزي القاريء موقفاً غريباً ومستهجناً وقبيحاً اغرب وأقبح وأكثر استهجاناً من موقف عائشة من أمير المؤمنين وسيِّد الموحّدين وقائد الغرّ المحجَّلين؟! كلا، لن تجد موقفاً أغرب وأقبح وأكثر استهجاناً من مقوفها من أمير المؤمنين عليه السلام إلا موقف أبيها وصاحبه عمر بن الخطاب في السقيفة. فمن ذلك الموقف المشؤوم، تولَّد هذا الموقف الغريب والقبيح والستهجن. ومن إناء السقيفة نضح ماء موقف بطلة معركة الجمل، وإن تدفَّق معظمه حين نبحتها كلاب الحوأب، فذهبت بالماء الآسن المتبقي إلى البصرة، فأشعلت به حرب الجمل، وخلَّفت من وراء حربها جيشاً من الأرامل واليتامى، وجيشاً من البائسين الذين لاقوا حتفهم البائس تحت رايتها راية الضلال.

الفصل الثالث:

الناكثون

كان طلحة والزبير في مقدمة الصحابة الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام. ثم بدا لهما أن ينكثا البيعة عندما خابت آمالهما ولم يحققا ما يصبوان إليه. فقد روى الطبري: (عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا: يا أبا الحسن هلمّ نبايعك... ثم بايعهم على ذلك)[1].

وقال أيضاً: (لما قتل عثمان رضي الله عنه ... جاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة والزبير فقالا: يا علي ابسط يدك!! فبايعه طلحة والزبير!! فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال: أول من بدأ البيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر!!)[2].

ففي الخبرين السابقين وجدنا طلحة والزبير يبايعان أمير المؤمنين عليه السلام عن رضى، وكانا في مقدمة المبايعين.

وذكر ابن أعثم الكوفي أنه لما جاء الناس إلى أمير المؤمنين للبيعة (خرج من منزله مع القوم حتى صار إلى طلحة في داره فقال: يا أبا محمد! إن الناس قد اجتمعوا إليَّ في البيعة، وأما أنا فلا حاجة لي فيها، فابسط يدك حتى يبايعك الناس. فقال طلحة: يا أبا الحسن! أنت أولى بهذا الأمر وأحق به مني لفضلك

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٢.

(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١٥٣.

وقرابتك وسابقتك، فقال له علي: إني أخاف إن بايعني الناس واستقاموا على بيعتي أن يكون منك أمر من الأمور!! فقال طلحة: مهلاً يا أبا الحسن! فلا والله لا يأتيك مني شيء تكرهه أبداً!! قال عليّ: فالله تبارك وتعالى عليك راع وكفيل!! قال طلحة: يا أبا الحسن نعم! قال علي: فقم بنا إذاً إلى الزبير بن العوام. فأقبل معه طلحة الى الزبير فكلّمه عليّ بما كلم به طلحة، فرد عليه الزبير شبيهاً بكلام طلحة وعاقده وعاهده أنه لا يغدر به ولا يحبس بيعته!!)[1].

ففي الخبر نرى أن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرض على طلحة والزبير أن يبايعهما فرفضا وأصرًا على أن يبايعا أمير المؤمنين عليه السلام لفضله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسبقه للإسلام، والشيء العجيب أن أمير المؤمنين عليه السلام قد لمَّح لهما بالنكث والغدر بعد البيعة، فطمئناه بعدم قيامهما بذلك النكث والغدر. ولما طلب منهما أن يجعلا الله تبارك وتعالى عليهما راعياً وكفيلاً وافقا على ذلك ثم غدرا ونكثا بالبيعة كما سنعرفه بعد قليل. فبعد هذه الإجراءات لم يبق لهما أي عذر يعتذران به.

وذكر ابن أعثم الكوفي: (وقام طلحة إلى عليّ فبايعه وضرب بيده على يد علي، وكان به شلل من ضربة أصابته يوم أحد، فلما وقعت يده على يد عليّ قال قبيصة بن جابر: إنا لله وإنا إليه راجعون! أول يد وقعت على كف علي أمير المؤمنين يد شلّاء، لا والله لا يتم هذا الأمر من قبل طلحة بن عبد الله أبداً، قال: ثم وثب الزبير وبايع، وبايع الناس بعد ذلك بالبيعة من المهاجرين والأنصار ومن حضر من العرب والعجم والموالي)[2].

ففي الخبر كان طلحة والزبير في مقدمة المبايعين من المهاجرين والأنصار. لكن ماذا كانا ينويان أثناء البيعة؟ هل كانت بيعتهما خالصة لوجه الله؟ أم كانت بيعة تجارية تدور مدار الربح والخسارة؟!

قال ابن قتيبة: (ذكروا أن الزبير وطلحة أتيا علياً بعد فراغ البيعة فقالا: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبو بكر وعمر وعثمان. فقالا: لا!! ولكنا بايعناك على أنا

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٦.

شريكاك في الأمر!! قال عليّ: لا ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد (وكذا)[1].

لقد أنكرا بلسانيهما أنهما لم يبايعا أمير المؤمنين عليه السلام على السمع والطاعة، وإنما بايعاه على أن يكونا شريكيه في الخلافة!! (قال عليّ: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان. فقالا: لا، ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر!!). فقولهما يدل على خبث سريرتهما، وأن سريرتهما تختلف عن علانيتهما. كما يدل شرطهما على خبث سريرة من يقول بعدالة الصحابة وهذان نموذجان من وجوه الصحابة، وهذه حقيقة بيعتهم الهزلية المضحكة المبكية في آن واحد.

فلو اشترط كل مسلم في بيعته أن يكون شريكاً للمبايع له لفسد الأمر وعمَّت الفوضى. كما أن ذلك الشرط الغريب مخالف للشرع، ولم يقل به أحد من المسلمين. فكيف جاز لهما أن يشترطا على أمير المؤمنين ذلك الشرط الفاسد؟!

لما بايع الناس أمير المؤمنين (نزل من المنبر وأعطى كل ذي حق حقه وسكن الناس، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير، فقالا: يا أمير المؤمنين إن عيالنا كثير وأرضنا شديدة!! فقال: ألم أشرط؟ إنني لا أعطي أحداً دون أحد. فقالوا: قد لزمتنا نفقات. فقال: ائتوني بأصحابكم، فإن رضوا أن أعطيكما دونهم فعلت، وإن أبيتما فأنا أعطيكما من عطائي. فأبيا عليه وقالا: ائذن لنا في العمرة. فقال: والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان الغدرة والفتنة!! فقالا: كلا والله!! فقال: قد أذنت لكما، فافعلا ما شئتما)[2].

وذكر الشيخ المفيد عن ذهاب طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين عليه السلام: (فصارا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فخطب إليه طلحة ولاية العراق، وطلب منه الزبير ولاية الشام فأمسك عليه السلام عن إجابتهما في شيء من ذلك. فانصرفا وهما ساخطان منه، فعرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه عليه السلام فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما، وكان في علية في دراه، فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٠.

(٢) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٥.

وقالا: يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا، ونقضي به حقوقاً علينا. فقال عليه السلام: قد عرفتما ما لي بـ(ينبع)، فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسَّر. فقالا: لا حاجة لنا في مالك بـ(ينبع). فقال لهما: فما أصنع؟ فقالا: اعطنا من بيت المال شيئاً فيه لنا كفاية!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سبحان الله! وأي يد لي في بيت المال! ذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم. فإن شئتما رقيت المنبر وسألتهم ذلك مما شئتما، فإن أذنوا فيه فعلت، وأنى لي بذلك! وهو لكافة المسلمين، شاهدهم وغائبهم، لكن أبلي لكما عذراً. قالا: ما كنا بالذي يكلفك ذلك، ولو كلفناكه لما أجابك المسلمون!! فقال لهما: فما أصنع؟ قالا: سمعنا ما عندك)[1].

نستشف من هذا الخبر، أنهما ذهبا إليه مرتين، في المرة الأولى طلب طلحة ولاية العراق، وطلب الزبير ولاية الشام، ولما لم يحصلا على طلبهما ذهبا إليه بعد ثلاثة أيام وطلبا منه أن يعطيهما مبلغاً من المال من بيت مال المسلمين!!

فقد ادَّعى طلحة والزبير كذباً وزوراً بأنهما بحاجة إلى المال بحجة (إن عيالنا كثير، وأرضنا شديدة . . . قد لزمتنا نفقات!!) على رواية سبط ابن الجوزي. وبحجة (ما نحن فيه من الشدة. . . نصلح به أموالنا، ونقضي به حقوقاً علينا!!) على رواية الشيخ المفيد. وقد ذكرنا في الباب الأول الأموال الطائلة التي كان يملكها كل من طلحة والزبير. فلماذا يستخدمان أسلوب الكذب والتزوير لاختلاس أموال المسلمين؟!

لقد ترك طلحة بعد موته (٢,٢٠٠,٠٠٠ درهم) و(٢٠٠,٠٠٠ دينار)، وقوّمت أصول عقاره بـ (٣٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم). كما ترك (٣٠٠ بهار من ذهب وفضة) وكل بهار ٣ قناطر ذهب. أي (٩٠٠ قنطار ذهب) وهي تعادل بالأوزان الحديثة (٤٠٤٣٥,٢ كيلو جرام من الذهب!!). كما أعطى عثمان طلحة في خلافته (٢٠٠,٠٠٠ دينار)[2].

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٤.

(٢) انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري ج٤ ص٢٦١ ـ ٢٦٣، العشرة المبشرين بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٧١ ـ ٢٧٣، مروج الذهب: المسعودي ج٤ ص٣٣٣، الغدير الأميني ج٨ ص٢٨٣.

أما الزبير فقد كان له (١٠٠٠ مملوك) يؤدّون إليه الخراج، وخلّف بعد وفاته (١٠٠٠ فرس)، كما أن تركته بعد قضاء دينه (٥٧,٦٠٠,٠٠٠). وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة (١,١٠٠,٠٠٠). وقد أجاز عثمان بن عفان الزبير بـ (٦٠٠,٠٠٠) من بيت المال بأصبهان!!)[١].

فإذا كان طلحة والزبير يملكان تلك الأموال الطائلة التي تقدر بالملايين، فكيف جاءا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلبان منه أن يعطيهما من بيت مال المسلمين بلا حياء ولا خجل؟! ولماذا كذبا على أمير المؤمنين عليه السلام بحجة كثرة العيال وشدة الأرض والشدة التي هما فيها والنفقات التي لزمتهما؟! فإذا كان طلحة والزبير وهما من وجوه الصحابة يكذبان علانية للاستيلاء على أموال المسلمين، فما قيمة عدالتهما خاصة وعدالة الصحابة عامة عند أتباعهما؟ ألا يسقط هذا الكذب المفضوح عدالتهما؟! ولو بايع المسلمون أحدهما أو كليهما، فماذا سيفعلان في أموال المسلمين وممتلكاتهم؟!

لقد حاول أمير المؤمنين عليه السلام أن يسدَّ جشعهما، فأبدى استعداده أن يكتب لهما جزءاً من ماله في (ينبع) فرفضا رفضاً قاطعاً، وأصرَّا عليه أن يعطيهما من بيت مال المسلمين!! (قد عرفتما ما لي بـ (ينبع)، فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسَّر. فقالا: لا حاجة لنا في مالك بـ (ينبع). فقال لهما: فما أصنع؟! فقالا له: أعطنا من بيت المال شيئاً فيه لنا كفاية!!).

لقد بان لكل ذي عينين الفرق بين الذهب والخبث، والفرق بين الثريا والثرى، والفرق بين التقوى والفجور، وبين الورع والجشع، فموقف أمير المؤمنين يمثل قمة التقوى والورع والأمانة، وموقف طلحة والزبير يمثل قمة الانحطاط والجشع والخيانة.

حاول أمير المؤمنين عليه السلام أن يبيِّن لهما خطأ مطلبهما في صورة عملية حسية يقتنعان بها. فاقترح عليهما أن يطرح طلبهما على عامة المسلمين بعد أن يصعد

---

(١) انظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري ج٤ ص٢٨٥ ـ ٢٩١، العشرة المبشرين بالجنة من طبقات ابن سعد ص٢٥٢، ٢٥٥ ٢٥٦، ٢٥٧، مروج الذهب: المسعودي ج٤ ص٣٣٣، الغدير الأميني ج٨ ص٢٨٢.

المنبر، فإن وافق جميع المسلمين على إعطائهما طلبهما من المال فبها، وإلا فلا. فكان جوابهما: (ما كنا بالذي يكلفك) و (فأبيا عليه). لقد قطع حججهما من جذورها ولم يترك لهما عذراً مقبولا. وقد تيقَّنا بما لا مجال للشك فيه، إن طرح أمير المؤمنين طلبهما على المنبر افتضحا أمام جميع المسلمين لما يملكانه من أموال طائلة تقدر بالملايين، تجعلهما لا يحتاجان إلى أي مال من بيت مال المسلمين. هذه من جهة. ومن جهة ثانية يفتضحان أمام المسلمين في محاولتهما الكاذبة لنهب أموال المسلمين دون مبرر. ومن جهة ثالثة يظهر كذبهما أمام المسلمين عندما ادعا: (إن عيالنا كثير، وأرضنا شديدة... قد لزمتنا نفقات... ما نحن فيه من الشدة، ... نقضي به حقوقاً علينا).

ولهذا خوفاً من الفضيحة رفضاً أن يعرض أمير المؤمنين طلبهما على المسلمين عبر المنبر. فقالا له: (ما كنا بالذي يكلفك ذلك، ولو كلفناكه لما أجابك المسلمون!!).

يبقى سؤال لا بد من طرحه. إذا كان طلحة والزبير يملكان تلك الأموال الطائلة التي تقدر بالملايين، لماذا ذهبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يطلبان منه أن يعطيهما مالاً من بيت مال المسلمين؟ ماذا يعني ذلك الطلب الغريب؟

هل كان يعبدان الله على جرف هارٍ؟ هل كان إيمانهما من الهشاشة إلى درجة أنهما لا يتورعان عن نهب أموال المسلمين بالرغم من عدم حاجتهما إلى ذلك المال؟ وإذا كان إيمانهما صلباً لا خدش فيه، فلماذا تصرَّفا ذلك التصرف الغريب الذي يخدش الإيمان؟ ولماذا لم يردعهما إيمانهما من الكذب والتزوير والاحتيال من أجل الحصول على المال؟ هل كان يعتقدان أن أمير المؤمنين عليه السلام مثل عثمان يعطيهما الأموال الطائلة من بيت المال دون مبرر؟! أم كان قصدهما من ذلك الطلب اختبار أمير المؤمنين؟ فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا غضبا عليه عندما لم يحقق طلبهما؟! وإذا كانا لا يعتقدان كل ذلك، فلماذا ذهبا إلى أمير المؤمنين يطلبان منه أن يعطيهما مالاً من بيت مال المسلمين بالرغم من عدم حاجتهما إليه؟!

هذه أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب. والجواب يكشف زيف إيمانهما، وتهافت إدعائهما، ومخالفة أعمالهما للقرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة.

ولعل في الأخبار التي نوردها الآن عنهما يكون فيها الجواب الكافي الشافي لتلك الأسئلة الحائرة. قال الشيخ المفيد: (ثم نزلا من العلية وفي أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام فسمعتهما يقولان: والله ما بايعناه بقلوبنا وإن كنا بايعناه بألسنتنا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠][1].

وذكر سبط ابن الجوزي: (وقالا ائذن لنا في العمرة. فقال: والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان الغدرة والفتنة!! فقالا: كلا والله!! فقال: قد أذنت لكما، فافعلا ما شئتما)[2].

فقد أقسما بالله أنهما ما بايعا أمير المؤمنين بقلوبهما وإن كانا بايعاه بألسنتهما، في المقابل يقسم أمير المؤمنين عليه السلام ـ حسب رواية سبط ابن الجوزي ـ بأنهما لا يريدان العمرة بل يريدان الغدرة والفتنة. وقد صدَّقه التاريخ كما كذَّبهما التاريخ وبيَّن زيف إيمانهما، ودغل عقيدتهما، ونفاقهما في بيعتهما. وما قسمهما أمام أمير المؤمنين عليه السلام (كلا والله) إلا دجل وتهاون واستخفاف بالله العظيم. فقد روى البلاذري: (إن طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة. فقال: لعلكما تريدان الشام أو العراق؟ فقالا: اللهم غفراً إنما نوينا العمرة!! فأذن لهما فخرجا مسرعين وجعلا يقولان: لا والله ما لعليّ في أعناقنا بيعة، وما بايعناه إلا مكرهين تحت السيف. فبلغ ذلك علياً فقال: أخذهما الله إلى أقصى دار وأحرّ نار)[3].

فخروجهما من المدينة مسرعين، وقولهما: (لا والله ما لعليّ في أعناقنا بيعة) يؤكد كذبهما عندما أقسما أمام أمير المؤمنين عليه السلام بقولهما: (كلا والله) هذا من جانب، واستخفافهما بالقسم بالله العظيم من جانب آخر. وهذا مؤشر قوي يدل على هشاشة إيمانهما، ودغل عقيدتهما.

ومما يلقي الضوء على جواب تلك الأسئلة الحائرة ما ذكره ابن قتيبة: (وكان

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٥.
(٢) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٦.
(٣) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٢.

الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن. فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً، أظهرا الشكاية. فتكلم الزبير في ملأ من قريش. فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، وسبَّبنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفى الأمر. فلما نال منا ما أراد، جعل دوننا غيرنا!! فقال طلحة: ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا!!)[1].

لقد كانا يأملان في ولاية العراق واليمن، ولما استبان لهما أن أمير المؤمنين غير موليهما بلداً من البلدان أظهرا الشكاية والتذمر منه. أما قول الزبير: (هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، وسبَّبنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفى الأمر...) فهو اعتراف باشتراكهما في جريمة قتل عثمان، والاعتراف سيّد الأدلة. لكن قوله أنه وطلحة قد قاما بما قاما به من أجل أمير المؤمنين عليه السلام فهذا كذب صريح. وأحداث التاريخ تكذِّبهما، ولم يأمرهما أمير المؤمنين بذلك. فقد عمل طلحة مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن، ولما أمر أمير المؤمنين بتكسير الأقفال وتوزيع الأموال انصرف الناس عن طلحة فذهب إلى عثمان معتذراً قائلاً في اعتذاره: (يا أمير المؤمنين أردت أمراً فحال الله بيني وبينه. فقال عثمان: والله ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً، الله حسيبك يا طلحة!!)[2].

لقد اعتذر عن نفسه عندما لم يحقق ما يصبو إليه، ولم يعتذر عن أمير المؤمنين عليه السلام. بل إن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي أفسد عليه خططه. كما أن توبيخ عثمان كان موجهاً إلى طلحة ولم يكن موجهاً لأمير المؤمنين عليه السلام. بل هو الذي استنجد بأمير المؤمنين لإفساد خطط طلحة. فكيف يقول الزبير (هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان...»؟ لقد استخدم طلحة والزبير أسلوب الكذب عدة مرات لتبرير مواقفهما مما يدل على أن الإيمان لم يتغلغل في قلوبهما.

أما قول طلحة: (ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧١.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص٥٨.

وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا!!). فهو تكذيب آخر لصاحبه الزبير. فهما لم يقوما بالثورة ضد عثمان لصالح أمير المؤمنين عليه السلام كما يدّعي الزبير كذباً وزوراً، وإنما بايعاه على أن يكونا شريكيه في الأمر كما ادعيا، فرفض أمير المؤمنين هذا المطلب الغريب المخالف للشرع، كما رفض أن يعطيهما من أموال بيت المال، من هنا تأكد لهما كما عبَّرا عنه (أصبحنا قد أخطأنا ما رجونا) وخاصة بعدما رفض أن يوليهما على العراق أو الشام أو اليمن. وقد عبَّر طلحة عن خيبة آمالهما بقوله: (ما لنا من هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب!!)[1].

بعد أن آيس طلحة والزبير من أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحصلا على مطالبهما المتمثلة في:

أ ـ المشاركة في الأمر.

ب ـ ولاية الشام واليمن، أو الكوفة والبصرة.

ج ـ الحصول على الأموال من بيت المال.

أخذا يفكران في طريقة للإنتقام من أمير المؤمنين ونكث بيعته حتى جاءتهما رسائل معاوية التي شجعتهما على نكث البيعة. فكتب معاوية إلى الزبير:

بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما!!

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُرَّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيَّاه، فلم يشكَّا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام!!)[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣١، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت. ج١ ص٢٩٥.

الشيء المضحك المبكي في هذه الرسالة أنها تدور حول موضوع الإمام والإمامة. فإن كانت الإمامة بالنص كما يدَّعي شيعة أمير المؤمنين ـ ومن ضمنهم الزبير بعد أحداث السقيفة ـ فالزبير يعلم أن النبي ﷺ لم ينصِّبه للإمامة، فكيف يقبل بإمامة تأتي من الطليق معاوية ويفرح بها؟!

وإن كانت الإمامة بالشورى، وعن طريق أهل الحل والعقد، فالزبير كان يعارض هذه الفكرة بعد أحداث السقيفة، بل سلَّ سيفه لمعارضة هذه الفكرة، وإذا كان الزبير آمن بفكرة الإمامة عن طريق الشورى بعد مقتل عثمان، فكيف قبل بالإمامة التي جاءت عن طريق الطليق معاوية وهي مخالفة لمبدأ الشورى؟! ولماذا فرح بإمامة تخالف مبدأ الشورى إذا كان يعتقد به؟!

ففي كلتا الحالتين وجدنا الزبير يقبل بإمامة ويفرح بها لم يستحقها عن طريق النص ولا الشورى، فكيف قبل بهذا التصرف المخالف للشرع؟!

من حقنا أن نوجه هذه الأسئلة: هل يحق لمعاوية ـ وهو بالشام ـ أن ينصّب الزبير إماماً على الناس ويأخذ له البيعة دون مشورة المسلمين؟ هل يحق لمعاوية أن يبايع لطلحة بعد الزبير دون مشورة المسلمين؟ هل يحق لمعاوية أن يأخذ البيعة للزبير وطلحة بعد بيعة المسلمين من المهاجرين والأنصار لأمير المؤمنين؟!

كيف غابت هذه الأسئلة عن الزبير وطلحة؟ لم تغب تلك الأسئلة عنهما، وإنما الطمع في مشاركتهما أمير المؤمنين في أمور الخلافة هو الذي جعلهما يقبلان بإمامة مزيَّفة مخالفة للشرع حتى لو كانت من الطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان. ثم، كيف غاب عن ذهنهما أن معاوية بايع لهما أهل الشام ولم يجعلهم يبايعون له؟!

وتأمل في تعليق ابن أبي الحديد على الرسالة (فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُرَّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيَّاه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام!!). لقد فرح الزبير بالكتاب، وفرح بالإمامة التي أرسلها إليه معاوية على طبق من ذهب، وهو يعلم أنها مخالفة لحكم الله ورسوله، ولم يشك مع صاحبه في نصح معاوية لهما، وفي المقابل كان يشكان في منصب الخلافة الإلهية الحقة، ولو لم يشكا في ذلك لشكا في نصح

معاوية. وبعد وصول تلك الرسالة الشيطانية أجمعا على خلاف إمامهما الذي بايعاه على الإمامة. وذهبا إلى مكة لإخراج الإمامة من صاحبها واستيلائهما على مقاليد الإمامة كما سنعرف لاحقاً، لا الطلب بدم عثمان الذي اشتركا في قتله كما ادَّعياه أمام الناس.

وكتب معاوية كتاباً إلى طلحة جاء فيه:

أما بعد: فإنك أقل قريش وتراً، مع صباحة وجهك، وسماحة كفك، وفصاحة لسانك، فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرفه وفضله، فسارع ـ رحمك الله ـ إلى ما تقلّدك الرعية من أمرها، مما لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا القيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدَّم صاحبه فالمقدَّم الإمام، والأمر من بعد للمقدِّم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين. والسلام)[1].

لقد ضحك معاوية على طلحة بهذه الرسالة المنمَّقة، كما صدَّق طلحة بتلك الأكاذيب المزخرفة، مما يدل على بلاهة في الذهن، هذا من جانب، وتلهّف شديد على الإمامة حتى لو جاءت عن طريق الشيطان من جانب آخر. وإلا فما علاقة معاوية بتنصيب الخلفاء واحداً بعد الآخر دون الحصول على الإذن الإلهي في ذلك؟ والشخص الذي يؤمن ويصدِّق بأن معاوية له الحق في تنصيب الخلفاء واحداً بعد الآخر دون الحصول على الإذن الإلهي، أو مشورة المسلمين فهو خارج عن الإيمان، وهمه التأمر على المسلمين بغير حق لا غير. ولو استطاع طلحة أن يشق بطنه من حب الإمارة لفعل، فكيف وقد جاءت إليه على طبق من ذهب وإن كانت على شكل سراب؟!

وكتب معاوية رسالة أخرى إلى الزبير لعله ينهض ضد أمير المؤمنين عليه السلام فيكفيه المؤونة. فكتب إليه:

أما بعد، فإنك الزبير بن العوام، ابن أبي خديجة، وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت. ج١ ص٢٩٩.

وحواريّه، وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته بمكة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث، فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرَّديع، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين، وسبقت لك من رسول الله ﷺ البشارة بالجنة وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمة.

واعلم يا أبا عبد الله أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع ـ رحمك الله ـ إلى حقن الدماء، ولمّ الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين، قبل تفاقم الأمر، وانتشار الأمة، فقد أصبح الناس على شفا جرف هارٍ، عمَّا قليل ينهار إن لم يرأب، فشمِّر لتأليف الأمة، وابتغ إلى ربك سبيلا، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدَّم، ثم لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمة الهدى وبغاة الخير والتقوى والسلام.)[1].

كيف أصبحت الرعية كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي وقد بايع المسلمون أمير المؤمنين؟! ولماذا صدَّقت يا زبير ذلك الدجل الأموي وأنت في مقدمة من بايعوا أمير المؤمنين؟ وتأمل في تخرّصات معاوية الموجهة إلى الزبير (فسارع ـ رحمك الله ـ إلى حقن الدماء، ولمّ الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين، قبل تفاقم الأمر...) أي الدماء التي سُفكت حتى يسارع الزبير إلى حقنها؟ وأي الشعث الذي ينبغي أن يلمه الزبير؟ وأي الكلمة التي ينبغي أن يجمعها؟ هل هو الشعث الذي مزَّق أوصاله معاوية؟ أم الكلمة التي فرَّقها معاوية برفضه البيعة وتمرده على إمامه؟ أم دماء عثمان وغلاميه التي شارك طلحة والزبير في سفكها؟ لماذا تصل الأمور إلى هذه الدرجة بين المرسل والمرسل إليه؟!

وتأمل في تخرّصات معاوية إلى الزبير (فشمِّر لتأليف الأمة، وابتغ إلى ربك سبيلاً، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدَّم، ثم لصاحبه من بعده...)

فقد حثه على التمرد ونقض البيعة ونكثها، وسمَّى ذلك النكث البغيض تأليفاً للأمة، وقد آمن الزبير بهذه الفكرة المخالفة للشرع وطبَّقها، وأشعل حرباً أحرق فيها الحرث والنسل لتحقيقها. فما عذره أمام الله عزّ وجلّ؟! لقد أطاع معاوية

---

(١) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت. ج١ ص٣٠٠.

الذي طالما حارب الإسلام والمسلمين وصدَّقه!! وعصى إمامه الذي طالما دافع عن الإسلام والمسلمين وكذَّبه ونكث بيعته. لقد أظهرت رسالة معاوية بلاهة الزبير وضآلة فكره وعقله.

هناك موقف غريب للزبير تجاه أمير المؤمنين يكشف لنا عن حقيقة نفسيته في هذه الفترة. روى الطبري بسنده عن (موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير قال: لما قتل الناس عثمان رضي الله عنه وبايعوا علياً جاء علي إلى الزبير فاستأذن عليه فأعلمته به فسلَّ السيف ووضعه تحت فراشه!! ثم قال: ائذن له. فأذنت له. فدخل فسلَّم على الزبير وهو واقف بنحوه، ثم خرج فقال الزبير: لقد دخل المرء، ما اقصاه؟! قم في مقامه، فانظر هل ترى من السيف شيئاً؟! فقمت في مقامه فرأيت ذباب السيف، فأخبرته. فقل ذاك أعجل الرجل!!)[1].

لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام لزيارة الزبير سلَّ سيفه ووضعه تحت فراشه، ثم قال لخادمه: إئذن له. وهذا التصرف غريب من الزبير، لماذا سلَّ سيفه ووضعه تحت فراشه؟ هذه العادة ليست من عادات العرب، وليست من عادات المسلمين فلماذا تصرَّف الزبير هذا التصرف؟ ومع من؟ مع إمامه وابن خاله!! وهذا التصرف من الزبير ليس عبثاً.

ولو تأملنا في تصرّف أمير المؤمنين عليه السلام لوجدنا فيه مغزى. فقد دخل على الزبير وسلَّم عليه وهو واقف تجاهه، فخرج ولم يجلس، فلماذا لم يجلس معه على فراشه وقد جاء إليه؟! لقد أحسَّ الزبير بمغزى تصرّف ابن خاله أمير المؤمنين، فسأل نفسه هذا السؤال لعله يعرف الجواب: (لقد دخل المرء ما أقصاه؟!) أي ما الذي أبعده عن الجلوس على الفراش وقد دخل الدار؟! لقد عرف الزبير الجواب، لكنه أراد أن يتأكد من صدق حدسه. فقال لخادمه: (قم في مقامه، فانظر هل ترى من السيف شيئاً؟!).

لقد قام الخادم ووقف في المكان الذي وقف فيه أمير المؤمنين فرأى ذباب السيف أي حدّ طرفه، فأخبر الزبير بذلك فقال الزبير: (ذاك أعجل الرجل!!). أي

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٥.

أن رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لذباب سيف الزبير هو الذي أعجله وجعله يقف أمام الزبير ولم يجلس على فراشه بالرغم من مجيئه لزيارته!!

فلماذا تصرَّف الزبير ذلك التصرف الغريب في ذلك الوقت؟ وما هدفه من وضع سيفه تحت فراشه بمجرد معرفته استئذان أمير المؤمنين عليه السلام؟! هل وضع سيفه تحت فراشه للإنتقام من ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام؟ أم من أجل الدفاع عن النفس من غدر أمير المؤمنين عليه السلام؟

إذا كان قد وضع سيفه تحسباً من غدر أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يعلم علم اليقين بأن أمير المؤمنين ليس من هذا الصنف من الناس. كما يعلم ـ والمسلمون كلهم يعلمون ذلك ـ مدى صلابة إيمان أمير المؤمنين الذي يمنعه من ارتكاب ذلك الغدر بأبعد الناس إليه. فكيف يغدر بأقرب المقربين إليه (ابن عمته)؟! وكيف يغدر بابن عمته وقد شهدت له آية الطهارة بإذهاب الرجس؟ وكيف يغدر بابن عمته وهو نفس النبي في آية المباهلة؟ فلا يتصور عاقل بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد نوى الغدر بالزبير في تلك الزيارة، ولم يحمل معه أداة من أدوات الغدر كالسيف والخنجر وما شابه ذلك.

فإن كان الزبير قد وضع سيفه تحت فراشه تحسباً لغدر أمير المؤمنين وفتكه به فقد انسلخ من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها.

وإن كان وضع سيفه تحت فراشه للانتقام من ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام فالمصيبة أعظم. وقد ذهب بخزي الدنيا والآخرة بهذه النية السيئة. فلا يبعد أن يكون الزبير قد نوى هذه النية الفاسدة التي تتمثل في الغدر بأمير المؤمنين والفتك به في بيته بعيداً عن أعين الناس!! وهناك شواهد تؤكد عزمه على ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام للزبير قبيل المعركة: (يا زبير، ما أخرجك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا!! فقال له عليّ: ألست له أهلاً بعد عثمان؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرَّق بيننا، وذكَّره أشياء، وقال له: تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليَّ فضحك وضحكت إليه، فقلت له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه!!

فقال لك رسول الله ﷺ: ليس بمزهٍ، لتقاتلنَّه وأنت ظالم له!! قال: اللهم نعم!!)[1].

فقد أكَّد النبي ﷺ بأن الزبير سيقاتل أمير المؤمنين وهو ظالم له، وقد أثبت التاريخ صحة ذلك، وهذا من دلائل النبوة. وهذا الحديث النبوي الذي كشف حجب الغيب في مقاتلة الزبير لأمير المؤمنين والذي لم يستطع الزبير أن ينفيه يؤكد نيته في قتل أمير المؤمنين والغدر به. وإلا فما الداعي أن يضع السيف تحت فراشه عندما استأذن عليه أمير المؤمنين عليه السلام؟ فنفي نية القتل والغدر عن الزبير تكذيب للحديث النبوي الذي فضح الزبير في قتاله لأمير المؤمنين وهو ظالم له قبل أن يقع بعشرات السنوات.

وقول الزبير لأمير المؤمنين عليه السلام (لا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منا!!) دليل على أنه لا يرى حرمة لأمير المؤمنين، لأنه ليس جديراً بالخلافة، بل هو وطلحة أولى منه بالخلافة!! وما دامت هذه نظرته البائسة تجاه أمير المؤمنين فلا يبعد أن يحلِّل الغدر به ويسفك دمه. وما دام قد نازعه الإمامة فقد هان عليه دمه الطاهر.

وروى الطبري بسنده (عن قتادة عن أبي عمرة مولى الزبير قال: لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، فإما بيّته وإما صبَّحته لعلِّي أقتله قبل أن يصل إلينا!! فلم يجبه أحد. فقال إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدِّث عنا. فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها!! قال: ويحك، إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمرٌ قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر!)[2].

فطلبه ألف فارس في وضح النهار وأمام أتباعه لكي يستعين بهم في قتل أمير المؤمنين قبل أن يصل إليهم في البصرة دليل قوي لا يقبل الشك في وضعه السيف تحت فراشه للانتقام من ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين بعيداً عن أعين الناس. فالذي يبدي استعداده لقتل أمير المؤمنين أمام الملأ من الناس لا يرتدع عن قتل

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٨٣، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٨.

أمير المؤمنين بعيداً عن أعين الملأ من الناس. والذي لا يستحي هناك في البصرة في سفك الدماء البريئة، لا يستحي هنا في سفك الدماء البريئة وسط داره. والذي لا يخاف الله هناك في القيام بذلك العمل الشنيع، لا يخاف الله هنا في ارتكاب هذا العمل الشنيع بعيداً عن أعين الناس. فقد عرَّى الزبير نفسه بنفسه بتصرّفه الأحمق.

لما سار الزبير وطلحة ومعهما عائشة إلى البصرة خطب أمير المؤمنين في الناس فقال: (أيها الناس، إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه، وأما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها، والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك أبداً ـ ليضربَّن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد!!)[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله العظيم، لو أن طلحة والزبير انتصرا في حرب الجمل لضرب أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع شديد بينهما على الخلافة. فكيف لا يجرؤ الزبير على ضرب عنق أمير المؤمنين لما زاره في بيته؟ فالذي يقتل صاحبه ومعاونه لا يتورع في قتل منافسه الذي لا يراه أهلاً للخلافة!!.

بعد أن غدر الزبير بعثمان بن حنيف وأسر أصحابه السبابجة الذين كانوا يحرسون بيت المال في البصرة (أرسلت عائشة إلى الزبير اقتل السبابجة، فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك. قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم!! ولي منهم عبد الله ابنه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفة متمسكين ببيت المال. قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً!!)[2].

السبابجة: قوم من السند، كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن وبيت المال، وهم من أتباع عثمان بين حنيف عامل أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة[3].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٨، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٣.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٣٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢١. انظر: الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨١.

(٣) انظر: نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٠، ٣٢٢.

وقول عائشة للزبير (فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك)، معناه كما ذكره ابن أبي الحديد أن طلحة والزبير لما استوليا على البصرة ذهبا مع أصحابهما في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر إلى المسجد، وقد سبقهم عثمان بن حنيف للصلاة، فأخَّره أصحاب طلحة والزبير وقدّموا الزبير فجاءت السبابجة ـ وهم الشرط حرس بيت المال ـ فأخروا الزبير وقدَّموا عثمان واستطاع أصحاب طلحة والزبير في النهاية أن يقدموا الزبير فصلى بالناس، فلما انصرف من الصلاة أمر جلاوزته أن يأسروا عثمان بن حنيف والسبابجة[1]. وقول عائشة للزبير (قد بلغني الذي صنعوا بك) أي تاخيرهم الزبير عن إمامة الصلاة وتقديم عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين على البصرة في إمامة الصلاة. فهذا ذنبهم عند عائشة والزبير. ولهذا أمرت الزبير بقتلهم. قال الراوي: (فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم!!).

فالذي يتجرأ على ذبح السبابجة الرجال المؤمنين كما يذبح الغنم لا يتورع أبداً من وضع سيفه تحت فراشه لقتل ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين. فقد قتل السبابجة المؤمنين حراس بيت المال لأنهم من أتباع أمير المؤمنين، وإمامهم أولى منهم بالقتل، وقد حاول قتله قبل مجيئه إلى البصرة فلم يفلح.

ولم يكتف بقتل السبابجة السبعين كما يذبح الغنم، بل (بقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم، وأخذ منهم خمسين أسيراً فقتلهم صبراً!!).

فالرجل سفك بحوراً من الدماء البريئة. ذبح سبعين من السبابجة كما يذبح الغنم وشاركه في ذلك الذبح ابنه عبد الله. وأسر خمسين آخرين وقتلهم صبراً!! دون أن يردعه دين أو عرف. فلا غرابة في الأمر أن يضع سيفه تحت فراشه لقتل أمير المؤمنين غيلة. فالذي لا يتورع عن سفك تلك الدماء البريئة في البصرة، لا يتورع عن سفك دم أمير المؤمنين في داره بعيداً عن أعين الناس. وقد فطن أمير المؤمنين لما يريد أن يفعله الزبير (فدخل فسلَّم على الزبير وهو واقف بنحوه، ثم خرج) ولم يجلس على الفراش. وقد اعترف الزبير بأن رؤية أمير المؤمنين لذباب السيف هو الذي أعجله في الخروج.

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٠.

هذا هو الزبير، وهذا موقفه من ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين. فماذا تُترجى منه غير الغدر والنكث. لكن لا بد من تهيئة الأعذار لذلك الغدر والنكث.

قال ابن قتيبة: (ثم أتى طلحة والزبير إلى عليّ، فقالا يا أمير المؤمنين، ائذن لنا في العمرة، فإن تقم إلى انقضائها رجعنا إليك، وإن تسر نتبعك!! فنظر إليهما عليّ وقال: نعم، والله ما العمرة تريدان، وإنما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما!! فمضيا)[1].

لقد استأذنا من أمير المؤمنين عليه السلام على أن يؤديا عملاً يرضى به الله سبحانه وتعالى، وهو أداء مناسك العمرة، كما أكدا له أنهما سيعودان له بعد أداء مناسك العمرة إذا كان مقيماً في المدينة، أو سيسيران معه إلى الشام إذا سار إليها، أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد كذَّبهما وبيَّن لهما إنهما لا يريدان العمرة (والله ما العمرة تريدان. . .) فمن الكاذب منهم؟ ومن الصادق؟ فالصادق هو أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أكَّد التاريخ صدقه.

وذكر الشيخ المفيد أن طلحة والزبير ذهبا إلى أمير المؤمنين عليه السلام: (فلما دخلا عليه قالا: يا أمير المؤمنين قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة، فلم يأذن لهما!! فقالا: نحن بعيدو العهد بها، ائذن لنا فيها. فقال لهما: والله ما تريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة!! فقالا: اللهم غفراً، ما نريد إلا العمرة!! فقال لهما عليه السلام: احلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان عليَّ أمور المسلمين، ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة. فبذلا ألسنتهما بالأيمان الوكيدة فيما استحلفهما عليه من ذلك!!)[2].

فقد بيَّن لهما أمير المؤمنين أنهما لا يريدان العمرة بل الغدرة ويذهبان إلى البصرة، وقد أكّد كلامه بالقسم بالله العظيم. فكان جوابهما النفي. فطلب منهما أن يحلفا له على الأمور الآتية:

١ ـ عدم إفساد أمور المسلمين عليه.

٢ ـ عدم نكث بيعته.

٣ ـ عدم السعي في فتنة.

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧١.

(٢) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٦.

فأكدا له بالأيمان الوكيدة أن لا يفعلا ذلك. فلماذا كذَّبهما أمير المؤمنين؟ ولماذا طلب منهما أن لا يفعلا الأمور الثلاثة المذكورة؟

لما خرج طلحة والزبير من دار أمير المؤمنين أخبرا ابن عباس أن أمير المؤمنين قد سمح لهما بالذهاب للعمرة، ولما دخل على أمير المؤمنين أخبره أنهما لا يقصدان العمرة بل الفتنة. فقال له ابن عباس: (هلا حبستهما وأوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرَّهما؟! فقال عليه السلام: يا ابن عباس، أتأمرني أن أبدأ بالظلم، وبالسيئة قبل الحسنة، وأعاقب على الظنة والتهمة، وآخذ بالفعل قبل كونه؟ كلا، والله لا عدلت عما أخذ الله عليَّ من الحكم بالعدل، ولا القول بالفصل. يا ابن عباس إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، لكنني استظهرت بالله عليهما، والله لأقتلنهما وليخيبنَّ ظنهما، ولا يلقيان من الأمر مناهما، فإن الله يأخذهما بظلمهما لي ونكثهما بيعتي وبغيهما عليَّ)[1].

ما أعظم حلمك يا أمير المؤمنين! وما أروع عدلك! لو كان أحد غيرك مكانك لعاقبهما على سوء نيَّتهما وخبث سريرتهما.

وروى أبو مخنف: إن طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة، فقال: لعلكما تريدان الشام أو العراق؟ فقالا: اللهم غفراً إنما نوينا العمرة. فأذن لهما فخرجا مسرعين وجعلا يقولان: لا والله ما لعليّ في أعناقنا بيعة، وما بايعناه إلا مكرهين تحت السيف!! فبلغ ذلك علياً فقال: أخذهما الله إلى أقصى دار وأحرّ نار!!)[2].

لما أذن لهما خرجا مسرعين. ماذا يدل خروجهما بهذه السرعة؟! وتأمل في قولهما: (لا والله ما لعليّ في أعناقنا بيعة!!) لقد حلفا بالله العظيم أنهما لا يريدان الغدرة بل يريدان العمرة، وها هما الآن يحلفان بنكث البيعة والغدر بأمير المؤمنين (لا والله ما لعليّ في أعناقنا بيعة!!). مما يدل على استخفافهما بالقسم بالله العظيم من جانب، وعدم تغلغل الإيمان في قلوبهما بحيث يمنعهما من النكث والغدر من جانب آخر.

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٧.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٢، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٢.

وقال ابن أبي الحديد: (دخل الزبير وطلحة على عليّ، فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان!! فحلفا بالله أنهما ما يريدان غير العمرة. فقال لهما: ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان، وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانية، فأعاداها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق، فأذن لهما، فلما خرجا من عنده، قال لمن كان حاضراً: والله لا ترونهما إلا في فتنة يقتلان فيها. قالوا: يا أمير المؤمنين، فمرّ بردهما عليك، قال: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)[1].

فأمير المؤمنين يؤكد غدرهما ونكثهما ويبين لهما قصدهما من الخروج، وهما ينفيان الغدر والنكث ويؤكدان على أن قصدهما العمرة. فأحد الطرفين صادق والطرف الآخر كاذب. وقد كشف التاريخ صدق أمير المؤمنين وأحقية موقفه، وكذبهما وباطل موقفهما. كما بيَّن التاريخ الفرق بين الصحابة الصادقين الملتزمين بأحكام الدين، والصحابة الكاذبين المستترين بأحكام الدين.

كما طلب أمير المؤمنين عليه السلام منهما أن يعيدا البيعة، فأعاداها مؤكدين عليها بالأيمان والمواثيق، لكنهما لم يلتزما بشيء من ذلك (فأعيدا البيعة لي ثانية، فأعاداها بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق!!). فإذا كانا يدّعيان كذباً وزوراً أنهما بايعا أمير المؤمنين والسيف على رؤوسهما، فهل كان السيف على رؤوسهما أثناء تجديد البيعة؟ أين ذهب الأيمان والمواثيق في تجديد البيعة؟ لقد نكثا بيعة بايعاها طائعين وأكداها مرة ثانية بأشد ما يكون من الأيمان والمواثيق، ولم يردعهما إيمانهما عن الغدر والنكث. مما يدل على هشاشة إيمانهما، وإنه لم يتغلغل في قلوبهما. ولو أعاد البيعة ألف مرة لنكثا وغدرا. وما دامت هذه تصرفاتهما ومواقفهما، فكيف كانا من العشرة المبشرين بالجنة؟! هل من مباديء العشرة المبشرين بالجنة نكث البيعة لإمامهم؟!

وقال ابن أبي الحديد: (لما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة، وإنما بايعناه مكرهين. فبلغ علياً عليه السلام قولهما، فقال: أبعدهما الله وأغرب دارهما!! أما والله لقد علمت أنهما

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٢.

سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان مَنْ وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان!! ولقد أتياني بوجهي فاجرين، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقياني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء، يقتلان فيهما أنفسهما، فبعداً لهما وسحقاً!!)[1].

فدعاء أمير المؤمنين عليه السلام عليهما (ابعدهما الله، وأغرب دارهما) دليل على أنهما لا يستحقان الاحترام والتقدير بعد نكثهما البيعة، وأنهما لا خير فيهما. وتأمل في قوله عليه السلام (أما والله لقد علمت أنهما يقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم!!) فهذا القول شهادة من أمير المؤمنين عليه السلام على أن طلحة والزبير ماتا ميتة جاهلية دون أن تكون في عنقهما بيعة لإمام زمانهما، وقد اعترفا بذلك بكل صراحة (ليس لعلي في أعناقنا بيعة!!) فأي عذر يبقى لأتباعهما كي يشهدوا عليهما بأنهما من العشرة المبشرين بالجنة؟ وهل من مباديء العشرة المبشرين بالجنة أن لا تكون في أعناقهم بيعة؟! فالذي يقتل نفسه أخبث مقتل سيكون مصيره في النار لا في الجنة.

وتأمل في قول أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد أتياني بوجهي فاجرين، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين!!). فقد ذهب طلحة والزبير إلى أمير المؤمنين بوجهي فاجرين، وخرجا من عنده بوجهي غادرين ناكثين. فهما يعيشان حياتهما في تلك الفترة بين الفجور والغدر والنكث. فما قيمتهما في المجتمع؟ وهل يحظون بالاحترام؟ فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام في حقهما وقد صدَّقتها الأحداث، أولى من الدفاع عن مخازيهما وأفعالهما الشرِّيرة التي أثبتتها الأحداث.

هذا هو حال طلحة والزبير، وموقفهما من بيعة أمير المؤمنين القائم على الغدر والنكث عن معرفة وعن عمد وسبق إصرار، رغم تصريح أمير المؤمنين لهما بالغدر والنكث تارة، وتلويحه لهما بالغدر والنكث تارة أخرى. إلا أنهما لم يرتدعا عن غيهما بعد أن أعطياه العهود والمواثيق المغلظة بأنهما لن ينكثا بيعتهما. وهذا التصرف السيء منهما سيساعدنا على معرفة نواياهما ومخططاتهما في الفصول الآتية من الباب الرابع.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٢.

فلو درس علماء النفس هذين الرجلين دراسة علمية على ضوء نواياهما ومخططاتهما وما قاما به من فساد وغدر ونكث لحصلوا على نتائج قيِّمة في دراسة الصحابة ـ من خلال هذين النموذجين ـ ومعرفة الصالحين من المفسدين منهم. وسوف تفيد هذه الدراسة العلماء والباحثين في علوم التفسير والفقه والحديث. والزبير وطلحة (عيّنة الدراسة) ليسا من الصحابة المغمورين، بل هما من رؤوس الصحابة، ومن المهاجرين الأولين، مما يجعل لدراستهما دراسة نفسية مصداقية علمية. وحياتهما المليئة بالغدر والنكث والفتن تشجع الباحثين وعلماء النفس على دراستهما دراسة نفسية وعلمية.

الباب الرابع

المسير إلى البصرة

الفصل الأول:

التخطيط والتآمر الثلاثي بين عائشة وطلحة والزبير

تجمَّعت قوى الشرّ للقضاء على الإسلام والمسلمين بحجة واهية هي الأخذ بثأر عثمان. لقد كانت الفتنة تغلي في قلب طلحة والزبير، لكنهما لا يستطيعان إظهارها في المدينة خوفاً من أمير المؤمنين عليه السلام، لكنهما يعلنان ما في أنفسهما سراً لأتباعهما أتباع الضلال. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي (لما قدم عبد الله بن عامر المدينة لقيه طلحة والزبير فقالا له: لا مرحباً بك يا مضيِّع ولا آهلاً!! تركت البصرة والأموال وأتيت المدينة فزعاً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه!! هل لا أقمت بالعراق حتى وافيناك بها؟ قال: ثم بعث إليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبياتاً مطلعها:

تركت العراق وفيها الرجال ... وجئت إلى البلدة الخاملة[1]

عدم ترحيبهما بعامل عثمان على البصرة، واتهامهما له بأنه قد ضيَّع البصرة دليل قوي على انغماسهما في الفتنة وتطلعهما إلى الشر، وإلا ما علاقتهما بترك عبد الله بن عامر البصرة أو عدم تركها؟ فبقاء عبد الله بن عامر على البصرة متمرداً على أمير المؤمنين عليه السلام شيء أساسي في مخططهما. فلما وجداه قد ترك البصرة لم يرحِّبا به ولم يعجبهما تصرفه (لا مرحباً بك يا مضيع ولا أهلا!!) لأنه قد ضيَّع عليهما البصرة لأهميتها في مخططهما التآمري (تركت البصرة والأموال وأتيت المدينة فزعاً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه!! هل لا أقمت بالعراق حتى وافيناك بها؟!).

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٠.

فقد كانا يخططان قبل مغادرتهما المدينة للإستيلاء على البصرة واقتطاعها من جسم الدولة الإسلامية للإستفادة من قوتها الإقتصادية في إنجاح مخططهما التآمري على إمام زمانهما. وكانا يتمنيان بقاء عبد الله بن عامر في البصرة حتى يوافياه هناك من أجل إنجاح التآمر على إمام المسلمين الذي بايعاه في مقدمة المبايعين. فما عذرهم أمام الله عزّ وجلّ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ وما عذر أتباعهما الذين يدافعون عن تآمرهما ومخازيهما؟! ولماذا يصر أتباعهما على الدفاع عنهما وتبرير أعمالهما التآمرية بدلاً من فضحهما والإعتراف بأخطائهما؟!

وتأمل في البيت الذي قاله الوليد بن عقبة الذي يلوم فيه عبد الله بن عامر لأنه ترك البصرة حاضرة العراق وما فيها من رجال بدلاً من الاستفادة منهم في حرب أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما خرج طلحة والزبير من المدينة إلى مكة بحجة أداء مناسك العمرة، بدأت فصول المؤامرة تتضح معالمها. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي (فخرج الزبير وطلحة إلى مكة، وخرج معهما عبد الله بن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثمان، فجعل يقول لهما: أبشرا!! فقد نلتما حاجتكما، والله لأمدنكما بمائة ألف سيف!!)[1].

تأمل جيداً في قول عبد الله بن عامر الوالي الفاسد لعثمان على البصرة، وهو ابن خاله، لطلحة والزبير: (أبشرا!! فقد نلتما حاجتكما، والله لأمدنكما بمائة ألف سيف!!). فتصرفات هذا الوالي الفاسد وأمثاله من الولاة الفسقة أحد أسباب الثورة على عثمان. وتصرفات هذا الوالي الفاسد تعطينا صورة للتصرفات الفاسدة للخليفة الذي اختاره من بين المسلمين، حيث ترك الصحابة الصالحين الأخيار وولّى هذا الوالي الفاسد على البصرة، فنهب أموالها وكاد بها الإسلام والمسلمين.

لقد بشَّرهما بالنصر والظفر على أمير المؤمنين لما خرجا من المدينة وأفلتا من قبضته، كما بشَّرهما بنيل حاجتهما في إنجاح التخطيط والتآمر ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وابدى استعداده بمدهما بـ (١٠٠,٠٠٠ سيف). ولم ينكرا عليه، بل رحبَّا بمساعدته. لماذا هذا الكرم الباذخ الذي بذلته يا عبد الله بن عامر؟ من أين لك تلك الأعداد الهائلة من السيوف وحامليها؟ وفي أي مجال ستوظّفها؟

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٢.

هل ستوظّفها لقتال الكفار والمشركين؟! أم ستوظفها في قتال المؤمنين والقضاء على الإسلام والمسلمين؟! وتحت راية مَنْ سيقاتل حاملوا تلك السيوف؟ هل سيقاتلون تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام؟ أم يقاتلون تحت راية المتمردين والناكثين؟

أسئلة حائرة نوجّهها إلى أتباع طلحة والزبير الذين ما زالوا يدافعون عن مساوئهما ومخازيهما وتمردهما لعلّنا نجد عندهم الجواب الشافي. وإذا لم يكن عندهم الجواب الآن سيطالبهم الله عزّ وجلّ يوم القيامة عندما يسألهم عن سبب دفاعهم وتبريرهم لأعمال هذين المتمردين الناكثين بدلاً من الوقوف مع إمام الحق أمير المؤمنين عليه السلام وإدانة أعمال وتمرد الناكثين طلحة والزبير.

لقد لاقى هذا العرض السخي المخالف لأحكام الدين هوى في قلب طلحة والزبير، ولهذا قالا حسب رواية ابن أبي الحديد: (لما خرج طلحة والزبير من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة!! وإنما بايعناه مكرهين)[1].

فمائة ألف سيف يحملها مائة ألف متمرد وناكث لا يعبؤون بأحكام الدين تغريهما أن ينكثا البيعة ويعلنا عدم وجود بيعة في عنقهما لأمير المؤمنين عليه السلام. وبهذا النكث اختارا أن يموتا ميتة جاهلية عن قناعة ورضا دون إكراه.

لما خرج طلحة والزبير من المدينة متوجهين إلى مكة (فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طافا بالبيت طواف العمرة، وسعيا بين الصفا والمروة، وبعثا إلى عائشة عبد الله بن الزبير وقالا له: إمض إلى خالتك فأهد إليها السلام منا وقل لها: إن طلحة والزبير يقرءانك السلام ويقولان لك: إن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً، وإن علي بن أبي طالب ابتزَّ الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان، ونحن نخاف انتشار الأمر به، فإن رأيت أن تسيري معنا لعلَّ الله يرتق بك فتق هذه الأمة ويشعب بك صدعهم ويلم بك شعثهم ويصلح بك أمورهم. فأتاها عبد الله فبلَّغها ما أرسلاه به. فأظهرت الامتناع من إجابتهما إلى الخروج عن مكة. وقالت: يا بني لم آمر بالخروج ولكني رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما فُعل بعثمان إمامهم وأنه أعطاهم التوبة، فقتلوه

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٢.

تقياً نقياً بريأً، ويرون في ذلك رأيهم، ويشيرون إلى من ابتزهم أمرهم وغصبهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة، بتكبّر وتجبّر، ويظن أن الناس يرون له حقاً كما كانوا يرونه لغيره، هيهات هيهات!! يظن ابن أبي طالب يكون في هذا الأمر كابن أبي قحافة لا والله، ومن في الناس مثل ابن أبي قحافة؟ تخضع إليه الرقاب ويلقى إليه المقاد. وليها والله ابن أبي قحافة فخرج منها كما دخل، ثم وليها أخو بني عدي، فسلك طريقه ثم مضيا فوليها ابن عفان فركبها رجل له سابقة ومصاهرة برسول الله ﷺ وأفعال مع النبي ﷺ مذكورة، لا يعمل أحد من الصحابة مثل عمله في ذات الله، وكان محباً لقومه فمال بعض الميل، فاستتبناه فتاب ثم قتل، فيحق للمسلمين أن يطلبوا بدمه.

فقال لها عبد الله: فإذا كان هذا قولك في عليّ يا أمَّة، ورأيك في قاتلي عثمان، فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد علي بن أبي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدين؟! فقالت: يا بني أفكر فيما قلت وتعود إليّ. فرجع عبد الله إلى طلحة والزبير بالخبر. فقالا له: قد أجابت أمنا، والحمد لله إلى ما نريد!! ثم قالا له: باكرها في الغد فذكرها أمر المسلمين وأعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهداً، ونحكم معها عقداً!! فباكرها عبد الله وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها، فأجابت إلى الخروج ونادى مناديها: إن أم المؤمنين تريد أن تخرج بدم عثمان، فمن كان يريد أن يخرج فليتهيأ للخروج معها)[1].

لقد ادَّعى طلحة والزبير إن أمير المؤمنين عليه السلام تغلب على خلافة المسلمين بالسفهاء (إن عليّ بن أبي طالب ابتز الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان!!). قد كشفا أمرهما للناس، بأنهما لم يتورعا عن الكذب. فقد ذكرنا في الباب الثالث أن المهاجرين والأنصار كانوا في مقدمة الذين بايعوا أمير المؤمنين، وكان ممتنعاً عن البيعة وهم مصرون على بيعته، وكان طلحة والزبير في مقدمة المبايعين. فهل الصحابة من المهاجرين والأنصار سفهاء؟ لماذا تصل بكما الأمور إلى هذه الدرجة من الكذب والبهتان؟!

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٢٩ ـ ٢٣٠.

وتأمل في قول عائشة تطلب من الناس (يشيرون إلى من ابتزهم أمرهم وغصبهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة بتكبّر وتجبّر، ويظن أن الناس يرون له حقاً كما كانوا يرونه لغيره، هيهات هيهات!!).

كان هدفها أن تحث الغوغاء الذين التفوا حولها كي يحاربوا وليَّهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي ـ كما تدَّعي ـ قد ابتز المسلمين أمرهم وغصبهم الخلافة من غير مشورة ولا مؤامرة، وإنما أخذ الخلافة بتكبر وتجبر!! ثم تدَّعي بأن الناس لا يرون له حقاً كما كانوا يرونه لغيره، ثم تؤكد قولها بـ (هيهات هيهات!!).

لم تكن عائشة حاضرة في المدينة عند البيعة، فكيف شهدت على أمير المؤمنين بأنه ابتز المسلمين أمرهم، وغصبهم الخلافة من غير مشورة؟! فالمرأة التي تتمنى من حقدها أن تنطبق السماء على الأرض بمجرد معرفتها ببيعة أمير المؤمنين، كيف تكون صادقة؟! والمرأة التي تقول للشخص الذي نقل لها خبر بيعة أمير المؤمنين (ويحك، انظر ما تقول!!) شهادتها غير مقبولة. والمرأة التي تقول (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!) لا قيمة لشهادتها، ولا اعتبار لها.

وتأمل في قولها: (يظن ابن أبي طالب يكون في هذا الأمر كابن أبي قحافة!! لا والله ومن في الناس مثل ابن أبي قحافة؟!).

لقد استصغرت شخصاً كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الدار، ونفس النبي صلى الله عليه وآله في آية المباهلة، وكانت منزلته من النبي كمنزلة هارون من موسى، ورضي به الله في توصيل سورة براءة ولم يرض بأبيها. ورفعت منزلة أبيها الذي فرَّ في أُحد وحنين، وجبن مع من جبن من المسلمين في غزوة الخندق عندما عبر عمرو بن عبد ودّ العامري الخندق، ولم يحدّثنا التاريخ أنه قتل جباناً من المشركين فضلاً عن أحد صناديدهم، ولم يرتضيه الله في توصيل سورة براءة ورضى بأمير المؤمنين عليه السلام.

فهذه المرأة بهذا المقدار من تزوير الحقائق، كيف تصدق فيما ترويه؟ وامرأة بهذا المقدار من بغض أمير المؤمنين، كيف يثق بها الناس؟

وتأمل في قول عبد الله بن الزبير لخالته عائشة: (فإذا كان هذا قولك في عليّ

يا أمَّة، ورأيك في قاتلي عثمان، فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد علي بن أبي طالب؟!) فقد اعتبر التمرد على أمير المؤمنين وقتله جهاداً. ما أقبح هذا القول!! وأقبح بقائله!!

لقد وصلت بهم الأمور إلى تحريف مفهوم الجهاد، فبدلاً من أن يجاهدوا الكفار والمشركين تحت راية أمير المؤمنين، حاولوا استمالة عائشة لحربه وأطلقوا على تلك الحرب القذرة جهاداً دون خوف ولا حياء من الله عزّوجلّ. فماذا يقول أتباعهم؟

ولما رجع عبد الله بن الزبير وأخبر أباه وطلحة بقول عائشة قالا: (قد أجابت أمنا، والحمد لله إلى ما نريد!!) ماذا تريدون أيها الناكثون؟ وعلى أيّ شيء حمدتم الله عزّوجلّ؟ وبماذا أجابت أمكم؟ لقد أجابت أمكم عائشة إلى حرب أمير المؤمنين، وقد حمدتم الله عزّ وجلّ على حصولكم على ما تريدونه من خروج عائشة معكم لحرب أمير المؤمنين!! هل هذا الغدر والنكث وشن الحرب على أمير المؤمنين موضع للحمد والشكر؟! لماذا تصل بكم الأمور إلى هذه الدرجة من الردَّة في حرب الإسلام والمسلمين؟!

وتأمل في قول طلحة والزبير لعبد الله بن الزبير: (باكرها في الغد فذكِّرها أمر المسلمين وأعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهداً، ونحكم معها عقداً!!). أي أمر للمسلمين الذي كان يهمكما؟! وأي عقد ستحكمانه بينكما وبينها؟! فأمر المسلمين الذي كان يهمهما هو التمرد على أمير المؤمنين عليه السلام ونكث بيعته. والعقد الذي سيحكمانه بينهما وبين عائشة هو التعاون في حرب أمير المؤمنين. وقد صرَّح بذلك عبد الله بن الزبير عندما قال لعائشة: (فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد علي بن أبي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدين؟!).

لقد بانت حقائق هؤلاء الناكثين، وبانت نفسياتهم المريضة، وظهرت نواياهم الشرِّيرة للإسلام والمسلمين وإمامهم. فأي عذر يبقى لأتباعهم الذين ما زالوا يدافعون عن أعمالهم الشرِّيرة؟ وماذا سيقولون لله عزّ وجلّ يوم القيامة عندما يحاسبهم على ذلك الدفاع المستميت؟! ألم يكن الأولى لهم أن يقفوا مع إمام الحق ضد مناوئيه؟!

وذكر الشيخ المفيد: (وصار إليها طلحة، فلما بصرت به قالت له: يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً؟! فقال لها: يا أمَّه ما مثلي إلا كما قال الأول:

ندمت ندامة الكسعي لمَّا رأت عيناه ما صنعت يداه

وجاءها الزبير فسلَّم عليها، فقالت له: يا أبا عبد الله شركت في دم عثمان ثم بايعت علياً وأنت والله أحق منه بالأمر؟! فقال لها الزبير: أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي في ذلك، ولن أترك الطلب بدم عثمان. والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً، التف به السفهاء من أهل مصر والعراق، وسلّوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه)[1].

تأمل في قولها لطلحة: (يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً؟!). إذا كنت تعتقدين بأن طلحة قتل عثمان، فلماذا قلت بعد سماعك خبر مقتله (بعداً لنعثل وسحقاً!! إيه ذا الإصبع!! إيه أبا شبل!! إيه يا بن عم، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له، حثوا الإبل ودعدعوها!!)[2].

لماذا تلومين طلحة على قتل عثمان وقد فرحت بقتله وقلت (بعداً لنعثل وسحقاً)؟ من الذي يستحق اللوم والعتابّ! وإذا تعاتبينه وتلومينه على قتل عثمان، فلماذا فرحت بمبايعة الناس له وهو قاتل خليفة المسلمين؟ لماذا تجمعين بين المتناقضات في أفكارك وأفعالك وأقوالك؟ أليس ذلك التصرف منك خيانة للإسلام والمسلمين؟

وإذ كنت تعتقدين بأن طلحة قد قتل عثمان، فلماذا لم تأخذي ثأر عثمان من طلحة؟ لماذا اتفقت معه ـ وهو القاتل حسب زعمك ـ على التآمر ضد أمير المؤمنين؟ لماذا تتآمرين مع قتلة الخليفة عثمان إذا كنت تعترفين بخلافته؟ لماذا تركت القاتل وثأرت من غير القاتل؟ ثم، ما الفرق بين دور طلحة في قتل عثمان ودروكِ في التحريض على قتله وتكفيره؟!

وتأمل في قولها لطلحة: (يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً؟!). لقد وصلت سفاسف الأمور بعائشة أن تعيِّر طلحة ببيعته لأمير المؤمنين،!! متى صارت

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

بيعة أمير المؤمنين موضوعاً للتعيير يا عائشة؟ فالمرأة التي تقول في بيعة أمير المؤمنين (وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت) لا تتورع أن تجعل البيعة موضوعاً للتعيير!! والمرأة التي تقول في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام: (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!)[1]. لا تتورع أن تجعل بيعته موضوعاً للتعيير!! والمرأة التي تقول للمسلمين الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام: (تعسوا تعسوا!! لا يردّون الأمر في تيم أبداً!!) لا تتورع في أن تجعل بيعة أمير المؤمنين عليه السلام موضوعاً يُعيَّر به المرء.

لقد وصلت الأمور بعائشة إلى هذه الدرجة بحيث إنها تعيِّر الآخرين ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام بدلاً من أن تعيِّر نفسها لرفضها بيعته دون الاستناد على دليل شرعي.

وتأمل في قولها للزبير: (يا أبا عبد الله شركت في دم عثمان ثم بايعت علياً وأنت والله أحق منه بالأمر؟!). لقد أكَّدت اشتراك الزبير في قتل عثمان، ولم ينف الزبير تلك التهمة، بل أكدها واعترف بها، كما أكدها قبله طلحة واعترف بها. وبعد ذلك الاتهام من عائشة والاعتراف من طلحة والزبير يعقدون معاً حلفاً تآمرياً لمحاربة أمير المؤمنين بحجة الأخذ بثأر عثمان ناسين أنهم قد اشتركوا جميعاً في قتله. وهذا من عجائب الدنيا، بل من عجائب السقيفة.

ولم تكتف عائشة بعتاب الزبير على اشتراكه في قتل عثمان، بل عيَّرته بمبايعة أمير المؤمنين كما عيَّرت طلحة قبله. لكنها زادت في الطنبور نغمة عندما قالت له: (وأنت والله أحق منه بالأمر؟!). ما الأسباب التي جعلت الزبير أولى بالخلافة من أمير المؤمنين؟! هل لكونه أسبق منه في الدخول للإسلام؟ أم لأنه أعلم منه؟ أم لكونه أتقى منه؟ أم لاشتراكه في قتل عثمان وعدم اشتراك أمير المؤمنين في ذلك؟ أم لكونه نفس النبي في آية المباهلة؟ أم لكونه الوصي للنبي في حديث الدار؟ لم نعرف المستند الشرعي الذي استندت عليه عائشة في تفضيلها الزبير على أمير المؤمنين في موضوع الخلافة.

بل وجدنا التاريخ يحدثنا عكس ذلك الأمر. فقد رفض الزبير أن يبايع أبا بكر وأصرَّ علي بيعة أمير المؤمنين بعد أحداث السقيفة، وكان من ضمن الأشخاص

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٦.

الذين دخلوا بيت أمير المؤمنين وهددهم عمر بن الخطاب بحرق بيت أمير المؤمنين إن لم يخرجوا منه. فلماذا تزوِّرين الحقائق يا عائشة؟ وما قصدك من ذلك التزوير الرخيص؟

فلم تكتف عائشة بذلك التزوير الفاضح، بل تؤكده بالقسم بالله العظيم (وأنت والله أحق منه بالأمر؟!) استخفافاً واستهجاناً بذلك القسم!! وإذا كان الزبير أحق بالخلافة من أمير المؤمنين، لماذا تركه المهاجرون والأنصار واتجهوا لأمير المؤمنين لمبايعته؟

وبعد أحداث السقيفة وجدنا الخلاف في موضوع الخلافة محصوراً بين أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر، وإذا كان الزبير أولى بالخلافة من أمير المؤمنين، لماذا لم يكن الخلاف محصوراً بينه وبين أبي بكر؟ لماذا وجدناه تابعاً لأمير المؤمنين ولم نر العكس من ذلك؟ ولماذا وجدناه يميل إلى كفة أمير المؤمنين بعد مقتل عمر بن الخطاب عندما رشحه عمر ضمن الرجال الستة؟! لماذا لم نجد العكس من ذلك؟ لماذا تصل بك الأمور إلى هذه الدرجة من العداوة يا عائشة؟

وتامل في رد الزبير على اتهامات عائشة له: (أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي في ذلك، ولن أترك الطلب بدم عثمان!!) فالرجل يعترف باشتراكه في قتل عثمان ولم ينكره. والاعتراف سيد الأدلة. وبعد هذا الاعتراف الواضح الذي لا لبس فيه، نجد أن عائشة قد طاب لها التآمر مع هذا المذنب وصاحبه ضد أمير المؤمنين بحجة الأخذ بثأر عثمان، ودمه في رقبة الذين تآمرت معهما. فبدلاً من أن تأخذ بثأر عثمان منهما ـ إن كان لها الحق في ذلك ـ وجدناها تتآمر معهما ضد إمامهم أمير المؤمنين. وما دامت هذه مواقفهم الشرِّيرة المتناقضة، فكيف جاز لأتباعهم أن يدافعوا عنهم دفاعاً يخجل ذوو الضمائر الحية منه؟!

أما ان الزبير قد ندم من ذنبه في قتل عثمان فدون اثباته خرط القتاد. وأما قوله: (هربت إلى ربي من ذنبي) فهذه اضحوكة تضحك منها البهائم في الفلوات. فلم يهرب إلى ربه، بل هرب من ربِّه، وارتمى في أحضان الناكثين، وأثار حرباً ذنبه فيها أعظم من ذنبه في قتل عثمان.

فلو ندم من ذنبه ندماً صادقاً لسلَّم نفسه إلى إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام ليقتص منه لما فعله في عثمان. أو على أقل تقدير لسلَّم نفسه لأولاد عثمان، فإما أن يعفوا عنه، أو يقتصوا منه عند أمير المؤمنين عليه السلام. لا أن يعترف بذنبه أمام عائشة التي لا علاقة لها بالعفو أو القصاص.

وكيف تقول ـ يا زبير ـ إنك بايعت مكرهاً، وقد ذكر المؤرخون إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرض عليك أن يبايعك فرفضت وأصرَّيت على مبايعته؟! وإذ كنت قد بايعته مكرهاً، فلماذا قلت أنت وصاحبك لأمير المؤمنين عليه السلام: (ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر)؟! فأين مصداق قسمك هذا (والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً) من اعترافك ذلك (ولكنا قد بايعناك على أنا شريكاك في الأمر)؟! ففي أي الحالتين كنت صادقاً؟ وفي أيهما كنت كاذباً؟ ألم تقسم أنت وصاحبك عندما قلتما: (والله ما بايعناه بقلوبنا وإن كنا بايعناه بألسنتنا!!)؟![1]. ولماذا تستخف أنت وصاحبك بالقسم بالله العظيم؟!

وتأمل ـ عزيزي القاريء ـ في قول الزبير: (التفَّ به السفهاء من أهل مصر والعراق، وسلّوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه!!). فقد سمَّى المسلمين الثائرين على عثمان سفهاء، ونسى أنه وصاحبه طلحة وعائشة في مقدِّمة الثائرين. وثلاثتهم قد اعترفوا بذلك. فهل أنتم سفهاء؟ بل، ألستم زعماء أولئك السفهاء كما تدَّعون؟! كما كنت أنت وصاحبك طلحة في مقدَّمة المبايعين من المهاجرين والأنصار، فهل أنتما من السفهاء؟! وإذا لم تكونا من السفهاء، فلماذا وصفت الصحابة الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام معكما بالسفهاء؟! ألم يقتدوا ببيعتكما حين بايعتما أمير المؤمنين عليه السلام؟! تأمل واحكم عزيزي القاريء على الفكر الغريب والشاذ لرؤوس الناكثين.

وذكر ابن ابي الحديد: (ورووا أن الزبير كان يقول: اقتلوه!! فقد بدَّل دينكم!! فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان، ولو بُديء بابني!! إن عثمان لجيفة!! على الصراط غداً)[2].

---

(١) النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٥

(٢)شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٦.

فقد كان الزبير يحرِّض المسلمين الثائرين على عثمان، ويقول لهم: (اقتلوه!!). ولما خاب ظنّه في الاستيلاء على منصب الخلافة عقد مع عائشة حلفاً تآمرياً ليقتل ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام ويستولي على منصب الخلافة بالأسلوب الدموي مرة ثانية، بعد أن فشل في الحصول عليه في المحاولة الأخرى.

وقد استعان بالمسلمين على قتل عثمان وأخذ يحرِّضهم على قتله، ولما خاب ظنه وأتت الرياح بما لا تشتهي سفنه المثقوبة، سمَّاهم السفهاء، وقد نسي أنه زعيمهم وقائدهم.

وقد برَّر للثوار فتواه في استحقاق عثمان للقتل بقوله: (فقد بدَّل دينكم!!) فإن كان صادقاً في دعواه، فقد ارتكب جريمة بشعة حين جيَّش جيشاً قاتل به المؤمنين من أجل المطالبة بدم خليفة بني أمية الذي بدَّل دينهم. فقد نصر رجلاً ملحداً قام بتبديل دين الله عزّوجلّ، ولقي حتفه البائس وهو يقاتل إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام من أجل ذلك الرجل الظالم الذي بدَّل دين الله سبحانه وتعالى.

وإن كان كاذباً فقد بهت رجلاً، واتَّهمه بتبديل دين الله سبحانه وتعالى كذباً وزوراً. وما دام هذا حاله من الكذب والتزوير، فلا قيمة له في ميزان العدالة والتقوى. ولا قيمة لأقواله وشهاداته. وهو بين هذا وذاك يعقد حلفاً مع عائشة لتمزيق المسلمين إلى شيع وأحزاب من أجل رجل قد بدَّل دين الله سبحانه وتعالى.

وإن كان صادقاً في قوله بأن عثمان قد بدَّل دين الله سبحانه وتعالى، فمن الحماقة التضحية بولده عبد الله من أجل رجل قد بدَّل دين الله سبحانه وتعالى. وإن كان كاذباً في ادِّعائه، فمن الحماقة والجنون أن يضحي بإبنه من أجل كذبة رخيصة تجعله يدفع ثمناً غالياً لأجلها.

وفي كلتا الحالتين وطَّن نفسه على التضحية بولده من أجل تحقيق هدفه الشيطاني المتمثل في الاستيلاء على منصب الخلافة بالقوة. والرجل المتهوِّر الذي يبدي استعداده ورضاه بقتل ابنه من أجل تحقيق هدفه لا يتورع عن قتل إمامه الشرعي، وسفك دمه، وتقطيع أواصر المسلمين من أجل تحقيق ذلك الهدف الشيطاني.

وتأمل في قوله: (إن عثمان لجيفة على الصراط غداً!!). فإما أن يكون صادقاً

أو كاذباً. فإن كان صادقاً فقد حارب إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام، وقتل نفسه أخبث قتلة من أجل شخص لا يتعدى أن يكون جيفةً نتنةً على الصراط يوم القيامة. وإن كان كاذباً، فقد باء بإثم ذلك الزور والبهتان الذي لا يضيق به حلقوم أي كذَّاب. وفي كلتا الحالتين قد عقد حلفاً تآمرياً مع طلحة وعائشة ضد إمامهم ووليهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام. وقد ذهب بعار الدنيا والآخرة. فبؤساً لهذا الشقاء.

لقد ظلَّت عائشة في مكة ـ قبل أن يصل طلحة والزبير ـ تعمل على تحقيق هدفين:

١ ـ بيان توبة عثمان، وتصويره للناس بأنه قد قُتل مظلوماً.

٢ ـ الحط من مكانة أمير المؤمنين عليه السلام ومنزلته وإمامته، وتخذيل الناس عنه، واتهامه بقتل عثمان.

لقد حاولت بكل ما أوتيت من مكر ودهاء أن تحقق هذين الهدفين. وقد نبذت القرآن الكريم وجعلته وراء ظهرها، وداست على القيم والأعراف الإجتماعية وتركت الحياء والخفر، وخرجت بين الذئاب إلى البصرة لتحقيق هذين الهدفين. وقد رجعت إلى المدينة مرغمة بالعار والشنار والخيبة والوزر دون أن تحقق هذين الهدفين.

ذكر الشيخ المفيد: (جاءها عبد الله بن عامر الحضرمي عامل عثمان على مكة، فقال: قرَّت عينك!! قتل عثمان، وبلغت ما أردت من أمره. فقالت: سبحان الله! أنا طلبت قتله؟! إنما كنت عاتبة عليه من شيء أرضاني فيه!! قتل عثمان والله من عثمانُ خيرٌ منه وأرضى عند الله وعند المسلمين، والله ما زال قاتله ـ تعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ مؤخراً منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله، وبعد أن تُوفيَّ يعدل الناس عنه إلى الخيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولا يرونه أهلاً للأمور، ولكنه رجل يحب الأمرة، والله لا نجتمع عله ولا على أحدٍ من ولده إلى يوم القيامة!! ثم قالت: معاشر المسلمين إن عثمان قتل مظلوماً!! ولقد قتله من إصبع عثمان خيرٌ منه!! وجعلت تحرِّض الناس على خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وتحثهم على نفض عهده!!)[1].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٢٧.

لقد بين لها عبد الله بن عامر هدفها الحقيقي (قرَّت عينك! قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره!!)، وهذا ما كان يعرفه كل الناس، ولا تستطيع أن تنكره، وقد بيَّن هدفها الحقيقي كل من أرَّخ لدورها في أحداث عثمان، وقد بيَّناه سابقاً فلا نعيد، وما إنكارها لذلك الهدف إلا كذب رخيص اعتادت عليه هذه المرأة.

وتأمل في ردها: (سبحان الله أنا طلبت قتله؟!). لماذا تكذبين يا عائشة؟

قال ابن أعثم الكوفي: (وكانت عائشة تحرِّض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس، هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وبليت سنته!! اقتلوا نعثلاً!! قتل الله نعثلاً!!)[1]. أين مصداقية هذا النفي من ذلك الإثبات؟ إذا كانت عندك الجرأة في تحريض المسلمين على قتل عثمان في ذلك الوقت، لماذا لم تكن عندك الجرأة في الإعتراف به أمام عبد الله بن عامر الحضرمي لما واجهك به؟ لماذا نفيت تحريضك السابق بقولك: (أنا طلبت قتله؟!)؟

وروى سبط ابن الجوزي في تذكرته: (أخبرني عن عائشة لما كانت تحرِّض الناس على عثمان يوم الدار وتقول: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[2]. لماذا أنكرت ذلك التحريض؟ ألم تكن عندك الشجاعة في الاعتراف به؟ أم أن أهدافك قد تغيَّرت بعد أن خابت آمالك في تولية طلحة؟!

وقد قال ابن أم كلاب لعائشة بعد أن أعلنت استعدادها للطلب بدم عثمان: (ولم؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر!!)[3]. ولم تنكر عائشة كلامها أمام ابن أم كلاب. فلماذا أنكرته أمام عبد الله بن عامر الحضرمي؟

وكتب أمير المؤمنين رسالة إلى عائشة جاء فيها: (...ثم إنك طلبت على زعمك دم عثمان. وما أنت وذاك؟! عثمان رجل من بني أمية، وأنت من تيم!! ثم بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[4].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢١.

(٢) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٧.

(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٧٣.

(٤) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٦.

ولم تستطع ان تنكر ذلك التحريض في قتل عثمان كما ورد في رسالة أمير المؤمنين وبعد ثبوت ذلك التحريض تفول بملء فيها (أنا طلبت قتله؟!). لقد مارست الكذب لدفع التهمة عن نفسها. لكن هيهات ذلك. وهذا الكذب ينفي عنها العدالة.

وتأمل في قولها: (إنما كنت عاتبة عليه من شيء أرضاني فيه!!) وهذا كذب آخر يضاف للكذب الأول. هل التحريض على القتل يسمى عتاباً؟ هل تكفير عثمان يندرج في مجال العتاب؟ ثم، ما هو الشيء الذي كنت عاتبة عليه منه؟ هل كنت عاتبة عليه عندما نقَّص عطاءك الذي أعطاك إيَّاه عمر بن الخطاب بدون حق؟! أم هو شيء آخر؟ وما هو؟ ومتى أرضاك فيه؟ هل أرضاك فيه حين سمعت بخبر قتله فقلت: (بعداً لنعثل وسحقاً!!) ام قبل ذلك؟! أم حين جاءك مروان يطلب منك أن تصلحي بين عثمان والناس فقلت له: (لعلك ترى أني في شك من صاحبك؟ أما والله لوددت أنه مقطع في غرارة من غرائري، وأني اطيق حمله، فأطرحه في البحر!!)[1]؟ أم أنه أرضاك حين سمعت ببيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام فقلت: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!! ويحك!! انظر ما تقول!!)[2].

لم تفلح في الدفاع عن نفسها، ولم تستطع أن تفنِّد التهمة عن نفسها، ولم تفلح في إخفاء كذبها. بل فضحت نفسها بسلسلة من الأكاذيب الرخيصة، بحيث غدت سبباً في إسقاط عدالتها.

لقد اتهمت أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان وهي لم تكن حاضرة أثناء قتله، ولم تعرف كيف قتل؟ ومن الذي تسَّور عليه بيته فقتله؟ ومع كل ذلك تشهد على أن أمير المؤمنين هو الذي قتل عثمان، وهو لا يساوي إصبعاً من عثمان!! وهذه الشهادة الكاذبة لا تسقط عدالتها فحسب، بل تنفي عنها حلاوة الإيمان، وأن الإيمان لم يستقر في قلبها. بل الذي استقر في قلبها حقد أسود دفين لأمير المؤمنين بحيث أنها ودَّت أن تنطبق السماء على الأرض لما سمعت ببيعة

---

(١) تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق ج٢ ص١٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

المسلمين له بالخلافة، كما عبَّرت عن ذلك الحقد الأسود بقولها: (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!)[1]. كما عبَّرت عن حقدها الأسود لأمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين (والله لا نجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!).

عن زرّ بن حبيش قال: سمعت علياً يقول: والذي فلق الحبة وبريء النسمة أنه لعهد النبي ﷺ إليَّ أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)[2].

فبعد هذا الحديث النبوي، ما قيمة عائشة؟ وما قيمة اتهامها لأمير المؤمنين؟!

وتأمل في قولها (والله ما زال قاتله ـ تعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ مؤخراً منذ بعث محمد ﷺ، وبعد أن توفيّ يعدل الناس عنه إلى الخيرة من أصحاب النبي ﷺ ولا يرونه أهلاً للأمور، ولكنه رجل يحب الإمرة، والله لا نجتمع عله ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!).

أرادت أن تذم أمير المؤمنين فمدحته من حيث لا تشعر. من الذي أخَّر أمير المؤمنين منذ بعث محمد ﷺ؟! ومن الذي منع النبي من كتابة الكتاب، وقال: إن النبي ليهجر؟! ولم عدل الناس إلى غيره؟ وهل كان عثمان من (الخيرة من أصحاب النبي)؟ إذا كان ذلك كذلك، فلماذا كفرته وحرَّضت الناس على قتله؟! وإذا لم يكن كذلك، فلماذا قالت (إصبع عثمان خير منه)؟! وإذا كان أبوها من (الخيرة من أصحاب النبي) لماذا لم يرض به الله عزّ وجلّ في توصيل سورة براءة ورضي بأمير المؤمنين؟! لماذا تزوّرين الحقائق يا عائشة؟!

ولو كان أمير المؤمنين يحب الأمرة لما تجرأ أبوك وصاحبه على الهجوم على بيته، بينما كانا منكمشين على نفسيهما كأن على رؤوسهما الطير لما عبر عمرو بن عبد ودّ العامري الخندق. ولو كان رجلاً يحب الأمرة لما أحبَّه الله ورسوله وأحب الله ورسوله. أما قولك: (والله لا نجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!) فهذا لا يضره ولا يضر أحداً من أولاده الطاهرين. وهنيئاً لك بالمصير الأسود الذي أعجبك سرابه الكاذب فجرَّك برجليك إلى الهاوية.

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٦.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٩٠ ـ ٢١٠.

قال عبد الله بن عمر، سمعت رسول الله يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية[1]. فقد خلعت يدها من طاعة أمير المؤمنين (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا ادخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!) كما أنها ماتت ولم تكن في عنقها بيعة لأمير المؤمنين ولا لأولاده الطاهرين مما يدل على أنها ماتت ميتة جاهلية حسب مفهوم الأحاديث النبوية.

لما قالت عائشة: فوالله لأطلبن بدم عثمان!! (قال لها عبيد بن أم كلاب: هذا والله التخليط يا أم المؤمنين!!) ثم أنشأ يقول:

إذا زرتماها فقولا لها ... وحطَّ القضاء بذاك القدر
فمنك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا إن قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله ... فقاتله عندنا من أمر
فقد بايع الناس ذا مرة ... يزيل الشبا ويقيم الصَّعر
ويلبس للحرب أثوابها ... وما من وفى مثل من قد غدر
فلم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر

قال: فقالت عائشة: يا عبيد إنه لو قال هذه الأبيات غيرك لم يحتمل، ولكنك في عثمان غير ظنين)[2]. لم تكن أهدافها خافية على أحد. وقد أصبحت مواقفها المتناقضة موضوعاً يتنادر منه الشعراء.

أصبحت مكة المكرمة ملجأً لبني أمية الهاربين من عدل أمير المؤمنين، كما كانت ملجأ لولاة عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين بعد أن نهبوا أموال المسلمين التي كانت بحوزتهم. ولاذ الجميع بعائشة التي ما فتئت تحرِّض الناس على أمير المؤمنين وتدعوهم إلى نكث البيعة. قال الطبري: (هرب بنو أمية فلحقوا بمكة، وبويع عليّ لخمس بقين من ذي الحجة يوم الجمعة، وتساقط الهرَّاب إلى

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٢٦ (رقم الحديث: ١٨٥١). وانظر: المسند: أحمد بن حنبل ج٢ ص١٣٣.
(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٧. وانظر: تاريخ الطبري ج٥ ص١٧٢، الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٠٠.

مكة، وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم. فلما تساقط إليها الهرَّاب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضي الله عنه ولم يجبهم إلى التأمير أحد)[1].

وكانت عائشة تنتظر قدوم طلحة والزبير حتى تتفق معهما على التخطيط والتآمر. فلما وصل طلحة والزبير وعبد الله بن عامر فرحت بهم كما ذكر ذلك ابن أعثم الكوفي (وقدموا مكة وبها يومئذٍ عائشة وحرَّضوها على الطلب بدم عثمان، وكان معها جماعة من بني أمية، فلما علمت بقدوم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت وعزمت على ما أرادت من أمرها. قال: وتكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها عند قدوم طلحة والزبير على عائشة، ولم يزالوا يحرّضوها على الطلب بدم عثمان)[2].

قد كانت عائشة محتاجة لطلحة والزبير، كما كانا محتاجين إليها. (فلما علمت بقدوم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت وعزمت على ما أرادت من أمرها!!). فلماذا فرحت واستبشرت بمجرد أن علمت بقدومهما؟! إذا كان قدوم طلحة والزبير إلى مكة لأداء مناسك العمرة، فلماذا فرحت بقدومهما وعزمت على ما أرادت من النكث والتمرد؟! لقد عرفت بأن قدوم طلحة والزبير ليس لأداء العمرة كما ادَّعيا ظاهراً، فلا علاقة لهذين المتمردين بأحكام الدين، فقد كانت عارفة بهما وبنفاقهما ونواياهما الشرِّيرة. وكان حدسها عن هذين المتمردين في محله. بل كانا معروفين عند جميع الناس (وتكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها عند قدوم طلحة والزبير على عائشة!!).

كان بنو أمية خائفين مرعوبين للجرائم التي ارتكبوها في عهد عثمان، فلما وصل طلحة والزبير إلى عائشة في مكة رفعوا رؤوسهم وأخذوا يحرّضون الناكثين على التمرد. فقد أضحى طلحة والزبير وعائشة كهفاً للناقمين، وملجأً للمتمرِّدين من أصحاب النفوس المريضة. أما المؤمنون المتمسكون بأحكام الدين فقد كانوا في المدينة مع أمير المؤمنين عليه السلام.

حاول طلحة والزبير أن يغريا من هبَّ ودبَّ في الخروج معهما، ولم يتركا

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٢.

أحداً في مكة إلا وكلماه في الخروج لتكثير عدد المتمردين مستخدمين في ذلك شتى الحيل والأساليب. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي (أقبل طلحة والزبير إلى عبد الله بن عمر وهو يومئذٍ مقيم بمكة، فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن، إن عائشة قد خافت في هذا الأمر وعزمت على المسير إلى البصرة فاشخص معنا ولك بنا أسوة. فأنت أحق بهذا الأمر. قال: وكلمه الزبير وقال: أبا عبد الرحمن، لا تنظرن إلى أول أمرنا في عثمان وبيعتنا علياً!! ولكن انظر إلى آخر أمرنا!! إنا ما نريد في مسيرنا هذا إلا علاج الأمة، وقد خافت عائشة وليست بك عنها رغبة. قال: فقال عبد الله بن عمر: أيها الرجلان! أتريدان أن تخدعاني لتخرجاني من بيتي كما يخرج الأرنب من جحره، ثم تلقياني بين لحيي علي بن أبي طالب مهلاً يا هاذان، فإن الناس إنما يخدعون بالوصف والوصيفة والدينار والدرهم ولست من أولئك، إني قد تركت هذا الأمر عياناً وأنا أدعى إليه، فدعوني واطلبوا لأمركم غيري. قال: فقال الزبير: يغني الله عنك)[1].

لم يستند طلحة والزبير في دعوة الناس للتمرد معهما على آية قرآنية أو حديث نبوي شريف، بل استندا في دعوة الناس للتمرد معهما على سفاسف صبيانية وأساليب شيطانية. فقد قال طلحة لعبد الله بن عمر (إن عائشة قد خافت في هذا الأمر... لك بنا أسوة، فأنت أحق بهذا الأمر!!). وقال الزبير له: (لا تنظرن إلى أول أمرنا في عثمان وبيعتنا علياً!! ولكن انظر إلى آخر أمرنا، إننا ما نريد في مسيرنا هذا إلا علاج الأمة، وقد خافت عائشة...).

فخوف عائشة من التمرد على إمامها لا يبرر لهما دعوة الناس لمناصرتهم على النكث والتمرد. وتمردهما على إمامهما ونكثهما بيعته لا يجعلهما أسوة للأخيار بل أسوة للأشرار. ولماذا يكون عبد الله بن عمر أحق بهذا الأمر؟

وطلب الزبير من عبد الله بن عمر أن لا ينظر إلى أول أمرهما في عثمان وبيعتهما علياً حتى لا ينكشف أمرهما وتظهر خيانتهما. وقد كان أول أمرهما في عثمان مكشوفاً ومعروفاً عند الناس، فلماذا يحاولان تغطيته والتستر عليه؟ ومتى صارت بيعتهما لأمير المؤمنين موضوعاً ممنوعاً لا ينبغي النظر فيه؟! لو كانت في

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٣.

قلبهما ذرة من الإيمان لافتخرا ببيعتهما لأمير المؤمنين عليه السلام لا أن يطلبا من عبد الله بن عمر أن لا ينظر إليها ويفكر فيها. وهذا الطلب الغريب يدل على أنهما نكثا البيعة وخرجا من الدنيا بدونها.

ومن الغريب جداً أن يطلب الزبير من عبد الله بن عمر أن ينظر ويتأمل في آخر أمرهما المتمثل في الغدر والنكث والاستعداد لمحاربة إمامهما الذي يجب عليهما الالتزام بطاعته، وعدم عصيان أوامره. مما يدل على أنهما قد ماتا على هذه النية السيّئة، وهي الميتة الجاهلية.

والشيء المضحك والمبكي في آن واحد أنهما يدَّعيان أنهما يريدان في مسيرهما علاج الأمة!! فعلاج الأمة ـ في عرفهما السيّيء ـ هو التمرد على إمامهما، وإشعال حرب طاحنة تهلك الحرث والنسل من أجل تحقيق مآربهما الشيطانية. فما علاقة تمرّدهما بعلاج الأمة؟! وهل احتاجت الأمة في علاجها إلى تمردّكما أيها الناكثان القزمان؟! وأي جرح في الأمة تريدان أن تعالجاه؟! ولماذا حصرتما علاج الأمة في مستشفيات البصرة دون غيرها من البلدان؟! وهل انحصرت أساليب العلاج بالسيوف والرماح والنبال فقط؟! ما هذا المنطق المتهافت الذي تهذيان به أيها الناكثان القزمان؟!

وقولهما لعبد الله بن عمر: (يغني الله عنك!!) دليل على الإفلاس في الفكر والحجج التي لا طائل تحتهما، من جانب، ودليل آخر على الزندقة من جانب آخر. وذلك حين ادَّعيا بأن الله سبحانه وتعالى سيغنيهما بناكثين ومتمردين آخرين بدلاً من عبد الله بن عمر، (يغني الله عنك!!). فقد دلَّ كلامهما على قمّة الإنحطاط في الردَّة الجاهلية والضلال والزندقة. فكيف يغنيهما الله سبحانه وتعالى عن عبد الله بن عمر بناكثين آخرين وهما يحاربان وليَّهما الشرعي وإمام زمانهما أمير المؤمنين عليه السلام؟! فلماذا وصل فكركما إلى هذه الدرجة من الإنحطاط؟!

لم ييئس طلحة والزبير من عبد الله بن عمر. فقد حثَّهما مروان بن الحكم على الذهاب إليه مرَّة ثانية، فاستجابا إلى ذلك. قال ابن قتيبة: (ثم غدا مروان إلى طلحة والزبير، فقال لهما: عاودا ابن عمر، فلعلَّه ينيب. فعاوداه، فتكلَّم طلحة فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنه والله لربٌّ حق ضيَّعناه وتركناه. فلما حضر العذر

قضينا بالحق، وأخذنا بالحظ. إن علياً يرى إنفاذ بيعته، وإن معاوية لا يرى أن يبايع له، وإنا نرى أن نردَّها شورى!! فإن سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الأمور!! وإلا فهي الهلكة!! فقال ابن عمر: إن يكن قولكما حقاً ففضلاً ضيَّعت، وإن يكن باطلاً فشرّ منه نجوت. واعلما أن بيت عائشة خيرٌ لها من هودجها. وأنتما، المدينة خيرٌ لكما من البصرة. والذلّ خيرٌ لكما من السيف!! ولن يقاتل علياً إلا من كان خيراً منه. وأما الشورى فقد والله كانت، فقُدِّم وأُخرتما!! ولن يردها إلا أولئك الذين حكمو فيها، فاكفياني أنفسكما. فانصرفا. فقال مروان: استعينا عليه بحفصة!! فأتيا حفصة، فقالت: لو أطاعني أطاع عائشة!! دعاه، فاتركاه، وتوجها إلى البصرة!!)[1].

تأمل عزيزي القاريء في قولهما: (إن علياً يرى إنفاذ بيعته، وإن معاوية لا يرى أن يبايع له، وإنا نرى أن نردها شورى!!). فهما يريان أن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام نافذة في عنقيهما، لكنهما يرفضانها وينكثانها. كما أنهما يريان أن معاوية قد تمرَّد على إمامه الشرعي، ولم يبايع له، ولا ينكران عليه تمرّده ورفضه البيعة، بل استحسنا منه ذلك، وغدا تمرّده محرِّكاً لهما على نكث البيعة. كما أنّهما يريان أن يردَّا الأمر شورى!! وهذا معناه أنهما قد نكثا البيعة. فالمتمسك بالبيعة تمسّكاً صحيحاً لا ينكث البيعة ويرد الأمر شورى حسب ما يهوي وما يريد. فقولهما يدينهما بالنكث والضلال والردَّة على الأعقاب.

وتأمل عزيزي القاريء في تخرّصاتهما الجوفاء: (فإن سرت معنا ومع أم المؤمنين صحلت الأمور، وإلا فهي الهلكة!!). كيف تصلح الأمور إذا سار معكما عبد الله بن عمر وأنتما تريدان نكث البيعة وردّ الأمر شورى؟! لماذا وصلت بكما سفاسف الأمور إلى هذه الدرجة من الإنحطاط في الفكر والضلال والردَّة الجاهلية؟! إذا لم يكن لكما دين يردعكما عن هذا الضلال، ألم تكن في قلوبكما ذرة من المروءة العربية تمنعكما من القيام بعملكما الخياني؟! وإذ كنتما تريان الهلكة إذا لم يذهب معكما عبد الله بن عمر، فلماذا ذهبتما إلى البصرة بدونه وأهلكتما أنفسكما ومن معكما؟!

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٠.

مهما حاول أقطاب حرب الجمل أن يخفوا نواياهم الشرِّرية إلا أنهم سرعان ما تنكشف نواياهم، وتفضحهم فلتات لسانهم. فطالما قد صرَّحوا للرعاع أنهم يريدون الإصلاح بين فئتين من المسلمين، إذ يصرِّح قطبان كبيران من أقطابهم لعبد الله بن عمر: (إنا نرى أن نردها شورى!!). فقد بيَّن طلحة والزبير الهدف الحقيقي للناكثين. فما حجة من يدافعون عن نواياهم الشرِّيرة؟!

وتأمل في بقية حجج عبد الله بن عمر تجدها أقوى من حجج طلحة والزبير، وإن كان في بعضها نظر. ولما رجعا طلحة والزبير بالخيبة والخسران من عند عبد الله بن عمر مرَّتين، طلب منهما مروان الإستعانة عليه بحفصة، فذهبت جهودهما أدراج الرياح. فماذا يدلّ هذا الإلحاح الذليل على محاولة إخراج أحد الأقطاب الذين رفضوا أن يبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ليصطحبهما إلى البصرة؟!

لم تقتصر الحيل الشيطانية على طلحة والزبير، فقد أدلت عائشة بدلوها في المؤامرة الشيطانية. قال أبو مخنف: (جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت كبيرة أمهات المؤمنين. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك. وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك. فقالت أم سلمة: لأمر ما قلت هذه المقالة. فقالت عائشة: إن عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام. وقد عزمت على الخروج إلى البصرة!! ومعي الزبير وطلحة!! فاخرجي معنا، لعلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا!! فقالت أم سلمة: إنك كنت بالأمس تحرِّضين على عثمان، وتقولين فيه أخبث القول!! وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً!! وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله، أفأذكرك؟ قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه، حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال، خلا بعليّ يناجيه، فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك فعصيتيني، فهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية!! فقلت ما شأنك؟! فقالت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعليّ: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام، أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي؟! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ وهو غضبان محمّر الوجه، فقال: ارجعي وراءك!! والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا

وهو خارج من الإيمان. فرجعت نادمة ساقطة!! قالت عائشة: نعم أذكر ذلك!!

قالت: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ وأنت تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه، وقال: يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة عن الصراط!! فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك. ثم ضرب على ظهرك وقال: إيَّاك أن تكونيها. ثم قال: يا بنت أبي أمية إيَّاك أن تكونيها يا حميراء أما أنا فقد أنذرتك. قالت عائشة: نعم أذكر هذا!!

قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل، فأخذها يومئذٍ يخصفها، وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أرادا، ثم قالا: يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟! فقال لهما: أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرَّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلت له: وكنت أجرأ عليه منا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال خاصف النعل. فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً. فقلت: يا رسول الله ما أرى إلا علياً!! فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك!!

فقالت: فأي خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس!! وأرجو فيه الأجر إن شاء الله!! فقالت: أنت ورأيك. فانصرفت عائشة عنها، وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلى عليّ عليه السلام)[1].

تأمل في قول أبي مخنف: (جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج...). فقد جاءت إلى أم سلمة تخدعها وتظهر لها خلاف ما تخفيه. تظهر

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٠ ـ ١٠٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٧ ـ ٢١٨، الإختصاص: الشيخ المفيد ص١١٦ ـ ١١٩، الإحتجاج: الطبرسي ج١ ص١٦٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢ ١٤٩ ـ ١٧٠، فاسألوا أهل الذكر: د. محمد التيجاني ص١٠٠.

لها نية الإصلاح بين الناس وتخفي عنها نيَّة الغدر والنكث والتمرد على إمامها. وهذه الخصلة من خصال المنافقين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى عن هؤلاء الصنف من الناس: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. ولم تستطع عائشة أن تخدع الله سبحانه وتعالى بحيلها، كما لم تستطع أن تخدع أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بسفاسفها. وكانت أم سلمة أذكى منها، كما كانت عارفة بسفاسفها الشيطانية، ولهذا قالت لها: (لأمر ما قلت هذه المقالة!!).

ادَّعت عائشة بأن عبد الله بن الزبير أخبرها (أن القوم استتابوا عثمان، فلما تاب قتلوه صائماً!!). متى أخبرها عبد الله بتوبته؟ ومتى كان عبد الله بن الزبير رجلاً ثقة؟! لقد قضى حياته بين مناصرة الظلمة يدافع عن مظالم عثمان، ومحاربة إمام زمانه، وتلفيق الكذب عند ماء الحوأب وتجميع الشهود الكذَّابين لطمس معالم النبوة في حديث الحوأب، وبغض أهل البيت منذ أربعين سنة كما صرَّح بذلك لمحمد بن الحنفية. فأي قيمة له وللأخبار التي ينقلها؟!

لما أخبر ابن أم كلاب عائشة بمقتل عثمان قالت: (بعداً لنعثل وسحقاً!!)، ولما سمعت ببيعة المسلمين لأمير المؤمنين في نهاية الخبر، انقلبت رأساً على عقب وقالت: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا، ويحك انظر ما تقول!!... تعسوا تعسوا لا يردون الأمر في تيم أبداً!!... ما لعليّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!... قتلوا ابن عفان مظلوماً... فإذا دخلت مكة وسألك الناس: ما ردّ أم المؤمنين؟ فقل: القيام بدم عثمان والطلب به!!)[1].

أين موقع خبر عبد الله بن الزبير من هذه التصرفات. ومتى أخبرك بذلك وهو لم يكن موجوداً أثناء سماعك بخبر مقتل عثمان؟! إن كان أخبرك بعد وصوله إلى مكة، فقد ادَّعيت توبة عثمان وأعلنت استعدادك للمطالبة بدمه والثأر له قبل وصوله إلى مكة. فلماذا هذا التناقض؟! وإن كان أخبرك قبل معرفتك بمقتله، فكيف قلت

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٦ ص ٢١٥ ـ ٢١٦، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٦، النصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد ص١٦٣.

بعد سماعك خبر مقتله من ابن أم كلاب (بعداً لنعثل وسحقاً!!)؟! والحوار الذي جرى بينك وبين ابن أم كلاب يدل على عدم إخبار عبد الله لك بمقتل عثمان لعدم رؤيتك له. فلماذا تستخدمين أسلوب الكذب والتدليس؟!

تأمل في خطاب أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنا لعائشة: (وإنك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ). فبعد معرفتها بمنزلة أمير المؤمنين عليه السلام، كيف تقول: (والله ما زال قاتله ـ تعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ مؤخراً منذ بعث محمد ﷺ، وبعد أن توفيَّ يعدل الناس عنه إلى الخيرة من أصحاب النبي ﷺ، ولا يرونه أهلاً للأمور، ولكنه رجل يحب الأمرة، والله لا نجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!)؟!

وإذا كانت تعرف منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من نبي الرحمة ﷺ، لماذا تقول: (ما لعليّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!)؟ فهذه الأقوال الشاذة البعيدة عن روح الدين تنم عن رفض شديد لتلك المنزلة، وبغض شديد لصاحبها. فلا يوجد لها تفسير غير هذا. فالويل لها من نتائج هذا البغض.

وتأمل في قولها لأمير المؤمنين، وردّ النبي على قولها (ليس لي من رسول الله إلا يوم واحد من تسعة أيام، أفما تدعني يا بن أبي طالب ويومي؟! فأقبل رسول الله ﷺ عليَّ وهو غضبان محمَّر الوجه، فقال: ارجعي وراءك، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان).

فإذا كان بغض أمير المؤمنين يخرج الإنسان من الإيمان إلى الكفر، فماذا يدل قولك: (والله لا نجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!)؟! فهذا الكلام دليل على البغض الشديد لا الحب. وماذا يدل كلامك حول بني هاشم: (والله من من بلد أبغض إليَّ من بلد أنتم فيه!!)[1]. فهذا الكلام دليل على الحقد الأسود لا الحب. وخروجها لمحاربة أمير المؤمنين بعد الحديث الذي سمعته من زوجها نبي الرحمة ﷺ في حق أمير المؤمنين عليه السلام دليل على عدم مبالاتها بنتائج ذلك الحديث النبوي الشريف.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٩.

وتأمل في قول نبي الرحمة لعائشة وأم سلمة رضي الله عنها: (يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب، تنبحها كلاب الحوءب، فتكون ناكبة عن الصراط). أما أم سلمة المرأة المؤمنة الورعة فقد رفعت يدها من الحيس وقالت: (أعوذ بالله وبرسوله من ذلك) خوفاً من مجرد احتمال أن تكون هي. وعائشة لم تتورع عندما تأكدت أنها هي، وقد نبهَّها رسول الله ﷺ عندما ضرب على ظهرها وقال لها: (إيَّاك أن تكونيها). فلم تستفد من ذلك التحذير وأصرَّت على أن تكون ناكبة عن الصراط بإرادتها ورضاها. فما عذرها يوم القيامة؟ وما عذر من يدافعون عن نكبها عن الصراط؟

وتأمل في ردّ نبي الرحمة على أبي بكر وعمر لما سألاه عن خليفته الذي سيقوم مقامه (أما إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران) ولما سألت عائشة النبي عنه قال: (خاصف النعل). ولما قالت عائشة: (يا رسول الله ما أرى إلا علياً!! فقال: هو ذاك) فقالت عائشة لأم سلمة: (نعم أذكر ذلك!!).

فإذا كانت عائشة تعرف بأن أمير المؤمنين هو خليفة رسول الله ﷺ، فلماذا تحاربه وهو خليفة رسول الله ﷺ؟ فما عذرها يوم القيامة؟ وإذا كان المسلمون من ذوي الضمائر الميتة يتفرقون عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران إذا نصَّبه خليفة للناس. سيكون مصير من يحاربه مصير من تفرق عن هارون بن عمران وعبد العجل. وكل من له معرفة بالتاريخ يعرف أن عائشة قالت: (ما لعليّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان؟!) كما أنها حاربته حرباً أحرقت فيها الحرث والنسل، ولم تبايع هارون هذه الأمة مما يدل على أنها أصبحت بمنزلة من تخلَّى عن هارون وعبد العجل. فكيف يجرؤ شخص أن يدافع عن امرأة وقفت هذا الموقف المخجل من هارون هذه الأمة؟ فالرجل المنصف يعترف بالخطأ الشنيع لهذه المرأة لا أن يدافع عن خطئها ونكثها الشنيعين.

وتأمل في جوابها لأم سلمة بعد تلك النصائح (إنما اخرج للإصلاح بين الناس!! وأرجو فيه الأجر إن شاء الله!!). أي إصلاح هذا الذي تتشدقين به يا عائشة؟! لم يكن بين أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة خلاف حتى تصلحيه!! بل حدث الخلاف والشقاق لما وصلت البصرة وبثثت فيها الفساد من شحناء ونهب

وقتل. ولو كان قصدك الإصلاح حقاً، لبايعت أمير المؤمنين عليه السلام ونصحت معاوية بن أبي سفيان الوالي المتمرد على الخليفة والخلافة بالبيعة وترك التمرد، لا أن تشعلي حرباً بين المسلمين مخالفة لأحكام الله ورسوله. ولو كان قصدك الإصلاح حقاً لأنهيت تمردك ونكثك بعد نصائح أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. ولو كان قصدك الإصلاح حقاً لضربت بيد من حديد على طلحة والزبير وفرَّقت حثالة المجتمع عنهما لا أن تتآمري معهما على الغدر بأمير المؤمنين ونكث بيعته. ولو كان قصدك الإصلاح حقاً لبقيت في بيتك الذي أمرك الله أن تقرّي فيه، ونصحت المتخاذلين أمثال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت وأضرابهم بالبيعة لأمير المؤمنين، لا أن تخرجي من بيتك متبرجة بين الذئاب المسعورة تكاتبين الرجال وتطلبين منهم أن يخذلوا الناس عن بيعة أمير المؤمنين. لماذا لم تكن عندك الشجاعة في البوح بأهدافك علانية؟ ولماذا تستخدمين التدليس في أهداف خروجك على أمير المؤمنين عليه السلام؟!

وتأمل في ادَّعائها البائس (وأرجو فيه الأجر إن شاء الله!!). لم تكتف بالتمرد والبغي والنكث لتحقيق أهدافها المخالفة للشرع، بل تمنَّت أن تحصل منه على الأجر الجزيل!! ما أجر من يسفك دماء المسلمين؟ وكم أجرها في آلاف الأرامل واليتامى الذين خلَّفتهم حربها البائسة؟ وكم أجرها في نكثها بيعة أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغرّ المحجلين؟ وكم أجرها في السبابجة الذين أمرت بضرب أعناقهم صبراً؟ وكم أجرها في آلاف البائسين الذين قتلوا تحت لوائها؟! لقد وصلت الأمور بهذه المرأة أن تدَّعي الأجر البائس على أعمالها البائسة!!

لما رأت أم سلمة أن النصح لا ينفع مع عائشة كتبت لها رسالة تنهيها فيها عن التمرد على أمير المؤمنين. كما رواها ابن أبي الحديد: (إنك جنَّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته، وإن الحجاب دونك لمضروب على حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكَّن عقيراك فلا تصحريها، لو أذكرتك قولة من رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفينها لنهشت بها نهش الرَّقشاء المطرقة. ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل قد تركت عيهداه، وهتكت ستره، إن عمود الدين لا يقوم بالنساء، وصدعه لا يرأب بهن، حماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه، وأنت على ذلك.

فقالت عائشة: ما أعرفني بنصحك، وأقبلني لوعظك!! وليس الأمر حيث تذهبين ما أنا بعمية عن رأيك، فإن أقيم ففي غير حرج، وإن أخرج ففي إصلاح بين فئتين من المسلمين!!)[1].

أما ابن قتيبة فقد أورد الرسالة كحديث شفوي جرى بين أم سلمة وعائشة فقال كما أورده ابن أبي الحديد: (لما أرادت عائشة الخروج إلى البصرة، أتتها أم سلمة فقالت لها: إنك سدَّة بين محمد رسول الله ﷺ وبين أمته، وحجابك مضروب على حرمته، قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه، وسكّن عقيراك فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، لو أراد رسول الله ﷺ أن يعهد إليك عهداً علت علت، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأطراف وخفر الأعراض وقصر الوهازة، ما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ عارضك بعد الفلوات، ناصة قلوصاً من منهل إلى آخر، إن بعين الله مهواك، وعلى رسوله تردين، وقد وجهت سدافته ـ ويروي سجافته ـ وتركت عهيداه. لو سرتُ مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً ﷺ هاتكة حجاباً، وقد ضربَّه عليَّ. اجعلي حصنك بيتك، ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه، وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله بالرقبة، وأنصر ما تكون للدين ما حلت عنه، لو ذكرتك قولاً تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة.

فقالت عائشة: ما أقبلني لوعظك!! وليس الأمر كما تظنين، ولنعم المسير مسير فزعت فيه إليَّ فئتان متناجزتان ـ أو قالت: مناحرتان ـ إن أقعد ففي غير حرج، وإن أخرج فإلى ما لا بد لي من الازدياد منه!!)[2].

بغض النظر عن الأسلوب الذي استخدمته أم سلمة لعائشة سواء كان رسالة مكتوبة أم حديثاً شفوياً، فحجتها كانت أقوى من حجة عائشة، بل لم نجد لعائشة حجة يُعتد بها.

وتأمل في ردّ عائشة: (ما أعرفني بنصحك، واقبلني لوعظك، وليس الأمر

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٩.

(٢) المرجع السابق: ج٦ ص٢٢٠، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٦، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٦.

حيث تذهبين، ما أنا بعمية عن رأيك!!). فقد كانت عارفة بصحة نصائح أم سلمة ثم خالفت تلك النصائح عن عمد وسبق إصرار. وقد أشعلت في خروجها حرباً بين المسلمين وسمَّت تلك الحرب الطاحنة إصلاحاً!!

وتأمل في ردَّها: (ولنعم المسير مسير فزعت فيه إليَّ فئتان متناجزتان ـ أو قالت متناحرتان ـ إن أقعد ففي غير حرج، وإن أخرج فإلى ما لا بدّ لي من الإزدياد منه).

تسمي تمردها على إمامها مسيراً وتمدح ذلك المسير!! كما تدَّعي كذباً وزوراً أنه قد فزعت إليها فئتان متناحرتان. فأي الفئتين اللتين فزعتا إليك؟ فلم يلذ بك إلا الناكثون والتمردون والهرَّاب الذين هربوا من بيعة أمير المؤمنين. وهذه فئة واحدة قليلة تركت الحق وانغمست في الباطل، فأين الفئة الثانية التي فزعت إليك؟

فقد كان كلامها متهافتاً متناقضاً ينقض بعضه بعضاً. فبمجرد أن سمعت أن المسلمين قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام جنَّ جنونها وخرجت عن طورها وأخرجت الحقد الأسود الذي في قلبها وقالت: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!! ويحك انظر ما تقول!!). ولما تأكدت أن آمالها في تولية ابن عمها طلحة قد تبخَّرت قالت: (ما لعليّ يستولي على رقابنا!! لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!). فأين الفئتان المتناحرتان اللتان فزعتا إليك؟ لماذا تستخدمين الكذب والتدليس في خروجك؟! ألم تقولي: (وأما عليّ فإني آمره برد هذا الأمر شورى بين الناس، فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!!)؟! أين هذا التهديد من ذلك الإدعاء؟!

قال ابن أعثم الكوفي عند قدوم طلحة والزبير وعبد الله بن عامر إلى مكة (وقدموا مكة وبها يومئذٍ عائشة وحرَّضوها على الطلب بدم عثمان، وكان معها جماعة من بني أمية، فلما علمت بقدوم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت وعزمت على ما أرادت من أمرها. قال: وتكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها عند قدوم طلحة والزبير على عائشة، ولم يزالوا يحرِّضوها على الطلب بدم عثمان)[1].

فقد فرحت واستبشرت وعزمت على التمرد على إمامها بمجرد أن علمت

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٢.

بقدوم طلحة والزبير إلى مكة. فأين الفئتان اللتان فزعتا إليها؟! وقد تكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها للفتنة عند قدوم طلحة والزبير على عائشة، فحرَّضوها على الطلب بدم عثمان. فهذه الفئة التي فزعت إلى عائشة بعد أن عرفت موقفها السيء من أمير المؤمنين عليه السلام. فأين الفئة الثانية التي فزعت إليك يا عائشة؟

لم تتورع عائشة أن تستخدم الكذب والتدليس في تمرير مخططها العدواني ضد أمير المؤمنين. لقد استحلَّت كل المحرَّمات من أجل التستر على تمردها ونكثها.

وهناك محاولة أخرى لأم سلمة لإفساد خطط عائشة، فقد حاولت تثبيط عزيمة الناس عن الخروج مع عائشة. فقد ذكر الشيخ المفيد: (فلما رأت أم سلمة أن عائشة لا تقلع عن الخروج عادت إلى مكانها، وبعثت إلى رهط من المهاجرين والأنصار، فقلت لهم: (لقد قتل عثمان بحضرتكم وكانا هذان الرجلان ـ تعني طلحة والزبير ـ يسعيان إليه كما رأيتم، فلما قضى الله أمره بايعا علياً وقد خرجا الآن، زعماً ان يطلبا بدم عثمان، ويريدان أن يخرجا حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عهد إلى جميع نسائه عهداً واحداً أن يقرن في بيوتهن. فإن كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره وتخرجه إلينا نعرفه. لا والله ما بايعتم أيها القوم وغيركم علياً مخافة له، ولا بايعتموه إلا على علم منكم بأنه خير هذه الأمة وأحقهم بهذا الأمر قديماً وحديثاً. والله ما أستطيع أزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله خلَّف يوم قبض خيراً منه ولا أحق بهذا الأمر منه، فاتقوا الله عباد الله، فإنا نأمركم بتقوى الله، والإعتصام بحبله والله ولينا ووليكم.

قال: فتقاعد كثير عن طلحة والزبير عند سماع هذا الخبر والقول من أم سلمة. ثم أنفذت أم سلمة إلى عائشة فقالت لها: قد وعظتك فلم تتعظي، وقد كنت أعرف رأيك في عثمان، وأنه لو طلب منك شربة من ماء لمنعتيه ثم أنت اليوم تقولين إنه قتل مظلوماً، وتريدين أن تثيري لقتال أولى الناس بهذا الأمر قديماً وحديثاً!! فاتقي الله حق تقاته ولا تتعرضي لسخطه. فأرسلت إليها: أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه!! وأما عليّ فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس!! فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!! فأنفدت إليها أم سلمة: أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة لك جهدي وطاقتي، والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار!! والله ليخيبنَّ ظنك

ولينصرن الله ابن أبي طالب على من بغى عليه، وستعرفين عاقبة ما أقول. والسلام)[1].

جزى الله أم المؤمنين أم سلمة خيراً، فقد أنقذت كثيراً من الناس من براثن تلك الحرب المجنونة التي اشعلتها عائشة. وتأمل في قول عائشة: (أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه!!) أما كون المخرج لها من موقفها من عثمان هو الطلب بدمه، فهذا الرأي من غرابته يضحك الثكلى. فالمخرج الحقيقي لها أن تسلّم نفسها إلى أمير المؤمنين وتعترف أمامه بكل أخطائها، وتقبل بما تحكمه عليها العدالة، لا أن تثير حرباً بين المسلمين يكون ذنبها فيها أعظم من ذنبها في قتل عثمان.

وتأمل في قولها: (وأما عليّ فإني آمره برد هذا الأمر شورى بين الناس، فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!!). هذا هو مفهوم الإصلاح المزيف الذي تطلبه. ومن أنت كي تأمريه بردّ الأمر شورى بين الناس؟! وما مسؤوليتك في المجتمع؟ وما موقعك في الأمة؟ ومن الذي أعطاك ذلك الحق؟ ومتى كان عقد الإمامة ونقضها منوطاً بالنساء؟! وكيف يرد أمير المؤمنين الأمر شورى بين الناس وقد بايعه المهاجرون والأنصار على حسب رأيك في الشورى؟! هذه أسئلة حائرة لا نجد لها إجابة عند عائشة ولا عند أتباعها.

تأمل في قول أم سلمة لعائشة: (والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار!!). يا له من مصير أسود لكل من حارب أمير المؤمنين وإمام المتقين في هذه الحرب البائسة.

وقال ابن أعثم الكوفي في ردّ أم سلمة على عائشة: (... فما لك ودم عثمان، وعثمان رجل من عبد مناف وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ويحك يا عائشة! أعلى عليّ وابن عم رسول الله ﷺ تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ ثم جعلت أم سلمة رحمة الله عليها تذكر عائشة فضائل عليّ رضي الله عنه وعبد الله بن الزبير على الباب يسمع ذلك كله، فصاح بأم سلمة وقال: يا بنت أبي أمية! إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير، فقالت أم سلمة: والله لتوردنها ثم لا

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٧.

تصدرنها أنت ولا أبوك! أتطمع أن يرضى المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة وعلي بن أبي طالب حي وهو وليّ كل مؤمن ومؤمنة؟ فقال عبد الله بن الزبير: ما سمعنا هذا من رسول الله ﷺ ساعة قط!! فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة وها هي فاسألها!! فقد سمعته ﷺ يقول: عليّ خليفتي عليكم في حياتي ومماتي، فمن عصاه فقد عصاني. أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت عائشة: اللهم نعم. قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقي الله يا عائشة في نفسك واحذري الله ورسوله ﷺ، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب، ولا يغرنَّك الزبير وطلحة فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئاً)[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام هو وليّ كل مؤمن ومؤمنة، وإنكار عبد الله بن الزبير لهذا الحديث لا يلغيه. فقد روته أم سلمة رضي الله عنها وهي أعرف بالحديث منه، وهي المأمونة على رواية الأحاديث لا هو. وإن لم يكن سمعه، فقد سمعته عائشة وقد أكدت سماعها للحديث فلا قيمة لاعتراض عبد الله بن الزبير ذلك الرجل الناكث.

وقد شهدت عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي، فمن عصاه فقد عصاني). وما دام الحال كذلك، فما أعظم الجريمة التي ارتكبتها عندما قالت: (وأما عليّ فإن آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس!! فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!!). فكيف تأمرينه برد الأمر شورى بين الناس وهو خليفة رسول الله ﷺ في حياته ومماته؟! وبعملك هذا فقد عصيت رسول الله ﷺ، ومن يعص رسول الله ﷺ فمصيره إلى الخسران الأبدي. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وعائشة ليست بعمية عن نتائج ذلك العصيان، فقد كانت عالمة بالعصيان ونتائجه، لكنها أصرّت عليه رغم نصائح أم سلمة لها، فأي عذر يبقى لها بعد ذلك؟!

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٤.

قال ابن أعثم الكوفي: (فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها. ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة، فأجابتها حفصة إلى ذلك!!)[1].

فخروج عائشة من عند أم سلمة رضي الله عنها وهي حنقة عليها دليل على عدم قبولها بنصائح أم المؤمنين أم سلمة من جانب، وأنها تركت آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ وراء ظهرها من جانب ثان، وأنها مصرة على الغدر والنكث ونشر الفساد وبث الشقاق بين المسلمين عن عمد وإصرار من جانب ثالث.

ولم تكتف بذلك، فقد أرسلت إلى حفصة تطلب منها أن تصاحبها في بغيها وتمردها ونكثها، وقد وافقت حفصة على ذلك.

أما الطبري فقد ذكر: (أرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت، وبعثت إلى عائشة إن عبد الله حال بيني وبين الخروج!! فقالت يغفر الله لعبد الله)[2].

وسواء كان الخروج بإرادتها أو بأمر من عائشة، فقد عزمت حفصة بنت عمر بن الخطاب أن تخرج مع عائشة لقيادة تلك الحرب الظاملة، لكن أخاها عبد الله بن عمر حال بينها وبين الخروج فحرمها من أجر المشاركة!! هذه حفصة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ ـ والوحي ينزل على زوجها ـ تريد أن تحارب إمامها وتقتل أبناءها في حرب طاحنة. فكيف تكون عادلة وورعة وهذه نيتها في ارتكاب المعصية ومخالفة أحكام الله ورسوله؟! والذي ينطبق على حفصة ينطبق على عائشة.

بعد هذه المقدمات والترتيبات اجتمع أقطاب الناكثين عائشة وطلحة والزبير للتخطيط والتآمر. وانضمَّ إليهم أصحاب النفوس المريضة مثل يعلى بن أمية وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير وحثالة الأسرة الأموية وغيرهم من أصحاب الضلال.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٧. وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٥.

قال الطبري: (فاجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها، فأداروا الرأي فقالوا: نسير إلى عليّ فنقاتله!! فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة، ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة. فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة والكوفة!!)[1].

تأمل في هدفهم: (نسير إلى عليّ فنقاتله!!). أين هذا الهدف من ذلك الهدف المزعوم (ولنعم المسير مسير فزعت فيه إليّ فئتان متناجزتان «متناحرتان»)؟! أيهما الهدف الحقيقي؟ وأيهما الهدف المزيَّف لذر الرماد على العيون؟! أظنك أيها القاريء الكريم قد فطنت للهدف الحقيقي لأقطاب الناكثين.

وقال ابن أعثم الكوفي: (ثم شاوروا في المسير، فقال الزبير: عليكم بالشام!! فيها الرجال والأموال وبها معاوية وهو عدو لعليّ!! فقال الوليد بن عقبة: لا والله ما في أيديكم من الشام قليل ولا كثير!! وذلك أن عثمان بن عفان قد استعان بمعاوية لينصره وقد حوصر فلم يفعل وتربَّص حتى قتل!! لذلك يتخلص له الشام، أفتطمع أن أسلمها إليكم؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم بغيرها!!)[2].

تأمل في هدف الزبير من حرب الجمل وهو أحد أقطابها الثلاثة: (عليكم بالشام!! فيها الرجال والأموال وبها معاوية وهو عدو لعليّ!!). فقد كان هدفه في التمرد والفرعنة الذهاب إلى الشام للإستفادة من رجالها وأموالها في محاربة إمامه أمير المؤمنين، وللتحالف مع الطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان لأنه عدو لأمير المؤمنين!!

فقد كشف الزبير عن نواياه الشريرة الحاقدة على الإسلام وإمام المسلمنين. فما عذر أتباعه الذين ما زالوا يدافعون عن نواياه الشرِّيرة؟ وبم يعتذرون عند الله عن دفاعهم المستميت عن هذا الناكث؟ لقد صدق رسول الله ﷺ عندما بيَّن له موقفه الظالم من أمير المؤمنين عليه السلام: (لتقاتلنه وأنت ظالم له)[3]. فهذا هو هدف الناكث الظالم المتمثل بالإستعانة بأوباش الشام وأموالهم وطاغيتهم الطليق بن

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨.
(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٣.
(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٢٨.

الطليق لقتال ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين. فلم نجن على هذا الظالم وإنما ناقشنا هدفه السيء من هذه الحرب المجنونة التي أشعلها ضد إمام المسلمين وولي المتقين وأمير المؤمنين عليه السلام.

وقال الطبري: (واجتمع ملأهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة وقالت (أي عائشة): أيها الناس، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فانكروه، فقد كفاكم هل الشام ما عندهم لعلَّ الله عزّ وجلّ يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم!!)[1].

فقد كان هدف عائشة التوجه إلى البصرة، وقد كفاهم أهل الشام مؤنة الذهاب إليهم!! فهي كانت عالمة بنكث أهل الشام للبيعة، فبدلاً من الذهاب إليهم ونصحهم في الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فقد فرحت بذلك البغي والتمرد لأنه يصب في تحقيق هدفها ويقويه، ولهذا لم تعترض عليه (فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم!!). فهي لا تريد النصح للإسلام والمسلمين، ولو أرادت ذلك لوقفت ضد أهل الشام وأنهت تمردهم وبغيهم.

كما أن هدفها يتمثل في الثأر لدم عثمان الذي أمرت بسفكه لا الصلح بين فئتين متناحرتين، ناسية أن ثأر عثمان في رقبتها.

وقال الطبري: (حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا: يا أم المؤمنين: دعي المدينة، فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغواغاء التي بها، واشخصي معنا إلى البصرة، فإنا نأتي بلداً مضيّعاً!! وسيحتجون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب، فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة، ثم تقعدين، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد. فلما قالوا ذلك لها، ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها، قالت: نعم!!)[2].

فالذي صرفهم عن التوجه إلى المدينة لمحاربة أمير المؤمنين ـ بالرغم من قربها وأهميتها ووجود أمير المؤمنين فيها ـ هو قلة عددهم الذي لا يكفي للتغلب على أهل المدينة من المهاجرين والأنصار الذين وصفوهم بـ (الغوغاء!!). ولهذا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٦.

(٢)المرجع السابق: ج٥ ص١٦٧.

فضلوا الذهاب إلى البصرة لكونها ـ في نظرهم ـ (بلداً مضيعاً!!). لقد كانوا على درجة كبيرة من الخبث والفرعنة بحيث إنهم اختاروا بلدة بعيدة عن مركز الخلافة يسهل اقتطاعها من جسم الدولة الإسلامية لكي ينطلقوا منها إلى باقي الأقاليم والولايات، مما يسهل عليهم بعد ذلك المسير إلى أمير المؤمنين وقتله.

ولم نجد لهم حجة يحتجون بها للتخلص من تبعات بيعتهم لأمير المؤمنين أمام سكان البصرة إلا الإلتجاء إلى عائشة لكي تنهضهم كما أنهضت أهل مكة باساليبها الملتوية. وهذا هو الخزي والعار، لأنهم استحبوا العمى على الهدى.

أما ابن قتيبة فقد ذكر: (قال الزبير: الشام بها الرجال والأموال، وعليها معاوية، وهو ابن عم الرجل، ومتى نجتمع يولّنا عليه!! وقال عبد الله بن عامر: البصرة، فإن غلبتم علياً فلكم الشام، وإن غلبكم كان معاوية لكم جنَّة!! وهذه كتب أهل البصرة إليَّ. فقال يعلى بن منية، وكان داهياً: أيها الشيخان، قدَّرا قبل أن ترحلا!! أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة، وهو ابن عم عثمان دونكم، أرأيتم إن دفعكم عن الشام، أو قال: اجعلها شورى، ما أنتم صانعون؟! أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها؟! وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلاً بين يديه أمر قد سبقكما إليه، وتريدان أن تخرجاه منه!! فقال القوم: فإلى أين؟ قال: البصرة!!)[1].

فقد كان الزبير متلهفاً على الشام لأن بها الرجال والأموال التي تفيده في تحقيق تمرده على إمامه. وتأمل في قوله: (وعليها معاوية، وهو ابن عم الرجل، ومتى نجتمع يولنا عليه!!) لقد كان الزبير من السذاجة بمكان. فقد وضع بيضه كله في سلة معاوية، وكان يعتقد أنهم إذا اجتمعوا عند معاوية سيتنازل لهم عن الشام ويولّيهم عليه!! معتمداً في ذلك على الرسائل التي أرسلها معاوية إليه وإلى صاحبه طلحة مبايعاً لأحدهما بالخلافة وللآخر بولاية العهد. وكان معتقداً بصدق نية معاوية. ولهذا أصرَّ في التخطيط والتآمر على المضي إلى الشام لأن (الشام بها الرجال والأموال وعليها معاوية)، ولم يفطن بأن معاوية قد ضحك على ذقنه وذقن صاحبه!

هب أن معاوية قد كان صادقاً في رسائله ـ وهذا مستحيل ـ فكيف جاز له أن

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٩.

ينكث بيعة ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام من أجل أن ينصّبه معاوية خليفة للمسلمين؟! ومتى كان الخلفاء ينصّبون من قبل معاوية؟ ألم يكن له دين يمنعه من ذلك التمرد والنكث؟! ألم يكن له عقل يحميه من الإنزلاق إلى ضلال معاوية؟! فالرجل ـ الذي هذا حاله ـ ليس من أهل الدين والورع، بل من أصحاب الدنيا والمتكالبين على حطامها.

وتأمل في اقتراح عبد الله بن عامر (البصرة، فإن غلبتم علياً فلكم الشام!! وإن غلبكم عليّ كان معاوية لكم جنّة!!). أين موقع هذا الهدف السيء المشؤوم من هدف الإصلاح المزعوم؟! فقد رأينا رؤوس أقطاب حرب الجمل ما هم إلا مجموعة من قطاع الطرق. تأمل في قولهم: (فإن غلبتم علياً فلكم الشام!!). فقد كان هدفهم التغلب على أمير المؤمنين بمساعدة أوباش البصرة، لا الصلح بين المسلمين الذين لا خلاف بينهم، فإن حققوا هدفهم وتغلبوا على أمير المؤمنين في البصرة كانت الشام في متناول أيديهم، لأنهم متمردون ومعاوية متمرد معهم في الشام، وهدف الطرفين واحد، وهو تقويض منصب الإمامة والخلافة، والإستيلاء على زمام الأمور بأخبث وسائل المكر.

وإن تغلب عليهم أمير المؤمنين عليه السلام في البصرة وشتّت فلولهم ومزّق شملهم التجؤوا إلى معاوية بالشام لأنه الحصن الحصين الذي يأوون إليه (وإن غلبكم عليّ كان معاوية لكم جنة!!).

فقد كان هدفهم هدفاً خبيثاً يتمثل في التغلب على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام ونكث بيعته والتمرد على إمامته، فإن تحقّق هدفهم وإلا لاذوا بركن البغي والضلال معاوية بن أبي سفيان زعيم الفرقة القاسطة الباغية. فما أسوأ ذلك الهدف، وما أضيع سوء ذلك المصير.

وتأمل في الخطاب الذي وجهه يعلى بن منية لطلحة والزبير عندما قال: (أيها الشيخان، قدِّرا قبل أن ترحلا، أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة، وهو ابن عم عثمان دونكم، أرأيتم إن دفعكم عن الشام؟ أو قال: اجعلها شورى، ما أنتم صانعون؟! أتقاتلونه، أم تجعلونها شورى فتخرجا منها؟!). فهذا الخطاب مليء بالعبر والفضائح التي تكشف عن نيات

أقطاب حرب الجمل. والخطاب موجه في الأساس إلى طلحة والزبير. فهما المعنيّان بالخطاب أكثر من غيرهما.

فماذا يقصد بقوله: (أن معاوية قد سبقكم إلى الشام!!)؟ ففي أي شيء سبقهم معاوية. لقد سبقهم معاوية في التمرد على إمامه وإمامهم واستولى على الشام، فكيف يأخذونها منه وقد سبقهم عليها بالتمرد؟! كما نستشف من هذا الخطاب أنهم جميعهم راضون عن تمرد معاوية على إمامه أمير المؤمنين، واستقطاعه الشام من جسم الدولة الإسلامية، غاية الأمر أنهم يريدون أن يستولوا عليها دونه، لأنهم أولى بها منه لما بها من الرجال والأموال. فحذَّر يعلى بن منية طلحة والزبير، وطلب منهما أن يقدِّرا عواقب الأمور قبل أن يرحلا إلى الشام.

كما كان خائفاً على طلحة والزبير أن تفشل أهدافهما إن قاوما معاوية على الشام، وهذا ليس ببعيد عليه (أرأيتم إن دفعكم عن الشام، أو قال: اجعلها شورى، ما أنتم صانعون؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها!!)؟! فإذا أصروا على الذهاب إلى الشام للإستيلاء عليها وأصرَّ معاوية على الدفاع عنها، هل سيقاتلونه؟! ليس من أهدافهم قتال معاوية، وإنما القتال معه في جبهة واحدة ضد أمير المؤمنين، كما أنه ليس من مصلحتهم إضعاف الفئتين المتمردتين على أمير المؤمنين وإنهاك قواهما بل تقويتهما ضد الخطر المشترك في نظرهما.

كما أن هناك خطراً على طلحة والزبير لو جعل معاوية الأمر شورى، هل يقبلان بالدخول في الشورى ويرضيان بالخروج منها إذا لم ينتخبهما أحد؟! وهذه خسارة محتملة لا يمكن لطلحة والزبير ـ بهاتين النفسين اللتين يحملانها ـ القبول بها. وهل يلجؤون في هذه الحالة ـ للخلاص من تلك الخسارة المحتملة ـ لإعلان الحرب على معاوية؟! فقد انحصرا في أمرين أحلاهما مرّ.

ثم إن يعلى بن منية رأي أنه من الأمر القبيح أن يذهب طلحة والزبير إلى معاوية في الشام وقد استولى عليها قبلهما في تمرده على إمامة كي يخرجاه منها ويأخذاها منه (وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلاً في يديه أمر قد سبقكما إليه، وتريدان أن تخرجاه منه!!). فهو لا يرى من القبح أن يتمرد معاوية على إمامه أمير المؤمنين ويقتطع الشام من الدولة الإسلامية لصالحه، لكنه من القبح أن يستولي طلحة والزبير على الشام

ويقتطعها من جسم الدولة الإسلامية وقد سبقهما إليها معاوية!! فمعاوية أحق بها لأنه سبقهما في التمرد واستولى عليها قبلهما، فلا بد لهما أن يبحثا عن إقليم آخر من أقاليم الدولة الإسلامية ويستوليا عليه بالتمرد كما فعل معاوية. فاقترح عليهما أن يذهبا إلى البصرة. هذا هو فحوى الخطاب. إنه من العار أن يدافع الإنسان المسلم الغيور عما دار في هذا الإجتماع وأهدافه ورموزه. فالدفاع عن مخازي هؤلاء المتمردين هو في حقيقة الأمر ضلال وردَّة عن الإسلام.

وذكر الشيخ المفيد: (فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك، اجمع طلحة والزبير وعائشة في خواص من قومهم وبطانتهم وقالوا: نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة، فإن بها شيعة عثمان وأنصاره وعامله عبد الله بن عامر بن كريز، وهو قريبه ونسيبه، وقد عمل على استمداد الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان!! وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ إلينا الجنود من الشام!! فإن أبطأنا على الخروج خفنا أن يدهمنا ابن أبي طالب بمكة، أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من أن يفرق كلمتنا. وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها، وقتلنا شيعته بها!! واتسعنا بالأموال منها!! كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب!! فإن أقام بالمدينة سيَّرنا إليه الجنود حتى نحصره فيخلع نفسه، أو نقتله كما قتل عثمان!! وإن سار فهو كالٌ ونحن حامون، وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون، فلا يطول الزمان حتى نفلَّ جموعه بهلاك نفسه وإراحة المسلمين من فتنته!!)[1].

لقد عمل الوالي المفسد عبد الله بن عامر بن كريز على استمداد الجنود من فارس وبلاد المشرق للتمرد على أمير المؤمنين عليه السلام، كما كاتب طلحة والزبير وعائشة معاوية بن أبي سفيان على أن يرسل إليهم الجنود من الشام لقتال أمير المؤمنين عليه السلام (وقد عمل على استمداد الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونته على الطلب بدم عثمان!! وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ إلينا الجنود من الشام!).

فالذين يقومون بهذا العمل الجنوني لا يريدون الإصلاح، بل يريدون التمرد والفرعنة ونشر الفساد والفوضى عن طريق الإنقلاب العسكري المكشوف. ولو

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٥.

كان هدفهم الطلب بدم عثمان لذهبوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعرضوا قضيتهم عليه، وهناك تأخذ العدالة مجراها، ويأخذ كل ذي حق حقه. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقضى أمتي علي[1].

هذا هو الأسلوب الشرعي الذي ينبغي أن يسلكوه، لا أن يستمدوا الجنود من فارس وبلاد المشرق ويكاتبوا معاوية الطليق بن الطليق لكي يمدهم بالجنود من الشام. فهذه الخدعة لا يخدعون بها إلا أنفسهم ونفوس أتباعهم أتباع الضلال، لا الله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وتأمل في قولهم في اجتماعهم المشؤوم (فإن أبطأنا على الخروج خفنا أن يدهمنا ابن أبي طالب بمكة أو في بعض الطريق...). فلو لم يكن لهم تخطيط ومؤامرة في مكة لما فكر أمير المؤمنين عليه السلام أن يداهمهم. فأمير المؤمنين عليه السلام لا يعمل بالظن ولا يعاقب على التهمة. ولو كان هدفهم الإصلاح كما يتشدقون، فلماذا يخافون من أن يدهمهم أمير المؤمنين عليه السلام بمكة أو في بعض الطريق؟!

وتأمل في قولهم: (وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة، وأخرجنا عامله منها، وقتلنا شيعته بها، واتسعنا بالأموال منها، كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب!!).

فالهدف الأساس من تحركهم المشبوه هو الظفر بإمامهم أمير المؤمنين وقتله!! وكل المؤامرات والخطط التي عملوها ما هي إلا تميهد ومقدمات لتحقيق ذلك الهدف. فإذا استطاعوا أن:

١ ـ يخرجوا عامل أمير المؤمنين على البصرة عثمان بن حنيف.

٢ ـ ويقتلوا شيعته في البصرة.

٣ ـ ويستولوا على بيت المال في البصرة.

فقد كانوا على ثقة تامة من تحقيق هدفهم الأساس وهو الظفر بأمير المؤمنين وقتله. فهذه الأهداف الثلاثة تتناقض مع هدف الإصلاح الذي طالما تشدقوا به أمام الرعاع. فما علاقة هدف الإصلاح بإخراج والي البصرة الذي نصَّبه أمير

---

(١) ذخائر العقبى: المحب الطبري ص٨٣، ينابيع المودة: القندوزي ج١ ص٢٢٥، ج٢ ص١٧٣، المناقب: الموفق الخوارزمي ص ٨١، المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٣٥.

المؤمنين؟ وما علاقة هدفهم الإصلاحي المشؤوم بقتل الأبرياء من شيعة أمير المؤمنين؟ وما علاقة هدفهم الإصلاحي سيء الصّيت بنهب أموال المسلمين من بيت المال بالبصرة؟!

هذه الأهداف الشيطانية ليست أهداف الرجال المصلحين، بل أهداف المجرمين والمفسدين في الأرض. وهؤلاء الدجالون لا يحسنون شيئاً حتى الكذب.

وتأمل في قولهم: (فإن أقام بالمدينة سيَّرنا إليه الجنود حتى نحصره فيخلع نفسه، أو نقتله كما قتل عثمان!!).

حتى لو أقام أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة لن تكن له ملجأً لأنهم سيسيرون إليه حتى يحصروه فيخلع نفسه، وإن أبى سيقتلونه كما قتل عثمان. هذا الهدف الشيطاني يتعارض مع هدف الإصلاح الذي طالما تشدَّقوا به لذر الرمَّاد على العيون. فما حجة من يدافعون عن أهدافهم المخزية؟! فأهداف المفسدين واضحة للناس. والدفاع عنهم وعن أهدافهم المشبوهة جريمة لا تغتفر. والذين يدافعون عنهم يسيئون إلى المسلمين الذين تضرَّروا من مساوئهم في حرب الجمل.

لماذا عزم زعماء الناكثين على تسيير الجنود إلى أمير المؤمنين عليه السلام إن أقام في المدينة؟! لقد كفونا مؤونة الجواب حين قالوا: (حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان!!).

كانت لهم ثلاثة أهداف شيطانية لا بد من تحقيقها إذا استقرَّ أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة ولم يخرج منها. وهذه الأهداف هي:

١ ـ محاصرة أمير المؤمنين عليه السلام في بيته كما حاصروا عثمان، مع الفرق بين أسباب الحصارين.

٢ ـ إجباره على خلع نفسه من الخلافة والإمامة.

٣ ـ قتله.

لم يستند الناكثون في حصارهم لأمير المؤمنين عليه السلام على مستند شرعي. مما يدل على أنهم أصحاب دنيا، ولا علاقة لهم بالدين. وجريمتهم في الهدف الثاني اعظم من جريمتهم في الهدف الأول. وهذا دليل على أنهم قد خرجوا من الطاعة

وفارقوا الجماعة، ونكثوا البيعة فكان موتهم ميتة جاهلية. فالمؤمن الحقيقي لا يجبر إمامه الشرعي على خلع نفسه من الخلافة دون سبب شرعي. والمؤمن الحقيقي لا يخرج من الطاعة ويفارق الجماعة، ويجبر إمامه على خلع نفسه من الخلافة وجريمتهم في هدفهم الشيطاني الثالث أعظم من جريمتم في الهدفين الأولين، لأنهم صمَّموا على قتل إمامهم بدون عذر شرعي، وهم يعلمون أنه بمنزلة نفس النبي في الذكر الحكيم، وهارون هذه الأمة، وأول أفراد العترة الذين لا يفترقون عن القرآن الكريم، ولا يفترق القرآن الكريم عنهم، والمطهر من الرجس في آية التطهير، والولي الذي نصَّبه الله على المؤمنين في آية الولاية، والمولى الذي نصَّبه نبي الرحمة عليهم في غدير خم. فما عذرهم حين يصممون على قتله؟!

لقد كان زعماء الناكثين وأتباعهم من المفسدين في الأرض بسبب أهدافهم الفاسدة والمخالفة للشرع. ولو حالفهم الحظ وانتصروا في البصرة لطبَّقوا أهدافهم الشيطانية، وفعلوا في البصرة كما فعل قادة جيش يزيد بن معاوية في كربلاء. لكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد، فاجتثهم من جديد الأرض، وأراح المسلمين منهم ومن شرِّهم، فكانوا الفئة الناكثة التي أمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتالها وقطع دابرها واجتثاثها من جماعة المسلمين.

وتأمل في اتهامهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان (أو نقتله كما قتل عثمان!!). لقد اتهموا أمير المؤمنين عليه السلام بالباطل، مما يدل على عدم إيمانهم وخوفهم من الله سبحانه وتعالى الذي سيحاسبهم على ذلك الإتهام الكاذب، ناسين أنهم قد حاصروا عثمان، وألَّبوا الناس على قتله.

وقال مروان بن الحكم ـ في ذلك الإجتماع ـ لطلحة والزبير: (أيها الشيخان، ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة عليّ. فإن أجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته، وإن لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس. فقال طلحة: يمنعنا أن الناس بايعوا علياً بيعة عامة، فبم ننقضها؟! وقال الزبير: ويمنعنا أيضاً من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان، وخفَّتنا إلى بيعة عليّ!! فقال الوليد بن عقبة: إن كنتما أسأتما فقد أحسنتما!! وإن كنتما أخطأتما فقد أصبتما!! وأنتما اليوم خيرٌ منكما أمس!!)[1].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٨.

هذه صورة الصحابي مروان بن الحكم بدون أقنعة. وهذا هو مصداق إسلامه إن كان مسلماً. وهذا موقفه السيء من إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعته. فقد حث طلحة والزبير على أن ينصِّبا نفسيهما منافسين لأمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة والبيعة.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه[1]. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما[2].

لم يقتل أتباع السقيفة مروان بن الحكم لما دعا طلحة والزبير إلى البيعة ليشق بها عصا المسلمين ويفرِّق جماعتهم كما لم يقتلوا عائشة وطلحة والزبير لما اجتمعوا لشق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم بعد أن كان أمر المسلمين مجتمعاً على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

وتأمل في رد طلحة والزبير، فهما لم ينفيا رغبتهما في البيعة لنفسيهما، وإنما تركا المجازفة في البيعة لنفسيهما لأن المسلمين قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام بيعة عامة. ولا يوجد لديهما ما يبرِّر لهما الأمر في نقضها. فالذي لا يتحرج في محاربة إمامه لا يتحرج من أن ينصِّب نفسه للبيعة كمنافس له. وعدم إنكارهما على مروان يؤكد هذا الإستنتاج.

وتأمل في قول طلحة: (يمنعنا أن الناس بايعوا علياً بيعة عامة...) وقول الزبير: (... وخفَّتنا إلى بيعة علي!!). وقال الزبير لعائشة: (... والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً، التفَّ به السفهاء من أهل مصر والعراق وسلّوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه!!)[3]. أين موقع هذا الكذب من ذلك الإعتراف العلني في اجتماعهما المشؤوم؟!

كيف تقول يا زبير لمروان بن الحكم: أنكما أسرعتما إلى بيعة أمير المؤمنين، وتقول لعائشة إنك بايعته مكرهاً وقد التفَّ به السفهاء؟! فهل أنت من السفهاء

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٢٧ (رقم الحديث ١٨٥٢).
(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٢٧ (رقم الحديث ١٨٥٣).
(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٠.

الذين أسرعوا إلى البيعة كما تدَّعي؟! ففي أي الموقفين كنت صادقاً؟ وفي أيهما كنت كاذباً؟

لقد بدا طلحة والزبير وعائشة بدون أقنعة. وانكشفت ـ للمسلمين ـ نفوسهم المريضة والمعجونة باللؤم والخبث والغدر والنكث والخيانة لوليهم الشرعي وإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام. وبدت للمسلمين قلوبهم السوداء المملوءة بالنفاق والضلال والحقد الدفين لإمامهم والإسلام والمسلمين.

ذكر الطبري: قالت عائشة: (فائتمروا أمراً ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء. وتمثلت:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم لأنقذتهم من الحبال أو الخبل

وقال القوم فيما ائتمروا به: الشام. فقال عبد الله بن عامر: قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته. فقال له طلحة والزبير: فأين؟ قال: البصرة. فإن لي بها صنائع!! ولهم في طلحة هوىً!! قالوا: قبَّحك الله، فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب، فهلّا أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك!! ونأتي الكوفة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهب!! فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً)[1].

ففي أي شيء ستوظف صنائعك في البصرة يا عبد الله بن عامر؟ هل ستوظفها في الخير أم الشر؟ وهل ستوظفها في الإصلاح أم الإفساد؟! لقد حاول كل واحد من هؤلاء الناكثين أن يوظِّف كل ما لديه من إمكانيات مادية وبشرية لإنجاح بغيهم وتمردهم على أمير المؤمنين عليه السلام. فأين الإصلاح الذي يتشدقون به؟!

وقول عبد الله بن عامر لعصابته الناكثين: (قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته) دليل على رضاهم بتمرد معاوية. والراضي بالتمرد لا يُعد من المصلحين بل من المفسدين في الأرض.

وتأمل في كلام طلحة والزبير لعبد الله بن عامر: (قبحك الله، فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب، فهلّا أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك!! ونأتي الكوفة فنسدّ على هؤلاء القوم المذاهب!!).

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٦. الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٠١.

فقد كانا يتمنيان أن يبقى عبد الله بن عامر في البصرة ويتمرد على أمير المؤمنين كتمرد معاوية بن أبي سفيان فيكتفوا به، ويأتوا الكوفة فيسدّوا على أمير المؤمنين وأنصاره جميع المنافذ وفرص النجاح.

ما أقبح هذه الأهداف، وأقبح بأصحابها. فالأهداف الخبيثة لا تخرج إلا ممن خبثت نيته. فالمؤمن الحقيقي لا يتمنى من الولاة المفسدين أن يتمردوا على الخليفة ومركز الخلافة. ولا يتمنى تلك الأهداف إلا المتمرسون في التمرد والنكث. فقد أراح الله سبحانه وتعالى المسلمين من شرهم، وشتَّت شملهم، وكسر شوكتهم، وفضح تمردهم، وبيَّن للناس نكثهم وغدرهم، وسيجازي من يدافع عن تمردهم.

هذه مؤامرة الناكثين وخططهم الميدانية. أما خططهم من ناحية التمويل المادي فلا تقل خطورة عن الخطط الميدانية. فجميع الخطط مكملة لبعضها البعض.

قال الطبري: (حتى إذا لم يبق إلا الخروج قالوا: كيف نستقل وليس معنا مال نجهّز به الناس؟! فقال يعلى بن منية: معي ستمائة ألف، وستمائة بعير!! فاركبوها!! وقال ابن عامر: معي كذا وكذا فتجهزوا به. ونادى المنادي إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة!! فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان، ولم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز، فهذا جهاز، وهذه نفقة!! فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة، سوى من كان له مركب. وكانوا جميعاً ألفاً، وتجهزوا بالمال، ونادوا بالرحيل!! واستقلوا ذاهبين)[1].

فدعاة الإصلاح لا يحتاجون إلى هذه القدرات المادية لتجهيز الناس!! ولماذا الناس؟ فبالكلمة الطيبة يتم الصلح لا بتجهيز الجيوش وتمويلها!! فهذا التجهيز البشري والمادي الهائل يستخدم للحرب لا للصلح. فلماذا تستخدمون الكذب والتدليس في إعلان أهدافكم يا رؤوس الناكثين وأقطاب حرب الجمل؟! تعلنون للرعاع أن هدفكم الصلح (وسارت معهم عائشة وهي تقول: اللهم، إني لا أريد

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٧. الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢.

إلا الإصلاح بين المسلمين!!)[1]، وتتجهزون للحرب تجهيزاً مادياً وبشرياً.

فقد جهَّز يعلى بن أمية جيش الناكثين بـ (٦٠٠,٠٠٠درهم/ دينار) و (٦٠٠ بعير). وسيحاسبه الله سبحانه وتعالى على هذه الأموال والجمال. فلو كانت هذه الأموال والجمال ملكاً له وصرفها على الفقراء والمساكين لكافأه الله سبحانه وتعالى عليها. أما أن يسرقها من بيت مال المسلمين ويوظّفها في قتال المسلمين الأبرياء، فهذه هي الخيانة التي ما بعدها خيانة وسيحاسبه الله عزّ وجلّ عليها، ولن يخلصه طلحة والزبير وعائشة من سوء المصير يوم القيامة.

وتأمل في قولهم: (فنادى المنادي إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة!!). لماذا الشخوص إلى البصرة؟! فلا يوجد خلاف في البصرة حتى يقوموا بمهمة الصلح. وقتلة عثمان لا يوجدون في البصرة، بل هم قادة جيش الناكثين.

وتأمل في قولهم: (فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان، ولم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز، فهذا جهاز، وهذه نفقة!!). لقد افتعلوا ثلاثة أهداف خبيثة غطاءً لتمردهم وهي:

١ ـ إعزاز الإسلام.

٢ ـ قتال المحلين.

٣ ـ الطلب بثأر عثمان.

لقد ذهبوا إلى البصرة وعاثوا فيها الفساد كما سنعرف لاحقاً واعتبروا فسادهم وتمردهم، إعزازاً للإسلام. وقتلوا المسلمين الأبرياء وسفكوا الدماء الزكية واعتبروا ذلك قتالاً للمحلين. وخرجوا من أجل الإمارة بعد أن ضحك عليهم معاوية بالبيعة لهم بالخلافة وولاية العهد وزهقوا الأرواح البريئة واعتبروا ذلك طلباً بثأر عثمان!! يعلنون شيئاً وينفذون شيئاً آخر. فظاهرهم غير باطنهم، وسريرتهم تختلف عن علانيتهم.

وتأمل في قول الراوي: (وكانوا جميعاً ألفاً!!). فدعاة الإصلاح لا يحتاجون

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٥.

إلى هذا العدد الهائل للإصلاح. فضلاً عن القدرات المادية ووسائل الركوب التي تقلّ تلك الجموع الهائلة. فهذه الجموع الهائلة بما تحتاجه من أموال ونفقات وأجهزة ودواب دليل على التمرد والبغي ونشر الفساد لا طلب الإصلاح. فلا يستطيعون أن يخدعوا المسلمين بهذه السفاسف الشيطانية.

(وروى الواقدي قال: حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: سمعت يعلي بن منية يقول ـ وهو مشتمل بصنعانية ـ هذه عشرة آلاف دينار وهي عين مالي أقوى بها من طلب بدم عثمان، فجعل يعطي الناس. واشترى أربعمائة بعير فأناخها بالبطحاء، وحمل عليها الرجال)[1].

وقد علق أمير المؤمنين عليه السلام عليه فقال: (والله إن ظفرت بابن منية وابن أبي ربيعة لأجعلن أموالهما في مال الله عزّ وجلّ. ثم قال: بلغني إن ابن منية بذل عشرة آلاف دينار في حربي!! من أين له عشرة آلاف دينار؟! سرقها من اليمن ثم جاء بها!! لئن وجدته لآخذنه بما أقرَّ به)[2].

فقد وظَّف يعلى بن منية (١٠,٠٠٠ دينار) بالإضافة إلى (٤٠٠ بعير) وقد اتهمه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه قد سرقها من اليمن، وهدَّده إن ظفر به ليجعلنَّ أمواله في مال الله عزّوجلّ. ولهذا (لما كان يوم الجمل وانكشف الناس هرب يعلى بن منية)[3].

وقال ابن قتيبة: (وقدم يعلي بن منية عليهم من اليمن، وكان عاملاً لعثمان، فأخرج أربعمائة بعير!! ودعا إلى الحملان. فقال الزبير: دعنا من إبلك هذه، وأقرضنا من هذا المال، فأقرض الزبير ستين ألفاً، وأقرض طلحة أربعين ألفاً)[4].

وقد لقي طلحة والزبير حتفهما ولم يؤدِّيا القروض التي اقترضاها لإبادة الإسلام والمسلمين وزهق أرواحهم.

وقال ابن عبد البر: (أعان يعلي بن منية الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٢.

(٢) المرجع السابق: ص٢٣٣.

(٣) المرجع السابق: ص٢٣٣.

(٤) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٩، انظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٢، ص٢٦٩.

رجلاً من قريش، وحمل عائشة رضي الله عنها على جمل يقال له (عسكر) كان اشتراه بمائتي دينار)[1].

وقال ابن أعثم الكوفي: (وقدم يعلي بن منية من اليمن، وقد كان عاملاً عليها من قبل، فقدم ومعه أربعمائة بعير، فدعا الناس إلى الحملان، فقال له الزبير: دعنا من إبلك هذه، هات فأقرضنا مما لك ما نستعين به على ما نريد. فأقرضهم ستين ألف دينار، ففرَّقها الزبير فيمن أحب من خف معه)[2]. فمن أين ليعلى بن منية هذه الأموال والجمال؟!

وقال سبط ابن الجوزي: (ذكر الميداني أن يعلى بن منية كان والياً على اليمن فقدم على عائشة وهي تجهز إلى البصرة فأعانها بأربعمائة ألف درهم من مال اليمن!! وحملها على الجمل الذي كانت عليه يوم القتال، وإسم الجمل (عسكر) اشتراه من اليمن بثمانين ديناراً. وقيل: كان جملاً لعبد الله بن عامر حملها عليه واشتراه بمائتي دينار ودفع لها عبد الله بن عامر ألف ألف درهم من بيت مال البصرة!!)[3].

لقد دفع يعلي بن منية لعائشة (٤٠٠,٠٠٠ درهم) من بيت المال باليمن، كما دفع لها عبد الله بن عامر (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم) من بيت المال بالبصرة. لقد سرق هاذان الواليان المفسدان أموال المسلمين من بيت المال باليمن والبصرة، ووظَّفا تلك الأموال لحرب أمير المؤمنين وزهق أرواح المسلمين في حرب الجمل المشؤومة. وقد استلمت عائشة تلك الأموال الطائلة وهي تعرف مصدرها ولم تتورع عن استلامها ولم تسأل عن مصدرها. وهذا الموقف يخدش عدالتها وإيمانها.

وقال المسعودي: (وانصرف عن اليمن عامل عثمان وهو يعلى بن منية... فكان ممن حرَّض على الطلب بدم عثمان، وأعطى عائشة وطلحة والزبير أربعمائة ألف درهم وكراعاً وسلاحاً، وبعث إلى عائشة بالجمل المسمى عسكراً، وكان

---

(١) الإستيعاب: ابن عبد البر ج٣ ص٦٦٤.
(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٣، انظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٢، ص٢٦٩.
(٣) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢.

شراؤه عليه باليمن مائتي دينار، فأرادوا الشام فصدهما ابن عامر... فجهزهم بألف ألف درهم ومائة من الإبل!!)[1].

لم يكن قادة حرب الجمل طلحة والزبير وعائشة ممن يتورعون عن نهب المال الحرام ولو كان عندهم ورع يصدهم عن الجشع لما أخذوا من يعلي بن مينة (٤٠٠,٠٠٠ درهم) وكراعاً وسلاحاً. ولو كانت عندهم ذرة من الورع لما قبلوا بـ (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم) ومائة من الإبل من الوالي المفسد ابن عامر. فإن كان هدفهم الإصلاح الذي طالما تشدقوا به، فهذه الملايين من الأموال والإبل والسلاح والكراع لا علاقة لها بذلك الإصلاح المزعوم. فقد كانت الأموال الهائلة والكراع والسلاح والإبل كاشفة عن نواياهم الشريرة في القتل والنهب ونشر الفساد والفوضى والتمرد على طاعة إمامهم والإستيلاء على زمام الأمرو.

وروى الطبري بسنده عن صفوان بن قبيصة الأحمسي قال: حدثني العرني صاحب الجمل قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل، تبيع جملك؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بألف درهم. قال: مجنون أنت، جمل يباع بألف درهم؟! قال: قلت نعم، جملي هذا. قال: ومم ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته، ولا طلبني ـ وأنا عليه ـ أحدٌ قط إلا فتَّه. قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا. قال: قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمك!! قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحاً. قال: إنما نريده لأم المؤمنين عائشة. قلت: فهو لك، فخذه بغير ثمن. قال: لا. ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية، ونزيدك دراهم. قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرية، وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم)[2].

وقال ابن أبي الحديد: (لما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيِّداً يحمل هودجها، فجاءهم يعلي بن منية ببعيره المسمى (عسكراً)، وكان عظيم الخلق شديداً. فلما رأته أعجبها!! وأنشأ الجمَّال يحدثها بقوته وشدَّته، ويقول في أثناء كلامه (عسكر)، فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت!! وقالت:

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٧.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص١٧٠. وانظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٣.

ردّوه لا حاجة لي فيه!! وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الإسم، ونهاها عن ركوبه!! وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه. فغيَّر لها بجلال غير جلاله!! وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً، وأشد قوة، وأتيت به فرضيت!!)[1].

وسواء كان هذا الجمل الملعون ليعلي بن منية، أم للعرني، فهو جمل مبغوض عند الله سبحانه وتعالى ورسوله. فقد نهى رسول الله ﷺ عائشة عن ركوب الجمل المسمى (عسكر)، وهذا من علائم النبوة في كون أمير المؤمنين عليه السلام على الحق، وعائشة وأتباعها على الباطل. وقد رأت عائشة بأم عينها صدق الحديث النبوي وتجسيمه على أرض الواقع، لكنها تنكَّرت لسنَّة رسول الله ﷺ عن عمد وسبق إصرار، وعصت أوامر زوجها رسول الله ﷺ بما لا يدع مجالاً للإجتهاد، كما عصت قبل ذلك أوامر ربها الذي أمرها أن تقرَّ في بيتها، وجعلت القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ وراء ظهرها. ما دلالة هذا العصيان على مدى إيمانها والتزامها؟!

كما أن أتباعها أتباع الضلال من الصحابة الذين انقلبوا على أعقابهم قد قاموا بتزوير الحديث النبوي وتدليسه لطمس دلائل النبوة التي بانت معالمها من ذلك الحديث النبوي الذي كشف زيفهم وباطلهم وبيَّن نواياهم الشريرة، كما بيَّن حق أمير المؤمنين عليه السلام وفضله. فقام أولئك الأجلاف بتغيير غطاء ذلك الجمل فظهر بشكل يختلف عن شكله الأول، وقالوا لعائشة كذباً وزوراً: (لقد أصبنا لك أعظم منه خلقاً، وأشد قوة، وأتيت به فرضيت!!).

لقد خرجت عائشة بين قوم كذابين لا دين لهم يردعهم، ولا حياء يمنعهم، وظَّفوا قدراتهم العقلية في التدليس والكذب لمحو أحاديث النبي ﷺ ودلالاتها لكي لا تفضح مخططاتهم الشيطانية وتآمرهم العدواني. وذهبوا بعار الدنيا والآخرة. ودار الزمن دورته، فقام الأتباع في العصر الحديث يدافعون عن أولئك الكذابين المدلِّسين، ويبّررون أفعالهم السيئة، وإن أدت إلى الإساءة الى النبي ﷺ وأحاديثه النبوية الشريفة.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٤.

بعد أن استقر رأي القوم على الذهاب إلى البصرة، اشتعلت حرب الرسائل بين عائشة وطلحة والزبير من جانب، وزعماء القبائل العربية من جانب آخر.

فقد قال الزبير لعبد الله بن عامر في الإجتماع المشؤوم: (من رجال البصرة؟ قال: ثلاثة، كلهم سيِّد مطاع: كعب بن سور في اليمن. والمنذر بن ربيعة في ربيعة، والأحنف بن قيس في مضر. فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور:

أما بعد، فإنك قاضي عمر بن الخطاب، وشيخ أهل البصرة، وسيِّد أهل اليمن، وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى، فاغضب له من القتل. والسلام)[1].

وكتب إلى الأحنف بن قيس:

أما بعد، فإنك وافد عمر وسيّد مضر، وحليم أهل العراق، وقد بلغك مصاب عثمان، ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر. والسلام)[2].

وكتب إلى المنذر:

أما بعد، فإن أباك كان رئيساً في الجاهلية، وسيِّداً في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق. يقال: كاد أو لحق، وقد قتل عثمان من أنت خيرٌ منه، وغضب له من هو خيرٌ منك. والسلام)[3].

لقد ادَّعى طلحة والزبير عظيماً من القول عندما كتبا إلى المنذر (. . . وقد قتل عثمان من أنت خيرٌ منه!!). فقد اتهما أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان، وأن المنذر بن ربيعة أفضل من أمير المؤمنين!! فاللذان يحاربان أمير المؤمنين لا يتورعان أن يتهماه بقتل عثمان، وأن المنذر بن ربيعة خيرٌ منه.

وقال ابن قتيبة: (فما وصلت كتبهما إلى القوم، قام زياد بن مضر، والنعمان بن شوَّال، وغزوان فقالوا: ما لنا ولهذا الحي من قريش؟ أيريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ ويدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه؟ قتلوا عثمان وبايعوا علياً، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم!!)[4].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٩. جمهرة الرسائل: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٧.
(٢) المرجع السابق: ج١ ص٨٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٧.
(٣) المرجع السابق: ج١ ص٨٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٨.
(٤) المرجع السابق: ج١ ص٨٠.

تأمل في قولهم: (أيريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ ويدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه؟!). فقد عرف أهل البصرة نفسية أقطاب حرب الجمل، وعرفوا حقيقة نواياهم الشريرة التي تخرج الإنسان المسلم من الإسلام وتدخله في الشرك. فما حجة من يدافعون عنهم؟ ألم يعرفوا نواياهم؟

وقد ردَّ الزعماء الثلاثة على رسائل طلحة والزبير. فقد (كتب كعب بن سور إلى طلحة والزبير: أما بعد، فإنا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان. فجاء أمر الغير فيه بالسيف، فإن يك عثمان قتل ظالماً، فما لكما وله؟ وإن كان قُتل مظلوماً فغيركما أولى به. وإن كان أمره أشكل على من شهده. فهو على من غاب عنه أشكل)[1].

(وكتب الأحنف إليهما: أما بعد، فإنه لم يأتنا من قبلكم أمرٌ لا نشك فيه إلا قتل عثمان، وأنتم قادمون علينا، فإن يكن في العيان فضل، نظرنا فيه ونظرتم، وإلا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة. والسلام)[2].

(وكتب المنذر: أما بعد، فإنه لم يلحقني بأهل الخير إلا أن أكون خيراً من أهل الشر، وإنا أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس، وقد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي؟ فلما قرآ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا!!)[3].

لماذا ساءتكم هذه الردود؟ ولماذا غضبتم منها؟ ولماذا لم تستفيدوا من تلك الردود فتقلعوا عن محاولاتكم الشيطانية؟

قال ابن أبي الحديد: (كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة، أما بعد، فإنك ظعينة رسول الله ﷺ، وقد أمرك أن تقرِّي في بيتك، فإن فعلت فهو خيرٌ لك، فإن أبيت إلا أن تأخذي منسأتك، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أردّك إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربك.

فكتبت إليه في الجواب: أما بعد، فإنك أول العرب شبَّ الفتنة، ودعا إلى

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٠. جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٨.
(٢) المرجع السابق: ج١ ص٨٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٨.
(٣) المرجع السابق: ج١ ص٨٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٩.

الفرقة، وخالف الأئمة، وسعى في قتل الخليفة، وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمت ما فيه، وسيكفينيك الله، وكل من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيِّك، إن شاء الله)[1].

لم تستطع عائشة من خلال ردِّها أن تفنِّد حجج الأشتر في رسالته، وقد اعترفت في ردِّها أنها فهمت ما جاء في رسالته، فتركت مقارعة تلك الحجج، وتجاهلت تلك النصائح وتركتها وراء ظهرها، مما يدل على عدم مبالاتها بأمور الدين.

كما أنها ركزَّت في ردِّها على دور الأشتر في الفتنة التي أدت إلى حصار عثمان وقتله. فإن كان حصار عثمان وقتله فتنة، فدور عائشة أكبر من دور الأشتر في هذه الفتنة. فقد كفَّرت عثمان وسمَّته نعثلاً وحضَّت المسلمين على قتاله، واتهمته بأنه أبلى سنَّة رسول الله ﷺ ووصفته بالطغيان والشؤم وغير ذلك. وإذا لم يكن العمل الذي قامت به فتنة، فعمل الأشتر ليس فتنة. لأن الهدف واحد عند الطرفين. ولا تفكيك بين الموقفين.

لم يكن معاوية بن أبي سفيان بعيداً عن حرب الرسائل، بل خاض فيها حتى ذقنه. وسنكتفي بإيراد رسالة واحدة تبيّن نصيبه في التخطيط والتآمر وإن كان موجوداً في الشام. فقد كتب رسالة إلى يعلي بن منية والي عثمان على اليمن:

(. . . فشمِّر لدخول العراق، فأما الشام فقد كفيتك أهلها، وأحكمت أمرها، وقد كتبت إلى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة، حتى يجتمع رأيكما على إظهار الدعوة، والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم، وكتبت إلى عبد الله بن عامر يمهِّد لكم العراق، ويسهِّل لكم حزونة عقابها، واعلم يا بن منية، إن القوم قاصدوك باديء بدء، لاستنزاف ما حوته يداك من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسبه إن شاء الله)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٥، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٦.

(٢) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٠٥.

فكتب إليه يعلي بن منية:

إنا وأنتم يا بني أمية كالحجر لا يبنى بغير مدر... ثكلتني من أنا ابنها إن نمت عن طلب وتر عثمان، أو يقال: لم يبق فيه رمق. إني أرى العيش بعد قتل عثمان مرّاً، إن أدلج القوم فإني مدلج!! وأما قصدهم ما حوته يدي من المال، فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلينا قتلة عثمان، وإن أبو ذلك أنفقنا المال على قتالهم، وإن لنا ولهم لمعركة نتناحر فيها نحر الجزَّار النقائع، عن قليل تصلُّ لحومها)[1].

لم يترك معاوية أحداً من أصحاب النفوس المريضة إلا وأرسل إليه رسالة يحثه فيها على مساعدة عائشة وطلحة والزبير في تمردهم على أمير المؤمنين عليه السلام ونكث بيعته. كما اعترف بتمرده على أمير المؤمنين عليه السلام واقتطاعه ولاية الشام من جسم الدولة الإسلامية (فأما الشام فقد كفيتك أهلها، وأحكمت أمرها!!).

كما بيَّن في رساله السرقات المالية التي سرقها يعلي بن منية من بيت مال المسلمين في اليمن (إن القوم قاصدوك باديء بدء، لاستنزاف ما حوته يداك من المال!!). ولم ينكر الوالي السارق يعلي بن منية تلك السرقات بل اعترف بها، وأدهى من ذلك أنه قد أبدى استعداده في جعل تلك الأموال المسروقة تحت تصرف قادة حرب الجمل في حربهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام والمسلمين الذين معه (... وأما قصدهم ما حوته يدي من المال، فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلينا قتلة عثمان، وإن أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم!!). وقد وفى بما وعد.

وقد أحصى المؤرخون السرقات المالية التي سرقها يعلي بن منية من بيت مال المسلمين في اليمن. فبعضهم قال: (٦٠٠,٠٠٠ درهم) و (٦٠٠ بعير). وقال بعضهم دفع للناكثين: (١٠,٠٠٠ دينار) و (٤٠٠ بعير). وقال بعضهم: قد أقرض الزبير (٦٠,٠٠٠) وأقرض طلحة (٤٠,٠٠٠). وقال بعضهم أعان الزبير بـ (٤٠٠,٠٠٠). وذكر بعضهم: إنه قد أعان عائشة بـ (٤٠٠,٠٠٠ درهم من مال اليمن)، غير الكراع والسلاح[2].

---

(١) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٠.

(٢) انظر تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٧، الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٠١، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٢، ٢٣٣، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٩، الإستيعاب: ابن عبد البر ج٣ ص٦٦٤، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٧.

هذه صورة من صور أحد الناكثين السرَّاق. فقد كان الناكثون خليطاً من المنافقين وأصحاب الضلال وأصحاب النفوس المريضة والسرَّاق والكذَّابين الذين يدلّسون الأحاديث النبوية ويطمسونها حتى لا يتضح للناس ضلالهم وبغيهم وبعدهم عن الحق.

هناك سؤال لا بد من طرحه. كيف عرف معاوية بن أبي سفيان ـ وهو في الشام ـ سرقات والي عثمان على اليمن يعلي بن منية ولم يفطن لها طلحة والزبير وعائشة؟! لقد فطن أقطاب حرب الجمل لتلك الأموال المسروقة، كما فطن المؤرخون ـ فيما بعد ـ لتلك السرقات وقد صرَّح بعضهم بذلك، كما صرَّح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام أمام الملأ من المسلمين، فكيف لا يفطن أقطاب حرب الجمل لذلك؟

فهم يعلمون علم اليقين بأنهم لا يجوز لهم التمرد على إمامهم بعد بيعته، ولا يجوز لهم أن ينكثوا البيعة بعد إمضائها، كما أن عائشة تعلم علم اليقين بأنها خالفت حكم القرآن الكريم وتركت بيتها وتمردت على إمامها دون مبرر شرعي. وبعد ذلك العلم اليقيني بخطأ مواقفهم يعملون أعمالاً تقشعر لها الأبدان، دون أن يردعهم دين، أو يحجزهم ورع أو يمنعهم عقل. فكيف لا يقبلون بتلك الأموال المسروقة ويوظفونها في حرب أمير المؤمنين والمسلمين الذين معه وهم يعلمون أنها مسروقة من بيت مال المسلمين في اليمن؟

فالذي يعرف حرمة التمرد على الإمام ونكث بيعته، ثم يتمرد عليه وينكث بيعته عن عمد وسبق إصرار، لا يتورع عن توظيف الأموال المسروقة في حرب إمام المسلمين وهو يعلم من أين سرقت. فالذي لا يخاف الله هناك لا يخاف الله هنا، والذي لا يتقي الله بعمله الشائن هناك، لا يتقي الله بعمله السيء هنا.

والشيء الغريب أن طلحة والزبير بما يملكانه من أموال طائلة تقدر بالملايين لم يوظفا درهماً واحداً من أموالهما في حربهما ضد أمير المؤمنين عليه السلام. بل موَّلا حربهما من أموال المسلمين التي سرقها يعلي بن منية من اليمن والأموال التي سرقها عبد الله بن عامر من البصرة. فقد دفع عبد الله بن عامر (١,٠٠٠,٠٠٠ درهم) لعائشة من بيت المال بالبصرة كما صرَّح بذلك سبط ابن الجوزي[1].

---

(١) انظر: تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢.

فقد خبَّأ طلحة والزبير أموالهما ـ إن كانا حصلا عليها بطريقة شرعية ـ لأولادهما يتنعمون بها، وموَّلا حرب الجمل من ناحية المال والسلاح والعتاد والدواب والنفقات من أموال المسلمين المسروقة في وضح النهر، فكانت جريمتهما مزدوجة وعقابهما مضاعفاً، كما يتحملان عقاب من يدافع عن جرائمهما في إشعال الحرب وإنفاق أموال المسلمين المسروقة في حربهما.

ربما يقول قائل إن طلحة والزبير وعائشة لا يعلمون مصدر الأموال التي أتى بها يعلي بن منية وعبد الله من عامر، ولو علموا بأنها مسروقة من بيت مال المسلمين لما أخذوا منها شيئاً في تمويل الحرب. هذا القول غير صحيح. فقد عرف أمير المؤمنين بذلك وهو في المدينة، كما عرف معاوية بن أبي سفيان بذلك وهو في الشام. فلم لم يعرف طلحة والزبير وعائشة مصدر تلك الأموال وقد سُلِّمت إليهم؟ وجميع المسلمين قد عرفوا الاختلاسات المالية لعثمان وولاته وقد تعرضنا لها في الباب الأول وكانت أحد الأسباب التي أدَّت إل ثورة المسلمين على عثمان، فلماذا لم يعرف طلحة والزبير وعائشة مصدر تلك الأموال؟ وقد اشترك الثلاثة في تأليب الناس على عثمان للفساد المالي له ولولاته، فلماذا لم يعرفوا مصدر تلك الأموال؟ كما أن الزبير نفسه قد شارك في تلك الاختلاسات المالية عندما طلب من عثمان أن يعطيه من بيت مال المسلمين في أصفهان لأنه أجود كما قيل له. فكيف يتورع عن توظيف تلك الأموال المسروقة في حربه المجنونة ضد أمير المؤمنين عليه السلام؟ كما أن الأقطاب الثلاثة جميعهم قد تمردوا على أمير المؤمنين ونكثوا بيعته علانية خلافاً للقرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة، فكيف يتورعون عن توظيف تلك الأموال المسروقة في حربهم المجنونة؟

كما أنهم اشتركوا في تحريف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله التي تدين تمردهم وبغيهم، وقاموا بالتدليس في قضية الجمل (عسكر) الذي أتوا به إلى عائشة. فكيف يتورعون عن توظيف تلك الأموال المسروقة؟ كما أن الزبير قد اشترك في تحريف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في (ماء الحوأب) وأتى بالأعراب الذين شهدوا زوراً لتحريف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حياء ولا خجل ولا خوف من الله سبحانه وتعالى، كما سنعرفه لاحقاً. فكيف يتورع هذا المدلس عن أخذ أموال المسلمين المسروقة لتمويل حربه الظالمة ضد أمير المؤمنين عليه السلام؟

كما سنعرف لاحقاً استيلاء طلحة والزبير وعائشة على الأموال المتبقية في بيت مال المسلمين في البصرة قبل مقدم أمير المؤمنين، وبث الرعب والفساد والقتل والتعذيب في البصرة. فكيف يتورعون عن أخذ تلك الأموال المسروقة وتوظيفها في حربهم البائسة ضد أمير المؤمنين والمسلمين الذين معه؟

وما وجدنا طلحة والزبير وعائشة يسألون يعلي بن منية وعبد الله بن عامر عن مصدر تلك الأموال. فكم كان معاشيهما؟ وكم كانت نفقتهما منه؟ وكم كان يدّخران من ذلك المعاش؟ ومن أين تجمعت لهما تلك الأموال الطائلة التي تقدَّر بالآلاف والملايين؟

فلا يعقل أن يسلِّم يعلي بن منية وعبد الله بن عامر سرقاتهما كلها لقادة حرب الجمل. فلا بد أنهما قد ادّخرا قسماً منها لأسرتيهما، وهذه الأموال التي سلماها هي جزء من تلك الأموال المسروقة. فهل قام طلحة والزبير وعائشة بتقصي مصدر تلك الأموال؟ لم يقوموا بذلك، لأنهم لا يحتاجون إلى معرفة مصدرها، وإنما يتحاجون إليها لإنجاح تمردهم وإن كانت من أموال المسلمين. فطالما قد شبعوا منها أيام عثمان.

فأقطاب حرب الجمل وأتباعهم ليسوا إلا مجموعة من المتمردين والناكثين والمفسدين والسراق وقطاع الطرق، لا يتورعون عن سفك الدماء وزهق الأرواح والسرقة والتعذيب، وتحريف سنة رسول الله ﷺ. فالدفاع عنهم جريمة، والتباكي عليهم استخفاف بتعاليم الدين وأحكامه.

هذه هي صورة عائشة والزبير وطلحة بدون أقنعة. لقد احترفوا السرقة والجريمة، ومارسوا النهب والقتل والتعذيب. ورضعوا اللؤم والغدر والخيانة. وآمنوا بالضلال والغواية، ورفعوا راية الشقاق والنكث. وحاربوا إمامهم الشرعي، وخلَّفوا وراءهم جيشاً من اليتامى والأرامل والمعوقين، وتحالفوا مع الشيطان للقضاء على الدين. وبدَّدوا خيرات المسلمين وشتتوا شملهم وأضعفوا قواهم من أجل السيطرة على مقاليد الأمور، وتنصيب أنفسه طغاة وفراعنة بدلاً من الخلفاء والأئمة الشرعيين. فتباً لهم، ولحربهم المشؤومة.

الفصل الثاني:

ما حدث في المسير

لما أنهى اقطاب حرب الجمل وأتباعهم مؤتمرهم في التخطيط والتآمر، وأحكموا خططهم، وموَّلوا المنافقين وأصحاب النفوس المريضة من الأموال المسروقة من بيت مال المسلمين في اليمن والبصرة، خرجوا من مكة متجهين إلى البصرة.

قال ابن أعثم الكوفي: (فعند ذلك أذن مؤذن طلحة والزبير بالمسير إلى البصرة، فسار الناس في التعبية والآلة والسلاح وسارت معهم عائشة وهي تقول: اللهم، إني لا أريد إلا الإصلاح بين المسلمين، فأصلح بيننا إنك على كل شيء قدير)[1].

أي صلح تريدين يا عائشة؟ فلا يوجد خلاف بين المسلمين في البصرة؟ والمرأة المصلحة لا تقول: (ما لعلي يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!). والمرأة المصلحة لا تقول: (أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان، ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه!! وأما علي فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس، فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!!)[2]. فما علاقة الإصلاح المزعوم بالطلب بدم عثمان وضرب وجه إمامك أمير المؤمنين بالسيف؟ وما علاقة إصلاحك المزعوم بإجبار أمير المؤمنين

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٥.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٨.

برد الأمر شورى بين الناس بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار؟ ومن أنت حتى تتصرفي هذا التصرف المخالف لأحكام القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ؟ ولماذا تدلسين على الهمج الرعاع أهداف خروجك على أمير المؤمنين عليه السلام؟

وقال المسعودي: (وسار القوم في ستمائة راكب)[1].

وقال أبو مخنف: (سار طلحة والزبير وعائشة فيمن اجتمع إليهم من الناس فخرجوا في ثلاثة آلاف، منهم من أهل المدينة ومكة تسعمائة)[2]. فلو كان هدفهم الحقيقي الصلح لما احتاجوا إلى هذا العدد الهائل من الأوباش والمنافقين.

وقال البلاذري: (فخرجوا في تسعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل!!)[3].

وقال ابن الأثير: (فحملوا ستمائة على ستمائة بعير وساروا في الف. وقيل: في تسعمائة من أهل المدينة ومكة، ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل)[4].

وقال سبط ابن الجوزي: (ثم خرجوا من مكة في تسعمائة ثم لحقهم الناس حتى صاروا ثلاثة آلاف)[5]. فقد أجمعت أقوال المؤرخين على أن عددهم النهائي ثلاثة آلاف رجل، وإن اختلفوا في العدد في بداية الخروج.

لما خرج الناكثون من مكة أرسل بعض الصالحين من ذوي الضمائر الحية رسائل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبرونه بتمرد الناكثين عليه وخروجهم إلى البصرة لنشر الفوضى والفساد. فقد أرسلت أم سلمة رضي الله عنها رسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

لعبد الله علي أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيها بني السوء وشيعة الضلال

---

(١) مروج الذهب: السمعودي ج٢ ص٣٥٧.
(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٤.
(٣) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٢.
(٤) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨.
(٥) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢.

خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة، يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه. والله كافيكم وجعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى، وتالله لولا ما نهى الله عزّ وجلّ عنه من خروج النساء من بيوتهن وما أوصى به رسول الله ﷺ عند وفاته لشخصت معك، ولكن قد بعثت إليك بأحب الناس إلى النبي ﷺ وإليك ابني عمر بن أبي سلمى، والسلام)[1].

فقد وصفتهم أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بـ (بني السوء وشيعة الضلال)، كما دعت عليهم بقولها: (وجعل دائرة السوء عليهم إن شاء الله تعالى). وهذه الشهادة من أم المؤمنين في حقهم تعطينا اطمئناناً بأنهم حثالة المجتمع من ذوي الضمائر الميتة، ولو لم يكونوا كذلك لما شهدت عليهم بالسوء والضلال.

وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى عليّ رضي الله عنها: (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين. من أم الفضل بنت الحارث: أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس إلى حربك، ولم يخف معهم إلى ذلك إلا من كان في قلبه مرض!! ويد الله فوق أيديهم. والسلام)[2].

قال: ثم دفعت أم الفضل هذا الكتاب إلى رجل من جهينة له عقل ولسان يقال له ظفر، فقالت: خذ هذا الكتاب وانظر أن تقتل في كل مرحلة بعيراً وعليَّ ثمنه، وهذه مائة دينار قد جعلتها لك، فجد السير حتى تلقى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتدفع إليه كتابي هذا[3].

وتأمل في قولها: (وقد استنفروا الناس إلى حربك!!). وهذه شهادة من أم الفضل بنت الحارث في تكذيب عائشة عندما ادَّعت الخروج إلى الإصلاح. فلو كان هدفها الإصلاح لما خفي هدفها على أحد. وتأمل في قولها: (ولم يخف

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٥، وانظر شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٩، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٦.

(٣) المرجع السابق: ج٢ ص٤٥٦، وانظر تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٧، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ص١٠٢.

معهم إلى ذلك إلا من كان في قلبه مرض!!). وهذه شهادة أخرى على فسق من خرجوا مع الناكثين وهم حثالة المجتمع في ذلك الوقت.

وتأمل في المبلغ الذي دفعته أم الفضل للرجل الجهني وهدفها من ذلك، والمبالغ التي دفعها يعلي بن منية وعبد الله بن عامر لرؤوس حرب الجمل وهدفهما من ذلك، تجد أي المبلغين يرضي الله عزّ وجلّ، وأيهما يجلب سخطه؟ ومن الذي يكافأه الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟ ومن الذي يعاقبه؟

وكتب قثم بن عباس إلى علي يخبره: أن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة، يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس، فلم يخف معهم إلا من لا يعتد بمسيره، ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب[1]. وهذه شهادة ثالثة على عدم أهمية الناكثين في المجتمع، بل هم حثالة من أخس الحثالات التي أفرزتها السقيفة.

وتأمل في قوله (وقد استنفروا الناس). ففي لسان العرب: استنفر الإمام الناس لجهاد العدو فنفروا ينفرون: إذا حثهم على النفير ودعاهم إليه[2]. وفي المعجم الوسيط: استنفر الحاكم الرعية: كلفهم أن ينفروا لقتال العدو[3]. أي أن أقطاب حرب الجمل قد جمعوا الأوباش وأتباع الضلال لقتال أمير المؤمنين وليس للصلح بين المسلمين. فما حجة من يدافعون عنهم؟

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا أخي، كلأك الله، والله جائرك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه على كل حال، وإني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما، وهم متجهون إلى البصرة، قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان، وتبعهم على ذلك كثير من الناس، من طغاتم وأوباشهم...)[4].

فقد بين عقيل بن أبي طالب بأن عائشة وطلحة والزبير ومعهم أتباعهم، قد

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨١.
(٢) لسان العرب: ابن منظور ج٥ ص٢٢٥ (مادة: نفر).
(٣) المعجم الوسيط: ج٢ ص٩٣٩ (مادة: نفر).
(٤) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٤.

أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة، مما يدل على أن هدفهم ليس الإصلاح وإنما التمرد ونكث البيعة، التي تخرجهم من الدين وتميتهم ميتة جاهلية. فلم يشهد عليهم أحد بأنهم خرجوا للإصلاح. فأي عذر للذين يدافعون عنهم؟! كما أنه قد وصف أتباع الناكثين بالطغاة والأوباش. فيا ويلهم من هذه الأوصاف.

خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناكثين أثناء خروجهم إلى البصرة لكنهم فاتوه. فقد (شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والأنصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس، واستخلف على المدينة قثم بن عباس، وكان له فضل وعقل، وأمره أن يشخص إليه من أحب الشخوص، ولا يحمل أحداً على ما يكره!! فخف الناس إلى عليّ بعده)[1].

فقد خرج أمير المؤمنين مع وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وآله. وخرج طلحة والزبير وعائشة مع الطغاة والأوباش وأبناء السوء وأتباع الضلال ومن كان في قلبه مرض، ومن لا يعتد بمسيره، والولاة الظلمة لعثمان وبني أمية أغصان الشجرة الملعونة في القرآن. فالأتباع مرآة صادقة للطرفين.

الطرف الذي يمثل الحق، والطرف الآخر الذي يمثل الباطل. كما أن زعماء الطرفين، أحدهما يمثل الإمام الحق للمسلمين، والآخرون يمثلون الناكثين والمتمردين والمفارقين جماعة المسلمين.

أما الشيخ المفيد فقد قال: (ثم خرج في سبعمائة من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة تمَّام بن العباس، وبعث قثم بن العباس إلى مكة)[2].

وقال المسعودي: (وسار علي من المدينة بعد أربعة أشهر، وقيل غير ذلك، في سبعمائة راكب، منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سبعون بدرياً، وباقيهم من الصحابة، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، فانتهى إلى الربذة بين الكوفة ومكة من طريق الجادة، وفاته طلحة وأصحابه، وقد كان عليّ أرادهم فانصرف حين فاتوه إلى العراق في طلبهم. ولحق بعليّ من أهل

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٤. وانظر تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤٠.

المدينة جماعة من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأتاه من (طيء) ستمائة راكب)[1].

فالصحيح أن أمير المؤمنين عليه السلام قد ولّى سهل بن حنيف الأنصاري على المدينة لا قثم بن العباس أو تمام بن العباس. وهذا ما سنعرفه حين قام الناكثون بتعذيب أخيه عثمان بن حنيف والي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة. وقد خرج معه المهاجرون والأنصار، منهم سبعون صحابياً ممن شارك في غزوة بدر. بينما خرج مع عائشة وطلحة والزبير أبناء السوء وأتباع الضلال والذين في قلوبهم مرض. وهذه عبرة لمن اعتبر.

ولما وصلت رسائل أم سلمة وأم الفضل بنت الحارث وقثم بن عباس وعقيل بن أبي طالب إلى أمير المؤمنين استشار المسلمين. فقام قيس بن سعد الصحابي الجليل فقال: (يا أمير المؤمنين، إنه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة، لأن هذين الرجلين حلالا الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما...)[2].

ودعا أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر وقال له: ألا ترى إلى أختك عائشة كيف خرجت من بيتها الذي أمرها الله عزّ وجلّ أن تقرَّ فيه، وأخرجت معها طلحة والزبير يريدان البصرة لشقاقي وفراقي؟ فقال محمد: يا أمير المؤمنين! لا عليك، فإن الله معك ولن يخذلك، والناس بعد ذلك ناصروك، والله تبارك وتعالى كافيك أمرهم إن شاء الله)[3].

عند ذلك قام أمير المؤمنين عليه السلام خطيباً فقال: أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى بعث كتاباً ناطقاً لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات المشتبهات هن المهلكات المرديات إلا من حفظ الله، وإن من سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم، ألا، وتهيأوا لقتال الفرقة الذين يريدون تفريق جماعتكم فلعل الله تعالى يصلح بكم ما أفسد أهل الشقاق، ألا إن طلحة والزبير قد تمالآ عليَّ بسخط أقاربي ودعوا

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٨، وانظر: أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٢٦، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٢، تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٨.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨١.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٧.

الناس إلى مخالفتي وأنا سائر إليهم ومنابزهم حتى يحكم الله بيني وبينهم. والسلام)[1].

قال الطبري: (خرج أصحاب الجمل في ستمائة معهم عبد الرحمن بن أبي بكرة، وعبد الله بن صفوان الجمحي، فلما جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت ونحرها ينثعب فتطيروا، وأذَّن مروان حين فصل من مكة، ثم جاء حتى وقف عليهما فقال: على أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله. وقال: محمد بن طلحة على أبي محمد. فأرسلت عائشة رضي الله عنها إلى مروان فقالت: ما لك أتريد أن تفرق أمرنا؟! ليصلِّ ابن أختي!! فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة. فكان معاذ بن عبيد الله يقول والله لو ظفرنا لافتتنا!! ما خلَّى الزبير بين طلحة والأمر، ولا خلَّى طلحة بين الزبير والأمر!!)[2].

تأمل في قول مروان لطلة والزبير: (على أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة!!). لم يكن غرضهم الإصلاح، بل كان من ضمن أهدافهم أن ينصّبوا أحد الرجلين طلحة أو الزبير خليفة على المسلمين رغم وجود الخليفة الشرعي وهو أمير المؤمنين عليه السلام. وهم يعلمون ذلك. فما الذي حدا بمروان أن يسأل عن أيهما يسلّم عليه بالإمرة؟! ولو لم يكن قصدهم ذلك، فما الباعث لعبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة أن يرشح كل واحد منهما أباه للإمارة؟! ولولا أن الزبير وطلحة متعطشان للإمارة لرفضا الإمارة حين رشحهما إبناهما، وبيَّنا من هو أمير المؤمنين الحقيقي. فسكوتهما وعدم اعتراضهما دليل قوي على حبهما الإمارة رغم بيعتهما لأمير المؤمنين عليه السلام. وهذا الموقف الغريب منهما يمثل أبشع صور الخيانة. وهذا ما سندعمه بالدليل بعد قليل.

وقول أحدهم (والله لو ظفرنا لافتتنا...) دليل آخر على بغيهم وضلالهم وبعدهم عن الدين، وخروجهم على جماعة المسلمين. فالمسلم العاقل الغيور لا يدافع عنهم.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٧. انظر: تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٩، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢، وانظر: نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٤، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٥.

الشيء الغريب عند الناكثين ـ وكل تصرفاتهم غريبة ـ أنهم لم يجدوا رجلاً مؤمناً يؤذّن لهم، بل قبلوا بأذان قرد قبيح من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن. في المقابل وجدنا الذين خرجوا مع أمير المؤمنين وجوه المهاجرين والأنصار، ومهم سبعون بدرياً. فعلام يدل ذلك؟

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة. وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: ٦٠] (يعني الحكم وولده)[1].

وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[2].

ومروان من ولد الحكم. فهو: مروان بن الحكم. أي أن مروان من ضمن القرود الذين رآهم رسول الله ﷺ ينزون على منبره فساءه ذلك. ورؤيا النبي حق وصدق. فكيف قبل زعماء حرب الجمل بهذا القرد القبيح كي يكون مؤذناً لهم؟! ألم يجدوا غيره؟ ألا يوجد في جيشهم رجل مؤمن بدلاً من هذا القرد الأموي الذي يبغضه الله ورسوله؟! فلو وجدوا رجلاً مؤمناً لما قبلوا به وهم يعرفونه. وعائشة تعرف ذلك فلم تمنعه من الآذان، رغم علمها بأنه وأباه وجده من الشجرة الملعونة في القرآن، وأنه وأفراد أسرته فتنة بنص الذكر الحكيم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. إذا كانت هذه حالهم وحال أتباعهم. فما عذر من يدافعون عنهم؟

ذكر ابن قتيبة: لما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر، اقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له، فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة، فنزل وتوكأ على قوس له سوداء، فأتى عائشة فقال لها: أين تريدين يا أم المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة. قال: وما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطالب بدم عثمان!! قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك!! ثم أقبل على مروان فقال له: وأنت أين

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

(٢) المرجع السابق: ج٤ ص٢١١.

تريد أيضاً؟ قال: البصرة. قال: وما تصنع بها؟ قال: أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك!! إن هذين الرجلين قتلا عثمان «طلحة والزبير»!! وهما يريدان الأمر لأنفسهما!! فلما غُلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة!! ثم قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس، إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم، فإرجعوا بها خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان!! وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً فبيّنوا ما نقمتم عليه!! أنشدكم الله فتنتيتن في عام واحد. فأبوا إلا أن يمضوا بالناس. فلحق سعيد بن العاص باليمن، ولحق المغيرة بالطائف، فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين)[1].

لما سأل سعيد بن العاص عائشة: (أين تريدين يا أم المؤمنين؟ قالت: أريد البصرة). ولما سألها: (وما تصنعين بالبصرة؟ قالت: أطلب بدم عثمان!!). أين هذا الهدف من هدف الإصلاح الذي طالما تشدقت به؟ لماذا تستخدم الكذب دائماً في أقوالها وأفعالها؟ فقد بان للمسلمين كذبها ودجلها، فهي امرأة كذّابة فيما تقول وتفعل.

ولما قال لها سعيد بن العاص: (فهؤلاء قتلة عثمان معك!!). لم تنكر من كلامه شيئاً، بل لاذت بالصمت لأنها شريكتهم في ذلك. وكان كل الناس يعرفون دورهم في قتل عثمان. فإذا كانت تريد الثأر لدم عثمان حقيقة، فلماذا لا تنتقم من طلحة والزبير وهما من قتلة عثمان؟!

وتأمل في قول سعيد بن العاص (إن هذين الرجلين قتلا عثمان «طحلة والزبير»، وهما يريدان الأمر لأنفسهما! فلما غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة). فقد أكّد على دور طلحة والزبير في قتل عثمان، ولم يتهم أمير المؤمنين بالتهمة نفسها. كما أكّد على أن طلحة والزبير يريدان الإمامة لأنفسهما رغم وجود الإمام الشرعي، ولما فاتتهما الخلافة وتركهما المهاجرون والأنصار وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام خرجا في هذه الحرب المجنونة بحجة (نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة!!). فقد كشف سعيد بن العاص للناس النوايا الشرّيرة لطلحة والزبير.

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٢.

وتأمل في قول المغيرة: (أيها الناس . . . إن كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً فبيّنوا ما نقمتم عليه، أنشدكم الله فتنتين في عام واحد، فأبوا إلا أن يمضوا بالناس. . .).

فقد أكد المغيرة بن شعبة على أن رؤساء حرب الجمل ـ أي طلحة والزبير وعائشة هم قتلة عثمان، وخاطب الناس إن كان خروجهم غضباً لعثمان فعليهم أن يقتلوا زعماءهم الثلاثة وهم طلحة والزبير وعائشة، وإن كانوا ناقمين على أمير المؤمنين عليه السلام في شيء فليبيّنوا ذلك الشيء. لكن زعماء حرب الجمل أبوا إلا أن يمضوا بالهمج الرعاع إلى المصير الأسود المجهول.

وقال الطبري: (لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق. فقال: أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل!! اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم!! قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً!! فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني. قالا: لأحدنا أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوه لولد عثمان!! فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!! قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم!! قال: فلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف!! فرجع، ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد. فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان ههنا من ثقيف فليرجع، فرجع. ومضى القوم معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان، فاختلفوا في الطريق فقالوا: من ندعو لهذا الأمر؟! فخلا الزبير بابنه عبد الله، وخلا طلحة بعلقمة بن وقاص الليثي، وكان يؤثره على ولده. فقال أحدهما: ائت الشام. وقال الآخر: إئت العراق. وحاور كل واحد منهم صاحبه، ثم اتفقا على البصرة)[1].

تأمل في قول سعيد بن العاص لمروان وأصحابه من بني أمية (اين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل!! اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم!! قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً!!). فالجميع يعلمون بأن ثأر عثمان على أعجاز الإبل في هذا الجيش الظالم الناكث فلا بد من قتلهم وهم

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٢٥.

عائشة وطلحة والزبير ثم الرجوع سالمين إلى منازلهم لكي لا يقتلوا أنفسهم. وهذه القناعة موجودة عند جميع أفراد بني أمية الذين انضموا لهذا الجيش، غاية الأمر أنهم يخططون إلى هدف أبعد من ذلك (بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً!!).

هذا هو اللؤم الأموي، وها هم أغصان الشجرة الملعونة في القرآن بدون أقنعة. يسيرون مع جيش الناكثين ويخططون للقضاء عليه وعلى جيش أمير المؤمنين الذي سيقابلهم في سوح القتال. فلم يحدثنا التاريخ أنهم استبسلوا في الدفاع عن جيش الناكثين بل أخذوا يضربون ها هنا وها هنا. وإذا كان هناك لوم ينبغي أن يوجه لأحد من الناس، فاللوم يوجه لقادة الناكثين الذين استعانوا ببني أمية الأوباش لقتال إمامهم أمير المؤمنين والتمرد عليه ونكث بيعته. فقادة الناكثين يعرفون رأي القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين في أفراد هذه الأسرة. فكيف يستعينون بهم لشق عصا المسلمين؟

وتأمل في قول سعيد بن العاص لطلحة والزبير لما خلا بهما (إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني؟ قالا: لأحدنا!! أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوها لولد عثمان!! فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!! قالوا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم!!).

فقد كان هدفهم الظفر على إمامهم وخليفتهم في حرب مجنونة، ولم ينكر طلحة والزبير ذلك الهدف الخبيث الذي يخرجهما من الإسلام إلى الكفر وهما واعيان لنتائج ذلك الهدف. فأين هذا الهدف من هدف الإصلاح الذي طالما تشدقوا به؟!

(لمن تجعلان الأمر؟!) الإمام موجود، والإمامة قائمة، والبيعة تمت برضا الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولا يجوز نكث تلك البيعة بعد أن تمت بدون مبرر شرعي. فلماذا يُطرح هذا السؤال؟ وما الغاية منه؟ ولماذا التآمر على أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته؟ فلو كان هدف طلحة والزبير الإصلاح لاعترضا على هذا السؤال. لكننا وجدناهما يجيبان إجابة يُشم منها رائحة الردة والكفر لا مجال لتبريرها والدفاع عنها. فكانت إجابتهما. إننا إذا ظفرنا نجعل الأمر «الإمامة»

(لأحدنا!!) هدفهما من الخروج واضح ومن العار الدفاع عنه. والدفاع عنه يشبه الدفاع عن النبوة الكاذبة لمسيلمة الكذاب.

وتأمل في جواب طلحة والزبير: نجعل الأمر «الإمامة» (لأحدنا أينا اختاره الناس!!). فإن كانت الإمامة بالنص على صاحبها من قبل الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن ينصّب أمير المؤمنين في بداية الدعوة في حديث الدار[1]. لا أنتما. كما أمر بتنصيبه أميراً للمؤمنين ووليّاً للمسلمين في نهاية الدعوة في غدير خم[2]. لا أنتما. بل أنتما ممن سلَّم عليه بإمرة المؤمنين في غدير خم. كما أن النبي ﷺ أراد أن يثبت خلافته في كتاب في مرضه الأخير ـ لولا التدخل السافر لعصابة الإجرام من قريش ـ بينما أنتما موجودان في جيش تحت إمرأة شاب لا يتعدى عمره عمر أبنائكما وهو أسامة بن زيد فلم تصلحا لقيادة ذلك الجيش، ولم تكونا مؤهلين للخلافة. فلماذا تطلبان شيئاً لستما أهلاً له؟!

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشرة خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليَّ. قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش[3].

وقد تضاربت الأقوال في تفسير هذا الحديث بين شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأتباع خط السقيفة. فقد فسَّره شيعة أهل البيت بالأئمة الإثني عشر من أهل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢١٦ـ٢١٧، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج١ ص٥٨٥، السيرة النبوية: لابن كثير ج١ ص٤٥٧ـ٤٥٩، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٣ ص٢١٠ـ٢١١، معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري ج١ ص٢٠٣، على والوصية: الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري ص ٨ـ١٨.

(٢) الغدير: الشيخ الأميني، المجلد الأول، عبقات الأنوار: السيد حامد حسين اللكهنوي المجلد السادس والسابع والثامن والتاسع، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عاسكر ج٢ ص٥ ـ ٨٨، الفصول المائة: السيد أصغر ناظم زاده القمي ج٢ ص٤٠٧ ـ ٤٨٨، إحقاق الحق: السيد المرعشي ج٢ ص٤١٥ ـ ٥٠١.

(٣)صحيح مسلم: ج٤ ص١٠٠، كتاب الإمارة (رقم الحديث ١٨٢١)، صحيح البخاري ج٩ ص١٠١، إحقاق الحق: السيد المرعشي ج١٣ ص ١ ـ ٧٤، معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري ج١ ص٣٣٣ ـ ٣٤١.

البيت، أولهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم ولده الحادي عشر الإمام المهدي عجل الله فرجه. ولا يوجد في القائمة طلحة والزبير.

وفسره علماء خط السقيفة بتفسيرات كثيرة متضاربة متحيرة لا تعتمد على أساس علمي رصين. وفي كل القوائم لا توجد أسماء طلحة والزبير. فعلى أي أساس حصرتما الأمر «الإمامة» لأحدكما ولستما من الإثني عشر خليفة لا في قائمة أهل البيت ولا في قائمة خلفاء خط السقيفة؟! ولماذا تطلبان لأنفسكما شيئاً لستما من أهله؟!

وإن كانت الإمامة بالشورى، فلماذا حرمتما المسلمين كافة وحصرتماها في أحدكما؟! فلماذا هذه الأنانية المفرطة؟ ولماذا تجبران الناس أن يختاروا أحدكما؟ فقد اختار الصحابة من المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام وبايعوه ولم يختاروكما، فلماذا تعلنان التمرد على خليفتكما وخليفة المسلمين من أجل أن تحلّا محله؟ ولماذا تثيران ضجيج تلك المهاترات وأمير المؤمنين موجود وإمامته ثابتة في أعناقكما؟! ولماذا تخططان بالإنقلاب عليه وعلى إمامته؟!

والشيء المضحك المبكي في آن واحد، أن عمر بن الخطاب قد حصر الشورى في ستة أشخاص بعده، وقد (اجتمع هؤلاء الرهط. فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ!! فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان!! . . .)[1]. فلم ير طلحة والزبير لأنفسهما أهلية للخلافة ضمن ستة أشخاص، فكيف يصرّان على حصر الأمر «الإمامة» لأحدهما من بين مئات الآلاف من المسلمين؟!

وتأمل في اقتراح سعيد بن العاص وردّ طلحة والزبير عليه: (قال: بل اجعلوه لولد عثمان!! فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!! قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟! قال: فلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف!!).

فقد اقترح سعيد بن العاص على طلحة والزبير أن يجعلا أمر الخلافة لأحد أولاد عثمان بحجة أن طلحة والزبير وعائشة خرجوا للطلب بدمه كما صرّحوا

---

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٢.

بذلك. فقد اعتمد على حجج واهية أوهن من بيوت العنكبوت لا تستحق الرد.

وأما ردّ طلحة والزبير (ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟!) فهو ردّ ساذج لا تخفى سذاجته على القاريء البصير. فإن كانت الإمامة بالنص، فلا علاقة لطلحة والزبير أو غيرهما بتنصيب الإمام أو الخليفة في زيد أو عمر من الناس. وإن كانت الإمامة بالشورى فلا يحق لطلحة والزبير أن يحتكرا هذا الأمر لهما دون المسلمين ويختارا هذا أو ذاك. ومع كل ذلك فقد بايع المسلمون من المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام رغم وجود طلحة والزبير بين أظهرهم. فما علاقة طلحة والزبير بتنصيب هؤلاء للخلافة وحرمان الآخرين منها؟! وهل ذلك من حقهما؟ ومن اعطاهما ذلك الحق؟

أضف إلى ذلك، إذا كان الأمر شورى، فكيف يحق لطلحة والزبير أن يحصرا الإمامة في شيوخ المهاجرين فقط ويحرمان الأنصار (ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم!!)؟! فهذه الأنانية المفرطة تخالف مبدأ الشورى. ولو سلّمنا جدلاً أن الإمامة لشيوخ المهاجرين. أليس أمير المؤمنين من شيوخ المهاجرين؟ فهجرته ثابتة وإنكارها ضرب من الجنون. أم تقولان بأنه لا حق له في الإمامة وإن كان مهاجراً فتنسفان نظريتكما القائمة على مبدأ (شيوخ المهاجرين) بأنفسكما.

وإذا كانت الإمامة بالنص فلا مجال لتبني فكرة حصر الإمامة في (شيوخ المهاجرين) لأنه اجتهاد مقابل النص. وهذه الفكرة الخاطئة لا محل لها من الإعراب.

وتأمل في قول سعيد بن العاص (فلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف!!). من الغريب جداً أنه لا يريد أن يخرج الخلافة من بني عبد مناف. فأمير المؤمنين من خيرة بني عبد مناف بعد النبي صلى الله عليه وآله. فلماذا لا تقبله وتقبل بأولاد عثمان؟! وكيف تصرّ على إخراج الخلافة من أمير المؤمنين وهو من بني عبد مناف؟ وأمير المؤمنين عليه السلام من الغصن الصالح والطيّب من بني عبد مناف، وأولاد عثمان من أحفاد العاص، فهم أغصان الشجرة الملعونة في القرآن[1]. فكيف تفضل أغصان الشجرة الملعونة على أغصان الشجرة الطيبة والمباركة!؟

---

(١) راجع: الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٢١١.

روى الحاكم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي في أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا بغضاً لنا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم[1].

فلماذا يصرّ سعيد بن العاص على عدم إخراج الخلافة من أسرة عثمان بن عفان الأموي بحجة أن أولاده من بني عبد مناف رغم بغضهم الشديد لأهل البيت الذين هم من السلالة الطيبة لعبد مناف؟!

وروى ابن حجر (عن عبد الله قال: لكل شيء آفة، وآفة هذا الدين بنو أمية)[2]. فكيف يفضل سعيد بن العاص بني أمية من أولاد عثمان ـ وهم آفة هذا الدين ـ على أمير المؤمنين الذي هو من خيرة سلالة عبد مناف؟ فوجود أولاد عثمان: أبان والوليد في جيش الناكثين لقتال إمامهم أمير المؤمنين دليل قوي على أنهما من آفة هذا الدين. فكيف يستحقون الخلافة (بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!!)؟!

هذه مواقف الناكثين وأتباعهم من أمير المؤمنين عليه السلام، فقد بيّنوا للناس مدى ضحالة عقيدتهم إن كانت لهم عقيدة، كما بيّنوا للناس مدى جشعهم وطمعهم في الخلافة التي ليسوا من أهلها، وقد سفكوا في سبيل ذلك بحوراً من الدماء، وزهقوا الأرواح البريئة، وشتّتوا أمر المسلمين، ولم يحصدوا غير العار والشنار والنار وبئس القرار. فمن الحماقة الدفاع عنهم وعن أتباعهم.

ذكر ابن أبي الحديد: (لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوأب ـ وهوماء لبني عامر بن صعصعة ـ فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها!! فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب. قالت: أهذا ماء الحوأب؟! قالوا: نعم. فقالت ردوني ردوني. فسألوها: ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حميراء أن تكونيها». فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء

---

(١) المستدرك: الحاكم ج٤ ص٤٨٧.

(٢) تطهير الجنان واللسان: ابن حجر ص٦٤، نهج الحق: العلامة الحلي ص٣١٢.

الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟! فلفَّق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً، جعلا لهم جعلاً!! فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب!! فكانت أول شهادة زور في الإسلام!!)[1].

تأمل في موقفهم (فسألوها: ما شأنها؟ ما بدا لها؟!) هب أنهم لم يسمعوا قبل ذلك بالحديث النبوي الشريف ولم يطلعوا عليه ولم يعرفوا سبب توقّف عائشة عندما سمعت نباح كلاب الحوأب. فقد اطلعوا عليه الآن وعرفوا مضمونه بعد أن سمعوه بآذانهم من عائشة وهي ترويه عن رسول الله ﷺ مباشرة دون واسطة وهي محل ثقة عندهم، فلماذا يعملون على طمسه وتكذيبه عن عمد وسبق إصرار؟! وإذا حملناهم على حسن الظن بهم، فلماذا يتجاهلونه على أقل تقدير؟!

وتأمل في تصرف عائشة عندما قالت: (إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إيَّاك يا حميراء أن تكونيها»). فإذا كانت قد سمعت هذا الحديث النبوي ـ الذي تلوح عليه دلائل النبوة ـ من النبي ﷺ، فلماذا خرجت بهذا الجيش الناكث؟ ولماذا تجاهلت تحذيرات النبي ﷺ التي رأتها متجسمة أمام عينيها في هذا المكان «إيَّاك يا حميراء أن تكونيها»؟! ألم تتيقن بعد من ضلالها وقد سمعته ورأته متجسماً أمام عينيها؟!

وتأمل في ادَّعاءات الزبير وتخرصاته: (مهلاً يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة!!). من أين عرف أنهم قد اجتازوا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة؟! فلو كان الزبير صادقاً في ادّعائه بأنهم قد اجتازوا ماء الحوأب دون أن تنبحهم كلابه، لأصبح رسول الله ﷺ كاذباً في حديثه. وحاشاه الكذب. فهذا الحديث من علائم النبوة، فلا يمكن أن يتخلف. فهم يريدون أن يؤكدوا لها كذب حديث النبي ﷺ وعدم صحته، لكنهم يستحون أن يصرحوا بذلك علانية خوفاً من الفضيحة، فلجؤوا إلى الكذب الرخيص الذي يحقق غرضهم بأقل كلفة، ويفتح لهم الباب على مصراعيه لتحقيق مآربهم الشيطانية.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٠، ج٦ ص٢٢٥، وانظر: تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٣.

وتأمل في قول عائشة للزبير: (أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟!). لقد تركت اليقين وبحثت عن الشك، وكذَّبت زوجها نبي الرحمة ﷺ مع دلائل صدق حديثه، وصدَّقت الزبير رغم ظهور دلائل كذبه وافتقاره للدلائل والشهود على صحة ادعائه. وتنكرت لكلام الوحي ودلائل النبوة الصادقة وصاحبها الذي لا ينطق عن الهوى، وطلبت شهادة الناس الذين في قلوبهم مرض والأعراب المشهورين بالكفر والنفاق!! وكذَّبت شهادة الذين شهدوا ـ من جيشها ـ على أن هذا الماء ماء الحوأب، وصدَّقت الأعراب الذين شهدوا على أن هذا الماء ليس ماء الحوأب!! مواقف غريبة متناقضة تكشف عن حقيقة هذه المرأة ونفسيتها. لقد كانت شخصيتها مجموعة من العقد النفسية.

وتأمل في تصرّف الزبير وطلحة: (فلفَّق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب!!). فالفعل (لفَّق) دليل على كذب هذين الرجلين: طلحة والزبير، واستهتارهما بالقيم والأخلاق الفاضلة، وأنهما خلوٌ منها. ولو كانا صادقين لما اتهمهما المؤرخون بالتلفيق والكذب. وقد استحقا أن يبشرا بالجنة لفعلهما الشائن المتمثل في تلفيق الحديث النبوي الذي يفضحهما بمساعدة خمسين أعرابياً. فإذا لم يستحقا الجنة بذلك العمل الإجرامي، فبماذا يستحقان أن يبشرا؟! وهل يصدّق العقل أن يبشر نبي الرحمة ﷺ رجلين كاذبين بالجنة وهو يعلم أنهما لا يتورعان عن تزوير سنته الشريفة وطمسها بمساعدة خمسين أعرابياً كذاباً عن عمد وسبق إصرار؟! وكيف يبشرهما بالجنة وهو يعلم أنهما ضلا وأضلا كثيراً من الناس بهذا العمل الإجرامي؟!

لما خطبت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها على ملأ من الناس في مكة وبيَّنت لهم خطأ خروجهم وتمردهم قعد كثير من الناس عن الخروج في جيش الناكثين. وكذلك لو سكت الزبير وطلحة ولم يقوما بذلك العمل الشائن في تلفيق الحديث النبوي وطمسه بمساعدة خمسين شاهداً من شهداء الزور من الأعراب لرجعت عائشة ورجع معها كثير من الناس لما اتضح لهم ضلالهم وبغيهم من مضمون ذلك الحديث النبوي الشريف. وقد اتفق الرواة على أن عائشة قالت: (ردّوني ردّوني) ونزلت عن جملها في ذلك المكان. لكن طلحة والزبير لم يتركا

لها فرصة للرجوع بعد ذلك العمل غير الأخلاقي الذي ارتكباه عن عمد وقصد وسبق إصرار. فهل ـ بعد عملهما هذا ـ يستحقان أن يبشرا بالجنة؟ أم النار؟ الحكم متروك لك أيها القاريء الكريم. لكن حسب المعايير والأحكام الإسلامية فهما يستحقان النار، خصوصاً وأنهما قاما بذلك التلفيق والتزوير وقتلا في الحرب ولم يتوبا من ذلك العمل الإجرامي.

لماذا لفَّق طلحة والزبير عملهما الشائن بخمسين شاهداً من شهود الزور؟ لماذا جاءا بهذا العدد الهائل من الشهود ولم يكتفيا بشاهدين عدلين؟ ولماذا اختارا الشهود من الأعراب؟! ألم يقرأا القرآن الكريم؟!

قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧-٩٨].

فالأعراب أشد كفراً ونفاقاً لبعدهم عن المدنية والحضارة، وهم أجدر وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من المعارف والأحكام الشرعية. ومنهم من يرى الإنفاق في سبيل الخير أو في خصوص الصدقات غرماً وخسارة، وينتظر نزول الحوادث السيئة بالمسلمين[1]. فقوم هذا حالهم، وهذه نفسيتهم، وهذه شهادة الله سبحانه وتعالى فيهم، فكيف جرؤ طلحة والزبير أن يأتيا بهم كشهود لطمس معالم النبوة في الحديث النبوي الشريف لئلا يتضح للرعاع ضلالهما وبغيهما عندما قادا جيش البغي والضلالة؟!

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]. فلماذا لجأ طلحة والزبير إلى هذه الفئة من الناس للحصول على شهادتهم الكاذبة؟ وما غرضهما من اختيار تلك العينة من الناس للشهادة؟ ألم يسمعا عن حالهم؟ أم أنهما يعرفانهم بالوثاقة؟ وكيف عرفا ذلك؟ هذه أسئلة حائرة تكشف عن أن وراء الأكمة ما وراءها.

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١١].

---

(١) راجع: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي ج٩ ص٣٧٠.

فقد عرف طلحة والزبير من أين تؤكل الكتف. فاستمالا الأعراب بالأموال. فبالمال يُشترى الرجال، فكيف بالأعراب؟ فإذا كان أولئك الأعراب قد ادَّعوا أمام رسول الله ﷺ بأن أموالهم وأهاليهم قد شغلتهم عن الجهاد معه في سبيل الله وقد كذّبهم القرآن الكريم في دعواهم حيث يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلماذا لا يدَّعي هؤلاء الأعراب بأن هذا الماء ليس ماء الحوأب ما دامت جيوبهم قد امتلأت من المال المنهوب؟! فالعيّنة واحدة سواء كانت هنا أم هناك. وقد عرف طلحة والزبير كيف يستفيدان من هذه الشرذمة المجبولة على النفاق والكذب لتلفيق مصداق الحديث النبوي الشريف وإبطال مفعوله وأثره.

فالمؤمن الحقيقي لا يستعين بالأعراب المنافقين لتزييف مفهوم الأحاديث النبوية الشريفة. والمؤمن الحقيقي لا يشتري شهادة الشهود بالمال، فكيف إذا كان الشهود من الأعراب؟ فهذا التصرف غير الأخلاقي يضع علامة استفهام كبرى على إيمان طلحة والزبير. فهما ليسا من الصحابة الثقات، كما أنهما ليس ثقة فيما يرويانه عن رسول الله ﷺ. فقد وجدناهما يلفقان الحديث النبوي الشريف بالإستعانة بالأعراب الكذابين، فلماذا لا يقومان بتلفيق الحديث النبوي الشريف بأنفسهما دون الإستعانة باحد. وما داما قد تجرأا على نكث بيعة إمامهما، فلماذا لا يتجرأان على تلفيق حديث نبيهما؟!

على كل حال، هب أن طلحة والزبير قد أصرًّا ـ بموقفهما المخزي ـ على الإستعانة بالأعراب كشهود كذابين على تكذيب الحديث النبوي وطمس آثاره. ألم تعرف عائشة من ملامحهم ـ لما أتى بهم إليها طلحة والزبير ـ أنهم أعراب؟! ألم تكن عندها فراسة؟ لمَ لمْ توازن بين شهادتهم وشهادة من شهد من جيشها بأن هذا الماء ماء الحوأب فتصدِّق الصادق منهم وتكذِّب الكاذب؟! ألم تسمع بشهادة الله سبحانه وتعالى في حق هذه الفئة من الناس؟ بلى تعرف ذلك. لكنها تريد أن تزيل كل العوائق عن ضلالها وبغيها بأي وسيلة كانت، حتى لو كانت شهادة الأعراب الذين اشتريت شهادتهم بالمال.

لماذا جعل طلحة والزبير للشهود من الأعراب جُعلاً؟ وما غرضهما من ذلك؟ وهل من شروط الشهادة أن يُعطى الشهود جُعلاً؟ ومن أين حصلا على الأموال لذلك الجعل؟! هذا الجُعل من أموال المسلمين التي سرقها يعلي بن منية وعبد الله

بن عامر من بيت مال المسلمين في اليمن والبصرة، وسلمَّاها إلى رؤساء حرب الجمل: عائشة وطلحة والزبير. فوظَّفها طلحة والزبير في شراء الشهادة الكاذبة لأولئك الأعراب!! لقد وظَّفا أموال المسلمين في تلفيق الأحاديث النبوية الشريفة التي كشفت ضلالهم وبغيهم. فبم يدافعان عن أنفسهما يوم القيامة أمام الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ وكيف يجرؤ أتباعهم على الدفاع عنهما وقد ارتكبا ذلك الموقف المخزي؟

فحلف أولئك الأعراب لعائشة، وشهدوا ـ كذباً وزوراً ـ أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فصدَّقتهم وكذَّبت نبي الرحمة ﷺ، واستهترت بدلائل النبوة التي لاحت في الحديث، حيث بان بغيها وبغي أتباعها أتباع الضلال، واستعذبت ذلك التكذيب بلا حياء ولا خجل ولا خوف من نار وقودها الناس والحجارة. وازدادت في العصيان والتمرد أضعافاً مضاعفة كما سنعرفه في مستقبل البحث.

وذكر المسعودي: (وسار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب. فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب، عليه ناس من بني كلاب، فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق لجملها: الحوأب، فاسترجعت وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردّوني إلى حرم رسول الله ﷺ، لا حاجة لي في المسير!! فقال الزبير: بالله ما هذا الحوأب!! ولقد غلط فيما أخبرك به. وكان طلحة في ساقة الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب!! وشهد معهما خمسون رجلاً ممن كان معهم!! فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام!!)[1].

لو رجعت عائشة إلى حرم رسول الله ﷺ وقرَّت في بيتها لكان أفضل لها، لكن أنَّى ترجع ومعها الفاتنان: طلحة والزبير؟! فما إن عرف الزبير أن عائشة عزمت على الرجوع لسماعها نباح كلاب الحوأب حتى جاء إليها وقال: (بالله ما هذا الحوأب، ولقد غلط فيما أخبرك به!!).

لقد استخدم الكذب لطمس معالم الحديث النبوي، وأكذ كذبه بالقسم بالله

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٧.

العظيم. لقد ارتكب جريمتين في آن واحد. فقد كذب في أن هذا الماء ليس ماء الحوأب، واستخدم القسم بالله العظيم لتأكيد الكذب المفضوح. فمن أين عرف أن ذلك الماء ليس ماء الحوأب؟ وما دام قد استخدم الكذب علانية لحرف مفهوم الحديث النبوي، فلماذا لا يستخدم الكذب من وراء الستار لتلفيق الأحاديث على لسان النبي ﷺ؟ وما دام لم يحترم إمامه الذي نصبه الله ورسوله ونكث بيعته، فمن باب أولى لا يحترم نبيَّه الذي نصَّب ذلك الإمام ولا يكترث بسنَّته. وقيامه بذلك الكذب المفضوح دليل على ذلك، وقيادته لجيش الناكثين دليل آخر.

ولم يقتصر الكذب على الزبير، فقد اشترك معه طلحة في الكذب (وكان طلحة في ساقة الناس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب!!). فقد كان طلحة ـ أثناء نباح كلاب الحوأب ـ في مؤخرة الجيش، وبمجرد أن عرف عزم عائشة على الرجوع جاء مسرعاً وأقسم أمامها أن ذلك الماء ليس بماء الحوأب!! فقد حاول هو الآخر أن يطمس الحديث النبوي الشريف لكي ينقذ جيشه من التفكك وانسحاب المقاتلين منه. فلا يوجد أسلوب أنجح من الكذب، والقسم بالله العظيم لتأكيد ذلك الكذب. فهو أرخص الأساليب، ولا يضيق به حلقوم الكذّاب.

فلولا الكذب الذي مارسه طلحة والزبير لتفككت أوصال ذلك الجيش، ورجع بعض قادته وأفراده. لكن أنى يتفكك وقد وعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم؟! ووعد رسول الله ﷺ لا يتخلَّف. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٢-٤].

وعن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً يقول: عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[1].

وعن علقمة والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب، إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ عليك، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟! فقال: يا هذان، إن الرائد لا يكذب أهله،

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: لابن عساكر ج٣ ص١٥٩ ـ ١٧٢، وانظر: مجمع الزوائد: الهيثمي ج٧ ص٢٣٨.

وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة طوائف مع علي: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل: طلحة والزبير. وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرو، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات واهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله[1].

فقد وعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتال الناكثين قبل أن يفكر رؤوس الناكثين أن يشعلوا حرب الجمل بعشرات السنين. وكان لطلحة والزبير نصيب الأسد في إشعال الحرب، كما كان لهما الدور الأكبر في إضرامها حين كادت أن تخبو عدة مرات. وقد رأينا في هذا الموقف أن طلحة والزبير في مقدمة الصحابة الذين يزوِّرون الحديث النبوي الشريف، ويقسمون على ذلك التزوير.

ولم يترك أفراد ذلك الجيش طلحة والزبير لوحدهما، فقد شهد معهما خمسون رجلاً، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام. وقد فتح لهم طلحة والزبير باب شهادة الزور على مصراعيه. فهنيئاً لهما بهذا الإنجاز الريادي الذي لم يسبقهما إليه أحد. فتحملا وزر ذلك العمل الشائن ووزر من شاركهما فيه.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثاً). الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور (أو قول الزور). وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[2].

فقد ارتكب طلحة والزبير كبيرة من الكبائر وهي شهادة الزور بأن ذلك الماء ليس بماء الحوأب تكذيباً لحديث النبي ﷺ. وشاركهما خمسون شاهداً في تلك الشهادة. وفي رواية ابن أبي الحديد، بأنهما قد لفَّقا خمسين أعرابياً بعد أن جعلا لهم جُعلا فشهدوا لهما شهادة الزور. فتحمَّلا وزر شهادة الزور تلك، ووزر الأعراب الذين جلبوهم لشهادة الزور.

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: لابن عساكر ج٣ ص١٧٠، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ج١٣ ص١٨٦.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٢٧، (باب بيان الكبائر ـ رقم الحديث ٨٧).

وروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر: (أو سئل عن الكبائر) فقال: الشرك بالله. وقتل النفس، وعقوق الوالدين. وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور. (أو قال شهادة الزور). قال شعبة: وأكبر ظني أنه شهادة الزور[1].

فشهادة الزور من أكبر الكبائر. فبم يدافعان عن أنفسهما ـ أمام الله عزّوجلّ ـ في ارتكاب تلك الكبيرة؟! وعن الأعراب الخمسين الذين أغروهم بالمال لارتكاب تلك الكبيرة؟! وكيف يخلصان أنفسهما من ذلك العذاب المزدوج؟! وهل يستطيعان أن يخلصا أولئك الأعراب من عقاب شهادة الزور؟ وهل سيتحملان عقاب من يدافع عن ارتكابهما لتلك الكبيرة ويبررها بالتبريرات الواهية؟! هذه أسئلة حائرة كحيرة تصرفات هذين الرجلين. لكن لا بد للمسلم الذي ينشد الحقيقة أن يجيب عليها بصدق وأمانة.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني ومن الله مجلساً شاهد زرو[2].

وعن النبي ﷺ قال: من شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذمي أو من كان من الناس، علّق بلسانه يوم القيامة، وهو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار[3].

وعن الصادق عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن شاهد الزور لا يزول قدمه حتى توجب له النار[4].

فماذا فعل الرجلان بأنفسهما؟ وكيف يخلصان أنفسهما من ذلك العذاب المهين؟! فقد أسقطا عدالتهما بأنفسهما، ولم يتوبا من إثم شهادة الزور إلى أن لفظا أنفاسهما الأخيرة وهما يقودان راية الناكثين. فأي عذر يبقى لمن يدافع عنهما؟! وكيف يجروء الإنسان المسلم الغيور على أن يتجاهل أحاديث رسول الله ﷺ في

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص١٢٧، (باب بيان الكبائر ـ رقم الحديث ٨٨).

(٢) بحار الأنوار: المجلسي ج١٠١ ص٣١٠، ميزان الحكمة: محمدي الري شهري ج٥ ص١٧٨.

(٣) المرجع السابق: ج١٠١ ص٣١٠، ميزان الحكمة: محمدي الري شهري ج٥ ص١٧٨.

(٤) المرجع السابق: ج١٠١ ص٣١١، ميزان الحكمة: محمدي الري شهري ج٥ ص١٧٨.

شهود الزور ويدافع عن هذين الرجلين في ارتكابهما لتلك الكبيرة؟ فلم يستثن رسول الله ﷺ أحداً من إثم شهادة الزور. فلماذا يقوم أتباع طلحة والزبير باستثنائهما من ذلك الإثم الكبير؟ ولماذا يحفظون كرامة طلحة والزبير من ارتكاب ذلك الإثم وإن أدّى بهم إلى استهجان أحاديث النبي ﷺ؟! فهل حفظ كرامة طلحة والزبير أولى من حفظ كرامة النبي ﷺ وأحاديثه الشريفة؟ فإذا لم يكن ذلك كذلك، فلماذا العناد والإصرار على تبرئتهما من ذلك الإثم وإن كان ثابتاً في حقهما؟!

وقال ابن قتيبة: (فلما انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب، فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا؟ قال: هذا ماء الحوأب، فقالت: ما أراني إلا راجعة، قال: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء!! فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله!! ودعي هذا القول!!! وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفته أول الليل!! وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك، فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام!!)[1].

لقد شارك محمد بن طلحة أباه وصاحب أبيه في الجريمة. فلما سمعت عائشة نباح الكلاب وعرفت أن هذا الماء ماء الحوأب عزمت على الرجوع للحديث الذي سمعته من رسول الله ﷺ حين قال لنسائه: كأني بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء!!)[2]. فقال لها محمد بن طلحة: (تقدمي رحمك الله، ودعي هذا القول!!). أي تقدمي إلى البصرة، واتركي هذا الحديث النبوي!!

وهذا استخفاف من محمد بن طلحة بالنبي ﷺ واستهجان بحديثه. فإذا لم يقصد ذلك من كلامه، فماذا يقصد إذن؟! فإن كانت عائشة عنده ثقة وصادقة في روايتها لذلك الحديث النبوي الشريف، فلماذا لا يصدقها ويثق بروايتها؟! ولماذا قال لها: (تقدمي رحمك الله!! ودعي هذا القول!!)؟! ولا يمكن لعائشة أن تختلق

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٢، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٧.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٠ ـ ٣١١، ج٦ ص٢٢٥، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٣، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٧. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٢، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٧.

ذلك الحديث النبوي، فهو في غير مصلحتها، بل يدينها في ذلك الموقف الخطير، وفي ذلك المكان والزمان الحسَّاسين. هذا من جانب. ومن جانب آخر فقد قال النبي ﷺ ذلك الحديث لنسائه وقد سمعن ذلك الحديث وقد شهدت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بسماعها إيَّاه. فلا يمكن لعائشة أن تختلقه أو تزوِّره.

وإن كانت عائشة عنده غير ثقة وغير صادقة، فلماذا خرج معها وقاتل تحت لوائها؟ ولماذا قال لها: (تقدمي رحمك الله!!) إن كانت غير ثقة؟

والعجيب في الأمر أنه هو الذي أخبرها بأن هذا الماء ماء الحوأب لما سألته حين الوصول. وهذا الجواب إدانة صريحة له بأنه خالف سنة النبي ﷺ بعد أن عرفها، ولم يكتف بذلك، بل دعا لتركها وتهجينها والإستهزاء بها (تقدمي رحمك الله!! ودعي هذا القول!!).

ولم يقف عبد الله بن الزبير مكتوف اليدين، فقد شارك في الجريمة بنصيب الأسد (وأتى عبد الله بن الزبير، فحلف لها بالله لقد خلَّفته أول الليل، وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك!!). فقد لجأ عبد الله بن الزبير إلى الكذب، واستعان بالقسم بالله العظيم للتغطية على ذلك الكذب الممقوت. فأضحت جريمته مضاعفة. وظنَّ أن كذبه المزخرف بالحلف سيغيِّر الحقائق، ولم يعرف أن حبل الكذب قصير. فتبّاً له ولأمثاله الكذَّابين والناكثين.

فلو خلَّفت عائشة ماء الحوأب في أول الليل لنبحتها الكلاب هناك، طبقاً لبشارة الحديث النبوي. وما دامت الكلاب لم تنبحها هناك دلَّ على أن ذلك الماء ليس ماء الحوأب. وإنما ماء الحوأب هو هذا الذي نبحت فيه الكلاب. ولو كانت لديها فطنة لميَّزت كذب ابن الزبير، ولما استطاع أن يخدعها بأكاذيبه وشهوده شهود الزور.

ولو كان ذلك الماء الذي اجتازته هو ماء الحوأب لكان تكذيباً للنبي ﷺ ـ وحاشاه ذلك ـ حين حذّرها من نباح كلاب الحوأب فاجتازته ولم تنبحها كلاب كما أخبرها بذلك. فكيف غاب عنها ذلك؟! ولماذا وثقت بحلف عبد الله بن الزبير، ولم تثق بوعد النبي ﷺ وتحذيره؟! فمن الغريب جداً أن ترى عائشة الأمور معكوسة، والحقائق أوهام، والأوهام حقائق. لقد عاشت في خضم الغربة والضياع والضلال.

ومن الغريب جداً أن يشهد محمد بن طلحة على أن هذا الماء ماء الحوأب، ويرى بأم عينيه محاولات عبد الله بن الزبير في تغيير الحقائق، ويسمع بأذنيه أكاذيبه وأكاذيب شهوده شهود الزور من الأعراب الذين أتى بهم، فيلوذ بالصمت المخجل ولا يعترض عليه، ولا يفنِّد تلك الأكاذيب، ولا يفضح تلك الألاعيب التي تودي بسوء المصير لأفراد ذلك الجيش. وكيف يقوم بذلك وهو القائل لعائشة بعد سماعه الحديث النبوي: (تقدمي رحمك الله!! ودعي هذا القول!!)؟! فقد كتم الشهادة، ولم يتقدم بشهادته لتفنيد أكاذيب عبد الله بن الزبير، وشهوده شهود الزور الذين أتى بهم. مما يجعله شريكاً في شهادة الزور بطريق غير مباشر.

وقال الطبري: قال اصحاب الجمل للرجل العرني الذي اشتروا منه الجمل (عسكر) الذي ركبته عائشة: (يا أخا عرينة، هل كل دلالة بالطريق؟ قال: قلت: نعم، أنا من أدرك الناس. قال: فسر معنا. فسرت معهم، فلا أمر على وادٍ ولا ماء إلا سألوني عنه، حتى طرقنا ماء «الحوأب» فنبحتنا كلابها. قالوا أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب. قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً!! ردّوني!! تقول ذلك ثلاثاً. فأناخت وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد. قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء!! فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب!! قال: فارتحلوا وشتموني، فانصرفت.

فما سرت إلا قليلاً وإذا بعليّ وركب معه نحو من ثلثمائة. فقال لي عليّ: أيها الراكب فأتيته. فقال: أين أتيت الظعينة؟ قلت: في مكان كذا وكذا. وهذه ناقتها وبعتهم جملي. قال وقد ركبَتْه؟ قلت: نعم. وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوأب، فنبحت عليها كلابها قالت: كذا وكذا!! فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت، وارتحلوا. فقال عليّ: هل لك دلالة بذي قار فقلت لعليّ أدلُّ الناس. قال: فسر معنا. حتى نزلنا ذا قار)[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧١، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٣، وانظر: نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٠٤، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٢٧.

فصراخ عائشة بأعلى صوتها دليل على أنها المعنيّة بالحديث النبوي الشريف الذي يدور حول تحذير نساء النبي ﷺ من نباح كلاب الحوأب. وقول النبي ﷺ لعائشة: (إيَّاك أن تكوني أنت يا حميراء!!) دليل آخر على أنها المقصودة بالذات من بين نساء النبي ﷺ. فهل تطلب عزيزي القاريء أثراً بعد عين؟!

وقولها: (أنا والله صاحبة كلاب الحوأب!!) دليل ثالث على أنها المعنيَّة بالحديث النبوي من بين نساء النبي ﷺ. وهذا الاعتراف الصريح المؤكد بالقسم بالله العظيم قد أوصلها إلى مرحلة اليقين بأنها على ضلال بعيدة عن الحق بعد المشرق عن المغرب، وأنها ـ بخروجها في هذا الجيش ـ باغية على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، ومتمردة على إمامته، وناكثة لبيعته، وعاصية لربها ونبيّها.

فكيف يحق لأتباعها الدفاع عنها؟ فالمرأة تعترف بخطأها وتمردها ونكثها، وتؤكد ذلك بالقسم بالله العظيم، وأتباعها يصرّون بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ في الدفاع عنها وتبرير تمردها وبغيها جاعلين حديث النبي ﷺ وراء ظهورهم.

وتأمل في قول عبد الله بن الزبير: (النجاء النجاء!! فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب!!). فإذا كان قصدهم الصلح الذي طالما تشدقوا به، فلماذا يقول عبد الله بن الزبير: النجاء النجاء؟! فالمصلح الذي يطلب الصلح لا يهرب مذعوراً من الطرف الآخر الذي يطلب منه الصلح!! فلماذا نسوا صلحهم وهربوا مذعورين منه؟!

كما يدل ذلك الكلام على أنهم ليسوا رجالاً مصلحين يبتغون الصلح، بل مجموعة من المفسدين وقطاع الطرق خافوا أن يدركهم إمامهم الذي تمردوا عليه ونكثوا بيعته، فحزموا متاعهم ولاذوا بالفرار مذعورين كالأرانب والفئران المذعورة.

وتأمل في قول الرجل العرني: (فارتحلوا وشتموني!!). لماذا ارتحلت معهم يا عائشة بعد أن حصل لك اليقين؟ لماذا تركتِ اليقين واستبدلت به الشك؟ أين تلك الصرخة العظيمة التي دوَّت في ذلك الوادي؟ وكيف تبخرت أصداؤها؟ وهل وجدتِ لكِ عذراً مقبولاً بعد ذلك اليقين؟! فإذا كان هذا مصداق صلحكِ الذي تدَّعينه، فقد تطايرت عنه الأقنعة، وتمزقت عن وجهه ستائر الدجل، ولاذ هو الآخر بالفرار لما فرَّت صاحبته خوفاً من أن يدركها أمير المؤمنين عليه السلام.

أين موقع هذا الفرار من قولك لأم سلمة: (وأما عليّ فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس!! فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف!! حتى يقضي الله ما هو قاض)[1]. لقد عجز أبوك وصاحباه عمر وعثمان أن يبرزوا لعمرو بن عبد ودّ العامري لما عبر الخندق في غزوة الخندق، كما خاف قائدا جيشك: طلحة والزبير، اللذين عصَّبتِ رأسكِ بهما في أن يبرزا لعمرو بن عبد ودّ العامري، فجبن جميعهم كأن على رؤوسهم الطير، فبرز له أمير المؤمنين عليه السلام وجدَّله أرضاً في صورة من أروع صور البطولة والجهاد عند المسلمين.

فكيف والحال ذلك تقولين له ذلك الكلام، وتهدِّدينه بذلك التهديد الذي يفوق حجمك وقدراتك ملايين المرات؟ وأين مصداق ذلك التهديد من حقيقة هذا الهروب حين قال لك عبد الله بن الزبير: (النجاء النجاء!! فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب!)؟! ليتكِ تركت تلك السفاسف وتمسكتِ بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وأطعتِ ربكِ وصدَّقتِ نبيِّكِ فأرحتِ المسلمين من دمار تلك الحرب المجنونة التي أهلكت الحرث والنسل.

وكان جزاء الرجل العرني الشتم بعد أن اشتروا منه الجمل المنحوس. فلماذا شتموه؟ وما دلالة ذلك الشتم؟ فكل إناء بالذي ينضح. وهذا ما نضحه إناء جيش الناكثين.

بقي أن نتعرض لحديث الحوأب. فقد رواه الرواة بعدة صيغ. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت. رواه البزار ورجاله ثقات[2].

وفي رواية ابن أبي الحديد: يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار وتنجو بعدما كادت. فلم يستثن رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من النار (كلهم في النار)، مما يدل أن طلحة والزبير منهم. وأما نجاة عائشة فهو من القتل لا من النار.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٨.

(٢) مجمع الزوائد: الهيثمي ج٧ ص٢٣٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١١، وانظر: كتاب: السبعة من السلف: السيد مرتضى الفيروزآبادي ص١٧٣ ـ ١٧٧، كفاية الطالب: الكنجي الشافعي ص١٧١، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٢٤.

فعائشة وطلحة والزبير هم الذين سعَّروا حرب الجمل، وهم الذي قادوا أولئك الهمج الرعاع إلى آخر لحظة من الحرب، كما أنهم باشروا بأنفسهم جريمة سفك الدماء البريئة في البصرة قبل مجيء أمير المؤمنين. فكيف ينجون من النار؟! فعمل القادة والأتباع واحد، والأتباع التزموا بأوامر القادة فلا فرق بينهم، ولا تفكيك بين الموقفين.

فأي حجة تبقى لأتباعهم؟ أليس من الحمق أن يدافع المسلم عن الناكثين من أهل النار؟! أليس من الخيانة الإستخفاف بحديث النبي ﷺ من أجل سواد عيون الناكثين؟! أليس من الحماقة ستر دلائل النبوة وطمسها من أجل حفظ كرامة الأشخاص ـ إن كانت لهم كرامة ـ الذين قيلت في حقهم؟! أليس الدفاع عن أولئك الأشخاص توهيناً لكرامة النبي ﷺ واستهجاناً لسنَّته!؟

وهناك إشارة لأمير المؤمنين عليه السلام في مصير قادة حرب الجمل. فقد سار في أثر القوم وهو يقول:

سيروا أبابيل وحثُّوا السيرا ... كي نلحق التيميَّ والزبيرا
إذ جلبا الشرَّ وعافا الخيرا ... يا ربِّ أدخلهم غداً سعيرا

وسار مجداً في السير حتى بلغ الربذة، فوجد القوم قد فاتوا، فنزل بها قليلاً ثم توجَّه نحو البصرة، والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله، محدقون به مع من سمع بمسيرهم فاتبعهم حتى نزل بذي قار، فأقام بها[1].

فقوله: (يا ربّ أدخلهم غداً سعيرا)، إشعار بأن القادة والأتباع جيمعهم في النار. وقول أم سلمة لعائشة في نصيحتها لها: (... والله إني لخائفة عليك البوار ثم النار!!)[2]. دليل آخر على أن عائشة لا تنجو من النار عندما تشعل تلك الحرب الظالمة. فقد سبَّبت في قتل آلاف المؤمنين، عدا اليتامى والأرامل، فكيف تنجو من النار؟!

أرسل أمير المؤمنين عليه السلام رسالة إلى طلحة والزبير، جاء فيها: (... فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يتجمع العار

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤١.
(٢) المرجع السابق: ص٢٣٨.

والنار!! والسلام)[1]. فقد ربط أمير المؤمنين عليه السلام استحقاقهما العار والنار بإشعال الحرب. فبإمكان طلحة والزبير أن يجمعا العار فقط إذا رجعا عن رأيهما وألغيا الحرب الظالمة وبايعا إمامهما وأعلنا توبتهما، وما دام أشعلا الحرب، ولم يرجعا عن رأيهما إلى آخر لحظة من حياتهما، ولم يتوبا من إثمهما فقد جمعا العار والنار. فأي حجة تبقى لأتباعهما بعد ذلك؟ فلم نجن على القوم، وإنما تتبعنا الدليل وتمسكنا به.

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي[2].

فمنزلة أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كمنزلة النبي هارون من أخيه النبي موسى عليه السلام. ومنزلة من حارب أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل كمنزلة من ترك النبي هارون عليه السلام وعبد العجل. كما أن منزلة من قاد معركة حرب الجمل كمنزلة السامري الذي ترأس عبدة العجل وقادهم إلى الضلال. وما دام عبدة العجل ومن تخلّف عن النبي هارون عليه السلام على باطل وضلال، فكذلك أتباع عائشة وطلحة والزبير على باطل وضلال لمحاربتهم هارون هذه الأمة. ولا يمكن أن تجتمع فئة الباطل والضلال مع فئة الحق في الجنة.

فلا يمكن أن يجتمع مسيلمة الكذاب وأبي جهل مع النبي صلى الله عليه وآله في الجنة، ولا يمكن أن يجتمع المسيح الدجّال والنبي عيسى عليه السلام في الجنة، كذلك لا يمكن أن يجتمع الناكثون مع أمير المؤمنين وأتباعه في الجنة.

وروى ابن ماجة بسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم[3].

---

(١) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٣.

(٢) صحيح مسلم ج٥ ص٢٢ ـ ٢٤ (رقم الحديث ٢٤٠٤).

(٣) سنن ابن ماجة: ج١ ص٥٢، (رقم الحديث ١٤٥)، المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٤٩، مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٤٤٢، مجمع الزوائد: الهيثمي ج٩ ص١٦٩، أسد الغابة: ابن الأثير ج٧ ص٢٤٣، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: المحب الطبري ص٢٥، الرياض النضرة في مناقب العشرة: المحب الطبري ج٤ ص١٥٤، كفاية الطالب: الكبنجي الشافعي ص٣٣٠.

فما قيمة الذين حاربوا أمير المؤمنين إذا كانوا بمثابة من حارب رسول الله ﷺ؟ فالناكثون في حربهم لأمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة أبي جهل وأبي سفيان ورؤساء الشرك الذين حاربوا رسول الله ﷺ. وما دام أولئك استحقوا النار فهؤلاء أيضاً لأنهم بمنزلة من حارب رسول الله ﷺ. ومن يدافع عنهم وعن مشاركتهم في الحرب ويبّررها بتبريرات واهية كمن يدافع عن الذين حاربوا رسول الله ﷺ وعن مشاركتهم في تلك الحروب.

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر[1].

فإذا كان قتال المسلم كفراً، فكيف بقتال سيِّد المسلمين وإمامهم ومعه خيرة المسلمين من المهاجرين والأنصار؟! فهل رؤوس الناكثين فوق القانون بحيث لا تطبَّق عليهم مضامين الأحاديث النبوية في حالة الإدانة؟! أم أنهم داخلون في مضمون هذا الحديث؟ وإذا كان ذلك كذلك، فكيف يجتمعون مع أمير المؤمنين في الجنة؟! وكيف تساوون بين الضحية والجلاد؟!

وروى الحكم النيسابوري بسنده عن ابن عابس رضي الله عنهما. قال. قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس، قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه[2].

فقد اختلف رؤوس الناكثين مع أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام في حرب الجمل، بل شنّوا عليهم حرباً لاهوادة فيها. ولا ينكر ذلك الإختلاف إلا معتوه العقل. وأمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام هم سادة أهل بيت النبي ﷺ في ذلك الوقت. مما يدل على أن رؤوساء الناكثين وأتباعهم من حزب إبليس. فكيف يدخل أتباع حزب إبليس الجنة؟! لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخيط.

لما وصل أمير المؤمنين عليه السلام (ذا قار) وعرفت عائشة ذلك (كتبت إلى حفصة بنت عمر:

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص١١٤، (رقم الحديث ٦٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٩٩(رقم الحديث ٣٩٣٩).
(٢) المستدرك: الحاكم النيسابوري ج٣ ص١٤٩.

أما بعد، فإنا نزلنا البصرة ونزل عليّ بذي قار، والله دقَّ عنقه كدق البيضة على الصفا، إنه بذي قار بمنزلة الأشقر، إن تقدَّم نُحر وإن تأخر عُقر!!

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك، ودعت صبيان بني تيم وعدي، واعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر؟ عليٌّ كالأشقر، إن تقدَّم نُحر، وإن تأخر عُقر!! فبلغ أم سلمة رضي الله عنها اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، والمسرَّة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة. فبكت وقالت: أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهنَّ وأقع بهنَّ. فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك، فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرَّت، واستصحبت جواريها متخفرَّات، وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النظَّارة، فلما رأت ما هنَّ فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها، ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل، فأنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل، والله من وراء حربكما. فانكسرت حفصة وأظهرت خجلاً وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل!! وفرَّقتهن في الحال، فانصرفن من المكان)[1].

ففي كل خطوة تخطوها عائشة في هذه الحرب الظالمة تعصى الله سبحانه وتعالى بمعاص متنوعة. فلما نزل أمير المؤمنين عليه السلام (ذا قار) أرسلت إلى صاحبتها حفصة بتلك الرسالة التي يفوح منها الحقد والشماتة بأمير المؤمنين عليه السلام والفرح بالتخلص منه قريباً.

وقد بادلتها حفصة ذلك الشعور، فاستبشرت هي الأخرى، ولم تكتف بأن تفرح لوحدها، بل (دعت صبيان بني تيم وعدي!! وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر؟ عليّ كالأشقر، إن تقدم نُحر وإن تأخر عُقر!)

لماذا دعت صبيان بني تيم وعدي بالذات؟! ولماذا اختارت الصبيان من هاتين العشيرتين؟وما دلالة ذلك؟ نترك الجواب لفطنة القاريء.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٧٦.

ومن أين أحضرت تلك الدفوف؟ وهل يرضى زوجها نبي الرحمة ﷺ بالغناء على أنغام تلك الدفوف؟! وما حكم الشرع في ذلك الغناء الذي ملأ أجواء بيت رسول الله ﷺ؟ وما مضمون ذلك الغناء السمج؟ وما دلالته على نفسية حفصة وإيمانها؟

لقد غضبت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من ذلك العبث والفساد وعزمت على أن تخرج إلى حفصة وجواريها المطربات وتوقع بهنَّ. فما دلالة ذلك؟

فقد خرجت لهن أم كلثوم (فلما رأت ما هنَّ فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها، ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين عليه السلام فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله ﷺ من قبل، فأنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل!! والله من راء حربكما!!).

فقد ذكرت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها أن عائشة وحفصة قد تظاهرتا على أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الحرب، كما تظاهرتا على رسول الله ﷺ قبل ذلك، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهما آيات من القرآن الكريم.

فما موضوع تظاهرهما ضد نبي الرحمة ﷺ؟ وما هي الآيات التي نزلت فيهما توبيخاً لهما؟

لقد عنت أم كلثوم رضي الله عنها الآيات التي نزلت في بداية سورة التحريم ونهايتها. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٣-٤][1].

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي ج١٩ ص٣٢٩ ـ٣٣٢، مجمع البيان: الطبرسي: المجلد الخامس ص٣١٣ ـ ٣١٦، البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني ج٤ ص٣٥٢ ـ ٣٥٤، الدر المنثور: السيوطي ج٦ ص٢٦٤ ـ ٢٦٩، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ج٤ ص٣٨٧ ـ ٣٩٠، الكشاف: الزمخشري ج٤ ص١٢٤ ـ ١٢٧، تفسير نور الثقلين: الحويزي ج٥ ص٣٦٧ ـ ٣٧١، تفسير القمي: علي بن ابراهيم ج٢ ص٣٦٠ ـ ٣٦١، تأويل الآيات الظاهرة: السيد شرف الدين الاسترابادي ص٦٧٣ ـ ٦٧٦.

فقد أصبحت حفصة وعائشة في جانب، والنبي ﷺ ومعه الله سبحانه وتعالى وجبرائيل وصالح المؤمنين والملائكة في الجانب الآخر. فالكفتان غير متكافئتين. فهذه الإجراءات الكبيرة التي اتخذها الله سبحانه وتعالى ليست موجهة ضد حفصة وعائشة فقط. فلو كان الموضوع منحصراً بهما فقط، لما احتاج الأمر لهذه الإجراءات الضخمة. وإنما اتخذت هذه الإجراءات الضخمة ضدهما لما ترتب ـ على إفشائهما لذلك السر ـ من مشاكل ومفاسد وخطط، تتطلب هذه الإجراءات الكبيرة. فوراء الأكمة ما وراءها.

فالله سبحانه وتعالى ليس كالبشر يتصرف بغضب، ويجعل من الحبة قبة. فلو كانت جريمة حفصة وعائشة صغيرة لكان الإجراء صغيراً يتلاءم مع حجم وأبعاد تلك الجريمة. فشدة الإجراء الذي اتخذه الله سبحانه وتعالى ضدهما دليل على بشاعة وخطورة ما ارتكبتاه. وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ﴾ و ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. دليل آخر على ذلك.

وقال رواي الخبر: (فانكسرت حفصة وأظهرت خجلاً). وهذا اعتراف من قبل حفصة على العمل الذي ارتكبته. لكن هذا الإعتراف قد جاء بعد فوات الأوان، ولم يكن نابعاً من نفسها، بل أُرغمت عليه إرغاماً.

وتأمل في تبريرها لذلك العمل الشائن (إنهنَّ فعلن هذا بجهل، وفرَّقتهن في الحال). فمن غير المعقول أن تتغنى تلك الجواري بذلك الغناء الفاحش في بيت حفصة بدون إذنها. ومن غير المعقول أن تتجرأ تلك الجواري ـ في غنائهن السمج ـ على قدسية أمير المؤمنين عليه السلام، وبيته بجوار بيت حفصة بحيث تسمع زوجاته وبناته وبقية نساء النبي ﷺ ذلك الغناء لو لم يحصلن على الضوء الأخضر من حفصة. ولو لم يكن الغناء بأمرها ورضاها لما تجمعت تلك الجواري وصبيان بني تيم وعدي في ذلك المكان والزمان لتحقيق ذلك الهدف السيء، ولو كان التصرف منهم لاتخذوا لهم مكاناً آخر غير هذا المكان.

أضف إلى ذلك، لو كان التصرف من الجواري أنفسهن، فلماذا لم تمنعهن قبل وصول أم كلثوم؟أضف إلى ذلك، إن عائشة قد أرسلت الرسالة إلى حفصة لا إلى هؤلاء الجواري. وألفاظ الغناء وعباراته مقتبسة من عبارات تلك الرسالة. فلماذا تلجأ إلى الكذب لتبرير عملها؟! ولماذا لا تكون عندها الشجاعة في

الاعتراف بالخطأ؟! ولماذا تحمِّل الآخرين أخطاءها؟ ألا تعرف بأن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟!

أما الآخرون فقد رووا خبر الرسالة على النحو الآتي:

(لما نزل علي عليه السلام (ذا قار)، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا!! فهو بمنزلة الأشقر، إن تقدم عُقر، وإن تأخر نُحر. فدعت حفصة جواري لهن يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر ما الخبر؟ علي في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدم عُقر وإن تأخر نُحر!!

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء!! فبلغ أم كلثوم بنت عليّ عليه السلام، فلبست جلابيبها، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت، واسترجعت، فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل!! فقالت حفصة: كفِّي رحمك الله!! وأمرت بالكتاب فمزِّق، واستغفرت الله. قال أبو مخنف: روى هذا جرير بن يزيد، عن الحكم. ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصري. وذكر الواقدي مثل ذلك. وذكر المدائني مثله!!)[1].

وتأمل في قول عائشة في حق أمير المؤمنين عليه السلام (فأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا!!). وصل الأمر بعائشة أن تتبجَّح بعدتها وجموعها جموع البغي والضلال. وغاب عن بالها أنها ستحاسب عن جرائم كل متمرد من تلك الجموع الباغية الناكثة التي حشدتها ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، وطالما تبجَّحت بعددهم وعدتهم في رسالتها التي أرسلتها إلى صاحبتها حفصة. كما غاب عن بالها أنها ستأتي يوم القيامة، وتلك الرسالة المشؤومة مسجلة في كتابها الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فكيف تخلِّص نفسها من تبعات تلك الرسالة وأهدافها، في ذلك الزمان والمكان؟! لقد كشفت ـ برسالتها البذيئة ـ عن هشاشة إسلامها.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص١٣، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١١٥، بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص٩٠، وانظر: جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٢، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٤.

ولو سألنا عائشة: ما مصدر ذلك الرعب والخوف الذي حلَّ بأمير المؤمنين؟ ومتى عرف أمير المؤمنين الرعب والخوف من أحد؟ وهل عرف أمير المؤمنين الرعب والخوف في معركتي أحد وحُنين ـ حين فرَّ منهما أبو بكر وعمر وعثمان ـ حتى يخاف من تلك الجموع الناكثة؟ لماذا تتمرَّغين في الكذب يا عائشة؟! ولماذا نبذت التقوى والورع؟!

أين مصداق هذه السفاسف من حقيقة ذلك الفرار على عجل حين قال لك عبد الله بن الزبير: (النجاء النجاء!! فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب!!) فحزمتم أمتعكم ولذتم بالفرار؟! لماذا لم تصمد تلك الجموع بعدتها وعتادها حين سمعت بخبر مقدم أمير المؤمنين؟! فبعد اتضاح هذه الأمور، من الذي يعشش في قلبه الرعب والخوف؟!

وتأمل في قول راوي الخبر: (فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن...). وهذا دليل آخر على أنها هي التي استدعت الجواري للغناء والضرب بالدفوف، وهي التي أمرتهن أن يقلن في غنائهن تلك العبارات السمجة والمستهجنة، لا (إنهن فعلن هذا بجهل!!) كما ادَّعت ذلك.

وتأمل في قول الراوي: (وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء!!). فما دلالة مجيء هؤلاء البنات بالذات؟ وما مكانة حفصة في قلوبهن؟ وهل جاءت بنات الطلقاء حباً لحفصة، أم بغضاً لها؟! وهل سررن بالأغاني السمجة التي قيلت في أمير المؤمنين، أم ساءهن ذلك؟ نوكل الإجابة لفطنة القاريء الغيور على الإسلام والمسلمين وإمامه الشرعي.

لم تنكر حفصة تظاهرها مع صاحبتها ضد أمير المؤمنين عليه السلام كما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك. كما أنها لم تنكر أن أوائل الآيات في سورة التحريم قد نزلت فيها وفي صاحبتها عائشة، كما أن المثل الذي ضُرب للمرأتين الكافرتين: إمرأة النبي نوح، وإمرأة النبي لوط، فيه إشارة لهما. وقد فهم الصحابة ذلك، ومن ضمنهم عثمان بن عفان الذي عيَّر عائشة بتلك الآيات كما مرَّ في الباب الثاني. وهذا مما يخل بعدالتهما. بل يضع علامة إستفهام كبيرة على مصداق عقيدتها. وهل بقت لها عقيدة؟!

وتأمل في قول الراوي: (وأمرت بالكتاب فمزِّق!!). لماذا مزَّقت الكتاب الآن، ولم تمزقه حين وصوله إليها؟! فلم يكن تمزيقها الكتاب لوجه الله، وإنما مزقته بعد أن انكشف أمرها، وبانت نواياها السيئة. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (وبلغ ذلك حفصة بنت عمر بن الخطاب فأرسلت إلى أم كلثوم فدعتها، ثم أخبرتها باجتماع الناس إلى عائشة، كل ذلك ليغمَّها بكثرة الجموع إلى عائشة!!)[1].

وسواء كانت هي التي أرسلت إلى أم كلثوم ودعتها، أو أن أم كلثوم حضرت حين سماعها ذلك الغناء السمج، فقد كان هدفها أن تملأ قلب أم كلثوم بالهم والغم بكثرة جموع الناكثين الذين تجمعوا حول عائشة ضد أمير المؤمنين عليه السلام. وبهذا الهدف أرادت أن تؤدِّي أجر الرسالة، وأصرَّت على أن يسجل لها هذا الهدف السيء في كتابها الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. فقد أدَّت أجر الرسالة ببغض ذوي القربى، وإدخال الهم والغم في قلوب أبنائهم وبناتهم، وتجميع الجواري وصبيان بني تيم وعدي للغناء والفرح بقرب التخلص منهم والقضاء عليهم بجموع الناكثين. وقد أرادات أن تتوج أجر الرسالة بالخروج مع الناكثين، لكن أخاها عبد الله بن عمر حرمها من ذلك الأجر!! لكنها ظفرت بالوزر لنيَّتها الفاسدة.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٤.

الفصل الثالث:

استنجاد أمير المؤمنين (ع) بأهل الكوفة

لما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى (ذي قار) أقام بها أياماً، وقام خطيباً في المسلمين، فقال في خطبته:

الحمد لله على كل أمر وحال، في الغدو والآصال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد، وحياة للبلاد، حين امتلأت الارض فتنة... وبايعني طلحة والزبير، وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما، ثم استأذناني في العمرة، فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان، فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها، وشخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة، فقتلوا بها المسلمين، وفعلوا المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليّ! وهما يعلمان أني لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عنّي، وخرجا يوهمان الطَّغام أنهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرا عليَّ منكراً، ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً، وإن دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما. يا خيبة الدَّاعي؟ إلام دعا! وبماذا أجيب؟ والله إنهما لعلى ضلالة صمَّاء، وجهالة عمياء، وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه.

ثم رفع يديه، فقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني، وظلماني، وألبَّا عليَّ، ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءه فيما عملا وأمَّلا[1].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١١٨، شرح نهج البلاغة: ابن أبي =

فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة والزبير بالغدر والنكث (وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما!!). فأي قيمة لهذين الرجلين بعد شهادة أمير المؤمنين في حقهما؟ وإذا لم تقبل شهادة أمير المؤمنين، فمن الذي تُقبل شهادته؟!

كما أنه قد شهد على أفراد جيش الناكثين، ووصمهم بالطلقاء والطغام (وشخص معهما أبناء الطلقاء... وخرجا يوهمان الطّغام). فهم ليسوا بالمسلمين الصالحين وإنما من أحفاد الذين استسلموا ولم يسلموا، وأنهم من أراذل الناس وأوغادهم. ففي المعجم الوسيط: الطَّغام: أراذل الناس وأوغادهم[1]. والطليق الذي أدخل في الإسلام كرهاً. جمعها: طلقاء[2].

أي ان طلحة والزبير استعانا في تمردهما على إمامهما بحثالة المجتمع المكي من أبناء الطلقاء الذين حاربوا الإسلام وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وآله من دياره، ولم يتركا أحداً من أراذل الناس وأوغادهم إلا وقد عبآه في جيش الناكثين. وفي المقابل، فقد خرج مع أمير المؤمنين وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عدد كبير ممن شهد بدراً.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكتاب الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان إلى طلحة والزبير يخدعهما فيه بتولية أحدهما لمنصب الإمامة، والآخر لولاية العهد، فكتما ذلك الكتاب عن أمير المؤمنين عليه السلام. وقد أشرنا إليه سابقاً فلا نعيد.

كما أشار إلى مسؤوليتهما في إهدار دم عثمان، وتحمّل تبعات ذلك الدم، (وإن دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما!!). وخروجهما بذلك الجيش الظالم لا ينفي عنهما تبعات دم عثمان، بل زاد الطين بلّة، وضاعف جريمتهما أكثر مما سبق. فإذا كان يريدان بصدق غسل إثمهما عليهما أن يسلّما أنفسهما لإمامهما ويقبلا أن تأخذ العدالة مجراها. لا أن يثيرا فتنة أعظم من الأولى.

وقد شهد عليهما بسوء المصير (والله إنهما لعلى ضلالة صمَّاء، وجهالة

= الحديد ج١ ص٣٠٩ ـ ٣١٠، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢ ص٦٢ ـ ٦٤.

(١) المعجم الوسيط: ج٢ ص٥٥٨. مادة (طغم).

(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص٥٦٣. مادة (طلق).

عمياء!!). شهادة مدعومة بالقسم، من أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجَّلين، ونفس النبي ﷺ الكريم في الذكر الحكيم، وممن شهد له القرآن الكريم بالطهارة من الرجس. فالذي يكون على الضلال لا يشم ريح الجنة. فكيف من كان على ضلال شديد (ضلالة صمَّاء)؟ كما أن الشيطان أراد أن يعيد دولته بالإستعانة بهما وبأتباعهما (وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورَجْله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه).

وقد دعا عليهما أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن اتهمهما بالقطيعة والظلم، وتأليب الأوباش عليه ونكث البيعة (. . . فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءة فيما عملا وأمَّلا!!). ودعوة أمير المؤمنين عليه السلام مستجابة. فإذا لم تستجب دعوة أمير المؤمنين عليه السلام. فمن الذي تُستجاب دعوته؟! وتأمل في دعوته عليهما (ولا تغفر لهما أبداً). فأي مستقبل مجهول ينتظرهما؟! فأمير المؤمنين عليه السلام لا يدعو على من لا يستحق الدعوة. وأي دعوة؟ الدعوة التي لا يرجى فيها غفران الذنوب بأي حال من الأحوال. والجريمة التي ارتكبها طلحة والزبير في التمرد على إمامهما ونكث بيعته، وسفك الدماء البريئة بدون حق وبث الرعب والفساد في البصرة ـ كما سنعرف لاحقاً ـ تتلاءم مع دعوة أمير المؤمنين عليهما (ولا تغفر لهما أبداً!!) ولا تتناقض معها أو تخالفها. وقد أدان رسول الله ﷺ عملهما قبل أن يفكرا فيه بعدة عقود، وأمر أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم، وهي من أنباء الغيب، وسمَّاهم الناكثين، فأي حرمة تبقى لهما بعد ذلك؟ فالدفاع عنهما تشكيك في حديث النبي ﷺ واستخفاف به.

وروى مسلم في صحيحه. قال رسول الله ﷺ: ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: (. . . ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف[1].

فطلحة والزبير من الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، لأنهما بايعا أمير المؤمنين من أجل الدنيا، ولما لم يعطهما أمير المؤمنين شيئاً لم يفيا له بالبيعة. فقد ذكر ابن قتيبة: (ذكروا أن الزبير وطلحة أتيا

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص١٤٣ (رقم الحديث ١٠٨).

علياً بعد فراغ البيعة، فقالا: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان، فقالا: لا، ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر!! قال علي: لا... فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً أظهرا الشكاة)[1]. وهذا ما يؤكد انطباق الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عليهما.

وذكر سبط ابن الجوزي: (فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير، فقالا: يا أمير المؤمنين، إن عيالنا كثير، وأرضنا شديدة!! فقال: ألم أشرط؟ أنني لا أعطي أحداً دون أحد!! فقالوا: قد لزمتنا نفقات!! فقال: ائتوني بأصحابكم، فإن رضوا أن أعطيكما دونهم فعلت، وإن أبيتما، فأنا أعطيكما من عطائي. فأبيا عليه!!)[2].

فالرجلان من أصحاب الدنيا، وبايعا أمير المؤمنين من أجل الدنيا لا من أجل الدين، ولهذا هان عليهما نكث البيعة لما لم يحصلا على حطام الدنيا. فاستحقا أن يكونا من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. وهذا الحال يتفق مع دعوة أمير المؤمنين عليه السلام عليهما (ولا تغفر لهما أبداً). وكيف يغفر الله سبحانه وتعالى لهما وهذه نيتهما في بيعتهما ونكثها؟

عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنه ستكون هنات وهنات. فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان[3]. فإذا كان المطلوب من المؤمنين أن يضربوا عنق طلحة والزبير لأنهما فرَّقا أمر هذه الأمة، فلم لا يدعو عليهما أمير المؤمنين عليه السلام بـ(ولا تغفر لهما أبداً)؟ وما دام هذا حالهم، فكيف يكونان من أهل الجنة؟!

وروى الطبراني: وبإسناده أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت وشيعتك تردون عليَّ الحوض رواءً مرويين مبيضة وجوهكم، وإن عدوك يردون عليَّ ظماءً مقبحين[4].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ص٧٠.

(٢)تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٥.

(٣)صحيح مسلم، ج٤ ص١٢٧ (رقم الحديث: ١٨٥٢) وما بعده. وانظر المعجم الكبير: الطبراني ج١ ص١٨٦ (رقم الحديث: ٤٨٧، ٤٨٨).

(٤) المعجم الكبير: الطبراني ج١ ص٣١٩، (رقم الحديث: ٩٤٨).

ولا يشك أحد في عداوة طلحة والزبير لأمير المؤمنين. وما دامت هذه عداوتهم. فكيف يدخلون الجنة؟

وقال رسول الله ﷺ: يا أبا رافع، سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حقاً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك شيء[1].

فإذا كان جهاد طلحة والزبير وأتباعهما من الناكثين واجباً على المسلمين باليد واللسان والقلب، فلماذا لا يدعو عليهما أمير المؤمنين عليه السلام بعدم المغفرة (ولا تغفر لهما أبداً)؟ وكيف يدخل طلحة والزبير الجنة وقد أمر رسول الله ﷺ المسلمين بجهادهم باليد واللسان والقلب؟! وما حجة من يدافعون عنهما وقد أُمروا بجهادهم؟!

على كل حال، فقد بعث أمير المؤمنين عليه السلام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أبي موسى الأشعري بهذا الكتاب:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. أما بعد، فإني قد بعثت إليك هاشم بن عبتة لتشخص إليَّ من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم، فاشخص بالناس إليَّ حين يقدم عليك، فإني لم أولِّك المصر الذي أنت فيه، ولم أقرك عليه إلا لتكون من أعواني على الحق، وأنصاري على هذا الأمر. والسلام[2].

لكن أبا موسى الأشعري أبى ذلك وحبس الكتاب وبعث إلى هاشم بن عتبة يتوعده ويخوّفه. فكتب هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة. أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإني قدمت بكتابك على امرىء مشاق بعيد الودّ، ظاهر الغلّ والشنآن، فتهددني بالسجن، وخوفني بالقتل، وقد كتبت إليك هذا الكتاب مع المحل بن خليفة أخي طيء، وهو من شيعتك وأنصارك، وعنده علم ما قبلنا، فاسأله عما بدا لك،

---

(١) المرجع السابق: ج١ ص٣٢١ (رقم الحديث: ٩٥٥)ز

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤، ص٨، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري. ج١ ص١١١، الجمل الشيخ المفيد ص٢٤٢.

واكتب إليَّ برأيك والسلام[1]. هذا هو حال ولاة عثمان، وهذا موقفهم من الحق وميلهم إلى الشقاق والعصيان والتمرد.

ولما قرأ أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب دعا إبنه الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس، أما بعد، يا بن الحائك! والله إني كنت لأرى أن بعدك عن هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً، ولا جعل لك فيه نصيباً، سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت إليك الحسن وعماراً وقيساً، فأخل لهم المصر وأهله، واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً، فإن فعلت وإلا فإني أمرتهم أن ينابذوك على سواء. إن الله لا يحب الخائنين، فإن ظهروا عليك قطعوك إرباً إرباً!! والسلام على من شكر النعمة، ورضي بالبيعة وعمل لله رجاء العافية[2].

وقد زودهم أمير المؤمنين عليه السلام بكتاب إلى أهل الكوفة يستنفرهم فيه لقتال الناكثين.

قال أبو مخنف: (فلما دخل الحسن وعمار الكوفة، اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن فاستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال: أيها الناس، إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدلّون، وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون... إلى من لم ترد له راية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحق، ويأمركم بالمسير إليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعمَّاله، وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر)[3].

فقد اتهم الإمام الحسن عليه السلام طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم أتباع الضلال بنكث البيعة، وقتل أهل الصلاح من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والتمثيل بعماله

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص٩، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١١٢، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤٣.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤٣. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤، ص١٠.

(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري. ج١ ص١١٣، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص١١.

ونهب بيت مال المسلمين في البصرة، ـ كما سنعرف بعد قليل ـ وهذه شهادة من سيد شباب أهل الجنة في حق عائشة وأعوانها أعوان السوء. وإذا لم تقبل شهادة سيد شباب أهل الجنة، فمن الذي تقبل شهادته؟ وإذا قُبلت شهادة سيد شباب أهل الجنة فيهم. فما مصير أولئك القتلة ناكثي البيعة الذين ما تركوا مالاً إلا نهبوه؟! وما مصير من يدافع عن جرائمهم ويبررها؟

ثم قام عمار بن ياسر وخطب في أهل الكوفة، وبيَّن حال طلحة والزبير في بيعتهما ونكثهما، وحثهم على الإستنفار مع أمير المؤمنين عليه السلام لقتال الناكثين[1].

وقام بعده قيس بن سعد وحثهم على الخروج مع أمير المؤمنين لقتال الناكثين. ولما سمع أبو موسى الأشعري تلك الخطب، صعد المنبر وأخذ يثبِّط عزيمة الناس عن الخروج مع أمير المؤمنين، فقال: . . . أما بعد، يا أهل الكوفة، إن تطيعوا الله بادياً، وتطيعوني ثانياً، تكونوا جرثومة من جراثيم العرب، يأوي إليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف. إن علياً إنما يستنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير، حواري رسول الله ومن معهم من المسلمين. . . فثلموا سيوفكم، وقصفوا رماحكم، وأنصلوا سهامكم، وقطعوا أوتاركم. . .)[2].

اعتمد أبو موسى الأشعري في تثبيطه للناس على مبرّرين:

أولاً: جهاد أمكم عائشة.

ثانياً: جهاد طلحة والزبير حواريّ رسول الله، ومن معهم من المسلمين.

أما عائشة فهي متمردة على إمامها، عاصية ربها وكتابه، ونبيها وسنته، أما الآخران طلحة والزبير، فقد بايعا إمامهما ثم نكثا البيعة دون مبرر شرعي. وأما من معهم من المسلمين حسب قوله، فالنبي عليه السلام قد سمَّاهم الناكثين قبل أن يولد بعضهم بعدة عقود، وأبو موسى الأشعري يسميهم المسلمين. وهذا من أفحش القول لأنه تحريف للَّقب الذي أطلقه عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله لكي لا يغتر بهم أحد من المسلمين.

ونسي أبو موسى الأشعري ـ في محاولته اليائسة ـ أنه يثبِّط المسلمين عن الخروج

---

(١) انظر: الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص١٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١١٦.

مع أمير المؤمنين عليه السلام الذي بايعه المهاجرون والأنصار، وفي مقدمتهم طلحة والزبير، ثم نكث بيعتهما فيما بعد. وأن أمير المؤمنين عليه السلام قاتل الناكثين بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يفكروا في القيام بنكثهم بعدة عقود. وهذه المحاولات الطائشة التي قام بها أبو موسى الأشعري ما هي إلا دعم للناكثين، لكنه جاء متأخراً.

وذكر ابن أبي الحديد: (وأتت الأخبار علياً عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة، فقال للأشتر: أنت شفعت في أبي موسى أن أقرّه على الكوفة، فاذهب فاصلح ما أفسدت)[1].

وذكر الطبري: (فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة، وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر فدخله، وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبِّطهم... وعمار يخاطبه والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أمَّ لك، وتنحَّ عن منبرنا)[2].

لقد واصل أبو موسى الأشعري في محاولته اليائسة تثبيط الناس عن الخروج مع أمير المؤمنين إلى آخر لحظة من ولايته للكوفة قبل أن تقع عينه على الأشتر الذي أدخل في قلبه الرعب.

قال أبو مريم الثقفي: (والله إني لفي المسجد يومئذٍ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون وينادون: يا أبا موسى، هذا الأشتر قد دخل القصر، فضربنا واخرجنا!! فنزل أبو موسى فدخل القصر. فصاح به الأشتر: اخرج من قصرنا، لا أمَّ لك، أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المنافقين قديماً!! قال: أجلِّني هذه العشية. فقال: هي لك، ولا تبيتَّن في القصر الليلة. ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، وأخرجهم من القصر، وقال: إني قد أخرجته، فكفَّ الناس عنه)[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص٢٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٩٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص٢١. الجمل: الشيخ المفيد ص٢٥١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٩٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص٢١. الجمل: الشيخ المفيد ص٢٥٣.

فقد خرج أبو موسى الأشعري من الكوفة صاغراً ذليلاً بعد أن عاند إمامه وأيَّد الناكثين. فلا يصلح لأمثال هؤلاء الولاة الظلمة إلا رجالٌ مثل الأشتر.

ثم قام الإمام الحسن عليه السلام وخطب في الناس يحثهم على الخروج مع أمير المؤمنين عليه السلام وقام بعده عمار والأشتر وحجر بن عدي يخطبون في الناس[1].

وروى الشعبي عن أبي الطفيل، قال: قال علي عليه السلام: يأتيكم من الكوفة إثنا عشر ألف رجل ورجل واحد، فوالله لقعدت على نجفة ذي قار، فأحصيتهم واحداً واحداً، فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً[2].

وعن ابن عباس قال: لما نزلنا مع عليّ عليه السلام ذا قار، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن! فقال: والله ليأتينّي منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، لا يزيدون ولا ينقصون. قال ابن عباس: فدخلني والله في ذلك شك شديد في قوله، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدَّنهم... قال: فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً. فقلت: الله أكبر، صدق الله ورسوله. ثم سرنا[3]. وقيل: غير ذلك[4].

ولا تعارض في ذلك. فبعضهم نظر إلى العدد حين الوصول إلى (ذي قار)، وبعضهم نظر إلى العدد حين تتابع الناس إليه عند مسيره من (ذي قار) إلى (الخريبة) بالقرب من البصرة. عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: سار عليّ عليه السلام من (ذي قار) إلى البصرة، حتى نزل بـ (الخريبة) في اثني عشر ألف رجل على الميمنة عمار بن ياسر في ألف رجل، وعلى الميسرة ملك الأشتر في ألف رجل، ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل، وخرج إليه من البصرة ألفا رجل. خرجت إليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها، وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلَّف عنها، وجاءته بنو بكر رأسهم شقيق بن ثور السدوسي، ورأس عبد القيس عمرو بن جرموز العبدي، وأتاه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الأزد[5].

---

(١) انظر الجمل: الشيخ المفيد ص٢٥٣ ـ ٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٤ ص٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٨٧، انظر الجمل: الشيخ المفيد ص٢٩٣.

(٤) انظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٠ ـ ٤٦١.

(٥) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

الفصل الرابع:

الوصول إلى البصرة وبث الفساد فيها

(الجمل الأصغر)

ذكر الشيخ المفيد: (إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أغذّوا السير مع من تبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبي موسى. فبلغ عثمان بن حنيف رحمه الله، وهو عامل البصرة يومئذٍ وخليفة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عنده حكيم بن جبلة. فقال له حكيم: ما الذي بلغك؟ فقال: خُبِّرت أن القوم قد نزلوا حفر أبي موسى. فقال له حكيم: إئذن لي أن أسير إليهم فإني رجل في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام. فقال عثمان: توقَّف عن ذلك حتى أراسلهم. فقال حكيم: إنا لله، هلكت والله يا عثمان. فأعرض عنه، وأرسل إلى عمران بن حصين وأبي الأسود الدؤلي. فذكر لهما قدوم القوم البصرة، وحلولهم حفر أبي موسى وسألهما المسير إليهم، وخطابهم على ما قصدوا به وكفَّهم عن الفتنة. فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها: يا أم المؤمنين، ما حملك على المسير؟ فقالت: غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه، ولا أغضب أن يقتل؟! فقالا لها: وما أنت من سوط عثمان وعصاه؟ وإنما أنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله نذكرك الله أن تهراق الدماء بسببك!! فقالت: وهل من أحد يقاتلني؟! فقال أبو الأسود: نعم والله قتالاً أهونه شديد. ثم خرجا من عندها فدخلا على الزبير، فقالا: يا أبا عبد الله ننشدك الله أن تهراق الدماء بسببك!! فقال لهما: إرجعا من حيث جئتما، لا تفسدا علينا!! فأيسا منه، وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له: ننشدك الله أن تهراق الدماء بسببك!! فقال

لهما طلحة: أيحسب علي بن أبي طالب أنه إذا غلب على أمر المدينة أن الأمر له وأنه لا أمر إلا أمره؟! والله ليعلمنَّ. فانصرفا من حيث جئتما. فانصرفا من عنده إلى عثمان بن حنيف، فأخبره الخبر[1].

تأمَّل في قول الزبير لأبي الأسود الدؤلي وصاحبه (إرجعا من حيث جئتما، لا تفسدا علينا!!). هذا الرد ليس ردّ رجل مصلح، بل ردّ رجل مفسد لا يريد الإصلاح، وإنما يريد الإستيلاء على زمام الأمور بدلاً من إمامه الشرعي.

وتأمل في ردّ طلحة: (أيحسب عليّ بن أبي طالب أنه إذا غلب على أمر المدينة أن الأمر له، وأنه لا أمر إلا أمره؟! والله ليعلمنَّ!! فانصرفا من حيث جئتما).

فما علاقة الإمامة والخلافة بالغلبة على أمر المدينة؟ وما علاقتك يا طلحة بأمر الخلافة؟ فلم يختارك الله سبحانه وتعالى ورسوله الأمين إلى ذلك المنصب. فقد بايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ولم يبايعك أحد. فعلى من تعتب؟ فهل تعتب على الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم اللذين لم يختاراك لمنصب الإمامة؟ أم تعتب على المهاجرين والأنصار الذين رأوك حاضراً ولم يبايعوك؟

وروى ابن أبي سبرة عن عيسى بن أبي عيسى عن الشعبي، أن أبا الأسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالا لها: ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وأنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أمرك الله أن تقرّي في بيتك. فقالت: غضبت لكم من السوط والعصا، ولا أغضب لعثمان من السيف؟ فقالا لها: ننشدك الله أن تهراق الدماء بسببك، وأن تحملي الناس بعضهم على بعض. فقالت لهما: إنما جئت لأصلح بين الناس. وقالت لعمران بن الحصين: هل أنت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة؟! فقال: لا أبلغه عنك إلا خيراً. فقال لها أبو الأسود: أنا أبلغه عنك فهاتي. فقالت: قل له: يا طليق ابن أبي عامر، بلغني أنك تريد لقائي لتقاتلني؟! فقال لها أبو الأسود: نعم والله ليقاتلنك!! فقالت: وأنت أيضاً أيها الدؤلي؟! يبلغني عنك ما يبلغني، قم فانصرف عني!! فخرجا من عندها إلى طلحة فقالا له: يا أبا محمد، ألم يجتمع الناس إلى بيعة ابن عم رسول الله، الذي فضله الله كذا وكذا؟! وجعلا يعدَّان مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله وحقوقه، فوقع طلحة

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

بعليّ عليه السلام، وسبَّه ونال منه، وقال: إنه ليس أحد مثله!! أمَ والله ليعلمنَّ غبَّ ذلك. فخرجا من عنده وهما يقولان غضب هذا الدنيء، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه فوقع أيضاً في عليّ عليه السلام وسبَّه، وقال لقوم كانوا بمحضر منه: صبّحوهم قبل أن يمسّوكم. فخرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر، فأذَّن عثمان للناس بالحرب[1].

تأمل في تصرف طلحة ورده على أبي الأسود وصاحبه: (فوقع طلحة بعليّ عليه السلام، وسبَّه ونال منه، وقال: إنه ليس أحد مثله!! أمَ والله ليعلمنَّ غبَّ ذلك!!). قد يستبعد البعض أن يقوم طلحة بسب أمير المؤمنين عليه السلام. فقد سبَّه معاوية بن أبي سفيان ولعنه على المنابر وشاركه في ذلك اللعن عشرات الآلاف من الأوباش الذين يدعون أنهم مسلمون، فلماذا لا يسبه طلحة؟ فهو ليس أفضل منهم. ونكثه بيعة أمير المؤمنين عليه السلام أعظم جرماً من السبّ والوقيعة، لأن نكث البيعة يؤدي إلى الميتة الجاهلية وقد فعلها وهو يعلم ذلك عن قصد وسبق إصرار. فلماذا لا يسبّه ويقع فيه؟ فالذي لا يتورع عن النكث والحرب لا يتورع عن السب.

وقد ألَّب الأوباش وأبناء الطلقاء وقادهم في حرب ضد إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الجريمة أعظم من السب، فلماذا لا يسبّه؟! وقد شارك في قتل المؤمنين الأبرياء من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل الأصغر والأكبر، ولم يتورع عن ذلك، فلماذا يتورع عن سبّ أمير المؤمنين والوقيعة به؟

وقد شارك في تحريف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في الحوأب وحاول طمسها بشتى السبل مستخدماً شهادة الزور لخمسين أعرابياً، دون أن يمنعه دين، أو تصدّه مروءة، فلماذا لا يسبّ أمير المؤمنين؟

وقد تصرَّف الزبير تصرف صاحبه، فوقع أيضاً في ابن خاله وإمامه عليّ عليه السلام وسبَّه. ولا عجب في ذلك، فقد حاول أن يبيِّته بالفتك به فلم يفلح.

وقد أشار أبو مخنف وابن أبي الحديد إلى ما يقرب من ذلك، فقال الزبير:

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٧٥، وانظر شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٦، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٣ ـ ٨٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٢٤ ـ ١٢٧.

(فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول: فذهب إلى طلحة، فوجده سادراً في غيّه، مصراً على الحرب والفتنة!!)[1].

وذكر ابن قتيبة: (. . . فقال طلحة: يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره!! وليس على هذا بايعناه!! وأيم الله ليسفكنَّ دمه. فقال أبو الأسود: يا عمران، أما هذا فقد صرَّح أنه إنما غضب للملك!! ثم أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله، إنا أتينا طلحة. قال الزبير: إن طلحة وإياي كروح في جسدين!! . . .)[2].

فهما يعترفان بأنهما لم يبايعا أمير المؤمنين إلا على أنهما شريكان له في الخلافة، ولما فاتهما ذلك تمرَّدا عليه. وقد فطن أبو الأسود لنيّتهما فقال لعمران: (يا عمران، أما هذا فقد صرَّح أنه إنما غضب للملك!!). وما دام يريان أنهما قد خسرا الملك، فلماذا لا يقومان بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي استحوذ على الملك دونهما على حسب زعمهما الفاسد؟!

وروى أبو مخنف: (أن الزبير وطلحة أغذا السير بعائشة، حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري، وهو قريب من البصرة، وكتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل عليّ عليه السلام على البصرة، أن أخل لنا دار الإمارة، فلما وصل كتابهما إليه بعث الأحنف بن قيس: فقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله والناس إليها سراع كما ترى، فقال الأحنف: إنهم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألّبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يزالون حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماءنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به، إن لم تتأهب لهم بالنهضة إليهم فيمن معك من أهل البصرة، فإنك اليوم الوالي عليهم، وأنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس، وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة، فيكون الناس لهم أطوع منهم لك.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٦، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٢٥.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٣ ـ ٨٤،

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت، لكنني أكره الشرّ، وأن أبدأهم به، وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به. ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وديعة، فأقرأه كتاب طلحة والزبير، فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف، فقال حكيم: فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين، وإلا نابذتهم على سواء. فقال عثمان: لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي. قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينتقلنَّ قلوب كثير من الناس إليهم، وليزيلنَّك عن مجلسك هذا، وأنت أعلم. فأبي عليه عثمان)[1].

تأمل في قول الزبير وطلحة لعثمان بن حنيف: أن أخل لنا دار الإمارة!!). هذه العبارة تدل على أن الناكثين عبارة عن مجموعة من قطاع الطرق جاؤوا للسيطرة على مقاليد الأمور في البصرة، وليس للإصلاح. فما علاقة الإصلاح بين المسلمين بإخلاء دار الإمارة لهمّ! وما حجة من يدافعون عنهم؟ الا يوجد عندهم عقل يردعهم عن ذلك الدفاع المستميت المخالف لأحكام القرآن الكريم؟!

وقد فطن الأحنف بن قيس وهو الحليم إلى مرمى هؤلاء الناكثين (. . . وأراهم والله لا يزالون حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماؤنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به، إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة. . .).

فلم يقل أنهم جاؤوا للإصلاح الذي طالما تشدقوا به أمام الرعاع، وإنما بيَّن هدفهم في نشر العداوة بين المسلمين وسفك دمائهم. وهذه أهداف المفسدين في الأرض وليس المصلحين.

وقد كان رأي عثمان بن حنيف كرأي الأحنف، لكنه يكره أن يبدأهم بالشر، وإنما ينتظر أن يأتيه كتاب من أمير المؤمنين عليه السلام لكي يعمل على ضوئه. وأتاه حكيم بن جبلة العبدي فأقرأه كتاب طلحة والزبير، فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بمثل جواب الأحنف.

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٢٥ ـ ١٢٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١١ ـ ٣١٢.

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلى عثمان بن حنيف لما وصل الناكثون إلى البصرة:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف، أما بعد:

فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا، وتوجهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به. والله أشد بأساً، وأشد تنكيلا. فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين. وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة، وأنا معجل المسير إليك إن شاء الله.

وكتبه عبيد الله بن أبي رافع في سنة ست وثلاثين[1].

فقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بالبغاة الذين عاهدوا الله ثم نكثوا. كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك بالناكثين. فما عذر من يدافع عن البغاة والناكثين؟

وتأمل في قول أمير المؤمنين عليه السلام فيهم: (ساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به!!). فأي قيمة لبغاة يسوقهم الشيطان إلى ما لا يرضى الله به؟! فالشيطان سائقهم، والشيء الذي يطلبونه لا يرضى الله به. فكيف يرضى الله سبحانه وتعالى بالدفاع عنهم؟! ألا يخجل أتباع السقيفة من الدفاع عن الناكثين أتباع الشيطان؟!

وقد أصدر أمير المؤمنين عليه السلام أوامره إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف أن يدعو الناكثين إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا المسلمين عليه. فهذه مباديء أئمة الحق، فهم يعطون الفرصة للمخطئين أن يصححوا أوضاعهم الخاطئة. وهذه العبارات دليل على أن الناكثين ـ رؤوساء وأذناباً ـ قد خرجوا على طاعة إمامهم وشقوا عصا المسلمين، ولم يفوا ببيعتهم، فهم عصاة متمردون وليسوا دعاة إصلاح، بل مفسدون في الأرض.

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص ١٢٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص ٣١٢.

كما بيَّن أمير المؤمنين عليه السلام لعامله على البصرة عثمان بن حنيف، إن أجاب الناكثون إلى الطاعة ورجعوا عن نكثهم، فأحسن جوارهم. وإن أصرّوا على النكث والخلاف، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم، وهو خير الحاكمين. فقد أنصفهم أمير المؤمنين عليه السلام لو كان عندهم ذرة من الإنصاف، وبيَّن للمسلمين أن غرضهم ليس الإصلاح بل نشر الفساد في الأرض.

قال أبو مخنف: (فلما وصل كتاب عليّ عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن حصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم، وما الذي أقدمهم! فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى، وبه معسكر القوم، فدخلا على عائشة، فنالاها ووعظاها، وأذكراها وناشداها الله، فقالت لهما: ألقيا طلحة والزبير، فقاما من عندها، ولقيا الزبير فكلماه، فقال لهما: إنا جئنا للطلب بدم عثمان!! وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى!! ليختار الناس لأنفسهم. فقالا له: إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان من هم؟ وأين هم؟! وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه، وأعظمهم إغراءً بدمه!! فأقيدوا من أنفسكم!! وأما إعادة أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين!! وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت آخذ قائم سيفك، تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه، ولا أولى بها منه!! وامتنعت من بيعة أبي بكر. فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة!! فقاما إلى طلحة فوجداه أخشن الملمس، شديد العريكة، قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب. فانصرفا إلى عثمان بن حنيف، فأخبراه، وقال له أبو الأسود:

يا بن حنيف قد أتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لها مستلئماً وشمِّر

فقال أبو حنيف: إي والحرمين لأفعلنَّ، وأمر مناديه فنادى في الناس: السلاح السلاح!! فاجتمعوا إليه)[1].

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٢٧، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٣.

فقد ذكر الزبير هدفين لمجيئهم إلى البصرة:

الهدف الأول: الطلب بدم عثمان.

الهدف الثاني: دعوة الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى. (إنا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى!! ليختار الناس لأنفسهم!!).

أين هدف الإصلاح الذي تشدَّقوا به؟ وكيف تبخَّر في الجو عند وصولهم إلى البصرة؟ أما هدفهم الأول المتمثل في الطلب بدم عثمان، فهم ليسوا أولياء عثمان، وأولاده أولى بالطلب بدم أبيهم منهم. فإن أراد أولاده أن يطلبوا بدم أبيهم عليهم أن يخرجوا من جيش الناكثين ويبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ويعرضوا قضية والدهم عليه فتأخذ العدالة مجراها. وهذا هو الأسلوب الشرعي للمطالبة بدم عثمان.

لا أن يقوم طلحة والزبير وعائشة وأولاد عثمان ومعهم الناكثون بالتمرد على إمامهم. ثم يتبجَّحون بالمطالبة بدم عثمان من المسلمين في البصرة الذين لا ناقة لهم فيها ولا جمل. فعلى من يضحكون بسفاسفهم الشيطانية المكشوفة؟!

فعثمان لم يقتل في البصرة، وإنما قُتل في المدينة، وكانت عائشة وطلحة والزبير من أشد المؤلِّبين عليه. فإن كان هدفهم الطلب بدم عثمان، فعليهم أن يقيدوا من أنفسهم، ويسلموا أنفسهم طائعين إلى إمامهم أمير المؤمنين لكي يقتص منهم، لا أن يثيروا حرباً جريمتم فيها أعظم من جريمتهم في قتل عثمان. وقد أشار أبو الأسود وصاحبه عمران بن الحصين إلى ذلك: (إن عثمان لم يُقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان من هم؟ وأين هم؟! وإنَّك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه، وأعظمهم إغراءً بدمه، فأقيدوا من أنفسكم!!).

أما هدفهم الثاني المتمثل في دعوة الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى، فهذا الهدف من الوهن كبيت العنكبوت. وهذا هو بيت القصيد من خروجهم وتمردهم. وسنتناوله بشيء من التفصيل بعد قليل.

روى مسلم في صحيحه عن عرفجة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من

أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه[1]. ورؤوس الناكثين جاؤوا بجيشهم إلى البصرة وأمر المسلمين مجتمع على إمامة أمير المؤمنين، وأرادوا أن يشقوا عصا المسلمين ويفرّقوا جماعتهم (. . . وندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى، ليختار الناس لأنفسهم!!) مما يعطينا اطمئناناً إلى أن النبي ﷺ يأمر المسلمين بقتالهم وفق الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم في صحيحه.

لكن أتباع الناكثين سفكوا دماءهم رخيصة في القتال معهم وتحت رايتهم راية الضلال، بدلاً من أن يمتثلوا لأمر نبي الرحمة ﷺ ويقتلوهم. ثم جاءت الفلول المتبقيَّة وأخذوا يدافعون عنهم بكل الحيل والأساليب بدلاً من فضحهم وكشف مخططاتهم.

وروى الطبراني بسنده عن أبي رافع عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يا ابا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً، حقاً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك شيء)[2]. قد أوجب رسول الله ﷺ على المسلمين الجهاد ضد الناكثين الذين سيقاتلون أمير المؤمنين عليه السلام، لكن أتباع النفوس المريضة تنكروا لحديث رسول الله ﷺ، وأوجبوا على أنفسهم نصرة الناكثين الذين حاربوا أمير المؤمنين بدلاً من قتالهم، فأماتوا السنَّة وأحيوا البدعة. ثم جاء أحفادهم فدافعوا عنهم بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ، وتركوا سنَّة رسول الله ﷺ وراء ظهورهم. فنصروا الباغي الناكث وتنكروا للإمام الشرعي.

وقد ردَّ أبو الأسود الدؤلي وصاحبه على سفاسف الزبير وذكَّراه بموقفه المناقض تماماً لهذا الموقف حين مات رسول الله ﷺ وبايع الناس أبا بكر تحت حراب قبيلة (أسلم). (وأما إعادة أمر الخلافة شورى، فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين!! وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٢٧ ـ ١٢٨، وانظر: المعجم الكبير: الطبراني ج١ ص١٨٦ (رقم الحديث: ٤٨٧، ٤٨٨).

(٢) المعجم الكبير: الطبراني ج١ ص٣٢١ (رقم الحديث: ٩٥٥).

يوم مات رسول الله ﷺ وأنت آخذ قائم سيفك، تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه!! وامتنعت من بيعة أبي بكر. فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!)

لقد واجه أبو الأسود الدؤلي وصاحبه عمران الزبير بحجج منطقية، لم يستطع أن يفنِّدها، بل ردَّ عليها ردَّ المفلس الذي انغمس في الضلال حتى أخمص قدميه فكان ردّه مشتملاً على هذه العبارة (إذهبا فالقيا طلحة). ولما ذهبا إلى صاحبه طلحة (وجداه أخشن الملمس، شديد العريكة، قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب!!). فهذه الصفات الرعناء لا تتلاءم مع الرجل المصلح الذي يريد أن يصلح الأمور بين المسلمين، بل هذه صفات الرجل المفسد الذي يريد أن يثير نار الفتنة ويبث الشقاق بين المسلمين.

قال أبو مخنف: (اجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملؤوه مشاة وركباناً، فقام طلحة وأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب، فسكتوا بعد جهد. فقال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة، ومن المهاجرين الأولين الذي رضي الله عنهم ورضوا عنه، ونزل القرآن ناطقاً بفضلهم، وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر وعمر صاحبي رسول الله ﷺ، وقد كان أحدث أحداثاً نقمناها عليه، فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصباً بغير رضا منها ولا مشورة، فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار، فقتل محرماً بريئاً تائباً!! وقد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان، وندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به، وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين!! وكانت خلافة رحمة للأمة جميعاً، فإن كل من أخذ الأمر من غير رضا من العامة ولا مشورة منها ابتزازاً، كان ملكه ملكاً عضوضاً، وحدثاً كثيراً. ثم قام الزبير، فتكلم بمثل كلام طلحة!!)[1].

لقد لجأ طلحة إلى الكذب والتزوير عندما اتهم أمير المؤمنين بقتل عثمان بمساعدة قوم غير أتقياء ولا أبرار، كما اتهمه بالإستيلاء على منصب الإمامة بالغصب بغير رضا المسلمين ولا مشورة!! (فعدا عليه امرؤ ابتزَّ هذه الأمة أمرها

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٢٨، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٤.

غصباً بغير رضاً منها ولا مشورة، فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار!!).

ما رأي أتباع طلحة في هذا الكذب والتزوير؟ وكيف يستميتون في الدفاع عن رجل كذَّاب؟ لقد أسقط طلحة عدالته بنفسه وألقاها في سلة المهملات حين زوَّر الحقائق وكذب عمداً على أمير المؤمنين، واتهمه بتلك الإتهامات الكاذبة. لقد أصبح طلحة من أكبر الكذَّابين في التاريخ الإسلامي وأكثرهم شيطنة.

لقد تطرقنا في البحوث السابقة عن الدور الكبير لطلحة في تأليب الناس على عثمان، ودوره في تضييق الخناق عليه، ومنعه الماء عنه، ورميه السهام في دار عثمان، واستيلائه على مفاتيح بيت المال. ولم يحدثنا التاريخ بأن أمير المؤمنين عليه السلام رمى دار عثمان بسهم أو منع عنه الماء، أو ألَّب الناس عليه، بل حدثنا التاريخ بعكس ذلك. فقد أوصل إليه الماء حين منعه طلحة، وفتح بيت المال بعد أن استولى عليه طلحة وعمل عليه مفاتيح، وكان الواسطة بين عثمان والثائرين في عدة مرات حين كان طلحة يؤلّبهم عليه. فلماذا يلجأ طلحة إلى قلب الحقائق؟ فقد برَّأ المتهم، واتهم البريء. فقد فاق طلحة مسيلمة الكذَّاب في الكذب.

وتأمل تخرصاته المتهافتة (قد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان، وندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به، وجعلنا الأمر هذا شورى بين المسلمين!!...).

فإن جاء يطلب بدم عثمان، فهو أحد المطلوبين، بل كان هو وصاحبه وعائشة على رأس قائمة المطلوبين. فلماذا لا يقيدوا أنفسهم؟! ومن خلال ألفاظ عبارته يتضح أنه قد جعل أمير المؤمنين عليه السلام على رأس قائمة المطلوبين قتلهم بدم عثمان. وقوله: (وجعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين) يؤكد ذلك. فكيف يجعل الأمر شورى بين المسلمين بغير قتل أمير المؤمنين؟! وقوله السابق في أمير المؤمنين: (فعدا عليه امرؤ... فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار!!) يؤكد ذلك، ولا يجعل مجالاً للشك، فما أقبح ذلك الهدف، وأقبح بصاحبه الناكث. فقد أضحى طلحة والزبير وعائشة من أئمة الضلال.

ولم يقف الزبير متكتوف اليدين، بل قام في ذلك الموقف وتكلم بمثل كلام طلحة. مما يدل على أنهما متواطئان على التمرد والنكث والغدر والفساد.

قال ابن قتيبة: (فبينما هم كذلك، أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان. فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما ردك على ما كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان!! وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه!! وقد زعمتما أن علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله، إذ كنتما أسن منه، فأبيتما إلا أن تقدماه لقرابته وسابقته. فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نرد بيعته فنقتل!! فبايعناه كارهين!! قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه، وخذلاننا إيَّاه، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا الطلب بدمه!! قال: ما تأمرانني به؟ قالا: بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته!! قال: أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعون إلى ما تدعوان إليه، ما نصنع؟ قالا: لا تبايعه!! قال: ما أنصفتما، أتأمراني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما، وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما!! أما إننا بايعنا علياً، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا!! قال: ثم تفرق الناس، فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير)[1].

تأمل في قول الراوي (أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان. فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم). هذا دليل مادي على دور هذا الرجل في تأليب الناس على عثمان. وهذا الدليل المادي يدين الرجل، ولما أخفق في تحقيق أهدافه الشخصية من ذلك التأليب أخذ يتباكى عليه بدموع التماسيح.

كما أن الرجل المتمرد لم ينكر الكتاب، بل اعترف به وبمضمونه، وبعد ذلك الإعتراف، وقف بين أهالي البصرة يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان، بلا حياء

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٨.

ولا خجل من ذلك الإتهام الباطل، ولا خوف من نار وقودها الناس والحجارة. فما عذر أتباعه الذين ما زالوا يدافعون عن مخازيه واتهاماته الباطلة؟! أليس من العار الدفاع عن هذا الرجل!؟

وتأمل في تخرصات طلحة: (دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نردّ بيعته فنقتل، فبايعناه كارهين!!). فقد تطرقنا إلى بيعتهما في الباب الثالث، وكيف أن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرض عليهما البيعة فرفضا معللين ذلك الرفض، فلا نعيد. وهذا القول من طلحة كذب وتزوير. والرجل لا يتورع عن الكذب. واتهامه لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه اغتصب البيعة دليل على عدم تورعه عن الكذب. لقد تمرَّغ في الكذب والدجل ظهراً لبطن من قمة رأسه حتى أخمص قدميه.

فإذا دعاهما إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس كما يدَّعي ذلك، فكيف يعرض عليهما أن يبايعهما بالخلافة وقد بايعه الناس؟ هذا التصرف لا يصدّقه المجنون فضلاً عن العاقل. فإذا كان هناك عرض لبيعتهما ينبغي أن يكون قبل بيعته لا بعدها. وهذا ما وثقناه في الباب الثالث. لكن الرجل يتشبث بالكذب لتبرير تمرّده.

أضف إلى ذلك، فاللذان يبايعان إمامهما كارهين لا يأتيانه فيقولان له: (هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان. فقالا: لا، ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر!!)[1].

فذلك الشرط الغريب يدل على أنهما بايعا أمير المؤمنين طائعين طامعين غير مكرهين لكن طلحة والزبير لا يتورعان عن الكذب.

وتأمل في جوابهما على سؤال الشريف البصري (فما بدا لكما في عثمان؟ قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه!! وخذلاننا إياه!! فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٠.

الطلب بدمه!!). وهذا اعتراف بضلوعهما في الجريمة. فإن كان طعنهما على عثمان، وخذلانهما إيَّاه يتفق مع حكم الشرع، فلا داعي لهذا الأسف والتحسر. وإن كان طعنهما على عثمان، وخذلانهما إيَّاه يخالف الشرع، فهما مذنبان، وعليهما في هذه الحالة أن يسلّما أنفسهما إلى إمامهما أمير المؤمنين، ويعترفا أمامه بذنبهما ويقبلا بحكم الشرع الذي يصدر في حقهما. لا أن يثيرا حرباً ضد إمامهما، ويحرقا البلاد والعباد. ألم يكن لديهما عقل يفكِّران به؟

أضف إلى ذلك، إن هذا الإعتراف (ذكرنا ما كان من طعننا عليه، وخذلاننا إيَّاه) دليل على كذبهما عندما قالا: (فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصباً بغير رضا منها ولا مشورة، فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار!!).

فلم يتورعا عن الكذب، ولم يدريا أن حبل الكذب قصير. فكيف تجرأ أتباعهما على إخفاء كذبهما عن المسلمين؟

أما قولهما: (فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا الطلب بدمه!!)، فهو دليل على سذاجة عقليهما، وسخافة طلبهما. ليس هذا هو المخرج الشرعي لجريتمها. بل المخرج الشرعي هو أن يسلّما أنفسهما إلى محكمة العدالة عند إمامهما أمير المؤمنين، وهناك تأخذ العدالة مجراها على يد إمام معصوم لا يحيف في القضاء.

وهذا المخرج الذي تبنَّاه طلحة والزبير وعائشة قد أدى إلى سفك الدماء الغزيرة، وزهق أرواح آلاف المؤمنين عن طريق إضرام تلك الحرب المجنونة التي أهلكت الحرث والنسل. فما حكم الشرع في ذلك المخرج الذي تبنَّاه رؤوس الناكثين؟ وما حكم الشرع في سفك تلك الدماء الزكية، وفي زهق أرواح المؤمنين؟

روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: من حمل علينا السلاح فليس منا[1]. وروى أيضاً عن أبي ظبيان، قال: سمعت أسامة بن زيد بن حارثة يحدِّث قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة. فصبَّحنا القوم. فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. فلما غشيناه قال: لا إله إلا

(١) صحيح مسلم: ج١ ص١٣٧ (رقم الحديث: ٩٨، ٩٩، ١٠٠).

الله. فكفَّ عنه الأنصاري. وطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا. بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: يا أسامة! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذاً. قال: فقال: أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

فقد حمل طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم السلاح على المسلمين وقتلوا الآلاف منهم في معركة الجمل الأصغر والأكبر، مما يدل على أنهم ليسوا من المسلمين على ضوء الحديث النبوي الذي رواه مسلم في صحيحه.

كما عرفنا من خلال هذا الحديث الذي رواه أسامة بن زيد أنه لا يجوز قتال الرجل الذي ينطق الشهادتين حتى لو كان متعوذاً، فكيف جرؤ طلحة والزبير وعائشة على قتل المسلمين الصالحين في البصرة دون ذنب ارتكبوه؟ وما مصير من يقتل المؤمنين الصالحين عن عمد وسبق إصرار؟! ألا يكون مصيره إلى جهنم وبئس القرار؟ فلماذا يدافع البعض عن هؤلاء القتلة الذين قتلوا المؤمنين في البصرة؟ ولماذا يجعلون أحاديث الرسول ﷺ وراء ظهورهم من أجل سواد عيون الناكثين؟

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] مما يدل على أن الناكثين جزاؤهم الخلود في النار والغضب الإلهي واللعن والعذاب العظيم، لقتلهم المؤمنين الصالحين الأبرياء عن عمد وسبق إصرار بحجةالأخذ بدم عثمان، الذي لا ناقة لهم فيه ولا جمل. فبعد هذا الجزاء الفظيع الذي ينتظر الناكثين، من الذي يجرؤ على الدفاع عنهم!؟

وتأمل في ردّهما على الشريف البصري حين سألهم: (ما تأمراني به؟ قالا: بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته!!). فلم يطلبا منه أن يساعدهما على الصلح الذي طالما تشدقوا به أثناء تآمرهم في مكة للتغرير بالطلقاء وأبناء الطلقاء. فقد كشَّر الشر عن نابه، وأعلن طلحة والزبير هدفهما الحقيقي من التمرد، المتمثل في (بايعنا على قتال عليّ)!! وانكشف الحملان الوديعان عن ذئبين ضاريين من أشرس الذئاب.

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص١٣٥، (رقم الحديث ٩٦).

وهذا ما أكدناه قبل قليل عندما قلنا أنهما وضعا أمير المؤمنين على رأس قائمة المطلوبين قتلهم بدم عثمان. (فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به، وجعلنا الأمر شورى بين المسلمين!!)[1]. فإذا أضفت إلى هذا القول قولهما للشريف البصري: (بايعنا على قتال عليّ!! ونقض بيعته!!)، اتضحت أهدافهما الشيطانية بكل أبعادها. ألم يكن طلحة والزبير وعائشة أكثر زندقة من مسيلمة الكذّاب!؟

فما حجة من يدافع عنهما؟ ألا يكون شريكاً لهما في جريمتهما؟ ولماذا يقف المدافعون عنهما مع القاتل ويتنكرون للضحية؟ لماذا يدافعون عن القتلة ويدوسون على المقتولين الأبرياء؟ فلا فرق بين المدافعين عن طلحة والزبير والمدافعين عن مسيلمة الكذّاب.

كما طلبا من الشريف البصري أن ينقض بيعة أمير المؤمنين (بايعنا على قتال عليّ، ونقض بيعته!!). فهذا الشعار ليس شعار الرجال المصلحين، بل شعار الرجال الناكثين المفسدين في الأرض. فقد اعترف طلحة والزبير على نكثهما وتمردهما وطلبا من الشريف البصري أن يشاركهما في قتال إمامه ونقض بيعته. أفٍّ لهما وتفّ، على هذه الدعوة الإلحادية. فلو أطاعهما ذلك الشريف البصري، وحارب إمامه أمير المؤمنين ونقض بيعته، هل سينفعانه يوم القيامة؟ وهل يستطيعان أن يخلّصاه من النار عندما يموت ميتة جاهلية؟ فلماذا يدعوان المسلمين إلى الميتة الجاهلية التى من أسبابها نقض البيعة؟ وما مصلحتهما من ذلك؟

ولهذا لا نعجب إذا عرفنا أن رسول الله ﷺ قد أمر أمير المؤمنين بقتال الناكثين. فهذا هو هدف رأسين من رؤوس الناكثين (بايعنا على قتال عليّ ونقض بيعته!!). لقد دعا مسيلمة الكذّاب المسلمين إلى مبايعته والإيمان بضلاله ونقض نبوة النبي ﷺ. ودعا طلحة والزبير المسلمين في البصرة إلى مبايعتهما على النكث والغدر والضلال ونقض بيعة الوصي الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام وقتاله. فهل تجد عزيزي القاريء فرقاً بين دعوتي مسيلمة الكذّاب وطلحة والزبير؟! فلماذا يدافع أتباع السقيفة عن كذّابين لا يقلّان خطراً وحماقة وضلالاً من مسيلمة الكذّاب؟!

عن عقاب بن ثعلبة، حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٥.

رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[1]. وأمر رسول الله ﷺ من أمر الله سبحانه وتعالى. ولو لم يستحقوا القتل لما أمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم. وقول طلحة والزبير للشريف البصري (بايعنا على قتال عليّ، ونقض بيعته) يؤكد استحقاقهم للقتل، فهم عناصر فاسدة ينبغي اجتثاثها. ولو بقي رؤوس الناكثين بعد الحرب كما بقي معاوية لنشروا الفساد في الأرض أكثر مما نشره معاوية. فقد هلك اثنان وبقت الثالثة مقلمة الأظافر تحمل حقداً تجاه أهل البيت تنوء بحمله الجبال، وتحارب أمير المؤمنين عليه السلام بسلاح الروايات المكذوبة على رسول الله ﷺ بدلاً من السيوف والرماح. فكيف لو بقي معها طلحة والزبير وقد انتصروا جميعهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟!

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدَّثه، قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ. فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي. أو قال: ديني!!

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة وعائشة في عليّ عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما!! والله أعلم بهما، إني لأتهمهما في بني هاشم!! قال: فأما الحديث الأول، فقد ذكرناه، وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة إن سرَّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا. فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب!![2].

هذه مواقف رؤءس الناكثين، وهذه أقوالهم وأفعالهم المخالفة لأحكام القرآن وسنة رسول الله ﷺ. فما أفظع مواقف المدافعين عنهم. وتأمل في بقية الحوار بين الشريف البصري وطلحة والزبير تجد فيه الدروس والعبر.

قال أبو مخنف: (ثم أقبلت عائشة على جملها، فنادت بصوت مرتفع: أيها

---

(١) المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٣٩، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٣ ص١٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٤ ص٦٤.

الناس، أقلوا الكلام واسكتوا، فأسكت الناس لها، فقالت: . . . أيها الناس، إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه!! . . . بايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة!! ابتزازاً وغضباً. تراني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه، ولا أغضب لعثمان من سيوفكم!! ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!! قال: فماج الناس واختلطوا، فمن قائل: القول: ما قالت، ومن قائل يقول: وما هي وهذا الأمر، إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها! وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصى. ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، وفريق مع عائشة وأصحابها)[1].

لقد وجهَّت عائشة كلامها لأهالي البصرة. ولا علاقة لأهالي البصرة بمقتل عثمان وتوبته وعدمها. وقد ادَّعت بأن أهالي البصرة، أو بالأحرى المسلمين، قد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام بغير مشورة من الجماعة ابتزازاً وغصباً. وهذا كذب رخيص من هذه المرأة يسقط عدالتها ويجعلها غير ثقة. وقد ذكرت أمير المؤمنين بـ (ابن أبي طالب) ولم تذكره بلقبه ووظيفته في الأمة، وتصرَّفت كتصرف المشركين في صلح الحديبية عندما ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله باسمه وليس بوظيفته في الأمة. فاقتدت بهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة!!

وقد بيَّنا في الباب الثالث إقبال الصحابة من المهاجرين والأنصار على أمير المؤمنين لمبايعته برضا منهم ودون أن يكرههم أحد. فراجع[2]. فإذا قارنا بين ما ذكره المؤرخون وما ادَّعته عائشة وجدناه على طرفي نقيض، مما يدل على أن عائشة غير ثقة في ما تدَّعي وما تقول. ثم، من أين عرفت أن أمير المؤمنين عليه السلام قد ابتزَّ المسلمين الخلافة واغتصبها منهم بغير مشورة؟!

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٢٩، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٦. وانظر: الجمل: الشيخ المفيد ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩، الإمامة والسياسية: ابن قتيبة، ج١ ص٨٧، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٦.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٢، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٢٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤ ص٨، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٣٥.

فقد كانت في مكة حين قُتل عثمان وبويع أمير المؤمنين، ولما وصلت إلى (سرف) عرفت ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام فأظلمت الدنيا في عينيها، وضاق عليها الكون بما رحب، وجنَّ جنونها، وأفرغت الحقد الأسود الذي ملأ قلبها بعد أن كان مكتوماً، وتمرَّدت على إمام زمانها دون مستند شرعي، وألبَّت عليه الأوباش والطلقاء دون أن تخاف من نار وقودها الناس والحجارة. فأي قيمة بعد ذلك لإدعاءاتها الباطلة، وتخرصاتها الملفقة؟! لقد ضربت المثل السيِّء في الكذب والإفتراء.

قال أبو مخنف: (. . . فلما انتهت إلى «شراف» استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان. قالت: ثم ماذا؟ قال: حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً. فقالت لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!! ويحك انظر ما تقول؟!! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين. فولولت!! . . .)[1].

فلم تعرف خبر بيعة أمير المؤمنين إلا في الطريق، ولم تشهد البيعة، ولم تذهب إلى المدينة بل رجعت أدراجها إلى مكة. فمن أين عرفت بأن أمير المؤمنين عليه السلام قد ابتزَّ الخلافة من المسلمين وغصبها منهم بغير مشورة؟! فلماذا تشهد على أمور لم تحضرها؟! هل هذه هي الطريقة الصحيحة للشهادة يا أتباع عائشة؟ فالتي تتمنى أن تنطبق السماء على الأرض حين بايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام لا تتورع أن تدَّعي كذباً وزوراً أن أمير المؤمنين ابتزَّ المسلمين الخلافة وغصبها منهم بغير مشورة.

والشيء العجيب في كلام عبيد بن أبي سلمة الليثي أنه قال لعائشة: (حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً. . .)، ولم يقل ابتزَّ عليّ الخلافة وغصبها من غير مشورة. لكن عائشة لم يعجبها بيعة المسلمين لأمير المؤمنين، فلفَّقت الكلام وزوَّرته، وادَّعت أن أمير المؤمنين ابتز الخلافة من المسلمين وغصبها منهم بغير مشورة. فما جزاء من يزوِّر الحقائق عن عمد وسبق إصرار؟! نوكل الجواب لفطنة القاريء.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

وتأمل في توجيهاتها السامية: (. . . ألا إنَّ عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم!! ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!).

من أين عرفت يا عائشة أن عثمان قد قُتل مظلوماً؟ ومتى تأكدت من مظلوميته؟ (روى المدائني في كتاب «الجمل» قال: لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي «بشراف» فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر، وقالت: بعداً لنعثل وسحقاً!!)[1]. فالذي يقول لعثمان بعد سماع خبر مقتله (بعداً لنعثل وسحقاً!!) لا يرى مظلوميته. والذي يرى مظلوميته لا يقول له (بعداً وسحقاً!!). لقد عاشت التناقض والضياع في فكرها.

فقد وقعت بين أمرين لا ثالث لهما. إما أنها تتبنى مظلوميته، فتحكم على نفسها بالبغي والعدوان والعدول عن الحق حين قالت بعد سماعها خبر قتله (بعداً لنعثل وسحقاً!!). وحين ألبَّت عليه المسلمين وقالت لهم: (أيها الناس، هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وبليت سنته!! اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً!!)[2]. وحين كفَّرته (اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر!!)[3]، وحين وصفته بالطغيان والشؤم على المسلمين وذلك عندما قالت لابن عباس (إيَّاك ان تردّ الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان!! فإني أعلم أنه سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر!!)[4].

وإما أنها تتبنى ظالميته، وأنه كان ظالماً ويستحق القتل، فتحكم على نفسها بالكذب وتلفيق الحقائق وخيانة الإسلام والمسلمين حين ادَّعت (إن عثمان قُتل مظلوماً، فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم!!).

فقد حشرت نفسها بين أمرين، أحلاهما مرٌّ. ولا بد لها من تبني أحد الأمرين. فإن تبنَّت الأمر الأول وهو مظلومية عثمان، فعليها أن تسلم نفسها إلى إمامها أمير المؤمنين ليعاقبها على ما ارتكبته في حق عثمان من الدعاء عليه بـ (بعداً

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢١.

(٣) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٦، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٣.

(٤) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٢٢.

لنعثل وسحقاً!!)، واتهامه بأنه أبلى سنَّة رسول الله ﷺ وهي تهمة كبيرة، وتكفيره، وهي تهمة خطيرة جداً، وحث المسلمين على قتله، وهي من الكبائر، ووصفه بالطغيان والشؤم مما يخل بعدالته. لكنها لم تفعل ذلك بل شنَّت على إمامها حرباً أحرقت فيها الأخضر واليابس، وملأت الأرض بالأرامل واليتامى والمعوّقين، غير الدماء الغزيرة التي سفكتها، والأرواح البريئة التي زهقتها. فلماذا تتهرّب من تسليم نفسها للعدالة؟!

وإذا لم تشأ أن تسلِّم نفسها إلى إمامها لكي يقتص منها ـ وهذا ما فعلته ـ فعلى أقل تقدير أن تسلّم نفسها إلى المسلمين من أهالي البصرة الذين خطبت فيهم وقالت: (ألا إن عثمان قتل مظلوماً!! فاطلبوا قتلته!! فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم!!). واشتراكها في حث المسلمين على قتله بالقول والكلمة يعرفه الصديق والعدو، وقد أشرنا إليه في بداية هذا الباب، والبابين الثاني والثالث. ولما لم تشأ أن تسلِّم نفسها لأمير المؤمنين طبقنا عليها حكمها الذي أصدرته في قتلة عثمان، على قاعدة من فمها ندينها.

وإن تبنَّت الأمر الثاني، وهو ظالمية عثمان، أي أنه كان ظالماً يستحق القتل، فعلى المسلمين إسقاط عدالتها للجوئها إلى الكذب وتلفيق الحقائق. وامرأة بهذا المستوى من الكذب في وضح النهار، وعلى ملأ من الناس، وفي عدة مواطن ليست مأمونة على رواية أحاديث النبي ﷺ لمخالفتها لأحاديثه الشريفة المتعلقة بالنهي عن ركوب الجمل (عسكر) وركبته، والتحذير من نباح كلاب الحوأب، وقد أظهرت عدم اكتراثها بالحديث بعد تأكدها من صحته سماعاً وعياناً. وقد أسقطت عدالتها بتصرفاتها الرعناء.

أضف إلى ذلك، على أي شيء اعتمدت عائشة في إصدار فتواها الشاذة (فاطلبوا قتلته!! فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم!!)؟! ومن الذي أعطاها حق إصدار هذا الأمر؟ فهي مأمورة بأن تقرَّ في بيتها بصريح القرآن، ولا يجادل في ذلك إلا منافق. ولا معنى لأن تحشر نفسها في أمر خطير وحسَّاس ليست أهلاً له. فليس لمن هبَّ ودبَّ أن يصدر القرار الذي أصدرته عائشة.

ثم، أي الأمرين ينفذّ؟ أمر أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، أم أمر عائشة التي

أُمرت أن تقرَّ في بيتها؟ لماذا تصل الأمور بعائشة إلى هذه الدرجة من التمرد والفرعنة؟! ولماذا تتدخل في أمور عظيمة لا تعنيها؟ أضف إلى ذلك، هل وضعت نفسها ضمن قائمة الذين قتلوا عثمان وحثوا على قتله؟ أم أنها بريئة من أمر عثمان؟ لقد اعترفت بدورها الخطير في عدة مواطن. فلماذا تخرج نفسها من قائمة المطلوبين للعدالة والقصاص كما تدَّعي؟!

وتأمل في تخرصاتها (ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!).

على أي شيء اعتمدت في هذه الفتوى (اجعلوا الأمر شورى)؟! لقد خبطت عائشة في أمر الخلافة خبط عشواء، من تصبه تمته ميتة جاهلية، ومن تخطئه يُعمَّر فيهرم في التيه والضلال.

لما أحسَّ عمر بن الخطاب بالموت قال لابنه: (اذهب إلى عائشة، واقرئها السلام، واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثم قالت: يا بني أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم!! ولا تدعهم بعدك هملاً!! فإني اخشى عليهم الفتنة!! فأتى عبد الله فأعلمه، فقال: ومن تأمرني أن أستخلف؟)[1].

إن كان الأمر شورى كما ادَّعت ذلك في خطبتها في البصرة أمام المسلمين فضلاً عن الرعاع من أتباعها، فلماذا دعت إلى تحريف مبدأ الشورى أمام عبد الله بن عمر؟ ولماذا حرَّضت عمر بن الخطاب على تحريف الشورى وإحلال مبدأ النص في التعيين في الخلافة بدلاً منه؟! وما عقاب من يحرِّض الآخرين على تحريف مبدأ الشورى إن كان هو المبدأ الشرعي في تعيين الخلفاء؟

ولماذا حاولت بكل ما أوتيت من قوة ونفوذ وتأثير في حرمان المسلمين الأكفاء من منصب الخلافة ـ عن طريق الشورى ـ وحصره في واحد عن طريق النص والتعيين؟! ولماذا تنكرت لذلك المبدأ ودعت إلى خلافه؟ وإذا كان مبدأ الشورى هو المبدأ الشرعي، فلماذا تصفه بأنه يسبب الفتن (فإني أخشى عليهم الفتنة)؟ فهل هي أعلم بمصلحة المسلمين من الله ورسوله؟!

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٤١ ـ ٤٢.

وإن كان الأمر بالنص والتعيين كما دعت إليه قبيل وفاة عمر، وحثته على التمسك به. فلماذا وقفت ذلك الموقف في البصرة وحثت المسلمين على أن يجعلوا الأمر شورى؟ لماذا تنكرت لذلك المبدأ، مبدأ النص والتعيين ودعت إلى الشورى؟ فلماذا تتقلب في الأمور، وتتلون في الأقوال كتلون الحرباء؟ فقد تبنَّت أمرين متناقضين، فهي صادقة في أحدهما وكاذبة في الآخر ومحرّفة له. ففي أي الأمرين كانت صادقة؟ وفي أيهما كانت كذابة ومحرِّفة؟!

أضف إلى ذلك إن كان الأمر شورى، لم نجد أحداً من الخلفاء الثلاثة والأمويين والعباسيين والعثمانيين جاء عن طريق الشورى، بل بالنص والتعيين من قبل الخليفة السابق. فلماذا تنكر أتباع خط السقيفة لمبدأ الشورى إذا كان هو المبدأ الشرعي لتنصيب الخلفاء؟ ولماذا سكتت عائشة طوال حكم أبيها وصاحبيه عمر وعثمان لما تنكروا لمبدأ الشورى وجعلوا مكانه مبدأ النص والتعيين؟ ولماذا أثارت مبدأ الشورى لما مسك أمير المؤمنين بمقاليد الإمامة؟ فقد سكتت دهراً ونطقت كفراً. والعجيب في الأمر أن أمير المؤمنين هو الذي انطبق عليه مبدأ الشورى وفقاً لأسسه، ومع ذلك ثارت ثائرتها وقالت: (ليت السماء انطبقت على الأرض إن تم الأمر لصاحبك). كما قالت أيضاً: (لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!).

وإن كان الأمر بالنص والتعيين، فمن بيده النص والتعيين؟ هل النص والتعيين بيد الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم؟ أم بيد الخلفاء حيث ينص السابق على اللاحق؟ فشيعة أهل البيت يقولون بالنص والتعيين من قبل الله سبحانه وتعالى، وقد بين رسول الله ﷺ أول أسماء خلفائه بأمر من الله سبحانه وتعالى في أحاديث الدار والغدير والمنزلة والكتاب الذي أراد أن يكتبه للمسلمين في مرضه الأخير فحال زعماء قريش دون كتابته، كما بيَّن أسماء خلفائه في أحاديث أخرى كحديث الثقلين والسفينة وغيرهما.

أما أتباع خط السقيفة فقد أنكروا فكرة النص والتعيين من قبل الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم على أحد من الناس، وتمسَّكوا بمبدأ الشورى، رغم أنهم رووا أن عدد الخلفاء إثنا عشر خليفة كلهم من قريش، وقد غرّبوا وشرقوا في تفسير ذلك في أقوال متباينة ومتضاربة ومضحكة في آن واحد، كلها رجماً بالغيب، ولم

يشر أحد مفسريهم إلى الأئمة الإثني عشر من أهل البيت الذين ينطبق عليهم الحديث تمام الإنطباق، ولو بقول شاذ لمفسر مغمور. مما يدل على عدم وجود الأمانة والموضوعية عند مفسريهم. لم يعرفوا طعم الأمانة العلمية وكتبهم خير شاهد على ذلك.

وإن كان مبدأ النص والتعيين بيد الخلفاء، حيث ينص الخليفة السابق على الخليفة اللاحق. فمن الذي نصَّ على أبي بكر؟ فلم يوجد خليفة قبله حتى ينص عليه. مما يدل على أن خلافته غير شرعية لعدم وجود النص عليه من قبل الخليفة الذي قبله. وإن قيل خلافته قد صحت بمبدأ الشورى لا بمبدأ النص عليه من قبل خليفة سابق عليه. فلماذا ضيَّع مبدأ الشورى وتنكر له وحلَّ محله بدعة النص على عمر بن الخطاب؟! لقد عاش زعماء الإنقلاب الغربة والضياع والضلال.

فقد ارتكب بدعة التنصيص على عمر بن الخطاب التي تخالف مبدأ الشورى. فهو صاحب بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ذي ضلالة في النار. وإن كان الأمر بالنص فمن الذي نصَّبه؟ ومن الذي أعطاه حق التنصيب لغَيره؟! والذي ينطبق على أبي بكر ينطبق على غيره من خلفاء خط السقيفة. فلم ينصِّبهم الله سبحانه وتعالى، ولا رسوله الكريم. فهم يتشدقون بالشورى في القول، ويطبقون مبدأ النص والتعيين في الفعل والتطبيق!! أمورهم متناقضة بين ما يقولون ويدعون إليه نظرياً، وما يطبقونه وينفذونه عملياً.

أضف إلى ذلك، لماذا حصرت عائشة الشورى بين الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب؟ وما هو المستند الشرعي الذي اعتمدت عليه في حصر الخلافة في الرجال المتبقِّين من أولئك الرهط؟! لم تستند على آية قرآنية أو حديث شريف يجيز لها أن تحصر أمر الخلافة عن طريق الشورى بين هؤلاء الرهط فقط. مما يدل على أنها تتشبث بالقش وتترك السنَّة، فلا قيمة لأقوالها، ولما تدعو إليه.

أضف إلى ذلك أن عمر بن الخطاب نفسه لا يرى هذا الرأي، بل يرى عكسه تماماً، وإنما لجأ إليه في نهاية المطاف لعدم استطاعته تحقيق ما كان يراه سابقاً.

فقد روى عنه ابن قتيبة: (لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً، استخلفته ووليته، فإذا قدمت على ربي فسألني وقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت:

إي ربي، سمعت عبدك ونبيِّك يقول: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته، فإذا قدمت على ربي فسألني: من وليت على أمة محمد؟ قلت: إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة. ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته، فإذا قدمت على ربي فسألني: من وليَّت على أمة محمد؟ قلت: إي ربي، سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلَّه على المشركين!!)[1].

وقال الطبري: (إن عمر بن الخطاب لما طُعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت. قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته!! فإن سألني ربي، قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة!! ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته!! فإن سألني ربي، قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله!!)[2].

هذا هو رأي عمر في طريقة تنصيب الخلفاء، حين كان يرى مبدأ النص والتعيين لا مبدأ الشورى غاية الأمر إنه استبدل أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين نصَّبهم رسول الله صلى الله عليه وآله بوجوه أخرى رآها أنها أولى بالخلافة. ومع ذلك سنناقشه في دعاويه التي اعتمد عليها؟ فإن كان الأمر شورى فقد أفصح عمر بن الخطاب عن رفضه لذلك المبدأ، فكيف تتشبث عائشة بذلك المبدأ المرفوض من قبل عمر بن الخطاب؟ وقد سبقه أبوها أبو بكر في ذلك الرفض، وقد أوصى إلى عمر بن الخطاب على رغم أنف مبدأ الشورى. فماذا تقول عائشة في تصرف أبيها المخالف لمبدأ الشورى؟ ولماذا حثت عمر بن الخطاب على ترك مبدأ الشورى واللجوء إلى النص والتعيين (لا تدع أمة محمد بلا راع!! استخلف عليهم!!)؟! ولماذا أبدت خوفها وانزعاجها من مبدأ الشورى (لا تدعهم بعدك هملاً!! فإني أخشى عليهم الفتنة!!)؟!

---

(١) الإمامة والسياسية: ابن قتيبة، ج١ ص٤٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٥ ص٣٤، وانظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص٤٥٩، العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص٩٧.

على كل حال، فقد أفصح عمر بن الخطاب عن تبنِّيه مبدأ النص والتعيين، لكن ليس لأصحابه الحقيقين، وإنما لأشخاص آخرين. فقد حدَّد أربعة من أصحابه لهذا المنصب، وهم: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وسالم مولى أبي حذيفة. فقد رأى أن يعهد بالخلافة لأحد هؤلاء الأربعة لو كانوا أحياء، خلافاً لمبدأ الشورى. ولم يعترض عليه أحد من أتباعه رغم مخالفته الصريحة لمبدأ الشورى.

أما قوله: (إذا قدمت على ربي فسألني وقال لي: من وليت على أمة محمد)؟! فإن كان الأمر شورى، فلن يسأله هذا السؤال. وإنما سيوجه إليه هذا السؤال: لماذا وليَّت على أمة محمد ﷺ هذا أو ذك خلافاً لمبدأ الشورى؟

وإن كان الأمر بالنص والتعيين، فلن يوجّه له ذلك السؤال، وإنما سيوجه إليه هذين السؤالين: لما ولَّيت على أمة محمد ﷺ هذا أو ذاك وهم ليسوا من الأئمة المنصوص عليهم بالإمامة؟ ومن الذي اعطاك ذلك الحق في حرمان هذا من الخلافة وتنصيب ذاك محله؟ فهل يستطيع أن يرِّر أكاذيبه في محكمة العدل الإلهي؟!

والعجيب في الأمر الذي يحز في النفس أن الأربعة الذين أراد عمر بن الخطاب أن يعهد إليهم بالخلافة دون أصحابها الحقيقيين، وهم: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وسالم مولى أبي حذيفة. ليسوا ضمن قائمة الأئمة الإثني عشر الذين عيَّنهم رسول الله ﷺ كما يقول بذلك شيعة أهل البيت. كما أنهم ليسوا ضمن قائمة الخلفاء الإثني عشر الذين حدد عددهم رسول الله ﷺ، وقال: إنهم كلهم من قريش، كما يروي ذلك علماء خط السقيفة، ولم يتطرق أحد إلى الإشارة إليهم في أي قائمة من القوائم المختلفة والمشوَّشة والغامضة التي اعتمد في إعدادها على الرجم بالغيب[1].

كما إن اثنين من الأربعة ليسا من قريش، وهما: معاذ بن جبل، وسالم مولى

---

(١) راجع صحيح مسلم ج٤ ص١٠٠ ـ ١٠١، صحيح البخاري ج٩ ص١٠١، المسند: أحمد بن حنبل، ج٥ ص٨٦، معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري ج١ ص ٣٣٣ ـ ٣٤١، الصواعق المحرقة: ص٢٠، ٢١.

أبي حذيفة. فالأول أنصاري من قبيلة الخزرج، والثاني من أهل فارس من منطقة اصخر[1]. فكيف أحبَ عمر بن الخطاب أن يعهد لهما بالخلافة وهما ليسا من قريش؟! وذلك على ضوء الأحاديث النبوية التي رويت في عدد الخلفاء، والقبيلة التي ينتسبون إليها[2]. فلماذا عاش عمر بن الخطاب الغربة والضياع والضلال والتناقض؟!

أما قوله في أبي عبيدة بن الجراح، إنه سمع النبي ﷺ يقول: لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. ألم يسمع النبي ﷺ يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي؟[3]. فأيهما أحق بالخلافة؟

وأما قوله في معاذ بن جبل، إنه سمع النبي ﷺ يقول: إن معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة. ألم يسمع النبي ﷺ يقول في حق أمير المؤمنين عليه السلام أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت باب المدينة[4]. فأيهما أحق بالخلافة؟

وأما قوله في خالد بن الوليد، إنه سمع النبي ﷺ يقول: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين. ألم يسمع قول جبرائيل في غزوة أحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ. فبينما كان يدافع أمير المؤمنين عليه السلام عن نبي الرحمة ﷺ بسيفة ذي الفقار، كان خالد بن الوليد يقاتل المسلمين في ذلك الوقت، وكان همه قتل نبيّ الرحمة ﷺ حاملاً راية الشرك والوثنية، حين التف من وراء المسلمين وصعد الجبل وانحدر عليهم وأوقع بهم، ولم يتجرأ أن يبرز لأمير المؤمنين عليه السلام، وقد رآه بأم عينيه ولم يكن معه إلا نفرٌ قليل. فأيهما أحق بالخلافة؟ الذي دافع بسيفه عن الإسلام ونبي الرحمة ﷺ، أم الذي حارب بسيفه الإسلام

---

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، ج٥ ص٢٠٤ (رقم الترجمة: ٤٩٥٣)، ج٢ ص٣٦٦ (رقم الترجمة: ١٨٩٢).

(٢) انظر: معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري ج١ ص٣٣٣ ـ ٣٤١، الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي، ص٢٠ ـ ٢١، البداية والنهاية: ابن كثير ج٦ ص٢٤٨ ـ ٢٥١.

(٣) صحيح مسلم، ج٥ ص٢٢ (رقم الحديث: ٢٤٠٤).

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص٤٦٤ ـ ٤٨٠.

ونبي الرحمة ﷺ؟! ما هذا الهراء يا عمر بن الخطاب؟! وعلى من تريد أن تبيع سفاسفك؟!

وأما قوله في سالم مولى أبي حذيفة، إنه سمع النبي ﷺ يقول: إن سالماً شديد الحب لله. ألم يسمع ـ بعد رجوعه من الهزيمة في خيبر يجبِّن أصحابه، ويجبِّنه أصحابه ـ رسول الله ﷺ يقول: لأعطينَّ هذه الراية غداً لرجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله[1]. فأيهما أحق بالخلافة؟

فقد رأينا أن عمر بن الخطاب يتبنَّى مبدأ النص والتعيين، لا مبدأ الشورى الذي يرفضه تماماً، وإنما لجأ إلى النص والتعيين الجماعي كحل بديل عن النص والتعيين للفرد الواحد. ومع ذلك فقد أحكم الخطة بحيث تؤدي في النهاية إلى استخلاف عثمان بن عفان، وأدخل معه الخمسة الآخرين من أجل تمرير خلافته بصورة شورى مقنَّعة ترضي الجميع[2].

وقد اختار عمر بن الخطاب ستة رجال، على أن يختار المسلمون أحدهم، وهم: الإمام علي عليه السلام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة والزبير. وقد قتل أحدهم وهو عثمان بن عفان، ومات آخر في زمن عثمان وهو عبد الرحمن بن عوف. فلم يبق من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب إلا أربعة. وبعد مقتل عثمان بن عفان بايع المسلمون وفي مقدمتهم الصحابة من المهاجرين والأنصار أمير المؤمنين عليه السلام، وهو أحد الأربعة المتبقين من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب. ورفض سعد بن أبي وقاص أن يبايعه، وطلب منه أن يعطيه سيفاً له لسان يفرِّق بين المؤمن والكافر!! وبايعه طلحة والزبير على أن يكونا شريكيه في الخلافة، فرفض أمير المؤمنين عليه السلام هذا الشرط، فخرجا فيما بعد إلى مكة، وقد نكثا البيعة التي في عنقيهما، وقادا جيش الناكثين لمحاربة إمامهما أمير المؤمنين عليه السلام.

فماذا تقصد عائشة بقولها: (ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!)؟!

---

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص١٧١، صحيح مسلم ج٥ ص٢٤ ـ ٢٥، (رقم الحديث: ٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٧)، الفصول المائة: السيد أصغر ناظم زادة ج١ ص٣٩٩ ـ ٤١٦.

(٢) انظر: معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري ج١ ص١٣٦ ـ ١٣٨.

فمن غير المعقول أن تدعو إلى خلافة سعد بن أبي وقاص، وهو من ضمن الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب. فهو لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام واشترط عليه ذلك الشرط الغريب، وجلس في بيته منعزلاً عن أمور المسلمين. فلا يمكن لعائشة أن تدعو لخلافة رجل هذا حاله. أضف إلى ذلك، فلا يمكن لعائشة أن تؤلِّب الناس، وتدوس على القيم الإسلامية، وتزدري الأحاديث النبوية، وتقود جيش ضلالة وتعرِّض نفسها للخطر من أجل أن تعطي الخلافة على طبق من ذهب إلى رجل منعزل عن الناس قابع في بيته، لم يضرب أمامها بسيف، ولم يطعن معها برمح. فالدعوة إلى خلافة سعد بن أبي وقاص ـ رغم أنه من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب ـ غير واردة في ذهنها البتة.

فلم يبق من الرهط الستة ـ بعد استثناء سعد بن أبي وقاص ـ إلا ثلاثة، وهم: أمير المؤمنين عليه السلام، وطلحة، والزبير، فإلى أي منهم كانت تدعو عائشة إلى اختياره خليفة عن طريق الشورى؟

فمن غير المعقول أنها تدعو الناس إلى خلافة أمير المؤمنين عن طريق الشورى. فأمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة الشرعي، وقد اختاره الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبايعوه بيعة عامة، فدعوتها إلى مبايعته على الخلافة لا معنى ولا طعم لها. وقيادتها جيش الناكثين لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام أكبر دليل على أنها لا تدعو إلى خلافته، بل إلى نقض بيعته ونسفها تماماً. ولا يوجد مسلم عاقل على وجه الأرض يتصور أنها تدعو الناس إلى أن يبايعوا أمير المؤمنين بالخلافة رغم أنه أحد الرجال المتبقين من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب!! حسب زعمها الفاسد.

أضف إلى ذلك، إنها لما سمعت خبر بيعة الصحابة لأمير المؤمنين ـ وهي في الطريق من مكة إلى المدينة ـ جنَّ جنونها، وقالت: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمَّ هذا!! ويحك!! انظر ما تقول!!...)[1]. فهذا التصرف الشاذ منها دليل على أنها لا ترغب في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام البتة، وأنها لا تتحمل خبر سماع وقوعها، فكيف تدعو الناس إليها؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥.

أضف إلى ذلك، فإنها قد رجعت إلى مكة بعد خروجها منها حين سمعت ببيعة الصحابة لأمير المؤمنين، فأعلنت هناك: (ما لعليّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعليّ فيها سلطان!!)[1]. فالمرأة التي صرخت بهذا الضجيج والعجيج لا يمكن أن تدعو الناس إلى خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، بل تدعو إلى نقض بيعته!!

لما نصحت أم المؤمنين أم سلمة عائشة، ردَّت عليها عائشة وقالت: (وأما عليّ فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس!! فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض!!)[2].

فالمرأة التي تقف من أمير المؤمنين عليه السلام ومن خلافته هذا الموقف الصارم المخالف لأحكام القرآن الكريم، وسنة النبي الأمين صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تدعو إلى خلافته وإمامته عليه السلام وإن كان من أكفأ الرجال الباقين من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب. فقد هددته بضرب وجهه بالسيف إن لم يترك الخلافة!! فكيف تدعو الناس إلى خلافته؟!

فلما استبعدت عائشة أمير المؤمنين عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، لم يبق منهم إلا اثنان. وهما: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام. فإلى أي منهما تدعو الناس إلى اختياره عن طريق الشورى؟!

استخدم رؤوس الناكثين: طلحة والزبير وعائشة أساليب مختلفة في الدعوة الى الخلافة. فلما سألهم أبو الأسود الدؤلي: (فيما قدمتم؟ قالوا: نطلب بدم عثمان!! وأن نجعل الأمر شورى!!)[3]. فقد جعلوا القضية مطلقة، ولم يحددوا شخصاً بعينه.

وذكر البلاذري: (قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها إلى الخروج، فقالت: أتأمراني أن أقاتل؟ فقالا لا، ولكن تعلمين الناس أن عثمان قُتل مظلوماً!! وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين!! فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب!! وتصلحين بينهم!!)[4].

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٦٦.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ٢٣٨.

(٣) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٥. نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٠٥.

(٤) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٣. نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٠٣.

فقد أدخل طلحة والزبير فكرة الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب في عقل عائشة، فآمنت بالفكرة وتبنَّتها، وقد كان طلحة والزبير يجرَّان النار إلى قرصيهما. ويخططان إلى نيل الخلافة ضمن أربعة أشخاص، وهم الرجال الباقون على قيد الحياة من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، دون أن يسندا فكرتهما إلى دليل شرعي معتبر.

ولما آمنت عائشة بالفكرة المغَّاطية التي طرحها طلحة والزبير، خطبت عند وصولها إلى البصرة وقالت: (ألا أن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!)[1]. وهذه الفكرة مغَّاطية تعطي فرصة الخلافة إلى أربعة أشخاص، وهم الرجال الباقون على قيد الحياة من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، لكنها تحصر الأمر ضمناً وفي خبث عجيب في شخصين فقط، وهما طلحة والزبير.

وقال طلحة لأمير المؤمنين عليه السلام: (كنا في الشورى ستة!! فمات اثنان، وقد كرهناك!! ونحن ثلاثة!!)[2]. فقد أخرج أمير المؤمنين عليه السلام من الأربعة، وحصر استحقاق الخلافة في ثلاثة رجال فقط من الرجال الباقين من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، وهم: هو نفسه وصاحبه الزبير، وسعد بن أبي وقاص. دون أن يرتكز على مستند شرعي في إلغاء خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وحرمانه من الخلافة، إلا مستنده الهزيل المتمثل في (وقد كرهناك!! ونحن ثلاثة!!). بهذه المبرّرات الواهية، ينقضون البيعة التي في أعناقهم، ويستبدلونها بالميتة الجاهلية التي تخلدهم في النار، وبئس القرار. ومع ذلك، لم يف لصاحبه سعد بن أبي وقاص، وإنما سيخرجه من دائرة الخلافة كما يخرج الشعرة من العجين.

وقال طلحة للشريف البصري الذي أحضر له كتابه الذي كتبه في التأليب على عثمان: (بايعنا على قتال عليّ!! ونقض بيعته!!)[3]. مما يدل على إخراجه أمير

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٦، الإمامة والسياسة: ابن قتيبةو ج١ ص٨٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبةو ج١ ص٩٥.

(٣) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٨.

المؤمنين من قائمة الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب. ولم يكتف بإخراجه من أولئك الرهط وحرمانه من الخلافة، بل حثّ الآخرين على قتاله ونقض بيعته لكي يصفو الجو له ولصاحبه الزبير. وما رفع شعار جعل (الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)، إلا تغطية لتآمره مع صاحبه الزبير في الإستيلاء على منصب الخلافة، وجعله حكراً عليهما لا يشاركهما فيه أحد.

ولما خلا سعيد بن العاص بطلحة والزبير في (ذات عرق) وهم متجهون إلى البصرة، وسألهما: (إن ظفرتما، لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني! قالا: لأحدنا أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوه لولد عثمان!! فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!! قالا: ندع شيوخ المهاجرين!! ونجعلها لأبنائهم؟! قال: أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف!!)[1].

فقد أخرج طلحة والزبير صاحبيهما: أمير المؤمنين عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، من قائمة الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، واحتكرا منصب الخلافة لنفسيهما، واعلنا صراحة نقض بيعتهما لإمامهما أمير المؤمنين عليه السلام، وانسلخا من الدين بإرادتهما، كما تنسلخ الحية من جلدها، واشتريا الموتة الجاهلية بإرادتهما دون أن يكرههما أحد. وحين يظفران في حرب الجمل المشؤومة يجعلان أمر الخلافة لأحدهما دليل على نقضهما البيعة وعدم اعترافهما بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام الذي بايعه الصحابة من المهاجرين والأنصار. وقد جيَّشا جيش الناكثين من الطلقاء والطّغام لقتله وانتزاع منصب الخلافة منه ليحتكراه، ويورثاه لذريَّتهما.

لقد اتضح من تآمر طلحة والزبير أنهما يخططان من حربهما المشؤومة في الاستيلاء على منصب الخلافة، لكن ما موقف عائشة؟ وإلى أيهما تميل؟

وروى المدائني وأبو مخنف: (لما قُتل عثمان، كانت عائشة بمكة، وبلغ قتله إليها وهي «بشراف» فلم تشك في ان طلحة هو صاحب الأمر!! وقالت: بعداً

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص١٦٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢.

لنعثل وسحقاً!! إيه ذا الإصبع!! إيه أبا شبل!! إيه يا بن عم، لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له!! حثو الإبل ودعدعوها!!)[1].

فقد رأينا عائشة تؤيد خلافة طلحة في هذا الخبر، وأظهرت سرورها الذي لم تستطع أن تخفيه، وتغنَّت بإصبعه المقطوعة التي جلبت له الكبر والزهو.

(وروي من طرق أخرى، أنها قالت: ـ لما بلغها قتله ـ أبعده الله!! قتله ذنبه!! وأقاده الله بعمله!! يا معشر قريش، لا يسومنكم قتل عثمان، كما سام أحمر ثمود قومه. إن أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع!! فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام، قالت: تعسوا تعسوا!! لا يردون الأمر في تيم أبداً!!)[2].

فقد اعترفت في هذا الخبر بأحقية طلحة في الخلافة من الناس جميعهم دون استثناء. ورأت التعاسة كل التعاسة في بيعة المسلمين لأمير المؤمنين عليه السلام!! وتجاهلهم لطلحة التيمي، مما فوَّت الفرصة الذهبية في الخلافة لقبيلة «تيم» إلى الأبد. فجنَّ جنونها، وقادت جيش الناكثين ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام لعلها تعيد أمجاد الخلافة لقبيلتها «تيم» برئاسة ابن عمها آنذاك طلحة بن عبيد الله التيمي. لكن الله خيَّب ظنها، وذهبت أحلامها وأمانيها أدراج الرياح. وبقت تحمل أوزار تلك الحرب على ظهرها إلى يوم القيامة، حين يقف معها أولئك الأبرياء الذين سفكت دماءهم على صعيد واحد في محكمة العدل الإلهي. وهناك لن ينفعها ذو الإصبع المقطوعة الذي أمرت لأجله بحث الإبل ودعدعتها.

وقالت عائشة في الطريق أثناء رجوعها إلى مكة: (ما كنت أظن أن الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم أحد!! قلت: فإن كان بالبلاء فصاحبه الذي بويع أشدّ بلاءً وعناءً[3]. لم تفق من صدمتها بعد، ولم يقو عقلها أن يصدق تجاهل المسلمين لطلحة على مبايعته بالخلافة، مستندة في ذلك على دليل أوهن من بيت العنكبوت. وهو بلاؤه في معركة أحد حيث قُطعت إصبعٌ من أصابعه، ناسية دور

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٢١٥، أنظر: أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢١٧. نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص٩٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٢١٦.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحرب، وموقفه البطولي الذي أشاد به جبرائيل بقوله: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ. متجاهلاً دور طلحة في ذلك.

ولما استقر بها المقام في مكة. (جاءها الزبير فسلَّم عليها، فقالت له: يا أبا عبد الله، شركت في دم عثمان!! ثم بايعت علياً!! وأنت والله أحق منه بالأمر؟!)[1]. فقد أقسمت بالله العظيم على أن الزبير أولى من أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة!! وقد صدقها المسكين ناسياً موقفه بعد أحداث السقيفة.

ذكر ابن أبي الحديد: (ذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حضير، وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب!! فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعليّ ومعهما بنو هاشم)[2].

كان الزبير يرى بعد أحداث السقيفة أن أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالخلافة من أبي بكر ومن جميع المسلمين، لكن لما نفخت عائشة في أذنيه نفختها السحرية (أنت والله أحق منه بالأمر!!)، وضحك عليه معاوية ببيعة أهل الشام بالخلافة الوهمية له، نشط في محاربة إمامه أمير المؤمنين ونقض بيعته، وادَّعى بأنه أولى بالخلافة منه.

فقد حزمت عائشة أمرها، وقرَّرت أن تمنح منصب الخلافة إلى أحد الرجلين: طلحة أو الزبير، أو كليهما، رغم وجود الخليفة الشرعي الذي وجبت بيعته في عنقيهما، جاعلة القرآن وراء ظهرها، متجاهلة سنَّة نبيّها. لا يهمها من يتقدم منهما الآخر ما دامت راضية عنهما. فقد هامت في حبّهما وذاب قلبها في نكثهما البائس.

فطلحة بن عبيد الله، ابن عمها، ومن قبيلتها «تيم»، فإذا نال الخلافة رفع أمجاد قبيلتها، وأرغم أنف عدوها أمير المؤمنين الذي قالت فيه (ولكنه رجل يحب الإمرة، والله لا نجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى يوم القيامة!!)[3].

---

(١) المرجع السابق: ص٢٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص١١.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٢٨.

والزبير ختنها، فهو زوج أختها أسماء، وهو ليس من بني هاشم، وإن كانت أمه هاشمية، وهي صفية بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ وعمة أمير المؤمنين عليه السلام. وما دام الرجل من أبرز قوّاد جيشها، وساعدها الأيمن فلا مانع لديها أن يتولى الخلافة، لأنه إذا نال الخلافة أرغم أنف ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام وأبطل خلافته، وزيَّف حجج بني هاشم. وهذا ما تريده وتصبو إليه، إذ تضرب عصفورين من أسرة واحدة بحجر تيميّ واحد. فبؤساً لهدفها البائس وما تصبو إليه.

فقول عائشة: (اجعلو الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) ما هو إلا تمرير موضوع تولي طلحة أو الزبير مقاليد الأمور بصورة مرضية، وبألفاظ برَّاقة تستهوي النفوس، وتسحر القلوب. وإلا ما علاقة الرهط الذين اختارهم عمر بالخلافة إذا استثنينا منهم أمير المؤمنين؟! وما المستند الشرعي لتولي هؤلاء الجماعة منصب الخلافة دون غيرهم؟! ولماذا تترك عائشة سنَّة رسول الله ﷺ وتتمسلك بمقترحات عمر بن الخطاب؟! ولماذا حشرت اسم عمر بن الخطاب في هذا الموضوع الحسَّاس؟ولماذا حشر طلحة والزبير اسم عمر بن الخطاب في الرسالتين اللتين كتباها إلى كعب بن سور سيد أهل اليمن في البصرة، والأحنف بن قيس سيد مضر؟! فما هدفهم حين يتاجرون باسم عمر بن الخطاب؟!

فإن كانت الخلافة بالنص، فلا معنى لحصرها في الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، لأنها بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ذي ضلالة في النار. وإن كانت الخلافة بالشورى، فهي من حق جميع المسلمين، ومن ضمنهم أمير المؤمنين عليه السلام وغيره، فحصرها في الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب إجحاف للآخرين، وخلاف لمبدأ الشورى.

أضف إلى ذلك، من أعطى عائشة حق تقرير مصير الخلافة؟ فلماذا تحشر نفسها في موضوع ليست أهلاً له، ولا تملك فيه ذرة من التصرف؟! ومن قال أن أمر الخلافة بيد النساء يضعنه في يد هذا أو ذاك؟! لقد وصلت الأمور بعائشة إلى هذه الدرجة من الإسفاف والإستخفاف بعقول المسلمين. فقد رفضت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام رفضاً لم يرفضه أحد من المسلمين، فكيف يحق لها أن تعقد أمر الخلافة التي رفضتها لهذا أو ذلك من المتمردين الناكثين؟! والغريب في الأمر،

أنها تريد أن تلغي خلافة الإمام الشرعي، وتقدّمها على طبق من ذهب إلى ناكثين متمردين من قوّاد جيشها جيش البغي والضلال. والغريب في الأمر أيضاً، أنها استندت في استحقاق طلحة والزبير لمنصب الخلافة ـ رغم وجود الخليفة الشرعي على قيد الحياة ـ على اختيارهما من قبل عمر بن الخطاب ضمن الرهط الذين اختارهم للشورى. ذاهلة عن رأيه فيهما.

فقد قال لهما: (وما يمنعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا، كافر الغضب. وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكبره!! ولو وليها وضع خاتمه في إصبع امرأته!!)[1]. هذا هو رأي عمر بن الخطاب في طلحة والزبير اللذين اختارهما للخلافة ضمن الرهط. فقد عصبت عائشة رأسها برجلين، أحدهما مؤمن الرضا، كافر الغضب. والآخر صاحب غطرسة وتكبر وتجبّر. فما رأيك عزيزي القاريء في تصرّف عائشة؟!

وتأمل في شرطها الغريب: (ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!). فقد اشترطت هذا الشرط الغريب كي تحول بين أمير المؤمنين عليه السلام والخلافة، لأنها تتهمه بقتل عثمان، ودون إثبات ذلك خرط القتاد. ولما قُتل عثمان بن عفان، كانت في مكة، فمن أين عرفت أن أمير المؤمنين عليه السلام اشترك في قتله أم لا؟!

فهي تعلم قبل غيرها أنها كاذبة في هذا الإتهام الرخيص، وكل من كان له معرفة بظروف قتل عثمان يعلم علم اليقين أنها كاذبة في اتهامها أمير المؤمنين بالاشتراك في قتل عثمان. وقد بيّنا في الباب الثاني الأطراف التي شاركت في قتل عثمان، وكان لها نصيب الأسد في ذلك، كما أن لطلحة والزبير النصيب الأوفى في ذلك أيضاً. وباتهامها هذا، فقد برّأت المتهم، واتهمت البريء. فالويل لها عند الحساب يوم القيامة.

أضف إلى ذلك، فإنها لما اشترطت شرطها الغريب (لا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان!!). أوقعت نفسها في إشكال. لأن طلحة والزبير من الذين اشتركوا في دم عثمان، بل كان لهما النصيب الأوفى. وإذا استبعدتهما من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب لاشتراكهما في دم عثمان، لم يبق من الرهط إلا أمير

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٤٣.

المؤمنين عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص. وموقفها من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام واضح كوضوح الشمس، وقد وثقنا ذلك الموقف، ولم تجيِّش جيش الضلالة إلا للقضاء عليه وعلى خلافته التي لن تقبلها إلى يوم القيامة. وقد لفظت أنفاسها دون أن تقبلها.

وأما موقفها من سعد بن أبي وقاص الباقي من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، فلم نسمع من لسانها كلمة تشير إلى استحقاقه لمنصب الخلافة، وقد اشترط على إمامه ذلك الشرط الغريب في البيعة، الذي لم يسبقه إليه الأولون، ولن يقتدي به الآخرون. ولم يخفّ معها كما خفَّ طلحة والزبير، ولم يضرب معها بسيف، ولم يطعن معها برمح، ولم يتبرك بمسك زمام جملها (عسكر). كما أنها لم تستدعه ولم ترسل إليه أي رسالة تدعوه فيها لنصرتها كما أرسلت إلى غيره فرادى وجماعات. بل ظلَّ منعزلاً في بيته بالمدينة لا علاقة له بعائشة، ولا علاقة لها به. فمن غير المعقول أن تدعو الناس إلى خلافته وتحرم قائديها الكبيرين طلحة والزبير من تلك الخلافة وقد وطَّنا نفسيهما على ذات الشوكة وميتة السوء.

وإذا لم تقصد واحداً بعينه من هؤلاء الأربعة الباقين من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، فإلى من تدعو إذن؟ فكل الدلائل تشير إلى أنها تدعو إلى خلافة طلحة والزبير، أحدهما قبل الآخر كما صرَّحت بذلك بألفاظ لا تقبل التأويل، وقد وثقنا تلك الأقوال، وما قولها (اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) إلا تمرير لاستيلاء طلحة والزبير على مقاليد الأمور، وتغطية لمخططها الرامي إلى تولية طلحة والزبير على رقاب المسلمين، مع العلم بأنهما من أبرز رؤوس الناكثين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام والمسلمين بقتالهم. كما أن طلحة والزبير قد صرَّحا بوضوح بحصر أمر الخلافة فيهما فقط.

وقد أوقعت عائشة نفسها في إشكال لا تستطيع الخلاص منه، فهي من جانب تأمر أن لا يدخل أحد من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب في الشورى لمنصب الخلافة إذا كان مشتركاً في دم عثمان، ومن جانب آخر تدعو الناس إلى تنصيب طلحة والزبير إلى منصب الخلافة عن طريق الشورى لأنهما من الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب، مع العلم أنهما ممن شاركوا في دم عثمان، بل كان لهما الدور القيادي فيه.

لكن عائشة لم تعط أهمية لهذا الإشكال. فخروجها كقائدة لهذا الجيش الناكث مثقل بالإشكالات الكثيرة من بدايته إلى نهايته، ولم تعط أهمية لتلك الإشكالات الكثيرة في خروجها وتمردها على إمامها وعصيانها لأوامر ربِّها واستخفافها بنصائح نبيّها. فكيف تعطي أهمية لإشكال تولي طلحة والزبير منصب الخلافة رغم اشتراكهما في دم عثمان؟! فقد أضحت مجمع التناقضات الغريبة والشاذة.

لما خطب طلحة والزبير وعائشة في أهالي البصرة، كانت خطبهم الشرارة التي أشعلت معركة الجمل الأصغر، فاتفعت أصوات أهالي البصرة، وكثر اللغط بينهم، حتى تضاربوا بالنعال، وتراموا بالحصى. وانقسموا إلى فريقين: فريق مع عثمان بن حنيف، الوالي الشرعي للإمام الشرعي. وفريق مع عائشة وأصحابها الناكثين المتمردين على إمامهم الشرعي. فقد شقّ طلحة والزبير وعائشة عصا المسلمين عن عمد وسبق إصرار، كما ألّبوا قسما من أهالي البصرة على التمرد على إمامهم الشرعي أمير المؤمنين. فالجريمة مزدوجة، والإثم مضاعف، مما أدَّى بهم إلى أن يحملوا أوزارهم وأوزار من تبعهم من أصحاب النفوس المريضة الذين يميلون مع كل ناعق.

عن أبي الخليل قال: لما نزل طلحة والزبير المربد، أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما: ناشدتكما الله وصحبة رسول الله ﷺ!! ما الذي أقدمكما أرضنا هذه؟! فلم يتكلما!! فأعدت عليهما، فقالا: بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها!!)[1].

فقد كان هدفهم السلب والنهب في الجانب المتعلق بأهل البصرة. أما هدفهم تجاه أمير المؤمنين عليه السلام فهو القضاء عليه والإستيلاء على منصب الخلافة. وقد صرَّحت عائشة بهذا الهدف بكل وضوح: (. . .وأما عليّ فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس!! فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف!! حتى يقضي الله ما هو قاض!!)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٦.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٣٨.

فقد اعترفوا على أنفسهم بأنهم مجموعة من قطاع الطرق جاؤوا للسلب والنهب، لكن بجَّبة إسلامية وعمامة الصحابة العدول. فلا ضير على سلبهم ونهبهم. وقد صرَّحوا بهذا الهدف بكل وضوح أثناء اجتماعهم في مكة للتخطيط والتآمر (. . . وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة، وأخرجنا عامله منها، وقتلنا شيعته بها!! واتسعنا بالأموال منها!! كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب!!)[1]. فما حجة من يدافعون عن هذه العصابة من قطَّاع الطرق الذين بيَّنوا النيَّة في سلب ونهب بيت مال المسلمين في البصرة؟ فالذي يدافع عن اللصوص لا يمت إلى الإسلام وقيمه الفاضلة بصلة.

وروى محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس أنه لقيهما، فقالا له مثل مقالتهما الأولى: إنما جئنا لطلب الدنيا!![2]. فهناك أكثر من مصدر يؤكد لصوصيتهما، وانهما من أتباع الدنيا لا من أتباع الدين. وقد تبخَّرت مباديء الإصلاح الذي طالما تشدَّقوا به في بداية حركة تمرّدهم، وأعلنوا عن هدفهم الحقيقي الذي جاؤوا من أجله إلى البصرة. ألا يخجل أتباع السقيفة حين يدافعون عنهما وعن لصوصيَّتهما؟!

ذكر الطبري: (جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة، فقال: نشدتكما بالله في مسيركما، اعهد إليكما فيه رسول الله ﷺ شيئاً؟ فقام طلحة ولم يجبه!! فناشد الزبير، فقال: لا، ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها!!)[3]. لقد اعترف أحد قادة الناكثين باللصوصية والسلب والنهب.

لما أراد ذلك الرجل البصري أن يعرف المستند الشرعي في مسير الناكثين إلى البصرة، وتمردهم على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام، ورفع راية العصيان، وجَّه سؤاله لطلحة والزبير، لعله يعرف منهما حقيقة الأمر. فالتزم طلحة بالصمت المخجل وغادر المسجد دون أن ينبس بكلمة يبين فيها مشروعية سيرهم وتمردهم (فقام طلحة ولم يجبه!!). ولما ناشد الزبير مرة ثانية أجابه بكل وضوح بكلمة:

---

(١) المرجع السابق: ص٢٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٧.

(٣) تاريخ الطبري، ج٥ ص١٨٣، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(لا). أي لا يوجد عندهم عهد من رسول الله ﷺ في هذا المسير والتمرد. أي أن مسيرهم إلى البصرة، وتمردهم على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام يفتقد إلى الشرعية.

وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته حين سمع بمسير الناكثين إلى البصرة. (... والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولاتحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة!!)[1].

فطلحة يتهرب من السؤال ويلوذ بالصمت المخجل، ولو كان عنده المستند الشرعي على مسيره وتمرده لصدع به، والزبير ينفي أن يكون لديهم عهد من رسول الله ﷺ في مسيرهم وتمردهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله العظيم بأن رؤوس الناكثين ـ في مسيرهم وتمردهم ـ كانوا في معصية الله وسخطه حتى يرد الرؤوس والأتباع موارد الهلكة.

فأي عذر يبقى للذين ما زالوا يدافعون عن مسيرهم وتمردهم غير الشرعيين؟! ولماذا يدافعون عن الناكثين الذين قاتلوا وانقتلوا في معصية الله وسخطه؟! ولماذا يدافعون عن رؤوس الناكثين الذين أوردوا أنفسهم ومن معهم موارد الهلكة؟!

وتأمل في ردّ الزبير (ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها!!). ما أصلف هذا الردّ. فقد أمست أهداف الناكثين أُضحوكة يتنادر بها السمَّار في مجالسهم. وغدوا مضرب المثل للصوص الذين يسرقون أموال الآخرين بطريقة دبلوماسية. لابسين العباءة الدينية، ومعتمين بعمامة الصحابة المبشرين بالجنة. فقد كان طلحة والزبير من الأثرياء وأصحاب البذخ، وقدِّرت ثرواتهما بالملايين من الأموال السائلة، عدا الأموال غير المنقولة. فلماذا يطلبان أن يشاركا أهل البصرة دراهمهم؟! ومن الذي أعطاهما حق المشاركة؟ وعلى أي مستند شرعي اعتمدا في هدفهما الذي هو من أهداف اللصوص وقطاع الطرق؟

فهدف الناكثين هدف غريب، وأغرب منه مواقف الذين يدافعون عن تلك الأهداف الغريبة، التي ترسخ شرعية اللصوصية عند الناكثين.

(وروى قاضي القضاة رحمه الله في كتاب «المغني» عن وهب بن جرير. قال:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٣٣٣. نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٠٨.

قال رجل من أهل البصرة لطلحة والزبير: إن لكما فضلاً وصحبة، فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما، أشيء أمركما به رسول الله ﷺ، أم رأي رأيتماه؟! فأما طلحة فسكت وجعل ينكت الأرض!! وأما الزبير، فقال: ويحك!! حُدِّثنا أن هاهنا دراهم كثيرة!! فجئنا لنأخذ منها!!

وجعل قاضي القضاة هذا الخبر حجة في أن طلحة تاب!! وأن الزبير لم يكن مصراً على الحرب!! والإحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف، وإن صحَّ هو وما قبله، إنه لدليل على حمق شديد، وضعف عظيم، ونقص ظاهر. وليت شعري ما الذي أحوجهما إلى هذا القول!! وإذا كان هذا في أنفسهما، فهلَّا كتماه؟!)[1].

لقد جيَّش طلحة والزبير جيش الناكثين من أجل الإستيلاء على الدراهم الكثيرة في بيت مال المسلمين في البصرة (حُدِّثنا أن هاهنا دراهم كثيرة!! فجئنا لنأخذ منها!!). فقد أفصحوا عن هدفهم بكل وضوح. كما أن الملكين الموكلين بكل واحد منهما قد سجلا عليهما ذلك الهدف السيء. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. ولن يستطيع زعماء الناكثين أن ينفوا ذلك الهدف من صحيفة أعمالهم.

وقد حرَّم الله سبحانه وتعالى الإعتداء على أموال المسلمين بغير حق، وزعماء الناكثين يعلمون حرمة التعدي على أحكام الله وعدم الإخلال بها، لكنهم لم يقيموا وزناً لتلك الأحكام والحدود، مما يدل على استحقاقهم العذاب المهين في نار جهنم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. لكن زعماء الناكثين رفضوا أن يكونوا من هذه الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. بل أصرُّوا على أن يكونوا من جيش الناكثين الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. وما تصريحهم علانية (حُدِّثنا أن هاهنا دراهم كثيرة، فجئنا لنأخذ منها) إلا دليل على

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٧ ـ ٣١٨.

ذلك. فما حجة من يدافعون عن منكرهم في الإستيلاء على أموال المسلمين التي جعلوها هدفاً يسعون إلى تحقيقه؟!

أما دفاع قاضي القضاة، فهو من التفاهة بحيث لا يستحق الرد. وقد كفانا ابن أبي الحديد مؤونة الردّ عليه.

وذكر الطبري: (وأقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح. إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك!! وأبحت حرمتك!! فإنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، إن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني بالناس!!)[1].

ولم يبخل المسلمون من أصحاب الضمائر الحية على عائشة بالنصح الذي يفيدها في دينها ودنياها، لكنها ما قبلت النصيحة ولا اتعظت بها، إذ دخل الشيطان في منخريها، وسوَّل لها إشعال تلك الحرب المجنونة. فما عذرها يوم القيامة؟

وقال: (فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زبير فحواري رسول الله ﷺ، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ﷺ بيدك، وأرى أمكما معكما!! فهل جئتما بنسائكما؟! قالا: لا. قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل. وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدتم أمّكم ... هذا لعمرك قلة الإنصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالإيجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنَّبل والخطيّ والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبَّر عنهم والكافي[2]

فقد أفحم الغلام السعدي رؤوس الناكثين، فلاذوا بالصمت المخجل لأنهم لا يستطيعون مقارعة حججه المنطقية. فلم يترك المسلمون فرصة إلا اغتنموها في نصح زعماء الناكثين، لكنهم لم يجدوا منهم آذاناً صاغية. وقد أدَّوا واجبهم في النصح.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٦، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٦، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٦.

قال الطبري: (وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة، وكان محمد رجلاً عابداً. فقال: أخبرني عن قتلة عثمان. فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث: ثلث على صاحبة الهودج. يعني عائشة!! وثلث على صاحب الجمل الأحمر، يعني طلحة!! وثلث على علي بن أبي طالب. وضحك الغلام، وقال: لا أراني على ضلال، ولحق بعلي، وقال في ذلك شعراً:

سألت بن طلحة عن هالكٍ ... بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهط هم ... أماتوا ابن عفَّان واستعبِر
فثلث على تلك في خدرها ... وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالبٍ ... ونحن بدوّيَّةٍ قرقر
فقلت: صدقت على الأوَّلين ... وأخطأت في الثالث الأزهر[1]

أما وصف محمد بن طلحة بالرجل العابد فعبوديته لم تنفعه إذا لم تمنعه من أن يكون مع الباطل يحارب إمام زمانه. فلا قيمة لعبوديته حيث حشرته في جيش الناكثين يقاتل تحت راية من اشترك في دم عثمان كما اعترف بذلك. فهو يعترف بأن طلحة أباه وعائشة لهما دور كبير في قتل عثمان بنسبة الثلثين، ومع ذلك يحارب إمام زمانه تحت رايتهما. فأي قيمة لعبوديته التي أوردته موارد الهلكة؟! وأما قوله بأن الثلث الثالث من دم عثمان في رقبة أمير المؤمنين عليه السلام. فهو أشبه بهراء الكذَّاب الذي لا يبالي بما يقول.

هذه مواقف أعيان الناكثين، وهذه نماذج من ردودهم وحججهم. فقد أصرّوا على الحرب من أجل السلب والنهب، ولم تنفع فيهم النصائح.

قال أبو مخنف: (فلما أقبل طلحة والزبير من (المربد) يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدبَّاغين، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف، فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح!! فحمل عليهم حكيم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جيمع السكك، ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها مليّاً حتى ثابت إليهم خيلهم،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٦.

ثم أخذوا على مسنَّاة البصرة، حتى انتهوا إلى الزابوقة، ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها)[1].

فطلحة والزبير وأتباعهم الذين ذهبوا إلى عثمان بن حنيف لقتاله، ولما وجدوه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك مضوا إلى موضع الدبَّاغين واستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجروهم بالرماح حتى استطاع حكيم بن جبلة أن يهزمهم ويخرجهم من جميع السكك. فالذي أنشب القتال هم أصحاب طلحة والزبير، وكان موقف عثمان بن حنيف وأصحابه موقف الدفاع، وهم أصحاب المصر. وأما طلحة والزبير وجيشهما جيش الضلال فقد كانوا من الغزاة جاؤوا من مكة للسلب والنهب وإراقة الدماء، وبث الفساد في البصرة. وكان عثمان بن حنيف وأصحابه منضوين تحت راية إمامهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام. بينما كان طلحة والزبير وأتباعهما متمردين على إمامهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام وناكثين بيعته التي وجبت في أعناقهم. فأضحت هذه الحرب بين جيشين: جيش الهدى، وجيش الضلال وجيش الحق، وجيش الباطل.

فكانت الهزيمة في الجولة الأولى من نصيب الناكثين، فجمعوا فلولهم للجولة الثانية في اليوم الثاني. قال أبو مخنف: (ثم أصبحا من غد فصفَّا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والإسلام!! وأذكرهما بيعتهما علياً عليه السلام، فقالا: نطلب بدم عثمان!! فقال لهما: وما أنتما وذاك!! أين بنوه؟! أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم؟! كلا والله، ولكنكما حسدتماه، حيث اجتمع الناس عليه!! وكنتما ترجوان هذا الأمر، وتعملان له!! وهل كان أحدٌ أشد على عثمان قولاً منكما؟! فشتماه شتماً قبيحاً!! وذكرا أمَّه!! فقال للزبير: أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظل. وأن الأمر بيني وبينك ـ يابن الصعبة ـ يعني طلحة ـ أعظم من القول، لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما. اللهم إني أعذرت إلى هذين الرجلين!! ثم حمل عليهم، واقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٢١٨. نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣٠. وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٧، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٧. الجمل: الشيخ المفيد ص٢٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٩.

فقد استعدَّ طلحة والزبير للحرب في اليوم الثاني، ولم يتعظا بالهزيمة في أول جولة. فخرج إليهما عثمان بن حنيف، فوضعهما أمام مسؤوليتهما الشرعية والقانونية، فناشدهما الله والإسلام في أن يكفَّا عن الحرب، وذكَّرهما ببيعتهما لأمير المؤمنين عليه السلام. لعلهما يوقفان اعتداءتهما، لكنه لم يجد منهما آذاناً صاغية. وإنما قالا: نطلب بدم عثمان. فلا يوجد قتلة عثمان في البصرة حتى يطلبا بدمه!!

لكن عثمان بن حنيف لم ينخدع بسفاسفهما الشيطانية، فقال لهما: وما أنتما والطلب بدم عثمان؟! أين أبناؤه؟ أين أبناء عمه وعشيرته الذين هم أولى به منكم في الطلب بدمه؟ ثم يتهمهما بأنهما حسدا أمير المؤمنين عليه السلام حيث اجتمع الصحابة عليه وبايعوه دونهما، وكان كل واحد منهما يرجو الخلافة لنفسه ويعمل لها وإن سُفكت فيها الدماء البريئة.

ثم ذكَّرهما بدورهما السيِّء في قتل عثمان والتأليب عليه. فكان جوابهما أقبح من فعلهما. فقد شتماه شتماً قبيحاً!! وذكرا أمه بما لا ينبغي!! فما علاقة أم عثمان بن حنيف بالموضوع الذي هم بصدده؟! فهذا الشتم القبيح، وذكر أم عثمان بن حنيف دليل الإفلاس في التقوى والورع. فلو كان لديهما ذرة من التقوى والورع لقارعاه الحجة بالحجة. وهذا الشتم القبيح وذكر أم عثمان بن حنيف ليس بأعظم من نكثهما البيعة وتمردهما على إمامهما وسفكهما الدماء البريئة. فالذي يرتكب تلك المساوىء لا يتورع عن الشتم القبيح وذكر أمهات الآخرين.

وقارن بين موقف عثمان بن حنيف من أمهما وخصوصاً صفية بن عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وآله وأم الزبير، وموقفهما من أم عثمان بن حنيف، تجد الفرق بين التزام المؤمن وفسق المتمرد الناكث وخبث سريرته وشدة زندقته.

قال الشيخ المفيد: (وأصيب يومئذٍ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان بن حنيف وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام سوى من أصيب من سائر الناس!!)[1].

فإذا كان عثمان بن حنيف وأصحابه هم المنتصرون، ومع ذلك فقد أصيب منهم

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٧٩.

(٥٠٠ شيخ مخضوب). فكم أصيب من جيش طلحة والزبير؟! فمن المسؤول عن إراقة الدماء وزهق تلك الأرواح يوم القيامة؟! هل هم الذين جاؤوا من مكة للسلب والنهب ونشر الفساد؟! أم الذين دافعوا عن أنفسهم وممتلكات مصرهم من هجوم الناكثين والمتمردين؟! فهؤلاء الأشخاص الذين سُفكت دماؤهم، وزُهقت أرواحهم ليسوا من قتلة عثمان!! بل سيتعلقون برقبة عائشة وطلحة والزبير يوم القيامة.

وقد أشار البلاذري إلى كثرة الجرحى في صفوف الناكثين: (وتأهبوا للقتال فانتهوا إلى (الزابوقة)، وأصبحوا [كذا] عثمان بن حنيف فزحف إليهم فقاتلهم أشد قتال، فكثرت منهم القتلى وفشت فيهم الجراح!!)[١]. فهؤلاء الناكثون معتدون، ولم يقاتلهم عثمان بن حنيف إلا بعد أن نصحهم وحذَّرهم من مغبة تمردهم كما أمره أمير المؤمنين عليه السلام في الكتاب الذي أرسله إليه، وقد نفَّذ عثمان بن حنيف أوامر إمامه الشرعي فقد قال بالحرف الواحد: (. . . فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقوا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين)[٢].

فالأوامر واضحة، وقد التزم بها عثمان بن حنيف حرفياً ولم يتعدَّ حدودها. فمن يتحمل مسؤولية قتل هؤلاء المغرر بهم (فكثرت منهم القتلى، وفشت فيهم الجراح!!).

فإذا جاء أولئك القتلى للحساب يوم القيامة وتعلقوا برقبة طلحة والزبير، هل يستطيعان التخلص منهم ومن مسؤولية قتلهم تحت رايتهما؟! وإذا أُمر بهم إلى النار، هل يستطيع طلحة والزبير أن يلغيا ذلك الأمر؟! فقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوماً لنسائه، وهنَّ عنده جميعاً: ليت شعري أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب، تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، وكلهم في النار!! وتنجو بعدما كادت!!)[٣].

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١١. انظر: كتاب: السبعة من السلف: السيد مرتضى الفيروز آبادي ص ١٧٣ ـ ١٧٧.

فالحديث صريح في أنهم كلهم في النار!! وقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال في حطبته: (. . . والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه!! حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة!!)[1].

فقد وضّح أمير المؤمنين عليه السلام بأن أولئك القتلى قد قتلوا في معصية الله وسخطه، وقد أوردهم طلحة والزبير وعائشة موارد الهلكة.

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً لطلحة والزبير، جاء فيه: (. . . فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار!! من قبل أن يتجمع العار والنار. والسلام)[2]. فإذا كان مصير طلحة والزبير إلى النار، فكيف يستطيعان تخليص من قُتل من أتباعهما تحت رايتهما (فكثرت القتلى وفشت فيهم الجراح!!)؟!

فطلحة والزبير يتحملان وزرهما ووزر من قتل في جيشهما. فإذا اضفنا إليهما وزر من تسبَّبا في قتله وجرحه من جيش عثمان بن حنيف (٥٠٠ شيخ مخضوب) كان الوزر مضاعفاً. فهل يستطيعان تحمل ذلك الوزر؟!

على كل حال، فبعد أن دخل الطرفان في جولتين من الحرب، اصطلحا على أن يُكتب بينهما كتابُ صلح. فكُتب الكتاب على التالي:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما، أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة، والرحبة، والمسجد، وبيت المال، والمنبر، وأن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة!! ولا يضارّ بعضهم بعضاً في طريق، ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة!! وإن أحبّوا لحق كل قوم بهواهم وما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة!! وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذه على نبيّ من أنبيائه، من عهد وذمة!!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٣٣.

(٢) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٣.

وختم الكتاب، ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل درا الإمارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم)[1].

تحدَّدت بنود الصلح في الأمور الآتية:

أولاً: أن يكون لعثمان بن حنيف ما يلي:

١ ـ دار الإمارة. ٢ ـ الرحبة. ٣ ـ المسجد. ٤ ـ بيت المال. ٥ ـ المنبر. أي أن لعثمان المراكز السياسية والدينية والإقتصادية في البصرة. ومركز إصدار القرار.

ثانياً: أن يكون لطلحة والزبير ومن معهما، أن ينزلوا من مدينة البصرة حيث شاؤوا. أي أن دورهم دور هامشي، ومثلهم مثل الغرباء الذين ينزلون البصرة، فهم ليسوا من سكانها، ووجودهم وجود مؤقت، ولا علاقة لهم بتسيير شؤون المدينة.

ثالثاً: أن لا يحق لكل طرف أن يضرَّ الطرف الآخر في:

الطريق. والفرضة. والسوق. والشرعة. والمرافق العامة. إلى أن يقدم أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة.

رابعاً: لطلحة والزبير وأصحابهما الخيار بالدخول فيما دخلت فيه الأمة، أو اللحوق بقومهم إذا شاؤوا حين يقدم أمير المؤمنين عليه السلام. كما لهم الخيار في القتال أو القبول بالسلم، أو الخروج من البصرة أو الإقامة فيها. وهي بنود منصفة لطلحة والزبير وأتباعهما.

خامساً: على الطرفين أن يفيا ببنود الصلح، وعليهما في ذلك عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه الله على نبيّ من أنبيائه، من عهد وذمة، لتوكيد الإلتزام بتلك البنود.

والشيء الجميل أن عثمان بن حنيف التزم ببنود الصلح ولم يخرق بنداً منها. بل أصدر أوامره لأصحابه قبل أن يجف الحبر الذي كتب به الصلح، أن يلحقوا بأهلهم ويضعوا سلاحهم، ويداووا جرحاهم، كبادرة حسنة للقبول بالصلح والتمسك ببنوده. وذهب إلى دار الإمارة لمباشرة عمله.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١٩. نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣٠ ـ ١٣١، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص١٤٧، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٠، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٨٨.

لكن ما موقف طلحة والزبير وأتباعهما من بنود الصلح، وقد أُعطوا حريَّة الحركة والإستفادة من: الطريق. والفرضة. والسوق والشرعة والمرافق العامة؟!

فقد ذكر البلاذري: (وتناظر طلحة والزبير، فقال طلحة: والله لئن قدم عليّ البصرة ليأخذنَّ بأعناقنا!! فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر!! وواطأ أصحابهما على ذلك!!)[1].

فقد ظهرت بوادر خرق بنود اتفاق الصلح على يد طلحة، وقد عزم هو وصاحبه على الغدر بعثمان بن حنيف وهو لا يشعر، واتفقا مع أصحابهما على إنجاح ذلك الغدر.

وتأمل في قول طلحة: (والله لئن قدم عليّ البصرة ليأخذنَّ بأعناقنا!!). وهو اعتراف بظلمهما وباطلهما. ولو انهما جاءا للإصلاح ولم يقترّفا الظلم لما خافا أن يأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بأعناقهما.

وذكر ابن أبي الحديد: (ثم إن طلحة والزبير قالا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا!! فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب!! فأرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف!! يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان!! وخلع عليّ!! وإخراج ابن حنيف من البصرة!! فبايعهم على ذلك الأزد وضبَّة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة، كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم، فجاءه طلحة والزبير إلى داره، فتوارى عنهما فقالت له أمه: ما رأيت مثلك!! أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما!! فلم تزل به حتى ظهر لهما، وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع، فإنَّ عامتهم كانوا شيعة لعليّ عليه السلام، وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفراً من بني مجاشع ذوي دين وفضل)[2].

لقد بيَّت طلحة والزبير النية على نقض بنود الصلح. ولم يقبلا بكتاب الصلح إلا من أجل الإستعداد بالسلاح والرجال للوثبة على عثمان بن حنيف والغدر به.

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ج٩ ص٣٢٠، نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣١.

والغدر ونقض المواثيق والعهود من خصال الفسَّاق الذين لا يردعهم دين ولا خلق.

فالذي خرج من مكة لطلب الإصلاح بين المسلمين لا يراسل القبائل ويستميل العرب من أهل الغدر ونقض العهود والمواثيق المغلظة. فهم يدعون إلى شيء، وينفذون شيئاً آخر، كالمنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

فقد أرسل طلحة والزبير إلى وجوه الناس، وأهل الرياسة والشرف، لكن لم يرسلا إلى أولئك الوجهاء من أجل إنجاح مهمة الإصلاح الذي طالما تشدَّقا به علانية، وإنما دعواهم إلى أهداف تتعارض مع بنود الصلح بينهما وبين عثمان بن حنيف وهي:

١ ـ الطلب بدم عثمان.

٢ ـ خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة.

٣ ـ إخراج عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة.

بالنسبة للهدف الأول، فلا يحق لهما الطلب بدم عثمان سواء كان قبل الصلح أو بعده. فأبناء عثمان وأهله وعشيرته موجودون، فإذا أرادوا أن يطلبوا بدمه عليهم أن يرفعوا قضيته لإمامهم الشرعي، وهناك تأخذ العدالة مجراها. وأكثر المسلمين يعلمون بأن أمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمة، كما صرَّح بذلك النبي صلى الله عليه وآله لكنَّ أبناء عثمان وعشيرته سكتوا عن المطالبة بدمه، وفضلوا الإنضواء تحت راية هذين الرجلين الناكثين اللذين اتخذا قميص عثمان ستاراً لتحقيق مآربهما في الخلافة. ففضحهما الله سبحانه وتعالى وكشف خيانتهما وزندقتهما.

وأما طلحة والزبير فلا يحق لهما أن يطلبا بدم عثمان لأنهما ليسا من أهله وعشيرته من جانب، وأنهما من أكبر المؤلّبين على عثمان من جانب آخر. فإن أرادا الطلب بدم عثمان، عليهما أن يقيدا أنفسهما أولاً، قبل أن يتهما الآخرين بجريمتهما. وإذا أرادا حقاً أن يطلبا بدم عثمان عليهما أن يسلكا الطرق الشرعية والقانونية لعرض قضيته لا أن يراسلا القبائل العربية، ويرسلا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف للبغي والتمرد وشق عصا المسلمين. فما علاقة القبائل العربية ووجوه الناس وأهل الرياسة والشرف بدم عثمان؟!

وأما ما يخص الهدف الثاني وهو خلع أمير المؤمنين عليه السلام، فلا علاقة له

بموضوع الإصلاح الذي طالما تشدقوا به. فأمير المؤمنين عليه السلام طرف أساسي في موضوع الإصلاح إن كان هدفهما الإصلاح حقاً، فإذا طالبا بخلعه من الخلافة، فمع من يجريان مفاوضات الإصلاح؟! فقد ضحكا على أذقانهما قبل أن يضحكا على أذقان أتباعهما.

فما دعواهما الطلب بدم عثمان ذلك الطلب الغريب إلا ستاراً لتحقيق هدفهما الأساس وهو خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة. وخلع أمير المؤمنين عليه السلام من منصب الخلافة هو بيت القصيد، لكي يتسنى لهما أن يحلا مكانه. وقد صرَّحا بذلك الهدف بكل وضوح عندما سألهما سعيد بن العاص (إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني!! قالا: لأحدنا!! أينا اختاره الناس!!)[1].

لقد بيَّن طلحة والزبير ـ من خلال الدعوة إلى خلع أمير المؤمنين عليه السلام. من منصب الخلافة ـ نواياهما الإجرامية، وأنهما ينويان الشرَّ، ولا يعرفان للخير سبيلا. ولم يكتفيا بنكث بيعتهما، بل طلبا من وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف أن يخلعوا إمامهم وينكثوا بيعته.

قال عبد الله بن عمر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم لقيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية[2].

وعن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه[3].

فلا عذر لطلحة والزبير أن يحثا الآخرين على خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة. فالذي لم يخلع يده من طاعة إمامه لا يأمر الآخرين بذلك. وطلبهما من الآخرين أن يخلعوا إمامهم دليل على أنهما قد خلعا أيديهما من طاعة إمامهما ولم يكن في عنقيهما بيعة لإمامهما، مما يدل على أنهما ماتا ميتة جاهلية بنص الحديث النبوي الذي رواه مسلم في صحيحه. فما وزنهما ـ بنكثهما الضال ـ عند الله سبحانه وتعالى؟!

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢.
(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٦ (رقم الحديث ١٨٥١).
(٣) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٧ (رقم الحديث ١٨٥٢).

كما أنهما قد حثّا الآخرين على شق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم حين طلبا منهم خلع إمامهم، مما يدل على أنهما يستحقان القتل كما بيَّنه نبي الرحمة ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه.

لم يكن طلحة والزبير من الناس الذين يعيشون في اطراف البلاد النائية أو البوادي، أو في غابات إفريقية أو أدغال الأمازون حتى لا يعرفوا شيئاً من آيات القرآن الكريم أو أحاديث النبي ﷺ. فقد كانا من وجوه الصحابة، وحاربا مع رسول الله ﷺ في غزواته وسمعا أحاديث كثيرة من رسول الله ﷺ، وهما يعرفان حرمة خلع الإمام ونكث بيعته. ولهذا حين طلبا من وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة كانا على علم بجريتمهما الوقحة والشنيعة.

وقد ذهبا إلى هلال بن وكيع التميمي وبايعهما على خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة بعد امتناع وهروب، وبايعت معه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع. فما مصير هذا المغرر به وقومه عندما بايعوهما على خلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة؟! لقد سبَّبا لهم الميتة الجاهلية واستحقوا النار يوم القيامة. فهل يستطيعان أن يخلِّصاهم من النار؟! فإذا كان أولئك المغرر بهم يستحقون النار لخلعهم إمامهم من البيعة ونكثهم بيعته. ألا يستحق النار من سبَّبا لهم ذلك؟ فكيف يستطيعان تخليص نفسيهما من تبعات هذه الجريمة؟

وأما ما يخص الهدف الثالث وهو إخراج عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة فهو خرق فاضح لبنود الصلح بينهما وبينه. فقد اتفقا معه على أن يكون له: دار الإمارة، والرحبة، والمسجد، وبيت المال، والمنبر. فكيف يخرقان بنود الصلح ويدعوان وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف إلى إخراج واليهم الشرعي من البصرة؟!

فقد كشف هذا التخطيط والتآمر على أن طلحة والزبير لا دين لهما يمنعهما من هذا الغدر والنكث بالعهود والمواثيق المغلظة. وما قبولهما الظاهري ببنود الصلح إلا من أجل الإستعداد بالسلاح والرجال للسيطرة على مقاليد الأمور بالبصرة، واتخاذها قاعدة لمحاربة إمامهما أمير المؤمنين عليه السلام قبل وصوله إليها. جاعلين أحكام القرآن وراء ظهريهما، متنكرين للدين والمباديء والأعراف الإجتماعية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

فطلحة الزبير من الفاسقين الذين ينقضون العهود والمواثيق ويفسدون في الأرض، وفي الآخرة هما من الخاسرين.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]. فالله سبحانه وتعالى قد أمر بالوفاء بالعهد، لكن طلحة والزبير لم يفيا بمعاهدة الصلح بينهما وبين عثمان بن حنيف خلافاً لاحكام القرآن الكريم.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. سيسألهما الله سبحانه وتعالى عن العهد الذي نقضاه ولم يفيا به.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. فطلحة والزبير قد نقضا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدا في الأرض، فلهما لعنة الله وسوء الدار.

ذكر ابن أبي الحديد: «فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما، خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح وبرد ومطر، ومعهما أصحابهما، قد ألبسوهم الدروع!! وظاهروا فوقها بالثياب!! فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلِّي بهم، فأخَّره أصحاب طلحة والزبير، وقدموا الزبير فجاءت السبابجة ـ وهم الشرط حرس بيت المال ـ فأخرجوا الزبيرو وقدَّموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير، وأخَّروا عثمان، فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع، وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس!! فغلب الزبير فصلَّى بالناس!! فلما انصرف من صلاته، صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أُسر ضُرب ضرب

الموت!! ونُتف حاجباه وأشفار عينيه!! وكل شعرة في رأسه ووجهه!! وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً!! فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة!! فقالت: لأبَّان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه!! فإن الأنصار قتلت أباك!! وأعانت على قتله!! فنادى عثمان: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير، إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعنَّ السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم، فلا يُبقي أحداً منكم. فكفوا عنه!! وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة!! فتركوه!![1].

لما أحكم طلحة والزبير خطتهما في الغدر والخيانة، وأكملا استعداداتهما خرجا مع أتباعهما أتباع الضلال في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر للغدر بعثمان بن حنيف، وخرق بنود الصلح خرقاً نهائياً. وقد وقَّتا لإنجاح إنقلابهما العسكري توقيتاً مناسباً، بخبث ودهاء، حيث أنهما قد خرجا عند وقت صلاة الفجر في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، حيث يكون أصحاب عثمان في ذلك الوقت قلّة، مما يسهِّل عملية التغلب عليهم. كما أن طلحة والزبير وأتباعهما قد استفادوا من العوامل الطبيعية وهي ظلمة الليل والرياح والمطر لإنجاح مخططهم الشيطاني، فتم لهم ما أرادوا.

كما أنهم لم ينسوا العدة والعتاد العسكري (قد ألبسوهم الدروع!! وظاهروا فوقها بالثياب!!). وهذه الإستعدادات التي اتخذت تدل على أنهم من المفسدين لا من رجال الإصلاح. كما تدل على أنهم قد بيَّتوا النية على نشر الفساد، وأن الذي قاموا به عن عمد وسبق إصرار، ولا مجال فيه للإجتهاد. فمن العار الدفاع عنهم.

والشيء الغريب الذي يحزّ في النفس أن طلحة والزبير وأتباعهما قد بدؤوا مؤامرتهم من المسجد من بيت الله الذي بُني للعبادة، فلم يحترموا قدسية المكان، مع العلم أن المسجد لعثمان بن حنيف كما ورد في بنود الصلح. وهذا خرق واضح لبنود الصلح. فلم يحترموا قدسية المسجد، ولم يلتزموا بالعهود والمواثيق التي كتبوها على أنفسهم، مما يدل على أنهم يستحقون اللعنة وسوء الدار، وأنهم

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ج٩ ص٣٢٠ ـ ٣٢١، نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣١.

مسؤولون يوم القيامة عن هذه التصرفات الرعناء. وأن الذين يدافعون عن طلحة والزبير وخرقهما لبنود الصلح يسيؤون للقيم الإسلامية، ويتنكرون لآيات القرآن الكريم التي تندد بالذين ينقضون العهود والمواثيق. فهما غير معفيين من تطبيق أحكام الشرع.

ولما تغلب الزبير بمساعدة أتباعه أتباع الضلال وصلى بالناس وانصرف من صلاته، (صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف!! فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلما أُسر ضُرب ضرب الموت!! ونتف حاجباه وأشفار عينيه!! وكل شعرة في راسه ووجهه!!).

لقد صلى الزبير بالناس بعد أن تغلَّب عليهم في نهاية الأمر بمساعدة أعوانه المتسلحين وبعد أن صاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! والشيء بالشيء يذكر. فقد روى صاحبه طلحة أنه صلى بقوم، فلما انصرف قال: نسيت أن أستأمركم قبل أن أتقدمكم!! أفرضيتم صلاتي؟! قالوا: نعم. ومن يكره ذلك يا حواري رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنه[1].

فالزبير لم يصلِّ بالناس إلا بالغلبة بمساعدة أصحابه المستسلحين الذين لبسوا الدروع تحت ثيابهم، وكانت الإمامة في الصلاة لعثمان بن حنيف في الأساس قبل مجيء الزبير وطلحة وأصحابهما إلى البصرة وبعد مجيئهم إليها. وقد سبق عثمان بن حنيف في تلك الليلة على عادته، وتقدم ليصلي بالناس فأخَّره طلحة والزبير. وتقدَّم الزبير للصلاة فجاءت السبابجة وأخرجوه، وتغلب في نهاية الأمر بمساعدة جلاوزته وصلى بالناس دون رضاهم وهم له كارهون، وخصوصاً عثمان بن حنيف والسبابجة. مما يدل على أن صلاته لم تجز أذنه كما روى ذلك صاحبه طلحة عن رسول الله ﷺ.

والشيء المحزن الذي يحزّ في النفس أن طلحة لم يمنع صاحبه الزبير من إمامة الصلاة للحديث الذي رواه عن رسول الله ﷺ، وقد رأى بعينيه وسمع بأذنيه كيف أن أهل البصرة وعلى رأسهم عثمان بن حنيف وأصحابه السبابجة كارهون للزبير.

---

(١) المعجم الكبير: الطبراني، ج١ ص١١٥ (رقم الحديث: ٢١٠).

ولم يعترض على صاحبه، بل سكت ولاذ بالصمت المخجل وكتم الحديث النبوي وهو يعلم ذلك. ولم يكتف بذلك، بل صلى مأموماً وراء صاحبه الزبير الذي لم تجز صلاته أذنه. فعمل بضد مع علم. فما قيمته عند الله سبحانه وتعالى؟ فهو لا يزن جناح بعوضة لأنه شيطان أخرس.

أضف إلى ذلك، أن المسجد لعثمان بن حنيف كما ورد في بنود الصلح، وأن الزبير معتدٍ على المسجد وإمامة المؤمنين في الصلاة. فأي قيمة لصلاته وإمامته لأولئك الناس في الصلاة؟! فصلاته من أجل السياسة والرئاسة ليس إلا، وليست لوجه الله. ولو كانت صلاته لوجه الله لصلى مؤتماً بعثمان بن حنيف، الوالي الرسمي للبصرة، والإمام الشرعي للمسلمين في صلاتهم.

ولما انصرف الزبير من صلاته (صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه...). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فلم نر الزبير قد نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر، بل أمر بإلقاء القبض على الوالي الشرعي للبصرة والإمام الشرعي في الصلاة عثمان بن حنيف، بمجرد انتهائه من الصلاة. فأي قيمة لصلاته التي لم تنهه عن الفحشاء والمنكر؟!

فلماذا لم تمنعه صلاته من إصدار أوامره الفرعونية؟ وما سبب ذلك؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

فالسرّ في إصدار الزبير لتلك الأوامر الفرعونية بإلقاء القبض على عثمان بن حنيف وأصحابه، هو اتباعه لخطوات الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر. ولو كان متبعاً أحكام الله وسنة رسول الله ﷺ لنهته صلاته عن الفحشاء والمنكر. وما دام عمل بضد ما تنهي عنه الصلاة فهو دليل على أنه اتبَّع خطوات الشيطان الذي أمره بذلك.

أضف إلى ذلك، فلو كان متبعاً أحكام الله سبحانه وتعالى، وسنة

رسول الله ﷺ لما أبعد عثمان بن حنيف من إمامة الصلاة وأمَّ المصلين بدلاً منه، ولما تمرَّد على إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام، ولما خالف أحكام الله سبحانه وتعالى، وسنَّة نبيِّه رسول الله ﷺ وقاد جيش الناكثين للسلب والنهب ونشر الفساد ورفع راية العصيان والتمرد.

فلا أحد يختلف في أن الأوامر التي أصدرها الزبير من المنكر ولا علاقة لها بالمعروف. والأمر بالمنكر من خصال المنافقين الذين لم يذوقوا طعم الإيمان. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]. فالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف من صفات المنافقين. وقد أصدر الزبير أوامره وفق ما كان يعمله المنافقون. فالعمل الذي قام به ليس من أعمال المؤمنين المتقين البتة.

وتأمل في تصرفات جلاوزة الزبير مع والي البصرة عثمان بن حنيف، (فلما أُسر ضُرب ضرب الموت!! ونتف حاجباه وأشفار عينيه!! وكل شعرة في رأسه ووجهه!!). لا يرتكب هذا التعذيب رجال مؤمنون، بل يرتكبه فراعنة ملحدون، لا يردعهم دين، ولا تمنعهم القيم الدينية والإنسانية، ولا يخافون الله سبحانه وتعالى، ولا يرتجون جنَّته ولا يتقيدون بأحكام الله سبحانه وتعالى وسنة رسول الله ﷺ بل يتبعون خطوات الشيطان. وهذه الجريمة الشنعاء التي ارتكبها جلاوزة الزبير بأمر منه (أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه...) خرق واضح وصريح لبنود الصلح الذي كُتب بينهم وبين عثمان، كما أنها مخالفة للدين والقيم الإنسانية والأعراف الإجتماعية. فإذا لم يكن للقوم دين يؤمنون به، فعلى أقل تقدير ينبغي لهم أن يتعاملوا مع عثمان بن حنيف وفق القيم الإنسانية والأعراف الإجتماعية، لا أن يعاملوه بهذه الأساليب الوحشية الهمجية المأخوذة من قوانين الغاب. فمن العار على أتباع السقيفة أن يدافعوا عن هذا الفرعون المتمرد وأتباعه الجلاوزة الذين لا يختلفون عن الذئاب والضباع والسباع. فبم يعتذرون يوم القيامة إذا أوقفوا في محكمة العدل الإلهي وحوسبوا على دفاعهم المخزي عن هذا الطاغي وجلازوته؟! لقد وقفوا مع الجلّاد ضد الضحية، ونصروا الظالم ضد المظلوم.

لم يتعامل العرب في الجاهلية قبل الإسلام مع أعدائهم بهذه الأساليب الوحشية، وهم يعبدون الأصنام. بينما هؤلاء الجلاوزة وزعماؤهم يدَّعون الإسلام ويتظاهرون بالخضوع لوحدانية الواحد القهَّار ويرتكبون هذه الأعمال الهمجية مع والي البصرة الذي لم يكن يوماً ما عدواً لهم، بل هم الذين جاؤوا إليه واعتدوا عليه في بلده. فقد فاقوا بوحشيتهم على أجدادهم الذين عاشوا فوق أرض الجزيرة العربية يعبدون الأصنام بدلاً من عبادة خالقهم الذي خلقهم، بعيدين عن مقوّمات الحضارة وأساليب التمدّن. وهؤلاء الجلاوزة وقادتهم عاشوا في ظلال الإسلام وتنكروا لمبادئه السمحة واتبّعوا خطوات الشيطان الذي قادهم إلى ارتكاب هذه الأعمال الوحشية التي يندى لها جبين الإنسانية. والمرء يعرف بجليسه وجلاوزته وذئابه الضواري.

ولو قُدِّر لهؤلاء القادة وجلاوزتهم أن ينتصروا في حرب الجمل على أمير المؤمنين عليه السلام لفعلوا به وبأولاده وأصحابه كما فعل جيش يزيد وقادته بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، بل أعظم من ذلك. فما قُتل الإمام الحسين ومُثِّلت بجثته الشريفة وحُرقت خيامه وسُبيت نساؤه إلا لأنه ابن أمير المؤمنين عليه السلام. وما سُبَّ الإمام الحسن والإمام الحسين إلا لأنهما إبنا أمير المؤمنين عليه السلام. وما ظُلمت فاطمة الزهراء عليها السلام ونُهب حقُها وأُسقط جنينها وكاد بيتها أن يُحرق عليها إلا لأنها زوجة أمير المؤمنين عليه السلام. فلو ظفر هؤلاء المجرمون المنسلخون من إنسانيتهم بأمير المؤمنين عليه السلام لفعلوا به شيئاً لا يتصوره الخيال. وما فعلهم بعامله على البصرة إلا دليل على صحة ما ذهبنا إليه. وما فعله جيش يزيد بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته إلا دليل آخر على صحة ما ذهبنا إليه. وما فعله مشركو مكة بسيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وآله إلا دليل ثالث. وهؤلاء المجرمون هم أحفاد أولئك المشركين من قريش.

فقد أصدر الزبير أوامره لجلاوزته بضرب عثمان بن حنيف ضرباً مبرحاً وصل إلى درجة الموت. ربما يقول قائل بأن الزبير لم يأمر بضرب عثمان بن حنيف ذلك الضرب المبرح، وإنما الجلاوزة قد تصرفوا بذلك دون علم الزبير. فالمسلم الغيور على الدين لا ينخدع بهذا الإعتذار البارد الذي يزيِّف الحقائق. فالزبير هو الذي أصدر أوامره للجلاوزة بإلقاء القبض على عثمان بن حنيف (أن خذوا عثمان

بن حنيف، فأخذوه...). والذي يصدر أوامره بغير حق بإلقاء القبض على والي البصرة، لا يتورع بإصدار أوامره بضربه ضرباً مبرحاً إلى درجة الموت. فالذي يرتكب ذلك الإثم لا يتورع عن ارتكاب هذا الإثم. ولو تنازلنا وقلنا إن الزبير لم يأمر بضربه ذلك الضرب المبرح، فقد أُسر وضُرب بمسمع وبمرأى منه، فلماذا لم يتدخل لوقف ذلك الضرب المبرح؟! فلم يُضرب عثمان بن حنيف ضربة واحدة أو ضربتين حتى لم تكن له الفرصة في الإلتفات إلى الضرب.

أضف إلى ذلك، أن عائشة قد أمرت بضرب عنقه، ولم تتورع من ذلك الإثم. فكيف يتورع الزبير عن الأمر بضربه ذلك الضرب المبرح؟! والأمر بالقتل أبشع من الأمر بالضرب. كما أن الزبير قد باشر جريمة القتل بنفسه، كما سنعرفه بعد قليل، ولم يتورع عن ارتكاب تلك الجريمة، ولم يطرف له جفن، فكيف يتورع عن إصدار أوامره للجلاوزة بضرب عثمان بن حنيف ضرباً مبرحاً؟!

لم نجد حكماً دينياً في الشريعة الإسلامية السمحاء يأمر بنتف حاجبي المتهم فضلاً عن البريء، ونتف أشفار عينيه، وكل شعرة في رأسه ووجهه (فلما أُسر ضُرب ضرب الموت، ونتف حاجباه وأشفار عينيه، وكل شعرة في رأسه ووجهه!!).

فقد روى ابن ماجة بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُمثل بالبهائم[1]. فإذا كان رسول الله ﷺ ينهى عن التمثيل بالبهائم، فكيف بالناس المؤمنين الصالحين؟ فعلى أي مستند شرعي اعتمد أولئك الجلاوزة في تعذيبهم لعثمان بن حنيف؟! فلماذا يقف أتباع طلحة والزبير مع الجلّاد ويتنكرون للضحية؟!

لقد انسلخ أولئك الجلاوزة وقادتهم من الإنسانية كما تنسلخ الحية من جلدها. فلم يكونوا رجالاً ينضوون تحت رداء الإنسانية بل كانوا ذئاباً وضباعاً متوحشة على شكل رجال. ولو كانت في قلوبهم ذرة من الإيمان لما ارتكبوا تلك الأعمال الوحشية. والذئاب المفترسة إذا صادت فريسة تاكل لحمها فحسب كما أودع الله سبحانه وتعالى فيها من غرائز، ولا تلجأ إلى التمثيل بالفريسة البتة.

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٠٦٣ (رقم الحديث: ٣١٨٥).

وهؤلاء الجلاوزة وقادتهم ارتكبوا أعمالاً فظيعة في عثمان بن حنيف لم ترتكبها حتى الذئاب المفترسة في فرائسها. فبأي عذر يواجهون ربَّهم يوم القيامة إذا تعلَّق عثمان بن حنيف بأعناقهم طالباً القصاص منهم؟ فالويل لهم ولما جنته أيديهم الآثمة.

وتأمل في تصرفات هؤلاء المفسدين: (وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً!! فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة!! فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه!! فإن الأنصار قتلت أباك!! وأعانت على قتله!!).

ما ذنب السبابجة حتى يُؤخذوا ويلقى القبض عليهم؟ وما مشروعية القبض عليهم؟! ولماذا انطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة بالذات؟ ولما تولت عائشة البتَّ في أمرهم. فعلى أي مستند شرعي اعتمدت في ذلك؟ فلم تكن ولية أمر المسلمين، ولم تكن خليفة لهم، ولم تكن رئيسة القضاة، ولم يكن لها الحق في هذه القضية، ولم يعطها الدين ذرة من المسؤولية في البتّ في هذه القضية. فلماذا حشرت نفسها في مسؤولية خطيرة أكبر من حجمها؟! ولماذا توَّلت مهمة غيرها؟ ما غرضها من ذلك؟! فهي مأمورة بأن تقرَّ في بيتها بنص الذكر الحكيم. فتركت ما أُمرت به، وهتكت سترها بين الذئاب المفترسة أشباه الرجال، تحكم بينهم بالجور تأمر بضرب عنق هذا وذاك دون محاكمات عادلة، ودون أن تعطيهم فرصة الدفاع عن براءتهم ومظلوميتهم. فبؤساً لها من قاضية جائرة، ومتمرِّدة متفرعنة.

لقد طاب لها أن تنصِّب نفسها فرعوناً يعيث في الأرض الفساد. فقد أمرت بضرب عنق عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة. وكان ذنبه أنه حاول أن يصدَّ المفسدين ويوقف فسادهم، فحكمت عليه زعيمة الناكثين بضرب عنقه دون محاكمة ولو كانت هزلية. فحكمها القضائي الجائر دليل على فساد عقيدتها.

لما أمرت عائشة إبَّان بن عثمان بضرب عنق عثمان بن حنيف الأنصاري، عللت أمر ذلك إلى القتل الهمجي بحجة (إن الأنصار قتلت أباك!! وأعانت على قتله!!). فقولها أقبح من فعلها. فإن كان الأنصار محقين في قتلهم عثمان بن

عفان. فمن الخيانة التنكر لذلك الحق والقيام بتحريض إبَّان بن عفان على ضرب عنق أحد افرادهم بحجة أنهم قتلوا أباه وأعانوا على قتله.

وإن كان الأنصار غير محقين في قتل عثمان بن عفان، بل كانوا على البغي والباطل، فمن الخيانة أن تخلي نفسها من مسؤولية التحريض على عثمان. فهي التي حرَّضت الأنصار وغير الأنصار من المهاجرين وأهل مصر والكوفة على حصار عثمان وقتله. وقد وثّقنا أقوالها ومواقفها تجاهه. فعليها في هذه الحالة أن تقدِّم نفسها لأبَّان بن عثمان لكي يضرب عنقها لدورها في تحريض الأنصار وغيرهم على قتل عثمان وتكفيره. وهذا التحريض ثابت عليها بالدليل، ومعروف عند جميع الناس بما فيهم إبَّان بن عفان. ولم يثبت على عثمان بن حنيف ما يدل على اشتراكه في قتل عثمان.

قال رسول الله ﷺ: ادرؤوا الحدود بالشبهات[1]. وقال رسول الله ﷺ: ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعاً[2]. فلم تدرأ عائشة الحدّ ـ إن كان لها إقامة الحدّ ـ عن عثمان بن حنيف الذي لم يثبت اشتراكه في دم عثمان. وقد أمرت بإقامة الحدّ على عثمان ـ رغم عدم ثبوت اشتراكه في قتل عثمان ـ وهي لا تملك مسؤولية إقامة ذلك الحدّ عليه. فقد نصَّبت هذه المرأة نفسها قاضياً وهي لا تعرف أصول القضاء. فما موقف أتباعها من تصرفاتها الجائرة في هذه القضية الغريبة؟! وما موقفهم منها حين نصَّبت نفسها قاضياً بين الرجال؟

لما تأكد عثمان بن حنيف ان عائشة وطلحة والزبير قد عزموا على قتله هدَّدهم بقوله: (إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة، وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعنَّ السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم، فلا يبقي أحداً منكم. فكفّوا عنه. وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة. فتركوه).

لم يتنازل القادة الثلاثة الكبار عن قتل عثمان بن حنيف لثبوت براءته أو لدرء

---

(١) الوسائل: الحر العاملي، ج١٨ ص٣٣٦، ميزان الحكمة: الري شهري ج٢ ص٣٠٦، مستدرك الوسائل: الشيخ حسين النوري ج١٨ ص٢٦ (رقم الحديث: ٢١٩١١).

(٢) سنن ابن ماجة: ج٢ ص٨٥٠ (رقم الحديث ٢٥٤٥)، ميزان الحكمة ج٢ ص٣٠٥.

الشبهات عنه، وإنما ألغوا قتله خوفاً على عيالاتهم وأهلهم من انتقام أخيه سهل بن حنيف عندما هددهم بذلك فانتبهوا إلى النتائج المريرة لجدية ذلك التهديد. فأطلقوا سراحه بعد أن عذبوه تعذيباً وحشياً تخجل منه البشرية ويخجل منه ذوو الضمائر الحية.

قال ابن أبي الحديد: (وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتل السبابجة!! فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك!! قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم!! وليَ ذلك منهم عبد الله ابنه!! وهم سبعون رجلاً!! وبقيت منهم طائفةً مستمسكين ببيت المال. قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم!! وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً!!)[1].

فلم يهنأ لعائشة بال إلا بعد أن جعلت نفسها فرعوناً من فراعنة هذه الأمة. فقد أمرت الزبير بقتل السبابجة بحجة: (أنه قد بلغني الذي صنعوا بك!!). وقصدها من ذلك، أن الزبير وأعوانه الظلمة جاؤوا إلى المسجد في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر وأبعدوا عثمان بن حنيف من إمامة الصلاة وقدَّموا الزبير مكانه، فجاءت السبابجة وهم الشرط حرّاس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان بن حنيف للصلاة. فحقدت عليهم عائشة القائدة العليا للناكثين وحكمت عليهم بالقتل لما فعلوه بالزبير عندما أخرجوه من المسجد وجعلوا مكانه عثمان بن حنيف الذي كان يؤم المصلين في هذا المسجد قبل مجيء الناكثين. مع العلم أن المسجد يكون لعثمان بن حنيف حسب ما ورد في بنود الصلح الذي كُتب بينه وبين طلحة والزبير. لكن عائشة تركت المعتدي يسرح ويمرح وهو ظالم، وعاقبت المعتدى عليهم بالقتل وهم مظلومون!! مرحى مرحى لهذه القاضية الظالمة التي لم ير التاريخ لها مثيلاً.

فلم يرتكب السبابجة ذنباً يستحقون به القتل. فقد أخرجوا الزبير المعتدي على إمام المصلين، وقدَّموا عثمان بن حنيف إمام المصلين الشرعي المعتدى عليه. لكن هذا العمل في عرف القاضية عائشة من أكبر الذنوب التي تستحق القتل. فأمرت المعتدي الزبير بن العوام بتنفيذ حكم قتل السبابجة (فذبحهم والله

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ج٩ ص٣٢١، نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣٢.

الزبير كما يذبح الغنم!!). دون محاكمة، ودون أن يُعطوا الفرصة للدفاع عن مظلوميتهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. فإذا كان جزاء من يقتل مؤمناً واحداً الخلود في جهنم والغضب الإلهي واللعنة والعذاب العظيم، فكيف بمن يقتل مائة وعشرين مؤمناً؟!

كيف يخلّص الزبير وعائشة نفسيهما من مسؤولية قتل أولئك المؤمنين الأبرياء؟ فإذا وقف الزبير وعائشة أمام الله عزّ وجلّ يوم القيامة وجاء أولئك المؤمنون الأبرياء وتعلقوا برقبتهما، فكيف يحكم الله لهم؟! هل يهملهم ولا يأخذ بحقهم وقد قُتلوا ظلماً؟! أم سيأخذ حقهم ممن قتلهم صبراً وذبحهم كما يذبح الغنم؟ وإذا أخذ حقهم ممن ظلمهم وقتلهم، فماذا سيفعل بالقتلة؟! هل سيكافيء القتلة بالجنة؟ أم يعاقبهم بالنار والعذاب العظيم كما بينته الآية الكريمة السابقة؟ هذه أسئلة حائرة، لو تأملها القاريء المنصف سيعرف أين مصير أولئك القتلة في محكمة العدل الإلهي.

لقد قام الزبير بذبح أولئك السبابجة المؤمنين كما يذبح الغنم، وهم سبعون رجلاً في الدفعة الأولى، يساعده في ذلك ابنه عبد الله بن الزبير. وبقيت منهم مجموعة مستمسكين ببيت المال، وقالوا للزبير وأعوانه: (لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين). ومن خلال هذا الكلام يتبيَّن بأن الزبير وأعوانه طالبوهم بتسليم بيت المال بجميع محتوياته (لا ندفعه إليكم...) لكنهم رفضوا تسليم بيت المال الذي يعتبر أمانة في أيديهم، فدفعوا الثمن غالياً، حيث (سار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم!! وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً!!).

لقد ذبح الزبير في الدفعة الأولى سبعين رجلاً مؤمناً من السبابجة كما يذبح الغنم دون أن يطرف له جفن، ثم أخذ خمسين أسيراً منهم في الدفعة الثانية، وقتلهم صبراً دون أن يطرف له جفن!!. وبهذه العملية البطولية والإخلاص في أداء الواجب للقائدة العليا للناكثين (وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتل السبابجة...) استحق الزبير أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة. وإذا لم يستحق بهذه العملية

البطولية والإخلاص في أداء الواجب البشارة بالجنة، فماذا يستحق؟ وبأي شيء يُبشَّر؟!

وكذلك بالنسبة لعائشة، فبحسن إدارتها في إصدار الأوامر للزبير بقتل السبابجة المؤمنين الأبرياء استحقت أن تكون أفضل نساء المسلمين كفضل الثريد على سائر الطعام. وإذا لم تكن أفضل نساء المسلمين بهذه الأوامر الصادرة منها، فبماذا تستحق على إصدار تلك الأوامر بقتل السبابجة؟!

فقد قتل الزبير لوحده (١٢٠ رجلاً) من السبابجة. فقد ذبح في الدفعة الأولى (٧٠ رجلاً) كما يذبح الغنم، وأخذ منهم في الدفعة الثانية (٥٠ أسيراً) فقتلهم صبراً دون أن يطرف له جفن. أما مجموع القتلى من السبابجة فكان أكثر من ذلك. ذكر ابن أبي الحديد: (كانت السبابجة القتلى يومئذٍ أربعمائة رجل!!)[1]. تقع مسؤولية قتل هؤلاء على رؤوس الناكثين: عائشة والزبير وطلحة بالدرجة الأولى، ثم الأمثل فالأمثل. وهذا عدد قتلى السبابجة غير عدد القتلى من غيرهم. وهذه حصيلة جرائم الناكثين في معركة الجمل الأصغر. أما حصيلة جرائمهم في معركة الجمل الأكبر فكانت بالآلاف.

أما الشيخ المفيد فقد نقل جريمة الناكثين على النحو التالي: (وطلب طلحة والزبير غدرته حتى كانت ليلة مظلمة ذات ريح فخرج طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة، وعثمان بن حنيف غافل عنهم، وعلى الباب السبابجة، يحرسون بيوت الأموال وكانوا قوماً من الزطّ، فقد استبصروا وأكل السجود جباههم، وائتمنهم عثمان على بيت المال ودار الإمارة، فأكب عليهم القوم وأخذوهم من أربع جوانبهم، ووضعوا فيهم السيف!! فقتلوا منهم أربعين رجلاً صبراً!! يتولى منهم ذلك الزبير خاصة!! ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً!! وعمدوا إلى لحيته ـ وكان شيخاً كثّ اللحية ـ فنتفوها!! حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة!! وقال طلحة: عذّبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه!! وأشفار عينيه!! وأوثقوه بالحديد!! فلما أصبحوا اجتمع الناس إليهم، وأذّن مؤذن المسجد لصلاة الغداة، فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم!! فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم!!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ج٩ ص٣٢١، نصوص من تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣٢.

فمنعه طلحة!! فمازالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع!! فنادى أهل البصرة: ألله ألله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها!! فقالت عائشة: مروا أن يصلي بالناس غيرهما. فقال لهم يعلي بن منية: يصلي عبد الله بن الزبير يوماً، ومحمد بن طلحة يوماً!! حتى يتفق الناس على أمير يرضونه. فتقدم ابن الزبير وصلّى بهم ذلك اليوم!!)[1].

تأمل في قوله: (وطلب طلحة والزبير غدرته حتى كانت ليلة مظلمة ذات ريح...). فقد أخذ طلحة والزبير يتحيّنان الفرصة للغدر بعثمان بن حنيف رغم وجود معاهدة الصلح بينهما وبينه حتى كانت تلك الليلة المظلمة فاستغلاها أحسن استغلال للقيام بانقلابهما العسكري المشؤوم ضد عثمان بن حنيف. وقد ساعدهما على ذلك التوقيت المناسب في إنجاح تلك المجزرة التي ارتكباها.

لقد ذهب طلحة والزبير في بداية انقلابهما إلى دار الإمارة، وعثمان بن حنيف غافل عنهم. والشيء بالشيء يذكر، فقد كانت دار الإمارة لعثمان بن حنيف حسب ما ورد في بنود الصلح. وذهاب طلحة والزبير إلى دار الإمارة للإستيلاء عليها خرق واضح لبنود الصلح. وكان عثمان بن حنيف ملتزماً بما ورد في معاهدة الصلح، لكن طلحة والزبير لا يعرفان معنى الإلتزام بالعهود والمواثيق. وقد تطرقنا إلى العاقبة السيئة لنقض العهود والمواثيق فلا نعيد. فقد خرق طلحة والزبير بنود معاهدة الصلح عن عمد وسبق إصرار وتبييت نية.

ولما وصل الزبير وطلحة إلى دار الإمارة أحاطوا بالسبابجة حرّاس دار الإمارة وبيت المال من أربع الجهات ووضعوا فيهم السيف بدون ذنب ارتكبوه، وكان السبابجة من المؤمنين الصالحين الذين (قد استبصروا وأكل السجود جباههم)، (فقتلوا منهم أربعين رجلاً صبراً!! يتولى منهم ذلك الزبير خاصة!!).

كان الزبير رجلاً قاسي القلب، قتل (٤٠ رجلاً) صبراً من السبابجة المؤمنين الورعين الذين أكل السجود جباههم من العبادة، ولم يطرف له جفن. فما أقسى هذا الرجل!! فبأي وجه سيقابل الله سبحانه وتعالى يوم القيامة؟ وأي حجة

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨١. أنظر: أنساب الأشراف: ى البلاذري ج٢ ص٢٢٧، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٥٨، تاريخ الطبري، ج٥ ص١٧٨.

سيدلي بها في محكمة العدل الإلهي إذا تعلق برقبته أولئك السبابجة الصالحون الأبرياء؟!

ولما قضى طلحة والزبير وأعوانهما على السبابجة حرَّاس دار الإمارة وبيت المال (هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً!! وعمدوا إلى لحيته ـ وكان شيخاً كث اللحية ـ فنتفوها!! حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة!!).

هنيئاً للعرب والمسلمين بهذه البطولة وأصحابها!! التي لا تفترق عما فعله المغول في بلاد المسلمين. فهذا الهجوم البطولي على عثمان بن حنيف خرق واضح لبنود الصلح بينه وبين طلحة والزبير. ولم يكتف الناكثون بالهجوم على عثمان، بل أوثقوه رباطاً كي لا يفرّ من الأسر!! وعمدوا إلى لحيته فنتفوها تشفياً للحقد الأسود الذي ملأ صدورهم، حتى لم يبقوا منها شعرة واحدة!! وأنجزوا مهمتهم الإجرامية على أكمل وجه طمعاً في الثواب الجزيل!! ونيل الأوسمة الرفيعة من قيادتهم العليا!!

وأصدر الضابط الكبير والقائد الميداني لجيش الناكثين طلحة بن عبيد الله أوامره لأتباعه: (عذِّبوا الفاسق!! وانتفوا شعر حاجبيه!! وأشفار عينيه!! وأوثقوه بالحديد!!). فقد أصدر أوامره لأتباعه بالقيام بتعذيب الصحابي الجليل عثمان بن حنيف، وسمَّاه الفاسق!! بدون دليل، وقد أثنى عليه كل من ترجم له، وقد جاهد تحت راية رسول الله ﷺ في أُحد وما بعدها من الغزوات، ثم يأتي طلحة بعد ذلك، ويطلق عليه ـ بعد أن غدر به ـ لقب الفاسق. ولم يكتف بذلك التفسيق، بل أصدر أوامره لأتباعه أتباع الضلال بتعذيبه تعذيباً وحشياً تخجل منه البشرية، جاعلين أحكام القرآن الكريم وسنَّة رسول الله ﷺ وراء ظهورهم.

لقد داس طلحة وأتباعه على المباديء الدينية والقيم الإنسانية والأعراف الإجتماعية. وبهذا العمل البطولي ـ الذي لم يسبقه إليه أحد غير هند زوجة أبي سفيان ـ استحق أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة. وإذا لم يستحق البشارة بالجنة بهذا العمل البطولي، فباي شيء يُكافأ عليه؟! والمكافأة ينبغي أن تكون جنس العمل، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقاتل إمامه في معركة الجمل، ولم

يكافئه أحد على ذلك العمل البطولي. فهل من المعقول أن يذهب تعذيب عثمان بن حنيف هدراً دون أن يكافأ الذي أمر بتعذيبه؟ أم سينتقم الله الواحد القهار يوم القيامة من أعدائه الذين عذَّبوه وأمروا بتعذيبه؟! وإذا وقف طلحة وحيداً بلا ناصر ولا معين في محكمة العدل الإلهي، وتعلَّق برقبته عثمان بن حنيف والسبابجة الذين قتلهم، فبأي حجة شرعية سيدافع عن جريمته الشنعاء أمام الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟!

لقد دبَّر طلحة والزبير جريمتهما الشنعاء بليل لانه أضمن لنجاحها، ولما (أصبحوا اجتع الناس إليهم، وأذَّن مؤذن المسجد لصلاة الغداة، فرام طلحة أن يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير!! وأراد أن يصلي بهم فمنعه طلحة!! فمازالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع...).

لقد حاول طلحة أن يؤم المصلين في الصلاة رغماً عنهم، ناسياً أنه ذات يوم (صلى بقوم فلما انصرف، قال: نسيت أن أستأمركم قبل أن أتقدمكم!! أفرضيتم بصلاتي؟! قالوا: نعم. ومن يكره ذلك يا حواري رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنه)[1]. فقد عمل جهده وطاقته بضد ما علم وروى وسمع. فلا قيمة لصلاته إذا أمَّ المصلين حسب الحديث الشريف الذي رواه.

وروى الطبراني في معجمه عن طلحة، إنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما كانت نبوة فقط إلا كان بعدها قتل وصلب[2]. فهو من الذين نفذوا جريمة القتل وأمروا الآخرين بارتكابه بعد النبوة. والقتل بدون حق مذموم عند الله سبحانه وتعالى وكذلك مرتكبه والآمر به. وطلحة منهم وفي مقدمتهم. وقد أدان نفسه بنفسه.

وعن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبَّان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه!! فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ!! قالت: ردّوا أباناً، فردّوه.

---

(١) المعجم الكبير: الطبراني، ج١ ص١١٥ (رقم الحديث: ٢١٠).

(٢) المرجع السابق: ج١ ص١١٥، (رقم الحديث: ٢٠٧).

فقالت: احبسوه ولا تقتلوه!! قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع!! فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه!! وانتفوا شعر لحيته!! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته ورأسه وأشفار عينيه وحبسوه!!)[1].

لقد حكمت القائدة العليا والقاضية عائشة على عثمان بن حنيف بالقتل دون محاكمة، وقد أصدرت الحكم القضائي من فوق برجها العاجي دون أن تسمع لدعوى الطرفين!! ودون أن يعرف عثمان بن حنيف من هو خصمه في القضية؟ وما هي جريمته التي ارتكبها؟ ولما نشدتها امرأة فيه وفي صحبته لرسول الله ﷺ استبدلت حكم القتل بالحبس دون أن تبيِّن سبب تخبطها في هذا الحكم القضائي المتقلِّب.

فإذا كان هناك عتاب، فالعتاب لا يوجه لهذه المرأة التي داست على القيم الإسلامية ونصَّبت نفسها قائدة عليا وقاضية لجيش الناكثين، وإنما يوجه العتاب لهؤلاء البهائم أشباه الرجال الذين قبلوا بهذه الأحكام القضائية الجائرة المخالفة لأحكام الدين الصادرة من تلك القاضية المتردة على كتاب ربها وسنَّة نبيها ﷺ وإمامة إمامها. فما علاقة عائشة بالقضاء؟ ومن نصَّبها قاضية بن المسلمين؟ ومن أين أخذت أحكامها القضائية الجائرة؟

ولما أمرت بردّ أبان بن عثمان بن عفان، ورجع إليها وعرف أنها استبدلت حكمها القضائي من القتل إلى الحبس، قال: (لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع!!) هذا نموذج لأحد أتباعها المتعطشين للدماء. وكل أتباعها على شكل هذا النموذج السيِّء. والشيء الغريب أنها لم تستنكر ذلك التصرف من أبان بن عثمان. وكيف تستنكر ذلك وهي تعلم أن حكمها القضائي الجائر أكثر بشاعة من تصرّف أبان؟! وقد اشترك مجاشع بن مسعود مع طلحة في الأمر بضرب عثمان بن حنيف وتعذيبه.

وذكر البلاذري: (بلغ سهل بن حنيف ـ وهو والٍ على المدينة من قبل عليّ ـ ما كان من طلحة والزبير إلى أخيه عثمان وحبسهما إيَّاه، فكتب إليهما: أعطي الله

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٨، نصوص من تارئخ أبي مخنف، ج١ ص١٣٢، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٨.

عهداً لئن ضررتموه بشيء ولم تخلّوا سبيله لأبلغنَّ من أقرب الناس منكما مثل الذي صنعتم وتصنعون به، فخلّوا سبيله حتى أتى علياً)[1].

فلم يطلقوا سراح عثمان بن حنيف إلا بعد أن وصلتهم رسالة من أخيه سهل بن حنيف يهدِّدهم فيها بأن يفعل بأهلهم وأقاربهم كما فعلوا بأخيه. فلا يعرف هؤلاء الظلمة إلا أسلوب القوة. أما لفظة الموعظة فلم ترد في قاموسهم السياسي.

وقد ذكر ابن قتيبة أن مروان بن الحكم أحد الجلاوزة الذين اشتركوا في تعذيب عثمان بن حنيف: (ثم إن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم، في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس، فخرج عثمان بن حنيف، فشد عليه مروان فأسره، وقتل أصحابه!! فأخذه مروان، فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه، فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال: أما إنك إن تفتني بها في الدنيا، لم تفتني بها في الآخرة!!)[2].

فلا عجب أن يقوم مروان بن الحكم بتعذيب عثمان بن حنيف ذلك الصحابي الجليل، فهو غصن من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وإنما العجب أن يقبل أتباع خط السقيفة بهذا الطاغية خليفة عليهم، ولا يقبلون بخلافة أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله من الرجس تطهيراً، وفرض مودَّتهم ومحبتهم على المسلمين قاطبة. فكل إناء بالذي فيه ينضح. فقد تسمَّكوا بالشجرة الملعونة، وتركوا الشجرة الطيبة والطاهرة.

قال أبو مخنف: (كانت السبابجة القتلى يومئذٍ اربعمائة رجل!! قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر في الإسلام!! وكان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً!! قال: وخيَّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعليّ، فاختار الرحيل، فخلّوا سبيله، فلحق بعليّ عليه السلام فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد!! فقال عليّ: إنا لله وإنا إليه راجعون. قالها ثلاثاً)[3].

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٣٠.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٩.

(٣) نصوص من تاريخ أبي مخنف، ج١ ص١٣٢، شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد، ج٩ ص٣٢١.

فقد سنَّ طلحة والزبير سنَّة الغدر في المسلمين، وكان غدرهما بالسبابجة أول غدر في الإسلام. فعليهما وزر هذه السنَّة السيئة، ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة. كما أن السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً. والذي سنَّ هذه السنَّة السيئة طلحة والزبير، فهما وحدهما يتحملان وزر هذه السنَّة السيئة، كما يتحمَّلان وزر من يعمل بها إلى يوم القيامة. وما أكثر ما طبقها حكام بني أمية وبني العباس وولاتهم الظلمة كزياد بن أبيه والحجاج وغيرهما.

وأما تخييرهم عثمان بن حنيف بين البقاء والرحيل فهو أضحوكة لا ينخدع بها القاريء الفطن. فالوالي الشرعي على البصرة هو عثمان بن حنيف، لا طلحة والزبير وعائشة. وهم لا يملكون ذلك التخيير وإن فرضوه بالقوة. فما هم إلا عصابة من المفسدين استولوا على مقاليد الأمور بالغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق. ولا يملكون ذرة من مقاليد الأمور في البصرة. فهم غزاة متمردون احتلوا البصرة بالغدر والخيانة مستخدمين ظلمة الليل ستاراً لجريمتهم الشنعاء. ولم يطلقوا سراح عثمان بن حنيف إلا بعد أن وصلتهم رسالة من أخيه سهل بن حنيف يهدّدهم فيها بالإنتقام من أهلهم في المدينة. فهم لا يعرفون إلا أسلوب القوة، أما أسلوب الرحمة والشفقة فلا يعرفون لهما طعماً، وكيف يعرفون طعم الشفقة والرحمة وقد ذبحوا السبابجة المؤمنين كما يذبح الغنم؟ وكيف يعرفون طعم الشفقة والرحمة وقد ضربوا أعناق الباقين منهم صبراً؟!

وروى الشيخ المفيد: (ثم قال طلحة والزبير لعائشة، ما تأمرين في عثمان؟فإنه لما به، فقالت: اقتلوه قتله الله!! وكانت عندها امرأة من أهل البصرة، فقالت لها: يا أماه!! أين يُذهب بك؟! أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف وأخوه سهل خليفة على المدينة؟! ومكانه من الأوس والخزرج ما قد علمت! والله لئن فعلت ذلك لتكون له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش. فناب إلى عائشة رأيها وقالت: لا تقتلوه!! ولكن احبسوه وضيّقوا عليه!! حتى أرى رأيي!! فحبس أياماً، ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم، فتركوا حبسه)[1].

تأمل في قول عائشة لما استشيرت في عثمان بن حنيف: (اقتلوه قتله الله!!).

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٨٤.

فعبارتها تدل على نفسيتها المتعطشة للدماء والحقد الأسود. وإن هذا الأمر القضائي صادر من قلبها لا من عقلها. وهناك فرق بين تعقلها ونظرتها للأمور، وتعقل تلك المرأة البصرية ونظرتها للأمور. وبهذا التعقل الساذج والنظرة السطحية للأمور صارت عائشة أفضل من تلك المرأة البصرية ومن نساء المسلمين كفضل الثريد على سائر الطعام.

ومن خلال عبارات المرأة البصرية يتضح أن عثمان بن حنيف من الصحابة الذين لهم مكانتهم بين المسلمين. وتأمل في قولها: (والله لئن فعلت ذلك لتكون له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش!!). لماذا يقتل فيها ذراري قريش بالذات، ولم يقتل فيها ذراري طلحة والزبير وعائشة؟! فأغلب جيش الناكثين من قريش. فبالإضافة إلى أولئك الثلاثة، فقد اشترك في جريمة الهجوم على عثمان وتعذيبه، مروان بن الحكم وأبان بن عثمان ويعلي بن منية وغيرهم. مما يدل على أن العناصر الغالبة في ذلك الجيش هم من الطلقاء وأبناء الطلقاء من قريش.

وتأمل في تقلّب عائشة في الحكم القضائي: (لا تقتلوه، ولكن احبسوه وضيّقوا عليه حتى أرى رأيي!!). فلا يجوز لعائشة أن تقتله أو تحبسه. فهي مأمورة بأن تقرَّ في بيتها ولا تبرحه، لا أن تنصّب نفسها قاضية ظالمة تحكم بالجور دون الإستماع إلى حجج المتخاصمين. ولماذا تأمر بالتضيِّيق على عثمان في حبسه؟ فأسلوب التضيّيق في الحبس من الأساليب الهمجية للفراعنة والطغاة ومشركي قريش. فقد طاب لها أن تتقمص شخصية أولئك الظلمة وتبرز فرعنتها وطغيانها.

وماذا كانت تنوي أن تفعل حين قالت: (... حتى أرى رأيي)؟! ألا تعرف الحكم الشرعي؟ أم أنها تنوي تطبيق آراءها الشاذة؟! فلم يطلق رؤوس الناكثين سراح عثمان بن حنيف إلا بعد أن استلموا من أخيه سهل بن حنيف رسالة يهددهم فيها بأن يعمل في أهلهم وأقاربهم كما عملوا بأخيه. لقد خافوا من انتقام أخيه سهل ولم يخافوا من الله الواحد القهار. فلو انتصر هؤلاء الفراعنة العتاة في حرب الجمل، فماذا سيفعلون بأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام؟! لو انتصروا لفعلوا أبشع مما فعل قادة جيش يزيد في كربلاء. وما فعلوه قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة أكبر دليل على ذلك.

ذكر الشيخ المفيد: (وبلغ حكيم بن جبلة العبدي ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابجة الصالحين خزَّان بيت مال المسلمين، فنادى في قومه. يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالين الظالمين!! الذين سفكوا الدم الحرام وقتلوا العباد الصالحين، واستحلوا ما حرَّم الله تعالى!! فأجابه سبعمائة رجل من عبد القيس فأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة، فقال لهم: أما ترون ما صنعوا بأخي عثمان بن حنيف؟! لست بأخيه إن لم أنصره، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن طلحة والزبير لم يريدا بما عملا القربة منك، وما أرادا إلا الدنيا!! اللَّهم اقتلهما بمن قتلا!! ولا تعطهما ما أمَّلا!! ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه. وأقبل طلحة والزبير بمن معهم وهم كثرة من الناس، قد انضمَّ إليهم الجمهور، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت بينهم القتلى والجرحى، وبرز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده ورماه بها فصرعه!! ثم صار إلى حكيم أخوه، المعروف بالاشرف، فقال: من أصابك؟ فأشار إلى الذي ضربه، فأدركه الأشرف فخبطه بالسيف حتى قتله، وتكاثر الناس عليه وعلى أخيه حتى قتلوهما وتفرَّق الناس)[1].

فقد ثار الصحابي الجليل حكيم بن جبلة العبدي على رؤوس الناكثين وأتباعهم لما عاثوا في البصرة الفساد. وقد أثنى عليه كل من ترجم له[2]. وثار معه سبعمائة رجل من عبد القيس. وقد شهد الصحابي الجليل على طلحة والزبير بقوله فيهما: (اللهم إن طلحة والزبير لم يريدا بما عملا القربة منك!! وما أرادا إلا الدنيا!! اللهم اقتلهم بمن قتلا!! ولا تعطهما ما أمَّلا!!). فقد عرف هذا الصحابي الجليل النية الفاسدة لطلحة والزبير، وأنهما ارتكبا جريمتهما من أجل التكالب على الدنيا، ولا علاقة لهما بالدين.

وقال ابن أبي الحديد: (فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج في ثلاثمائة من عبد قيس مخالفاً لهم منابذاً، فخرجوا إليه، وحملوا

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٨٣. أنظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣٢٢.

(٢) أنظر: الإستيعاب: ابن عبد ربه، ج١ ص٣٢٤ ـ ٣٢٧، أسد الغابة: ابن الأثير ج٢ ص٥٧ (رقم الترجمة: ١٢٣٣).

عائشة على جمل فسمِّي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر!! ويوم عليّ يوم الجمل الأكبر!!). أبت عائشة أن يفوتها إثم تلك الحرب الظالمة، فرضيت أن تقود تلك الحرب حتى تتدرب على قيادة الجيوش في حربها ضد إمامها أمير المؤمنين. فسمَّى الناس حربها التدريبية تلك بيوم الجمل الأصغر، وأطلقوا على حربها الرئيسة ضد إمامها يوم الجمل الأكبر!!

وقال ابن أبي الحديد: (وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، وقُتل أصحابه كلهم!! وهم ثلاثمائة من عبد قيس، والقليل منهم من بكر بن وائل. فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف عنهما، اختلفا في الصلاة!! وأراد كل واحد منهما أن يؤم الناس!! وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له ورضاً بتقدمه!! فأصلحت بينهما عائشة، بأن جعلت عبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة يصليان بالناس، هذا يوماً وهذا يوماً!!)[1].

فقد قتل طلحة والزبير وأعوانهما حكيم بن جبلة وإخوته وأصحابه كلهم، وهم (٣٠٠ مسلم) من عبد القيس وبكر بن وائل. وسيكون لهما موقف يحاسبان فيه على قتلهما ٣٠٠ مسلم من أصحاب الصحابي الجليل حكيم بن جبلة. فهل يستطيعان أن يخلِّصا نفسيهما؟!

ولما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق وطرد عثمان بن حنيف من البصرة، وهو الوالي الشرعي عليها، وتشتيت أنصاره وأصحابه، اختلفا في الصلاة، وأراد كل واحد منهما أن يؤمَّ بالناس!! وتأمل في قول رواي الخبر: (وأراد كل واحد منهما أن يؤمَّ بالناس!! وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليماً له!! ورضاً بتقدمه!!). وهذا إن دلَّ على شيء، فهو دليل على أن صلاتهما صلاة سياسية من أجل التأمر على رقاب العباد، ليس إلا!! ولم تكن صلاتهما خالصة لوجه الله. فقد كانا يتكالبان على نيل منصب الخلافة، فاتخذا الصلاة سلَّماً للوصول إلى ذلك المنصب. فتبّاً لهما من ثعلبين ماكرين قد تمرَّغا في مستنقع النفاق.

ذكر ابن أبي الحديد خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في ذكر أهل البصرة قال فيها:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣٢٢.

(كل واحد منهما يرجو الأمر له، ويعطفه عليه دون صاحبه، لا يمتّان إلى الله بحبل، ولا يمدّان إليه بسبب. كل واحد منهما حامل ضبٍّ لصاحبه، وعما قليل يكشف قناعه به. والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا، وليأتين هذا على هذا)[1].

وقد علّق ابن أبي الحديد على الخطبة فقال: (وقوله «لينتزعن هذا نفس هذا» قول صحيح لا ريب فيه، لأن الرياسة لا يمكن أن يدبِّرها اثنان معاً، فلو صح لهما ما أراداه لوثب أحدهما على الآخر فقتله!! فإن الملك عقيم!! وقد ذكر أرباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب!! فإنهما اختلفا في الصلاة!! فأقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، يصلّي هذا يوماً وهذا يوماً، إلى أن تنقضي الحرب)[2].

فالرجل الذي عنده قابلية الوثوب على صاحبه وضرب عنقه من أجل الخلافة وهو لا يستحقها، فمن غير المعقول أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة. وهذا الرأي لأحد علماء خط السقيفة. وإذا كان طلحة والزبير كل واحد منهما عنده الإستعداد لضرب عنق الآخر من أجل التأمّر على رقاب العباد، فلو انتصرا على أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، ماذا سيفعلان به؟! لقد أجابت مجزرة كربلاء على السؤال.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أخرى إلى نفسية الرجلين الناكثين طلحة والزبير: (أيها الناس، إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه!! أما طلحة فابن عمِّها، وأما الزبير فختنها، والله لو ظفروا بما أرادوا ـ ولن ينالوا ذلك أبداً ـ ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد!! والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه!! حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة!!...)[3].

---

(١) المرجع السابق: ج٩ ص١٠٩.

(٢) المرجع السابق: ج٩ ص١١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٣٣، جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت، ج١ ص٢٨٧.

فقد أقسم أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو لا يقسم على الباطل ـ بأن طلحة والزبير لو ظفرا في حرب الجمل لضرب أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد على الخلافة ومقدماتها. فكيف لا يتنازعان على الصلاة؟!

لما أسندت عائشة أمر الإمامة في الصلاة إلى عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة، استغل عبد الله بن الزبير هذا المنصب وادَّعى أمر الخلافة لنفسه. فقد ذكر ابن أبي الحديد: (ثم إن عبد الله بن الزبير ادَّعى أن عثمان نصَّ عليه بالخلافة يوم الدار!! واحتج في ذلك بأنه استخلفه على الصلاة!! واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادَّعاه!! وطلب طلحة من عائشة أن يسلّم الناس عليه بالإمرة!! وأدلى إليها بالتيمية!! وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها!! فأمرت الناس أن يسلّموا عليهما معاً بالإمرة!!)[1]. لقد أضحى زعماء حرب الجمل أضحوكة الأمم بهذا الفكر الغريب والعقائد الضالة.

إنه من المضحك أن يدَّعي عبد الله بن الزبير أن عثمان بن عفان قد نصَّ عليه بالخلافة يوم الدار!! فلن نطالب ابن الزبير بإقامة الشهود. فعثمان بن عفان لا يملك أمر تنصيب الخلفاء. فإن قلنا إن الخلافة بالنص والتعيين، فعثمان بن عفان لم يكن من الأئمة الإثني عشر المنصوص عليهم ولا يملك حق التنصيص بالخلافة إلى أحد.

وإن قلنا إن الخلافة بالشورى، فقيامه بالتنصيص على عبد الله بن الزبير بالخلافة خرق واضح لذلك المبدأ. بل هو بدعة حسب مفهوم الشورى. هذا في حالة أنه نصَّ على خلافة عبد الله بن الزبير حقاً. أما في حالة عدم إيصائه لعبد الله بن الزبير بالخلافة، فهذا الرجل كذّاب ودجال مفترٍ. وتاريخه الأسود المليء بالحقد شاهد على ذلك.

لقد اعتمد عبد الله بن الزبير في ادِّعائه على أحقيته بالخلافة لأن عثمان بن عفان استخلفه على الصلاة. ولما رأى أن هذه الحجة واهية أوهن من بيت العنكبوت، ادَّعى أن عثمان قد نصَّ عليه بالخلافة كما زعم. وقد صدر هذا النص ممن لا يملك، لمن لا يستحق!!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٠.

والشيء الغريب أن أتباع خط السقيفة قد قبلوا بنص أبي بكر على عمر بن الخطاب بالخلافة، رغم معارضته لمبدأ الشورى كما يزعمون، ولم يقبلوا بنص عثمان بن عفان على عبد الله بن الزبير رغم وقوفه معه في أحلك الظروف خلافاً لموقف المهاجرين والأنصار. ولا ندري السبب في ذلك، هل هو في الناصّ أو المنصوص عليه؟!

ولم يخلُ الميدان من منافس لعبد الله بن الزبير، فقد (طلب طلحة من عائشة أن يسلِّم الناس عليه بالإمرة!! وأدلى إليها بالتيمية!!). لقد ظنَّ طلحة أن الإمرة (الخلافة) سلعة تباع وتشترى من تاجرة الخلافة عائشة القائدة العليا لجيش الناكثين.

والشيء الغريب أن عائشة تعلم علم اليقين أن منصب الخلافة ليس بيدها بحيث تعطيه هذا أو ذاك، ومع ذلك فقد قبلت أن تكون تاجرة تتاجر بالخلافة وتبيعها لهذا الزبون أو ذاك، فقد باعت الخلافة ـ والخليفة موجود على قيد الحياة ـ إلى زبونين من زبائن جيشها وهما طلحة والزبير (فأمرت الناس أن يسلّموا عليهما بالإمرة!!).

لم يقل أحد ـ حتى الشواذ من أتباع خط السقيفة ـ بأن أمر الخلافة بيد عائشة، بحيث تنصِّب هذا وتمنع ذاك. لكن طلحة والزبير طلبا الخلافة من عائشة وهي امرأة متمرِّدة فجاءا بالأمر الشاذ الذي لم يسبقهما إليه أحد، وأتيا بما لم تستطعه الأوائل!!

وقد تعاون طلحة والزبير وعائشة على ابتداع هذه السفاسف الصبيانية، والألاعيب الشيطانية وإمامهم موجود على قيد الحياة يقوم بمهام إمامته بكفاءة واقتدار. وما دامت هذه أطماعهم في الخلافة، والإمام موجود، فكيف يتصرفون برقاب المسلمين لو لم يكن الإمام موجوداً؟! لا شك أنهم سيسفكون بحاراً من الدماء، ويطؤون بأحذيتهم جماجم المسلمين. وما فعلوه بعثمان بن حنيف وأصحابه خير دليل على ذلك.

ومعاوية بن أبي سفيان على شيطنته، وتطلعه إلى معالي الأمور منذ زمن بعيد، لم يدَّعِ الخلافة لنفسه وأمير المؤمنين عليه السلام على قيد الحياة، وطلحة والزبير

ادعيا الخلافة وطلباها من عائشة وأمير المؤمنين عليه السلام على قيد الحياة. مما يدل على انهما أكثر خبثاً من معاوية، وأكثر طمعاً في الخلافة منه، وأخبث زندقة منه.

لما طلب طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالإمرة، اعتمد في ذلك على التيمية!! اي انه من قبيلة «تيم» وهي القبيلة التي تنتسب إليها عائشة (وأدلى إليها بالتيمية!!). فمتى أصبح الإنتساب إلى قبيلة «تيم» شرطاً من شروط الحصول على الإمرة (الخلافة)؟! لقد أراد طلحة أن يوصل رسالة إلى عائشة، وهي، أنه قريبها وابن عمِّها، فهو أحق من غيره بالتسليم عليه بالإمرة. ناسياً أنَّ عائشة لا تملك حق التصرف في ذلك الموضوع الذي يصبو إليه.

ولم يقف الزبير مكتوف اليدين، فأدلى بدلوه معتمداً في ذلك على أنه زوج أختها أسماء بنت أبي بكر (وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها!!). وأمام هذا العرض المغري من هذين الزبونين الأحمقين، تصرفت عائشة وفق عقلية التاجر النهم الذي همّه الكسب حتى لو جاء من التعامل مع الشياطين (فأمرت الناس أن يسلّموا عليهما معاً بالإمرة!!). ما دام الزبونان أحمقين!! وإلا كيف يكون ربَّانان في سفينة واحدة؟ رغم وجود الربَّان الشرعي للسفينة.

وقال ابن ابي الحديد عن طلحة والزبير: (واختلفا في تولّي القتال، فطلبه كلٌّ منهما أولاً!! ثم نكل كلٌّ منهما عنه، وتفادى منه!!)[1].

لقد طلب كل من طلحة والزبير مهمة تولي القتال والإشراف عليه ليس كغاية في ذاته، وإنما اتخذاه وسيلة للوصول إلى الخلافة والتحكم في رقاب العباد. لكنهما لما لاحظا وعورة طريقه تجنباه، (ونكل كل واحد منها عنه!! وتفادى منه!!). لأنه لا فائدة تُرجى منه في تحقيق مآربهما الشيطانية، والمآرب الشيطانية لا تتحقق بطريق ذات الشوكة.

وذكر ابن الأثير: (وبقي طلحة والزبير بعد أخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما!! ومن لم يكن معهما استتر!!)[2]. لقد بثَّ طلحة

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١١٠.

والزبير الإرهاب في سكك البصرة ونواحيها. وقد وصلت الأمور إلى درجة أن أهل البصرة قد أصبحوا خائفين مستترين، وأن الغرباء الناكثين يعيثون في البصرة الفساد دون أن يردعهم رادع.

ولما ثار حكيم بن جبلة على فسادهم وطغيانهم (جاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة وتوجه نحو دار الرزق وبها طعام أراد عبد الله بن الزبير أن يرزقه أصحابه!! فقال له عبد الله: ما لك يا حكيم؟! قال: نريد أن نرتزق هذا الطعام، وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ... فقال عبد الله: لا نرزقكم من هذا الطعام!! ولا نخلي سبيل عثمان حتى تخلع علياً!! فقال حكيم: اللهم إنك حكم عدل فاشهد. وقال لأصحابه: لست في شك من قتال هؤلاء القوم، فمن كان في شك فلينصرف. وتقدَّم فقاتلهم، فقال طلحة والزبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة!! اللهم لا تبق منهم أحداً!!)[1].

فالطعام الموجود في دار الرزق من حق أهل البصرة، لكن عبد الله بن الزبير الناكث الذي جاء مع أبيه قرَّر أن يرزقه أصحابه الناكثين الغرباء بغير حق ويحرم منه أهل البصرة اصحاب الطعام. ولما أراد حكيم بن جبلة أن يرتزق الطعام وأصحابه، وأن يفرج الناكثون عن عثمان بن حنيف، أجابه عبد الله بن الزبير الغريب عن أهل البصرة: (لا نرزقكم من هذا الطعام!! ولا نخلِّي سبيل عثمان حتى تخلع علياً!!) فجواب عبد الله بن الزبير دليل على أن الناكثين مجموعة من اللصوص وقطاع الطرق. استطاعوا بالغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق أن يستولوا على مقاليد الأمور في البصرة ويقوموا بعملية السلب والنهب، ويمنعوا أهلها من طعامهم وأرزاقهم ومقدراتهم.

وقد اشترط عبد الله بن الزبير على حكيم بن جبلة لكي يخلي له سبيل عثمان بن حنيف، أن يخلع أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة وينكث بيعته!! لقد كشف عن وجهه الحقيقي، وأنه رجل دنيا وطمع، ولا علاقة له بالدين. فالرجل الذي يشترط ذلك الشرط الإلحادي الذي يخرجه من الإيمان إلى الكفر لا يزن عند الله جناح

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١١٠.

بعوضة. والفتى سرُّ أبيه. ومن يشابه أباه فما ظلم. فهو رجل قضى حياته البائسة في الضلال، ومات ميتة جاهلية.

وتأمل في قول طلحة والزبير: (الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة!! اللهم لا تبق منهم أحداً!!). لم يأت الناكثون للإصلاح، وإنما خرجوا للثأر من أهل البصرة الذين رفضوا تسليمهم مقاليد الأمور في مدينتهم عند بداية وصولهم. فقد ذكر أبو مخنف: (أن الزبير وطحلة أغذّا السير بعائشة، حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري، وهو قريب من البصرة، وكتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامل عليّ عليه السلام على البصرة: أن أخلِ لنا دار الإمارة!!...)[1].

ولما لم يخل عثمان بن حنيف دار الإمارة، بل قاومهم وانتصر عليهم في بداية الأمر إلى أن وافقوا على كتابة معاهدة الصلح. استغلوا الهدنة وغدروا بعثمان بن حنيف وأصحابه في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر. وثأروا منهم بطريقة شنعاء يندى لها جبين الإنسانية، حيث قاموا بذبح بعضهم كما يذبح الغنم، وضرب عنق بعضهم صبراً.

ولما ثار جبلة بن حكيم، رفع طلحة والزبير عقيرتهما بكلامهما الفج (الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة!! اللهم لا تبق منهم أحداً!!). فهما يحمدان الله سبحانه وتعالى على الثأر من عثمان وأصحابه بعد أن غدروا بهم في تلك الليلة المظلمة، ويتبجحان بشدقيهما بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي جمع لهما ثأرهما!! بلا حياء ولا خوف من الله سبحانه وتعالى. ثم يطلبان من الله عزّ وجلّ أن لا يبقي منهم أحداً، وخصوصاً حكيم بن جبلة وأصحابه. هذا موقف الناكثين السيِّء من أهل البصرة حين جاؤوا إلى ربعهم لنشر راية الإصلاح. فهل تشك عزيزي القاريء في زندقتهم وضلالهم وبغيهم ونكثهم؟!

فقد قبضوا على البصرة بيد من حديد. فمن انضمَّ إليهم من أهل الطمع استفاد، ومن لم يكن معهم خاف على نفسه من بطشهم واستتر. فما دلالة هذا الطغيان؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١١.

وذكر البلاذري: (وبعثا «أي طلحة والزبير» عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال وعليه قوم من السبابجة، يكونون أربعين، ويقال: أربعمائة، فامتنعوا من تسليمه دون قدوم عليّ، فقتلوهم ورئيسهم أبا سلمة الزطيّ، وكان عبداً صالحاً)[1].

فالهجوم على بيت المال والإستيلاء عليه وقتل حرَّاسه هدف أساسي في مخطط الناكثين، لكي يوظفوا تلك الأموال في حربهم الظالمة ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وقد صرَّحوا بذلك الهدف بكل وضوح. (. . . وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة، وأخرجنا عامله منها!! وقتلنا شيعته بها!! واتسعنا بالأموال منها!! كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب!! . . .)[2]. فقد أخرجوا عامله من البصرة وهو عثمان بن حنيف، وقتلوا شيعته بالبصرة وذبحوهم كما يذبح الغنم!! ونهبوا بيت المال كما خططوا له مسبقاً قبل خروجهم من مكة. فقد كانوا يتصرفون وفق مخطط مرسوم.

وقال أبو مخنف: (ثم دخلا «أي طلحة والزبير» بيت مال البصرة، فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير: «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه». فنحن أحق بها من أهل البصرة!! فأخذا ذلك المال كله!! فلما غلب عليّ عليه السلام ردَّ تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها في المسلمين)[3].

لقد ادَّعى الزبير بأنه وأصحابه أولى بالمال من أهل البصرة!! لو تفوَّه بهذا الكلام لصٌّ من اللصوص وقطاع الطرق لما كان عجباً. لكن يتفوه به الزبير الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وعرف سنَّته في تحريم الإعتداء على أموال الآخرين، فهذا شيء أغرب من الخيال. ولهذا فلا فرق بين الزبير واللصوص الذين ينهبون أموال المسلمين. وأقواله تدل على هويَّته.

وذكر الشيخ المفيد: (ورجع طلحة والزبير فنزلا دار الإمارة، وغلبا على بيت المال!! فتقدمت عائشة بحمل مالٍ منه لتفرقه في أنصارها!! ودخله طلحة والزبير

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٢٧، نصوص من تاريخ أبي مخنف، ج١ ص١٠٦.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٣٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣٢٢. نصوص من تاريخ أبي مخنف، ج١ ص١٣٣.

في طائفة من أنصارهما واحتملا منه شيئاً كثيراً، فلما خرجا نصبا على أبوابه الأقفال!! ووكلّا به من قبلهما قوماً!! فأمرت عائشة بختمه!! فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد أن يختمه الزبير دونه!! فتدافعا!! فبلغ عائشة ذلك فقالت: يختمانه، ويختم عنّي ابن أختي عبد الله بن الزبير، فختم يومئذٍ بثلاثة ختوم!!)[1].

لقد اتضح للجميع أن طلحة والزبير وعائشة عبارة عن عصابة من اللصوص وقطاع الطرق، فلما تغلبوا على عثمان بن حنيف وأصحابه بالغدر والخيانة، وأبعدوه عن البصرة وهو الوالي الشرعي عليها، لم يكن لهم هم إلا الإستيلاء على بيت المال ونهب الأموال التي كانت فيه. فقد أخذت عائشة قسماً من تلك الأموال لتفرقها في أنصارها. وعائشة تعلم علم اليقين أنها لا حق لها في تلك الأموال، وليس لها الحق في التصرف فيها، وهذا التصرف الذي عملته، ما هو إلا سطو على أموال المسلمين وستحاسب عليه يوم القيامة كسارقة وناهبة لأموال المسلمين.

ولما دخل طلحة الزبير في طائفة من أنصارهما، احتملا منه شيئاً كثيراً!! فلا حق لهما في ذلك المال. ولنا أن نوجّه هذا السؤال: أين ذهبا بذلك المال؟ وفي أي شيء صرفاه؟

ولما خرج طلحة والزبير من بيت المال ونهبا قسماً كبيراً من الأموال التي كانت بداخله نصبا على أبوابه الأقفال!! ووكلّا به من قبلهما قوماً يحرسونه!! وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على ورع طلحة والزبير، وشدة حرصهما على صيانة أموال المسلمين وحفظها وحراستها!! لكن الإجراءات التي اتخذها طلحة والزبير ليست موجهة ضد اللصوص والسرَّاق، وإنما كانت موجهة ضد الوالي الشرعي للبصرة عثمان بن حنيف وأصحابه!!

ولم تهنأ عائشة بالإستيلاء على قسم كبير من أموال بيت المال، بل أمرت بختم باب بيت المال بالشمع الأحمر. وهنا تحدث المشكلة (فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد أن يختمه الزبير دونه، فتدافعا!! فبلغ عائشة ذلك،

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٨٤.

فقالت: يختمانه!! ويختم عني ابن أختي عبد الله بن الزبير!! فختم يومئذٍ بثلاثة ختوم!!).

لقد برز كل واحد منهما ليختم باب بيت المال بالشمع الأحمر امتثالاً لأوامر عائشة القائدة العليا لجيش الناكثين، ودفع كل واحد منهما صاحبه ليفوز بشرف تلك المهمة التي أغضبت الله سبحانه وتعالى ورسوله الأمين عليه السلام. وهنا تفتقت عبقرية عائشة عن حلٍّ يرضي الأطراف الثلاثة. فقد أمرت طلحة والزبير بختم باب بيت المال، ويختم ابن أختها عبد الله بن الزبير نيابة عنها، وانحلَّت المشكلة.

إذا كان طلحة والزبير مستعدين للتنافس والتناحر والتطاحن على ختم باب بيت المال امتثالاً لأوامر عائشة القائدة العليا لجيش الناكثين، فكيف لا يقتل أحدهما الآخر من أجل الفوز بمنصب الخلافة رغم وجود الخليفة الشرعي؟! فالذي يتشاجر مع صاحبه من أجل مهمة خسيسة مثل ختم باب بيت المال بالشمع الأحمر بعد نهب محتوياته، لا يتورع عن قتل صاحبه من أجل مهمة جليلة مثل منصب الخلافة.

فلا فرق بين جيش الناكثين وجيش المغول الذي اجتاح بلاد المسلمين، ولا فرق بين قادة جيش الناكثين وقادة المغول. لقد اجتاح المغول بلدان المسلمين وقتلوا الرجال ونهبوا الأموال. واجتاح جيش الناكثين مدينة البصرة وقتلوا فيها الرجال المؤمنين الصالحين، ونهبوا أموال بيت المال ونصبوا على بابه الأقفال، وختموه بالشمع الأحمر، فلا فرق بين مساويء جيش المغول وجيش الناكثين. ولا فرق بين أوامر قادة المغول وأوامر قادة جيش الناكثين. وإنما الفرق فقط، أن قادة جيش المغول كفار، وأن قادة جيش الناكثين يدَّعون الإسلام، ناسين أنهم داسوا على قيم الإسلام السمحاء، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد حذَّر المسلمين من شرهم ونكثهم وبغيهم وأمرهم بمحاربتهم تحت قيادة أمير المؤمنين عليه السلام

بقت كلمة لا بد من ذكرها لنختم بها هذا الفصل. لقد قام طلحة والزبير وعائشة بارتكاب مجازر دموية يندى لها جبين الإنسانية. وقد غدت تلك المجازر صفحة سوداء حالكة السواد في تاريخ أتباع خط السقيفة. لا تغسلها سفاسف أقلام كتَّابهم، ولا تمحوها أعذار علمائهم، ولا تبّررها ضلالات مفكريهم.

فقد طلب طلحة والزبير من عثمان بن حنيف، أن يخلي لهما دار الإمارة!! ولما لم يمتثل الأوامر شنَّا عليه حرباً شعواء، سقطت فيها الرؤوس وسالت الدماء وزهقت الأرواح البريئة. ثم كتبا معه معاهدة صلح لم يفيا بها، ولما أتمَّا استعدادهما غدرا به وبأصحابه في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر. وأمرت عائشة القائدة العليا لجيش الناكثين الزبير بقتل الأسرى المؤمنين من السبابجة، فامتثل الزبير للأمر، وذبحهم كما يذبح الغنم، دون أن يطرف له جفن، أو يخفق له قلب!! وفتك بالسبابجة الباقين الذين كانوا يحرسون بيت المال، وقدَّمهم واحداً تلو الآخر وضرب أعناقهم صبراً، دون أن يفكر في عواقب الأمور وسوء الحساب يوم القيامة إذا وقف في محكمة العدل الإلهي أمام الإله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولما أسر طلحة والزبير عثمان بن حنيف الوالي الشرعي للبصرة، أمرت عائشة بقتله، ولما خوَّفتها امرأة بصرية من عواقب قتله، أمرت أتباعها أتباع الضلال بسجنه وتعذيبه أبشع تعذيب!! دون أن تخاف سوء الحساب، ودون أن يخفق قلبها المتحجر الخالي من الرحمة!! وكيف يخفق قلبها وقد تفرعنت على إمامها وخليفتها الشرعي؟!

فقد ذكر سبط ابن الجوزي: ثم إن طلحة والزبير اغتالا عثمان بن حنيف في ليلة مظلمة وكان بالمسجد في جماعة، فأوطأوه الأرجل!! ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة!! وأرسلوا إلى عائشة ليستشيروها فيه!! فقالت: اقتلوه!! فقالت لها امرأة: ناشدتك الله في عثمان، فإنه صاحب رسول الله ﷺ، فقالت احبسوه!! واضربوه أربعين سوطاً!! وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ففعلوا!!)[1].

لقد تقمصت عائشة دور فرعون من الفراعنة الطغاة. تأمر بقتل الصحابة المؤمنين، وسجنهم وضربهم وتعذيبهم. فهل أعدَّت العذر يوم القيامة عن أعمالها الإجرامية؟! لقد كشفت عن حقيقة شخصيتها وفساد عقيدتها وخبث سريرتها. فلا فرق بينها وبين فرعون وهامان والنمرود والحجَّاج وزياد بن أبيه إلا في الأنوثة

(١) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٧٤.

والذكورة، ولا فرق بين عقيدتها وعقائدهم إلا في المظاهر الخارجية. فجميعهم تمَّردوا على ربِّهم وأنبيائهم وأئمتهم وخلفائهم الشرعيين.

فماذا سيكون مصير أولئك القتلة الذين سنّوا سنَّة قتل المؤمنين الصالحين؟! واي عذر سيقدمونه يوم الحساب إذا وقفوا في محكمة العدل الإلهي؟! وكيف سيتصرفون إذا رأوا أعمالهم الإجرامية متجسمة أمامهم ومحيطة بهم؟!

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨]. سيرى أولئك القتلة أعمالهم الإجرامية التي ارتكبوها، بالصوت والصورة حاضرة أمامهم. ولن يستطيعوا الفرار من أرض المحشر، فالله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: ٢١-٢٥].

فلن يستطيع أولئك القتلة سرَّاق بيت المال أن يخلّصوا أنفسهم من تبعات تلك المجازر، ولن يعطيهم الله سبحانه وتعالى فرصة للتنصل منها. فسيختم الله سبحانه وتعالى على أفواههم، فتشهد عليهم أيديهم التي باشرت ذبح المؤمنين الأبرياء، وسرقت بيت المال. وستشهد عليهم أرجلهم التي سعوا بها من المدينة إلى مكة، ثم إلى البصرة لارتكاب تلك المجازر الدموية البشعة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. فلا يمكنهم أن يطعنوا بتلك الشهود التي أنطقها الله سبحانه وتعالى رغم أنوفهم. بل لن يجرؤوا في الطعن بهم.

كما سيتقدم للشهادة ضدهم على مجازرهم الرهيبة، سمعهم وأبصارهم وجلودهم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣].

وسينضم إلى الشهود الملائكة الذين سجلوا عليهم ـ بالصوت والصورة ـ كل كلمة وحركة صدرت منهم. قال الله عزّ وجلّ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين: ٢٠-٢١]. كما أن الزمان والمكان سيشهدان عليهم في المجازر الدموية التي ارتكبوها. أمام هؤلاء الشهود الذين لا يعصون الله. لا ينتفع أولئك القتلة سرَّاق بيت المال من دفاع أتباعهم عنهم قديماً وحديثاً بشتى السبل والحيل. بل لا يبعد أن يُحاسب أولئك الأتباع الذين نصروا القتلة وتنكروا للضحايا. ولولا دفاعهم المستميت عنهم لما انخدع كثير من الناس بهم وبأعمالهم المخالفة لكتاب ربهم وسنَّة نبيهم وإمامة إمامهم.

وبعد انتهاء حسابهم العسير على ما اقترفوه من جرائم، هل سيضيِّع الله سبحانه وتعالى حق أصحاب تلك الدماء التي سُفكت والأرواح التي زُهقت؟ أم أنه يسأخذ بحقهم وهو العدل الحكيم؟ وإذا أخذ بحق أولئك الأبرياء، فأين يكون مصير القتلة طلحة والزبير وعائشة؟!

لقد داس أتباع السقيفة على القيم الدينية حين تنكَّروا لأحكام الدين، وتركوا أئمتهم وخلفاءهم الشرعيين، ونصروا المتمردين والناكثين والقتلة والسرَّاق. وقد ظنوا ـ بدفاعهم عن قادة الجريمة والضلال ـ أنهم يحسنون صنعاً. وما دروا أنهم ضللوا الأمة حين قدَّموا إليها المجرمين والقتلة والسرَّاق كصحابة عدول لا يجوز نقدهم وإن حاربوا وليَّهم وإمامهم وخليفتهم الشرعي، وسرقوا أموال الأمة، ورفعوا السيف في وجوه المسلمين وخلَّفوا وراءهم جيشاً من اليتامى والأرامل.

لقد ترك أتباع السقيفة أئمة الهدى الأطهار، وتمسَّكوا بأذيال قادة الضلال الذين سفكوا دماء المسلمين وسرقوا أموالهم. وسيحشرهم الله سبحانه وتعالى مع قادتهم الناكثين، وهناك سيعرفون مصيرهم الأسود إذا تبرَّأ منهم قادتهم قادة الضلال. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

الباب الخامس

حرب الجمل

الفصل الأول:

قبل الحرب

لما استولى طلحة والزبير على مقاليد الأمور بالبصرة عملوا على تقوية جيشهم مادياً وبشرياً. أما أمير المؤمنين عليه السلام فما زال في الطريق يغذّ السير إلى البصرة. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (اجتمع الناس بذي قار مع علي بن أبي طالب ستة آلاف من أهل المدينة وأهل مصر وأهل الحجاز، وتسعة آلاف من أهل الكوفة، وجعل الناس يجتمعون حتى صاروا في تسعة عشر ألف رجل من فارس وراجل، وسار علي رضي الله عنه، عن (ذي قار) يريد البصرة في جميع أصحابه، والناس يتلاحقون به من كل أوب)[1].

وذكر الطبري: (لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبت إلى زيد ين صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا!! فإن لم تفعل فخذِّل الناس عن عليّ)[2]. وفي رواية ابن عبد ربه: (... فثبِّط الناس عن عليّ بن أبي طالب!! وكن مكانك حتى يأتيك أمري والسلام).

لقد استعملت عائشة لقبها «أم المؤمنين» كي تستميل به الناس. وادَّعت أنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله كما في رواية الطبري. أما في رواية ابن عبد ربه وابن أبي

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨٣، وانظر: العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٢٦، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٩.

الحديد فلم ترد هذه العبارة. وتمردها العنيد على إمام زمانها ومخالفتها الصريحة لسنَّة رسول الله ﷺ وأوامره المتعلقة بهذه الحرب، وعصيانها لأوامر ربِّها ومخالفتها للقرآن الكريم، وتظاهرها على رسول الله ﷺ من أكبر الأدلة على عدم كونها حبيبة رسول الله ﷺ كما ادَّعت ذلك. ثم إن المصادر الأخرى لم تذكر هذه العبارة.

وتأمل في قولها: (فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا . . .) فإذا كانت عائشة مصلحة قد خرجت لطلب الإصلاح كما تدَّعي، فما معنى هذا النصر الذي تطلبه؟ وعلى من؟

وتأمل في قولها لزيد بن صوحان: (فإن لم تفعل فخذِّل الناس عن عليّ!!). وفي رواية ابن عبد ربه: (فثبِّط الناس عن عليّ بن أبي طالب!!). فمطلبها الشرير ينقض ادعاءها الإصلاح. فقد عملت على نشر الفساد وبث الشقاق وإشعال الفتنة.

وذكر ابن أبي الحديد: (لما نزل علي عليه السلام بالبصرة، كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة النبي ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد، فأقم في بيتك، وخذِّل الناس عن عليّ!! وليبلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلي عندي. والسلام)[1].

فكتب إليها: (من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد، فإن الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمر. أمرك أن تقرِّي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابكِ، فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله، فأكون قد صنعتُ ما أمركِ الله وصنعتِ ما أمرني به الله، فأمركِ عندي غير مطاع، وكتابك غير مجاب. والسلام[2].

لقد سبحت عائشة ضد التيار كما هي عادتها. فقد أمرت زيد بن صوحان أن يقرّ في بيته ويخذِّل الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام، وخرجت تحارب إمامها وقد أمرها القرآن الكريم بأن تقرَّ في بيتها. وقد عمل زيد بن صوحان ذلك العبد المؤمن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق: ج٦ ص٢٢٦.

خيراً عندما بيَّن التناقض الذي يعشش في ذهن عائشة. ولو وقف كل الناس من عائشة كما وقف العبد الصالح زيد بن صوحان لما استطاعت أن تشعل تلك الحرب المجنونة التي قطَّعت أوصال المسلمين. وقارن بين موقف زيد بن صوحان من عائشة وهو من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام ومن الذين استشهدوا تحت لوائه، وموقف أتباع عائشة الذين يمتثلون أوامرها المخالفة لأحكام القرآن الكريم وسنَّة النبي الأمين صلى الله عليه وآله، ستجد الفرق بين الذهب والحصى، والثريا والثرى، وبين الإيمان والزندقة.

ذكر الشيخ المفيد: (روى الواقدي عن رجاله قال: لما أفرج القوم عن عثمان بن حنيف لما خافوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وابنة الصدِّيق، إلى أهل المدينة، أما بعد، فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه. وقد قال الله عزَّ اسمه ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، فاتقوا الله عباد الله واسمعوا وأطيعوا واعتصموا بحبل الله جميعاً وعروة الحق، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمَّروا عليهم الزبير بن العوَّام فهو أمير الجنود!! والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له!! فإذا اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأٍ منهم وتشاور فإنا ندخل في صالح ما دخلوا فيه!! فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله. وكتب عبيد الله بن كعب لخمس ليالٍ من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين)[1].

تطالب عائشة المسلمين بالتقوى. ولو كان عندها ذرة من التقوى لقرَّت في بيتها وما خرجت إلى البصرة، ولا كتبت هذه الرسالة التحريضية. ولو سمعت نصائح نبيَّها وأطاعت ربَّها واعتصمت بحبل الله لما اقترفت تلك الجرائم الدموية. وقد دعت أهل المدينة للإعتصام بحبل النكث الذي فتلته لقتال المسلمين. أما الإعتصام بحبل الله الحقيقي فيتمثل في التمسك بالقرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلى الله عليه وآله ومبايعة أمير المؤمنين عليه السلام والإنضواء تحت إمامته لأنه الإمام الشرعي.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٩٩.

لكن عائشة قد خالفت القرآن الكريم حين لم تقرّ في بيتها، وخالفت سنَّة رسول الله ﷺ حين حذَّرها من ركوب الجمل (عسكر) ومن نبح كلاب (الحوأب)، وخالفت إمامها الشرعي ورفضت بيعته وحاربته وحثَّت الناس على نقض بيعته وتخذيلهم عنه. فالمرأة التي تكون بهذا المستوى من المخالفات الشرعية المقصودة فمن السخرية أن تدعو الناس إلى الإعتصام بحبل الله!!

وقولها: (فإن الله جمع كلمة أهل البصرة وأمَّروا عليهم الزبير بن العوَّام، فهو أمير الجنود...) فهو من الهراء، وهذا الإجتماع المزعوم كذب صريح من عائشة، مما يؤدي على سقوط عدالتها. وكيف اجتمعت الكلمة وقد غدرتم بعثمان بن حنيف الوالي الشرعي للبصرة في ليلة مظلمة وعذَّبتموه وقتلتم أنصاره؟! ومن الذي أمَّر الزبير على الجنود؟! والإمام الشرعي موجود على قيد الحياة؟! ولماذا جيَّشتم الجيوش وأمَّرتم عليها الزبير؟ هل جيشتم الجيوش لقتال المشركين؟ أم لقتال إمامكم أمير المؤمنين؟!

وقد اجتمعت كلمة المؤمنين من المهاجرين والأنصار على أمير المؤمنين عليه السلام على ملأٍ منهم وتشاور، فلماذا لم تدخلي في ما دخل فيه المؤمنون؟ فلماذا تتشدقين بشيء وتطبقين شيئاً آخر؟! لقد نصَّبت نفسها فرعوناً لكنه بجبَّة إسلامية مصنوعة من نسيج مصنع السقيفة الذي شيَّده والدها وصاحبه.

حاولت عائشة بكل جهدها وطاقتها أن تؤلِّب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على أمير المؤمنين عليه السلام، مستخدمة تلفيق الأكاذيب وتزوير الحقائق. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على تعطشها في التمرد على إمامها أمير المؤمنين وتقويض إمامته. فقد كتبت إلى أهل اليمامة وأهل تلك النواحي:

أما بعد، فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم وألزمكم بالإسلام، فإن الله يقول: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، فاعتصموا عباد الله بحبله، وكونوا مع كتابه، فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعوكم إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة حرمه!! وابتزَّ المسلمين أمرهم!! وقد أظهر الله عليه!! وإن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار!! وإنا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب

الله!! وأن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضاً لهم وأجمع لأمرهم!! وكان ذلك لله عزّ وجلّ على المسلمين فيه الطاعة، فأما أن ندرك به حاجتنا!! أو نبلغ عذراً. فلما دنونا إلى البصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع، وأمرهم أن يلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر، وقالوا فينا المنكر، فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم، وقالوا لعثمان بن حنيف: ويحك!! إنما تابعنا زوج النبي ﷺ، وأم المؤمنين وأصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين، فتمادى في غيِّه، وأقام على أمره. فلما رأى المسلمون أنه قد عصاهم وردَّ عليهم أمرهم غضبوا لله عزَّ وجلّ ولأم المؤمنين، ولم نشعر حتى أطلنا في ثلاثة آلاف من جهلة العرب وسفائهم وصفَّهم دون المسجد بالسلاح، فالتمسنا أن يبايعوا على الحق، ولا يحولوا بيننا وبين المسجد!! فردَّ علينا ذلك كلّه، حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرَّق الناس بعد الصلاة عنه، دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون، وفتحوه عنوة، وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس. وإنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غرَّة. فلما رأى المسلمون أنهم لا يبرحون تحرَّزوا لأنفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وبلغوا سدَّة بيتي!! ومعهم هادٍ يدلهم عليه ليسفكوا دمي، فوجدوا نفراً على باب بيتي فردُّوهم عنِّي، وكان حولي نفرٌ من القرشيين والأزديين يدفعونهم عنّي، فقتل منهم من قتل، وانهزموا فلم نعترض لبقيتهم!! وخلَّينا ابن حنيف منَّا عليه!! وقد توجه إلى صاحبه، وعرَّفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصرة دين الله والغضب للخليفة المظلوم!!)[1].

تأمر عائشة المسلمين بأن يعتصموا بحبل الله ويكونوا مع القرآن وهي أول من قطعت حبل الله وخالفت القرآن الذي أمرها بأن تقرَّ في بيتها. وادَّعت في رسالتها أنها ناصحة للمسلمين!! فلا قيمة لهذا النصح الذي يخرج المسلمين من الإيمان إلى الميتة الجاهلية، ومن السمع والطاعة للإمام الشرعي إلى التمرد عليه ونكث بيعته.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٠١، وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨١، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٢٣ ـ ٣٢٥.

ومن الحماقة بمكان أنها سمَّت تمرّدها على إمامها جهاداً، وهذا من عجائب الدهر، ومن مخازي فكر أتباع خط السقيفة. لقد وصلت بها الأمور أن تحرِّف معنى الجهاد وأن تتهم أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان!!

كما أنها اتهمته بأنه ابتزَّ السملمين أمرهم. وهذا كذب صريح، فقد شهدت على شيء لم تحضره. فلم تكن موجودة في المدينة حين بايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام حتى تعرف حقيقة الأمر، بل رفضت الإذعان له والإنضواء تحت إمامته وتمنَّت أن تنطبق السماء على الأرض بمجرد أن عرفت أن المسلمين قد بايعوه. فأين الإبتزاز المزعوم؟! لقد لاذت عائشة بالكذب على أمير المؤمنين عليه السلام لعلَّها تغيِّر حقائق الأمور لكنها لم تجن إلا الخيبة والخسران وسقوط عدالتها عند المسلمين.

وقد شهدت على الصحابي الجليل عثمان بن حنيف بالضلال وأنه يدعو المسلمين إلى سبيل النار. فالمرأة التي تعصي كتاب ربِّها وتخالف سنَّة نبيِّها وتتمرد على إمامها وتنكث بيعته لا تتورع أن تصف الصحابي الجليل عثمان بن حنيف بـ (الضال المضل) الذي (يدعو المسلمين إلى سبيل النار!!). لقد انسخلت هذه المرأة من العدالة والإنصاف كما تنسلخ الحية من جلدها.

لقد زخرفت القول ولفَّقت الأكاذيب وقلبت الحقائق، ونست أن صاحبيها طلحة والزبير قد كتبا معاهدة الصلح بينهما وبين عثمان بن حنيف ثم غدرا به في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، وأنها أمرت بقتل عثمان بن حنيف وتعذيبه أبشع تعذيب.

وتأمل في قولها: (فالتمسنا أن يبايعوا على الحق!! ولا يحولوا بيننا وبين المسجد!!). لقد بايع أهل البصرة أمير المؤمنين قبل مجيء الناكثين. فكيف تلتمس منهم أن يبايعوا شخصاً آخر على الحق؟ وكيف تطلب منهم أن يبايعوا على الحق والإمام الشرعي موجود على قيد الحياة؟ ما قصدها من هذه المهزلة التي تحيك خيوطها؟! لقد ورد المسجد في بنود الصلح بحيث أن لا يضار أحد فيه، فما هذا الإدّعاء الذي تدَّعيه؟! بل الذي حدث أن طلحة والزبير وأتباعهما قد استولوا على المسجد ومنعوا عثمان من الصلاة فيه. بل أن عائشة نفسها قد عيَّنت عبد الله بن

الزبير ومحمد بن طلحة ليصليا بالناس بدلاً من عثمان بن حنيف. لقد مارست عائشة الكذب بأبشع صوره في رسائلها التي كتبتها إلى البلدان، محاولة تضليل المسلمين عن معرفة حقائق الأمور. وستحاسب يوم القيامة على ذلك الكذب والإفتراء. وقد بينا تلك الحقائق ووثقناها قبل أن تقوم بتزويرها.

وتأمل في قولها: (. . . حتى هجموا علينا وبلغوا سدَّة بيتي!! ومعهم هادٍ يدلهم عليه ليسفكوا دمي!!). فالذين قاموا بالهجوم هم أتباع عائشة بقيادة طلحة والزبير، وذبحوا المؤمنين الصالحين كما يذبح الغنم، وضربوا أعناق الآخرين صبراً. وقد وثقنا ذلك، لكن عائشة يحلو لها أن تزوِّر حقائق الأمور، وتوزِّع الإتهامات يميناً وشمالاً، وتصوِّر نفسها كالحمل الوديع متجاهلة الأوامر التي أصدرتها في قتل السبابجة الأبرياء، وقد نفَّذ أتباعها تلك الأوامر الظالمة. وقد نست أنها ـ بهذه الرسالة الظالمة ـ قد نصَّبت نفسها فرعوناً طاغياً يعيث في الأرض الفساد. فقد ازدرت إمامها واستخفت به وأخذت تحرِّض المسلمين عليه برسائلها التي ملأتها بالكذب والأباطيل وتزوير الحقائق. وقد أسقطت عدالتها بهذه الرسائل الظالمة، وسملت عينيها بيديها، وكشفت عن فساد عقيدتها بما سطَّرته من أكاذيب.

وقد ادَّعت أن المهاجمين قد بلغوا سدَّة بيتها. وهذا كذب. فبيتها في المدينة وهو البيت الذي أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ فيه. فلم يأمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ في بيوت الغرباء في البصرة!! ألم يكن لها عقل حين سطَّرت هذا الهذيان!!

وأما قولها: (فلم نعترض لبقيتهم!! وخلينا ابن حنيف منَّا عليه!! وقد توجَّه إلى صاحبه) فهو الكذب المقصود عن سبق إصرار. فهي التي أمرت بقتل السبابجة وقد ذبحهم الزبير كما يذبح الغنم، وهي التي أمرت بتعذيب عثمان بن حنيف أبشع تعذيب، وقد وثقنا ذلك في الباب الرابع. فهي لا تتورع في إخفاء الحقائق وتزويرها. لقد مارست الكذب واتخذته عقيدة لها.

وأما ادعاؤها بإطلاق سراح عثمان بن حنيف منَّا عليه فهو من الكذب المفضوح. فقد أمرت بقتله كما وثقنا ذلك في الباب الرابع، ولما خوَّفتها امرأة

بصرية من عواقب قتله أمرت بحبسه وتعذيبه أبشع تعذيب حتى ترى رأيها فيه. ولما عرف أخوه سهل بن حنيف بحقيقة الأمر أرسل لرؤوس الناكثين: طلحة والزبير وعائشة رسالة يهدّدهم فيها فخلوا سبيله خوفاً على أهلهم في المدينة لا منًّا عليه بإطلاق سراحه كما كذبت في رسالتها. لكن هذه المرأة لا تتورع عن الكذب وتلفيق الأكاذيب. فهي بنت مشيِّد السقيفة، وقد رضعت الكذب من السقيفة.

لقد ملأت عائشة رسالتها بأعداد كثيرة من الأكاذيب لتضلل بها المسلمين. وهذه الأعداد الكثيرة من الأكاذيب تعطينا مؤشراً على أنها غير ثقة في ما تنقل من روايات وأحاديث. فالتي ديدنها الكذب في كثير من المواقف لا تتورع عن الكذب على رسول الله ﷺ. كما هو المعروف عنها[1].

لما استولى طلحة والزبير وأعوانهما على مقاليد الأمور في البصرة، كتبا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه:

(إنا خرجنا لوضع الحرب!! وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذي يردنا عن ذلك، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم. وخالفنا شرارهم ونزّاعهم، فردّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنَّة المسلمين مرَّة بعد مرَّة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين، فخرجوا إلى مضاجعهم، فلم يفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير، والله سبحانه مقيده إن شاء الله، وكانوا كما وصف الله عزّ وجلّ.

وإننا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا فنلقى الله عزّ وجلّ وتلقونه وقد أعذرنا، وقضينا الذي علينا)[2]. وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله، وكذا إلى أهل اليمامة وأهل المدينة.

لقد تشدَّق رؤوس الناكثين بأنهم خرجوا في تمردهم على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام لإنهاء الحرب!! (إنا خرجنا لوضع الحرب!!). وهذا من المضحك المبكي. فلم تكن هناك حرب في البصرة كي تضعوا أوزارها. فقد كانت كلمة أهل

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٤ ص٦٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨١، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٢٣.

البصرة واحدة، وقد بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تكن هناك حرب بينهم وبين إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام حتى يستدعي الأمر أن تتمردوا على إمامكم الشرعي وتأتوا لإطفائها. بل تفرق أمرهم بمجرد وصولكم إليهم وقاتلتموهم، وعقدتم صلحاً مع واليهم عثمان بن حنيف ثم غدرتم به وبأصحابه، واستوليتم على مقاليد الأمور وأشعلتم حرب الجمل الكبرى ضد إمامكم أمير المؤمنين عليه السلام. فلماذا تلجؤون إلى الكذب الرخيص في قولكم (إنا خرجنا لوضع الحرب)؟!

وأيّ حرب وضعتم أوزارها؟! فلم يحدثنا التاريخ أنكم أنهيتم حرباً بين المسلمين، بل حدثنا التاريخ أنكم أشعلتم حرباً ظالمة ما زالت نتائجها السيئة جاثمة على صدور المسلمين إلى الآن.

كما تشدق رؤوس الناكثين طلحة والزبير وعائشة بأنهم خرجوا على إمامهم من أجل إقامة كتاب الله عزّ وجلّ وتطبيق حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل (إنا خرجنا لوضع الحرب!! وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل!! حتى يكون الله عزّ وجلّ هو الذي يردنا عن ذلك!!).

فلم يكن القرآن الكريم مهجوراً عند أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تكن حدوده معطلة حتى يستدعي الأمر أن تتمردوا على إمامكم من أجل إقامة حدود القرآن الكريم. فالذي جعل القرآن الكريم وراء ظهره وعطل حدوده هو عثمان بن عفان الذي خرجتم من أجل المطالبة بدمه كما صرَّحتم بذلك مراراً وتكراراً. كما أنكم جعلتم القرآن الكريم وراء ظهوركم وعطلتم حدوده. فقد برَّؤوا أنفسهم وهم متهمون، واتهموا البريء.

أما عائشة فقد أمرها القرآن الكريم أن تقرَّ في بيتها فخرجت على إمامها تقود جيش الضلالة والبغي. وقال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. وقد أمرت عائشة الزبير بقتل السبابجة المؤمنين فذبحهم كما يذبح الغنم!! كما أمرت بقتل عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام. فكيف تتشدق بأنها خرجت لإقامة حدود كتاب الله عزّ وجلّ؟! لماذا تصل بها الأمور إلى هذا المستوى من الكذب؟!

وأما طلحة والزبير فقد بايعا أمير المؤمنين عليه السلام ثم نكثا البيعة، وقادا جيش الضلالة والبغي. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

فقد نكثا بيعتهما ولم يفيا بها، فكيف يتشدقان بأنهما خرجا لإقامة حدود كتاب الله في الشريف والوضيع؟ وكيف يدَّعيان الخروج لإقامة حدود كتاب الله والإمام المناط به تطبيق تلك الأحكام موجود على قيد الحياة؟! لقدوصل بهما الإستهتار حداً إلى درجة أنهما يدَّعيان شيئاً ليسا من أهله. بل كانا يعملان بضد ما يدَّعيانه. فمن الذي اعطاهما حق إقامة الحدود على الشريف والوضيع؟!

وتأمل في قولهما: (فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم!! وخالفنا شرارهم ونزَّاعهم، فردّونا بالسلاح!!). فلم يبايعهما ويقف معهما إلا الشذاذ من أصحاب النفوس المريضة. ولو سلمنا ذلك، وقلنا إن الذين بايعوهما هم خيار أهل البصرة ونجباؤهم. فعلى أي شيء قد بايعوهما؟ هل بايعوهما على الإمامة والخلافة؟ وكيف يبايعونهما على الإمامة والخلافة والإمام الشرعي موجود على قيد الحياة وبيعته ثابتة في عنقيهما؟ فإذا بايعوهما على الخلافة فقد خرجا من الدين إلى الكفر والإلحاد.

أم أنهم قد بايعوهما على الجهاد؟ وإذا كانت البيعة للجهاد، فأي الأقوام الذين جاهدوهم؟ هل جاهدوا الكفار؟ أم المسلمين؟ لقد رأيناهما وأتباعهما قد قاتلوا المسلمين الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ضربوا أعناق بعضهم صبراً، وذبحوا الآخرين كما يذبح الغنم في معركة الجمل الأصغر. كما أنهما وأتباعهما أتباع الضلال قد حاربوا إمامهم أمير المؤمنين والمؤمنين الذين خرجوا معه من المهاجرين والأنصار في معركة الجمل الأكبر. فأي جهاد هذا ـ لا أم لهما ـ الذي يقوم على قتال المؤمنين وإمامهم؟!

فإذا لم تكن بيعة خيار أهل البصرة ونجبائهم لهما بالإمامة والخلافة والجهاد، فعلى أي شيء قد بايعهما أهل البصرة ونجباؤهم؟ فإذا استبعدنا البيعة على الإمامة والخلافة والجهاد، فلم يبق هدف لتلك البيعة المزعومة إلا هدف البيعة على التمرد على إمامهم الشرعي ونكث بيعته والإنسلاخ من الدين

والتردي في مهاوى الميتة الجاهلية. وقد صرَّحوا بذلك الهدف بكل وضوح. وقد وثقنا ذلك في الباب الرابع. والوثائق موجودة بوفرة، وموثَّقة في كتب أتباعهم. ولن يستطيعوا أن يضحكوا على أذقان الناس. كما أن الملائكة الكرام الكاتبين قد سجَّلوا عليهم أهدافهم الخبيثة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فكيف يخلصون أنفسهم يوم القيامة إذا وقفوا في محكمة العدل الإلهي؟!

فإذا كان هذا هو الهدف من البيعة، فلم يبايع طلحة والزبير أحد من أهل البصرة إلا أشرارهم وأصحاب النفوس المريضة، لا خيارهم ونجباءهم. وإذا كان هدف المبايعين ذلك الهدف الشيطاني، فبئس المبايع والمبايَع له!!

وتأمل في ادعاء طلحة والزبير في حق أهل البصرة المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، (وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه...). لم يقل أحد من أهل البصرة من أتباع عثمان بن حنيف سنأخذ عائشة رهينة، بل نصحوها لكنها أبت النصيحة ولم تتعظ. فقد ذكر الطبري: (أقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك، وأبحت حرمتك. إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، إن كنت أتيتينا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتينا مستكرهة فاستعيني بالناس)[1].

فالقوم الذين ينصحونها هذا النصح الجميل وفي ذلك الموقف الحسَّاس لا يقولون بأننا سنأخذ عائشة رهينة. وهذا الإدعاء ما هو إلا كذب رخيص من رؤوس الناكثين. فالذي لا يستحي يقول ما يحلو له من أكاذيب.

وتأمل في قولهم لأهل الشام: (وإننا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به فنلقى الله عزّ وجلّ وتلقونه وقد أعذرنا، وقضينا الذي علينا!!).

لقد قاموا بدور التحريض وتفريق كلمة الأمة. فلم يكتفوا بتحريض

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧٦، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٢٤.

الأوباش والغوغاء وأبناء الطلقاء على إمامهم الشرعي. وإنما كتبوا لأهل الشام هذه الرسالة السيئة لتحريضهم على التمرد والعصيان ونكث بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. مما يجعلهم أن يأخذوا نصيبهم من الإثم والعدوان على أمير المؤمنين في حرب صفين. فهذه الرسالة تكشف عن النوايا السيئة لرؤوس الناكثين، وأنهم يضمرون الشر للإسلام والمسلمين، ولا يتورعون عن تحريض المسلمين على القتل والإقتتال من أجل تحقيق أهدافهم الشيطانية. كما أنهم يضمرون الحقد والبغض الشديد لإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام. فالذين يتمردون على أمير المؤمنين عليه السلام وينكثون بيعته علانية ويجيّشون له الجيوش ويحرِّضون عليه أوباش الشام وطغامهم لا يكنون له ذرة من الحب والإحترام. ورؤوس الناكثين الذين انشكف القناع عن وجوههم وبدوا بهذه الصورة من التمرد والعصيان والحقد الشديد على إمامهم لا يستحقون الإحترام أو الدفاع عنهم وتبرير مواقفهم وتصرفاتهم، بل لا بد من فضحهم ليعرفهم المسلمون على حقيقتهم فلا ينخدعون بهم. والدفاع عنهم وعن تصرفاتهم السيئة يشبه دفاع المرتدين عن مسيلمة الكذاب.

لقد وظَّف رؤوس الناكثين أسلوب إرسال الرسائل إلى الأفراد وزعماء القبائل والبلدان وأقاليم الدول الإسلامة لكي يحرضوا المسلمين على إمامهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يصل إلى البصرة ويجتث فسادهم ويقطع حبل عصيانهم وتمردهم. ولم يفلحوا أبداً في توظيفهم تلك الرسائل السيئة. ولم يجنوا منها إلا الهزيمة النكراء وميتة السوء في الدنيا، والخزي والعار وسوء العذاب في الآخرة. وبقت تلك الرسائل شاهد صدق على سوء نيتهم وخبث نكثهم وشدة تمردهم وفساد عقيدتهم.

لقد استغل رؤوس الناكثين الفترة التي أعقبت استيلاءهم على مقاليد الأمور في البصرة وطرد عثمان بن حنيف منها في الإستعداد لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام قبل وصوله إليهم. ولما أطلَّت عليهم طلائع جيش أمير المؤمنين عليه السلام أداروا الرأي بينهم فاتفقوا على مباغتته واغتياله من جانب، وشراء أصحاب النفوس المريضة بالأموال التي استولوا عليها من بيت المال بالبصرة لكي يقفوا معهم في حربهم ضد إمامهم الشرعي من جانب آخر.

(فقد روى دواد بن أبي هند عن أبي عمرة مولى الزبير: ان الزبير قال يومئذٍ ألا الف فارس؟ ألا خمسمائة فارس؟ ينهضون معي الساعة لاسير بهم إلى علي بن أبي طالب!! فإما أن أبيّته بياتاً، أو أصبّحه صباحاً، لعلي أقتله قبل أن يأتيه مدده!! فلم يخف معه أحد. فاغتاظ لذلك. وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها. فقال مولاه أبو عمرة: رحمك الله يا أبا عبد الله، تسمِّيها فتنة ثم ترى القتال فيها؟ فقال: ويحك! إنا نبصر ولكن لا نصبر. ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين: والله ما كان أمرٌ قط إلا علمت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر، فإني لم أدر أنا فيه مقبل أو مدبر؟! فقال له ابنه عبد الله: والله ما بك هذا وإنا لنتعامى! فما يحملك على هذا القول إلا أنك أحسست برايات علي بن أبي طالب قد أظلت، وعلمت أن الموت الناقع تحتها. فقال: أعزب ويحك! فإنه لا علم لك بالأمور)[1].

فقد طلب الزبير ألف فارس أو خمسمائة فارس من الناكثين المتمردين كي يساعدوه في اغتيال ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام، مما يدل على تعطشه للقتل وسفك الدماء بأقرب المقرَّبين إليه في النسب والدين من أجل تحقيق مطلبه في الإستيلاء على منصب الخلافة بشتى الوسائل غير الشرعية. (. . . فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني. قالا: لأحدنا!! أينا اختاره الناس!!)[2].

فلم نتجنَّ على الرجل، وإنما حكمنا عليه وفق قاعدة، من فمك أدينك. فهو الذي صرَّح بأحد أهداف تمرّده وهو الإستيلاء على منصب الخلافة. وما طلبه من الناكثين أن ينهض معه ألف فارس من أصحاب الضمائر الميّتة إلا لإزالة أكبر عقبة تعترض طريقه وتمنعه من الإستيلاء على منصب الخلافة وهو ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام. فلا بد من تصفيته تصفية جسدية بمساعدة أولئك الناكثين المتمردين لكي يعبِّدوا له الطريق لتحقيق مآربه السيِّئة. وقد صرَّح بذلك بكل وضوح لا لبس فيه.

وتأمل في قوله السيِّء: (فإما أن أبيِّته بياتاً، أو أصبِّحه صباحاً، لعلِّي أقتله قبل

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٨، وانظر: البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨٦.

أن يأتيه مدده!!). وفي المعجم الوسيط: بيَّت القومَ: أوقع بهم ليلاً بغتة. والبيات: يقال: أتاهم الأمر بياتاً: فجأة في جوف الليل[1].

فقد طلب الزبير من أفراد جيشه جيش الضلالة أن ينهض معه ألف متمرد من أصحاب الضمائر الميتة لكي يوقعوا بأمير المؤمنين وأفراد جيشه ليلاً بغتة، أو يوقعوا بهم صباحاً لعلهم يقتلونه قبل أن تصل إليه مدده!!

وهذه النيّة السيِّئة تدل على فساد عقيدته. فالذي ينوي قتل ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين بهذه الطريقة من الغدر لا يحمل ذرة من الإيمان، فضلاً عن أن يكون من العشرة المبشرين بالجنة. فهل بشَّره النبي ﷺ بالجنة من أجل تلك النيَّة الشرِّيرة؟! وإذ لم يبشره بالجنة من أجل تلك النيَّة الشريرة، فبأي شيء ينبغي ان يكافأه عليها؟

وتأمل في قول راوي الخبر: (فلم يخف معه أحد، فاغتاظ لذلك، وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها!!). حين لم يخف معه أحد ليس بسبب التقوى والورع وأنهم يرون حرمة قتله، وإنما منعهم ذلك الخوف من سيفه ذي الفقار الذي سيعجِّل بهم إلى النار وبئس القرار. وأما سبب غيظ الزبير من تقاعس أتباعه لم يكن لوجه الله، وإنما بسبب عدم تحقيق أمانيه الشرِّيرة. وقد اعتبر عمله الشيطاني فتنة. ومع ذلك فقد غمس نفسه فيها حتى أخمص قدميه. فكيف يكون من العشرة المبشرين بالجنة؟

وتأمل في الحوار الذي جرى بينه وبين مولاه أبي عمرة: (فقال له مولاه أبو عمرة: رحمك الله يا أبا عبد الله، تسميها فتنة، ثم ترى القتال فيها؟! فقال: ويحك! إنا نبصر ولكن لا نصبر. ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين: والله ما كان أمر قط إلا علمت أين اضع قدمي فيه إلا هذا الأمر، فإني لم أدر فيه مقبل أم مدبر؟!).

فقد قاتل في الفريق الذي يناصر الفتنة وهو يعلم ذلك، وقاتل الفريق الذي يمثل الحق وهو يعلم ذلك، فبأي حجة سيحتج بها يوم القيامة؟ وقد اعترف بأنه على باطل، أو على أقل تقدير بأنه كان متحيِّراً لا يعرف الحق من الباطل. وقد أكد تحيُّره بالقسم (والله ما كان أمر قط إلا علمت أين أضع قدمي فيه إلا هذا الأمر...)

---

(١) المعجم الوسيط: ج١ ص٧٨. مادة (بات).

وهذا التذبذب يحول بينه وبين أن يكون من المبشَّرين بالجنة. ولو كان متحيراً حقاً لرجع إلى إمامه لكي يزيل تحيُّره ويبدد عن عينيه سحب الشك التي أعمت بصره، لكنه يتعامى عن الحق عن قصد وسبق إصرار.

وروى ابن أبي الحديد: (عن أبي صالح أن علياً عليه السلام لما نزل (ذا قار) في قلة من عسكره، صعد الزبير منبر البصرة فقال: ألا الف فارس أسير بهم إلى عليّ، فأبيّته بياتاً، وأصبحه صباحاً، قبل أن يأتيه المدد!! فلم يجبه أحد، فنزل واجماً وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نحدِّث بها! فقال له بعض مواليه: رحمك الله يا أبا عبد الله! تسميها فتنة ثم نقاتل فيها! قال: ويحك! والله إنا لنبصر ثم لا نصبر. فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فاراً إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال: اللهم عليك به!)[1].

فكيف استبصر المولى والتحق بجيش أمير المؤمنين ولم يستبصر سيده؟ فقد كان الزبير عالماً بأن الحق مع أمير المؤمنين عليه السلام، لكن الطمع في الحصول على منصب الخلافة هو الذي أعمى بصره وبصيرته فخرج من الدنيا دون أن يبايع إمامه بعد نكث بيعته الأولى التي لم تكن لوجه لله كما صرَّح بذلك مراراً وتكراراً.

ولم يقتصر الأمر على الزبير فقط. فقد حاول طلحة أن يجرِّب حظَّه العاثر في الغدر بأمير المؤمنين عليه السلام، فلم يكن حظه بأحسن من حظ صاحبه. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (ودنا عليّ في أصحابه من البصرة، فقال طلحة بن عبيد الله لأصحابه: اعلموا أيها الناس! أن علياً وأصحابه قد أضرَّ بهم السفر وتعب الطريق، فهل لكم أن نأتيهم الليلة فنضع فيهم السيف؟ فقال مروان بن الحكم: والله لقد استبطأت هذه منك أبا محمد! وليس الرأي إلا ما رأيت. قال: فضحك الزبير من ذلك، ثم قال: أمن عليّ تصاب الفرصة وهو من قد عرفتم؟ أما علمتم أنه رجل ما لقيه أحد إلا ثكلته أمه؟ فسكت طلحة ولم يرد إلى الزبير شيئاً)[2].

لقد حاول طلحة بن عبيد الله أن يغدر بإمامه أمير المؤمنين وأصحابه مستغلاً الظروف المناسبة من طول السفر وتعب الطريق. وقد كشف بهذه النيَّة السيئة القناع

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٤ ص١٤، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨٣.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٢.

عن وجهه الحقيقي. فلطالما قد ادَّعى الإيمان وتبجَّح بالتقوى والورع وأعلن للملأ أنه من رجال الإصلاح. وإذا به بفضح نفسه ويعرِّيها تماماً بحيث يخجل أصحاب الضمائر الحية من الدفاع عنه وتبرير نيَّاته الشرِّيرة التي لا تختلف عن نيَّات إبليس وأعوانه.

فلماذا يحاول طلحة وأعوانه أعوان إبليس الغدر بإمامهم أمير المؤمنين وأصحابه بوضع السيف فيهم؟ ما هدف طلحة من هذا الغدر؟ وما غرضه من الإفصاح عن تلك النيَّة الشرِّيرة؟ وهل يستطيع أن يتنصَّل من نيَّته السيِّئة يوم القيامة إذا وقف أمام الإله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدرو؟ وهل سيكافئه ربُّه بالجنة وهو بهذا المستوى من النيِّة الشريرة؟! وهل سيبشره رسول الله ﷺ بالجنة وهو بهذا المستوى من النيَّة السيئَّة يقاتل تحت راية إبليس؟ نوكل الجواب لأتباعه الذين ما زالوا يدافعون عن تمرّده ونكثه ويبرِّرون جرائمه في حق إمامه أمير المؤمنين والمسلمين الأبرياء.

لقد تبيَّن من تلك النية الشريرة أن الرجل لا يحمل ذرَّة من التقوى والورع، وأنه متعطش لسفك الدماء البريئة كتعطش الذئاب الضواري للفريسة. وإلا، فما الحكم الشرعي الذي استند عليه في أن يضع السيف في إمامه أمير المؤمنين وأصحابه؟ ولماذا تحيَّن فرصة الظلام لتنفيذ عمله الإجرامي؟ ولماذا استغل ظروف السفر وتعب الطريق لتنفيذ جريمته البشعة المخالفة لأحكام الدين والقوانين والأعراف الإجتماعية؟! وكيف يجرؤ امرء يحمل ذرة من الإيمان على الدفاع عن ذلك المتمرِّد المجرم وتبرير جريمته الوقحة؟!

فإذا جاز لأتباع طلحة أن يدافعوا عنه وعن نيَّاته الشرِّيرة وتبريرها، جاز لكل من هبَّ ودبَّ الدفاع عن المجرمين، وتبرير جرائمهم عبر التاريخ. وما أكثر أولئك المجرمين الذين عانت البشرية من جرائمهم، وكان يحمل بعضهم لقب خليفة المسلمين. وإذا رضينا بالدفاع عن المجرمين اختلط الحابل بالنابل، ولم نستطع أن نميِّز بين أهل الحق وأهل الباطل، وضاع الدين وانمحت معالمه. فلا بد من فضح المجرمين وبيان جرائمهم لكي لا يغترَّ بهم أحد من المسلمين فيتبعوهم.

وتأمل في قول مروان لطلحة: (والله لقد استبطأت هذه منك أبا محمد!! وليس

الرأي إلا ما رأيت!!). لا عجب أن يصدر هذا التأييد الجائر من غصن خبيث من أغصان الشجرة المعلونة في القرآن. لقد استبطأ مروان تنفيذ الجريمة البشعة التي أراد طلحة القيام بها ضد أمير المؤمنين وأصحابه، وقد حاول أن يرسِّخ في ذهن طلحة فكرة الإنتقام من أمير المؤمنين وأصحابه والغدر بهم مؤكداً فكرته الشيطانية بالقسم بالله العظيم واللام وقد (والله لقد استبطأت هذه منك أبا محمد!!).

كما حاول أن يستبعد كل الآراء إلا الرأي البائس الذي رآه طلحة (وليس الرأي إلا ما رأيت!!). كما حاول بكل الوسائل أن يغريه ويشجعه على تنفيذ جريمته البشعة المخالفة لأحكام الدين. مما يدل على أنه لا يحمل ذرة من الإيمان، ولا ينتمي لدين الإسلام ولا يحب أمير المؤمنين عليه السلام. وكيف يكون مؤمناً ويحب أمير المؤمنين وينتمي لدين الإسلام وهو غصن من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن؟!

وهذا الموقف المخزي لمروان وطلحة يعطينا صورة حقيقية لنفسية بعض الصحابة من أصحاب النفوس الشريرة. وأن الصحابة ليسوا كلهم عدول، بل فيهم الصلحاء الأبرار، وفيهم الفسقة الفجار المتعطشون للدماء الذين لا يتورعون عن سفك الدماء البريئة مستغلين ستار الظلام وطول السفر وتعب الطريق للغدر بالمؤمنين ووضع السيف في رقابهم.

ولو قدِّر لطحلة والزبير وأعوانهما من الطلقاء والمنافقين أن ينتصروا في الحرب لسالت الأودية من دماء المؤمنين وامتلأت الأرض من جماجمهم. فرؤوس الناكثين الذين أبدوا استعدادهم في الغدر بإمامهم وأنصاره ووضع السيف في رقابهم تحت جنح الظلام وطول السفر وتعب الطريق، لا يتورعون أن يسفكوا بحاراً من دماء المؤمنين، وأن يشيّدوا أركان دولتهم الظالمة على جماجم المسلمين الأبرياء. وما فعلوه بعثمان بن حنيف والسبابجة وأهل البصرة أصدق شاهد على ذلك. وما محاولة طلحة والزبير في الغدر بأمير المؤمنين وأصحابه ووضع السيف فيهم إلا شاهد آخر على إجرام رؤوس الناكثين وتعطشهم لسفك الدماء من أجل التحكم في رقاب العباد، والتفرعن في الأرض.

وتأمل في تصرف الزبير: (فضحك الزبير من ذلك ثم قال: أمن عليّ تصاب الفرصة وهو من قد عرفتم؟! أما قد علمتم أنه رجل ما لقيه أحدٌ قط إلا ثكلته أمه؟!). فضحك الزبير ليس في محله ولا معنى له. وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام

من الرجال الذين لا تصاب فيهم الفرصة وهو من قد عرفوه، وأنه رجل ما لقيه أحد قط إلا ثكلته أمه، فلماذا طلبت أيها المغرور المتمرد ألف فارس لكي تبيِّته بياتاً أو تصبحه صباحاً؟! من أجل أن تقتله قبل أن يأتيه مدده؟!

وإذا عذرنا طلحة ومروان بن الحكم في استعدادهما وتحمسهما للغدر بأمير المؤمنين وقتله بسبب تيميَّة أحدهما وأمويّة الآخر، فما عذرك يا زبير في التحمس للغدر بأمير المؤمنين والتعطش لقتله وهو ابن خالك وإمامك؟!

فقد ذهبت محاولاتهم اغتيال إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام أدراج الرياح، وقد حملوا خزي تلك المحاولات الفاشلة على ظهورهم إلى يوم القيامة. كما أنهم حاولوا شراء أصحاب الضمائر الميتة بالأموال التي استولوا عليها من بيت المال بالبصرة. لقد استولوا على أموال المسلمين بغير حق بالغدر والخيانة، ووظفوها في قتال إمامهم عن طريق توزيعها على الأوباش والرعاع من عبيد الدنيا بعد أن نهبوا قسماً كبيراً منها.

فقد ذكر الشيخ المفيد: (لما استقرَّ الأمر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف، وعلم طلحة والزبير وعائشة أن أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار ينتظر الجموع، وأنه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين، أمرت عائشةُ الزبير أن يستنفر الناس إليه، فخطبهم الزبير وأمرهم بالجد والإجتهاد وقال لهم: إن عدوكم!! قد أظلكم، والله لئن ظفر بكم لا ترك لكم عيناً تطرف، فانهضوا إليه حتى نكبس عليه قبل أن تلحقه أنصاره. وقال لهم: امضوا فخذوا أعطيتكم. فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله: أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتي علي بن أبي طالب فتضعف؟! بئس الرأي الذي رأيت! فقال له الزبير: اسكت ويلك! ما كان غير الذي قلت. فقال له طلحة: صدق عبد الله وما ينبغي أن يسلِّم هذا المال حتى يقرب منا عليّ فنضعه في مواضعه فيمن يدفعه عنا!! فغضب الزبير وقال: والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته!! فلامته عائشة على ذلك، ووافق رأيها رأي الرجلين. فقال الزبير: لتدعوني أو لألحقنَّ بمعاوية!! فقد بايع بالشام الناس!! فأمسكوا عنه)[1].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٧.

وقد أشار الطبري إلى ما يؤيد ذلك حين قال: (وأراد الزبير أن يعطي الناس أرزاقهم ويقسم ما في بيت المال، فقال ابنه عبد الله: إن ارتزق الناس تفرقوا!!)[1].

تأمل في قول الزبير للرعاع من أتباعه: (إن عدوكم قد أظلكم، والله لئن ظفر بكم لا ترك لكم عيناً تطرف، فانهضوا إليه حتى نكبس عليه قبل أن تلحقه أنصاره!!). فقد اعتبر أمير المؤمنين والصحابة الذين معه أعداءً له وللهمج الرعاع الذين أحاطوا به. ولو لم يعتبر بأن أمير المؤمنين وأصحابه أعداءً حقيقيين له ولأتباعه لما تفوَّه بذلك. وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على انسلاخ الزبير والهمج الذين معه من الدين كما تنسلخ الحية من جلدها. وما حثه الرعاع للنهوض إلى أمير المؤمنين والكبس عليه قبل أن تلحقه أنصاره إلا دليل آخر على انسلاخه من الدين. فمن العار الدفاع عن شخص يحمل مثل هذه النفسية الشرِّيرة تجاه إمامه الشرعي.

وتأمل في قوله لأتباعه من الطلقاء الغرباء عن البصرة: امضوا فخذوا أعطيتكم!!). من الذي أعطاك حق التصرف في أموال المسلمين؟ وكيف جاز لك أن تنهب بيت المال في البصرة وتوزِّع الأموال التي بداخله على أتباعك من اللصوص الغرباء؟! وكيف اعتبرت أموال المسلمين أعطية لجنودك المرتزقة؟!

لقد تصرف الزبير في أموال المسلمين بدون حق معتمداً في ذلك على السلب والنهب وإمامه الشرعي موجود على قيد الحياة. كما حرم منها الفقراء والمساكين من أهل البصرة ووزَّعها على أتباعه من الطلقاء الذين أتى بهم من مكة دون مستند شرعي. وهذا التصرّف السيِّء المخالف لأحكام الشرع يسقط عدالته في الدنيا، ويحشره مع اللصوص وقطاع الطرق في محكمة العدل الإلهي في الآخرة.

وتأمل في اعتراض عبد بن الزبير على أبيه: (أمرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل أن يأتي علي بن أبي طالب فتضعف؟!). فلم يكن اعتراضه على أبيه لوجه الله. فلا علاقة له بالله وبأحكامه الشرعية. وإنما سبب اعتراضه

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨٢.

على أبيه يرجع إلى اختلافهما في التكتيك الحربي. فكلاهما يتفقان على توزيع تلك الأموال المسروقة من بيت المال في البصرة على الطلقاء والرعاع من أفراد جيش الناكثين، لكنَّ الأب يرى أن التوزيع ينبغي أن يتمَّ قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة. أما الأبن ـ ومعه طلحة وعائشة ـ يرون أن التوزيع ينبغي أن يتمَّ حين وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة حتى يعرفوا من يدافع عنهم ممن يتخاذل.

ولما قال عبد الله بن الزبير لأبيه: (بئس الرأي الذي رأيت!) ردَّ عليه والده الزبير: (اسكت ويلك! ما كان غير الذي قلت!!). لم يستطع الزبير أن يتحمل سماع رأي مخالف لرأيه حتى لو من أقرب المقربين إليه، فكيف يتحمل سماع آراء المسلمين لو قدِّر له أن ينتصر في الحرب ويتحكم في رقاب العباد؟! فإذا كان صدره لا يتحمل رأياً مخالفاً له في مهمة لصوصية خسيسة، وهي الإستيلاء على أموال المسلمين وتويعها على جيش الناكثين، فكيف يتسع صدره لآراء المسلمين في مهمة جليلة كإمامة المسلمين لو قدِّر له أن يستولي على مقاليد الأمور؟!

لقد تقمص شخصية الفراعنة الطغاة في مهمة خسيسة مخالفة للأحكام الشرعية. وتأمل في ردّ طلحة حين قال: (صدق عبد الله وما ينبغي أن يسلِّم هذا المال حتى يقرب منا عليّ فنضعه في مواضعه فيمن يدفعه عنا!!).

فلم يختلف زعماء الناكثين في مشروعية سرقة أموال المسلمين في البصرة عن طريق السلب والنهب، ولو لم يروا مشروعية تلك الأموال المسروقة لما سرقوها واستولوا عليها، وإنما اختلفوا في أسلوب توزيع تلك الأموال. متى يتمّ توزيعها؟ ولمن توزَّع؟ فعبد الله بن الزبير يرى أن يتم التوزيع على أفراد جيش الناكثين حين وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة كي لا يتفرقوا بالمال حين يأخذون أعطيتهم. وهذا ما أكده طلحة حين رأى أن يسلّم المال حين يقترب أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة فيضعوه في الأوباش الذين يحاربون أمير المؤمنين عليه السلام دفاعاً عن قادة جيش الناكثين (فنضعه في مواضعه فيمن يدفعه عنا!!).

لكن هذا الرأي لم يعجب الزبير المستبد برأيه (فغضب الزبير وقال: والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته!! فلامته عائشة على ذلك، ووافق رأيها رأي

الرجلين!!). والغضب دليل على الاستبداد، وقد أكَّد استبداده في الرأي بالقسم بالله العظيم على سلب الأموال ونهبها وإن خالفت الحكم الشرعي (والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته!!). فقد وظَّف القسم بالله العظيم لتمرير الأموال المسروقة المخالفة للشرع. وقد وزَّع أموالاً مسروقة لا يملكها على أوباش وطلقاء لا يستحقونها. أليس من العار الدفاع عن هذا السارق الكبير زعيم اللصوص؟!

ولما لامته عائشة على ذلك التصرف هدَّد الجميع بآخر سلاح في جعبته (لتدعوني أو لألحقن بمعاوية!! فقد بايع بالشام الناس!! فأمسكوا عنه). لماذا يلحق بمعاوية إذا لم يدعه زعماء جيش الناكثين؟ وماذا يقصد بقوله (فقد بايع بالشام الناس!!)؟!

لقد هدَّد الزبير زعماء الناكثين بالإلتحاق بمعاوية إذا لم يدعوه ورأيه لأن معاوية أرسل إليه رسالة يخدعه فيها بأنه قد أخذ البيعة له على أهل الشام، وقد صدَّق المسكين تلك الخدعة، فهو قد حاول جهده وطاقته أن يحصل على منصب الخلافة عن طريق الغدر بأمير المؤمنين عليه السلام حين اقترب من البصرة وفشل في ذلك حين لم يخف معه أحد من الأوباش، وحاول مرة ثانية الحصول على منصب الخلافة عن طريق شراء أصحاب النفوس الميتة بالأموال المسروقة، فلم يوافقه زعماء الناكثين في توقيت توزيع الأموال لشراء أصحاب النفوس الميتة فهددهم بالإلتجاء إلى معاوية بالشام للحصول على منصب الخلافة على طبق من ذهب!! كما وعده معاوية رأس الفئة الباغية.

فقد ذكر ابن ابي الحديد أن معاوية كتب كتاباً إلى الزبير جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدَّ والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما!!

فما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُرَّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيَّاه، فلم يشكَّا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام[1].

وكتب كتاباً آخر له جاء فيه:

أما بعد، فإنك الزبير بن العوّام، ابن أبي خديجة، وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وحواريّه وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين... فشمِّر لتأليف الأمة وابتغ إلى ربك سبيلا، فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على أن الأمر للمقدَّم، ثم لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمة الهدى، وبغاة الخير والتقوى، والسلام[2].

فقد عصَّب الزبير رأسه بهاتين الرسالتين حين قال لعائشة وطلحة وابنه عبد الله بن الزبير: (لتدعوني أو لألحقن بمعاوية!! فقد بايع بالشام الناس!!). ولم يدر المسكين أن معاوية قد ضحك عليه. فقد وثق بالطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان وهو يعلم بأن معاوية لا حق له بإعطاء الخلافة لهذا أو ذاك، ولم يثق بالله سبحانه وتعالى ولا رسوله الكريم حين لم يرياه أهلاً لمنصب الخلافة. وقد أورد نفسه مورد الهلكة من أجل الإسيتلاء على ذلك المنصب من أصحابه الحقيقين.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام لتلك الرسائل الشيطانية التي شجَّعت الزبير على التمرد على إمامه الشرعي ونكث بيعته. فقد قال في إحدى خطبه بـ (ذي قار) (... ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني، وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان...)[3].

فقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام أتباع طلحة والزبير بـ (الطغام). وهذه شهادة من أمير المؤمنين في حق تلك الفئة الناكثة. ولما خرج الناكثون من مكة إلى البصرة كتبت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها رسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام: (لعبد الله علي أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣١. جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٢٩٥.

(٢) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٠٠.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٦٨.

وبركاته، أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة. . .)[1]. فقد وصفت أتباع الزبير بـ (بني السوء وشيعة الضلال). وهذه الشهادة من أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في حقهم تعطينا اطمئناناً بأنهم حثالة المجتمع من ذوي الضمائر الميتة والنفوس الشرِّيرة الذين باعوا دينهم بدنياهم.

وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى عليّ رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين. من أم الفضل بنت الحارث: أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس إلى حربك، ولم يخف معهم إلى ذلك إلا من كان في قلبه مرض!![2].

وهذه شهادة ثالثة على أتباع الزبير بأنهم من أصحاب القلوب المريضة الذين يُشترون بأبخس الأثمان.

وكتب عقيل بن أبي طالب رسالة لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وصف فيها أتباع الزبير بقوله: (. . . وتبعهم على ذلك كثير من الناس، من طغاتهم وأوباشهم. . .)[3].

فقد وصف أربعة شهود عدول من المؤمنين أتباع الزبير بـ (الطغام ـ وبني السوء وشيعة الضلال ـ وفي قلوبهم مرض ـ والطغاة والأوباش). فلا عجب أن يقوم الزبير بتوزيع الأموال المنهوبة من بيت المال بالبصرة على هؤلاء الطغام أبناء السوء والطغاة والأوباش من أصحاب القلوب المريضة وشيعة الضلال من أجل محاربة أمير المؤمنين عليه السلام قبل وصوله إلى البصرة، ولما اختلف معه زعماء الناكثين هدَّدهم بقوله: (لتدعوني أو لألحقن بمعاوية!! فقد بايع الناس بالشام!!).

فقد كان الذهاب الى الشام هدفاً يداعب خيال الزبير منذ أن استلم رسالتي معاوية. ولما اجتمع الناكثون بمكة للتخطيط والتآمر ضد أمير المؤمنين عليه السلام قال

---

(١) كتب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٥٥، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٩، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٠٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٤.

الزبير: (عليكم بالشام!! فيها الرجال والأموال، وبها معاوية وهو عدوٌ لعليّ)[1]. أما ابن قتيبة فقد روى اقتراح الزبير على هذا النحو: (قال الزبير: الشام بها الرجال والأموال، وعليها معاوية، وهو ابن عم الرجل، ومتى نجتمع يولنا عليه!!)[2].

فلا عجب أن يهدِّد الزبير أصحابه من رؤوس الناكثين بالمضي إلى الشام والإلتحاق بمعاوية. فقد قال بالحرف الواحد في معاوية: (فقد بايع الناس بالشام!!). وقال قبل ذلك أثناء التخطيط والتآمر: (. . . ومتى نجتمع يولنا عليه!!). فقد ظل الحصول على منصب الخلافة الذي سيقدمه إليه معاوية على طبق من ذهب يداعب خياله، ويلوِّح به في وجه كل من تسوِل له نفسه في اعتراض أساليبه الشيطانية التي تحقق له الوصول إلى ذلك المنصب عن طريق شراء ضمائر الطغام أبناء السوء بالأموال التي نهبها من بيت المال بالبصرة بأقصر الطرق وأسهلها وأكثرها نفعاً وأجدى مردود، حتى لو أدَّت إلى القضاء على ابن خاله وإمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام. وبشاعة هذه الأساليب دليل على بشاعة هذا الرجل وخبث نكثه وشدة تمرّده، وسوء نيته وفظاعة تفرعنه على ربه ونبيِّه وإمامه.

وقد أشار الطبري إلى تصرف الزبير المخالف للشرع حين قال: (وأراد الزبير أن يعطي الناس أرزاقهم ويقسم ما في بيت المال، فقال ابنه عبد الله: إن ارتزق الناس تفرَّقوا!!).

فمن قال بأن هذه الأموال هي من أرزاق الطغام والأوباش من أصحاب القلوب المريضة الذين أتى بهم من مكة؟! ومن أعطاه حق التصرف في تلك الأموال والإمام الشرعي موجود على قيد الحياة؟! فقد تصرَّف فيما لا يملكه، وأعطاه لمن لا يستحقه!! واختلاف ابنه عبد الله ليس في أصل التوزيع، وإنما في توقيته، وفي الفئات التي ينبغي أن توزَّع عليها تلك الأموال. فقد أبدى تخوفه من توقيت توزيع تلك الأموال المنهوبة من بيت المال بالبصرة حين قال: (إن ارتزق الناس تفرَّقوا!!). فهو حريص على ألا يتفرق الناس بعد الحصول على الأموال

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٩.

كي لا يخسرهم في المواجهة مع أمير المؤمنين عليه السلام فتذهب أحلامه وأحلام رؤوس الناكثين أدراج الرياح.

وأما الفئات التي ينبغي أن توزع عليها تلك الأموال المنهوبة فقد بيَّنها بكل وضوح حين قال لحكيم بن جبلة: (لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلي سبيل عثمان (بن حنيف) حتى تخلع علياً!!)[1]. فالمقياس عند عبد الله بن الزبير للإرتزاق من الطعام والأموال المنهوبة من بيت المال هو خلع أمير المؤمنين عليه السلام ونكث بيعته. كما أن طلحة قد حدَّد تلك الفئات بوضوح حين قال: (... ما ينبغي أن يسلِّم هذا المال حتى يقرب منا علي فنضعه في مواضعه فيمن يدفعه عنا!!)[2]. وهذا ما ينطبق على أفراد جيش الناكثين من الطغام وأبناء السوء والأوباش وأصحاب القلوب المريضة ومن انضم معهم من أبناء البصرة من أصحاب الدنيا. فقد ذكر ابن الأثير بعد استيلاء الناكثين على بيت المال: (وبقي طلحة والزبير بعد أخذ عثمان بالبصرة ومعهم بيت المال والحرس والناس معهما، ومن لم يكن معهما استتر!!)[3].

فقد وظَّف الزبير وطلحة وعائشة وعبد الله بن الزبير أسلوب حرب الأرزاق في تحقيق مآربهم الشيطانية في الوصول إلى سدَّة الحكم، فكانوا القدوة السيئة إلى الطغاة الذين جاؤوا بعدهم، مما جعلهم يتحملون جزءاً من تلك البدعة السيّئة التي رسخوها في المجتمع الإسلامي.

وقد جرى حوار بين عبد الله بن الزبير وأبيه قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة. فقد (روى الحارث بن الفضل عن أبي عبد الله الأغرِّ: أن الزبير بن العوام قال لابنه يومئذٍ: ويلك! لا تدعنا على حال، أنت والله قطعت بيننا وفرَّقت ألفتنا بما بليت به من هذا المسير، وما كنت مبالياً من ولي هذا الأمر وقام به، والله لا يقوم أحد من الناس إلا من قام مقام عمر بن الخطاب فيهم، فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب؟! فإن سرنا بسيرة عثمان قتلنا، فما أصنع بهذا المسير، وضرب الناس

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١١٠.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٧.

(٣) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١١٠.

بعضهم ببعض؟! فقال له عبد الله ابنه: أفتدع علياً يستولي على الأمر؟! وأنت تعلم أنه كان أحسن أهل الشورى عند عمر بن الخطاب، ولقد أشار عمر وهو مطعون يقول لأهل الشورى: ويلكم اطمعوا علياً فيها لا يفتق في الإسلام فتقاً عظيماً ومنُّوه حتى تجمعوا على رجل سواه!!)[1].

فقد اتهم الزبير ابنه عبد الله بأنه هو الذي قطع العلاقات بين أبيه وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي فرَّق الألفة بينهما. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك الدور السيء الذي قام به عبد الله بن الزبير، فقد ذكر سبط ابن الجوزي: (وفي رواية أن علياً عليه السلام لما التقى بالزبير قال له: قد كنا نعدك من خيار بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك السوء ففرَّق بيننا وبينك!!)[2].

وتأمل في اعتراض عبد الله بن الزبير عندما قال لأبيه: (أفتدع علياً يستولي على الأمر؟!). فقد كان له دورٌ سيء في تحريض أبيه على مخالفة إمامهما الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام والتمرد عليه. وتأمل في إتهامه لعمر بن الخطاب في مواقفه العدائية تجاه أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن طُعن في نهاية عمره.

لم يُقصِّر أمير المؤمنين عليه السلام جهداً في نصيحة رؤوس الناكثين ولم يترك طريقاً إلا سلكه في هدايتهم لعلهم يتركوا نكثهم وينضووا تحت رايته، لكنهم أوصدوا جميع الأبواب، وجعلوا أصابعهم في آذانهم كما فعل قوم نوح عليه السلام. وقد أرسل أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان وعبد الله بن العباس إلى رؤوس الناكثين لكي يقلعوا عن نكثهم، لكنهم قابلوا الإحسان بالإساءة، ورفضوا الطاعة ورفعوا راية العصيان والتمرد. فقد ذكر الشيخ المفيد: (لما سار أمير المؤمنين عليه السلام من (ذي قار) قدم صعصعة بن صوحان رضي الله عنه بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة الإسلام ويخوفهم فيما صنعوه ويذكر لهم قبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان بن حنيف وقتلهم المسلمين صبراً ويعظهم ويدعوهم إلى الطاعة. قال صعصعة: فقدمت عليهم فبدأت بطلحة فأعطيته الكتاب وأدَّيت إليه الرسالة فقال: الآن؟! حين عضَّت

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٩.

(٢) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٦.

ابن طالب الحرب يرفق لنا! ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثم جئت إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لأفعلنَّ وأفعلنَّ!! فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقيته قبل أن يدخل البصرة، فقال: ما وراءك يا صعصعة؟ قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت قوماً لا يريدون إلا قتالك!! فقال: الله المستعان)[1].

تأمل في ردّ طلحة: (الآن؟! حين عضَّت ابن أبي طالب الحرب يرفق لنا!!). فجوابه لا يدل على الرجوع إلى الطاعة، بل يدل على الإستمرار في العصيان والتمرد.

وتأمل في وصف صعصعة بن صوحان موقف عائشة ونفسيَّتها حين قال: (فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ). فقد قادت الحرب إلى أن عُقر بعيرها وسقطت أسيرة في جيش أمير المؤمنين عليه السلام. وقد صدق ظن صعصعة بن صوحان حين وصفها بذلك الوصف. وتأمل في جوابها: (نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان، والله لأفعلنَّ وأفعلنَّ!!). فهو دليل على شدة نكثها وتمردها وفرعنتها.

ثم دعا أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس فقال له: (انطلق إليهم فناشدهم وذكِّرهم العهد الذي لي في رقابهم. قال ابن عباس: فجئت فبدأت بطلحة فذكرته العهد، فقال لي: يا بن عباس، والله لقد بايعت واللجج على رقبتي فقلت له: أنا رأيتك بايعت طائعاً، أو لم يقل لك علي قبل بيعتك له: إن أحببت أن أبايعك بايعتك؟ فقلت: لا، بل نحن نبايعك. فقال طلحة: إنما قال لي ذلك وقد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم، والله يا بن عباس، إن القوم الذين كانوا معه يغرّونه ولئن لقيناه يسلِّمونه، أما علمت يا بن عباس أني جئت إليه والزبير، ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام وقد أحاط به ألفان قياماً على رأسه بالسيوف فقال لنا بهزل: إن أحببتما بايعت لكما. فلو قلنا نعم أفتراه كان يفعل وقد بايع الناس له فيخلع نفسه ويبايعنا؟! لا والله، ما كان يفعل، وخشينا أن يغري بنا من لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين!! وقد جئنا نطلب بدم عثمان!! فقل لابن عمِّك: إن كان يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأمة فليمكننا من قتلة عثمان، فهم

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣١٣.

معه، ويخلع نفسه ويرد الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤوا، فإنما عليّ رجل كأحدنا، وإن أبى أعطيناه السيف، فما له عندنا غير هذا!!

قال ابن عباس: يا ابا محمد لست تنصف، ألم تعلم أنك حصرت عثمان حتى مكث عشرة أيام يشرب من ماء بئره وتمنعه من شرب الماء الفرات حتى كلمك عليّ في أن تخلّي الماء له وأنت تأبى ذلك، ولما رأى أهل مصر فعلك وأنت صاحب رسول الله ﷺ دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه، ثم بايع الناس رجلاً من السابقة والفضل والقرابة برسول الله والبلاء العظيم ما لا يدفع، وجئت أنت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما، فعجب والله لإقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة، ووثوبك على عليّ بن أبي طالب!! فوالله ما عليّ عليه السلام دون أحدٍ منهم، وأما قولك يمكنني من قتلة عثمان فما يخفي عليك من قتل عثمان، وأما قولك إن أبى عليٌّ فالسيف، فوالله إنك لتعلم أن علياً لا يخوّف. فقال طلحة: إيها عنا الآن من جدالك!!)[1].

تأمل في الرسالة الشفوية التي أراد طلحة أن يوصلها إلى أمير المؤمنين عليه السلام: (إن كان يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأمة فليمكننا من قتلة عثمان، فهم معه، ويخلع نفسه، ويرد الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤوا، فإنما عليّ رجل كأحدنا، وإن أبى أعطيناه السيف، فما له عندنا غير هذا!!). من أنت أيها المتمرد حتى تفرض شروطك الإلحادية على إمامك أمير المؤمنين عليه السلام؟! فالذي سفك الدماء البريئة وأفسد أمر الأمة هو أنت وأصحابك من رؤوس الناكثين. فمتى سفك أمير المؤمنين الدماء وأفسد أمر الأمة حتى تطالبه بحقن الدماء وإصلاح أمر الأمة؟!

وعلى أي مستند شرعي تطالب أمير المؤمنين عليه السلام أن يمكنك من قتلة عثمان؟! ما أنت وذاك الأمر أيها الصعلوك الصغير أمام عظمة أمير المؤمنين عليه السلام؟! ومن الذي أعطاك ذلك الحق؟! فإن كان عثمان قد قُتل مظلوماً وينبغي التمكين من قتلته، فأنت أول المطلوبين، وأنت في مقدمة من اشترك في قتله وحرَّض الناس على قتله ومنع الماء من الوصول إليه ورمى داره بالسهام. وقد وثقنا دورك السيء

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣١٤ ـ ٣١٥.

في الباب الثاني. فكيف تطلب أمراً ورأسك أول الرؤوس المطلوبة له؟! دع عنك سفاسف الأمور، فقد ذهبت بخزي الدنيا والآخرة.

ولماذا تطالب أمير المؤمنين بأن يخلع نفسه من الإمامة ويرد الأمر شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤوا؟! وعلى أي مستند شرعي اعتمدت في مطلبك الشاذ؟! ولماذا تعالج الأمور بخبث ودهاء؟! فقد ذكر الطبري: (خلا سعيد بن العاص بطلحة والزبير فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني. قالا: لأحدنا أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوها لولد عثمان!! فإنكم خرجتم تطلبون بدمه!! قالا: ندع شيوخ المهاجرين والأنصار ونجعلها لأبنائهم!!)[1].

فإذا كانت الأنانية قد وصلت بك وبصاحبك الزبير أن تحصر منصب الخلافة في أحدكما أيكما يختاره الناس!! فلماذا تتبجح بقولك طالباً من أمير المؤمنين عليه السلام بأن (يخلع نفسه ويرد الأمر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤوا)؟! فلماذا تلجأ إلى الأساليب الملتوية المعتمدة على الكذب لتحقيق مآربك الشيطانية؟!

وتأمل في قوله: (فإنما عليّ رجل كأحدنا!! وإن أبى أعطيناه السيف!! فما له عندنا غير هذا!!). لقد وصلت به الأمور أن ينزل أمير المؤمنين عليه السلام من مقامه الشامخ ويجعله صعلوكاً صغيراً مثله وأمثال أصحابه الصعاليك. فكيف جرؤ أن يقول: (إنما عليّ رجل كأحدنا)؟! فقد أذهب الله سبحانه وتعالى الرجس عن أمير المؤمنين وطهره تطهيراً في آية الطهارة. فهل أذهب الله سبحانه وتعالى الرجس عنك وطهرك تطهيراً أيها الصعلوك المتمرد؟ وكيف يكون ذلك وقد أحرقت البلاد وقتلت العباد ونشرت الفساد في البصرة؟

وقد جعل الله سبحانه وتعالى أمير المؤمنين نفس النبي صلى الله عليه وآله في آية المباهلة، وقد كنت موجوداً أثناء نزول الآية الشريفة وقد تجاهلك الذكر الحكيم، فكيف تدَّعي أن أمير المؤمنين كأحدكم أيها الناكث الكبير؟!

وقد نصَّب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وصياً في حديث الدار بأمر من الله

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢.

سبحانه وتعالى، وقد حضر في الدعوة إلى تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام وصياً بعض أعمام النبي صلى الله عليه وآله الذين لم يؤمنوا بالدين كأبي لهب، بينما لم يرك الله سبحانه وتعالى أهلاً لحضور دعوة تنصيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصياً للنبي صلى الله عليه وآله، فكيف تساوي نفسك بأمير المؤمنين عندما تبجَّحت بملء فيك (إنما عليّ رجل كأحدنا)؟! ما هذا الهراء أيها الفرعون المتغطرس؟!

وقد نصَّب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام مولى للمسلمين في غدير خم، وقد تجاهلك القرآن الكريم والنبي الأمين، فكيف تساوي نفسك بأمير المؤمنين وهو أولى منك بنفسك؟

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وأهل بيته الأطهار الثقل الأصغر الذي لا يفترق عن الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم حتى يردا الحوض على رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في حديث الثقلين، وقد حاربت سيد العترة وهو الثقل الذي لا يفترق عن القرآن إلى رمقك الأخير، فكيف تساوي نفسك بأمير المؤمنين عليه السلام وقد اختلفت مع الثقل المقدَّس الذي لا يفترق عن القرآن الكريم؟ فلو أرخينا العنان للقلم، وقارناك بأمير المؤمنين لوجدناك كحبة رمل تائهة في بحر فضائله. فدع عنك تلك السفاسف الصبيانية.

وتأمل في قوله: (فإن أبى أعطيناه السيف!! فما له عندنا غير هذا!). من الذي أعطاك حق تقرير مصير الخلافة بحيث تنصِّب هذا وتخلع ذاك؟ وعلى أي مستند شرعي اعتمدت في حكمك الشاذ المخالف للقرآن الكريم وسنَّة النبي الأمين؟! ومن أنت؟ وما حجمك؟ وما مقدار قوتك أمام بطولة أمير المؤمنين عليه السلام؟! أين هذا التهديد من جبنك وانكماشك عندما عبر الخندق عمرو بن عبد ودّ العامري؟! لماذا لم يسجل لك المؤرخون بطولة المبارزة لبطل المشركين في غزة الخندق وقد بحَّ صوته من كثرة النداء للبراز؟! وكيف تجرأت على قاتل عمرو ولم تتجرأ على عمرو لما دعاك إلى البراز في غزوة الخندق؟! فالذي لا يتعامل مع إمامه الشرعي إلا بلغة السيف فما له في الآخرة من خلاق، ولا يزن عند الله جناح بعوضة.

ولما رجع ابن عباس وأخبر أمير المؤمنين بما جرى بينه وبين طلحة بعثه مرة ثانية إلى عائشة. قال: (فخرجت فرجعت إلى عليّ وقد دخل البيوت بالبصرة،

فقال: ما وراءك؟ فأخبرته الخبر، فقال: «اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» ثم قال: ارجع إلى عائشة واذكر لها خروجها من بيت رسول الله ﷺ وقل لها: إن هذه الأمور لا تصلحها النساء وإنك لم تؤمري بذلك. فلم ترضي بالخروج عن أمر الله في تبرّجك وبيتك الذي أمرك النبي ﷺ بالمقام فيه حتى سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم وفتحت بيت المال وأمرت بالتنكيل بالمسلمين وأبحت دماء الصالحين! فارعي وراقبي الله عزّ وجلّ، فقد تعلمين أنك كنت أشد الناس على عثمان، فما هذا مما مضى؟!

قال ابن عباس: فلما جئتها وأديت الرسالة إليها وقرأت كتاب عليّ عليه السلام عليها قالت: يا بن عباس، ابن عمك يرى أنه قد تملَّك البلاد، لا والله ما بيده منها شيء إلا وبيدنا أكثر منه!! فقلت يا أماه! إن أمير المؤمنين عليه السلام له فضل وسابقة في الإسلام وعظم عناء. قالت: الا تذكر طلحة وعناءه يوم أحد. قال: فقلت لها: والله ما نعلم أحداً أعظم عناءً من عليّ عليه السلام. قالت: أنت تقول هذا ومع عليّ أشياء كثيرة. قلت: الله الله في دماء المسلمين! فقالت: وأي دماء تكون للمسلمين إلا أن يكون عليّ يقتل نفسه ومن معه!! قال ابن عباس: فتبسمت! فقالت: مما تضحك يا بن عباس؟ فقلت: والله معه قوم على بصيرة من أمرهم يبذلون مهجهم دونه. قالت: حسبنا الله ونعم الوكيل)[1].

تأمل في قول عائشة: (يا بن عباس، ابن عمك يرى أنه قد تملَّك البلاد، لا والله ما بيده منها شيء إلا وبيدنا أكثر منه!!). هل يرضى الله سبحانه وتعالى بما في يدكم من البلاد؟ ولما قال لها ابن عباس: (الله الله في دماء المسلمين)، قالت: (وأي دماء تكون للمسلمين إلا أن يكون عليّ يقتل نفسه ومن معه!!). فقد استخفت بسفك دماء المسلمين عن عمد وسبق إصرار. وامرأة بهذا المستوى من الإستخفاف بدماء المسلمين غير مأمونة في أخذ معالم الدين منها. ولم يقصِّر أمير المؤمنين عليه السلام في نصحها، لكنها قابلت الإحسان بالإساءة، وأصرت على إشعال نار الحرب بدلاً من الخضوع إلى الحق.

أما ابن أعثم الكوفي فقد ذكر: (لما كان من الغد دعا عليّ رضي الله عنه زيد بن

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣١٦. وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٧.

صوحان وعبد الله بن عباس، فقال لهما: امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقري في بيتك؟ فخدعت وانخدعت، واستنفرت فنفرت، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك وتوبي إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة وحب عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بك إلى النار!!

قال: فانطلقا إليها وبلغاها رسالة عليّ رضي الله عنه، فقالت عائشة: ما أنا برادة عليكم شيئاً فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج عليّ بن أبي طالب. فرجعا إليه وأخبراه بالخبر)[1].

فرفضها الردّ على رسالة أمير المؤمنين دليل على العناد والإصرار على التمرد والعصيان. وقولها: (فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج عليّ بن أبي طالب) دليل على البغي والضلال، وأنها سلكت طريق الغواية والضلال عن قصد وسبق إصرار. والمرأة التي لا طاقة لها بحجج أمير المؤمنين في الدنيا، فمن المؤكد أن لا يكون لها طاقة بحجج أمير المؤمنين عليه السلام في الآخرة. وهناك يخسر المبطلون ويفوز المحقون. وتصريحها بأن لا طاقة لها بحجج علي بن أبي طالب دليل على العجز والإفلاس في مشروعية تمردها ونكثها من جانب، وعلى ضلالة من يدافع عن تمردها ونكثها من جانب آخر. فما حجة من يدافعون عنها إذا وقفوا أمام محكمة العدل الإلهي؟

ولم ينس أمير المؤمنين عليه السلام الزبير ولم يبخل عليه بالنصيحة والهداية لكن الزبير ركبه الغرور ولم يَقبل بتلك النصائح وأصرَّ على المضي قدماً في إشعال تلك الحرب المجنونة التي حمل أوزارها على ظهره إلى يوم القيامة. فقد قال ابن عباس: (وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أوصاني أن ألقى الزبير وإن قدرت أن أكلمه وابنه ليس بحاضر، فجئت مرة أو مرَّتين كل ذلك اجده عنده، ثم جئت مرة أخرى فلم أجده عنده فدخلت عليه وأمر الزبير مولاه (سرجس) أن يجلس على الباب ويحبس عنا الناس، فجعلت أكلمه فقال: غضبتم إن خولفتم! والله لتعلمنَّ عاقبة ابن عمَّك! فعلمت أن الرجل مغضب فجعلت ألاينه فيلين مرة ويشتد أخرى. فلما

---

(١) كتاب الفتوح: ابن اعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٧، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٥٤.

سمع (سرجس) ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير، وكان عند طلحة، فدعاه فأقبل سريعاً حتى دخل علينا.

فقال: يا ابن عباس! دع بنيَّات الطريق، بيننا وبينكم عهد خليفة، ودم خليفة، وانفراد واحد واجتماع ثلاثة، وأم مبرورة ومشاورة العامة. فأمسكت ساعة لا أكلمه، ثم قلت: لو أردت أن أقول لقلت: فقال ابن الزبير: ولم تؤخِّر ذلك وقد حُمَّ الأمر وبلغ السيل الزبى؟ قال ابن عباس: فقلت: أما قولك عهد خليفة، فإن عمر جعل المشورة إلى ستة نفر فجعل الستة النفر أمرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها، فعرض الأمر على عليّ وعثمان، فحلف عثمان وأبى عليّ أن يحلف فبايع عثمان، فهذا عهد خليقة. وأما دم خليفة فدمه عند أبيك لا يخرج أبوك من خصلتين: إما قتل أو خذل. وأما انفراد واحد واجتماع ثلاثة، فإن الناس لما قتلوا عثمان فزعوا إلى عليّ فبايعوه طوعاً وتركوا أباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منهما. وأما قولك إن معكم أماً مبرورة، فإن هذه الأم أنتم أخرجتموها من بيتها وقد أمرها الله أن تقرَّ فيه فأبيت أن تدعها وقد علمت أنت وأبوك أن النبي ﷺ حذَّرها من الخروج وقال: «يا حميراء! إيَّاك أن تنبحك كلاب الحوأب» وكان منها ما قد رأيت. وأما دعواك مشاورة العامة فكيف يشاور فيمن قد أجمع عليه، وأنت تعلم أن أباك وطلحة بايعاه طائعين غير كارهين.

فقال ابن الزبير: الباطل والله ما تقول يا ابن عباس، ولقد سُئل عبد الرحمن بن عوف عن أصحاب الشورى فكان صاحبكم أحسنهم عنده، وما أدخله عمر في الشورى إلا وهو يعرفه، ولكن خاف فتقه في الإسلام. وأما قتل الخليفة، فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه وهو في داره بلسانه ويده وأنا معه في الدار أقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحاً. وأما قولك: إن علياً بايعه الناس طائعين، فوالله ما بايعوه إلا كارهين والسيف على رقابهم، غصبهم أمرهم. فقال الزبير: دع عنك ما ترى يا بن عباس، جئتنا لتوفِّينا! فقال له ابن عباس: أنتم طلبتم هذا، والله ما عددناك قط إلا من بني هاشم في برِّك لأخوالك ومحبتك لهم، حتى أدرك ابنك هذا فقطع الأرحام. فقال الزبير: دع عنك هذا)[1].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣١٧ ـ ٣١٨.

لم يدعِّم عبد الله بن الزبير موقفه بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من النبي الكريم، بل دعَّم موقفه الناكث بالترهات الساذجة حيت قال لابن عباس: (بيننا وبينكم عهد خليفة، ودم خليفة، وانفراد واحد، واجتماع ثلاثة، وأم مبرورة، ومشاورة العامة!!). وقد كفانا حَبْر الأمة ابن عباس الرد على تلك الحجج الواهية التي هي أوهن من بيت العنكبوت.

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلى طلحة والزبير قبل بدء الحرب: أما بعد: فقد علمتما ـ وإن كتمتما ـ أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما لمن أرادني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان، إنك يا زبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريّه، وإنك يا طلحة لشيخ المهاجرين. وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلَّف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كلّ امريء بقدر ما احتمل، وزعمتما أني آويت قتلة عثمان، فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي، ثم يخاصموا إليَّ قتلة أبيهم، وما أنتما وعثمان، إن كان قُتل ظالماً أو مظلوماً؟ ولقد بايعتماني وأنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، وإخرجكما أمَّكما، فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يتجمَّع العار والنار. والسلام)[1].

فقد اتهمهما أمير المؤمنين عليه السلام بإظهر الطاعة وإسرار المعصية إن كانا قد بايعا كارهين، كما طالبهما بالرجوع إلى الحق والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى إن كان قد بايعا طائعين. فلم يرجعا إلى الحق ولم يتوبا من جريتمتهما وأصرَّا على التمرد

---

(١) جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٢ ـ ٣٣٣، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩٠، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص ٤٦٥، نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي ج٣ ص١١١، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص١٥٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٧، ص١٣١.

والعصيان إلى ان لفظا أنفاسهما الأخيرة، فكيف يكونان على الحق، فضلاً أن يكونا من العشرة المبشرين بالجنة؟

وقد بيَّن لهما أنهما لا علاقة لهما بالمطالبة بدم عثمان إن كان قُتل ظالماً أو مظلوماً. فلماذا يصرّان على المطالبة بشيء ليس لهما حق فيه؟! وأما أبناء عثمان فقد تنكروا للحق ونبذوه وراء ظهورهم، ولا عجب في ذلك، فهم أغصان من الشجرة الملعونة في القرآن. فينبغي عليهم أن يدخلوا في طاعة إمامهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام ويبايعوه ويعرضوا عليه قضية أبيهم ويخاصموا قتلته. لكنهم لم يأتوا العدل من بابه، بل أصروا على التمرد والعصيان ضد إمامهم الذي ينبغي أن يلجؤوا إليه، وانضووا تحت راية الناكثين يقاتلون إمامهم، فطلبوا العدل بالجور، والحق بالباطل، والإنصاف بالظلم، ودم أبيهم بالتمرد والعصيان وسفك الدماء البريئة. فما اقبحهم، وما أسوأ مطالبهم.

لقد عاش طلحة والزبير أيامهما الأخيرة بين خصلتين قبيحتين كما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام، بين نكث بيعتهما، وإخراج أمهما. ولفظ أنفاسهما الأخيرة ولم يتوبا من تلك الخصلتين القبيحتين. فنكث البيعة يؤدي إلى الميتة الجاهلية، وإخراج عائشة في هذه الحرب على جمل من مكة إلى البصرة هاتكين سترها مخالفة صريحة للقرآن الكريم عن عمد وسبق إصرار. فبأي حجة سيدافعان عن خصلتيهما القبيحتين إذا وقفا في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة؟ ولو اقتصر الأمر على تلك الخصلتين القبيحتين لهان الأمر. لكن كيف سيخلصان أنفسهما من نتائج تلك الخصلتين القبيحتين وما تركته من زهق النفوس وسفك الدماء وتعذيب وأرامل ويتامى؟!

وقد طالبهما بالرجوع عن رأيهما والإكتفاء بالعار في ذلك التمرد وإشعال تلك الحرب المجنونة قبل أن يجتمع عليهما العار والنار، لكنهما أصرَّا على الجمع بين العار والنار عندما واصلا تمردهما ونكثهما وإشعال تلك الحرب المجنونة إلى أن لفظا أنفاسهما الأخيرة. وشهادة أمير المؤمنين عليه السلام في استحقاقهما العار والنار ـ وهي كذلك ـ أولى من ادِّعاء أتباعهما بأنهما من العشرة المبشرين بالجنة التي تخالف مباديء القرآن الكريم وسنة النبي الكريم والعقل والمنطق.

وقدردَّ طلحة والزبير على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام حين كتبا:

إنك سرت مسيراً له ما بعده، ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة، فامض لأمرك، أما أنت فلستَ راضياً دون دخولنا في طاعتك، ولسنا بداخلين فيها أبداً، فاقض ما أنت قاضٍ[1].

لقد تشدَّقا بملء فيهما أنهما لن يدخلا في طاعة أمير المؤمنين إلى الأبد (لسنا بداخلين فيها أبداً!!). فكيف يكونان من العشرة المبشرين بالجنة وقد أصرَّا على عصيانهما لإمامهما إلى الأبد؟! لقد ذهبا بخزي الدنيا والآخرة بإرادتهما دون إكراه وبعد نصح قلَّ نظيره.

وكتب أمير المؤمنين كتاباً إلى عائشة:

أما بعد، فإنك قد خرجتِ من بيتكِ عاصيةً لله تعالى ولرسوله محمد ﷺ تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين، فأخبريني ما للنساء وقود العسكر والإصلاح بين الناس فطلبت زعمت بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتله عثمان! وما غضبتِ حتى أغضبتِ ولا هجتِ حتى هيَّجتِ، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلكِ واسبلي عليك بسترك. والسلام[2].

فقد بيَّن أمير المؤمنين عصيان عائشة في خروجها في حرب الجمل، والعاصي يعاقب يوم القيامة وخاصة عصيانه المتعلق بحقوق المؤمنين من سفك دمائهم وزهق أرواحهم ونهب أموالهم وتعذيبهم وتحريضهم على نكث البيعة ومحاربة إمامهم. فكيف تخرج نفسها من هذه الورطة التي أوقعت نفسها فيها؟ وكيف تخلِّص نفسها من تبعات تلك الورطة يوم القيامة إذا وقفت للحساب في محكمة العدل الإلهي؟! وماذا تفعل بالمؤمنين وأفراد جيشها الذين تسببت في قتلهم إذا تعلقوا برقبتها يوم القيامة؟! هل تستطيع أن تخلِّصهم من النار؟! لا، وألف كلا.

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٤، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٥، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩٠، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٣.

وقد ردَّت عائشة على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام بقولها:
جلَّ الأمر عن العتاب والسلام[1].

هذا هو ردّ المفلس الذي يرفض الإذعان للحق. وإذا كان هذا مستوى ردها المتهافت، فبأي حجة ستدافع عن تمردها وعصيانها إذا وقفت في محكمة العدل الإلهي ووقف أمامها المظلومون والمغرَّرون من جيشها؟!

ولما وصل أمير المؤمنين عليه السلام البصرة (بعث إليه الأحنف بن قيس رسولاً يقول له: إني مقيم على طاعتك في قومي، فإن شئت أتيتك في مائتين من أهل بيتي فعلت، فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد. فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام: بل احبس وكفّ)[2].

وفي رواية أخرى: (. . .اختر مني واحدة من اثنتين: إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسي، وأما أن أكفَّ عنك عشرة آلاف سيف)[3].

لقد كان الأحنف يعاني معاناة شديدة من ميل قومه إلى نصرة جيش الناكثين، ولولا حلمه وحنكته لانضم قومه إلى رؤوس الناكثين فأوردوهم موارد الهلكة.

ذكر الطبري بسنده عن قرَّة بن الحارث قال: (كنت مع الأحنف بن قيس وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام، فحدثني جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير رضي الله عنه، فجاء فارس يسير، وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة، فقال: السلام عليك أيها الأمير!! قال وعليك السلام. قال: هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا، فلم أر قوماً ارث سلاحاً ولا أقل عدداً ولأ أرعب قلوباً من قوم أتوك، ثم انصرف عنه. قال: ثم جاء فارس فقال: السلام عليك أيها الأمير. قال: وعليك السلام. قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا، فسمعوا بما جمع الله عزّ وجلّ لكم من العدد والعدة والحد فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين، قال الزبير: إيها عنك الآن، فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدب إلينا فيه، ثم انصرف. ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج، فقال: السلام عليك أيها الأمير. قال: وعليك السلام. قال: هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩١، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣٣٤.
(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٩٥، تاريخ الطبري ج٥ ص١٩٩.
(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٩٧.

عماراً فقلت له وقال لي. فقال الزبير إنه ليس فيهم. فقال: بلى والله إنه لفيهم. قال: والله ما جعله الله فيهم. فقال: والله لقد جعله الله فيهم. قال: والله ما جعله الله فيهم. فلما رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله: اركب فانظر أحق ما يقول؟ فركب معه فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلاً ثم رجعا إلينا، فقال الزبير لصاحبه: ما عندك؟ قال: صدق الرجل. قال: الزبير: يا جدع أنفاه، أو: يا قطع ظهره!! قال محمد بن عمارة، قال عبيد الله، قال فضيل: لا أدري أيهما قال. ثم أخذه أفكل، فجعل السلاح ينتفض! فقال جون: ثكلتني أمي، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه، والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا بشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله ﷺ، فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف)[1].

لقد ارتقى الزبير مرتقى صعباً عندما قبل أن يسلِّم عليه الناكثون بالإمرة. ولما تأكد من وجود الصحابي الجليل عمار بن ياسر في جيش أمير المؤمنين قال: (يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه!!). فإذا كان الزبير قد قال ذلك الكلام بمجرد أن عرف أن وجود عمار بن ياسر في جيش أمير المؤمنين، فكيف كان أعمى البصيرة عن معرفة أن أمير المؤمنين عليه السلام على حق؟ وهو ليس أقل مكانة من عمار بن ياسر. فقد كان عمار بن ياسر تابعاً لأمير المؤمنين عليه السلام ومن شيعته البارزين، ولم يكن يوماً ما أمير المؤمنين تابعاً لعمار بن ياسر، والزبير يعرف ذلك، فكيف غابت عنه تلك الحقيقة؟!

فقد روى أبو سعيد الخدري: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار ين ياسر يحمل لبنتين لبنتين، قال: فرآه رسول الله ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول: يا عمار ألا تحمل لبنة كما يحمل أصحابك؟ قال: إني أريد الأجر من الله. قال: فجعل ينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار!!)[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٥ ص٢٠٥، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٢ ص١٦٨.

(٢) المسند: أحمد بن حنبل ج٣ ص٩١، الصحيح المسند من فضائل الصحابة: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي ص٢٢٨.

هذا الحديث النبوي هو الذي جعل الزبير يصرخ (يا جذع أنفاه أو يا قطع ظهراه!!). ومع ذلك لم ينضم إلى الجيش الذي كان فيه عمار بن ياسر. لقد ركبه العناد وترك الحق وهو يعلم بذلك، ودخل الشيطان في منخريه وهو راض بذلك، وأورده النار وهو راض بذلك.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّوجلّ، وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. فانظروني بم تخلفوني فيهما)[1].

فأمير المؤمنين عليه السلام سيد العترة وهو لا يختلف عن القرآن، وما دام الزبير اختلف مع أمير المؤمنين عليه السلام فهو مخالف للقرآن الكريم. فأي مصير أسود ينتظره؟!

وعن ابن عباس قال: لما نزلت «إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ» قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلى الهادي. وضرب بيده إلى صدر عليّ، فقال: «أنت الهادي بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون»[2]. وهذا الحديث النبوي دليل ثابت على أن الزبير بعيد عن الهداية بعد المشرق عن الغرب، لما حارب إمامه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يهتد به، بل رفض هداية أمير المؤمنين عن علم وعمد وسبق إصرار. وإذا كان الحال كذلك، فكيف قبل أن يسلِّم عليه الناكثون من أفراد جيشه بالإمرة (السلام عليك أيها الأمير!!)؟! فالشخص الذي يكون هذا حاله من الغواية حين رفض الهداية من العار عليه أن يرضى بلقب الأمير (السلام عليك أيها الأمير!!). فدع عنك يا زبير أمراً لست من أهله.

---

(١) المسند: أحمد بن حنبل ج٣ ص١٧، وانظر: صحيح مسلم ج٥ ص٢٦ ـ ٢٧، كنز العمال: المتقي الهندي ج١٣ ص٤٦ (رقم الحديث ٣٦٣٣٦).

(٢) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني ج١ ص٢٩٤، فرائد السمطين: الجويني ج١ ص١٤٨، الدر المنثور: السيوطي ج٤ ص٥٢، المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٣٠، فضائل الخمسة من الصحاح والسنة: السيد مرتضى الفيروز آبادي ج١ ص٢٦٦، كنز العمال: المتقي الهندي: ج٢ ص١٨٧، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر ج٢ ص٤١٥ ـ ٤١٩.

لم يترك أمير المؤمنين عليه السلام فرصة إلا اغتنمها لنصح رؤوس الناكثين وهدايتهم، لكنهم أصروا على العناد ورفضوا النصح وتركوا الهداية وأحبوا الضلالة والغواية، فما عذر أتباع السقيفة حين يدافعون عن هذا الناكث وأمثاله؟! ولماذا ينصرون الظالمين ويتنكرون للمظلومين؟! ألم يكن لديهم عقول يفكرون بها؟ ألم يكن لديهم دين يردعهم عن نصرة المجرمين والمتمردين والناكثين؟! ألم تكن لديهم جرأة في الإعتراف بالحقيقة؟! فما ضرَّهم لو اعترفوا بجريمة طلحة والزبير وعائشة وأعوانهم ففضحوهم على رؤوس الأشهاد؟! وأنَّى لهم ذلك وقد ربطوا عقيدتهم بالأفعال المخزية لهؤلاء القادة قادة الضلال؟!

الفصل الثاني:

أثناء الحرب

لما رفض رؤوس الناكثين الإنصياع إلى الحق قام أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه خطيباً وقال:

أيها الناس إني قد ناشدت هؤلاء القوم كيما يرجعوا ويرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا وقد بعثوا إليَّ أن أبرز إلى الطعان وأثبت للجلاد، وقد كنت وما أهدد بالحروب، ولا أُدعى إليها وقد أنصف القارة من راماها، ولعمري لئن برقوا وأرعدوا فقد عرفوني ورأوني، ألا وإن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يمت يقتل، وإن أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موتة على الفراش! ثم رفع يده إلى السماء وهو يقول: اللهم! إن طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقة بيمينه طائعاً ثم نكث بيعته، اللهم! فعاجله ولا تميّطه، اللهم! إن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوّي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم، فاكفنيه كيف شئت وأنى شئت[1].

فقد شهد على طلحة بأنه بايع طائعاً في البداية ثم نكث بيعته. فأي شهادة أعظم من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام؟ وإذا لم تُقبل شهادة أمير المؤمنين، فمن الذي تُقبل شهادته؟ كما شهد على الزبير بأنه قطع قرابته ونكث عهده وظاهر عدوه ونصب الحرب له وهو يعلم أنه ظالم، فبأي حجة سيحتج بها يوم القيامة إذا كان خصمه إمامه أمير المؤمنين عليه السلام؟ وبأي عذر سيعتذر عن دوره في حرب الجمل؟!

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٨، شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج١ ص٣٠٦.

وما دام الحال كذلك، فكيف يكون طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة؟! وقد دعا أمير المؤمنين عليهما، ودعوته لا ترد، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، فقُتل طلحة وهو يقود جيش الضلالة، وقُتل الزبير غدراً بعد أن انهزم من المعركة ولم يرجع إلى إمامه الشرعي.

ولما اقترب الجيشان من بعضهما البعض خرج أمير المؤمنين عليه السلام حتى وقف بين الصفين (عليه قميص ورداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو يومئذٍ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء التي يقال لها (دلدل)، ثم نادى بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إليَّ! فقال الناس يا أمير المؤمنين! أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجَّج في الحديد؟ فقال علي رضي الله عنه: ليس عليَّ منه بأس فأمسكوا، قال: ثم نادى الثانية: أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إليَّ! قال: فخرج إليه الزبير، ونظرت عائشة فقالت: واثكل أسماء! فقيل لها: يا أم المؤمنين! ليس على الزبير بأس، فإن علياً بلا سلاح.

قال: ودنا الزبير من عليّ حتى وافقه، فقال له علي رضي الله عنه: يا أبا عبد الله! ما حملك على ما صنعت؟ فقال الزبير: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان، فقال له عليّ: أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك، ولكن أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو، أما تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: يا رسول الله! وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي؟ فقال لك: أما إنك ستخرج عليه يوماً وأنت ظالم؟ فقال الزبير: اللهم بلى! قد كان ذلك. قال عليّ: فأنشدك بالله الذي أنزل الفرقان أما تذكر يوماً جاء رسول الله صلى الله عليه وآله من عند بني عمرو بن عوف، وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلَّم وضحك في وجهي وضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي صلى الله عليه وآله: مهلاً يا زبير! فليس به زهو، ولتخرجنّ عليه يوماً وأنت ظالم له؟ فقال الزبير: اللهم بلى! ولكن أنسيت، فأما إذ ذكرتني ذلك فوالله لانصرفنَّ عنك! ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك)[1].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٩، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٢. شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج٢ ص١٦٧. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩٢

فقد اتهم أمير المؤمنين عليه السلام الزبير وأصحابه بأنهم هم الذين قتلوا عثمان، ولو لم يشترك الزبير في القتل بشكل أو بآخر لما قال له أمير المؤمنين عليه السلام (فيجب عليك أن تقيد نفسك).

وتأمل في قول النبي صلى الله عليه وآله للزبير: (. . . ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له!!). فقد تأكد من ظلمه لإمامه الشرعي سماعاً وعياناً، فكيف يطلب أثراً بعد عين؟! وهذا الحديث النبوي الشريف من دلائل النبوة. فقد حكم النبي صلى الله عليه وآله على الزبير بالظلم في هذه الحرب ووصفه بالظالم منذ عشرات السنوات، فكيف جاز لأتباعه الدفاع عن هذا الظالم بلسان النبي الكريم الذي لا ينطق عن الهوى؟! الا يستحون من هذا الدفاع الوقح؟!

وهذا الظلم لا يخص الزبير فقط، بل يشمل جميع الناكثين رؤوساء وأذناباً، فكيف جرؤ الأتباع في الإستماتة في الدفاع عن أولئك الظلمة بلا حياء وتنكروا للإمام الشرعي المظلوم؟! فدفاع الأتباع عن قادة حرب الجمل استخفاف بالحديث النبوي الشريف الذي وصفهم بالظلم. والعجيب في الأمر أن الزبير لم ينكر ذلك الحديث النبوي الشريف الذي يدينه ويصفه بالظالم، لكن الأتباع لا يأبهون لذلك، فالدفاع عن الزبير الظالم أهم عندهم من التصديق بالحديث النبوي الشريف والإذعان له.

كما أن موقف القرآن الكريم واضح من الظلم والظلمة. وهناك آيات كثيرة تُندِّد بالظالمين وتتوعدهم بالعذاب الأليم. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢]. فكيف والحال هذه يستميت الأتباع في الدفاع عن رؤوس الناكثين الظلمة؟ فالله سبحانه وتعالى يلعن الظالمين ويبشرهم بالنار، وأتباع السقيفة يدافعون عنهم.

فقد شهد النبي صلى الله عليه وآله على أحد رؤوس الناكثين بأنه ظالم لإمامه الشرعي، ووصف الإمام الشرعي أمير المؤمنين الناكثين بـ (الطغام). ووصفتهم أم المؤمنين

أم سلمة رضي الله عنها بـ (بني السوء وشيعة الضلال)، وشهدت عليهم أم الفضل بأن في قلوبهم مرض، ووصفهم عقيل بن أبي طالب بالطغاة والأوباش، وبالرغم من هذه الشهادات في حقهم إلا أن أتباعهم لم يخجلوا من الدفاع عنهم وتبرير ظلمهم والتستر على جرائمهم.

وذكر ابن أعثم الكوفي: (ثم رجع الزبير إلى عائشة وهي واقفة في هودجها، فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: ورائي والله ما وقفت موقفاً قط ولا شهدت مشهداً من شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وإني اليوم لعلّي في شك من أمرك، وما أكاد وأبصر موضع قدمي! فقالت عائشة: لا والله! ولكنك خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلك. قال: ثم أقبل عليه ابنه عبد الله فقال: لا والله! ولكنك رأيت الموت الأحمر تحت رايات ابن أبي طالب، فقال له الزبير: والله يا بني إنك لمشؤوم قد عرفتك. فقال عبد الله: ما أنا بمشؤوم، ولكنك فضحتنا في العرب فضيحة لا تغسل منها رؤوسنا أبداً!!

قال: فغضب الزبير من ذلك ثم صاح بفرسه وحمل على أصحاب علي حملة منكرة، فقال عليّ رضي الله عنه: أفرجوا له فإنه محرج، فأوسعوا له حتى شقَّ الصفوف وخرج منها، ثم رجع فشقها ثانية ولم يطعن أحداً ولم يضرب، ثم رجع إلى ابنه فقال: يا بني! هذه حملة جبان! فقال له ابنه عبد الله: فلم تنصرف عنا وقد التقت حلقتا البطان؟ فقال الزبير: يا بني! أرجع والله لأخبار قد كان النبي ﷺ عهدها إليّ فنسيتها حتى أذكرنيها علي بن أبي طالب فعرفتها)[1].

لقد خاف عبد الله بن الزبير من الفضيحة في العرب، ولم يخش من الفضيحة يوم القيامة. وقد غضب الزبير ولم يكن غضبه لوجه الله، وإنما غضب من تعييره بالجبن والخوف من الموت الأحمر من سيوف أمير المؤمنين وأصحابه، ولهذا صاح بفرسه وحمل على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حملة منكرة من أجل اطفاء نور الله وإعلاء كلمة الشيطان، ولهذا قال لإبنه: (ويلك! ومثلي يعيّر بالجبن؟ هلمَّ

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٠، وانظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٦، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٣، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٩٢.

إليّ الرمح!!) كما ذكر اليعقوبي في تاريخه. لقد قام بهذا العمل الجنوني بعد أن تأكد يقيناً من أنه ظالم لإمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام كما أخبره نبي الرحمة صلى الله عليه وآله. فأين مصداق التوبة؟ ولماذا لم يتعظ بما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله!؟

وقال الطبري: (لما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعليّ هذا الزبير، قال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر، وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ فدنا منهما حتى اختلف أعناق دوابهم، فقال عليّ: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً. ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما. فهل من حدث أحلَّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألَّبت الناس على عثمان رضي الله عنه!! قال عليّ: يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين. يا طلحة تطلب بدم عثمان رضي الله عنه، فلعن الله قتلة عثمان. يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم، فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه، فقلتَ: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: صه، إنه ليس به زهو، ولتقاتلنَّه وأنت ظالم له. فقال: اللهم نعم. ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا. والله ألا أقاتلك أبداً. فانصرف عليّ إلى أصحابه فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً ألا يقاتلكم. ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله: جمعت ببين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟! أحسست رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد؟!)[1].

فقد اتهم طلحة أمير المؤمنين عليه السلام بتأليب الناس على عثمان. فلا عجب أن يقوم طلحة باتهام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الإتهام الرخيص. فقد قال لأهل البصرة بعد استيلائهم عليها: (... ولاغررناكم فيما دعوناكم إليه من قتال علي بن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق، ولسنا نطلب خلافة ولا ملكاً، وإنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق، وقد رجونا أن يكون عندكم

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٠.

عون لنا على طاعة الله وإصلاح الأمة، فإن أحق من عناه أمر المسلمين ومصلحتهم أنتم يا أهل البصرة لتمكنكم بالدين، وإن علياً لو عمل الجد في نصرة أمكم لاعتزل هذا الأمر حتى تختار الأمة لأنفسها من ترضاه)[1].

فالذي يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه من الناس الصادِّين عن الحق لا يتورع أن يتهمه مرة أخرة، بتأليب الناس على عثمان. وأما قوله: (ولسنا نطلب خلافة ولا ملكاً). فهو من الكذب الرخيص. فقد ذكرنا جوابه وجواب صاحبه الزبير لسعيد بن العاص لما سألهما عن ذلك فحصرا الأمر في أحدهما أيهما اختاره الناس. وهذا الرجل لا يتورع عن الكذب يوزعه يميناً وشمالاً. ثم ما علاقة الجد في نصرة عائشة المتمردة على إمامها باعتزال أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأمر حتى تختار الأمة لأنفسها من ترضاه؟! فقد اختارت الأمة أمير المؤمنين عليه السلام ولم تختر غيره بعد مقتل عثمان. فما هذا الهراء الذي تتشدق به يا طلحة؟! ولماذا تطالب أمير المؤمنين عليه السلام أن ينصر عائشة المتمردة عليه وعلى إمامته؟! لماذا تصل بك سفاسف الأمور إلى هذه الدرجة؟! لماذا ترى الأمور معكوسة يا إمام الضلال والغواية؟!

وقال في خطبة أخرى في أهل البصرة: (. . . ثم أخذ هذا الرجل الأمر دوننا من غير مشورتنا، وتغلب عليه ونحن وهو فيه شرع سواء، فأتي بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللج على أعناقنا، فبايعناه كرهاً، والذي نطلب أيها الناس الآن منه أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوماً، ويخلع هذا الأمر ويعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون لهم إماماً كسنة عمر بن الخطاب في الشورى، فإذا استقام رأينا ورأي أهل الإسلام على رجل بايعناه)[2].

فقد اتهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه أخذ الخلافة دونه ودون صاحبه الزبير من غير مشورتهما ومشورة المسلمين. والذي يتهم أمير المؤمنين بهذه الترهات لا يتورع في اتهمامه بتأليب الناس على عثمان. فقد حاول جهده أن يبعد التهمة عن نفسه ويلصقها بأمير المؤمنين عليه السلام، ناسياً أو متجاهلاً أن التاريخ قد وثَّق دوره السيِّء في تأليب الناس ضد عثمان.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٠٤.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٠٦.

وأما قوله: (ونحن وهو فيه شرع سواء!!) فهو بالهراء التيمي أشبه. ولا ندري لمن يوجِّه عتابه؟! هل يعاتب ربَّه الذي اختار أمير المؤمنين عليه السلام إماماً ولم يره ولا صاحبه أهلاً للإمامة؟! أم يعاتب المسلمين الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام وتجاهلوه وصاحبه؟! ثم، لماذا يصرّ على خلع أمير المؤمنين عليه السلام؟ وما قصده من ذلك؟ ولماذا يصرّ على إحياء سنَّة عمر بن الخطاب في الشورى؟ ألم يكن للدين رأي في الإمامة؟ ولماذا أطلق على بدعة عمر بن الخطاب سنَّة؟ فالرجل الذي يكون بهذا المستوى من الإنحراف في العقيدة لا يتورع عن اتهام أمير المؤمنين بالإتهامات الرخيصة. وكل إناء بالذي فيه ينضح. وهذا ما نضحه إناء طلحة من ضلال وغواية.

وذكر الطبري: (فلما تواقفوا خرج عليّ على فرسه، فدعا الزبير فتواقفا، فقال عليّ للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت!! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!! ولا أولى به منا!! فقال عليّ: لست له أهلاً بعد عثمان رضي الله عنه؟! قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك. وعظم عليه أشياء، فذكر أن النبي صلى الله عليه وآله مرَّ عليهما فقال لعليّ: ما يقول ابن عمتك؟ وهو لك ظالم. فانصرف عنه الزبير وقال: فإني لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبد الله فقال: ما لي في هذه الحرب بصيرة!! فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أن تحتها الموت فجبنت!! فاحفظه حتى أرعد وغضب. وقال: ويحك: إني قد حلفت له ألا أقاتله!! فقال له ابنه: كفِّر عن يمينك بعتق غلامك (سرجس) فأعتقه وقام في الصف معهم!! وكان عليّ قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته! سلَّط الله على أشدنا اليوم ما يكره! وقال عليّ: يا طلحة جئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وآله تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت. أما بايعتني؟ قال: بايعتك وعلى عنقي اللج!)[1].

تأمل في تخرصات الزبير عندما سأله أمير المؤمنين عليه السلام: (ما جاء بك؟ قال: أنت!! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!! ولا أولى به منا!!). يتهم الزبير أمير المؤمنين

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٤، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٢٨، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٤.

بأنه هو سبب مجيئه إلى البصرة يقود جحفل الناكثين. أي أن بيعة المسلمين له بالإمامة هي التي شجعته على التمرد والمجيء إلى البصرة يقود جيش الضلالة ضد إمامه. ولو لم يبايع المسلمون أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة لما جاء إلى البصرة يقود جيش البغي والعدوان، وقد صرَّح بذلك بكل وضوح حين قال: (ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!! ولا أولى به منا!!).

ولو سألنا الزبير: لماذا لم ير أمير المؤمنين عليه السلام أهلا للإمامه؟ ولماذا يرى نفسه وصاحبه أولى بالإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام؟! لم يأت الزبير بدليل من القرآن الكريم أو السنَّة النبوية الشريفة يدعم تخرّصاته المتهافتة بأن أمير المؤمنين عليه السلام ليس أهلاً للإمامة، وأنه وصاحبه طلحة أولى بالإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام. ولم يدعم تخرّصه بدليل من العقل والمنطق.

هل يرجع عدم استحقاق أمير المؤمنين عليه السلام للإمامة لعدم كفاءته؟ أم لعدم تقواه؟ أم لعدم رضاء الله سبحانه وتعالى ونبيّه الكريم به؟ لقد نصَّب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وصياً له في حديث الدار في بداية الدعوة بأمر من الله سبحانه وتعالى ولم يرك وصاحبك أهلاً لهذا الأمر. فلماذا تشكك في أهليته لمنصب الإمامة؟ ولقد نصَّبه رسول الله صلى الله عليه وآله مولى للمسلمين في غدير خم بأمر من الله سبحانه وتعالى وقد تجاهلك وصاحبك لذلك الأمر الجليل. فماذا تشكك في أهليته لمنصب الإمامة؟! وقد جعله نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده. فلماذا تدَّعي عدم أهليته لمنصب الإمامة؟ ثم من قال أنت وصاحبك طلحة أولى بالإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام؟!

والشيء الذي يحزّ في النفس لما سلَّم أصحاب الشورى أمرهم إلى عبد الرحمن بن عوف بعد أن أخرج نفسه من الخلافة طلب من الجميع أن يجعلوا أمرهم إلى ثلاثة منهم، (فجعل الزبير أمره إلى عليّ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف!!)[1].

فقد رأى سعد بن أبي وقاص أن عبد الرحمن أولى منه بالخلافة فجعل أمره إليه، وقد مات عبد الرحمن في زمن عثمان بن عفان. ورأى طلحة أن عثمان أولى

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٤٤.

منه بالخلافة فجعل أمره إليه، ثم ألَّب الناس عليه (فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرِّض الفريقين جميعاً على عثمان، ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه)[1]. ثم قتل عثمان بن عفان، فقاد طلحة مع صاحبه الزبير جيش الضلالة ضد إمامه الشرعي، ثمَّ تبجَّح صاحبه الزبير عندما قال لأمير المؤمنين عليه السلام: (ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا!!). وقد أخرجا نفسيهما من الشورى العمرية.

ورأى الزبير بأن أمير المؤمنين عليه السلام أولى منه بالخلافة فجعل أمره إليه في الشورى العمرية كما أنه وقف ذلك الموقف المشرف بعد أحداث السقيفة. فقد ذكر ابن أبي الحديد: (ذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حُضير، وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا، فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه! فقال عمر: عليكم الكلب!! فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار)[2].

أين ذلك الموقف المشرف بعد أحداث السقيفة من موقفك في البصرة وأنت تقول: (ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا!!)؟! فإذا كنت لا ترى أمير المؤمنين أهلاً لمنصب الإمامة، فلماذا تنازلت عن حقك إليه في الشورى العمرية؟ ولماذا شهرت سيفك دفاعاً عن حقه في الإمامة بعد أحداث السقيفة؟! وإذا كنت أولى منه بالخلافة، فلماذا لم يدافع عنك أمير المؤمنين بسيفه كما دافعت عنه؟ ولماذا لم يدعُ الناس إلى إمامتك كما دعوت إلى إمامته؟ ولماذا لم يتنازل إليك ويجعل أمره إليك كما فعلت في الشورى العمرية؟!

والشيء الذي يحز في النفس أن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله يشهد على الزبير ـ من نافذة الغيب ـ بأنه ظالم لإمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الحرب، والزبير يؤكد ظلمه القبيح حين قال لإمامه الشرعي: (ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!! ولا أولى به منا!!). فهل تطلب عزيزي القاريء أدلة أكثر من هذه على ضلالة الزبير وظلمه؟!

---

(١) المرجع السابق: ج١ ص٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص١١.

ما أحلمك يا نبي الرحمة ﷺ، لقد حاولت أن تهدي الزبير في مستقبل أيامه وتنقذه من الهلاك في نهاية عمره، وتنتشله من بغيه وظلمه، وأنت في جوار ربك، لكن الذي أردت أن تهديه وتنقذه من الميتة الجاهلية تنكر لابن خاله وإمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام ونكث بيعته وجيَّش له الجيوش واتهَّمه بعدم الكفاءة واللياقة لمنصب الإمامة (ولا أراك لهذا الأمر أهلاً!! ولا أولى به منا!!)، وقد بلغ في ظلمه لإمامه الشرعي الغاية كما ذكرت، فما أصدق كلامك، وما أروع رأفتك بالعباد!!

كما أن تصريح الزبير حين قال: (ولا أراك أهلاً لهذا الأمر!! ولا أولى به منا!!) يدل على طمعه وطمع صاحبه طلحة في الإستيلاء على مقاليد الأمور، ولم يكن هدفهم الإصلاح الذي طالما تشدقوا به أمام الطغام والأوباش وأبناء السوء من أفراد جيشهم جيش الضلالة والبغي. لقد ركبوا الطرق الوعرة، واستخدموا الأساليب السيئة من أجل الوصول إلى هدفهم الخبيث، لكنهم لم يجنوا إلا الخيبة والخسران والهزيمة والعار في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

لقد حاول الزبير أن يوقف ظلمه وعدوانه ضد إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن تأكد له عياناً ظلمه حين ذكَّره أمير المؤمنين عليه السلام بما قال له النبي ﷺ منذ عشرات السنين، لكن ابنه عبد الله حال بينه وبين ذلك وعيَّره بالجبن والخوف من رايات أمير المؤمنين التي تحمل الموت. فقال الزبير: (ويحك! إني قد حلفت له الا أقاتله! فقال له ابنه: كفِّر عن يمينك بعتق غلامك (سرجس)، فأعتقه وقام في الصف معهم). يا له من شقاء وعناد بعد أن تيقَّن من ظلمه وتمرّده.

لقد حلف لأمير المؤمنين عليه السلام بألا يقاتله لكنه بعد دقائق معدودة، وبعد حوار قصير مع ابنه عبد الله تراجع وغيَّر رأيه وكفَّر عن يمينه بعتق غلامه (سرجس) وقام في الصف مع الناكثين يقاتل إمامه الشرعي. وقد صدق رسول الله ﷺ حين قال له: (. . . ولتقاتلنه وأنت له ظالم).

وذكر الطبري الحوار الذي جرى بين الزبير وابنه عبد الله في رواية أخرى (فقال له ابنه عبد الله جمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟ أحسست رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية

أنجاد؟! قال: إني حلفت ألا أقاتله! وأحفظه ما قال له: فقال: كفِّر عن يمينك وقاتله!! فدعا بغلام له يقال له (مكحول) فاعتقه!! فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفِّر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمن

وقال رجل من شعرائهم:

يعتق مكحولا لا لصون دينه كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه[1]

فالرجل يحلف في البداية بعد سماعه الحديث النبوي الشريف بألا يقاتل، وابنه عبد الله يعيره بالجبن والخوف ويطلب منه أن يكفِّر عن يمينه ويقاتل فيوافق الرجل، والنبي ﷺ يؤكد له منذ عشرات السنين القتال والظلم (. . . ولتقاتلنه وأنت له ظالم). ثم يأتي الأتباع فيكذِّبون التاريخ ويستهزؤون بالنبي ﷺ وحديثه، ويبرؤون الرجل الناكث ويصرّون على توبته التي لم تثبت بالدليل. فالرجل الذي قام بذبح سبعين رجلاً مؤمناً من السبابجة وقتل خمسين منهم صبراً دون أن يطرف له جفن لا يتورع عن قتال إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام. والرجل الذي يقول له النبي ﷺ (. . . ولتقاتلنه وأنت له ظالم) وقد ثبت ذلك في حقه بما لا يدع له مجالاً للشك لا ينفعه دفاع أتباعه في إثبات توبته. وقد ذكر الطبري: (فاعتقه وقام في الصف معهم!!) فأين التوبة المزعومة يا أتباع الزبير؟!

فقد أعتق غلامه ليؤكد ظلمه لإمامه الشرعي وقتاله له كما أخبره النبي ﷺ. فأفٍ له وتفٍ حين لم تنفعه نصيحة رسول الله ﷺ وقد تجاهلها تماماً بعد أن رآها ماثلة أمامه، فترك اليقين وتشبث بالشك، ورفض الهداية وأحبَّ العمى والضلال.

وذكر ابن أبي الحديد الحوار الذي جرى بين الزبير وابنه عبد الله حين قال له: (لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به! فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر فلا أحاربه أبداً!! وإني لراجع وتارككم منذ اليوم. فقال له عبد الله: ما أراك

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٠، وانظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٢٨، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٣.

إلا جبنت عن سيوف بني عبد المطلب، إنها لسيوف حداد، تحملها فتية أنجاد. فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربه!! أما إني قد حلفت ألا أحاربه، قال: كفِّر عن يمينك، لا تتحدث نساء قريش أنك جبنت، وما كنت جباناً، فقال الزبير: غلامي مكحول حرٌّ كفارة عن يميني!! ثم أنصل رمحه، وحمل على عسكر عليّ عليه السلام برمح لا سنان له، فقال علي عليه السلام: أفرجوا له، فإنه محرج، ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويلك ترى! فقال: لقد أعذرت)[1].

لم يتب الرجل ولم يندم على قتاله لإمامه وظلمه له، وإنما نوى الرجوع من حيث أتى، وعزم على ترك الناكثين، لكنه سرعان ما عاد إلى طبعه من القتال والظلم (وإني لراجع وتارككم منذ اليوم!!). فلو تاب توبة نصوحة لرجع إلى إمامه يقاتل معه الناكثين كما فعل الحرّ بن يزيد الرياحي عندما تاب ورجع إلى الإمام الحسين عليه السلام يقاتل تحت رايته جيش يزيد بن معاوية، لكن الزبير لم يفعل كما فعل الحرُّ بل أعتق غلامه وحمل على جيش أمير المؤمنين عليه السلام عدة حملات متجاهلاً الحديث النبوي الشريف تمام التجاهل. فحكمه الشرعي يحتم عليه الإنضمام إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام والقتال تحت رايته في ذلك الوقت، لا ترك أصحابه والرجوع من حيث أتى، مع عدم وفائه بكل ذلك.

كما أن حكمه الشرعي يحتّم عليه أن ينصح الناكثين لإنهاء نكثهم وتمردهم على إمامهم الشرعي، ويفكك أوصال ذلك الجيش الناكث الذي أعدَّه وأنشأه وقاده ضد إمامه الشرعي لا أن يترك ذلك الجيش يحارب إمامه الشرعي ويرجع من حيث أتى، لكن الزبير لم يقم بأي خطوة بناءَة تؤكد توبته وندمه، بل قام بالنقيض من ذلك.

وذكر المسعودي الحوار الذي جرى بين أمير المؤمنين عليه السلام والزبير حين قال له: (أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله في بني بياضة، وهو راكب حماره، فضحك إليَّ رسول الله وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع عليّ زهوه، فقال لك: (ليس به زهو، أتحبه يا زبير؟ فقلت: إني والله لأحبه،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٤.

فقال لك: (إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم)، فقال الزبير: أستغفر الله، والله لو ذكرتها، ما خرجت، فقال له: يا زبير ارجع. فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يُغسل!! فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار!! فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نارٍ مؤججةٍ ... ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى عليّ بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عذلٍ أبا حسنٍ ... فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني[1]

وذكر ابن أبي الحديد: لما أذكر عليّ عليه السلام الزبير بما أذكره به ورجع الزبير، قال:

نادى عليّ بأمر لست أنكره ... وكان عمر أبيك الخير مذ حين
فقلت حسبك من عذل أبا حسنٍ ... بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني
ترك الأمور التي تخشى مغبتها ... والله أمثل في الدنيا والدين
فاخترت عاراً على نارٍ مؤججةٍ ... أنى يقوم لها خلق من الطين؟[2]

تأمل في قول الزبير حين قال له أمير المؤمنين عليه السلام: (يا زبير ارجع. فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟! هذا والله العار الذي لا يغسل!! فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار!!).

لقد سمع تحذير النبي صلى الله عليه وآله بأذنه مباشرة ودون واسطة، وذكَّره أمير المؤمنين بذلك، ورأى صدق التحذير ماثلاً أمامه، وطلب منه أمير المؤمنين الرجوع إلى الحق، فعاند وقال: (وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟! هذا والله العار الذي لا يُغسل!!). فقد اعتبر الرجوع عاراً، والبقاء في جيش الناكثين مروءة، ونكث يمينه وعتق غلامه عدلاً وإنصافاً، وحملته على جيش أمير المؤمنين عليه السلام برمحه عدة حملات شجاعة وإقداماً، وتجاهله قول نبي الرحمة صلى الله عليه وآله (إنك والله ستقاتله وأنت ظلم له) تصديقاً وتسليماً بالنبوة وأداءً لأجر الرسالة في مودة ذوي القربى.

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٤.

لكن هل رجع حقاً؟ لم يرجع، بل بقي في جيش الناكثين إلى أن حلَّت به الهزيمة فلاذ بالفرار كما لاذ غيره. فقد ذكر الطبري (حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح، فقال: أتريد أن تقتلني؟ قال: لا، انصرف، وقال عامر بن حفص: أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح، فقال: أتقتلني يا أبا اليقظان؟! قال: لا يا أبا عبد الله)[1].

فلو لم يكن في جيش الناكثين لم يحوزه عمار بن ياسر بالرمح. ولم يبدأ عمار بن ياسر في قتال القوم إلا بعد أن أصدر أمير المؤمنين عليه السلام أوامره بقتال القوم. ولم يصدر أمير المؤمنين عليه السلام أوامره بقتال القوم إلا بعد أن نصحهم واستنفذ معهم جميع الأساليب التي تبيِّن ظالميتهم، ولم يلجأ إلى القتال إلا بعد أن لجأ جيش الناكثين إلى القتال. وهذا ما سنعرفه بعد قليل. وكانت هناك فرصة كبيرة للزبير كي يتوب ويرجع عن بغيه وتمرده وينضوي تحت لواء إمامه الشرعي بعد أن تأكد له ظلمه لإمامه الشرعي عياناً كما أخبره نبي الرحمة صلى الله عليه وآله (إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم). والتشبث بنفي قتال الزبير لإمامه الشرعي تكذيب للحديث النبوي الشريف. كما أن الطبري قد ذكر الحوار بينه وبين ابنه عبد الله حين قال له ابنه: (كفِّر عن يمينك بعتق غلامك (سرجس))، فأعتقه وقام في الصف معهم!!)[2]. فقيامه في الصف بعد عتق غلامه (سرجس) يؤكد بقاءه في الميدان. فبعد تذكيره بالحديث النبوي الشريف الذي يدينه تلك الإدانة، ما السبب الذي يجعله يبقى في جيش الناكثين؟ ولماذا كفَّر عن يمينه وعتق غلامه؟ ولماذا حمل على جيش أمير المؤمنين عليه السلام برمحه عدة حملات؟ فهذه التصرفات الطائشة تنفي عنه التوبة وتؤكد ظلمه وقتاله لأمير المؤمنين عليه السلام.

لم يترك زعماء الناكثين وسيلة إلا استخدموها في تضليل أتباعهم وتشويه حق أمير المؤمنين. (فقد قام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس: إن هذا الوعث والرعث قتل عثمان بالمدينة، ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة وقد غصب الناس أنفسهم، ألا تنصرون خليفتكم المظلوم؟! ألا تمنعون حريمكم المباح؟! ألا تتقون الله في عطيتكم من أنفسكم؟ أترضون أن يتوردكم أهل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٤، وانظر: البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٢.

الكوفة في بلادكم؟! اغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، إن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم)[1].

فقد أساء عبد الله بن الزبير لإمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام، ولا عجب في ذلك، فالفتى سرّ أبيه. فقد اتهمه بتدمير دين أهل البصرة ودنياهم إذا انتصر عليهم (والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم!!). وقد لجأ إلى القسم بالله العظيم لتأكيد ادّعائه الباطل. فقد انتصر أمير المؤمنين عليه السلام على جيش الناكثين، وعفا عن قائدة جيش الناكثين وجميع أتباعها في صورة من أروع صور العفو.

ولوقدِّر لرؤوس الناكثين أن ينتصروا في هذه الحرب لسالت أودية البصرة بدماء جيش أمير المؤمنين. وما فعله رؤوس الناكثين بعثمان بن حنيف وأصحابه بعد الإنتصار عليهم بالغدر أكبر دليل على ذلك.

ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام خطبة عبد الله بن الزبير أمر ابنه الإمام الحسن عليه السلام أن يخطب، فقام الإمام الحسن عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس، إنه قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن علياً قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحة بن عبيد الله راكز رايته على باب بيت ماله وهو حي، وأما شتيمته لعليّ فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أراده، ولو أردنا أن نقول لفعلنا، وأما قوله إن عليّاً ابتز الناس أمورهم، فإن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم أنه بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعة، وأما تورد أهل الكوفة على أهل البصرة فما يعجب من أهل الحق وردوا على أهل الباطل، ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان، ولعلي أن يقاتل أتباع الجمل)[2].

لقد فنَّد الإمام الحسن عليه السلام ادِّعاءات عبد الله بن الزبير الباطلة، وقد ذكر شتمه لأمير المؤمنين عليه السلام. وهذه شهادة من الإمام الحسن عليه السلام على خبث نفسية ابن الزبير وبذاءة لسانه تجاه إمامه أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٦، وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٦.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٦٦. أحاديث أم المؤمنين عائشة ص١٥٥، الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٧.

وقال عمرو بن أحيحة بعد أن فرغ الإمام الحسن عليه السلام من خطبته:

حسن الخير يا شبيه أبيه ... قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع الله ... بها عن أبيك أهل العيوب
وكشفت القناع فاتضح الأمر ... وأصلحت فاسدات القلوب
لست كابن الزبير لجلج في القول ... وطاطا عنان فسلٍ مريب
وأبى الله أن يقوم بما قام ... به ابن الوصي وابن النجيب
إن شخصاً بين النبي لك الخير ... وبين الوصي غير مشوب[1]

وذكر الشيخ المفيد: (ولما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن عليه السلام، ومدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه فقال: يا أهل البصرة! قد ساق الله إليكم خيراً ما ساقه إلى قوم قط، أمكم وحرمة نبيكم، وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته ومن وقاه بيده. إن علياً غصب الناس أنفسهم بالحجاز وتهيأ للشام، يريد سفك دماء المسلمين والتغلب على بلادهم، فلما بلغه مسيرنا إليكم وقصدنا قصدكم، وقد اجتمع معه منافقو مضر ونصارى ربيعة ورجالة اليمن. فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم ولا تروعوا عنهم ولا تقولوا: ابن عم رسول الله، فهذه معكم زوجة الرسول وأحب الناس إليه وابنه الصدِّيق الذي كان أبوها أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله)[2].

فقد اعتبر وصول زعيمة الناكثين إلى البصرة خيراً ساقه الله سبحانه وتعالى إلى أهالي البصرة ناسياً أن خروجها في هذه الحرب المجنونة مخالفة صريحة لآيات القرآن الكريم التي تأمرها بأن تقرَّ في بيتها، والخير لا يكون في مخالفة القرآن الكريم، لكن طلحة يحلو له أن يعتبر الشرَّ خيراً، والباطل حقاً ليمرِّر اباطيله على الناس.

كما أن طلحة لم يتورع عن الكذب عندما اتهم أمير المؤمنين بأنه قد غصب الناس أنفسهم بالحجاز وتهيأ للشام، يريد سفك دماء المسلمين والتغلب على بلادهم. وقد وثقنا بيعة المسلمين لأمير المؤمنين في الباب الثالث فلا نعيد.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٤٦.
(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٩.

والطريقة التي تمت فيها بيعة أمير المؤمنين عليه السلام تفنِّد أكاذيب هذا الرجل الذي حاول بشتى الأساليب إلصاق التهم الكاذبة بأمير المؤمنين عليه السلام.

وتأمل في اتهامه الباطل حين قال: (وقد اجتمع معه منافقو مضر ونصارى ربيعة). فقد اتهم المسلمين من المهاجرين والأنصار بالنفاق والنصرانية وهو من أبشع الكذب. فقد ذكر المسعودي: (وسار عليّ من المدينة بعد أربعة أشهر، وقيل غير ذلك، في سبعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة)[1].

فقد ذكر المسعودي أن عدد الذين خرجوا مع أمير المؤمنين عليه السلام ٧٠٠ صحابي، منهم ٤٠٠ من المهاجرين والأنصار، ومنهم سبعون صحابياً من الصحابة الأوائل الذين اشتركوا في غزوة بدر، وأما طلحة فلم يتورع عندما وصم أولئك الصحابة من المهاجرين والأنصار بالنفاق والنصرانية!!

وذكر ابن قتيبة: (وذكروا أن علياً تردد بالمدينة أربعة أشهر ينتظر جواب معاوية... فلما أتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والأنصار من أهل السوابق)[2].

فالذين خرجوا مع أمير المؤمنين عليه السلام هم وجوه المهاجرين والأنصار من أهل السوابق، لا كما ادَّعى طلحة بأنهم من منافقي مضر ونصارى ربيعة!!

وذكر الشيخ المفيد: (ثم خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار)[3]. وهذا تكذيب آخر لطلحة الذي لم يتورع عن الكذب حين شهد على المهاجرين والأنصار بالنفاق والنصرانية. والرجل الذي يكذب هذا الكذب المفضوح ويتهم الصحابة من المهاجرين والأنصار بذلك الإتهام الرخيص فهو غير ثقة ولا يحمل ذرة من العدالة والإنصاف. ولا غرابة في لجوء طلحة إلى توزيع اتهاماته الباطلة يميناً وشمالاً. فبيعته لأمير المؤمنين عليه السلام ثم نقضه لها دون سبب شرعي أكثر غرابة من ذلك، ولقاؤه حتفه بتلك الطريقة البائسة وهو يقود جيش الضلالة ضد إمامه الشرعي أكثر غرابة من ذلك.

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٥٨.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٤، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٧٢.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٤٠.

لقد حاول طلحة أن يتاجر بعائشة في مزايدات كاذبة لتمرير مخططه الرامي إلى تحريض الأوباش من أفراد جيش الناكثين ضد أمير المؤمنين فادَّعى بأن الدليل على أحقية تمردهم أن معهم في الجيش عائشة زوجة رسول الله ﷺ وأحب الناس إليه وابنة الصدِّيق، كما ادَّعى أن أباها أبا بكر أحبّ الخلق إلى رسول الله ﷺ!! (فهذه معكم زوجة رسول الله وأحب الناس إليه وابنة الصدِّيق، الذي كان أبوها أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ!!).

فقد كذب طلحة على الأوباش من أفراد جيشه عندما ادَّعى أن عائشة أحب الناس إلى رسول الله ﷺ. فقد روى الحاكم النيسابوري بسنده عن جميع بن عمير قال: دخلت مع عمتي على عائشة رضي الله عنها فسئلت أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها. إن كان ما علمته صواماً قواماً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

لقد بان كذبه وتخرصه على لسان عائشة قائدته العليا حين لقى حتفه البائس وهو يقاتل تحت رايتها راية الضلال. وقد اعترفت عائشة بأن فاطمة الزهراء عليها السلام أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء. ولم لا؟ وهي سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين. كما اعترفت بأن أمير المؤمنين عليه السلام أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من الرجال، مزيَّفة بذلك إدِّعاءات طلحة وتخرصاته التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولم يقتصر الأمر على رواية عائشة. فقد روى النسائي بسنده عن ابن بريدة قال: جاء رجل إلى أبي فسأله أيّ الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: من النساء فاطمة ومن الرجال عليّ رضي الله عنه[2].

---

(١) المستدرك: الحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥٧، الإستيعاب بهامش الإصابة: لابن حجر ج٤ ص٣٧٨، ذخائر العقبى: المحب الطبري ص٣٥، أسد الغابة: ابن الأثير ج٧ ص٢٤٢، الرياض النضرة: المحب الطبري ج٣ ص ١١٥ ـ ١١٦، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ج١١ ص٤٣٠، خصائص أمير المؤمنين: النسائي ص ٢١١ ـ ٢١٤، تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٦٤ ـ ١٧٠، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: الفيروز آبادي ج٢ ص ١٨٥ ـ ١٨٨.

(٢) خصائص الإمام أمير المؤمنين: النسائي ص٢١٤، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٦٣.

فلم يرد اسم عائشة ولا أبوها في الروايتين السابقتين. وروى النسائي بسنده عن النعمان بن بشير، قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: لقد علمت أن علياً أحبّ إليك مني ومن أبي!! فأهوى لها ليلطمها وقال لها: يا بنت فلانة أراك ترفعين صوتك على صوت رسول الله ﷺ؟ فأمسكه رسول الله ﷺ. وخرج أبو بكر مغضباً، فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة كيف رأيتيني أنقذتك من الرجل؟[1].

لقد استخدمت عائشة ثلاث أدوات من أدوات التوكيد لتأكد كلامها بأن أمير المؤمنين عليه السلام أحب إلى النبي ﷺ منها ومن أبيها، وأدوات التوكيد هي: اللام وقد وأنَّ. كما أن النبي ﷺ قد سمع كلامها واعتراضها على محبته لأمير المؤمنين ﷺ ولم يغير ذلك مما يدل على أنه موافق على أن أمير المؤمنين ﷺ أحب إليه منها ومن أبيها أبي بكر، وهذه سنة تقريرية واضحة كوضوح الشمس، ولو كانت مع أبيها أحب الناس إليه لوضَّح ذلك، وعدم توضيحه لذلك الحب دليل على أن عائشة وأباها ليسا من أحب الناس إليه.

أضف إلى ذلك، بأن أباها أبا بكر لما سمع تخرّصاتها واعتراضها أهوى لها ليلطمها، وهذا دليل آخر على عدم رضاه عن تخرصات ابنته، مع اعتراف ضمني بأنه ليس من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على رسول الله فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبي ومني، مرتين أو ثلاثاً. فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال: يا بنت فلانة. ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ؟[2].

فقد أكدت كلامها بأربع أدوات من أدوات التوكيد وهي القسم بالله العظيم واللام وقد وأنَّ، بأن أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ إلى النبي منها ومن أبيها. فكيف يتجرأ طلحة ويدَّعي نقيض ذلك؟

---

(١) خصائص الإمام أمير المؤمنين: النسائي ص٢٠٩، مجمع الزوائد: الهيثمي ج٩ ص١٢٦.
(٢) المسند: أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٧٥.

وروى أحمد بن حنبل عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عزّ وجلّ بها خيراً منها. قال: ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها، قد آمنت بي اذ كفر بي الناس، وصدَّقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء[1].

فقد ادَّعت أمام رسول الله ﷺ ـ بأن الله سبحانه وتعالى قد أبدله زوجة خيراً من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تقصد بذلك نفسها. فنفى النبي ﷺ فوراً ذلك الإدِّعاء الباطل حين قال: (ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها). وهو نفي صريح لأفضلية عائشة على زوجات النبي ﷺ عامة وعلى خديجة خاصة، وفيه تأكيد على أفضلية أم المؤمنين خديجة على جميع نساء النبي ﷺ بما فيهن عائشة. فيكف تكون عائشة والحال ذلك أحب النساء إليه؟! وما مغزى طلحة من تحريف سنَّة رسول الله ﷺ حين ادَّعى بأن عائشة من أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ؟!

والذي يعرف نفسه بأنه الأفضل من غيره لا يغار من الآخرين. وإنما الذي يشعر بالنقص هو الذي يغار من الآخرين ويتنقصهم بكلام يتنافى مع الأدب.

عن أنس قال: قدَّمت إلى رسول الله ﷺ طيراً مشوياً فسمَّى وأكل منه ثم قال: اللهم إئتني بأحب خلقك إليك وإليَّ، قال: فأتى علي فضرب الباب فقلت: من أنت؟ قال: أنا عليّ، قال: قلت: رسول الله ﷺ على حاجة، قال: ثم أكل منه لقمة ثم قال: مثل قوله الأول فضرب الباب، فقلت: من أنت؟ قال أنا عليّ. قال: قلت: رسول الله ﷺ على حاجة. قال: ثم أكل منه لقمة ثم قال مثل قوله الأول والثاني فضرب الباب، فقلت: من أنت؟ فقال عليّ أنا. قال: قلت: إن رسول الله على حاجة. قال: ثم أكل منه لقمة ثم قال: مثل قوله الأول والثاني والثالث، قال: فضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله ﷺ: يا أنس افتح الباب قال: فدخل فلما رآني تبسَّم ثم قال: الحمد لله الذي جعلك، فإني أدعو في كل لقمة أن يأتيني الله بأحب الخلق إليه وإليَّ، قال: فكنت أنت. قال: فوالذي

---

(١) المسند: أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٧، صحيح البخاري ج٥ ص ٤٨ ـ ٤٩، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ص٢٥.

بعثك بالحق إني لأضرب الباب ثلاث مرات يردني أنس. قال: فقال رسول الله ﷺ: لا يلام الرجل على حب قومه[1].

فقول النبي ﷺ (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإليَّ) ومجيء أمير المؤمنين عليه السلام وانطباق الحديث النبوي عليه دليل واضح على أنه أحب الخلق إلى الله ورسوله. فكيف تجرأ طلحة وادَّعى أن عائشة وأباها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؟ ولماذا يعمل جاهداً على تحريف سنة رسول الله ﷺ وحرف مصاديقها؟!

والأمر الجدير بالاهتمام ما رواه النسائي بسنده عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ كان عنده طائر، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير. فجاء أبو بكر فردَّه!! ثم جاء عمر فردَّه!! ثم جاء عليّ فأذن له[2].

فقيام النبي ﷺ برد أبي بكر وعمر ومعهما عثمان بن عفان كما ورد في كتابي تاريخ دمشق لابن عساكر، وأسد الغابة: لابن الأثير دليل واضح على أن أبا بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ليسوا من أحب الخلق إلى الله ورسوله ﷺ. وهذا الرد دليل صريح في أن الثلاثة هم من الأذناب لا من الرؤوس. وفي المقابل أذن النبي ﷺ لأمير المؤمنين بالدخول عليه وأكله معه فيه دلالة واضحة على أنه من أحب الخلق إلى الله ورسوله ﷺ. فكيف تجرأ طلحة وكذب على الله ورسوله حين قال أمام الأوباش من أفراد جيشه (فهذه معكم زوجة الرسول وأحبّ الناس إليه وابنة الصدِّيق، الذي كان أبوها أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ)؟![3].

لقد أبى طلحة أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام من أحب الخلق إلى الله، ولم يكتف بهذا الرفض المخزي بل حاول جهده أن ينقض الحديث النبوي ويحرِّف

---

(١) مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ابن المغازلي ص ١٧٠، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٠٧ ـ ١٥٣، وانظر: إحقاق الحق: المرعشي ج٥ ص٣١٨ ـ ٣٦٨.

(٢) خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: النسائي ص٥٠، رقم الحديث (١٢)، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٢ ص١٢٧، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير ج٤ ص١٢٠، مجمع الزوائد: الهيثمي ج٩ ص١٢٥، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٣٣٨، إحقاق الحق: المرعشي ج٥ ص٣١٩، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الفيروز آبادي ج٢ ص١٨٩.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٩.

مصداقه ويصرفه إلى أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ذاهلاً عما رواه المتقى الهندي عن النبي صلى الله عليه وآله حين قال: عليّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر[1]. وقوله الآخر: من لم يقل، عليّ خير الناس فقد كفر[2].. فقد أوقع طلحة نفسه في موقف مخزٍ لم يستطع التحلل من تبعاته.

بقي شيء يحز في النفس لا بد من ذكره. ما الذي جعل طلحة أن يذكر لأوباشه (فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم ولا تروعوا عنهم ولا تقولوا: ابن عم رسول الله . . .)[3]. فلماذا لم يذكر أمير المؤمنين عليه السلام بوظيفته في الأمة بدلاً من التركيز على كونه ابن عم رسول الله لا غير؟! ولماذا غيَّب موقع أمير المؤمنين عليه السلام في الأمة؟ وما قصده من ذلك؟

لقد حاول طلحة أن يهوِّن لأوباشه أهمية وجود أمير المؤمنين عليه السلام على رأس الجيش المقابل لجيشه فجرَّده من وظيفته في الأمة حتى لا تكون عائقاً أمام تحقيق هدفه الشيطاني، وهو تشجيع الأوباش على محاربة أمير المؤمنين عليه السلام. فإذا استقرَّ في ذهنهم بأنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين لن يتشجعوا في محاربته والإستبسال في مقاتلته. وإنما اعتبره رجلاً عادياً من عامة المسلمين لا يتعدى كونه ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقاتل زوجة النبي صلى الله عليه وآله التي هي أحب الناس إليه.

فقد همَّش الإمام وهمَّش وظيفته في المجتمع، وضخَّم دور امرأة متمردة لا تتعدى أن تكون زوجة للنبي صلى الله عليه وآله عاصية أوامره. وقد ضخَّم دورها حين اعتبرها من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنها ابنة الصدِّيق، وأن أباها أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الرجال دون أن يأتي بدليل على أباطيله. في مقابل التهوين والتهميش لإمامه أمير المؤمنين عليه السلام ذلك العملاق الذي عقمت النساء أن يأتين بمثله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا التصرف الذي بدا من طلحة يعطينا قراءة صحيحة لفكره وعقله ودينه ونفسيَّته. فقد عرَّى نفسه من جميع الأقنعة، وأسقط عدالته بين الناس. وقد اعتمد

---

(١) كنز العمال: المتقي الهندي ج١١ ص٢٨٧، رقم الحديث (٣٣٠٤٢).
(٢) كنز العمال: المتقي الهندي ج١١ ص٢٨٧، رقم الحديث (٣٣٠٤٣).
(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٩.

على تلفيق الحجج الواهية وتوهين الحجج الدامغة وتهميشها. فهل يستطيع أن يحتج بهذه الإحتجاجات الواهية إذ وقف للحساب أمام الله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟!

ولما عرف أمير المؤمنين عليه السلام بخطبة طلحة قام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ فصلى عليه ثم قال:

أيها الناس! إن طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي فدعواهم إلى معصية الله وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه ومن عصاهما قتلوه. وقد كان من قتلهما حكيم بن جبلة ما بلغكم، وقتلهما السبابجة وفعالهما بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم، وقد كشفوا الآن القناع وآذنوا بالحرب، وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم، وقد أرعد وصاحبه وأبرقا، وهذان امرءان معهما الفشل، ولسنا نريد منكم أن تلقوا بطون ما في نفوسكم عليهم ولا تروا ما في أنفسكم لنا، ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر. وقد خرجوا من هدى إلى ضلال، دعوناهم إلى الرضا ودعونا إلى السخط، فحلَّ لنا ولكم ردّهم إلى الحق والقتال، وحلَّ لهم بقصاصهم القتل، وقد والله مشوا إليكم ضراراً وأذاقوكم أمسَّ من الجمر، فإذا لقيتم القوم غداً فاغدوا في الدعاء، وأحسنوا في التقية واستعينوا بالله واصبروا، إن الله مع الصابرين[1].

لقد ارتكب طلحة والزبير معصية كبيرة حين أمرا الناس بمعصية الله سبحانه وتعالى والتمرد على الإمام الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام. فمن أطاعهما إلى المعصية والتمرد فتنوه عن دينه، ومن عصاهما قتلوه وحملوا إثم قتله إلى يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها الى طاعة الله وبيعتي، فدعواهم إلى معصية الله وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه، ومن عصاهما قتلوه!!).

فقد جمع طلحة والزبير بين عملين قبيحين: عمل إبليس، وعمل الفراعنة من الجبابرة والطغاة. فقد أمرا الناس بمعصية الله سبحانه وتعالى والتمرد على أمير المؤمنين عليه السلام فمن أطاعهما فتنوه كما يفتن إبليس المؤمنين، ومن عصاهما قتلوه

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٣١.

كما يقتل الجبابرة والطغاة المؤمنين المتمسكين بدينهم. وقيامهما بقتل حكيم بن جبلة وأصحابه والسبابجة وتعذيبهما لعثمان بن حنيف خير شاهد على ذلك. فهل يستطيعان أن يخلصا نفسهما من تبعات تلك الخصلتين القبيحتين يوم القيامة؟

وقد بيَّن جريمة طلحة حين شتم المؤمنين وقدح في دينهم حين اتهمهم بالنفاق والنصرانية (وقد اجتمع معه منافقو مضر ونصارى ربيعة!!)[1]. وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (وقام طلحة بالشتم والقدح في أديانكم).

وقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة والزبير وأتباعهما بالخروج من الهدى إلى الضلال (وقد خرجوا من هدى إلى ضلال). والويل لهم من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي طهَّره الله سبحانه وتعالى من الرجس في الذكر الحكيم. وهذه الشهادة الحقة تفنِّد مزاعم أتباعهما بأنهما من الناجين ومن العشرة المبشرين بالجنة. وإذا تعارضت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام في طلحة والزبير مع شهادة أتباعهما والمدافعين عنهما تُقدَّم شهادة أمير المؤمنين التي تتفق مع واقع حرب الجمل ويؤيدها القرآن الكريم ومباديء الدين الحنيف، وتستبعد شهادة أتباعهما والمدافعين عنهما إلتي لا تتفق مع واقع حرب الجمل، بل تعارض القرآن الكريم ومباديء الدين الحنيف والعقل والمنطق.

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أنظرهم ثلاثة أيام ليكفوا ويرعوا، فلما علم إصرارهم على الخلاف قام في أصحابه فقال:

عباد الله! انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم، فإنهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي ونكَّلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد أن آلموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ولم يرعوا له حرمة، وقتلوا السبابجة رجالاً صالحين، وقتلوا حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً لغضبه لله، ثم تتبعوا شيعتي بعد أن هربوا منهم وأخذوهم في كل غائطة، وتحت كل رابية، يضربون أعناقهم صبراً!! ما لهم «قاتلهم الله أنَّى يؤفكون، (المنافقين ـ ٤). فانهدوا إليهم عباد الله وكونوا أسوداً عليهم، فإنهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار، فالقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم،

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٩.

إنكم منازلون ومقاتلون قد وطَّنتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران، فأي امريء أحسَّ من نفسه رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً ووهناً فليذبّ عنه كما يذبُّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله[1].

فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على رؤوس الناكثين وأتباعهم بأنهم أشرار (فإنهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار). كما أثبت عليهم تهمة نكث البيعة وقتل المؤمنين الأبرياء من شيعته وإخراج عامله من البصرة والتنكيل به وتعذيبه، وقتل السبابجة الرجال الصالحين، وقتلهم حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً، وتتبعهم لشيعته بعد أن هربوا منهم يأخذونهم في كل غائطة وتحت كل رابية يضربون أعناقهم صبراً!! (فإنهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي، ونكَّلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد أن آلموه بالضرب المبرِّح والعقوبة الشديدة، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء، ولم يرعوا له حرمة، وقتلوا السبابجة رجالاً صالحين، وقتلوا حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً لغضبه لله، ثم تتبعوا شيعتي بعد أن هربوا منهم وأخذوهم في كل غائطة وتحت كلِّ رابية، يضربون أعناقهم صبراً).

لقد طرق أمير المؤمنين عليه السلام جميع أبواب الصلح كي يقلع الناكثون عن نكثهم فلم يقلعوا، ولم يترك فرصة لهدايتهم إلا واغتنمها فلم يزدادوا إلا إصراراً على العناد والتمرد. فقد ذكر الشيخ المفيد: (ثم إن أمير المؤمنين رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من جمادي الأولى، وعلى ميمنته الأشتر وعلى ميسرته عمار بن ياسر، وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه، وسار حتى وقف موقفاً، ثم نادى في الناس: لا تعجلوا حتى أُعذر إلى القوم. ودعا عبد الله بن العباس رضي الله عنه فأعطاه المصحف وقال: امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه، وقل لطلحة والزبير: ألم تبايعاني مختارين؟! فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي؟! وهذا كتاب الله بيني وبينكما.

قال عبد الله بن العباس: فبدأت بالزبير، وكان عندي أبقاهما علينا وكلَّمته في الرجوع، وقلت له: إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك: ألم تبايعني طائعاً؟! فلم

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٣٤.

تستحل قتالي؟! وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك، فإن شئت تحاكمنا إليه، فقال: إرجع إلى صاحبك، فإنا بايعنا كارهين وما لي حاجة في محاكمته!! فانصرف عنه إلى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي، فوجدته قد لبس الدرع وهو محتبٍ بحمائل سيفه ودابته واقفة. فقلت له: إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك: ما حملك على الخروج؟! وبما استحللت نقض بيعتي؟! والعهد عليك! فقال خرجت أطلب بدم عثمان، أيظن ابن عمك أنه قد حوى على الأمر حين حوى على الكوفة، وقد والله كتبت إلى المدينة تؤخذ لي البيعة بمكة!! فقلت له: اتق الله يا طلحة! فإنه ليس لك أن تطلب بدم عثمان، وولده أولى بدمه منك، هذا أبان بن عثمان ما ينهض في طلب دم أبيه. قال طلحة: نحن أقوى على ذلك منه، قتله ابن عمَّك!! وابتزَّ أمرنا!! فقلت له: اذكرِّك الله في المسلمين وفي دمائهم، وهذا المصحف بيننا وبينكم، والله ما أنصفتم رسول الله صلى الله عليه وآله إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعرض عني ونادى بأصحابه: ناجزوا القوم: فإنكم لا تقومون بحجاج ابن أبي طالب. فقلت: يا أبا محمد أبالسيف تخوِّف ابن أبي طالب؟! أم والله ليعاجلنك بالسيف! فقال: ذلك بيننا وبينكم.

قال: فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في هودج مدفَّف على جملها (عسكر)، وكعب بن سور القاضي آخذ بخطامه وحولها الأزد وضبَّة، فلما رأتني قالت: ما الذي جاء بك يا بن عباس؟! والله لا سمعت منك شيئاً!! إرجع إلى صاحبك فقل له: ما بيننا وبينك إلا السيف!! وصاح من حولها: إرجع يا بن عباس لا يسفك دمك!!)[1].

تأمل في ردّ الزبير: (ارجع إلى صاحبك، فإنا بايعنا كارهين ومالي حاجة في محاكمته!!). فلم يقل له: إرجع إلى إمامك، وإنما قال له: إرجع إلى صاحبك. كما أنه لم يعترف بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وإنما اعتبره مجرد صاحب لابن عباس، وقد قطع علاقته بأمير المؤمنين. وقد أكد على قطع علاقته بأمير المؤمنين حين قال: (فإنا بايعنا كارهين، وما لي حاجة في محاكمته!!).

فقد أكَّد على نكثه البيعة من جانب ورفضه الحوار والصلح مع أمير

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٣٦ ـ ٣٣٨.

المؤمنين عليه السلام وهو طرف رئيسي في النزاع من جانب آخر. وهذا الرفض دليل الإفلاس في الحجج من جانب، والتمادي في الغي والضلال من جانب آخر. وقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس أن يدعو الزبير إلى التحاكم إلى القرآن الكريم الذي اصطحبه معه، ورفض الزبير التحاكم إلى القرآن الكريم دليل واضح على أنه قد جعل القرآن وراء ظهره. وهو مؤشر على تذبذب إسلام الزبير من جانب وأنه ليس ممن يُبشر بالجنة من جانب آخر. فهذا الرفض القاطع إلى التحاكم إلى القرآن الكريم ليس من خُلق المبشرين بالجنة.

كما أن قيام طلحة بلبس الدرع والإحتباء بحمائل السيف ووقوف دابته بجانبه لهو دليل على استعداده للحرب وعدم توبته. وهذا الإستعداد القتالي دليل على النكث والتمرد والفرعنة. وردّه على ابن عباس الذي سنتناوله بالتحليل يؤكد هذا الإستنتاج.

فقد قال له ابن عباس: (إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك: ما حملك على الخروج؟! وبما استحللت نقض بيعتي؟! والعهد عليك! فقال: خرجت أطلب بدم عثمان!! أيظن ابن عمّك أنه قد حوى على الأمر حين حوى على الكوفة؟! وقد والله كتبت إلى المدينة تؤخذ لي البيعة بمكة!!).

فقد بيَّن سبب خروجه وهو الطلب بدم عثمان!! فهو ليس من أولياء عثمان حتى يطالب بدمه، فأولاد عثمان موجودون وبإمكانهم أن يطالبوا بدم أبيهم عند الخليفة الشرعي، لكهنم لم يأتوا القضية من بابها، بل حاربوا إمامهم الشرعي الذي ينبغي أن يحاكموا قتلة أبيهم عنده. ولو سلمنا أن لطلحة الحق في الطلب بدم عثمان فينبغي عليه أن يتقدم إلى محكامتهم عند إمامه الشرعي وهو أمير المؤمنين عليه السلام. وهناك تاخذ العدالة مجراها، وأمير المؤمنين اقضى الأمة كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. لكن طلحة لم يأت القضية من بابها، فقد تمرد على إمامه أمير المؤمنين الذي ينبغي أن يحاكم قتلة عثمان ـ إن كان له الحق في ذلك ـ عنده. ولم يكتف بالتمرد غير المشروع، بل نكث بيعته وجيَّش له الجيوش وعاث في البصرة الفساد وقتل المؤمنين الأبرياء ونكَّل بواليهم ونهب أموالهم، ثم أخذ يتبجح بقوله: (خرجت أطلب بدم عثمان!!).

وإذا كان ينبغي المطالبة بدم عثمان فطلحة أول المطلوبين! فكيف يطالب بمحاكمة القتلة وهو على رأس قائمة المطلوبين؟! وسؤال أمير المؤمنين لطلحة (بما استحللت نقض بيعتي؟ والعهد عليك!) فيه اتهام لطلحة بنقض البيعة. والمطلوب من طلحة في هذه الحالة أن يبريء نفسه من التهمة التي وجهت إليه، لكنه لم يبريء نفسه من التهمة بل اعترف بها حين قال: (وقد والله كتبت إلى المدينة أن تؤخذ لي البيعة بمكة!!). وعقوبة تهمة نقض البيعة هي الميتة الجاهلية[1]. فما أسوأها من ميتة.

وتأمل في قوله: (وقد والله كتبت إلى المدينة تُؤخذ لي البيعة بمكة!!). فهو يقسم بالله العظيم على تمرده وتفرعنه ونكثه بيعة إمامه. والرجل من أهل الدنيا ولا علاقة له بالدين وحكمه القتل لقيامه بذلك التصرف الطائش عن عمد وسبق إصرار. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما[2].

وتأمل في قوله: (قتله ابن عمِّك!! وابتزَّ أمرنا!!). فقد اتهمَّ أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان، وهو اتهام رخيص يدل على احتراف هذا الرجل في الكذب وتمرّسه فيه، وأن الرجل غير مأمون على الدين لأنه من زمرة الكذّابين الذين لا يتورعون عن تلفيق الأكاذيب وتوزيعها يميناً وشمالاً على هذا وذاك. ثم، ما الأمر الذي ابتزَّه أمير المؤمنين منك ومن صاحبك؟ فهل كانت لكما الخلافة وابتزها منكما؟! ألم تبايعانه في مقدمة المبايعين؟! فما هذه السفاسف التي تتشدق بها أيها الناكث؟!

ولما قال له ابن عباس: (أذكرك الله في المسلمين وفي دمائهم، وهذا المصحف بيننا وبينكم، والله ما أنصفتم رسول الله ﷺ إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول الله ﷺ)، رأيناه قد أعرض عنه، ونادى أصحابه الناكثين: (ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون بحجاج ابن أبي طالب!!). هذا هو

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٢٤ ـ ١٢٦ (رقم الحديث: ١٨٤٨، ١٨٥١) المسند: أحمد بن حنبل ج٢ ص١٣٣.

(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٨ (رقم الحديث ١٨٥٣).

جواب الناكث المفلس الذي انغمس في البغي والضلال من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. فهو شيطان أخرس.

فقد حبسوا نساءهم في بيوتهم خوفاً عليهن، وخرجوا بزوجة رسول الله ﷺ في الفلوات من بلد الى بلد يملّكونها أمرهم، وقد هتكوا سترها بين الذئاب، وعرَّضوها للسهام، تحارب أبناءها في سوح القتال، ولما اشتد البأس سلَّموها عند الوثبة وتطايروا عنها كتطاير الفراش المذعور.

فلما رأى طلحة نفسه مفلساً من الحجج والبراهين التي تدعم نكثه وتمرده، وحائراً في تفنيد التهم الموجهة إليه لجأ إلى أسلوب الطغاة المستكبرين: (ناجزوا القوم!! فإنكم لا تقومون بحجاج ابن أبي طالب!!). فقد أصرَّ على إشعال الحرب جاعلاً محاولات أمير المؤمنين لهدايته وهداية أتباعه الناكثين وراء ظهره. فلم يترك أمير المؤمنين محاولة في هدايتهم إلا واستغلها لكنهم أحبوا العمى على الهدى، واستماتوا في النكث والتمرد بدلاً من الرجوع إلى الحق، وأعلنوا القتال بدلاً من الدخول في السلم.

ولما ذهب ابن عباس إلى عائشة استقبلته بقولها: (ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟! والله لا سمعت منك شيئاً!! إرجع إلى صاحبك فقل له: ما بيننا وبينك إلا السيف!! وصاح من حولها: إرجع يا ابن عباس لا يسفك دمك!!). فهذا التصرف الطائش يخالف هدف المصلح الذي يريد الإصلاح. فلطالما قد تشدَّقت بهدف الإصلاح عند خروجها. فلماذا تسدّ أذنيها عن سماع رأي الطرف الآخر؟ ولا يمكنها أن تتجاهل أمير المؤمنين عليه السلام في موضوع الإصلاح إن كانت تريده حقاً، فهو طرف أساسي. وإذا تجاهلت أمير المؤمنين، في عملية الصلح، فأي الأطراف الذين ستصلح بينهم؟! وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام طرفاً رئيساً، فلماذا ترفض الإستماع إلى مندوبه؟! فقد تصرفت في هذا الموقف مثل تصرف الكفار والمشركين من قوم النبي نوح عليه السلام حين وضعوا أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا دعوة النبي نوح عليه السلام وهدايته. فما أشبه الليلة بالبارحة.

كما أن هذا العتو في التمرد والضلال والفرعنة دليل واضح على قمة النكث وجبروته، وأنها بلغت الغاية في نكثها. وهذا التصرف الطائش يدل على الإفلاس في الحجج، وعلى خبث الباطل الذي انغمست فيه. وأما تهديدها أمير المؤمنين

بالسيف فمن المضحك المبكي. فقد عقمت النساء أن يلدن رجلاً يهدد أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف، فكيف بمن كانت عاقراً منذ نعومة أظفارها؟! وهذا التهديد الرخيص الذي لا يضيق به حلقوم الجبان دليل واضح على أنها تريد الفتنة والغواية للمسلمين لا الإصلاح بينهم.

قال ابن عباس: (فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته الخبر، وقلت: ما تنتظر؟ والله ما يعطيك القوم إلا السيف، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك. فقال: نستظهر بالله عليهم. قال ابن عباس: فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع عليَّ نشابهم كأنه جراد منتشر. فقلت: أما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم؟ مرنا ندفعهم. فقال: حتى أعذر إليهم ثانية. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟ فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض حدث السنّ من عبد القيس يقال له مسلم كأني أراه. فقال: أنا أعرضه عليهم يا أمير المؤمنين وقد احتسبت نفسي عند الله تعالى. فأعرض عنه إشفاقاً عليه، ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم، وليعلم أنه مقتول وله الجنة؟ فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه. فأعرض ونادى ثالثة فلم يقم غير الفتى، فدفع إليه المصحف وقال: امض إليهم وأعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه.

فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله عزّ وجلّ، وأمير المؤمنين عليه السلام يدعوكم إلى ما فيه. فقالت عائشة: اشجروه بالرماح قبَّحه الله!! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب، وكانت أمه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرَّته من موضعه، ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأمه تبكي وتندبه وتقول:

يا ربِّ إن مسلماً دعاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه قناهم ... وأمه قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم[1].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٩. وانظر: مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦١، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٧، تاريخ الطبري ج٥ ص٢٠٥، تاريخ أبي مخنف: ج١ ص١٣٥، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٢، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٣.

فلم يمهلوا ابن عباس أن يصل إلى أمير المؤمنين لكي يطلعه على خبرهم حتى رموه بالسهام كأنه جراد منتشر. ولم تقتصر سهامهم على ابن عباس وحده، بل أصابت عدداً من أفراد جيش أمير المؤمنين بإصابات قاتلة كما ذكر أبو مخنف: (روى أبو مخنف قال: لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا، قال علي عليه السلام لأصحابه: لا يرمينَّ رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى أحدث إليكم، وحتى يبدؤكم بالقتال وبالقتل. فرمى أصحاب الجمل عسكر عليّ عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضجَّ إليه أصحابه، وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين. وجيء برجل إليه، وإنه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قتل. فقال: اللهم اشهد، ثم قال: أعذروا إلى القوم، فأتى برجل آخر فقيل: وهذا قد قتل. فقال اللهم اشهد. اعذروا إلى القوم، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل، قد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي عليّ عليه السلام، وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخي قد قتل، فعند ذلك استرجع عليّ عليه السلام)[1].

فقد قدَّم أمير المؤمنين عليه السلام عدداً من القرابين الطاهرة قبل أن يرد على اعتداءات جيش الناكثين. وكلما قدَّم له أصحابه أحد القرابين، قال: (اللهم اشهد، أعذروا إلى القوم!!). ما أحلمك يا أمير المؤمنين، وما أبشع قساوة قلوب أعدائك الناكثين. فقد أعذرتهم بما لا مزيد عليه، وأثبت عليهم الحجة بحيث لا يستطيعون إنكارها يوم القيامة، وسيأتون إلى محكمة العدل الإلهي يوم القيامة بغير حجة يعتمدون عليها. كما أثبتَّ للعالم بأن الناكثين معتدون لا يتورعون عن سفك الدماء البريئة من أجل مصالحهم الدنيوية الدنيئة. فيا ويلهم إذا وقف أمامهم الأبرياء في محكمة العدل الإلهي، وكان الشاهد على جرائمهم إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام المطهر من الرجس في الذكر الحكيم.

ولم يكتف أمير المؤمنين عليه السلام بتقديم هذه الكوكبة من القرابين لإثبات عدوانية الناكثين، بل لجأ إلى دليل آخر ليكشف عن فرعنتهم وطغيانهم، ويزيح القناع عن

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٣٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١١.

وجوههم الحقيقية التي طالما اغترَّ بها السذَّج من الناس. فقد قال لأصحابه: (من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول، وأنا ضامن له على الله الجنة)؟ فلم يقم إلا غلام حدث السن من عبد القيس، يقال له مسلم. فدفع إليه المصحف وقال: (امض إليهم وأعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه). فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله عزّ وجلّ، وأمير المؤمنين عليه السلام يدعوكم إلى ما فيه. فقالت عائشة: اشجروه بالرماح قبَّحه الله!! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب!!).

فقد دعا الناكثين إلى الإحتكام إلى القرآن الكريم، وقد بيَّن لأصحابه أن الذي يدعو الناكثين إلى الإحتكام إلى القرآن الكريم سيقتل وهذا ما أكده التاريخ وأجمع عليه المؤرخون، كما ضمن للقتيل على الله الجنة. فهل يستطيع قادة حرب الجمل أن يضمنوا الجنة لقتلاهم كما ضمن أمير المؤمنين الجنة للذين يستشهدون تحت لوائه؟!

وتأمل في قول أمير المؤمنين للغلام العبدي: (امض إليهم، وأعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه). فإذا قارنت بين دعوة أمير المؤمنين عليه السلام للناكثين وردِّهم على دعوته تجد الفرق بين أهل الإيمان الذين يحتكمون للقرآن الكريم وأهل النفاق الذين يرفضون دعوة القرآن الكريم ويجعلونه وراء ظهروهم، كما تجد الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل.

ولما وقف الغلام العبدي إزاء صفوف جيش الناكثين ودعاهم إلى الإحتكام إلى القرآن الكريم قالت عائشة: (اشجروه بالرماح قبَّحه الله!!). فلبَّى الناكثون دعوتها الشاذة (فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب!!).

وبهذا العمل الشنيع، وهذا الرد الفظيع، قد رفضوا الصلح والسلم، وأصروا على الحرب والعدوان. وكان لعائشة نصيب الأسد في رفض الصلح والسلم والإصرار على الحرب والأمر بقتل الغلام الذي دعاهم إلى الإحتكام إلى القرآن الكريم. ورفض الإحتكام إلى القرآن الكريم بذلك الرد الدموي الشنيع له مغزى كبير في نفسية هذه المرأة. فقد بيَّنت أم الغلام ـ أثناء رثائها ابنها ـ الدور الكبير الذي لعبته عائشة في إثارة الفتنة وسفك الدماء البريئة:

وأمـهـم قـائـمـة تـراهـم تـأمـرهـم بـالـقـتـل لا تـنـهـاهـم

وفي رواية أخرى:

فخضبوا من دمه لحاهم وأمه قائمة تراهم

وفي رواية أخرى:

وأمهم قائمة تراهم يأتمرون الغيَّ لا تنهاهم

وفي رواية أخرى:

فخضبوا من دمه ظباهم وأمهم واقفة تراهم

تأمرهم بالغي لا تنهاهم[1]

فدم هذا الفتى في رقبة عائشة حين أمرت أتباعها الرعاع بقتله (اشجروه بالرماح قبَّحه الله !! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب!!). وما دام أمير المؤمنين عليه السلام قد ضمن له على الله الجنة، فلا بد أن يضمن لقتلته والآمرين بقتله على الله النار وبئس القرار. فكل الناس سواسية أمام القانون ولا أحد فوق الشرع. فزوجتا النبيين الكريمين نوح ولوط من الكافرين بنص الذكر الحكيم، ولم يمنعهما كونهما زوجتين لنبيين كريمين من الدخول في النار.

وذكر الشيخ المفيد: (فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من سفك الدم الحرام، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقرَّبت إليك بالأعمال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين). ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية، فأعطاه الراية، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: يا بني! هذه راية لم ترد قط ولا ترد أبداً. قال محمد: فأخذتها والريح تهب عليها، فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل، فأردت أن أمشي بها فقال أمير المؤمنين: قف يا بني حتى آمرك. ثم نادى: أيها الناس!! لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثلوا بقتيل)[2].

فلم يصدر أمير المؤمنين عليه السلام أوامره بقتال القوم الناكثين إلا بعد أن أمطرت

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦١، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٧، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٦، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٢.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٤١، وانظر: مروج الذهب المسعودي ج٢ ص٣٦٢.

سهامهم أفراد جيشه وأوقعت فيهم عدة إصابات. ولم يصدر أوامره بمناجزتهم إلا بعد أن رفضوا الإحتكام إلى القرآن الكريم وقتلوا الغلام الذي حمل إليهم المصحف للتحاكم إليه، فلم يجد أمير المؤمنين عليه السلام حلاً إلا قتالهم واستئصال نكثهم من جذوره. وقبل أن يصدر أوامره بالقتال وصّى أصحابه فقال لهم: (أيها الناس! لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة، ولا تهيجوا امرأة، ولا تمثلوا بقتيل).

وقال أبو مخنف: (وأمر علي أصحابه أن لا يقاتلوا حتى يبدؤوا، وأن لا يجهزوا على جريح ولا يمثلوا ولا يدخلوا داراً بغير إذن ولا يشتموا أحداً ولا يهيجوا امرأة ولا يأخذوا إلا في عسكرهم)[1].

هذه أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام في ميدان القتال. وإذا قارناها بأخلاق زعماء الناكثين وجدنا الفرق بين الثريا والثرى، وأخلاق أهل الحق وأهل الباطل.

ولم يمهل الناكثون إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام فقد بدأوا بالزحف على جيش أمير المؤمنين، وفي هذه الحالة أمر أمير المؤمنين ابنه بتقديم اللواء فالتحم الجيشان. فقد قال محمد بن الحنفية: (قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: قدِّم اللواء، فقدمته، وزحف المهاجرون والأنصار، فلما رآني القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد فوقفت مكاني اتقيت منهم، وقلت: ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين، ثم أقدِّم، فلم أشعر إلا وأمير المؤمنين عليه السلام قد ضرب بين كتفي بيده، ثم أخذ اللواء مني بيده ونادى: يا منصور أمت! فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم وقد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم، وألقى بعضهم ببعض وتزايلوا وقد رأت عائشة موضع كل فريق منهم[2].

فقول محمد بن الحنفية: (قال لي أبي حين زحف القوم نحونا: قدِّم اللواء. فقدمته، وزحف المهاجرون والأنصار...) دليل على أن جيش الناكثين هم الذين بدأوا بالقتال.

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٣٤، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٠.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد س٣٤٣. وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٧.

ثم بدأت المبارزات، وبرز المقاتلون من الطرفين مرتجزين الأراجيز الحربية. ومن يتأمل في تلك الأراجيز التي قيلت في حرب الجمل يقرأ نفسية المقاتلين من الطرفين، ومدى بعدهم وقربهم من الدين، ومدى تمسكهم من الحق أو الباطل. وهذه الأراجيز لا تعطي قراءة صحيحة لفكر المتحاربين الذين ارتجزوا بها فقط، وإنما تعطينا قراءة صحيحة وواقعية للأطراف المؤيدة للمتبارزين سواء من هذا الفريق أو ذاك.

قال الشيخ المفيد: ثم تراجعوا بعد تضعضعهم ورجعت إليهم نفوسهم ونادوا: البراز، فتقدم رجل من بني عديّ أمام الجمل وبيده سيف وهو يقول:

أضربهم ولو أرى عليّاً عممته أبيض مشرفياً
أريح منه قومنا عديا

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يقال له أمية العبديّ وهو يقول:

هذا عليّ والهدى سبيله والرشد فيه والتقى دليله
من يتبع الحق يبن خليله

ثم اختلف بينهما ضربتان فأخطأه العدوي وضربه العبدي فقتله[1].

وفي رواية أن الذي قتله هو أمير المؤمنين عليه السلام فقد ذكر الخوارزمي: فخرج إليه علي عليه السلام متنكراً وهو يقول:

يا طالباً في حربه علياً يمنحه أبيض مشرفياً
أثبت لتلقاه بها عليّا مهذباً سميدعاً كميا

قال: ثم حمل عليه عليّ فضربه ضربة على وجهه فرمى بنصف رأسه[2].

فالذي ينوي أن يضرب رأس أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف ليريح منه قومه المنافقين لا علاقة له بالدين. وهذا النموذج صورة مصغرة للنماذج الأخرى في جيش الناكثين. كما أنه صورة مصغرة لسادته من زعماء حرب الجمل. فالأتباع تدل على المتبوع.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٤٤، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٤.

(٢) المناقب: الموفق الخوارزمي ص١٨٧ ـ ١٨٨، وانظر: مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب ج٣ ص١٥٦، كشف الغمة: الاربلي ج١ ص٢٤٢، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢ ص١٧٦.

وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي، وهو رئيس البصرة. وأكثر أهلها مالاً وضياعاً فطلب البراز، وسأل الا يخرج إليه إلا عليّ عليه السلام، وارتجز فقال:

أبا تراب ادن مني فترا فإنني دانٍ إليك شبرا

وإن في صدري عليك غمرا

فخرج إليه عليّ عليه السلام، فلم يمهله أن ضربه، ففلق هامته[1].

وفي المعجم الوسيط: الغَمْر: الحقد المكنون. والغِمْر، والغَمَر: الحقد والغل[2]. فقد امتلأ قلب هذا المنافق بالحقد والغل تجاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو إمامه المفترض عليه طاعته. ولم يستطع أن يخفي حقده تجاه إمامه، ولم يكتف بالحقد فقط، بل وصل به التفرعن والتمرد أن يطلب من إمامه البراز في المعركة ولم يمهله أمير المؤمنين عليه السلام فضربه وفلق هامته. وقد اختار لنفسه هذا المصير الأسود من أجل سواد عيون عائشة. ويرد على الذهن هذا السؤال: ما مصير هذا المتمرد؟ هل سيكون مصيره إلى الجنة ونعم القرار؟ أم سيكون مصيره إلى النار وبئس القرار؟!

فإذا كان مصيره إلى الجنة، فكيف يكون ذلك وقد قاتل إمامه فلقي حتفه بسيف إمامه؟ وكيف يكون مصيره إلى الجنة وقد امتلأ صدره بالحقد والغل لإمامه أمير المؤمنين عليه السلام؟!

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن زر قال: قال عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[3].

فقد ثبت من خلال هذا الحديث النبوي بأن هذا المتمرد ليس من المؤمنين لأنه لا يحب أمير المؤمنين عليه السلام لاعترافه من جانب ولحربه لإمامه من جانب آخر. كما

---

(١) نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦١، وانظر: المناقب: الموفق الخوارزمي ص١٨٨.

(٢) المعجم الوسيط: مادة (غمر) ج٢ ص٦٦١.

(٣) صحيح مسلم: ج١ ص١٢٠، رقم الحديث (٧٨)، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: لابن عساكر ج٢ ص١٩٠ ـ ٢٠٧.

أنه من المنافقين لاعترافه بالحقد الذي في صدره تجاه إمامه أمير المؤمنين عليه السلام. وهو بهذه الحالة وبتلك الميتة السيئة لا يشم رائحة الجنة البتة. وما دام الأمر كذلك، فهو من أهل النار لا شك في ذلك.

وعن مساور الحميري عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ، ومن أبغض الله أدخله النار[2].

فبعد كل هذه الأحاديث لا يمكن أن يكون مصير عبد الله بن خلف الخزاعي إلى الجنة. وإذا كان الأمر كذلك، فإلى أين يكون مصيره؟ فهذا الرجل قد خلع الطاعة وفارق الجماعة ونكث البيعة وحارب إمامه فلقي حتفه بسيف إمامه فيكون مصيره إلى النار. وإذا كان مصيره إلى النار، فمن يتحمل غواية هذا المتمرد الناكث؟ لا شك أنه يتحمل جزءاً من المسؤولية لكونه راشداً وهو الذي سعى إلى حتفه بظلفه، وهو الذي طلب من إمامه البراز وسأله أن لا يخرج إليه إلا أمير المؤمنين عليه السلام. وعلى حدّ تعبير الخوازرمي حين طلب من أمير المؤمنين البراز قال له أمير المؤمنين عليه السلام: (ولكن ويحك يا بن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال عبد الله بن خلف: ذرني من بذخك يا بن أبي طالب وادن مني لترى أينا يقتل صاحبه؟...)[3].

فهذا التحدي في هذا الحوار يدل على أن صاحبه يعرف أمير المؤمنين عليه السلام حق المعرفة، وقد قاتله عن عمد وسبق إصرار فهو يتحمل جزءاً من مسؤولية مصيره الأسود في جهنم. كما أن عائشة وطلحة والزبير يتحملون الجزء الآخر من المسؤولية. فقد قاتل هذا المتمرد تحت رايتهم، وهم الذين حرَّضوه على نكث البيعة وقتال إمامه كما حرضوا آلاف الأوباش على قتال إمامهم أمير

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: لابن عساكر ج٢ ص٢٠٨ ـ ٢١٠.
(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٢١٧.
(٣) المناقب: الموفق الخوارزمي ص١٨٨، كشف الغمة: الإربلي ج١ ص٢٤٢.

المؤمنين عليه السلام. فهل يستطيع قادة حرب الجمل تخليص أنفسهم من تبعات غواية هذا المتمرد والآلاف من أمثاله من الهمج والرعاع؟ لا وألف كلا، وإن أنفت لهم أنوف أتباعهم، وازبدَّت أشداقهم وبحَّت حناجرهم، وانتفخت أوداجهم.

ثم تقدم رجل من أصحاب الجمل يقال له عبد الله بن سري (وفي رواية أخرى: عبد الله ين يبري) فجعل يرتجز ويقول:

يا رب إني طالب أبا الحسن ذاك الذي يُعرف حقاً بالفتن
ذاك الذي نطلبه على الإحن وبغضه شريعة من السنن

قال: فخرج إليه عليّ رضي الله عنه وهو يرتجز ويقول:

قد كنت ترميه بإيثار الفتن قدماً وتطلبه بأوتار الإحن
واليوم تلقاه ملياً فاعلمن بالطعن والضرب عليها بالسنن

قال: ثم شدَّ عليه بالسيف فضربه ضربة هتك بها عاتقه فسقط قتيلاً، فوقف عليّ رضي الله عنه، ثم قال: قد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته[1].

وفي المعجم الوسيط: إلاحنة: الحقد والضغن. جمعها: إحن[2].

فقد اتهم هذا المغرور المتفرعن أمير المؤمنين عليه السلام بإثارة الفتن وقد جاء ليسفك دمه الطاهر طلباً لثارات أسياده من المشركين وقد امتلأ قلبه من الحقد والضغن لأمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلين. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى السبب الذي ملأ قلب ذلك المتمرد من الحقد والضغن، حين قال:

قد كنت ترميه بإيثار الفتن قدماً وتطلبه بأوتار الإحن

وتأمل في قول ذلك المتمرد الحاقد في حق أمير المؤمنين عليه السلام (وبغضه شريعة من السنن!!). لقد وصل الإنحراف في عقيدة جيش الناكثين أن اعتبروا بغض أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجلين المطهر في الذكر الحكيم شريعة سماوية من الشرائع التي شرَّعها الله لعباده. لقد وصلت بهم الأمور إلى هذه الدرجة من الإنحراف عن الدين والإنسلاخ من العقيدة. وهذا القول السيِّء لا يمثل قائله

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٥، المناقب: الخوارزمي ص١٨٧، انظر: شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج١ ص٢٥٦.

(٢) المعجم الوسيط: مادة (أحن) ج١ ص٨.

فقط، بل هو عقيدة القوم جميعهم، وإلا، لماذا نكثوا بيعة إمامهم وحاربوه؟!

لما خرج جيش الناكثين من مكة إلى البصرة كتبت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها رسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيها:

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أم سلمة بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة وبنيها بني السوء وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة...)[1].

فقد وصفت أفراد جيش الناكثين بـ (بني السوء وشيعة الضلال) وما قول ذلك المتمرد الضال في حق أمير المؤمنين عليه السلام (وبغضه شريعة من السنن) إلا مصداق حقيقي لشهادة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها حين شهدت عليه وعلى أصحابه بأنهم أبناء السوء وشيعة الضلال.

وكتبت أم الفضل بنت الحارث إلى عليّ رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عليّ أمير المؤمنين. من أم الفضل بنت الحارث: أما بعد، فإن طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة، وقد استنفروا الناس إلى حربك، ولم يخف معهم إلى ذلك إلا من كان في قلبه مرض!![2].

وهذه شهادة ثانية على أفراد جيش الناكثين الذين امتلأت قلوبهم بمرض النفاق.

وكتب عقيل بن أبي طالب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد يا أخي... وإني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما، وهم متجهون إلى البصرة، قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان، وتبعهم على ذلك كثير من الناس، من طغاتهم وأوباشهم[3].

وهذه شهادة ثالثة على أفراد جيش الناكثين بأنهم من الطغاة والأوباش.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٥، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٩، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت ج١ ص٣١٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٧٤.

فلا غرو أن يقول أحد أوباشهم الطغاة في حق أمير المؤمنين عليه السلام (وبغضه شريعة من السنن). فهذه الشهادات جميعها تبين أن أفراد جيش الناكثين من حثالة المجتمع آنذاك، وما أراجيزهم التي ارتجزوها في الحرب إلا مصداق على كونهم من حثالة المجتمع وأبناء السوء الذين في قلوبهم مرض. وإذا كان المسلمون من أصحاب الضمائر الحية قد عرفوا طبيعة أفراد جيش الناكثين ومدى بعدهم عن الدين وهم خارج الجيش، فكيف لم يعرف طلحة والزبير وعائشة طبيعة أفراد جيشهم وهم قادة لهم؟! لقد عرفوهم، بل عرفوهم أنهم على شكلهم عقيدة وسلوكاً.

لقد عرفوا طبيعة أفراد جيشهم عن قرب، وأنهم خليط من أبناء السوء والطغاة والأوباش وأصحاب القلوب المريضة، وقد استغلوهم في تحقيق مآربهم الشيطانية. ولو كان أفراد جيش الناكثين من المؤمنين الورعين لما قاتلوا إمامهم ونكثوا بيعته وعاثوا في البصرة الفساد، لكن الأتباع صورة من القادة، والقادة قدوة للأتباع. وكل إناء بالذي فيه ينضح. وهذا ما نضحه إناء قادة الناكثين.

وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبة وشي، يحض الناس على الحرب ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أمكم ... فإنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمى التي تعمكم ... فأحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبنَّ سُمُّ العدو سمَّكم ... إنّ العدوّ إن علاكم زمَّكم
وخصَّكم بجوره وعمَّكم ... لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم[1]

فقد حض هذا الشيخ مقاتلي قومه من قبيلة الأزد وهي من أكبر القبائل في البصرة على الدفاع عن أمهم عائشة لأنها بمثابة الصلاة والصوم لهم. ناسياً ان هذه الأم قد خرجت من بيتها مخالفة كتاب ربِّها وعاصية زوجها ونبيِّها، ومحاربة إمامها وخليفتها، فكيف تكون بمثابة الصلاة والصوم لمقاتلي الأزد؟! وكيف تكون والحالة هذه حرمة عظمى ينبغي الدفاع عنها وقد هتكت حرمتها بين الذئاب من الطغاة والأوباش وأبناء السوء؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٥، انظر: بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢، ص١٧٩.

كما أن هذا الشيخ الأزدي المغرر به قد اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام والمسلمين المنضوين تحت لوائه من الأعداء له ولقومه، وهذا العدو إن انتصر عليهم زمَّهم. أي تقدمَّهم كأنه زمام، أو: جعل لهم زماماً[1]. ونشر جوره على الجميع خاصتهم وعامتهم. وحثهم على الاستبسال في قتالهم الظالم لكي لا يفضحوا قومهم، ناسياً أن فضيحتهم يوم القيامة أشد وأبشع.

وهذا الشيخ وقومه على طرفي نقيض مع أمير المؤمنين. فقد اعتبره عدواً لدوداً له ولقومه واتهمه بالظلم والجور، ذاهلاً عن أنه وقومه الأزديين من أعداء الله وأعداء رسوله.

فقد روى الحاكم بسنده عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن فقال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. ثم قال: إن الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد عليّ رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه[2].

فهذا الشيخ الأزدي الضال من أعداء الله ورسوله لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه). وقد اعتبر الشيخ الأزدي أمير المؤمنين عدواً لدوداً له ولقومه، حين قال أرجوزته يحرِّض فيها قومه على قتال أمير المؤمنين:

لا يغلبنَّ سُمُّ العدو سمَّكم إنّ العدوّ إن علاكم زمَّكم

وبدلاً من أن يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته خيراً اعتبر سيد العترة عدواً له يجب محاربته من أجل عائشة التي اعتبرها صلاته وصومه والحرمة التي ينبغي الدفاع عنها.

وقد قال المدائني والواقدي في تعليقهما على هذا الرجز: (وهذا الرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحة قاما في الناس، فقالا: إن علياً إن يظفر فهو فناؤكم يا

---

(١) انظر: المعجم الوسيط: مادة (زمّ) ج١ ص٤٠١.

(٢) المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٠٩، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: لابن عساكر ج٢ ص٥ ـ ٨٤.

أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم، فإنه لا يبقى حرمة إلا انتهكها، ولا حريماً إلا هتكه، ولا ذرية إلا قتلها، ولا ذوات خدر إلا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه، ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله)[1].

فقد أضحى قول طلحة والزبير مصدر الإلهام للشيخ الأزدي في أرجوزته التي غدت الأرجوزة المفضلة لجيش الناكثين يستبسلون في القتال على وقع نغماتها. وقد اعترف أبو مخنف بتأثير هذه الأرجوزة على مقاتلي جيش الناكثين، فقد قال: (لم يقل أحد من رجَّاز البصرة قولاً كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ، استقتل الناس عند قوله، وثبتوا حول الجمل، وانتدبوا، فخرج عوف بن قطن الضبِّي، وهو ينادي: ليس لعثمان ثأر إلا علي بن أبي طالب وولده، فأخذ خطام الجمل وقال:

يـا أمُّ يـا أمُّ خـلا مـنـي الـوطـن ... لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا محشر عوف ين قطن ... إن فـاتـنـا الـيـوم عـلـيّ فـالـغـبـن
أو فـاتـنـا ابـنـاه حـسـيـن وحـسـن ... إذاً أمـت بـطـول هـمٍّ وحـزن

ثم تقدَّم، فضرب بسيفه حتى قتل)[2].

فقد نالت أرجوزة الشيخ الأزدي إعجاب المقاتلين في جيش الناكثين مستمدة الإلهام من أقوال طلحة والزبير، وقد استمات الناكثون في القتال بسبب تلك الأرجوزة، ولاذوا بالجمل وثبتوا حوله، وانتدبوا المقاتلين، فخرج من بينهم مغرر آخر اسمه عوف بن قطن الضبِّي وهو ينادي: (ليس لعثمان ثأر إلا عليّ بن أبي طالب وولده!!). سبحان الله، ما أقبح هذا القول وأقبح بصاحبه!! لقد وصلت الأمور بمقاتلي الناكثين أن يتهموا أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان، وأن ثأر عثمان متعلق برقبته ورقبة ولديه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام. وهذه العقيدة الفاسدة مرآة صادقة لعقيدة المقاتلين الآخرين في جيش الناكثين. غاية الأمر إن هذا وأمثاله قد صرحوا بعقيدتهم المنحرفة وآرائهم الفاسدة، بينما

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج١ ص٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج١ ص٢٥٦، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ج١ ص١٧٤.

الآخرون لم يصرحوا بذلك. ومن المستبعد بل من المستحيل أن يجتمع في جيش الناكثين ثلة من المؤمنين يحاربون إمامهم وينكثون بيعته ويعتقدون بهذه العقيدة الفاسدة والآراء الشاذة التي يشم منها رائحة النفاق والزندقة. بل كل جيش بما فيه ينضح.

فقد خاطب عوف بن قطن الضبي عائشة بأن وطنه قد خلا منه، وهو لا يريد قبراً ولا كفناً، بل يريد أن يحشره الله من أرض المعركة التي جرت على سطحها حرب الجمل. فهل تستطيع عائشة ان تنقذه من أهوال يوم القيامة إذا أمر الله به إلى جهنم؟! وهل تستطيع أن تخلصه من أيدي الزبانية إذا سحبته إلى جهنم؟! وهل تستطيع عائشة أن تدافع عنه في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة في أرض المحشر إذا وقف للحساب؟!

لقد ضحَّى بنفسه من أجلها، وحارب إمام زمانه ونكث بيعته من أجلها، ومات ميتة السوء لنكث البيعة من أجلها. فهل تستطيع عائشة أن تفعل له شيئاً؟!

ولم يكتف ذلك المغرر به بأن يحشر من أرض المعركة مع جيش الناكثين، بل أخرج ما يكنه في صدره من عقيدة فاسدة حالكة السواد في أواخر عمره قبل أن يلفظ أنفاسه الأخرية بسوء الخاتمة. فقد اعتبر نفسه مغبوناً إذا فاته إمامه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يتمكن من قتله، وكذلك إذا فاته سيدا شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ولم يتمكن من قتلهما، ففي هذه الحالة سيموت من طول الهم والحزن. ما أبشع هذه العقيدة!! وما أفظع صاحبها!!

لقد بنى الناكثون عقيدتهم الفاسدة على جرف هار فانهار بهم في نار جهنم. لقد بنوا عقيدتهم الضالة على اجتثاث عترة النبي صلى الله عليه وآله من جديد الأرض، وإذا فاتهم تحقيق هدف عقيدتهم الضالة ماتوا بطول الهم والحزن وباتوا مغبونين.

وهنا يثار سؤال، من الذي أوجد هذه العقيدة الفاسدة وغرسها في نفوس المقاتلين من أفراد جيش الناكثين؟! هل هم قادة حرب الجمل عائشة وطلحة والزبير؟! أم أن هذه العقيدة لها جذور سابقة تعود إلى عهد السقيفة وأحداثها المرة والأليمة؟! وجاء قادة حرب الجمل وجمعوا أصحاب هذه العقيدة الفاسدة

واستغلوهم في تحقيق مآربهم الشيطانية، وفي أرض المعركة طفح الكيل فارتجزوا بأراجيزهم موضحين عقيدتهم الضالة وآراءهم الفاسدة.

فقد ذكر الشيخ المفيد: (لما بلغ طلحة والزير أن أمير المؤمنين عليه السلام كتَّب الكتائب ورتَّب العساكر وتيقنوا منه الجدّ وأيقنوا منه القصد والحرب عملاً على الإستعداد لها، وكان أهل البصرة قد اختلفوا عليها وقعد عنهما الأحنف في بني سعد، وكان يظنان أنه معهم فأخلف ظنهم، وتأخَّر عنهما الأزد لقعود كعب بن سور القاضي عنهما وكان سيد الأزد وأهل اليمن بالبصرة، فأنفذ إليه رسولهما يسألانه النصرة لهما والقتال معهما، فأبى عليهما وقال: أنا أعتزل الفريقين. فقالا: إن قعد عنا كعب خذلنا الأزد بأسرها، ولا غنى لنا عنه، فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما فصارا إلى عائشة فخبراها خبره وسألاها أن تسير إليه فأبت وراسلته تدعوه إلى الحضور عندهنا فاستعفاها من ذلك!!

فقال طلحة والزبير: يا أمُّ إن قعد كعب قعدت عنا الأزد كلُّها وهي حي البصرة فاركبي إليه فإنك إن فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك. فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وصارت إلى كعب بن سور فاستأذنت عليه فأذن ورحَّب بها، فقالت: يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عزّ وجلّ فما الذي أخَّرك عني؟! فقال: يا أماه! لا حاجة لي في خوض الفتنة!! فقالت: يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقرّبك إلى الجنة!! واستعبرت باكية!! فرقَّ لها كعب بن سور وأجابها وعلق المصحف في عنقه وخرج معها)[1].

وروى ابن سعد: (أن كعب بن سور لما قدم طلحة والزبير وعائشة البصرة دخل في بيت وطيَّن عليه، وجعل فيه كوّة يناول منه طعامه وشرابه اعزالاً للفتنة، فقيل لعائشة إن كعب بن سور إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحد، فركبت إليه فنادته وكلمته، فلم يجبها، فقالت: يا كعب ألست أمك ولي عليك حق؟ فكلمها...)[2].

فقد عرف طلحة والزبير أهمية وقوف قبيلة الأزد معهما في حربهما ضد

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٢.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ج١ ص١٦٨.

إمامهما أمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا أرسلا إليه رسولهما يسألانه النصرة لهما والقتال مهما، فأبى القتال معهما ورفض نصرهما، فذهبا إليه بأنفسهما واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما فكلما عائشة في ذلك وراسلته تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها. فماذا يدل هذا الرفض القاطع؟

ولم ييأس قادة حرب الجمل، وتحت ضغط طلحة والزبير وإلحاحهما ركبت عائشة بغلاً وذهبت إلى كعب بن سور فاستأذنت عليه فأذن ورحَّب بها، وتحت إغراء عائشة وإغوائها خضع كعب بن سور وحارب معها (يا بني! اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقرِّبك إلى الجنة!! واستعبرت باكية!! فرق لها كعب بن سور وأجابها وعلق المصحف في عنقه وخرج معها!!).

فقد رفض كعب بن سور جميع المحاولات لحمله على نصرة عائشة والحرب معها في حربها الظالمة لكنه خضع في النهاية تحت إغراء عائشة وإغوائها. فقد أغرته بأنه إذا أخذ بخطام جملها سيقربه إلى الجنة، وأغوته ببكائها لما ذرفت عيناها دموع التماسيح.

وإلا فقد اعتزل الفريقين ودخل بيت وطيَّن عليه وجعل فيه كوَّة يناول منه طعامه وشرابه، وجاءت إليه عائشة وكلمته فلم يجبها على حد تعبير ابن سعد، لكنها بكيد النساء إن كيدهن عظيم استطاعت أن تثنيه عن رأيه وتميته الميتة الجاهلية حين جعلته يحارب إمامه أمير المؤمنين عليه السلام وينكث بيعته. ولما كسبت زعيم الأزد وسيدها كسبت معه قبيلة الأزد بأسرها، وأصبحت هذه القبيلة مع قبيلة بني ضبة العمود الفقري لجيش الناكثين.

فقد ذكر ابن أبي الحديد: (قال أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني، ومحمد بن عمر الواقدي: ما حُفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأزد، الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه، ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم وأقتاب البطن تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل، حتى لقد صرخ عليه السلام بأعلى صوته: ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان!! ثم قال: اعقروه وإلا فنيت العرب. لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى هذا البعير

إلى الأرض، فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد، فلما برك كانت الهزيمة)[1].

فلم تكتف عائشة بإغواء سيد الأزد كعب بن سور، بل أغوت معه أفراد قبيلة الأزد جميعهم وأوردتهم موارد الهلكة. وقد اشترك معها طلحة والزبير في الإغواء، وبات الثلاثة مسؤولين مسؤولية مباشرة عن إغواء جيش الناكثين.

تأمل في قول عائشة لسيد الأزد كعب بن سور: (يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عزّ وجلّ فما الذي أخرَّك عني؟!). لقد كذبت على ربها بدون حياء ولا خجل حين ادَّعت بأن نصرتها نصرة لله عزّ وجلّ، ناسية أنها خرجت من بيتها خلافاً لكتاب ربها، عاصية نبيِّها محاربة إمامها، فكيف والحال هذا تدَّعي أنها تدعو الآخرين لنصرة الله عزّ وجلّ؟! لقد استخفَّت بعقول الناكثين بعد أن استخفَّت بربِّها بتلك الأكاذيب.

أخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسرور رضي الله عنه قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت «وقرن في بيوتكن» بكت حتى تبلَّ خمارها[2]. لماذا تبكي من نصرها لله كما تشدَّقت؟!

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلا بكت حتى تبل خمارها، وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً. قال سفيان: النسي المنسي: الحيضة الملقاة[3].

فأين تلك النصرة لله عزّ وجلّ من البكاء وبلّ الخمار حين تتذكر حرب الجمل التي أهلكت العباد وأحرقت البلاد؟! والمرأة التي تتمنى أن تكون نسياً منسياً حين تتذكر حرب الجمل لا تغوي الآخرين بنصرتها وتدَّعي أن نصرتها نصرة لله عزّ وجلّ!!

لقد قامت بإغواء سيد الأزد ومعه أفراد قبيلته جميعهم حين استخدمت معهم

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ج١ ص٢٥٣.
(٢) الدر المنثور: السيوطي ج٥ ص٢٠٣، وانظر: حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني ج٢ ص٤٩.
(٣) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ج٩ ص١٨٥.

أحابيل النساء ومكائدهن فأوردتهم جميعهم موارد الهلكة حين ادَّعت أنها تدعوهم إلى نصرة الله عزّ وجلّ، وأن الأخذ بخطام جملها الملعون يقرِّب إلى الجنة!! كما استعانت على ذلك بالبكاء وذرف دموع التماسيح. فالذين يتحملون مسؤولية إغواء أولئك الهمج الرعاع هم عائشة وطلحة والزبير. وقد ذكرنا رجز الشيخ الأزدي صبيح الوجه الذي كان من أحب الرجز إلى أهل الجمل، دون أن يُحدد إسمه. أما ابن أعثم الكوفي فقد نسبه إلى سيد الأزد كعب بن سور، حين قال: (وعزم القوم على المناجزة، وتقدم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:

يا معشر الناس عليكم بأمكم فإنها صلاتكم وصومكم

إلى آخرها. فحمل عليه الأشتر فقتله)[1].

فمن يتحمل مسؤولية إغواء شيخ الأزد؟ ومن الذي أثار فيه نخوة ذلك الرجز حيث أضحى الأنشودة المفضلة لجيش الناكثين يستميتون في القتال على وقع نغماته؟! لقد كان لعائشة الدور الأكبر في ذلك حين عجز طلحة والزبير في كسب شيخ الأزد وسيدهم كعب بن سور. لقد أغوته بنصرة الله حين يقوم بنصرتها، كما أغوته بدخول الجنة حين يأخذ بخطام جملها، وبعد انتهاء معركتها المجنونة والإطلاع من كثب على نتائجها المدمرة والإطمئنان من تحمل مسؤوليتها تمنت لو أنها كانت نسياً منسياً، وأخذت تبكي وتبل خمارها بدموع التماسيح، وتخلت عن مقاتلي جيش الناكثين وتركتهم يلاقون مصيرهم الأسود في نار جهنم ولم تتجرأ أن تمنيهم بنصرة الله وتوعدهم بالدخول إلى الجنة عندما مسكوا خطام جملها وقضوا نحبهم تحت ذلك الخطام اللعين. وتبخرت أحلامها وأحلام الذين غررَّت بهم.

والشيء الغريب الذي يحز في النفس ما قامت عائشة به من غسل مخ لعقول مقاتلي قبيلة الأزد. وهذه الجريمة تتحملها عائشة، ولولاها لما تفشت هذه الجريمة وتسربت إلى عقول مقاتلي قبيلة الأزد. فقد ولع مقاتلو قبيلة الأزد ببعر

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٩، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢ ص١٧٩.

جمل عائشة واختلقوا له الكرامات!! فقد (كانت الأزد تأخذ بعر جملها وتفتّه وتشمه وتقول: بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك!! وهذا ما لم يفعله أحد مع رسول الله نفسه!!)[1].

فمن الذي أدخل في عقول مقاتلي قبيلة الأزد بأن بعر جمل عائشة ريحه ريح المسك؟! ومن الذي أقنعهم بفتّه وشمه كما يُشم الطيب؟! لا شك بأن عائشة ـ بأكاذيبها ـ هي التي دفعتهم إلى الإيمان بتلك الخرافة التي ما أنزل الله بها من سلطان وذلك حين ذهبت إلى سيد قبيلة الأزد ونفثت في أذنيه قائلة: (يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عزّ وجلّ فما الذي أخرَّك عني؟... يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقرِّبك إلى الجنة!!)[2]. فصدَّق المسكين كلامها ورقَّ لها وأجابها وعلَّق المصحف في عنقه وخرج معها مرتجزاً تلك الأرجوزة التي غدت النشيد المفضل لمقاتلي قبيلته وقام بتحريض مقاتلي قبيلته لنصرتها واعتبرها بمثابة الصلاة والصوم لهم والحرمة العظمى التي ينبغي الدفاع عنها، فلا غرو أن يعتقد مقاتلوا قبيلته بكرامة بعر جمل عائشة ويفتوه ويشموه كما يشمون المسك على حدّ زعمهم!! تعساً لهؤلاء التيوس.

وقد حاول قبلها طلحة والزبير أن يكسبا ودّ زعيم الأزد فلم يفلحا، وقد نجحت في ذلك وأقنعته بالخروج معها بعد أن نفثت في أذنيه تلك الأكاذيب المزخرفة التي ذرفت من أجلها الدموع وتمنت أن تكون نسياً منسياً حين حسَّت بالرحيل من الدنيا والوقوف في قفص الإتهام في محكمة العدل الإلهي، ولات حين مناص. ونست أن تأخذ معها بعر جملها المبارك!!

وكما تتحمل عائشة ومعها طلحة والزبير مسؤولية إغواء قطاع كبير من مقاتلي جيش الناكثين كسيِّد الأزد وأفراد قبيلته، فهناك أيضاً قطاع آخر في جيش الناكثين كان على غواية من قبل أن تنشب حرب الجمل، غاية الأمر أن عائشة وطلحة والزبير استفادوا منهم واستغلوهم أحسن استغلال لتحقيق مآربهم الشيطاينة،

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري ج١ ص١٩٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٤.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٢٢.

متذرعين في سبيل ذلك بقاعدة الغاية تبرِّر الوسيلة، وإن كانت الوسيلة من أعتى أعداء الله عزّ وجلّ.

لما طلب طلحة والزبير من أمير المؤمنين عليه السلام أن يسمح لهما بالخروج إلى مكة لأداء العمرة كما ادعيا ذلك ظاهراً وسمح لهما وخرجا إلى مكة (خرج معهما عبد الله بن عامر بن كريز، وهو ابن خال عثمان، فجعل يقول لهما: أبشرا!! فقد نلتما حاجتكما، والله لأمدنكما بمائة ألف سيف!!

قال: وقدموا مكة وبها يومئذٍ عائشة وحرَّضوها على الطلب بدم عثمان، وكان معها جماعة من بني أمية، فلما علمت بقدوم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت وعزمت على ما أرادت من أمرها، قال: وتكلمت بنو أمية ورفعت رؤوسها عند قدوم طلحة والزبير على عائشة ولم يزالوا يحرضوها على الطلب بدم عثمان)[1].

فعبد الله بن عامر بن كريز هو الذي شجَّع قادة حرب الجمل بأن يمدَّهم بمائة ألف سيف، وطلحة والزبير وعبد الله بن عامر هم الذين حرَّضوا عائشة على الطلب بدم عثمان في البداية وليس العكس. كما أن بني أمية الموجودين في مكة قد رفعوا رؤوسهم وما زالوا يحرضون عائشة على الطلب بدم عثمان في بداية الأمر وليس العكس. غاية الأمر أنها تزعَّمت أولئك الأشرار الأوباش فيما بعد، وصارت لهم كقطب الرحى وكالقلعة التي يحيطون بها.

فأولئك الأشرار العتاة كانوا جاهزين في عتوهم وتمرّدهم ونكثهم، غاية الأمر أنها استطاعت أن تجمعهم تحت رايتها، فأتمروا بأمرها فأوردتهم موارد الهلكة تحت خطام جملها الملعون. فبقدر ما يتحملون مسؤولية نهايتهم المشؤومة تتحمل عائشة مسؤولية قيادتهم إلى حتفهم البائس وتحريضهم على محاربة إمامهم ونكثهم بيعته التي أعقبتهم ميتة السوء.

ومن الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ... ردوا علينا شيخنا ثم بجل

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٥٢.

الموت أحلى عندنا من العسل لا عار في الموت إذا حان الأجل
إن علياً هو من شر البدل إن تعدلوا بشيخنا لا يُعتدل
أين الوهاد وشماريخ القلل

فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام:

نحن قتلنا نعثلاً فيمن قتل أكثر من أكثر فيه أو أقل
أنّى يُردّ نعثلٌ وقد قحل نحن ضربنا وسطه حتى انجدل
لحكمه حكم الطواغيت الأول آثر بالفيء وجافى في العمل
فأبدل الله به خير بدل إني امرؤ مستقدم غير وكل
مشمِّر للحرب معروف بطل[1].

فقد اعتبر هذا الراجز الضبي أن أمير المؤمنين أكثر شراً من عثمان لما استبدله المسلمون به، وإن حاولوا أن يعدلوه بعثمان فلا يمكن أن يعدله لأن عثمان خير منه. فأي مجال للمقارنة بين الأراضي المنخفضة ويقصد بها أمير المؤمنين عليه السلام من رؤوس الجبال ويقصد بها عثمان بن عفان؟

لقدكان رأيه سيئاً في أمير المؤمنين، فمن غرس في عقله ذلك الرأي السيِّء؟! لا شك أن بني ضبة كلهم على هذه الشاكلة السيئة، فلم يتكلم هذا الراجز عن نفسه، وإنما تكلم عن لسان حال قومه (نحن ـ بني ضبة ـ أصحاب الجمل).

ومما يؤكد هذا الإستنتاج قول راجز آخر من بني ضبة (وتقدم رجل من بني ضبة يقال له عاصم بن الدلف وأخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:

نحن بنو ضبة أعداء عليّ ذاك الذي يُعرف فيكم بالوصي

إلى آخرها. قال: فخرج إليه المنذر بن حفصة التميمي من أصحاب علي رضي الله عنه وهو يقول:

نحن مطيعون جميعاً لعليّ إذ أنت ساعٍ في الوغي سعي شقي
إن الغويَ تابع أمر الغوي قد خالفتَ أمر النبي زوج النبي

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٤. وانظر: تاريخ الطبري ج٥ ص٢٠٩، بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص١٧٥.

قال: ثم حمل على الضبي فقتله)[1].

فقد تكلم عاصم بن الدلف الضبي بلسان قومه بني ضبة بأنهم أعداء لأمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن مجهولاً لديهم بل يعرفونه بأنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا وذاك يكنّون له العداوة ويحاربونه وينكثون بيعته. ثم تأتي عائشة وتستعين بأوباش بني ضبة وهم حثالة المجتمع في محاربة إمامها أمير المؤمنين عليه السلام وهي عارفة ببعدهم عن الدين وقد سمعت بأذنيها أراجيزهم المنكرة وهم آخذون بخطام جملها ولم تنكر عليهم ذلك، بل كانت ضامنة للنصر حين كان دوي أراجيز بني ضبة يصم أذنيها، ولم تيأس من النصر إلا بعد أن خفتت أصواتهم المنكرة. فقد قالت: (ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة!!)[2]. فقد كانت اصواتهم المنكرة بارقة النصر ولما فقدت تلك الأصوات تبخّر النصر وذهبت أحلامها أدراج الرياح.

فقد غرست عائشة الحقد والبغض في نفوس قبيلة بني ضبة تجاه إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام، فاستماتوا في الدفاع عنها بسبب ذلك الحقد الذي غرسته في قلوبهم وقد أعلنوا للملأ جهاراً (نحن ـ بنو ضبة ـ أعداء عليّ...!!). كما عملت لهم غسل مخ لعقولهم كما فعلته مع مقاتلي الأزد. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (وجعلت بنو ضبة يأخذون بعر الجمل فيشمونه ويقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى بعر جمل أمنا كأنه المسك الأذفر!!)[3]. لقد أعمى الحقد قلوبهم، وعطلوا عقولهم حين صدئت بحب عائشة فنظروا إلى الأمور معكوسة، واعتبروا البعر النتن كمسك أذفر!! فمن السمؤول عن تردي أمور مقاتلي بني ضبة إلى هذه الدرجة من الإسفاف؟!

وقد ذكر هشام بن محمد بن السائب عدد قتلى الأزد وبني ضبة تحت راية عائشة حين قال: (فقتل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل، ومن بني ضبة ألف

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٥. وانظر: بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص١٧٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٦. وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٩، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٤، شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٨.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨١.

رجل!!)[1]. وهؤلاء القتلى المغرر بهم جميعهم يحقدون على أمير المؤمنين عليه السلام ومن ألدّ أعدائه ويتحرقون شوقاً للفتك به، كما أنهم جميعهم يتبركون ببعر جمل عائشة ويشمونه كما يشمون المسك الأذفر!! من حماقتهم.

وذكر الشيخ المفيد: (لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك نادى أصحاب ميمنته أن يميلوا على ميسرة القوم، ونادى أصحاب ميسرته أن يميلوا على ميمنتهم، ووقف عليه السلام في القلب فما كان أسرع من أن تضعضع القوم وأخذت السيوف من هاماتهم مآخذها فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة وأصيب من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نفر كثير، وأحاطت الأزد بالجمل يقدمهم كعب بن سور وخطام الجمل بيده واجتمع إليهم من كان أنفل بالهزيمة ونادت عائشة: يا بني الكرَّة الكرَّة! إصبروا فإني ضامنة لكم الجنة!! فحفوا بها من كل جانب واستقدموا حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، وألقت عائشة على نفسها بردة كانت معها، وقلبت يمينها عن منكبها إلى الأيسر والأيسر إلى الأيمن، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع عند الإستسقاء، ثم قالت: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها، فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: شاهت الوجوه!! كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر. قال: وجرَّ كعب بن سور بالخطام وقال: اللهم إن أردت أن تحقن الدماء وتطفيء هذه الفتنة فاقتل علياً!! ولما فعلت عائشة ما فعلت من قلب البرد، وحصب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالتراب، قال عليه السلام: وما رميت إذ رميت يا عائشة ولكن الشيطان رمى، وليعودنَّ وبالك عليك إن شاء الله. وأنشدت أم ذريح العبدي، وكانت من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام تقول:

عائش إن جئت لتهزمينا ... وتنشري البرد لتغلبينا

وتقذفي بالحصيات فينا ... تصادفي ضرباً وتنكرينا

بالمشرفيات إذا غزينا ... نسفك من دمائكم ماشينا[2]

لقد استهزأت عائشة بمقاتليها ووعدتهم الوعود الكاذبة، وكذبت على ربِّها الذي عصت أوامره حين قالت لمقاتليها: (يا بني الكرَّة الكرَّة! إصبروا فإني ضامنة

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٧.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ٣٤٧ ـ ٣٤٨، وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٨.

لكم الجنة!!). فكيف تضمن لهم الجنة وقد شجعتهم على محاربة إمامهم والتمرد عليه ونكث بيعته؟ وكيف تضمن لهم الجنة وقد أماتتهم الميتة الجاهلية حين حثتهم على نكث بيعة أمامهم أمير المؤمنين عليه السلام؟! لماذا تصل الأمور بعائشة إلى هذه الدرجة من الإستخفاف بأحكام الدين وتحريفها عن عمد وسبق إصرار؟!

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عميَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه[1].

وبسنده عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرَّة ما كان زمن يزيد بن معاوية. فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتك لأجلس. أتيتك لأحدثك حديثاً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية[2].

فجميع مقاتلي جيش الناكثين ممن لقوا حتفهم تحت راية عائشة وأمام خطام جملها قد ماتوا ميتة جاهلية حين خلعوا أيديهم من الطاعة وفارقوا الجماعة ونكثوا بيعة إمامهم وحاربوه. فيكف تضمن عائشة لهم الجنة؟! لقد وصلت بها الأمور إلى هذه الدرجة من الكذب والإفتراء على الله ورسوله.

وقد تشبهت برسول الله صلى الله عليه وآله حين ألقت البردة على نفسها وقلبتها يميناً وشمالاً معتقدة بأنها إذا قامت بهذا الفعل ستحقق النصر غافلة أو متغافلة بأن خروجها بهذا الجيش عصيان لكتاب ربِّها وأحاديث نبيِّها. وكذلك حين أخذت كفاً من تراب فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: (شاهت الوجوه!!). فقد تشبهت بالأخيار وفعلت فعل الأشرار.

لقد حاولت عائشة جهدها في إشعال الفتنة وإضرام نار الحرب بكل ما أوتيت

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٤ (رقم الحديث: ١٨٤٨).

(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٦ (رقم الحديث: ١٨٥١).

من علم وثقافة شعرية. ووظَّفت ثقافتها في محاربة إمامها. فقد ذكر ابن الأثير والطبري: (نظرت عائشة من يسارها فقالت: من القوم عن يساري؟ فقال صبرة بن شيمان: بنوك الأزد. فقالت: يا آل غسان حافظوا اليوم جلادكم الذي كنا نسمع به. وتمثلت:

وجالد من غسَّان اهل حفاظها وكعب وأوس جالدت وشبيب

فكان الأزد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون: بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك!! وقالت لمن عن يمينها: مَنْ القوم عن يميني؟ قال: بكر بن وائل. قالت: لكم يقول القائل:

وجاؤوا إلينا في الحديد كأنهم من العزة القعساء بكر بن وائل

إنما بإزائكم عبد القيس فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك!! وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت: مَنْ القوم؟ قالوا: بنو ناجية: قالت: بخ بخ!! سيوف أبطحية قرشية!! فجالدوا جلاداً يُتفادى منه!! ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت: ويهاً جمرة الجمرات!!)[1].

فلما مدحت الأزد استخفَّهم الشيطان وأخذوا يشمون بعر جملها ويقولون: (بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك!!) واستماتوا في القتال. ولما مدحت بكر بن وائل استماتوا في القتال (فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك!!). فقد عرفت من أين تُؤكل الكتف!! فتوظيف ثقافتها الشعرية في إضرام نار الحرب دليل واضح على أنها لا تريد الإصلاح، بل تريد الفتنة وتقويض صرح الدين والقضاء على إمام المسلمين وخليفتهم. لكن الله سبحانه وتعالى خيَّب ظنها، وردَّ كيدها في نحرها.

ولم تكتف بتوظيف ثقافتها الشعرية في إضرام نار الحرب، بل وظَّفت ثقافتها التاريخية في تزوير الحقائق التاريخية والتلاعب بأنساب القبائل العربية. فقد قالت عن بني ناجية: (بخٍ بخٍ!! سيوف أبطحية قرشية!!) ولما نسبتهم إلى قريش جالدوا بين يديها جلاداً يتفادى منه. فقد عزَّ على قبيلة بني ناجية أن تنسب إلى غير قريش، ولما نسبتهم عائشة إلى قريش كذباً وزوراً استغلوا شهادتها الكاذبة فاستماتوا في قتال

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٤، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٨.

إمامهم ونكث بيعته من أجل الحصول على النسب القرشي الذي لفقته عائشة. فقد قدمت لهم النسب القرشي على طبق من ذهب لكي يحققوا لها أحلامها معتقدة أشد الإعتقاد بأن الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو كانت الوسيلة التلاعب بأنساب العرب!!

قال ابو مخنف: (وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش قُتلوا كلهم، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلا سالت نفسه، أو قطعت يده. وجاءت بنو ناجية فأخذوا بخطام الجمل، ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلا سألت عائشة: من هذا؟ فسألت عنهم فقيل: بنو ناجية. فقالت عائشة: صبراً بني ناجية، فإني أعرف فيكم شمائل قريش!! قالوا: وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش! فقتلوا حولها جيمعاً!)[1].

فمن أين عرفت فيهم شمائل قريش؟! فبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش. فقد لجأت إلى الكذب وتلفيق الحقائق من أجل تحقيق هدفها في إشعال نار الفتنة والقضاء على إمامها. وبسبب تلك الأكاذيب المغرضة لقى بنو ناجية حتفهم على بكرة أبيهم (فقتلوا حولها جميعاً!!).

فقد ذكر هشام بن محمد بن السائب: (وأما عائشة فكانت في ثلاثين ألفاً ويزيدون، فقتل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل، ومن بني ضبة ألف رجل، ومن بني ناجية أربعمائة رجل!!)[2]. فقد تسببت في قتل ٤٠٠ رجل من بني ناجية، وأماتتهم ميتة السوء من أجل كذبة تاريخية تتعلق بنسبهم القرشي المطعون فيه.

وقريش تدفعهم عن النسب ولم تعترف بهم وتسميهم بني ناجية وهي امرأة سامة بن لؤي، وذلك حين مات عنها زوجها فتزوجت رجلاً من البحرين فولدت منه الحارث فأرادت أن تلحقه بقريش فعرف أمرها كعب بن لؤي فنفاها ونفى ابنها إلى البحرين[3].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: (فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٥، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٢.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٧.

(٣) أنظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٠ ص ١٧٣ ـ ١٧٤، الغارات: ابن هلال الثقفي ص٢١٩ ـ ٢٥٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٠ ـ ١٥١.

وقال: هم قريش العازبة. وإنما سمُّوا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربَّان وهو علاف... وللزبير في إدخالهم في قريش مذهب وهو مخالفة فعل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، وميله إليهم لإجماعهم على بغضه رضي الله عنه، حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك)[1].

فالذي حدا بالزبير بن بكار في أن ينسب بني ناجية إلى قريش هو العناد لأمير المؤمنين والخلاف له، وميله إلى بني ناجية لأنهم يبغضون أمير المؤمنين عليه السلام. كما إنه اعتمد في ذلك على تلفيق عائشة للأكاذيب حين نسبت بني ناجية إلى قريش.

وذكر ابن هلال الثقفي: لما بايع أهل البصرة علياً عليه السلام بعد الهزيمة دخلوا في الطاعة غير بني ناجية فإنهم عسكروا، فبعث إليهم عليه السلام رجلاً من أصحابه في خيل ليقاتلهم فأتاهم فقال: ما بالكم عسكرتم وقد دخل الناس في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق. فرقة قالوا: كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا فيما دخل فيه الناس من الفتنة ونحن نبايع كما بايع الناس، فأمرهم فاعتزلوا. فرقة قالوا: كنا نصارى ولم نسلم فخرجنا مع القوم الذين خرجوا: قهرونا فأخرجونا كرهاً، فخرجنا معهم فهزموا فنحن ندخل فيما دخل فيه الناس، ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم، فقال لهم: اعتزلوا. وفرقة قالوا: إنا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الإسلام فرجعنا إلى النصرانية فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى، فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا، فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، فقدم بهم على عليّ عليه السلام)[2].

فبعد هزيمة جيش الناكثين دخل أهل البصرة في الطاعة وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام إلا بني ناجية فإنهم رفضوا البيعة ولم يكتفوا بذلك بل تمردوا على أمير المؤمنين عليه السلام وعسكروا خارج البصرة، ولما أرسل إليهم أمير المؤمنين رجلاً من أصحابه يدعوهم إلى الدخول في الطاعة اتضح الامر أنهم ينقسمون على ثلاث فرق:

١ ـ فرقة كانوا نصارى فأسلموا لكنهم دخلوا في الفتنة التي أثارها طلحة والزبير وعائشة. ولولاهم لما دخلوا في الفتنة. وهؤلاء اعتزلوا فيما بعد.

---

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٠ ص١٧٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٢) الغارات: ابن هلال الثقفي ص٢٢٠، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٧، وانظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٠ ص١٧٤.

٢ ـ فرقة ثانية كانوا نصارى ولم يدخلوا في الإسلام، لكنهم خرجوا في فتنة عائشة مكرهين وبعد الهزيمة دخلوا فيما دخل فيه الناس من الطاعة. وطُلب من هذه الفرقة الاعتزال فاعتزلوا. وبقوا على نصرانيتهم يدفعون الجزية.

٣ ـ فرقة ثالثة كانوا نصارى ودخلوا الإسلام فلم يعجبهم فارتدوا واعتنقوا النصرانية مرة ثانية وأبدوا استعدادهم في دفع الجزية فطُلب منهم التوبة والرجوع إلى الإسلام فأبوا، فقتلوا وسبيت ذراريهم.

وبقيت منهم بقية اعتنقوا مذهب الخوارج وخرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام بعد حرب صفين بقيادة الخرِّيت بن راشد فأرسل لهم أمير المؤمنين عليه السلام من يلاحقهم فانتصر عليهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، فاستنجدوا بمصقلة بن هبيرة فاشتراهم وحرَّرهم وهرب إلى معاوية بن أبي سفيان ولم يدفع الثمن[1].

فكون أهل بني ناجية من النصارى دليل على أنهم ليسوا من قريش الذين يعبدون الأصنام. فقد استعانت عائشة بالنصارى والمرتدين من بني ناجية في حربها ضد إمامها أمير المؤمنين، كما أنها استعانت بهم وقد أصبحوا فيما بعد من الخوارج الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وهذه إدانة لعائشة حين استعانت بهذه الفئات المنحرفة التي هي حثالة المجتمع العربي في ذلك الوقت.

فقد عرفت من أين تؤكل الكتف، وعرفت كيف تجمع هذه الفئات المنحرفة والإستعانة بها في نشر الفتنة وتقويض أركان الدين باسم الدعوة إلى الإصلاح. وعرفت كيف تضرب على الوتر الحساس حين نسبتهم إلى قريش كذباً وتزويراً.

وكان الشاعر المشهور علي بن الجهم من بني ناجية وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام (فسمعه أبو العيناء يوماً يطعن على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أنا أدري لم تطعن على عليّ أمير المؤمنين. فقال لهم: أتعني قصة بيعه أهلي من مصقلة بن هبيرة؟ قال: لا! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به، وأنت أسفلهما!!)[2].

هذا نموذج لأحد المفسدين من قبيلة بني ناجية الذين استعانت بهم عائشة

---

(١) انظر: الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٠ ص١٧٤، الغارات: ابن هلال الثقفي ص٢٢٠ ـ ٢٥٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٨ ـ ١٥١.

(٢) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج١٠ ص١٧٥، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٣.

وحرَّضتهم على القتال وادَّعت أنهم من قريش. وهذا النموذج صورة مصغرة لبني قومه بني ناجية. فهم بين نصارى ومرتدين وخوارج يطعنون على إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة مروان بن أبي حفصة الأصغر (بلغ المتوكل أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه، فسأل عن السبب في ذلك وعن قصته، وعن نسب سامة بن لؤي فحدَّث بها، ثم انتهى حديثهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يدخلاهم في قريش، وأن عثمان رضي الله عنه، أدخلهم فيه، وأن علياً رضي الله عنه، أخرجهم منه، فارتدوا مع الحارث، وأنه قتل من ارتد منهم، وسبي بقيتهم وباعهم من مصقلة بن هبيرة. فضحك المتوكل، وبعث إلى علي بن الجهم فأخبره بما قال القوم فأنكر ذلك وقال: هذه الدعوة من الرافضة، وشتم القوم. وكان منهم أبو السمّط فقال له:

إن جهماً حين تنسبه ... ليس من عجم ولا عرب
لجَّ في شتمي بلا سبب ... سارق للشعر والنسب
من أناس يدّعون أباً ... ما له في الأرض من عقب

فغضب علي بن الجهم ولم يجبه، لأنه كان يحتقره ويستركّه، وأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال:

أنتم من قريش يا بن جهم ... وقد باعوكم في من يزيد
أترجو أن تكاثرنا جهاراً ... بنسبتكم وقد بيع الجدود

وزاد ابن أبي الحديد: فلم يجبه ابن الجهم، فقال فيه أيضاً:

عليَّ تعرَّضت لي ضلةً ... لجهلك بالشعر يا مائق
تروم قريشاً وأنسابها ... وأنت لأنسابها سارق
فإن كان سامة جداً لكم ... فأمك مني إذا طالق[1].

فقد خالفت عائشة أباها وصاحبه عمر وإمامها أمير المؤمنين الذين رفضوا الإعتراف بقرشية بني ناجية واتبعت عثمان بن عفان الذي أدخلهم في قريش. وقد سمعت شعر مروان بن أبي حفصة الذي يتهكم فيه بنسب بني ناجية قوم الشاعر

---

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني ج٢٣ ص١٧٣، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٦.

علي بن الجهم. هذه عائشة، وهذا دورها في تزوير الحقائق والتلاعب بالأنساب من أجل تحقيق هدفها في تقويض صرح الدين وإشعال الفتنة بين المسلمين.

وقيل لعائشة: (يا عائشة قُتل طلحة والزبير، وجُرح عبد الله بن عامر من يدي علي، فصالحي علياً. فقالت: كبر عمرو عن الطوق، وجلَّ أمر عن العتاب. ثم تقدمت)[1].

فلما رأى المقاتلون من جيش أمير المؤمنين عليه السلام استبسال عائشة في الفتنة وتحريض الغوغاء على القتال، وتوظيف ثقافتها الشعرية في حث الناكثين على الصمود، وقيامها بتزوير الحقائق والتلاعب بأنساب القبائل العربية قام أحدهم بقرصها في أرجوزة قارصة أثرت على نفسيتها.

فقد قال أبو مخنف: (وانتهى الحارث بن زهير الأزدي من أصحاب علي عليه السلام إلى الجمل، ورجل آخذ بخطامه، لا يدنو منه أحد إلا قتله، فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتجز، فقال لعائشة:

يـا أمـنـا أعـقّ أمٍّ نـعـلـم ... والأم تـغـذو ولـدهـا وتـرحـم

أما تـريـن كـم شـجـاع يُـكـلـم!! ... وتـخـتـلـي هـامـتـه والـمـعـصـم؟!

فاختلف هو والرجل ضربتين، فكلاهما أثخن صاحبه. فقال جندب بن عبد الله الأزدي: فجئت حتى وقفت عليهما وهما يفحصان بأرجلهما حتى ماتا. قال: فأتيت عائشة بعد ذلك أسلّم عليها بالمدينة، فقالت: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة. قالت: هل شهدتنا يوم البصرة؟ قلت: نعم. قالت: مع أي الفريقين؟ قلت: مع عليّ. قالت هل سمعت مقالة الذي قال: * يا أمنا أعق أمّ نعلم * قلت نعم وأعرفه. قالت: ومن هو؟ قلت: ابن عمٍّ لي، قالت: وما فعل؟ قلت: قُتل عند الجمل، وقُتل قاتله، قال: فبكت حتى ظننت أنها لا تسكت. ثم قالت: لوددت والله أنني كنت متّ قبل ذلك اليوم بعشرين سنة)[2].

فقد تأثرت عندما وُصمت بالأم العاقة لأبنائها، وقد قُرصت في الصميم، وقد

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص١٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري: ج١ ص١٤١ ـ ١٤٣، وانظر: الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٣٥، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٩، ٢١١، بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص١٨٠.

تاجرت بلقبها (أم المؤمنين) فلم تفلح ولما قُرصت في هذا اللقب تأثرت ولم تنسه وحاولت جهدها معرفة قائله. وفي المقابل لم نجد لها أسفاً على الفظائع التي ارتكبتها في البصرة، فقد أمرت الزبير أن يضرب أعناق (السبابجة) حرَّاس المال في البصرة دون أن يطرف لها جفن، وأمرت الرّعاع من جيشها أن يضربوا عنق عثمان بن حنيف الوالي الشرعي للبصرة ولما خوَّفتها امرأة بصرية من انتقام أخيه سهل بن حنيف بذراري الناكثين في المدينة أمرت بتعذيبه دون أن تنزل من جفنها دمعة. واستولت على بيت المال بالبصرة وأخذت منه بعض الأموال دون أن يخفق لها قلب[1]. ورأت بأم عينيها المقاتلين يتساقطون تحت خطام جملها وهي في وسط العسكر دون أن تتأثر لحالهم ولمصيرهم. لكنها تأثرت من قول القائل (يا أمنا أعقّ أمٍّ نعلم...) فلقب أم المؤمنين أعز لديها من كل تلك الفظائع التي ارتكبتها ظلماً وعدواناً في حق المسلمين من أبنائها. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على استهانتها بكل ما ارتكبته من فظائع وخروج على الشرعية.

كان عمرو بن يثربي الضبي فارس أصحاب الجمل وشجاعهم، وقد قتل كثيراً من أصحاب عليّ عليه السلام، (وكان عمرو أخذ بخطام الجمل، فدفعه إلى ابنه، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه هند بن عمرو الجملي فقتله عمرو، ثم دعا إلى البراز، فقال زيد بن صوحان العبدي لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إني رأيت يداً أشرفت عليَّ من السماء وهي تقول: هلمّ إلينا، وأنا خارج إلى ابن يثربي، فإذا قتلني فادفني بدمي ولا تغسلني، فإني مخاصم عند ربي. ثم خرج فقتله عمرو، ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزاً يقول:

أرديت عـلـيـاء وهـنـداً فـي طـلـق ... ثـم ابـن صـوحـان خـضـيـباً فـي عـلـق
قـد سـبـق الـيـوم لـنـا مـا قـد سـبـق ... والـوتـر مـنـا فـي عـدي ذي الـفـرق
والأشتر الغاوي وعمرو بن الحمق ... والفارس المعلم في الحرب الحنق
ذاك الذي في الحادثات لم يطق ... أعـنـي عـلـيـاً لـيـتـه فـيـنـا مـزق[2].

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٠ ـ ٣٢٢، الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨١ ـ ٢٨٤، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٢٧، مروج الذهب المسعودي ج٢ ص٣٥٨، تاريخ الطبري ج٥ ص١٧٨، الكامل في التاريخ: ابن الاثير ج٣ ض١٠٨ ـ ١١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٨، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٣٨.

فقد قتل هذا الفارس عدداً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. فإذا جاء يوم القيامة الى محكمة العدل الإلهي، هل يستطيع أن يخلص نفسه إذا تعلق برقبته الذين قتلهم ظلماً وعدواناً؟! وهل تستطيع عائشة أن تخلّصه من جريمة القتل العمد؟ وهل سيضيِّع الله سبحانه وتعالى وهو العدل الحكيم حقوق أولئك المقتولين؟ أم سيأمر بالقاتل إلى جهنم وبئس القرار؟ ومامصير القائدة العليا لجيش الناكثين التي أمرت هذا المجرم وأمثاله بسفك دماء المؤمنين الأبرياء؟

قال أبو مخنف: (ثم ترك ابن يثربي الخطام، وخرج يطلب المبارزة، فاختلف في قاتله، فقال قوم: إن عمار بن ياسر خرج إليه والناس يسترجعون له، لأنه كان أضعف من برز إليه يومئذٍ. أقصرهم سيفاً، وأقصفهم رمحاً، وأحمشهم ساقاً، حمالة سيفه من نسعة الرحل، وذباب سيفه قريب من إبطه. فاختلفا ضربتين، فنشب سيف ابن يثربي في حجفة عمار، فضربه عمار على رأسه فصرعه، ثم أخذه برجله يسحبه حتى انتهى به إلى علي عليه السلام، فقال يا أمير المؤمنين، استبقني أجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم. فقال له عليه السلام: أبعد زيد وهند وعلباء أستبقيك؟! لاها الله إذاً!! قال: فأدنني منك أسارّك!! قال له: أنت متمرد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين!! وذكرك منهم!! فقال: أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة ابنته منك!!)[1].

تأمل في قول هذا المتمرد لأمير المؤمنين عليه السلام: (يا أمير المؤمنين، أستبقني أجاهد بين يديك، وأقتل منهم مثل ما قتلت منكم!!). فإذا كنت تعترف بأنه أمير المؤمنين، فلماذا قاتلته وقاتلت أصحابه؟! وإذا عرفت أن القتال بين يديه جهاد (أستبقني أجاهد بين يديك!!). فلماذا قاتلت المجاهدين في جيشه بدلاً من أن تقاتل معهم؟! ولماذا تطلب عمل المصلحين وتعمل عمل المفسدين؟! وإذ كنت لا تؤمن بما قلته وما طلبته فهذا مصداق على أنك متمرد من المتمردين كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك. بل كل الذين معك متمردون، وقادتك في حرب الجمل من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٩، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٣٨، وانظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٧، تاريخ الطبري ج٥ ص٢٠٩، ٢١٠، ٢١٧، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٥، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٤.

المتمردين الكبار. فلا يمكن أن تكون من المتمردين، وأن يكون قادتك الذين حثوك على التمرد ليسوا متمردين.

وإذا كان أصحابك في جيش الناكثين مؤمنين، فلماذا تطلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يستبقيك حتى تقتل منهم مثل ما قتلت من جيش أمير المؤمنين؟! وإذا كان أصحابك من الفسقة المفسدين، فلماذا قاتلت معهم وأنت تعلم فسقهم وفسادهم؟! فلا تجد لنفسك حجة تدافع بها عن نفسك في أي سؤال نوجهه إليك. فكيف تخلّص نفسك في محكمة العدل الإلهي إذا تعلق ضحاياك برقبتك؟! وهل تستطيع عائشة أن تخلّصك من جريمتك وقد شهد عليك رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمرد؟! هيهات هيهات. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

وتأمل في محاولته اليائسة في خدعة إمامه أمير المؤمنين عليه السلام: (فأدنني منك أسارّك!! قال له: أنت متمرد!! وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين، وذكرك فيهم!!). فقد حاول أن يخدع إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، فخاب أمله ولم يفلح، وأصرَّ على أن يرتكب جريمته الشنعاء وهو في آخر رمق من حياته المشؤومة. وقد عرَّى نفسه تماماً بهذه النية الخبيثة التي أراد أن يختم بها حياته التعيسة.

وإذا كان نبي الرحمة صلى الله عليه وآله قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بكل المتمردين عليه وعلى إمامته، ومن ضمنهم هذا المتمرد الصعلوك، فهل أخبره برؤوس المتمردين في أمته الذين سيتمردون عليه وعلى إمامته؟! فكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على ذلك بكل وضوح لا لبس فيه (وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتمردين، وذكرك فيهم). وهذا أحد المتمردين وقد عرفناه، فمن رؤوس المتمردين وقادتهم يا ترى؟!

وكانت عائشة من رؤوس المتمردين وقادتهم. وقيادتها لهذا الجيش الناكث ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام أكبر دليل على كبر تمردها، وأنها من المتمردين

الكبار. وما ذلك المتمرد الصعلوك ابن يثربي إلا ضابط من ضباط جيشها. وما قولها في بداية تمردها (وما لعليّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان!!)[1]. إلا دليل واضح على ثبوت تهمة التمرد عليها. ونفي تهمة التمرد عنها بعد ثبوتها مكابرة. ولم تقم بتمردها الفاشل إلا بعد أن مهَّد لها الطريق الجيل الأول من المتمردين.

روى الحاكم النيسابوري عن حيان الأسدي سمعت علياً يقول: قال لي رسول الله ﷺ: إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي. من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا. يعني لحيته من رأسه[2].

وعن أبي إدريس الأودي عن عليّ رضي الله عنه قال: إن مما عهد إلى النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي بعده[3].

لقد أخبر النبي ﷺ أمير المؤمنين بأن الأمة ستغدر به بعد وفاته دون فاصل زمني وهنا نطرح سؤالاً: من الذي تزعَّم الغدر؟!

فقد روى ابن قتيبة فصلاً من فصول مؤامرة المتمردين حين قال: (ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟!)[4].

لقد استغاثت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأبيها من فعل عمر بن الخطاب وأبي بكر. فلماذا استغاثت بأبيها من فعل هذين الرجلين بالذات؟! هل استغاثت بأبيها منهما لأنهما من الأنصار والأعوان والمدافعين عنها وعن زوجها؟! أم أنها استغاثت بأبيها منهما لأنهما من المتمردين الكبار عليها وعلى زوجها؟!

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٦٦.

(٢) المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٤٢.

(٣) المستدرك: الحاكم ج٣ ص١٤٠، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٣ ص١١٥ ـ ١١٦.

(٤) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٣٠.

لنستمع لما يقوله ابن قتيبة: (إن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليّ كرَّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقنها على من فيها!! فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة!! فقال وإن!!)[1].

فقد أرسل أبو بكر صاحبه عمر بن الخطاب لأمير المؤمنين عليه السلام والمسلمين المجتمعين في داره لإخراجهم للبيعة، وقد هدَّدهم عمر بن الخطاب بإحراق البيت عليهم جميعاً، ولما قيل له إن فاطمة الزهراء في البيت، قال: وإن كانت فيه!! فهل الذي يدلي بهذا التصريح الغادر يكون من الأعوان؟! أم يكون أحد المتمردين العتاة؟! لا شك أن الذي يقوم بهذا العدوان الأثيم على بيت الرسالة من المتمردين الكبار لا من الأعون. ولو كان من الأعوان لما استغاثت فاطمة الزهراء عليها السلام بأبيها منه ومن صاحبه.

وروى البلاذري بسنده عن ابن عباس: (بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليّ رضي الله عنهم حين قعد عن بيعته وقال: إئتني به بأعنف العنف!!)[2]. فهذا الأمر العنيف لا يصدره إلا رجل متمرد على أمير المؤمنين عليه السلام عن عمد وسبق إصرار.

وروى أيضاً: (أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر ومعه فتيلة!! فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرقاً عليَّ بابي؟! قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك!!)[3].

فهذه الشواهد كلها تدل على عنف التمرد وشدته، وأن أصحاب ذلك التمرد من المتمردين الكبار لا من صغارهم. وأن تمردهم عن علم ودراية بقدسية الضحايا، لا عن جهل وسذاجة. فمن العار نفي التمرد عن هؤلاء المتمردين العتاة.

والشي الذي يحز في النفس ما قام به أبو بكر حين بعث عمر بن الخطاب إلى

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٣٠.
(٢) أنساب الأشراف: البلاذري ج١ ص٥٨٧.
(٣) أنساب الأشراف: البلاذري ج١ ص٥٨٦.

أمير المؤمنين عليه السلام ليخرجه من بيته بأعنف العنف وهو يعرف قدسية ذلك البيت وقدسية أصحابه من جانب، وخشونة الرجل الذي بعثه وشدة رعونته وفظاعة همجيته من جانب آخر.

فقد روى السيوطي: (أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: «في بيوت أذن الله أن ترفع». فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ ـ لبيت علي وفاطمة ـ قال: نعم، من أفاضلها)[1].

فقد هجم عمر بن الخطاب ـ بأمر من أبي بكر ـ على بيت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام، وهمَّ بإحراقه علانية أمام أعين المسلمين. ذلك البيت المقدس الذي إذا قورن ببيوت الأنبياء عليهم السلام كان من أفاضلها. والشيء الذي يحز في النفس أن الذي بعث عمر بن الخطاب للهجوم على بيت أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام فهمَّ بإحراقه على أصحابه هو أبو بكر نفسه الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام إذا كان من البيوت المشمولة بقوله: «في بيوت أذن الله أن ترفع» أم لا، فقال نبي الرحمة صلى الله عليه وآله: نعم، من أفاضلها.

فقد أرسل رجلاً متمرداً من كبار المتمردين عن عمد وسبق إصرار وسابق معرفة للهجوم على بيت إذا قورن ببيوت الأنبياء عليهم السلام كان من أفاضلها. وبعملهما الشائن هذا صارا من كبار المتمردين وعتاتهم. وهما اللذان مهَّدا الطريق للمتمردين الآخرين كي يتمردوا على أمير المؤمنين عليه السلام. فلا يوجد إنسان عاقل عنده ذرة من الإيمان لا يعتبر ذلك الهجوم الوحشي على ذلك البيت المقدس

---

(١) الدر المنثور: السيوطي ج٥ ص٥٥، شواهد التنزيل: الحسكاني الحنفي ج١ ص٤١٠، تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي ج٢ ص٧٩، تفسير فرت الكوفي: فرات الكوفي ج١ ص٢٨٦، مجمع البيان: الطبرسي ج٧ ص١٤٤، تفسيرنور الثقلين: الشيخ عبد علي الحويزي ج٣ ص٦٠٧، البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني ج٣ ص١٣٧ ـ ١٣٩، الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي ج١٥ ص١٤٢، نفحات القرآن: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج٩ ص٣٥٤، تأويل الآيات الظاهرة: السيد شرف الدين الاسترابادي ص٣٥٩، تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله صلى الله عليهم: محمد بن العباس البزاز ص ١٨٥ ـ ١٨٦، كشف الغمة: الإربلي ج١ ص٣١٩، العمدة: ابن البطريق ص٢٩١، غاية المرام: السيد هاشم البحراني ص٣١٧ ـ ٣١٨، مناقب علي بن أبي طالب: ابن مردويه ص٢٨٤، فضائل أمير المؤمنين: الحافظ ابن عقدة الكوفي ص١٩٩.

هجوماً تمردياً، وأن المهاجمين ليسوا من المتمردين الكبار. فليس عجباً أن تصرخ فاطمة الزهراء عليها السلام بأعلى صوتها: (يا أبتِ يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟!). فتلك الصرخة الأليمة من سيدة نساء العالمين التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها تدل على شدة عنف المتمردين، وشدة وقع تمردهم عليها وعلى أفراد أسرتها المطهرين من الرجس.

فهذه الشواهد التي تطفح بالعنف تدل على أن أصحابها من المتمردين، بل من عتاة المتمردين من الجيل الأول الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (إن الأمة ستغدر بك بعدي). وهذا العمل الذي قاموا به مصداق واضح للغدر. وقد صوَّر ابن قتيبة أبشع صور الغدر حين قال: (فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك!! فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، فقال عمر: اما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا!!)[1].

لقد بلغوا الغاية في التمرد، وقد صرَّح رئيس المتمردين بضرب عنق أمير المؤمنين عليه السلام إن امتنع عن بيعة صاحبه أبي بكر وقد أكد على قيامه بذلك بالقسم بالله العظيم. والذي لا يعترف بأن هذا التصرف الجائر تمرد فهو من المتمردين الصغار الذي يدافع عن سادته المتمردين الكبار.

وذكر مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير: قال: قال ابن عباس: يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بلَّ دمعه الحصى. فقلت: يا بن عباس! وما يوم الخميس؟ قال: اشتدَّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه. فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي. فتنازعوا. وماينبغي عند نبي تنازع. وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟! استفهموه. قال: دعوني. فالذي أنا فيه خير. أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. قال: وسكت عن الثالثة. أو قالها فأنسيتها[2]. وفي صحيح البخاري: (فقالوا: هجر رسول الله!!).

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٣٠.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٤، صحيح البخاري ج٤ ص٨٥، تاريخ الطبري: ج٣ ص١٩٣، الكامل: ابن الأثير ج٢ ص١٨٥، البداية والنهاية: ابن كثير ج٥ ص٢٤٧.

فمن الذي قال: هجر رسول الله ـ أو: ما شأنه؟ أهجر؟! فلم يصرح مسلم والبخاري بالقائل، وإنما نسباه إلى مجموعة من الناس (قالوا: ....). لكن محققي صحيح مسلم قد أشارا في الهامش إلى القائل في بيان شرحهما للحديث: (الكتاب الذي همَّ الرسول ﷺ به قيل: هو النص على الخلافة في إنسان معين حتى لا يكون نزاع!! وقيل لبيان مهمات الأحكام. وكان الرسول ﷺ همَّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك، ثم ظهر أن المصحلة تركه. وأما كلام عمر فهو من دلائل فقهه وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً بما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للإجتهاد فيها. فقال عمر: حسبنا كتاب الله وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ. فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه. قال البيهقي في (دلائل النبوة): إنما قصد عمر التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلبه الوجع، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره!!)[1].

فقد أشار المحققان إلى أن القائل (هجر رسول الله ـ ما شأنه؟ أهجر؟ ـ غلبه الوجع حسبنا كتاب الله) هو عمر بن الخطاب. ونسألهما: ما اسم الصحابي الذي أراد رسول الله ﷺ أن ينص عليه بالخلافة فمنعه عمر وقال: حسبنا كتاب الله؟! ثم، ما الدليل على أن هذه المعارضة الفجة التي تبناها عمر بن الخطاب من دلائل فقهه وفضائله ودقيق نظره؟! ومن قال بأن عمر بن الخطاب أراد الترفيه على رسول الله ﷺ؟! فلماذا تتقوّلون عليه مالم يرده؟! ومتى كان عمر بن الخطاب أفقه من ابن عباس وهو حبر الأمة؟ وكيف حكمتم على أن قصد عمر من تلك المعارضة المكشوفة هو التخفيف على رسول الله ﷺ؟! ولو كان قصده التخفيف على رسول الله ﷺ لما طرده وطرد أصحابه من الغرفة.

فالشي الذي نريد أن نؤكد عليه بأن عمر بن الخطاب هو أحد المتكلمين والمتفوهين بذلك الكلام، وأحد المعارضين الذين منعوا رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب. لكن ماذا قال بالضبط لرسول الله ﷺ؟!

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٤ (في الهامش): تحقيق وتعليق: د. موسى شاهين لاشين، د. أحمد عمر هاشم.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس، أنه قال: يوم الخميس! وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه. حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله ﷺ: (ائتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقالوا: إن رسول الله يهجر!!)[1].

فبمجرد أن طلب النبي ﷺ من الحاضرين أن يحضروا له دواة وكتف ليكتب لهم كتاباً يمنعهم من الضلال إلى يوم القيامة (لن تضلوا بعده أبداً) جابهوه بتلك الكلمة القارصة (إن رسول الله ﷺ يهجر!!). وهذه الكلمة خطيرة جداً تدل على أن قائليها لا يحبون الهداية النبوية بل يفضلون عليها الضلال إلى الأبد. والذين تفوهوا بتلك الكلمة القارصة مجموعة من الصحابة يخضعون إلى قائد من قوادهم (فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر!!). لكن من هذا القائد الذي وصف الرسول ﷺ بالهجر؟

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده. فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع. وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله!! فاختلف أهل البيت. فاختصموا. فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر!! فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قوموا[2].

فقد انقسم الحاضرون الى فريقين:

١ ـ فريق يطالب بإحضار الكتف والدواة لرسول الله ﷺ ليكتب للمسلمين كتاباً إذا تمسكوا به وعملوا بمضمونه يحفظهم من الضلال إلى يوم القيامة (لن تضلوا بعده).

٢ ـ وفريق آخر يمنع بكل قوة وعنف وصلف إحضار الدواة والكتف لكي لا يكتب رسول الله ﷺ كتابه الذي يعصم الأمة من الضلال. ويؤيد عمر بن الخطاب ويردد أقواله (ومنهم من يقول ما قال عمر!!).

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٥، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٩٣.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٥.

لكن ماذا قال عمر؟ لقد ذكر الحديث السابق بأن عمر بن الخطاب قد تزعَّم تلك المجموعة الرافضة كتاب النبي ﷺ وقال: (إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع!! وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله!!). فإذا كان عمر بن الخطاب قد تفوَّه بهذا القول حتماً وأخذ أصحابه يردّدون كلامه، فمن الذي قال: (إن رسول الله ﷺ يهجر ـ ما شأنه؟ أهجر ـ هجر رسول الله)؟! والذين تفوهوا بتلك الكلمات القارصة مجموعة وليس واحداً. فأين قولهم لهذا الكلام من ترديدهم لما قال عمر؟! فيبدو أن الموضوع قد تلاعب فيه أصحاب النفوس المريضة. فلا بد من كشف تلاعبهم وبيان الحقيقة.

ونستشف من هذا الحديث السابق بأن عمر بن الخطاب هو زعيم المجموعة التي واجهت النبي ﷺ ومنعته من كتابة الكتاب الذي يعصم الأمة من الضلال. وقيامهم بترديد أقواله التي تخالف إرادة النبي ﷺ أكبر دليل على أنه زعيم المجموعة وقائدها الروحي.

لكن البخاري روى الحديث وتلاعب فيه بالتحريف ولم يذكر اسم عمر بن الخطاب كما ذكره مسلم في صحيحه، وهو يظن أنه قد أسدى خدمة لعمر بن الخطاب حين تلاعب بالحديث النبوي من أجل التغطية على موقف زعيم تلك المجموعة ولم يدر المسكين أن رجال الحديث والمؤرخين قد أثبتوا وجوده وذكروا أقواله. وهو بهذا الموقف المخجل قد بيَّن للناس مستوى أمانته في رواية الحديث النبوي[1].

وذكر ابن أبي الحديد عن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ: ائتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي، فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ!! ثم قال: عندنا القرآن. حسبنا كتاب الله!! فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ: ومن قائل يقول: القول ما قال عمر!! فلما أكثروا اللغط واللغو والإختلاف، غضب رسول الله، فقال: قوموا، إنه لا ينبغي لنبي أن

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج٦ ص١١ ـ ١٢، البداية والنهاية: ابن كثير ج٥ ص٢٤٨.

يختلف عنده هكذا!! فقاموا. فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم. فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ. يعني الإختلاف واللغط[1].

فقوله: (فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله...) هذا تحريف عن عمد وسبق إصرار. نحن لا نريد الترجمة غير الأمينة لكلمته، وإنما نريد أن نعرف كلمته التي قالها عينها، ولا نريد ترجمتها غير الأمينة. فالموقف خطير، والكلمة التي تفوَّه بها عمر بن الخطاب تدل دلالات جمة على فكره وعقيدته ونفسيته ومدى خضوعه لأوامر رسول الله ﷺ وموقفه من كتابه الذي يعصم الأمة من الضلال.

وتأمل في قوله: (فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، ومن قائل يقول: القول ما قال عمر!!). فمن عجائب الدهر أن ينقسم الحاضرون في بيت رسول الله ﷺ من الصحابة إلى قسمين.

١ ـ قسم يقول ما قال رسول الله ﷺ وهو وجوب الإتيان بالدواة والكتف لرسول الله ﷺ لكي يكتب كتاباً للأمة يحفظها من الضلال إلى يوم القيامة كما أراد رسول الله وكما أمره ربه عزّ وجلّ.

٢ ـ وقسم ثانٍ يقول ما قال عمر بن الخطاب حين قال: (كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ، ثم قال: عندنا القرآن. حسبنا كتاب الله!!). فهذا الفريق قد أخذ يردد الكلام النابي لعمر بن الخطاب ضد إدارة نبي الرحمة ومطلبه. وأصرَّ على رفضه كتابة الكتاب الذي يعصم الأمة من الضلال. وقد أفصح أعضاء هذا الفريق عن التمرد العلني في رفض كتاب النبي والتحدي العلني لإرادة النبي ﷺ، والإدِّعاء ظاهراً الإكتفاء بالقرآن الكريم (حسبنا كتاب الله!!). وقد أصرَّ أعضاء هذا الفريق على مواجهة النبي ﷺ فيما أراد والتأييد المطلق لأقوال عمر بن الخطاب وأهدافه في بيت الوحي والرسالة. وقد تكللت اهداف أعضاء هذا الفريق بالنجاح عندما استطاعوا أن يثيروا اللغط واللغو والإختلاف فغضب عليهم نبي الرحمة ﷺ فطردهم من البيت (فلما أكثروا اللغط واللغو

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٥١.

والإختلاف، غضب رسول الله فقال: قوموا، إنه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا!!).

على من غضب رسول الله ﷺ؟! هل غضب على الفريق الذي التزم بأوامره وقال: القول ما قال رسول الله؟ أم غضب على أعضاء الفريق الآخر الذين عصوا أوامره وقالوا: القول ما قال عمر بن الخطاب؟! فالمسلم العاقل الغيور على دينه يستطيع أن يتعرف على الفريق الذي غضب عليه الرسول ﷺ بشكل واضح لا لبس فيه. فمن غير المعقول أن يغضب نبي الرحمة على الذين يلتزمون بأوامره ويسارعون في تنفيذ مطالبه. ومن غير المعقول أن يرضى عن الذين يعصون أوامره ويتحدَّون إرادته ويؤيِّدون شخصاً وقف نداً له عندما منعه من كتابة الكتاب الذي يحفظ أمته من الضلال.

وهنا يثار سؤال. ماذا قال أعضاء فريق عمر للنبي ﷺ؟ وماذا قال عمر بن الخطاب نفسه للنبي ﷺ حتى ردَّده أعضاء ذلك الفريق؟ لقد ذكر مسلم والبخاري والطبري وابن الأثير وابن كثير أن الحاضرين من أتباع عمر بن الخطاب قالوا: (ما شأنه؟ أهجر؟ ـ هجر رسول الله ـ إن رسول الله ﷺ يهجر)[1].

وروى مسلم في صحيحه وابن أبي الحديد عن شيخه أبي بكر الجوهري أن عمر قال: (كلمة معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله ﷺ، ثم قال: عندنا القرآن. حسبنا كتاب الله!!)[2]. ثم أخذ أعضاء الفريق العمري يردد أقوال عمر بن الخطاب. فهل تنازل أعضاء الفريق العمري عن أقوالهم وتبنّوا قول عمر بن الخطاب؟! أم أن قولهم هو قول عمر بن الخطاب عينه وقد تصرف فيه علماء السوء ونقلوه بالمعنى حفظاً لكرامته دون الإكتراث لكرامة رسول الله ﷺ؟!

فمهما حاول علماء السوء إخفاء الحقيقة بشتى الحيل والأساليب إلا أن الله يظهرها لطلابها وإن رغمت فيها أنوف أصحاب الضمائر الميتة. روى سبط ابن الجوزي: (لما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: ائتوني بدواة وبياض

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥، صحيح البخاري ج٤ ص٨٥، تاريخ الطبري: ج٣ ص١٩٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص١٨٥، البداية والنهاية: ابن كثير ج٥ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٥، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٥ ص٥١.

لأكتب لكم كتاباً لا تختلفون فيه بعدي. فقال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر!!)[1]. فقد اعترف سبط ابن الجوزي بأن الذي اتهم نبي الرحمة ﷺ بالهجر هو عمر بن الخطاب. وما قول الحاضرين الآخرين (أهجر؟ ـ هجر رسول الله ـ إن رسول الله يهجر). إلا ترديد لأقوال عمر بن الخطاب. وما كلمة (غلبه الوجع) إلا ترجمة غير أمينة لكلمة (إنه ليهجر) وتحريف لها لطمس معالم الجريمة وحفظ كرامة الرجل حتى لو أدى إلى ضلال الأمة فحفظ كرامة عمر بن الخطاب أهم عند أتباعه من حفظ الأمة من الضلال.

وتأمل في قول عمر: (دعوا الرجل فإنه ليهجر!!). فلم ير حرمة للرسالة والنبوة وإنما اعتبر النبي ﷺ مجرد رجل لا غير، فلا ضير في مخالفته وترك أوامره، وعصيانه والتمرد عليه، وقوله: (دعوا. . . .) أمر مباشر لأتباعه بترك أوامره وعدم تنفيذ ما يريد. ولما حاول بعض الحاضرين الإتيان بالدواة والكتف أخذ أتباعه يردّدون أقواله (القول ما قال عمر) متجاهلين النبي ﷺ تماماً.

وفي المعجم الوسيط: هجر المريض: هذى. ويقال: هجر في مرضه وفي نومه[2]. وهذى فلان هذياً وهذياناً: تكلم بغير معقول لمرض أو غيره. والهذيان: اضطراب عقلي مؤقت يتميز باختلاط أحوال الوعي[3].

فقد اتهم عمر نبي الرحمة ﷺ بالهذيان وأنه يتكلم بكلام غير معقول حين طلب الدواة والكتف ليكتب للمسلمين كتاباً لا يضلون بعده أبداً. وأخذ أتباعه يردّدون كلامه (هجر رسول الله ـ رسول الله يهجر) وأثاروا اللغط واللغو والإختلاف حتى غضب عليهم رسول الله ﷺ وطردهم من الدار. وهذا الإتهام خطير للغاية يكشف عن مرمى الرجل على المدى القريب والبعيد. وما تأييد مجموعة من الحاضرين لاقوال عمر (هجر رسول الله ـ رسول الله يهجر) وموقفهم ضد نبي الرحمة وتحديهم له ذلك التحدي المكشوف إلا حلقة من حلقات التمرد والعصيان موجهة ضده وضد خليفته المعيَّن الذي أراد أن ينص عليه نصاً مكتوباً

---

(١) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٨ ـ ٦٩.
(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص٩٧٢ (مادة: هجر).
(٣) المعجم الوسيط: ج٢ ص٩٧٩ ـ ٩٨٠ (مادة: هذى).

حتى يحفظ الأمة من الضلال والإنحراف، فوقف عمر بن الخطاب وأعوانه له بالمرصاد. وأثاروا لغطاً ولغواً واختلافاً وتمرداً قرَّر الرسول ـ وهو نبي الرحمة ـ على أثره أن يغضب عليهم ويطردهم من الدار. وترتفع روحه الزكية الطاهرة إلى باريها وهي مكسورة الخاطر من ذلك التمرد العلني المكشوف.

وقد صرَّح عمر بن الخطاب أيام خلافته بدوره القيادي في ذلك التمرد بكل وضوح لا لبس فيه رغم محاولة أتباعه نفيه وتحريف مداليله.

روى ابن عباس رضي الله عنه قال: دخلت على عمر بن الخطاب في أول خلافته وقد ألقي له صاع من تمر على خصفة، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرٍّ كان عنده، واستلقى على مرفقة له، وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلَّفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبد الله بن جعفر. قلت: خلَّفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلَّفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله، عليك دماء البدن إن كتمتنيها!! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله ﷺ نصَّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك، سألت أبي عمَّا يدعيه، فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذروٌ من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرِّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام!! لا وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً!! ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أني علمت ما في نفسه، فأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم[1].

فقد صرَّح بكل وضوح بدوره القيادي في التمرد على رسول الله ﷺ وعلى خليفته المعيَّن أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام!!). وإنكار دوره في قيادة التمرد بعد هذا التصريح الذي خرج من لسانه خيانة للإسلام والمسلمين.

وروى ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٢ ص٢٠ ـ ٢١. بحار الأنوار: المجلسي ج٣٠ ص٢٤٣.

يوماً يسير على بعيره فاتبعته، فقال لي: يا بن عباس، أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه واجداً، فيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم، قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة، قلت: هو ذاك، إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له. فقال: يا بن عباس، وأراد رسول الله ﷺ الأمر فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟! إن رسول الله ﷺ أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسول الله!! أوكلما أراد رسول الله ﷺ كان؟! إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم!! وقد روى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ، وهو قوله: إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة!! وانتشار الإسلام!! فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم[1].

فقد صرَّح بدوره البطولي في التمرد على رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام حين قال: (إن رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار أمر الإسلام!!). فقد صرَّح في كلامه بأن نبي الرحمة أراد أن يوصي لأمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة وأراد أن يوثقها بنص مكتوب في الكتاب الذي أراد أن يكتبه فصدَّه عن ذلك بحجة الخوف من الفتنة وانتشار أمر الإسلام!! وهذا الذي قام به هو التمرد عينه. بل كان أصلاً لكل تمرد حدث فيما بعد. وقد بلغ الغاية في تمرده، وعبَّد الطريق لكل المتمردين، ولولاه لتولى أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة وحفظ الأمة من الضلال.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بالمتمردين وذكر منهم عمرو بن يثربي الضبي[2]. فهل أخبره باسماء المتمردين الآخرين؟

قد قال المتمرد عمرو بن يثربي الضبي لأمير المؤمنين عليه السلام: (أما والله لو وصلت إليك لعضضت أنفك عضة أبنته منك!!) حسب رواية ابن أبي الحديد. وقال له: (أما والله ولو وصلت إليك لقطعت أذنك ـ أو قال: أنفك) حسب رواية ابن أعثم الكوفي[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١٢ ص٧٨ ـ ٧٩.

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٩، كتاب الفتوح: ابن اعثم الكوفيج٢ ص٤٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٩، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٧.

فإذا كان عمرو بن يثربي الضبي من المتمردين لأنه نوى أن يعض أنف أمير المؤمنين عليه السلام ويقطعه، أو يعض أذنه فيقطعها، فكيف بمن جمع الحطب على باب بيت أمير المؤمنين وحلف بحرق الدار بمن فيها وهو يعلم أن فيها أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام؟![1]. لا شك أن جريمة حرق بيت أمير المؤمنين عليه السلام عليه وعلى زوجته وأولاده أكبر إثماً من عض أنفه وأذنه وقطعهما. وما دام صاحب تلك الجريمة الصغيرة متمرداً فصاحب جريمة حرق بيته من كبار المتمردين.

وإذا كان عمرو بن يثربي الضبي من المتمردين لأنه نوى أن يعض أنف أمير المؤمنين عليه السلام ويقطعه، أو يعض أذنه، فكيف بمن قال لأمير المؤمنين عليه السلام (إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك!!)؟[2]. لا شك أن صاحب هذا القول أكثر تمرداً من المتمرد الضبي.

وإذا كان عمرو بن يثربي الضبي متمرداً لنيته القيام بذلك العمل السيِّء. فكيف بمن دخل في مواجهة مع نبي الرحمة صلى الله عليه وآله ومنعه عن عمد وسبق إصرار من كتابة الكتاب في إسناد الخلافة لأمير المؤمنين كما صرَّح بذلك؟[3].

لا شك أن نسبة التمرد إلى عمر بن الخطاب ثقيلة على نفسيات أتباعه، لكن الأدلة الدامغة هي التي قادتنا إلى ذلك، وقد وثقنا كل المصادر التي بيَّنت تمرده المكشوف. والحق أحق أن يتبع.

ولم يقتصر التمرد على من ذكرنا. فقد كان الزبير وطلحة وعائشة من كبار المتمردين. فإذا كان عمرو بن يثربي الضبي متمرداً وهو أحد ضباط جيش الناكثين، فكيف لايكون قادة ذلك الجيش من المتمردين؟!

روى البلاذري بسنده عن الزهري قال: لما وقف علي وأصحاب الجمل،

---

(١) انظر: الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٣٠، أنساب الأشراف: البلاذري ج١ ص٥٨٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة ج١ ص٣٠

(٣) انظر: صحيح مسلم ج٣ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥، صحيح البخاري ج٤ ص٨٥، ج٦ ص١١ ـ ١٢، تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٢ ص١٨٥، البداية والنهاية: ابن كثير ج٥ ص٢٤٧، ٢٤٨، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٥ ص٥١، ج١٢ ص٢٠ ـ ٢١، ٧٨ ـ ٧٩، وتذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٦٨ ـ ٦٩.

خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا، فقال له علي: ما جاء بك؟ قال: جاء بي أني لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا!! فقال له علي: لست أهلاً لها بعد عثمان؟ قد كنا نعدُّك من بني عبد المطلب حتى نشأ ابنك ابن السوء ففرَّق بيننا وبينك. وعظَّم عليه أشياء وذكر أن النبي ﷺ مرَّ عليهما، فقال لعلي: ما يقول ابن عمتك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم!! فانصرف عنه الزبير وقال: فإني لا أقاتلك. ورجع إلى ابنه عبد الله بن الزبير، فقال: ما لي في هذه الحرب من بصيرة!! فقال: لا ولكنك جبنت عند لقاء عليّ حين رأيت راياته فعرفت أن تحتها الموت. قال: فإني قد حلفت أن لا أقاتله. قال: فكفِّر عن يمينك بعتق غلامك سرجس. فأعتقه وقام في الصف معهم!!)[1].

فقول الزبير: (جاء بي أني لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا) دليل واضح على تمرده على إمامه أمير المؤمنين وإمامته. وقد شجعته مشورة عمر بن الخطاب على التمرد على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام. ولو لم يدخله عمر بن الخطاب ضمن الرجال الستة لما تمرد على إمامه وادَّعى أنه أولى بالخلافة منه.

ولما ذكَّره أمير المؤمنين عليه السلام بما قال له نبي الرحمة ﷺ رجع له وعيه بعض الشيء لكنه سرعان ما عاد إلى تمرده، وكفَّر عن يمينه بعتق غلامه (سرجس) وبقي في أرض المعركة ولم ينسحب (فأعتقه وقام في الصف معهم!!). وقيامه بعتق غلامه وبقاؤه في المعركة وقيامه في الصف دليل واضح على أن الرجل لم يعرف التوبة، وإنما فرَّ من المعركة، وأنه لم ينسحب منها إلا بعد هزيمة جيش الناكثين.

والذي يؤكد على بقائه في المعركة، وأنه لم ينسحب منها إلا بعد هزيمة جيش الناكثين ما رواه الطبري: (حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح، فقال أتريد أن تقتلني؟ قال: لا، انصرف. وقال عامر بن حفص: اقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح، فقال: أتقتلني يا أبا اليقظان؟! قال لا يا أبا عبد الله)[2].

فلم يحمل عمار بن ياسر على جيش الناكثين إلا بعد أن أصدر أمير

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٥٥، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٤، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٢٨، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٦.

المؤمنين عليه السلام أوامره بقتال القوم. ولم يصدر أمير المؤمنين عليه السلام أوامره بالقتال إلا بعد أن بدأ جيش الناكثين بالقتال وعقروا أصحابه بالنبال، وقد قدَّم أمير المؤمنين عليه السلام عدداً من القرابين الطاهرة قبل أن يأمر أصحابه بقتال القوم. فوجود الزبير في أرض المعركة إلى أن قام عمار بن ياسر يحوزه بالرمح دليل على بقائه في ساحة المعركة وإنه فرَّ منهزماً لا تائباً بعد هزيمة جيش الناكثين.

وروى البلاذري: (وقال أبو مخنف وغيره: مضى الزبير حين هُزم الناس، يريد المدينة حتى مرَّ بالأحنف أو قريباً منه، فقال الأحنف رافعاً صوته: ما أصنع إن كان الزبير لفَّ بين غارين من المسلمين، فضرب أحدها بالآخر، ثم يريد اللحاق بقومه)[1].

فقوله: (مضى الزبير حين هُزم الناس!!) دليل واضح على بقائه في المعركة، ولم يخرج منها إلا منهزماً بعد هزيمة جيش الناكثين. كما أن كلام الأحنف يؤكد ذلك الإستنتاج.

وذكر ابن طباطبا: (فأما الزبير فإنه لما رأى النصرة عليهم ردَّ رأس فرسه ومرَّ، فتبعه رجل من عرب البصرة فتبعه عمير بن جرموز فقتله بوادي السباع)[2].

أي أنه لم يترك أرض المعركة إلا بعد أن لاح انتصار جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وبانت هزيمة جيش الناكثين، ففي هذه الحالة التي فقد فيها اليأس بالظفر فرَّ منهزماً خائباً يائساً لا تائباً. فماذا كان يعمل في أرض المعركة إلى أن انهزم جيشه الناكث؟! فلماذا لا يقاتل الناكثين إن تاب توبة حقيقية؟ ولماذا لم ينسحب قبل نشوب القتال؟!

لما طلب أمير المؤمنين عليه السلام من أفراد جيشه أن يقوم أحدهم بحمل المصحف إلى جيش الناكثين يدعوهم إلى الإحتكام إليه، فقام فتى شاب لهذه المهمة وذهب لهم (حمل القوم على الفتى وبيده المصحف، فقطعت يداه، فأخذه بأسنانه حتى قتل. فقال علي لأصحابه: قد طاب لكم الضراب. فقاتلوهم، فالتحمت الحرب،

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٥٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٦.

(٢) الفخري: ابن طباطبا ص٨٧.

واشتدَّ القتال إلى العصر. ثم انهزم أصحاب الجمل وعائشة يومئذٍ في هودجها على الجمل الذي يقال له «عسكر» وانهزم الزبير نحو وادي السباع، وتشاغل الناس عنه، واتبعه قوم. فلما رأى الفرسان تتبعه كرَّ عليهم. فلما عرفوه رجعوا عنه وتركوه. وكان عليّ وصَّاهم ألا يتبعوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح)[1].

أي أن الزبير قد بقي في ساحة المعركة إلى أن التحمت الحرب واشتدَّ القتال إلى العصر ولما انهزم أصحاب الجمل انهزم معهم الزبير نحو وادي السباع. فماذا كان يفعل في ساحة المعركة في ذلك الوقت؟!

وقوله: (وتشاغل الناس عنه، واتَّبعه قوم. فلما رأى الفرسان تتبعه كرَّ عليهم. فلما عرفوه رجعوا عنه وتركوه) دليل واضح على بقائه في أرض المعركة أثناء القتال إلى أن انهزم الناكثون فانهزم مع المنهزمين بدون توبة. وإلا فما الداعي إلى بقائه إلى وقت الهزيمة لو كانت توبته توبة حقيقية؟! ولو تاب وانسحب قبل نشوب القتال لما تبعه الفرسان. والذين تبعوه بعد الهزيمة فرسان من جيش أمير المؤمنين عليه السلام. وقوله: (كرَّ عليهم) يؤكد ذلك. وفرسان أمير المؤمنين لم تتعرض لأحد من الناكثين قبل نشوب الحرب. وهذه الحادثة تؤكد على بقائه إلى وقت الهزيمة. فماذا كان يفعل في صفوف جيش الناكثين أثناء اشتداد القتال؟!

وقال ابن مسكويه: (وذمرت عائشة الناس لما رأت أن الناس لا يريدون غيرها ولا يكفون. فازدلفت مضر البصرة، فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم عليّ. فكانت الحرب صبيحة هذا اليوم مع طلحة والزبير، فلما انهزم الزبير، وأصيب طلحة وذلك بعد الظهر صارت الحرب مع عائشة)[2].

فمن خلال الخبر السابق إلذي رواه ابن مسكويه اتضح أن الزبير قاد الحرب مع صاحبه طلحة ضد أمير المؤمنين عليه السلام من الصباح إلى ما بعد الظهر، فلما أصيب طلحة بعد الظهر وانهزم الزبير قادت عائشة الحرب لوحدها إلى النهاية. فلا يمكن للقائد أن يقود حرباً تقليدية في ذلك الزمن ولا يباشرها بنفسه. ولو كان تائباً حقاً، فما معنى قيادته للحرب الظالمة ضد إمامه من الصباح إلى ما بعد الظهر؟!

---

(١) تجارب الأمم، ابن مسكويه ج١ ص٣٢٣.

(٢) تجارب الأمم، ابن مسكويه ج١ ص٣٢٤.

فقيادته للحرب دليل واضح على عدم توبته. وقول ابن مسكويه (. . . فلما انهزم الزبير) دليل آخر على مباشرته للحرب. فلا يوصف أحدٌ بالهزيمة إلا المحارب الذي خاض غمار الحرب فلم يحالفه النصر. أما الشخص الذي تاب وانسحب قبل نشوب الحرب فلا يوصف بالمنهزم.

وقول نبي الرحمة ﷺ للزبير (ولتقاتلنه وأنت له ظالم)[1]. يؤكد مباشرة الزبير للحرب بل قيادته لها. أما المسعودي فقد روى قول النبي ﷺ للزبير بهذا النحو: (إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم)[2]. وهذا القسم يؤكد قتال الزبير لإمامه وعدم توبته، وإنما فرَّ من المعركة منهزماً.

وذكر الشيخ المفيد: (وولَّى الزبير منهزماً فأدركه ابن جرموز فقتله)[3]. . فكل من كتب عن حرب الجمل يؤكد على هروب الزبير من المعركة منهزماً لما آيس من النصر.

وذكر أيضاً: (روى المفضل بن فضالة عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم قال: هرب الزبير على فرس له يدعى بذي الخمار. . . . إذ أُتي الأحنف بن قيس برجل فقال له: أريد أن أسرَّ إليك سراً. فقال: ادن مني. فدنا منه. فقال: هذا الزبير قد هرب)[4].

وذكر أيضاً: (وهرب الزبير فارّاً إلى المدينة حتى أتى وادي السباع فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع بالزبير قد لفَّ بين غارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضاً ثم هو يريد اللحاق بأهله)[5].

فقد هرب من المعركة فاراً لا تائباً، وقول الأحنف يؤكد هروبه بعدأن قتل بعضهم بعضاً. وروى البلاذري بسنده عن يحيى بن سعيد قال: كتب معاوية إلى الزبير: أن أقبل إليَّ أبايعك ومن يحضرني. فكتم الزبير ذلك عن طلحة وعائشة ثم

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٠.
(٢) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٣.
(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٧٦.
(٤) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٨٦.
(٥) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٩٠.

بلغها فكبر ذلك عليها، وأخبرت عائشة به ابن الزبير فقال لأبيه: أتريد أن تلحق بمعاوية؟ فقال نعم، ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر!! ثم بدا له في ذلك، وأحسب كان حلف ليفعلنَّ فدعا غلاماً له فأعتقه وعاد إلى الحرب[1].

فقد أعتق غلامه وعاد إلى الحرب. فلماذا عاد إلى الحرب؟ وماذا كان يفعل فيها إلى أن هرب؟ وهل عودته للحرب تدل على التوبة؟ فقد هرب من الحرب بعد أن آيس من النصر، واتجه إلى المدينة لكي يمضي منها إلى الشام لاستلام منصب الخلافة من الطليق بن الطليق معاوية بن أبي سفيان، فقد ظل منصب الخلافة يراود خياله ولم ينسه في أحلك الظروف. وقد فرَّ من المعركة لسببين:

السبب الأول: إنه يئس من النصر فلاذ بالفرار خوفاً على حياته. فقد وهب نفسه للملك والتسلط على رقاب العباد، ولم يوطِّن نفسه على القتل والشهادة.

السبب الثاني: أراد من هروبه من المعركة اللحاق بمعاية في الشام لاستلام منصب الخلافة منه على طبق من ذهب. وقد أكَّد على هذا السبب بكل وضوح حين سأله ابنه عبد الله: (أتريد أن تلحق بمعاوية؟ فقال نعم، ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر!!). فلما فشل في تحقيق هدفه بقوة السلاح هرب من المعركة وتوجه إلى المدينة ثم يعرج على الشام ليستلم مقاليد الأمور على طبق من ذهب كما وعده معاوية. وهناك لم يجد منازعة في الأمر من صاحبه ابن الحضرمية.

وتأمل في قوله لصاحبه طلحة (ابن الحضرمية) فلم ينسبه لأبيه وإنما نسبه لأمه. ومن أراد أن يعرف مدلول كلامه فليرجع إلى مظانه[2].

وذكر ابن طباطبا: (ثم إن الزبير عزم على ترك الحرب فخدعه ابنه عبد الله وما برح حتى كفَّر عن يمينه وقاتل!!)[3]. فقد صرَّح ابن طباطبا أن الزبير قاتل بعد أن كفَّر عن يمينه. وهنا نسأل سؤالاً: من الذين قاتلهم؟ وما دلالة ذلك؟

وذكر ابن عبد ربه (عن شريك عن الأسود بن قيس: حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصاً فنوَّه به عليّ: أبا عبد الله أتذكر يوماً أتانا

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٥٧.

(٢) أنظر: نهج الحق: العلامة الحلي ص٣٥٦، دلائل الصدق: الشيخ محمد حسن المظفر ج٣ ص١٠٧.

(٣) الفخري: ابن طباطبا ص٨٧.

النبي ﷺ وأنا أناجيك فقال: أتناجيه وهو ظالم لك؟ قال: فطرف الزبير وجه دابته وانصرف)[1].

وفي المعجم الوسيط: قعصه قعصاً: طعنه طعناً سريعاً[2]. أي أنه باشر القتال مباشرة عملية واستخدم رمحه في طعن خيول جيش أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا العمل ينافي التوبة. بل فرَّ من المعركة بعد الهزيمة لا قبلها.

وروى الطبري بسنده عن محمد وطلحة قالا: (ولما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير: أنا الزبير هلّموا إليَّ أيها الناس!! ومعه مولى ينادي: أعن حواريّ رسول الله تنهزمون؟! وانصرف الزبير نحو وادي السباع واتبعه فرسان وتشاغل الناس عنه بالناس. فلما رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم ففرَّق بينهم، فكّروا عليه، فلما عرفوه قالوا: الزبير، دعوه!!)[3].

فقد بقي في المعركة يقاتل جيش أمير المؤمنين عليه السلام من الصباح إلى صدر النهار، ولما انهزم الناكثون في صدر النهار ناداهم وأمرهم بالرجوع إلى القتال (أنا الزبير، هلّمو إليَّ أيها الناس!!). وهذا دليل واضح على مباشرته القتال بل قيادته لجيش الناكثين وقت القتال. بل لم يكتف بمناداة الناكثين للرجوع إلى ساحة المعركة، بل أمر أحد مواليه ينادي فلول المنهزمين (أعن حواريّ رسول الله ﷺ تنهزمون؟!). مما يدل على استبساله في قتال ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين إلى ما بعد هزيمة جيشه جيش الناكثين. ولما رأى أن فلول الناكثين المنهزمين لا يرجعون إليه لاذ بالفرار كما لاذ غيره. واستبساله في القتال إلى نهاية المعركة ينفي توبته نفياً مطلقاً. فمتى تاب وقد فرَّ من المعركة منهزماً مخذولاً؟! وقيام بعض فرسان جيش أمير المؤمنين بملاحقته يدل على بقائه في المعركة إلى ما بعد الهزيمة.

وذكر الطبري: (عن محمد وطلحة قالا: كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير، فلما أوو إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال، ولم يريدوا إلا عائشة ذمرتهم عائشة فاقتتلوا حتى

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٢٩.
(٢) المعجم الوسيط: ج٢ ص٧٤٩.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٦.

تنادوا فتحاجزوا فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا وذلك يوم الخميس في جمادي الآخرة اقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير!! وفي وسطه مع عائشة!!)[1].

فقد كانت قيادة جيش الناكثين لطلحة والزبير صدر النهار، ولعائشة وسطه. وهذا دليل على مباشرته القتال إلى أن فرَّ هارباً، فمتى تاب؟! وفد فرَّ إلى وادي السباع وهناك قتله ابن جرموز، ولم يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فمتى تاب من ذنبه وجريمته النكراء؟!

وذكر ابن الأثير: (واقتتل الناس وقاتل الزبير فحمل عليه عمار بن ياسر فجعل يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه ويقول: أتقتلني يا أبا اليقظان؟! فيقول: لا يا أبا عبد الله. وإنما كفَّ الزبير عنه لقول رسول الله: «تقتل عمار الفئة الباغية» ولولا ذلك لقتله!!)[2].

فقوله (وقاتل الزبير...) دليل واضح على مباشرته القتال المخالف لأحكام القرآن الكريم. ونفي القتال عنه خلاف لأقوال المؤرخين جميعهم. والحوار الذي جرى بينه وبين عمار بن ياسر يؤكد اشتراكه في القتال. وحين حمل عليه عمار بن ياسر وجعل يحوزه بالرمح دليل آخر على مباشرته القتال. فلا يمكن لأتباعه الإعتذر عن قتاله والتشدق بتوبته التي لم تثبت.

وقوله: (والزبير كاف عنه) يدل على أن الزبير قد كفَّ عن قتال عمار بن ياسر فقط لا غير، للحديث الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وآله في حقه «تقتل عماراً الفئة الباغية». أما أنه كفَّ عن قتال ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام فغير معلوم.

والغريب في الأمر إنه كفَّ عن قتال عمار بن ياسر للحديث النبوي الذي سمعه في حقه، ولم يكف عن قتال ابن خاله وإمامه أمير المؤمنين عليه السلام للحديث الذي سمعه في حقه: (إنك والله ستقاتله وأنت ظالم له)[3]. وأمير المؤمنين عليه السلام ليس أقل أهمية من عمار بن ياسر، بل هو أهم منه، فهو إمامه وخليفته، وقتاله أعظم

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٧، ٢١٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣١.

(٣) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٣، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٠، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٢.

جرماً من قتال عمار بن ياسر، والزبير يعرف ذلك. فقد تحاشى قتال صحابي جليل ولم يتحاش من قتال سيد الصحابة وإمامهم، المطهر من الرجس في الذكر الحكيم.

روى ابن ماجة في سننه بسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم[1].

فهو بحربه لأمير المؤمنين عليه السلام فقد حارب رسول الله ﷺ. ولا فرق بين حربه لرسول الله ﷺ ومحاربة المشركين واليهود له. فأي جريمة أعظم من جريمة قتال رسول الله؟!

وذكر ابن الأثير: (بينما عائشة واقفة إذ سمعت ضجة شديدة فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر. قالت: بخير أو بشر؟ قالوا: بشر، فما فجأها إلا الهزيمة، فمضى الزبير من وجهه إلى وادي السباع، وإنما فارق المعركة لأنه قاتل تعذيراً لما ذكره له عليّ)[2]. فقوله: (لأنه قاتل تعذيراً)، اعتراف باشتراكه في القتال، ولا يهمنا السبب في ذلك. فأي عذر يبقى للمدافعين عنه؟!

وروى الطبري بسنده عن الوليد بن عبد الله عن أبيه قال: (لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير، مضى الزبير رضي الله عنه حتى مرَّ بعسكر الأحنف...)[3]. وفي هذا الخبر دلالة على أن مقاتلي الناكثين انهزموا وتركوا الزبير في ساحة المعركة، ولما رأى نفسه وحيداً بلا أنصار فرَّ كما فرَّ غيره، ومضى حتى مرَّ بالأحنف. وفي هذا الخبر دلالة على أنه بقي يقاتل إلى نهاية المعركة، ثم منها إلى وادي السباع وهناك لقي حتفه ولم يمر بجيش أمير المؤمنين عليه السلام. فمتى تاب من ذنبه؟! فكل الدلائل تشير إلى بقائه في المعركة واستبساله في القتال، بل قيادته لجيش الناكثين، وبقائه في ساحة المعركة يحرِّض فلول المنهزمين على الرجوع إلى الميدان مرة ثانية، ولما لم يرجع إليه أحد من المنهزمين فرَّ هارباً كما

---

(١) سنن ابن ماجة: ج١ ص٤٢ (رقم الحديث ١٤٥)، الإصابة ابن حجر ج٤ ص٣٧٨، ذخائر العقبى: المحب الطبري ص٢٥، الصواعق المحرقة: ابن حجر ص١٤٤، ١٨٧، ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي ج١ ص١١٣، ج٢ ص٥٣، ١٢٠، ٢٢٨، ٢٢٤،.

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢١٩.

فرَّ غيره. ولم يثبت له توبة يُعتد بها. ولو تاب كما يدَّعي أتباعه بدون دليل، فكيف يتوب الله سبحانه وتعالى عليه وقد زهق الأرواح المؤمنة البريئة، وشق عصا الجماعة، وخرج على الطاعة، ونكث البيعة ومات ميتة جاهلية؟!

وشخص هذا حاله، وهذا فعله الشنيع فهو من المتمردين حتماً على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام. فإذا كان أحد ضباط جيشه ـ وهو عمرو بن يثربي الضبي ـ من المتمردين، فكيف لا يكون هو ـ وهو قائد جيش الناكثين ـ من المتمردين الكبار؟! فاستبساله في القتال وقيادته للناكثين إلى أن انهزم جيشه ويئس من النصر ولاذ بالفرار خائباً أكبر دليل على تمرده وأنه من كبار المتمردين.

ومثلما كان الزبير من المتمردين الكبار على إمامه، كذلك صاحبه طلحة، ولا يقل دروه عن دور الزبير إذا لم يزد عليه.

فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (وجعل طلحة ينادي بأعلى صوته: عباد الله! الصبر الصبر!! إن بعد الصبر النصر والأجر!! قال: فنظر إليه مروان بن الحكم فقال لغلام له: ويلك يا غلام!! والله إني لأعلم إنه ما حرَّض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة، ولا قتله سواه!! ولكن استرني فأنت حر. قال: فستره الغلام، ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيد الله فأصابه به، فسقط طلحة لما به وقد غمي عليه، ثم أفاق فنظر إلى الدم يسيل منه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أظن والله أننا عنينا بهذه الآية من كتاب الله عزّ وجلّ إذ يقول: «واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب». قال: ثم أقبل على غلامه وقد بلغ منه الجهد قال: ويحك يا غلام!! اطلب لي مكاناً أدخله فأكون فيه، فقال الغلام: لا والله ما أدري أين أنطلق بك!! فقال طلحة: يا سبحان الله! والله ما رأيت كاليوم قط!! دم قرشي أضيع من دمي، وما أظن هذا السهم إلا سهماً أرسله الله، وكان أمر الله قدراً مقدورا. فلم يزل طلحة يقول ذلك حتى فات ومات ودفن[1].

فقد جعل ينادي الناكثين بأعلى صوته ويناشدهم الثبات في المعركة ويطلب منهم التحلّي بالصبر في محاربة إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام، فعلام تدل تلك

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

المناشدة البائسة؟! ثم يعدهم زوراً وبهتاناً بما يضحك الثكلى (إن بعد الصبر النصر والأجر!!). فأي أجر لا أمَّ لك وأنت تحارب إمامك؟! وممن الأجر؟! لقد غرَّهم ووعدهم بالأجر من الشيطان!! فلو كان يقصد الأجر من الله سبحانه وتعالى لحارب مع إمامه ولم يحاربه بأولئك الهمج الرعاع.

ومن المؤسف حقاً أن يقوم طلحة بمحاربة إمامه ويحرِّض ضده الأوباش من الناكثين ثم يعدهم بالأجر الجزيل من الله سبحانه وتعالى. فقد استهتر بربِّه وبكتاب ربه وبإمامه حين رفع ذلك الشعار الشاذ (إن بعد الصبر النصر والأجر!!). وأما إذا كان يقصد الأجر من الشيطان فالمصيبة أعظم!!

ولقد لقي حتفه البائش على يد مؤذِّن جيشه مروان بن الحكم، وقد عرف مروان دور طلحة في قتل عثمان فأخذ ثأره منه (والله إني لأعلم أنه ما حرَّض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة، ولا قتله سواه!!). وهذا جزاء من يقود الأوباش والطّغام ضد إمامه أمير المؤمنين عليه السلام.

والعجيب في الأمر أن عثمان بن عفان وطلحة ومروان بن الحكم جميعهم من الصحابة وهذا حالهم البائس. فيكف يركن المسلم الغيور إلى أمثال هؤلاء الصحابة الذين يقتل بعضهم بعضاً؟! تظنهم مجتمعين على الحق وقلوبهم شتى مليئة بالحسد وحب الإنتقام. وهذه الحادثة الأليمة تدل دلالة واضحة على أن الصحابة معظمهم ليسوا عدولاً. بل فيهم الصالح والمفسد. والإدِّعاء بأن طلحة ومروان بن الحكم من الصحابة العدول تجنٍّ على الحق والعدل والإنصاف. فأحدهما يحارب إمامه ويجيِّش ضده الجيوش، والآخر ينتقم من قائد جيشه ويغدر به ويغتاله وهو يحارب تحت رايته راية الضلال والبغي.

وقول مروان لغلامه: (ويلك يا غلام... ولكن استرني فأنت حرّ. قال: فستره الغلام، ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيد الله فأصابه به، فسقط طلحة لما به وقد غمي عليه، ثم أفاق) دليل على أن مروان قد رمى طلحة بسهم عن عمد وسبق إصرار. وهذا الرمي العمد ينفي عنه العدالة، فأين العدالة المزعومة يا أتباع الجمل؟! فلماذا تؤمنون بالأمور المتناقضة والخرافية؟!

وهذا الإنتقام في صفوف جيش الناكثين من بعضهما البعض يعطينا قراءة واضحة

لفكر مقاتلي ذلك الجيش الناكث. فإذا كان هذا مستوى فعلهم في بعضهم البعض، وبهذه الطريقة الدموية ينتقم الجنود من القادة، فكيف لو حالفهم النصر وانتصروا على جيش أمير المؤمنين عليه السلام؟! لانتقموا منه ومن المسلمين من أفراد جيشه بصورة لم يرَ التاريخ مثيلها. وما جرى في مجزرة كربلاء من انتقام لأولاد أمير المؤمنين عليه السلام وذريّته خير جواب على ذلك. فالذين لم يتورعوا هناك، لا يتورعون هنا.

وروى أبو مخنف عن عبد الله بن عون عن نافع قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: أنا قتلت طلحة!![1]. والاعتراف سيِّد الأدلة.

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أنَّ أبي أخبرتي أنه رمى طلحة فقتله، ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان!! قال: يعني أن محمد بن أبي بكر وطلحة قتلاه، وكانا تيميين!![2].

فقد شهد عبد الملك بن مروان خليفة بني أمية على أبيه بأنه رمى طلحة فقتله. وهذا الرمي عن عمد وسبق إصرار. فإن كان طلحة مؤمناً فقد ارتكب مروان كبيرة من الكبائر حين قتل مؤمناً عن عمد وسبق إصرار. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

فالذي يكون جزاؤه الخلود في جهنم والغضب الإلهي واللعنة والعذاب العظيم، كيف يكون خليفة للمسلمين يا أتباع السقيفة؟! وإذا لم يكن طلحة من المؤمنين، فيكف رويتم أنه من العشرة المبشرين بالجنة؟!

وقد قال عبد الملك بن مروان: (لولا أن أبي أخبرني أنه رمى طلحة فقتله، ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان!!). الشيء الغريب أن يصدر هذا الكلام من رجل يدَّعي أنه خليفة المسلمين، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فما ذنب الآخرين من بني تيم إذا أساء أحدهم إلى عثمان؟! وإذا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٨.

كان طلحة مذنباً في حق عثمان ويستحق القتل، فلماذا لم تعاقب أباك مرون حين قاتل المؤمنين تحت لوائه؟!

فهذا التطلع للإنتقام الجماعي عند عبد الملك بن مروان وهو أحد خلفاء خط السقيفة يعطينا قراءة صحيحة لفكر خط السقيفة قادة وأتباعاً. وأن هذا الفكر بعيد عن روح الإسلام ومتشبِّع برواسب الجاهلية التي حاربها القرآن الكريم. لكن لا عجب في ذلك، فكل إناء بالذي فيه ينضح.

وقال أبو مخنف: (وحدثنا عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله، قال: مررت بطلحة، وإن معه عصابة يقاتل بهم، وقد فشت فيهم الجراح، وكثرهم الناس، فرأيته جريحاً، والسيف في يده، وأصحابه يتصدَّعون عنه رجلاً فرجلاً، واثنين فاثنين، وأنا أسمعه وهو يقول: عباد الله، الصبر الصبر!! فإن بعد الصبر النصر والأجر!! فقلت له: النجَّاء النجَّاء!! ثكلتك أمك!! فوالله ما أُجرت ولا نُصرت، ولكن وزرت وخسرت، ثم صحت بأصحابه فانذعروا عنه، ولو شئت أن أطعنه لطعنته، فقلت له: أما والله لو شئت لجدَّلتك في هذا الصعيد. فقال: والله لهلكت هلاك الدنيا والآخرة إذن! فقلت له: والله لقد أمسيت وإن دمك لحلال، وإنك لمن النادمين. فانصرف ومعه ثلاثة نفر، وما أدري كيف كان أمره، إلا أني أعلم أنه قد هلك)[1].

فقول جندب بن عبيد الله: (مررت بطلحة، وإن معه عصابة يقاتل بهم) دليل واضح على مباشرته القتال، وأنه قاتل إمامه وقتل المؤمنين في جيش امير المؤمنين عليه السلام وسفك دماءهم. فما عقاب من يقتل المؤمنين ويشهر في وجوههم السلاح؟

وقوله: (وقد فشت فيهم الجراح، . وكثرهم الناس، فرأيته جريحاً، والسيف في يده) دليل واضح على مباشرته الحرب. وقد أصيب بالجراح وهو يقاتل تحت راية إبليس، فهل سيثيبه الله سبحانه وتعالى على تلك الجراح؟ أم سيعاقبه؟! فمن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٨، وانظر: أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٥، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٦، تجارب الأمم: ابن مسكويه ج١ ص٣٢٣، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٣.

غير المعقول أن يثيبه الله سبحانه وتعالى على تلك الجراح وهو يحارب إمامه ناكثاً بيعته. وهذا الثواب يخالف أحكام القرآن الكريم، وسنَّة النبي الأمين عليه السلام، وما دام لن يحصل على الثواب فما له إلا العقاب. وإذا عاقبه الله سبحانه وتعالى، فكيف يكون من العشرة المبشرين بالجنة؟!

وقوله (وأصحابه يتصدعون عنه رجلاً فرجلاً، واثنين فاثنين، وأنا أسمعه وهو يقول: عباد الله الصبر الصبر!! فإن بعد الصبر النصر والأجر!!) يدل على شدة صموده في مقاتلة إمامه، حيث هرب عنه أصحابه الهمج الرعاع وتفرَّقوا عنه فرادى وجماعات وهو يدعوهم إلى الثبات والصبر، ويمنِّيهم النصر والأجر. وشدة صموده في الميدان يدل على شدة تمرده على إمامه، وخبث نكثه الذي بلغ فيه الغاية. وشدة الصمود في ذلك الموقف المخزي يدل على أن صاحبه لا يعرف للتوبة معنى، ولم يذق لها طعماً.

والذي يحثّ الطغام من الناكثين على الصمود في محاربة إمامهم، ويعدهم النصر والأجر علانية في ذلك الموقف المخزي المخالف لأحكام القرآن الكريم وسنَّة النبي الأمين صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمق من حياته لا يعتقد بالتوبة ولا يؤمن بها. فهذه الأفعال الشنيعة في ذلك الموقف الخطير ليست من صفات التائبين، بل من صفات العاصين المتمرِّدين المستميتين في عصيانهم وتمرّدهم.

وروى المدائني قال: (لما أدبر طلحة وهو جريح يرتاد مكاناً ينزله، جعل يقول لمن يمرّ به من أصحاب عليّ عليه السلام: أنا طلحة من يجيرني؟! يكرِّرها. قال: فكان الحسن البصري إذا ذكر ذلك يقول: لقد كان في جوارٍ عريض!!)[1].

فقوله: (أنا طلحة من يجيرني؟! يكرِّرها). دليل على أنه لم يتب، وإنما كان هدفه أن ينقذه أحد من جيش أمير المؤمنين عليه السلام او يحميه بعد لات حين مناص، وبعد أن يئس من النصر، واقترب من موته البائس.

لقد فرَّ عنه أصحابه وأخذوا يتصدعون عنه فرادى وجماعات ولم يبق إلا في فئة قليلة فرماه مروان بسهم فشك ركبته، ولما رأى الموت ماثلاً أمامه يتربَّص به

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٥.

جعل يقول لمن يمرّ به من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (أنا طلحة، من يجيرني!!). فقد استنجد بالمؤمنين الذين قاتلهم أشد القتال، وطلب منهم أن ينقذوه ويحموه. لكن، من أي شيء ينقذونه؟ وممن يحمونه؟ فقد كان هدفه حماية نفسه من الإنتقام والقتل، وإنقاذ نفسه من خطر الموت الذي أحدق به ومنعه من تحقيق هدفه الشيطاني. وتأمل في سخرية الحسن البصري بطلحة تجد فيها العبر.

وروى الكلبي قال: (كان العرق الذي أصابه السهم إذا أمسكه طلحة بيده استمسك، وإذا رفع يده عنه سال، فقال طلحة: هذا سهم أرسله الله تعالى، وكان أمر الله قدراً مقدورا، ما رأيت كاليوم دم قرشي أضيع!! قال: وكان الحسن البصري إذا سمع هذا وحُكي له يقول: ذق عقعق!!)[1].

قد كان متأسفاً على ضياع دمه القرشي قبل تحقيق مآربه في الإستيلاء على مقاليد الأمور والتحكم في رقاب العباد، ولم يتأسف على الدماء البريئة التي سفكها والأوراح التي تسبب في زهقها. ذكر الطبري (فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني!! قالا: لأحدنا!! أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوه لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون دمه. قالا: ندع شيوخ المهاجرين!! ونجعلها لأبنائهم؟!)[2].

فلما تأكد من ضياع حلمه في الإستيلاء على منصب الخلافة بالقوة وقد اقترب أجله البائس وسقط جريحاً وهو يقاتل تحت راية إبليس قال بحسرة (ما رأيت كاليوم دم قرشي أضيع!!) وأخذ ينادي من يمرّ به من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (أنا طلحة من يجيرني؟! يكرِّرها). وتكراره لتلك الإستغاثة البائسة دليل على شدة تعلقه بالحياة التي سلبها من آلاف المقتولين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام وجيش الناكثين. وقول الحسن البصري له (ذق عقعق!!) عبرة من العبر لطلحة وأتباعه، وقد جاءت على لسان أحد المحسوبين على خط طلحة، وهو خط السقيفة. والعرب تضرب بهذا المثل فيما لا يُحمد.

وذكر الشيخ المفيد: (ولما رأى مروان توجه الأمر على أصحاب الجمل نظر

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨.

إلى طلحة وهو يريد الهرب فقال: والله لا يفوتهني ثأري من عثمان، فرماه بسهم قطع أكحله فسقط بدمه، وحمل من موضعه وهو يقول: إنا لله هذا سهم لم يأتني من بُعد، ما أراه إلا من معسكرنا، والله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي!! ثم لم يلبث أن هلك)[1].

لم يرم مروان بن الحكم طلحة بسهم في أكحله في بداية القتال، بل لم يقم بذلك العمل إلا بعد أن توجه الأمر على أصحاب الجمل، أي بعد هزيمتهم. ولم ينهزم أصحاب الجمل إلا بعد أن تفرّقوا عن طلحة فرادى وجماعات وبقي معه نفر قليل وهو ينادي فلول الناكثين بالثبات والصبر، ويمنّيهم النصر والأجر، ففي هذه الأثناء أراد الهرب كما هرب صاحبه الزبير، فاستغل مروان بن الحكم الموقف الحرج الذي أحاط بطلحة فثأر منه (نظر إلى طلحة وهو يريد الهرب، فقال: والله لا يفوتني ثأري من عثمان، فرماه بسهم فقطع أكحله فسقط بدمه). فقد انتقم الناكثون من بعضهم البعض في أحلك الظروف، ولم يجد أتباعهم غضاضة في ذلك!! فجميعهم من الصحابة، وجميعهم عدول، ولا ضير في ذلك، ولم ترد في هذا الخبر إشارة إلى توبة طلحة. وكيف يوفّقه الله للتوبة وهو من أئمة الضلال؟!

روى الشيخ المفيد بسنده عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: (قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم الجمل قد انكشفوا قلت: والله لأدركن ثأري ولأفوزن به الآن فرميت طلحة فأصبت نساه فجعل الدم لا يرقأ، فرميت ثانية، فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف الدم حتى مات)[2].

فلم ينتقم مروان بن الحكم من طلحة إلا بعد أن انهزم الناكثون عن طلحة، ولم يرد في الخبر شيء يدل على توبة طلحة، وقد لقى طلحة حتفه البائس على يد أحد بني أمية. وهذا جزاء من يدافع عن بني أمية وهم الشجرة الملعونة في القرآن.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٧٦، وانظر: مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٥، العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٢٨، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٦، الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري ص١٤٨.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٨٣، انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٦، الإستيعاب: ابن عبد البر، بهامش الإصابة: ج٢ ص٢٢١ ـ ٢٢٣.

وذكر الشيخ المفيد: (روى بن ابي سليمان عن ابن خيثمة قال: قال عبد الملك بن مروان يوماً ـ وقد ذكر عثمان وقتلته وطلحة ـ: ولولا أن أبي قتله لم يزل في قلبي جرح منه إلى اليوم!!)[1]. فبنو أمية لا ينسون ثأرهم ولو ممن قدَّم روحه رخيصة للدفاع عنهم. فهم من الشجرة الملعونة في القرآن لا يحبون أحداً سواهم.

وقال عبد الملك: (سمعت أبي يقول: نظرت إلى طلحة يوم الجمل وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا عينيه فقلت: كيف لي به، فنظرت إلى فتق في درعه فرميته فأصبت نساه فقطعته، فإني أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره مولياً، فلم يلبث أن مات)[2].

فقد كان مروان يخطط لقتل طلحة ويتحين الفرصة المناسبة للتنفيذ، فلما سنحت له الفرصة اقتنصها. فدفع طلحة ثمن بغيه ونكثه. وهذا جزاء من يربي العقرب.

وروى جويرة عن يحيى بن سعيد عن عمه قال: رمى مروان طلحة بسهم ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك!![3]. حرِّض بنو أمية الطغام الناكثين للأخذ بثأرهم، ولما يئسوا من النصر انتقموا ممن ساعدهم ووقف معهم. ورغم غرابة هذا الإنتقام إلا أنه لم يثر حفيظة أتباعهم، ولم يحرِّك عقولهم، ولم تخفق له قلوبهم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

وروى علي بن زيد بن جدعان قال: لما بلغ طلحة أن الزبير قد اندفع ذهب في طلبه وقد التقى، وهم لا يعلمون برجوع الزبير فمرَّ مروان بن الحكم فرآه فقال: لا أطلب ثأري بدم عثمان بعد اليوم والله، وقاتل عثمان بين أعجاز الإبل وصدورها. ثم رماه بسهم فقتله[4].

فقد كان الإنتقام من طلحة هدفاً رئيساً لمروان، وقد نفَّذه في الوقت المناسب حين سنحت له الفرصة.

وذكر الشيخ المفيد: (روى أبو سهل عن الحسن: لما رُمي طلحة ركب بغلاً

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٨٣.

(٢) المرجع السابق: ص٣٨٣.

(٣) الإستيعاب: ابن عبد البر، بهامش الإصابة: ج٢ ص ٢٢٣، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٨.

(٤) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٨٤.

وقال لغلامه: التمس لي مكاناً أدخل فيه. فقال الغلام: ما أدري أين أدخلك. فقال طلحة: ما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي!!)[1].

فقد كان هدفه بعد أن أصيب البحث عن مكان يلجأ إليه، ولما أخبره غلامه بتعذر الحصول على الملجأ في ذلك الظرف العصيب عض أصابعه ندماً حيث لا ينفع الندم وقال بلهجة البائس الذي ينتظر حتفه (ما رأيت كاليوم أضيع من دم شيخ مثلي!!). فلم يضيِّع أحد دمك غيرك، ولا تلم إلا نفسك. فقد بحثت عن حتفك البائس بظلفك. فلم تتأسف على ارتكاب جرائمك في ذلك الوقت، ولم تطلب التوبة والغفران، وإنما تأسفت على ضياع دمك الذي سفكته ولم تحقق به ثأر عثمان بن عفان الأموي، وقد سُفك على يد عفريت من عفاريت بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن. وإذا أردت أجراً على سفك دمك فاطلبه من بني أمية يوم القيامة. ولا تنس أن تطالبهم بالأجر في محكمة العدل الإلهي. لأن قتالك لإمامك أمير المؤمنين عليه السلام، وتجييشك الجيوش ضده ليس فيه أجر، بل حساب وعقاب وخلود في النار وبئس القرار.

روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمِّية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي، يضرب برِّها وفاجرها. ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه)[2].

وذكر الشيخ المفيد: (روى عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: لما كان يوم الجمل قلت: والله لأدركن ثأر عثمان، فرميت طلحة بسهم فقطعت نساه، وكان كلما سُدَّ الموضع غلب الدم وآلمه فقال لغلامه: دعه فهو سهم أرسله الله إليَّ. ثم قال له: ويلك! اطلب لي موضعاً أحترز فيه، فلم يجد له مكاناً. فاحتمله عبيد الله بن معمر فأدخله بيت أعرابية، ثم ذهب فصبر هنيَّة ورجع فوجده قد مات)[3].

---

(١) الجمل الشيخ المفيد ص٣٨٤، ٣٨٥.

(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٤ (رقم الحديث: ١٨٤٨).

(٣) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٨٩.

فقد كان هدفه النجاة من الموت في أرض المعركة، ولم يفكر مطلقاً بالتوبة. وفي هذا الخبر مات في بيت أعرابية ولم يبايع أحداً لأمير المؤمنين عليه السلام كما ادَّعى أتباعه.

وذكر البلاذري: (أحيط بطلحة عند المساء ومعه مروان بن الحكم يقاتل فيمن يقاتل، فلما رأى مروان الناس منهزمين قال: والله لا أطلب ثأري بعثمان بعد اليوم أبداً، فانتحى لطلحة بسهم فأصابت ساقه فأثخنه والتفت إلى أبان بن عثمان فقال له: قد كفيتك أحد قتلة أبيك. وجاء مولى لطلحة ببغلة له فركبها وجعل يقول لمولاه: أما من موضع نزول؟! فيقول: لا، قد رهقك القوم. فيقول: ما رأيت مصرع شيخ أضيعُ، ما رأيت مقتل شيخ أضيعُ!! الله أعط عثمان منى حتى يرضى!! وأدخل داراً من دور بني سعد بالبصرة فمات فيها. وفي الرواية الأخرى: قال: (دعوه، فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى!!)[1].

فقد قال بعد أن أُصيب بالسهم ويئس من النصر ورأى شبح الموت زاحفاً أمامه (اللهم أعط عثمان مني حتى ترضى). أو: (اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى!!)، ولم يقل: اللهم خذ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مني اليوم حتى يرضى. فقد طلب من الله سبحانه وتعالى أن ينتصف لعثمان منه حين قاد الثوار وحرَّضهم ضده، ولم يطلب من الله سبحانه وتعالى أن ينتصف لأمير المؤمنين عليه السلام منه حين قاد الناكثين الأوباش وحاربه بهم، واستبسل في قتاله إلى آخر رمق في حياته.

وإذا كان دوره في قتل عثمان لم يتعدَّ دور التحريض وقيادة الثوار، ولم يباشر القتل بنفسه، ومع ذلك فقد طلب من ربِّه أن ينتصف لعثمان منه، فقدكان دروه في حرب إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، دور القيادة لجيش ناكث يضم في صفوفه الطغام وبني السوء والمؤلفة قلوبهم والذين في قلوبهم مرض، لا يعرفون للإسلام معنى، ولا للتقوى طعماً، وقد باشر القتال بنفسه، واستبسل فيه أشد الإستبسال، وقتل عدداً من المؤمنين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يترك ميدان المعركة إلا بعد

---

(١) أنساب الأرشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٦، ٢٤٧، وانظر: الإمامة والسياسية: ابن قتيبة ج١ ص٩٧، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٨، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص١١٣.

أن خارت قواه من سهم مروان، ومع كل ذلك: لم يقل: اللهم خذ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مني اليوم حتى ترضى!! مما يدل على أنه مصر على نكثه وبغيه إلى نهاية حياته، ولا يؤمن بالتوبة ولا يعتقد بها، ولا يرى لها موضعاً في قلبه حين قام بتلك الأعمال الشنيعة ضد إمامه أمير المؤمنين عليه السلام. وكيف يؤمن بالتوبة وهو من أئمة الضلال؟!

فإذا كانت المقادير قد ألجأته إلى الإعتراف بدوره السيِّيء في حق عثمان، وطلب من الله أن يقتص له منه، إلا أنه لم يعترف بدوره الأكثر سوءاً والأشد ضرراً تجاه إمامه أمير المؤمنين عليه السلام. وقد خرج من الدنيا دون أن يندم منه، أو يعترف به، أو يطلب القصاص منه. رغم أن ذنبه هذا أكثر بشاعة من ذنبه في حق عثمان، وأكثر فظاعة منه لما خلَّفه من المآسي الكثيرة المتمثلة في آلاف القتلى والجرحى والمعوَّقين والأرامل واليتامى، بالإضافة الى الأموال التي نهبها من بيت المال بطريق مباشر وغير مباشر، والفساد الذي نشره في البصرة، والروابط الإجتماعية التي قطعها، والأحاديث النبوية التي استهجنها وتركها وراء ظهره.

وذكر المسعودي: (فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحة!! ما أبالي رميت ههنا أم ههنا!! فرماه في أكحله فقتله)[1].

فقد انبرى مروان بن الحكم يرمي الجيشين بسهامه. لا فرق عنده بين جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وجيش الناكثين. فقد كان عقرباً غدَّاراً لا يفرِّق بين صاحبه وعدوه. فقد ذكر الطبري بسنده عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال: (لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق، فقال: أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل؟! اقتلوهم!! ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم!! قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً!!)[2].

فقد وفى مروان بوعده فثأر من طلحة، ولو أمكنه أن يثأر من الزبير وعائشة لفعل لكنه لم يحالفه الحظ.

فإذا كان عمرو بن يثربي الضبي من المتمردين على أمير المؤمنين عليه السلام، وهو

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٠٢.

ضابط من ضباط جيش الناكثين، فكيف لا يكون طلحة من كبار المتمردين وهو قائد جيش الناكثين؟! لا شك أن طلحة من كبار المتمردين فهو الذي قاد الغوغاء وحرَّضهم على قتال أمير المؤمنين إلى آخر نفس من حياته البائسة. ولفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقاتل إمامه أمير المؤمنين عليه السلام وقاد آلاف المتمردين ضد إمامهم، فمن الحماقة استبعاده من قائمة المتمردين الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين بأسمائهم.

ومن ضمن المتمردين على أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن الزبير. وذكر ابن أعثم الكوفي (وجعل الأشتر يجول في ميدان الحرب وينادي بأعلى صوته يا أنصار الجمل!! من يبارزني منكم؟ قال: فبرز إليه عبد الله بن الزبير وهو يقول: إلى أين يا عدو الله؟ فأنا أبارزك!! قال: فحمل عليه الأشتر فطعنه طعنةً صرعه عن فرسه، ثم بادر وقعد على صدره. قال: فجعل عبد الله بن الزبير ينادي من تحت الأشتر في يومه ذلك: اقتلوني ومالكا!! قال: وكان الأشتر في يومه صائماً وقد طوى من قبل ذلك بيومين فأدركه الضعف، فأفلت عبد الله من يده وهو يظن أنه غير ناج منه)[1].

فقد كان الأشتر صائماً وجائعاً منذ يومين قبل ذلك في ذلك اليوم العصيب، وهذه صفات مقاتلي جيش أمير المؤمنين عليه السلام. ولو لم يكن شيخاً صائماً لأراح العباد والبلاد من المتمرد عبد الله بن الزبير.

وذكر البلاذري: (أخذ ابن الزبير بزمام الجمل فقالت عائشة: من أنت؟ قال: أبن أختك. قالت: واثكل أسماء!! أقسمت عليك ما تنحَّيت!! ففعل فأخذه بعض بني ضبة فقتل!!)[2].

لقد وصلت الأنانية بعائشة حداً أعمى بصرها. فقد طارت الرؤوس وقُطعت الأيدي تحت خطام جملها وهي فرحة مستبشرة تحرِّض هذا وتثير الحماس في ذاك[3]. ولما انهزم جيشها قالت قولتها المشهورة وهي في اليم الحزن والأسى:

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٢، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٧، نصوص من تاريخ أبي مخنف ج١ ص١٤٤، ١٤٥، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٣، تاريخ الطبري: ج٥ ص ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٤.

(٢) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٣.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٥، الكامل في التاريخ: ج٣ ص١٣٤، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٨.

(ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة!!)[1]. لكن لما أخذ الخطام ابن أختها عبد الله بن الزبير صرخت من قمة رأسها واثكل أسماء!! أقسمت عليك لما تنحَّيت!!). فقد خافت على ابن أخنها أن يلقى حتفه تحت خطام جملها ولم تخف على غيره ممن حرَّضتهم وأثارت فيهم نخوة الفروسية مستخدمة في ذلك ثقافتها الأدبية والتاريخية. ولم تمنِّيه بالجنة حين مسك خطام جملها كما منَّت كعب بن سور القاضي شيخ قبيلة الأزد. بل أقسمت عليه أن يتنحَّى ويترك الخطام لئلا يلقى حتفه ففعل، وأخذ الخطام بدلاً منه أحد بني ضبة فقتل ولم تتأسف عليه.

ولما قيل لها: (هذا الأشتر يعارك عبد الله. فقالت: واثكل أسماء!! ووهبت لمن بشرَّها بسلامته مالاً)[2]. فثمن عبد الله بن الزبير عند خالته عائشة غال ونفيس، أما ثمن الآخرين الذين قتلوا تحت خطام جملها فرخيص لا يستحق الأسف ولا الصراخ ولا العويل.

فقد روى ابن عبد ربه عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: (اعطت عائشة الذي بشرَّها بحياة ابن الزبير إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل أربعة آلاف)[3].

من أين لها هذا المبلغ؟! لقد نهبت هذا المبلغ من بيت المال في البصرة حين غدر طلحة والزبير وأعوانهما بعثمان بن حنيف واستوليا على بيت المال، وكانت عائشة من ضمن الذين استولوا على بيت المال ونهبوا قسماً من أمواله[4].

وقد وصف عبد الله بن الزبير حاله مع الأشتر فقال: (التقيت مع الأشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة ثم جرَّ برجلي، فألقاني في الخندق وقال: والله لولا قربك من رسول الله ما اجتمع فيك عضو إلى آخر!!)[5].

لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن الحرب لن تنتهي ما دام الجمل موجوداً، وجَّه أصحابه نحوه لكي يعقروه وينهوا شوكة الناكثين الذين لاذوا به كما لاذ اليهود

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٣٦، تاريخ الطبري ج٥ ص٢٠٩، البداية والنهاية: ابن كثير ج٧ ص٢٣٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٨.

(٢) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٣.

(٣) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٣٢.

(٤) أنظر: الجمل: الشيخ المفيد ص٢٨٤.

(٥) العقد الفريد: ابن عبد ربه ج٤ ص١٣١.

بالعجل. وقد تمَّ له ما أراد. فقد روى أبو مخنف: (حدثنا مسلم الأعور عن حبه العرني قال: فلما رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل، وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، واستحرَّ القتل في بني ضبَّة، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بجير، دونك الجمل يا بجير، فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض، وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صُرع الجمل حتى فرَّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها، فحملت إلى دار عبد الله بن خلف)[1].

فقد لاذ الناكثون بالجمل، ولقوا حتفهم تحت خطامه، ولما عقره أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام تركه الناكثون ولاذوا بالفرار كما يطير الجراد المذعور في الريح الشديدة. وحدث ما توقَّعه أمير المؤمنين عليه السلام بحسب حنكته العسكرية وخبرته في ميدان الحروب.

وروى ابن أبي الحديد (ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأزد، الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه، ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل، حتى لقد صرخ عليه السلام بأعلى صوته: ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان!! ثم قال: اعقروه وإلا فنيت العرب. لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض، فصمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد، فلما برك كانت الهزيمة)[2].

فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام الجمل بأنه شيطان، وقال لأصحابه (اعقروه وإلا فنيت العرب!!). فقد كان جمل عائشة قبلة للناكثين يلوذون به، ولو لم يعقر لزاد عدد القتلى أكثر مما حدث.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٦، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري ج١ ص١٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٣.

وذكر ابن أبي الحديد: (قالوا: استدار الجمل كما تدور الرَّحا، وتكاثفت الرجال من حوله، واشتدَّ رغاؤه، واشتدَّ زحام الناس عليه. ونادى الحتات المجاشعي: أيها الناس، أمكم أمكم!! واختلط اناس فضرب بعضهم بعضاً، وتقصَّد أهل الكوفة قصد الجمل، والرجال دونه كالجبال، كلما خفَّ قوم جاء أضعافهم. فنادى عليّ عليه السلام: ويحكم!! أرشقوا الجمل بالنبل، اعقروه لعنه الله!! فرشق بالسهام، فلم يبق فيه موضع إلا أصابه النبل وكان مجففاً فتعلقت السهام به فصار كالقنفذ)[1].

فقد أمر أمير المؤمنين أصحابه برشق الجمل بالنبل وقال لهم: (ويحكم!! ارشقوا الجمل بالنبل، اعقروه لعنه الله!!). وهذا دليل على أن الجمل أصبح فتنة للناكثين يلوذون به كما لاذ اليهود بالعجل، فأراد أمير المؤمنين عليه السلام اجتثاث الفتنة من جذورها، فأمر بعقر ذلك الجمل اللعين، فأوأد الفتنة بعقره.

وذكر ابن أعثم الكوفي: (واحمرَّت الأرض بالدماء وعقر من ورائه فعج ورغا، فقال عليّ: عرقبوه فإنه شيطان. ثم إلتفت إلى محمد بن أبي بكر وقال له: انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها. قال: وبادر عبد الرحمن بن صرد التنوخي إلى سيفه، فلم يزل يقاتل حتى وصل إلى الجمل فعرقبه من رجليه جميعاً، فوقع الجمل لجنبه وضرب بجرانه الأرض ورغا رغاء شديداً، وبادر عمار بن ياسر فقطع أنساع الهودج بسيفه)[2].

فقد ركَّز أمير المؤمنين عليه السلام على عرقبة الجمل، واعتبره شيطاناً. وكلامه فيه دلالة على طبيعة ذلك الجمل الملعون.

وذكل ابن أعثم الكوفي: (وأقبل عليّ رضي الله عنه، على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فقرع الهودج برمحه ثم قال: يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفعلي؟! فقالت عائشة: قد ظفرت فأحسن)[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٢.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٢.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٢، الجمل: الشيخ المفيد ص٣٦٩، الأمالي: الشيخ المفيد ص٢٤، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٨٠، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٧.

فإذا قارنا بين موقف أمير المؤمنين عليه السلام حين انتصر على عائشة وموقفها حين انتصرت على عثمان بن حنيف وأنصاره السبابجة في البصرة نجد الفرق بين الذهب والحصى، والخير والشر، والعفو والإنتقام، ونشر السلم وبث الإرهاب. وقد صدق شهاب الدين المعروف بحيص بيص حين قال:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلَّلتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... فكل إناء بالذي فيه ينضح[1].

وذكر البلاذري: (وانتهى عليّ إلى الهودج فضربه برمحه وقال: كيف رأيت صنع الله بك يا أخت إرم؟! فقالت ملكت فأسجح)[2].

وروى أيضاً بسنده عن ابن حاطب قال: أقبلت مع عليّ يوم الجمل إلى الهودج وكأنه شوك قنفذ من النبل فضرب الهودج، ثم قال: إن حميراء إرم هذه أرادت أن تقتلني كما قتلت عثمان بن عفان!!)[3].

فمرة يسميها (أخت إرم) ومرة أخرى يسميها (حميراء إرم)، كما أكَّد على أنها تريد قتله كما قتلت عثمان بن عفان. ومما يؤكد كلام أمير المؤمنين عليه السلام ردّ عائشة على نصيحة أُم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. فقد قالت عائشة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: (أما ما كنت تعرفينه من رأيي في عثمان فقد كان، ولا أجد مخرجاً منه إلا الطلب بدمه!! وأما عليّ فإني آمره بردّ هذا الأمر شورى بين الناس، فإن فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي اللهما هو قاض!!)[4].

فقد صرَّحت باستعدادها ـ قبل خروجها من مكة ـ أن تضرب وجه إمامها أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف إن لم يردّ الأمر شورى، وتسييرها لذلك الجيش الناكث أكبر دليل على نيَّتها الشرِّيرة. ولهذا فلا عجب أن يقول أمير المؤمنين عليه السلام (إن حميراء إرم هذه أرادت أن تقتلني كما قتلت عثمان بن عفان). فلو قُدِّر لها أن

---

(١) الغدير: الأميني: ج١ ص٢٥٥، الإمام علي بن أبي طالب: أحمد الرحماني الهمداني ص٤٨٢.
(٢) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٤٩.
(٣) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٥٠.
(٤) الجمل: الشيخ المفيد ص٢٣٨.

تنتصر في تلك الحرب لفعلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره كما فعل جيش يزيد بن معاوية في كربلاء بالإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

وروى البلاذري بسنده عن الزهري قال: (احتمل محمد بن أبي بكر عائشة، فضرب عليها فسطاطاً فوقف عليها عليّ فقال: استفززت الناس وقد أقرّوا حتى قتل بعضهم بعضاً بتأليبك!! فقالت: يا بن أبي طالب ملكت فأسجح)[1].

فقد اتهمها باستفزاز الناس حتى قتل بعضهم بعضاً بتأليبها. ومعنى هذا أنه عليه السلام يحمِّلها مسؤولية تلك الدِّماء التي أريقت والأرواح التي زُهقت. وويل لها إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الشاهد على جرائمها يوم القيامة.

وبعد أن وبَّخها أمير المؤمنين عليه السلام قال لمحمد بن أبي بكر: (شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك، فأدخل محمد يده إلى عائشة فاحتضنها ثم قال: أصابك شيء؟ فقالت لا ما أصابني شيء، ولكن من أنت ويحك؟! فقد مسست مني ما لا يحل لك؟ فقال محمد: اسكتي فأنا أخوك محمد، فعلتِ بنفسك ما فعلتِ، وعصيتِ ربَّكِ، وهتكتِ سترك، وأبحتِ حرمتكِ، وتعرضتِ للقتل)[2].

فقد تحرَّجت أن يمس منها أخوها ـ قبل أن تعرفه ـ ما لا يحل له، ولم تتحرج من عصيان ربِّها وهتك سترها بين الذئاب الناكثة وإباحة حرمتها. كما أنها لم تتحرَّج من كونها السبب المباشر في قتل آلاف الأبرياء من أجل طيش أهوج وحقد أسود.

وذكر الشيخ المفيد: (فصاح «أمير المؤمنين» اقطعوا البطان. فأسرع محمد بن أبي بكر رحمه الله فقطعه واطلّع على الهودج. فقالت عائشة: من أنت؟ فقال: أبغض أهلك إليك. قالت: ابن الخثعمية؟ قال: نعم، ولم تكن دون أمهاتك. قالت: لعمري بل هي شريفة دع عنك هذا، الحمد لله الذي سلَّمك. قال: قد كان ذلك ما تكرهين. قالت: يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت. قال: كنتِ تحبِّين الظفر وأني قُتلت. قالت: قد كنت أحب ذلك لكن لما صرنا إلى ما صرنا إليه

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٥٠، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٤، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٨٠، الكامل: ابن الأثير ج٣ ص١٤٨.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٢.

أحببت سلامتك لقرابتي منك!! فاكفف ولا تعقّب الأمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة، فإن أباك لم يكن لومة ولا عذلة)[1].

لقد وصل بها الطيش إلى أنها كانت تحب أن يُقتل أخوها لأنه في جيش إمامها أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا تحبّه. ولم تنكر ذلك، فقد اعترفت به أمام أخيها.

وذكر الشيخ المفيد أيضاً: (ونادى أمير المؤمنين عليه السلام محمداً فقال: سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام. فسألها فقالت: نعم وصل إليَّ سهم خدش رأسي وسلمت منه، يحكم الله بيني وبينكم!! فقال محمد: والله ليحكمنَّ الله عليك يوم القيامة، ما كان بينكِ وبين أمير المؤمنين عليه السلام حتى تخرجي عليه وتؤلّبي الناس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك؟! فقالت: دعنا يا محمد وقل لصاحبك: يحرسني!! قال: والهودج كالقنفذ من النبل، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بما جرى بين وبينها وما قلت وما قالت. فقال عليه السلام: هي امرأة والنساء ضعاف العقول، تولَّ أمرها واحملها إلى دار بني خلف حتى ننظر في أمرها. فحملتها إلى إلموضع، وإن لسانها لا يفتر عن السب لي ولعليّ!! عليه السلام والترحم على أصحاب الجمل!!)[2].

تأمل في قولها: (يحكم الله بيني وبينكم!!) ماذا تتوقع أن يحكم الله بينها وبين إمامها أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقفا في محكمة العدل الإلهي؟! لقد أجاب أخوها محمد على السؤال حين قال لها: (والله ليحكمنَّ الله عليك يوم القيامة، ما كان بينك وبين أمير المؤمنين عليه السلام حتى تخرجي عليه وتؤلّبي الناس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك!!). فقد بيَّن لها أن الحكم سيكون ضدها يوم القيامة، وأثبت عليها تهمة الخروج على إمامها والتمرد عليه، وتأليب الناس على قتاله، ونبذ كتاب الله وراء ظهرها. فكل تهمة من تلك التهم كبيرة، فكيف إذا اجتمعت؟!

وتأمل في شهادة محمد بن أبي بكر على أخته عائشة: (وإن لسانها لا يفتر عن السبّ لي ولعلي عليه السلام والترحم على أصحاب الجمل!!).

فقد وزَّعت سبَّها وشتائمها يميناً وشمالاً على الأبرياء إمامها وأخيها اللذين لا

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٦٩.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد ص٣٧١.

يستحقان السبّ والشتم، وترحَّمت على أصحاب الجمل الناكثين الذي لا يستحقون الترحُّم. فلم يترك لها حقدها عقلاً تزن به الأمور، فقد كانت ترى الأمور معكوسة. وهي تعرف ذلك. فقد عاندت الحق وأهله وهي أسيرة، وأشادت بالباطل وأهله.

وقال الطبري: (فأقبل محمد بن أبي بكر إليه (أي الهودج) ومعه نفر، فأدخل يده فقالت: من هذا؟ قال: أخوك البرّ. قالت: عقوق!!)[1]. والجواب لا يحتاج إلى تعليق. فإذا كان هذا مستوى موقفها من أخيها محمد في ذلك الموقف العصيب، فماذا سيكون موقفها من إمامها أمير المؤمنين عليه السلام؟!

وذكر الطبري: (انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار فقطع الأنساع عن الهودج واحتملاه فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال: أخوك محمد. فقالت: مذمَّم!! قال: يا أخية هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك؟! قال: فمن إذاً، الضلاَّل؟! قالت: بل الهداة!!)[2]. فقد أطلقت على أخيها محمد، مذمَّماً في ذلك الموقف العصيب وهو واقف أمام هودجها لكي لا يعتدي عليها أحد، ولم تكتف بذلك الموقف غير الودِّي تجاه أخيها محمد، بل أطلقت على الناكثين لقب (الهداة!!). وأيّ هداية لأولئك الأشرار وهم يقاتلون إمامهم؟! وهذا دليل على أنها لم تتب من جريمتها إلى ذلك الوقت الذي تفوهت فيه بذلك الكلام، أي بعد هزيمتها في الحرب. فمتى تابت؟! لم تتب من جريمتها بعد الهزيمة، فكيف لو انتصرت؟!

هذه عائشة وقد بدت للناس بدون أقنعة، وهذه صورة مفصَّلة لهزيمتها النكراء في الحرب المجنونة التي قادتها ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام بالتعاون مع المتمردين طلحة والزبير اللذين لقيا حتفهما البائس قبلها، فبقت بعدهما شاهدة على تلك الحرب الظالمة التي قطَّعت أوصال المسلمين وفرَّقت شملهم وبثَّت العدواة بينهم، ونشرت الفساد في حاضرة من حواضر الدولة الإسلامية.

لقد قادت عائشة تلك الحرب الطاحنة بحجة الأخذ بثأر عثمان الذي ألَّبت الناس عليه حتى قتلوه فأعلنت فرحها الغامر بقتله، ولما جاءت الرياح بما لا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢١٩، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢١٩، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٠.

تشتهي سفنها جنَّ جنونها وأعلنت تمردها على إمامها رافعة شعار الأخذ بثأر عثمان وخلع أمير المؤمنين من منصب الإمامة وإحلال مكانه مبدأ الشورى العمرية الذي ما أنزل الله به من سلطان.

لكن القدر لم يمهلها، فسرعان ما أفشى نباح كلاب ماء الحوأب مؤامرتها الشرّيرة حين اتضح للناس أنها داست على آيات القرآن الكريم التي تأمرها بأن تقرَّ في بيتها، وقد عرف المسلمون أنها عصت زوجها ونبيَّها ولم تلتفت إلى نصائحه، ولم تهتم بتحذيراته، وأصرَّت على بغيها ونكثها، وهتك سترها بين الذئاب.

وساعدها في ذلك طلحة والزبير اللذان قادا الرعاع الناكثين في حرب طاحنة ضد إمامهما، أتت فيها على الأخضر واليابس، وأهلكت العباد وأحرقت البلاد، حتى لقيا حتفهما البائس ولم يجنيا إلا الخيبة والخسران والعار في الدنيا، والعذاب الذي ينتظرهما في الآخرة.

وقد ذهب الجميع ذهاب الأمس الدابر، وبقي الإمام المظلوم مناراً للعباد والبلاد، مرفوع الرأس، يدور مع الحق، ويدور الحق معه، وقد ضرب أروع الأمثلة في نزاهة حربه، وأحقية موقفه، وعدالة انتصاره، وروعة عفوه، وسمو أخلاقه، وحسن سيرته في الرعية.

تقطَّع يا تيمُ حبلُ الوداد ... وعمَّ الفساد وطار الشرر
فيا للفظاعة إذ تركبين ... جُميل الضلال كثيف الوبر
ولما امتطيتِ على ظهره ... تركتِ التقى فعلاكِ الصعر
وقلتِ سنبني عُرى حكمنا ... بنهج عتيق وشورى عمر
وأنَّى لتيم وحكم العباد ... وما تيم إلا رعاة البقر
فيا تيمُ خلِّي معالي الأمور ... لصاحبها الكفء خير البشر
ويا تيمُ قرِّي بوسط البيوت ... فذاك التبرج عين الخطر
ففي (حوأب) تم كشف القناع ... وأفشى التبرجَ ذاك السفر
لذا قال فيك بنوك الكرام ... وقول الكرام يزيل الضجر
نكثتِ هداكِ قبيل المسير ... كمن نكثت غزلها في سقر
لماذا نقضت عهود الرسول ... وسيِّرتِ جيشاً طغى واندحر؟
حذارِ وخلِّي أمور الجيوش ... فما رأست قط أنثى ذكر

ولا تطلقي مبهمات الوعود ... فما كل وعدٍ غوى يُغتفر
ويا يتم لا تنكثي بالعهود ... فما النكث إلا دجىً معتكر
لئن لُفِّق النكثُ يا صاحبي ... بثوب الصلاح ليُخفى الخبر
فما انخدع العقل من نكثها ... وما فلق النكثُ صم الصخر
ولكن أصرَّت على نكثها ... كما جاء ذكر لها في الأثر
وهتَّكت الستر بين الذئاب ... وقد تركت صونها والخفر
وهيَّجها الحربَ قلب حقود ... ووجه عبوس وفوه فغر
وأودعت الصلحَ سوق المزاد ... فلم تجن غير الأسى والضرر
فأطعمها الصلحُ مُرَّ الشجا ... وقد شربت ماءه بالكدر
فلا الصلح ألغى سواد المصير ... ولا النكث غطَّى قبيح البطر
وقد دُفن البغي وسط الجحيم ... فما انكسفت شمسنا في صفر
ولا السقف خرَّ على رأسنا ... ولا الأرض ساخت بنا في الحفر
ولا النهرُ جفَّت ينابيعه ... ولا البحر هاج بنا واستقر
ولا الغيم غطى ضياءَ النجوم ... ولا الكون مال بنا وانكسر
ولم ينفع الطلح لا والزبير ... ولم ينفع النكث يا من غدر
فيا طلح لا تغدرن بالإمام ... وإن سبقتك الطغاة الأخر
فخلِّ الإمامة في أهلها ... لفخر الأنام وعليا مضر
ويا طلح ما لك في عقدها ... ولا نقضها غير شوك الشجر
وما لك في أمرها من نصيب ... سوى نبح كلب لنور القمر
وقدتَ الرعاع بحبل الخطام ... كما قاد ثورٌ قطيعَ البقر
وقلتَ لهم إننا طالبون ... دماً طلَّ من (نعثل) واندثر
ودغَّم قولَك قولُ الزبير ... وهيجتما الناس ممن حضر
وسحَّرتما الناس يا ناكثان ... وسحراكما قد وهى وانتحر
فلم ينفع السحر يا غادران ... ولم يعمل السحر فيمن صبر
وقد صرتما عبرةً للأنام ... ودرساً لفكر هوى إذ بطر
فيا أيُّها الناكثون اخسؤوا ... بنكثٍ ذليلٍ وفيه عبر
فما قصدكم غير شقّ العصا ... وبثّ الشقاق لأمر ظهر

وهـذا الـذي قـد بـدا مـنـكـم ... وأكـثـره فـي الـقـلـوب اسـتـتـر
فـتـوبـوا إلـى الله مـن نـكـثـكـم ... فـقـد أُلـقـم الـنـكـثُ صُمَّ الـحـجـر
ولـم يـجـلـب الـنـكـثُ غـيـر الـردى ... وسـوء الـمـصـيـر وفـقـد الـوزر
وأضـحـى الإمـام مـلاذ الـعـبـاد ... عـزيـز الـجـنـاب قـوي الـظـفـر
فـيـا سـيِّـدي قـد حـكـمـتَ الـبـلاد ... فـمـا جـرَّك الـحـكـم فـي الـمـنـحـدر
وأفـشـيـتَ فـي الـنـاس روح الإخـاء ... فـعـمَّ الـرخـاء وطـاب الـثـمـر
وسـجَّـلـتَ إسـمـك فـي الـخـالـديـن ... وأعـداؤك الـعـمـيُ فـيـهـم نـظـر
ويـا سـيِّـدي يـعـجـز الـصـابـرون ... مـن الـصـبـر بـيـن الـقـنـا الـمـسـتـعـر
وصـبـرك فـتَّ الـجـبـال وقـد ... تـعـجَّـب مـنـه الـقـضـا والـقـدر
وذقـتَ الـقـذى عـنـد ضـرب الـبـتـول ... فـمـا بـطـش الـسـيـف فـيـمـن ثـأر
وقـد قـيَّـد الـبـطـشَ ربُّ الـوجـود ... لأمـرٍ، فـدع مـن طـغـى إذ كـفـر
ولـولا الـوصـيـة يـا سـيِّـدي ... لـمـا عـرف الـبـغـي أيـن الـمـفـر؟
ومـا دخـل الـكـفـرُ بـيـتَ الـبـتـول ... ومـا وجـد الـظـلـم فـيـه مـقـر
ولـكـن رضـيـتَ بـحـكـم الإلـه ... فـيـا لـك مـن صـابـر قـد ظـفـر
فـصـبـراً عـلـى الـثـأر يـا بـن الـكـرام ... فـمـا ضـاع ثـأر رسـا وازدهـر
إلـى أن يـقـوم إمـام الـزمـان ... فـذاك هـو الـثـائـر الـمـدَّخـر
فـيـا ربِّ عـجِّـل لـه ثـأره ... وفـرِّج بـه غـيـبـة الـمـنـتـظـر
بـكـم يـقـبـل الله أزكـى الـصـلاة ... وتُـرمَـى الـصـلاةُ عـلـى مـن بـتـر
ومـن ذكـركـم يـلـهـج الـخـاشـعـون ... بـأزكـى الـدعـاء قُـبـيـل الـسـحـر
ومـن فـكـركـم يـسـتـطـيـب الـحـديـث ... بـأسـمـى الـمـعـانـي وشـتـى الـصـور
ومـن بـحـركـم يـغـرف الـمـتـقـون ... ومـن عـلـمـكـم يـتـسـطـيـب الـسـمـر
ونـأخـذ مـن عـلـمـكـم رشـفـةً ... لـنـحـيـي الـقـلـوب ونـقـضـي الـوطـر
أزف ودادي وأزكـــى الـــسـلام ... لأتـقـى الـخـلائـق مـمـن شـكـر
وأهـل الـشـفـاعـة فـي مـحـشـر ... كـمـا جـاء فـي مـحـكـمـات الـسـور
وأهـل الـنـجـابـة مـن هـاشـم ... وأسـمـى الـبـرايـا عـلـى مـن فـخـر
فـلـم يـنـجـب الـدهـر أمـثـالـهـم ... ولـم يـجـد الـكـفء فـيـمـن غـبـر
فـيـا أيُّـهـا الـشـعـر حـطّ الـرّحـال ... بـبـاب الـكـرام شـمـوس الـغـرر

وقد طاب لي الشعر في مدحكم ... فضمَّنت مدحي رقيق الفكر
ورصَّعت مدحي بصدق الولاء ... وحسن الكلام وأبهى الدرر
وأوقفت مدحي على الطيبين ... فما المدح إلا لبدر زهر
ولا أرتضي المدح في غيركم ... ولا أعتني ببقايا المدر
ولا أنحني لبريق النقود ... ولا أخشى ممن بغى أو هدر
فهاك القصيدة يا سيِّدي ... فقد أنعم الحسنُ فيها النظر
ومَيَّدها حسنُها والدلال ... كما مَيَّد القدُّ لحن الوتر
وزُيِّنَت بحسنٍ ولفظٍ بديع ... كما زُيِّن ظبيٌ بطرفٍ حور
وهشَّت إليك بوجهٍ بشوشٍ ... كما هشَّ غصن لوقع المطر
نثرتُ الرّضاب على لفظها ... ففاق الأريج عبير الزهر
نظمتُ الشوارد في سَلْكها ... فعفواً لما زاغ عنه البصر

الفصل الثالث:

بعد الحرب

لما عُقر الجمل وتطاير الناكثون عنه كتطاير الفراش، أعلن أمير المؤمنين عليه السلام العفو العام. فقد روى فطر بن خليفة عن منذر الثوري قال: لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين عليه السلام منادياً ينادي: أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً[1].

فالتعليمات واضحة ومحدَّدة. وإذا قارنا فعل أمير المؤمنين عليه السلام بالناكثين، وفعلهم مع الأحنف وأصحابه حين انتصروا عليه وجدنا الفرق بين الهدى والضلال، والرحمة والإنتقام، وفعل الخير وفعل الشر. (وكل إناء بالذي فيه ينضح!!).

وروى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: سمعت معاذ بن عبيد الله التميمي، وكان قد حضر الجمل يقول: . . . فوالله لقد رأيت أصحاب علي عليه السلام وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صائح: اعقروه، فعقروه فوقع فنادى علي عليه السلام: من طرح السلاح فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن. فوالله ما رأيت أكرم عفواً منه[2].

لقد اعترف بعفو أمير المؤمنين عليه السلام العدو قبل الصديق. والفضل ما شهدت به الأعداء.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٥، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٩٧.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٦٥، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٠.

وذكر المسعودي العفو الذي أصدره أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (وقد كان نادى يوم الوقعة: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن)[1].

وذكر اليعقوبي: (ثم نادى منادي علي: ألا لا يُجهز على جريح، ولا يتبع مولٍّ، ولا يُطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمن الأسود والأحمر)[2].

فقد كان العفو شاملاً لكل الذين حملوا السلاح ضد أمير المؤمنين، وأعطاهم فرصة الحياة إذا ألقو سلاحهم، وأغلقوا عليهم أبواب بيوتهم، كما أن هذا العفو الشامل قد قيَّد أيدي أصحابه الأوفياء من أن يجهزوا على جريح أو يلاحقوا هارباً. وهذا لم يحصل في الحروب العربية قبل الإسلام، ولم يطبَّق في جيوش المسلمين حين استولى الطامعون على مقاليد الأمور قبل أمير المؤمنين عليه السلام وبعده. وما فعله خالد بن الوليد قائد جيش أبي بكر بمالك بن نويرة وقومه خير دليل على ذلك. وما فعله جيش يزيد بأهل المدينة في واقعة الحرة يبيِّن أن حكَّام الجور لا يعرفون معنى العفو العام، وليس العفو من شيمهم.

وروى البلاذري بسنده عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أن مروان بن الحكم حدَّثه ـ وهو أمير على المدينة ـ قال: لما تواقفنا يوم الجمل لم يلبث أهل البصرة أن انهزموا فقام صائح لعلي فقال: لا يقتل مدبر، ولا يدفَّف على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح سلاحه فهو آمن[3].

والفضل ما شهدت به الأعداء. فقد جاء هذا الإعتراف على لسان أحد عتاة الناكثين، وهو من ألد أعداء النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بشكل عام، ومن ألد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاص. ورغم هذا العفو الذي شمله وشمل أصحابه الناكثين، إلا أنَّه لم يعرف الجميل والإحسان لأمير المؤمنين عليه السلام، فتنكر لذلك الجميل، وقابل الإحسان بالإساءة، وقام بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٦٩، العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٧، بحار الأنوار: المجلسي ج٣٢ ص٢١٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص١٨١، الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٥١.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ج٢ ص٢٦٢.

ولم يكتف بذلك، بل أمر الأجلاف من أتباع خط السقيفة بسب أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام علانية في خطب الجمعة. فقد روى ابن عساكر بسنده عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: قال مروان بن الحكم: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا من صاحبكم. ـ يعني علياً عن عثمان ـ قال: قلت له: فما لكم تسبونه على المنابر؟! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك[1]!! فقد ردَّ مروان بن الحكم على عفو أمير المؤمنين عليه السلام عنه بهذا العمل الدنيء الذي تأباه طباع البشر. لكن لا غرابة في الأمر إذا عرفنا أن مروان غصن من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وهو أحد القرود التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله تنزو على منبره فساءه ذلك[2].

من عجائب أفعال الناكثين وهم في حالة الإحتضار ما رواه الطبري بسنده عن روح بن عبادة قال: حدثنا روح عن أبي رجاء قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أذنه، قلت: أخلقة؟ أم شيء أصابك؟ قال: أحدثك: بينا أنا أمشي بين القتلى يوم الجمل، فإذا رجل يفحص برجليه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمُّنا ... فلم ننصرف إلا ونحن رواء
لقد كان عن نصر ابن ضبة أمَّه ... وشيعها مندوحة وغناء
أطعنا قريشاً ضلة من حلومنا ... ونصرتنا أهل الحجاز عناء
اطعنا بني تيم بن مرة شقوةً ... وهل تيم إلا أعبدٌ وإماء

قلت يا عبد الله، قل لا إله إلا الله. قال: ادن مني ولقنِّي، فإن في أذي وقراً!! فدنوت منه، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، فوثب عليَّ فاصطلم أذني كما ترى!! ثم قال: إذا لقيت أمك فأخبرها: إن عمير بن الأهلب الضبي فعل بك هذا!!)[3].

لقد ندم هذا الصعلوك المتمرد على اشتراكه في تلك الحرب المجنونة حيث لا

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر ج٣ ص٩٩، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص١٨٤.

(٢) أنظر: الدر المنثور: السيوطي، ج٤ ص٢١١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٣، مروج الذهب: المسعودي ج٢ ص٣٧٠، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٣، تجارب الأمم: ابن مسكويه ج١ ص٣٢٧، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٦٦، الكامل في التاريخ: ج٣ ص١٣٩، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص٨٢.

ينفعه الندم. فقد اعترف ـ وهو في آخر حياته البائسة ـ بأن أمه عائشة بنت أبي بكر قد أوردته حومة الموت وسبَّبت له ميتة السوء، ولم ينصرف من المعركة هو وأصحابه الناكثون إلا وهم رواء من مائها الآسن، وقد كانت له مندوحة وغناء عن نصرتها ونصرة أتباعها من الطغام وأبناء السوء. وقد اعترف أخيراً وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بأنه وأصحابه قد أطاعوا قادة حرب الجمل القرشيين بسبب ضلالة أحلامهم، وما نصرتهم لقادة حرب الجمل ـ عائشة وطلحة والزبير ـ الحجازيين إلا تعب ومشقة. ولم تجلب لهم طاعتهم لبني تيم بن مرة ـ عائشة وطلحة التيميين ـ إلا الشقاء والبؤس. ثم يسخر بمرارة ويقول: وما قبيلة تيم الممثلة في طلحة بن عبيد الله وعائشة بنت أبي بكر إلا عبارة عن مجموعة من العبيد والإماء، فكيف يترأسون على رقاب العباد؟!

ومن التصرفات العجيبة لهذا التمرد البائس، فحين مرَّ به أحد الكوفيين وهو ينشد ذلك الشعر البائس قاله له: (يا عبد الله، قل لا إله إلا الله) فلم يكن جوابه إلا الرفض والعناد وعدم الإعتراف بالشهادة. وهذا دليل على عدم اعتقاده بوحدانية الله في آخر رمق من حياته التعيسة. وإنما قال للكوفي: (ادن مني فإن في أذني وقراً!!). وفي مروج الذهب: (فقال: يا بن اللخناء، إياي تأمر بالجزع عند الموت؟! فوليت عنه متعجباً منه، فصاح بي ادن مني ولقِّني الشهادة!!).

فقد رفض التلقين وكذب على ذلك المسكين وهو في آخر ساعة من ساعات الدنيا وأول ساعة من ساعات الآخرة. وقام بشتم ذلك الرجل الكوفي، ثم بدا له أن ينتقم منه فطلب منه أن يدنو منه ليلقِّنه الشهادة التي لم يعتقد بها في حياته، ولما اقترب منه وثب عليه واصطلم أذنه، ثم انتهت حياته بسوء الخاتمة.

فالذي يقوم بذلك العمل الإجرامي ليس من جنس البشر، بل من الذئاب المفترسة. وقد عرفت عائشة كيف تحارب إمامها حين استعانت عليه بمثل هذه الذئاب المتوحشة. ومما يحز في النفس أنها قالت في حق أولئك الذئاب المفترسة بأنهم الهداة أثناء حديثها مع أخيها محمد بن أبي بكر بعد عقر جملها وقبيل حمل هودجها[1].

---

(١) أنظر: تاريخ الطبري، ج٥ ص٢١٩، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤٠.

وفي مروج الذهب (ثم التقم أذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أمك فقالت: من فعل بك هذا؟! فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين!!). فقوله أقبح من فعله. ولم يرض أن يخرج من الدنيا دون أن يسجِّل اسمه في سجل المجرمين. وبقي هذا السجِّل شامة سوداء في تاريخ قادة حرب الجمل.

ولم ينس هذا الصعلوك المتمرد ـ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ـ أن يسخر من عائشة القائدة العليا لجيش الناكثين التي أعطت نفسها حق التصرف في شؤون الخلافة حيث تقيل هذا وتنصِّب ذاك، وتنزع الإمامة من أمير المؤمنين عليه السلام وتعطيها لطلحة والزبير (إذا صرت إلى أمك فقالت: من فعل بك هذا؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين!!).

ولم يبعد هذا التمرد الضبي عن الصواب حين أكد على أن عائشة أرادت أن تكون أمير المؤمنين!! فقد ذكر ابن أبي الحديد: (ثم إن عبد الله بن الزبير ادَّعى أن عثمان نصَّ عليه بالخلافة يوم الدار، واحتج في ذلك بأنه استخلفه على الصلاة، واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادَّعاه. وطلب طلحة من عائشة أن يسلِّم الناس عليه بالإمرة!! وأدلى إليها بالتيمية!! وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها، فأمرت الناس أن يسلموا عليهما معاً بالإمرة!!)[1].

ما أحمق هذه المرأة أميرة المفسدين.

فلو لم ير طلحة والزبير أن عائشة أميرة للمؤمنين لما طلبا منها الإمرة، وأدلى أحدهما بالتيمية، والآخر بأسماء أختها، ولو لم تر نفسها أميرة للمؤمنين لما (أمرت الناس أن يسلموا عليهما معاً بالإمرة!!). فلم يتجن عليها ذلك المتمرد الضبي حين قال عن نفسه وعنها في سخرية مريرة (مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين!!)، بل أميرة المفسدين والناكثين والفاسقين.

والشيء الغريب في الأمر، أن هذا الصعلوك الضبي المغرَّر به قد انتقم لنفسه من عائشة وسخر منها وتهكم بها وتبَّرأ منها ومن إمامتها وهو في آخر رمق من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص١١٠.

حياته التعيسة في الدنيا، أما في الحياة الآخرة فهي التي ستسخر منه وتتخلى عنه، وتتبرأ منه ومن تبعيته وتتركه لوحده يلاقي حتفه البائس ويجني ما جنت يداه دون أن تنفعه بشيء أو تخلصه من العذاب الأليم في نار جهنم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

والغريب في الأمر إن هذا المتمرد الضبي قد يئس من الفوز بدخول الجنة، وأبياته التي أنشدها في هجاء قادة حرب الجمل أكبر شاهد على ذلك اليأس في ذلك الوقت العصيب، رغم الضمان المجاني الذي قدمَّته عائشة لأتباعها قادة وجنوداً!!

لما ذهبت عائشة إلى كعب بن سور شيخ قبيلة الأزد قالت له: (يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عزّ وجلّ!! فما الذي أخرَّك عنّي؟ فقال: يا أماه! لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة. فقالت: يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقرِّبك إلى الجنة!!)[1].

وذكر الشيخ المفيد: (وأحاطت الأزد بالجمل يقدمهم كعب بن سور وخطام الجمل بيده واجتمع إليهم من كان أنفل بالهزيمة ونادت عائشة: يا بني الكرَّة الكرَّة! إصبروا فإني ضامنة لكم الجنة، فحفّو بها من كل جانب)[2].

فلما سقط ذلك المتمرد الضبي على الأرض وحاط به شبح الموت، رجع له وعيه واكتشف زيف الضمانات التي قدَّمتها عائشة له ولأصحابه فعض يده ندماً حيث لا ينفعه الندم. ومن هذه الحالة، يقفز سؤال إلى ذهن المسلم الغيور: من يتحمل وزر إضلال هذا المتمرد الضبي والآلاف من أصحابه؟! لا شك أن قادة حرب الجمل: عائشة وطلحة والزبير هم الذين يتحملون ذلك الوزر. لكن هذا لا يعني إعفاء أولئك الصعاليك المتمردين من وزر اتِّباعهم لقادة حرب الجمل ومحاربتهم لإمامهم ونكث بيعته.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٢٢.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٤٧.

وبعد أن انهزم الناكثون ولاذوا بالفرار، واحتملت عائشة بهودجها، فحملت إلى دار عبد الله بن خلف (أمر عليّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح. وقال عليه السلام: لعنه الله من دابة!! فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثم قرأ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧][1].

لماذا أمر أمير المؤمنين عليه السلام بحرق الجمل وذري رماده في الريح؟ وما دلالة ذلك؟ وهناك خيول وجمال كثيرة استخدمها الناكثون في حربهم ضد إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام ولم يأمر بحرقها وذري رمادها في الريح. فلماذا أمر بحرق جمل عائشة بالذات؟ ولماذا لم يكتف بحرق الجمل دون أن يذري رماده في الريح؟

ولماذا لعن الجمل حين قال: (لعنه الله من دابة)؟! وماذا تعني هذه اللعنة؟ وما دلالتها؟ وما مغزى أمير المؤمنين عليه السلام حين شبه جمل عائشة بعجل بني إسرائيل؟! لقد افتتن الناكثون بجمل عائشة كما افتتن بنو إسرائيل بالعجل الذي صنعه لهم السامري. ولاذ بنو إسرائيل بالعجل يعبدونه من دون الله تاركين النبي هارون عليه السلام وصي النبي موسى عليه السلام كما لاذ الناكثون بجمل عائشة يشمّون بعره النتن ويحسبونه مسكاً أذفر تاركين إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام وصي النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن موقف الناكثين من الجمل وصاحبته يشبه موقف بني إسرائيل من العجل وصاحبه السامري. ولولا هذا التشابه في الدابتين وأتباعهما لما شبَّه الجمل بعجل بني إسرائيل. وكما أن السامري بعجله اللعين قد أضل بني إسرائيل، كذلك الحال مع عائشة حين أضلت الناكثين بجملها اللعين فأحاطوا به يحاربون إمامهم وينكثون بيعته، حتى خرجوا من الدنيا ولفظوا أنفاسيهم الأخيرة دون أن تكون لهم بيعة في أعناقهم فسبَّبت لهم عائشة الميتة الجاهلة، كما تسبَّب السامري بارتداد بني إسرائيل حيث عبدوا العجل وتركوا خليفتهم النبي هارون عليه السلام.

ومن أوجه التشابه أيضاً، فقد حذَّر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله عائشة من ركوب هذا الجمل ونهاها عن ركوبه لعلمه بأن هذا الجمل سيسبِّب الضلال لعدد كبير من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٢٦، نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٤٤.

الناس، إلا أن عائشة لم تصغ إلى ذلك التحذير ولم تطع نبيِّها فركبته عن قصد وعناد وسبق إصرار، وكذا الحال مع عجل بني إسرئيل، فقد حذَّر النبي هارون عليه السلام السامري وأصحابه من عبادة العجل إلا أن السامري وأصحابه لم يطيعوه ولم يصغوا إلى نصائحه وأصرُّوا على العكوف على عبادة العجل «﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه: ٩٠-٩١].

وقد قال النبي موسى عليه السلام للسامري وقد عزم على حرق عجله عجل الضلال ونسفه في اليم كما بيَّنه القرآن الكريم: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧]. كذلك الحال مع أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أمر عائشة بالذهاب إلى المدينة، وأمر بحرق جملها جمل الضلال وذري رماده في الريح متمثلاً بالآية نفسها التي تمثَّل بها النبي موسى عليه السلام.

فقد تشابه الموقفان، موقف النبي موسى وأمير المؤمنين عليهما السلام من دعاة الضلال في زمنيهما، وكان النصر والتأييد الإلهي حليفهما. كما تشابه الموقفان: موقف السامري وعجله وعائشة وجملها من أئمة الحق والعدل في زمنيهما، وأضحى الخزي والخذلان حليفهما. وفي هذا التشابه والتباين في المواقف عبرة للمعتبر. فهل اعتبر أتباع السقيفة؟!

وبعد ان وضعت الحرب أوزارها وأصدر أمير المؤمنين عليه السلام العفو العام الذي شمل جميع فلول الناكثين، وأمر بحرق الجمل، قام بجولة تفقدية ميدانية على أرض المعركة يتفقد فيها القتلى والجرحى. فقد ذكر الشيخ المفيد: (ولما انجلت الحرب بالبصرة، وقُتل طلحة والزبير، وحُملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين عليه السلام وتبعه أصحابه، وعمار رحمه الله يمشي مع ركابه، حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم)[1].

أما ابن عبد ربه فقد ذكر أن وقت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام للقتلى في الليل وليس في النهار. فقد قال: (ومن حديث سفيان الثوري قال: لما انقضى يوم

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩١.

الجمل خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه وبيده شمعة يتصفح وجوه القتلى)[1].

وسواء كانت الزيارة ليلاً أم نهاراً، فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الزيارة التفقدية، وتوقف عند جثث القادة الكبار وغيرهم، وعلَّق عليهم بكلام مختصر، إذا تأمل فيه المسلم الغيور يستشف منه سوء الخاتمة والمصير الأسود الذي صاروا إليه، والبؤس والشقاء الذي سينتظرهم.

وذكر الشيخ المفيد: (ثم جعل يستعرض القتلى رجلاً رجلاً، فلما رأى أشراف قريش صرعى في جملة القتلى قال: جدعت أنفي! أما والله لقد كان مصرعكم لبغيضاً إليّ، ولقد تقدمت إليكم وحذَّرتكم غض السيوف وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون، ولكن الحين ومصارع السوء!! نعوذ بالله من سوء المصرع)[2].

لقد امتلأ قلبه الكبير بالرحمة على أعدائه الذين حاربوه ونكثوا بيعته، فكيف بأصحابه وأنصاره وشيعته. وذكر ابن أبي الحديد عن الجاحظ أن أمير المؤمنين عليه السلام قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد: (شفيت نفسي وقتلت معشري، إلى الله أشكو عجري وبجري، قتلت الصناديد من بني عبد مناف، وأفلتتني الأعيار من بني جمح)[3].

وذكر الشيخ المفيد: (ثم سار حتى وقف على كعب بن سور القاضي وهو مجدل بين القتلى، وفي عنقه المصحف!! فقال: نحّوا المصحف وضعوه في مواضع الطهارة. ثم قال: أجلسوا إليَّ كعباً. فأجلس ورأسه ينخفض إلى الأرض فقال: يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربُّك حقاً؟! ثم قال: اضجعوا كعباً. فتجاوزه)[4].

فقد شبَّه موقف كعب بن سور شيخ قبيلة الأزد بموقف المشركين في غزوة بدر وهم صرعى على حرِّ الثرى. وخاطبه بالخطاب نفسه الذي خاطبه رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٢٨.
(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩١، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٠٧.
(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٤٩.
(٤) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٢.

قتلى قريش المشركين في بدر. ولا عجب في ذلك، فقد ذكرنا أرجوزة هذا الزعيم الأزدي في الفصل السابق[1]. التي غدت الأنشودة المفضَّلة والمحبَّبة لمقاتلي جيش الناكثين، فاستبسلوا في القتال على وقع نغماتها الشيطانية التي صدَّتهم عن الحق فأوردتهم موارد الهلكة.

وذكر ابن أبي الحديد: (لما انهزم أهل البصرة ركب علي عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، وكانت باقية عنده، وسار في القتلى يستعرضهم، فمرَّ بكعب بن سور القاضي، قاضي البصرة، وهو قتيل، فقال: أجلسوه فأجلس، فقال له: ويلمِّك كعب بن سور!! لقد كان لك علم لو نفعك!! ولكن الشيطان أضلَّك فأزلَّك!! فعجلَّك إلى النار!! أرسلوه)[2].

فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على كعب بن سور شيخ الأزد بأن الشيطان قد أضله وأزلَّه، عجَّل بروحه إلى النار. ويا له من سوء المصير وسوء الخاتمة. وقارن بين شهادة أمير المؤمنين عليه السلام في مصير كعب بن سور بتلك النهاية البائسة، وضمان عائشة حين قالت له: (يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عزّ وجلّ فما الذي أخرَّك عني؟! فقال: يا أمَّاه! لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة. فقالت: يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقرِّبك إلى الجنة!!)[3].

فقد خرج أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل ظافراً مستبشراً بثواب الله سبحانه وتعالى، وخرجت عائشة من الحرب مهزومة مخذولة خائفة من تبعات الحرب التي أشعلتها وأزهقت فيها الأرواح، وسفكت الدماء البريئة، ولما اقترب أجلها وخيَّم عليها شبح الموت خافت وتمنت أن تكون نسياً منسياً!! فأين يقع مصير كعب بن سور شيخ الأزد بين الموقفينّ! هل يصدق عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام المنتصر في الحرب وقد شهد عليه بالضلال والمصير إلى النار؟ أم يصدق عليه ضمان عائشة المهزومة المخذولة الخائفة من تبعات مجزرة حربها وقد

---

(١) أنظر: كتاب الفتوح: أبن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٧٩، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص١٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٤٨، أنظر: الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٤، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٠٠، ٢٠٩.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٢٢.

وعدته بالجنة إذا مسك خطام جملها الذي أمر أمير المؤمنين عليه السلام بحرقه كما أحرق النبي موسى عليه السلام عجل السامري؟! فالجواب واضح كوضوح الشمس. وقد صرَّح المنصفون من علماء خط السقيفة بهلاك الأتباع في جيش الناكثين. وهذا تكذيب صريح لوعود عائشة بدخول الجنة لكعب بن سور وغيره من الناكثين.

وواصل أمير المؤمنين تفقده للقتلى فوصل عند جثة طلحة فقال: (هذا ناكث بيعتي، والمنشيء للفتنة في الأمة، والمجلب عليَّ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة!! فأجلس. فقال أمير المؤمنين: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟! ثم قال: اضجعوا طلحة! وسار فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم طلحة بعد قتله؟! فقال: أما والله سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر!!)[1].

فقد شهد عليه أمير المؤمنين عليه السلام بنكث البيعة وإثارة الفتنة في الأمة وتجييش الجيوش ضد إمامه والداعي إلى قتله وقتل عترته. فقد ارتكب عدداً من الموبقات كل موبقة أعظم من أختها. وأضحى حاله كحال قتلى المشركين في بدر. فيا لها من مشابهة تقصم الظهر، والويل له من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تُرد.

وذكر ابن أبي الحديد: (ثم مرَّ بطلحة بن عبيد الله قتيلاً، فقال: اجلسوه، فأجلس. قال أبو مخنف في كتابه: فقال: ويلمِّك طلحة!! لقد كان لك قدم لو نفعك!! ولكن الشيطان أضلَّك فأزلك فعجلك إلى النار!!)[2].

وذكر الطبرسي: (وروى أنه عليه السلام لما مرَّ على طلحة من بين القتلى، قال: أقعدوه، فأقعد: فقال: إنه كانت لك سابقة من رسول الله صلى الله عليه وآله لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار!!)[3].

---

(١) الإحتجاج: الطبرسي ج١ ص١٦٣، الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٢، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٤٨، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٠١.

(٣) الإحتجاج: الطبرسي ج١ ص١٦٣، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي ج٣٢ ص٢٠٠، الشافي: السيد المرتضى ج٤ ص٣٤٤.

فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة بالضلال، وأن الشيطان دخل منخريه وأزلّه وأورده النار. والويل له من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام التي توصمه بسوء الخاتمة وأنه من أهل النار.

ومما يؤكد ضلال طلحة وصاحبه الزبير ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في البصرة بعد خطبة طلحة التي اتهم فيها المؤمنين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام بالنفاق والنصرانية، فقد قال: (أيها الناس! إن طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي، فدعواهم إلى معصية الله وخلافي، فمن أطاعهما منهم فتنوه، ومن عصاهما قتلوه... ولسنا نرعد حتى نوقع، ولا نسيل حتى نمطر، وقد خرجوا من هدى إلى ضلال!! دعوناهم إلى الرضا ودعونا إلى السخط)[1].

فقد أكد على خروج طلحة وصاحبه الزبير من الهدى إلى الضلال، ولو لم يخرج طلحة وصاحبه من الهدى إلى الضلال لما شهد عليهما. ولم يشهد أمير المؤمنين على باطل قط. وقوله: (فمن أطاعهما منهم فتنوه...) يؤكد على ضلاله وضلال صاحبه. فطاعة المؤمن المهتدي ليست فتنة، وإنما الفتنة في طاعة أهل الضلال.

ومما يؤكد ضلال طلحة وصاحبه الزبير ما ذكره أبو مخنف من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار، حيث قال في خطبته: (...وإن دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما. يا خيبة الدَّاعي؟ إلام دعا! وبماذا أجيب؟ والله إنهما لعلى ضلالة صمَّاء، وجهالة عمياء، وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه. ثم رفع يديه، فقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني، وظلماني، وألبَّا عليَّ، ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءه فيما عملا وأمَّلا[2].

فقد أقسم أمير المؤمنين عليه السلام على ضلالة طلحة وصاحبه، ومن المعروف عنه

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٣١٠، نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١١٩.

بأنه لا يقسم على باطل، لا يقول إلا حقاً. ودعاؤه عليهما حين قال: (ولا تغفر لهما أبداً!!) دليل على استحقاقهما النار، بل الخلود في قعرها، لمكان لفظة (أبداً) التي تفيد الإستمرار. ففي المعجم الوسيط: أبداً: ظرف زمان للمستقبل، يستعمل مع الإثبات والنفي، ويدل على الإستمرار، نحو: «خالدين فيها أبداً» والأبدي: ما لا آخر له[1].

وقوله في طلحة والزبير في خطبته بذي قار: (وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله) يؤكد كلامه لطلحة حين وقف عند جثته وهي ملقية على الأرض: (ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار) أو: (لكن الشيطان دخل في منخريك فأوردك النار!!). فالقول يؤكد بعضه بعضاً، ورأيه فيه هو نفسه لم يتغير.

ومما يؤكد أن طلحة من أهل النار الحوار الذي جرى بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام حين قال له في نهاية الحوار كما أورده ابن قتيبة: (... وأخرجتم أمكم عائشة، وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أرضى هذا لرسول الله أن تهتكوا ستراً ضربه عليها، وتخرجوها منه؟ فقال طلحة: إنما جاءت للإصلاح!! قال عليّ: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج. أيها الشيخ أقبل النصح وارض بالتوبة مع العار!! قبل أن يكون العار والنار!!)[2].

فقد نصحه بأن يرجع بالتوبة والعار فقط، قبل أن يجمع العار والنار، إلا أنه رفض وأصرَّ على الجمع بين العار والنار عن عمد وسبق إصرار. وقد نصحه في هذا الحوار قبل نشوب الحرب، إلا أنه أصرَّ على قيادة جيش الناكثين والإستبسال في حرب إمامه إلى آخر نفس من حياته البائسة كما بيَّناه في الفصل السابق. فمن الحماقة استبعاده من دخول النار بعد شهادة أمير المؤمنين على استحقاقه بدخولها حين رفض التوبة رفضاً قاطعاً.

ومما يؤكد أن طلحة من أهل النار ما رواه ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوماً لنسائه وهن عنده جميعاً: ليت شعري أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب، تنبحها

---

(١) المعجم الوسيط: مادة: (أبد) ج١ ص٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٩٥.

كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، وكلهم في النار!! وتنجو بعدما كادت!![1].

فقد قال النبي ﷺ: (يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار!!). ولم يستثن أحداً. وطلحة من ضمن أولئك القتلى الذين قتلوا عن يمينها وشمالها، ولم يستثنه نبي الرحمة ﷺ من النار. والحديث واضح وضوح الشمس، وصريح إلى أبعد حدود الصراحة في أن طلحة من أهل النار. ولو كان طلحة لا يستحق النار لاستثناه نبي الرحمة ﷺ. فالقول بأنه ليس من أهل النار مكابرة وعناد للحديث النبوي الشريف. وقد فصَّلنا مواقفه السيِّئة في الفصول السابقة، ودوره الكبير في تجييش جيش الناكثين، وقياته لذلك الجيش، واستبساله في القتال ضد إمامه الشرعي إلى آخر رمق من حياته التعيسة، ونكثه البيعة عن عمد وسبق إصرار، فكيف يكون الجنود الذين ائتمروا بأمره وحاربوا تحت لوائه من أهل النار، ولا يكون هو ـ وهو رأس الحربة ـ من أهل النارّ! فالتفكيك بين مصير الجنود وقائدهم لا يستند إلى دليل من الشرع أو العقل، واستثناء طلحة من الحديث النبوي الشريف دون قرينه خيانة للإسلام وعناد للرسول ﷺ، واستخفاف بالدماء الزكية التي سفكها، واحتقار للأرواح البريئة الطاهرة التي زهقها من أجل الإستيلاء على منصب الخلافة والتحكم في رقاب العباد، كما وثقنا مراراً كثيرة في الأبواب والفصول السابقة.

وقد ورى هذا الحديث بهذ اللفظ علماء الفريقين كلهم عن ابن عباس. وقد وثقنا ذلك في الهامش، وتركنا كثيراً من المصادر التي روت الحديث النبوي بألفاظ مختلفة بالزيادة أو النقصان، ومن أرادها فليرجع إلى مظانها[2]. عدا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٣١١، الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٣٢، مناقب آل أبي طالب: أبن شهر آشوب ج٣ ص١٤٩، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوي، ج١ ص١٢٤، كفاية الطالب: الكنجي الشافعي، ص١٧١، معاني الأخبار: الصدوق القمي، ص٣٠٥، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٨، مجمع الزوائد: الهيثمي ج٧ ص٢٣٤، كتاب السبعة من السلف: السيد مرتضى الفيروزآبادي، ص١٧٥.

(٢) أنظر: المستدرك، الحاكم، ج٣ ص١١٩، ١٢٠، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٧١، المسند: أحمد بن حنبل، ج٦ ص٥٢، ٩٧، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٢، نور الأبصار: الشبلنجي، ص١٠٠، كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٥٧، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٦ ص٢١٢، ج٧ ص٢٢٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٠٣، الصواعق المحرقة: ابن حجر ص١١٩، الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٩٨.

الرواية التي رواها الهيثمي في مجمع الزوائد، فقد روى الحديث عينه عن ابن عباس، إلا أنه حذف منه عبارة: (كلهم في النار) ثمَّ علَّق على الحديث بقوله: رواه البزَّار، ورجاله ثقات. فورود عبارة (كلهم في النار) في جميع المصادر، وكلها عن ابن عباس عدا مجمع الزوائد للهيثمي دليل قوي على أنه تمَّ حذفها، سواء كان الحذف منه أو من القائمين على طبع الكتاب، وهذه ليست بأول قارورة تكسر في الإسلام. فهذا ديدن أتباع السقيفة إذا رأوا في أي حديث نبوي شريف لفظة تقصم ظهر أسيادهم.

ومما يؤكد أن طلحة من أهل النار ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: أما بعد، ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به. ثم قال: وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. وزاد في الرواية الأخرى: كتاب الله فيه الهدى والنور. من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ. وقال في الرواية الثالثة: ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ. وهو حبل الله. من اتبعه كان على الهدى. ومن تركه كان على ضلالة)[1].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي. وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. فانظروني بم تخلفوني فيهما[2].

ومن الواضح أن طلحة بن عبيد الله قائد جيش الناكثين لم يتمسك بالثقلين معاً.

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦ ـ ٢٧، (رقم الحديث ٢٤٠٨).

(٢) المسند: أحمد بن حنبل ج٣ ص١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، المستدرك: الحاكم، ج٣ ص١٠٩، ١٤٨، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج١ ص٣٥٥، أسد الغابة: ابن الأثير، ج٢ ص١٨، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج٣ ص٤٦٧، ج٤ ص١١٥، ١١٦، الدر المنثور: السيوطي: ج٦ ص٨.

وهذا واضح من سيرته التي سردناها في الأبواب والفصول السابقة. فقد خالف الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم. فقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فأمير المؤمنين من أولي الأمر، بل هو وليّ أمره الشرعي حين عصى أمره وأشعل ضده حرب الجمل. وسواء أخذنا معنى كون أمير المؤمنين عليه السلام ولي أمر طلحة بالمعنى الذي يطرحه شيعة أهل البيت، أو بالمعنى الذي يطرحه علماء خط السقيفة. أما كونه ولي أمر طلحة وفق مذهب أهل البيت فواضح[1].

وأما كونه ولي أمر طلحة وفق منهج خط السقيفة، فقد بيَّنا في الباب الثالث من الكتاب، حيث تمت خلافته بالبيعة له بعد مقتل عثمان، وقد كان طلحة في مقدمة المبايعين ثم نكث البيعة، وجيَّش الجيوش ضد إمامه، وحاربه حرباً لا هوادة فيها إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة. فأين الطاعة الواجبة التي فرضها عليه القرآن الكريم (الثقل الأكبر)؟!

فلم يطع ولي أمره كما أمره القرآن الكريم (الثقل الأكبر). وعصيانه لولي أمره من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى برهان. فقد قضى نحبه البائس وهو يحارب إمامه، وتمرَّد عليه بشتى أنواع التمرد، فأين الطاعة لولي أمره!

فعدم طاعته لإمامه الشرعي وولي أمره دليل واضح على أنه لم يتمسك بالثقل الأكبر وهو القرآن الكريم الذي أمره بتلك الطاعة وأوجبها عليه.

كما أن حربه لإمامه بذلك الجيش الناكث الذي قاده، واستبساله في القتال إلى آخر رمق من حياته التعيسة دليل آخر على أنه لم يتمسك بالعترة بشكل عام، وبسيِّد العترة وزعيمها بشكل خاص. وفي موقفه هذا لم يتمسك بالثقلين كليهما (القرآن والعترة).

فقد جاء في رواية مسلم لحديث الثقلين: (كتاب الله فيه الهدى والنور. من استمسك به وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ!!). وفي الرواية

---

(١) راجع الآية رقم: ٥٥ من سورة المائدة في: تفسير الميزان، ج٦ ص ٥ ـ ٢٥، وحديث الغدير في مختلف المصادر مثل: كتاب الغدير: الأميني. المجلد الأول.

الآخرى التي رواها في صحيحه: (ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ. هو حبل الله. من اتبعه كان على الهدى. ومن تركه كان على ضلالة!!).

وجاء في الرواية التي رواها ابن الأثير عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[1].

فهو لم يتبع الثقل الأكبر وهو القرآن الكريم الذي يأمره بطاعة أولي الأمر، ولم يكتف بعدم طاعة أولي الأمر، بل حارب ولي أمره الشرعي. كما أنه لم يتمسك بالثقل الأصغر وهم عترة النبي ﷺ الذين لا يفترقون عن القرآن الكريم، ولم يكتف بعدم التمسك بالعترة (الثقل الأصغر) بل حارب سيد العترة ونكث بيعته عن عمد وسبق إصرار، مما يدل على أنه من أهل الضلال بنص حديث الثقلين الذي رواه مسلم في صحيحه، وابن الأثير في أسد الغابة. والرجل المتمرد الضال لايشم رائحة الجنة. والحفظ من الضلال يتمثل في التمسك بالثقلين معاً. القرآن الكريم والعترة.

وقد جاء في حديث الثقلين كما رواه أحمد بن حنبل في مسنده: (...وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. فانظروني بم تخلفوني فيهما).

فلن يفترق أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيِّد العترة عن القرآن الكريم، ولن يفترق القرآن الكريم عنه حتى يردا الإثنان (القرآن الكريم وسيِّد العترة أمير المؤمنين عليه السلام) الحوض على النبي ﷺ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى نبيَّه الكريم. أي أنهما لن يفترقا إلى الأبد. وطلحة قدافترق عن أمير المؤمنين سيِّد العترة عليه السلام، وتمرَّد عليه، وألَّب عليه المتمردين، واتَّخذ نهجاً يخالف نهجه، وحاربه إلى آخر رمق من حياته البائسة، مما يدل على أنه فارق الثقلين معاً: القرآن الكريم، وسيَّد العترة أمير المؤمنين عليه السلام. ورجل يفارق الثقلين ويتخلى

(١) أسد الغابة: ابن الأثير، ج٢ ص١٨.

عنهما عن عمد وسبق إصرار لا مكان له في الجنة التي أعدَّها الله للمتقين. وبمفارقته للثقلين دليل على أنه من أهل النار، كما قال له أمير المؤمنين عليه السلام حين وقف على جثته في أرض المعركة. فلا يمكن لشخص أن يدخل الجنة دون أن يتمسك بالثقلين معاً. فالهداية تتمثل في التمسك بهما معاً، والضلال يتمثل في عدم التمسك بهما معاً، أو بأحدهما دون الآخر.

ومما يؤكد على ضلال طلحة وأنه من أهل النار ما رواه الحافظ النسائي بسنده عن زر بن حبيش الأسدي أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: أنا فقأت عين الفتنة ولولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أني أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذي قضى الله عزّ وجلّ على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً بالهدى الذي نحن عليه[1].

فقوله: (مبصراً لضلالهم، عارفاً بالهدى الذي نحن فيه). دليل صريح على ضلال الناكثين من جانب، وهدى أمير المؤمنين وأصحابه من جانب آخر. ولا مجال للتفكيك بين الناكثين وقادتهم، ولا يمكن أن يكون الناكثون على ضلال، وقادتهم على الهدى. فالجميع على ضلال قادة وأتباعاً.

وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه حين قال لهم، لولا أنه يخشى أن يتركوا العمل لأخبرهم بالذي قضاه الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله من الأجر والثواب الجزيل لمن يقاتل الناكثين الضالين. وعظم الثواب لمقاتلي جيش أمير المؤمنين يدل على عظم ضلال الناكثين. ولا يمكن للأتباع أن يكونوا أكثر ضلالاً من القادة. فالأتباع يتحملون وزر ضلالهم، وما قاموا به من أعمال إجرامية في ساحة المعركة. والقادة يتحملون وزر ضلالهم وما قاموا به من أعمال إجرامية في قيادة الناكثين في ساحة المعركة، كما يتحملون وزر أتباعهم الذين حاربوا تحت رايتهم راية الضلال. فأيهم أكثر ضلالاً؟ وأيهم أكثر إجراماً؟!

وقد أمر الله سبحانه وتعالى ونبيُّه الكريم صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين بقتال الناكثين قادة وأتباعاً. فقد أورد ابن كثير عدة روايات بعدة طرق تدل على ذلك، منها ما رواه

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الحافظ النسائي، ص٣٢٤، (رقم الحديث: ١٨٨)، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني ج٤ ص١٨٦، كشف الغمة: الإربلي، ج١ ص٢٤٤.

عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي، قال: (أُمرت بقتال ثلاثة: المارقين والقاسطين والناكثين)[1].

فلا يمكن أن يأمره نبي الرحمة ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى بقتال الأتباع وترك القادة وهم رؤوس الفتنة. فلا بد أنه قد أمره بقتال الجميع رؤوساً وأذناباً، بل الأمر بالقتال موجه للقادة قبل الأتباع. وطلحة من القادة المتمردين. والذين يأمر الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام بقتالهم لا خير فيهم، بل هم عناصر فاسدة في المجتمع الإسلامي ينبغي اجتثاثهم من جديد الأرض.

وأمير المؤمنين عليه السلام مأمور من قبل الله ورسوله ﷺ بقتال الناكثين وخصوصاً القادة. وهذا دليل على أنهم ليسوا من أهل الجنة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين وقف عند جثة طلحة وهو أحد قادة الناكثين: (. . . ولكن الشيطان أضلَّك فأزلك فعجَّلك إلى النار!!)[2].

وكما قال رسول الله ﷺ يوماً لنسائه وهنَّ عنده جميعاً: (ليت شعري أيتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب، تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلهم في النار!! وتنجو بعد ما كادت)[3].

ولم نتجن على طلحة، وإنما الدليل هو الذي قادنا إلى ذلك، ومن لديه لومٌ فليلم الرواة الذين رووا الأحاديث النبوية، أو فليدع. فلا يعرف الحق بالرجال، وإنما تعرف الرجال من خلال تمسكها بالحق. اعرف الحق تعرف أهله. وتاريخ الرجل كما سردناه موثقاً في الأبواب والفصول السابقة ينبيء أنه من أهل الدنيا لا من أهل الآخرة، وأن أعماله الشرِّيرة المخالفة للشرع تدخله النار وتمنعه من دخول الجنة.

ولم يقتصر في تمرده على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام سيد العترة (الثقل الأصغر)، بل تمرَّد على أسياده الذين استولوا على مقاليد الأمور في السقيفة. فقد ذكر ابن أبي الحديد: (دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر، فقال: إنه بلغني أنك

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص٢٤٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج٩ ص٣١١و كفاية الطالب: الكنجي الشافعي، ص١٧١.

يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم؟! وأنت غداً لاقٍ ربَّك، فيسألك عن رعتيك!! فقال أبو بكر: أجلسوني، ثم قال: أبالله تخوّفني!! إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت عليهم خير أهلك. فقال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله! فاشتد غضبه وقال: إي والله، هو خيرهم وأنت شرَّهم. أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك!! ولرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها!! أتيتني وقد دلكت عينيك، تريد أن تفتنني عن ديني!! وتزيلني عن رأيي!! قم لا أقام الله رجليك!! أما والله لئن عشت فواق ناقة، وبلغني أنك غمصته فيها، أو ذكرته بسوء. لألحقنك بمحمضات قنَّة!! حيث كنتم تُسقون ولا تروون، وترعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك بجحون راضون. فقام طلحة فخرج)[1].

وفي خبر آخر: (فلما فرغ من الكتاب، دخل عليه قوم من الصحابة، منهم طلحة، فقال له: ما أنت قائل لربك غداً، وقد ولَّيت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب!!)[2].

فقد تمرَّد على أبي بكر ووقف له بالمرصاد كي يمنعه من أن يوصي بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطَّاب. كما تمرَّد على خلافة عمر بن الخطاب قبل أن تتم، ووصفه بكلام خشن (. . . فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس، تنفض عنه القلوب، ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم؟ . . . أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله؟!). وهذا قمة التمرد على أبي بكر وعمر.

وقد وصفه أبو بكر بالشرّ حين قال له: (وأنت شرُّهم). وهذه شهادة من أبي بكر. فإما أن نقبل شاهدته في طلحة، فيكون طلحة من الرجال الأشرار، وإما أن نقول بأن أبا بكر قد شهد على طلحة بالشر وهو بريء منه فيؤدي إلى سقوط عدالته حين شهد على صاحبه بتلك الشهادة الظالمة. وفي كلتا الحالتين، أحلاهما مرٌّ.

وتأمل في قوله: (أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها، حتى يكون الله هو الذي يضعها. . .). فقد وصفه بصفات الطغاة

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٦٥، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٠ ص٥٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج١ ص١٦٤.

المتكبرين الذين لا تتلاءم صفاتهم مع ما يتطلعون إليه من معالي الأمور. وعلى ضوء هذه الصفات والنعوت السيِّئة، ماذا يحدث لو انتصر طلحة في الحرب واستولى على مقاليد الأمور؟! ولا ننسى بأن أتباعه يؤمنون بنظرية: نحن مع من غلب.

لم يقتصر تمرده على أبي بكر وعمر فقط. فقد تمرَّد على عثمان بن عفان، ووثقنا دوره القيادي لذلك التمرد، ولم يستطع أتباعه إنكار دوره الكبير. فقد ذكر ابن قتيبة: (فأقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرِّض الفريقين جميعاً على عثمان. ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه؟ وهو يدخل إليه الطعام والشراب. فامنعوه الماء أن يدخل عليه)[1].

وقال عنه سعد بن أبي وقاص: (. . .وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه!!)[2].

ولما تمرَّد على إمامه أمير المؤمنين عليه السلام قال سعيد بن العاص له ولصاحبه الزبير: (إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟! أصدقاني. قالا: لأحدنا!! أينا اختاره الناس!! قال: بل اجعلوه لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون بدمه. قالا: ندع شيوخ المهاجرين!! ونجعلها لأبنائهم!!)[3].

ولما وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة أرسل عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير ليقنعهما بالتوبة وترك التمرد. فقال طلحة لعبد الله بن عباس: (أيظن ابن عمك أنه قد حوى على الأمر حين حوى على الكوفة؟! وقد والله كتبت إلى المدينة تُؤخذ لي البيعة بمكة!!)[4].

هذه صور من نماذج تمرده على أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر وعمر وعثمان. ولم يترك أحداً إلا وتمرد عليه. بل لم يسلم صاحبه الزبير من تمرده حين نافسه على إمامة الصلاة بعد غدرهما بعثمان بن حنيف والي البصرة.

وإذا كان تمرده ضد أبي بكر وعمر لم يتعدَّ التمرد اللفظي والإحتجاج

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٥٧.
(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٦٧.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص١٦٨.
(٤) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٣٧.

السلمي، وجُوبه بذلك الكلام القارص، فقد كان تمرده ضد عثمان يتمثل في تحريض الثوار وقيادتهم، ولما قتل استولى على مفاتيح خزائن بيت المال، حتى خرج الأمر من يده، وقد وجد من يسانده في تحقيق أهدافه.

أما تمرده ضد إمامه أمير المؤمنين عليه السلام فقد بلغ الغاية فيه، حيث جيَّش ضده جيش الناكثين، وحاربه حرباً لا هوادة فيها، أهلك فيها العباد وأحرق البلاد، حتى سقط قتيلاً في ساحة المعركة، ولفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقود جيش ضلالة وجهاً لوجه ضد إمامه الشرعي. ولهذا لا غرابة أن يقف أمير المؤمنين عليه السلام عند جثته ويخاطبه بذلك الكلام: (ويلمّك طلحة! لقد كان لك قدم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلَّك فعجلك إلى النار!!). والويل له من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام التي شيعته إلى مثواه الأخير.

على كل حال، ثم واصل أمير المؤمنين عليه السلام جولته التفقدية للقتلى، ووقف عند بعضهم وعلَّق عليهم بما يناسبهم من التعليقات، تركنا كثيراً منها روماً للإختصار ومن أرادها فليرجع إليها في مظانها[1].

وبعد أن أنهى جولته التفقدية للقتلى أمر مناديه فنادى: (من أحبَّ أن يواري قتيله فليواره. ثم قال عليه السلام: واروا قتلانا في ثيابهم التي قتلوا فيها، فإنهم يحشرون على الشهادة وإني لشاهد لهم بالوفاء)[2].

فلم يمنع أمير المؤمنين فلول جيش الناكثين من أن يواروا قتلاهم. وقد ضرب في هذا الموقف أروع الأمثلة. لكن الأمويين بحقدهم كافؤوا هذا الإحسان بالإساءة، فتركوا الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره على بوغاء كربلاء دون دفن ولم يكتفوا بذلك، بل قطعوا رؤوسهم، ومثلوا بأجسادهم، وحرقوا الخيام، وساقوا بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا على أقتاب المطايا، إلى الطليق بن الطليق يزيد بن معاوية. فإذا قارنا بين الموقفين نجد الفرق بين الثريا والثرى، والإيمان والكفر، والرحمة والإنتقام، وأهل الحق وأهل الباطل.

---

(١) أنظر: الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٢ ـ ٣٩٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٤٨، ٢٤٩، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٠٠ ـ ٢٠١، ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٤.

وقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه أن يدفنوا المؤمنين الذين قتلوا تحت لوائه بثيابهم التي قتلوا فيها، وهذا بحد ذاته دليل على كونهم من الشهداء السعداء. وقوله: (فإنهم يحشرون على الشهادة، وإني لشاهد لهم بالوفاء) دليل آخر على فوزهم بالشهادة. فهل تستطيع عائشة أن تضمن الشهادة لقتلاها؟! وهل تستطيع أن تشهد لهم بالشهادة عند الله سبحانه وتعالى إذا وقفت للحساب في محكمة العدل الإلهي؟ نوكل الجواب إلى دموعها التي بلّلت خمارها كلما تذكرت أفعالها في يوم الجمل.

لقد وقف أحد القادة عند قتلاه، وأمر بدفنهم بثياب الشهادة، وشهد لهم بحصولهم على الشهادة، وسيشهد لهم بالوفاء يوم القيامة، أما القادة في الفريق المقابل، فقد أمسوا مشتتين بين قتيل وأسير، لم يستطيعوا أن يقدموا نفعاً لقتلاهم، ولم يضمنوا لهم الشهادة، وقد تركوهم لوحدهم يلاقون نتائج حتفهم البائس، ولن يتجرؤوا أن يشهدوا لهم بالشهادة إذا تعلقوا برقبتهم في محكمة العدل الإلهي يوم القيامة. بل أعطى بعضهم الضوء الأحمر على أسفهم من قيادة تلك الحرب المجنونة، وتمنوا أن يكونوا نسياً منسياً، ولم يستطيعوا أن يطمئنوا أنفسهم من تبعاتها، فكيف يشهدون على أتباعهم بدخول الجنة والحصول على أجر الشهادة؟! والتفكر في مواقف قادة الفريقين من قتلاهم عبرة للمعتبر.

انتهت الحرب وقد تمخضت عن آلاف القتلى والجرحى. وألقت بضلالها الكئيبة على أهل البصرة بشكل خاص وعلى المسلمين بشكل عام. واختلف المؤرخون في إحصاء عدد القتلى بين مكثر ومقل.

فقد ذكر اليعقوبي: (فروى بعضهم أنه قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً)[1].

وقال الشيخ المفيد: (وقد اختلفت الروايات في عدد القتلى بالبصرة، فقد جاء في بعضها أنهم خمسة وعشرون ألفاً، وروى عبد الله بن الزبير رواية شاذة أنهم كانوا خمسة عشر ألفاً. قيل: ويوشك أن يكون قول ابن الزبير أثبت. ولكن القول بذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله أهل العلم به، فإن الأخبار عن عدد من قطعت يده

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٧.

يومئذٍ ورجله ثم قتل بعد ذلك مشهورة أنهم كانوا نحواً من أربعة عشرة ألف رجل)[1].

وقال أبو مخنف: (وكان جميع من قتل من الناس من أهل البصرة عشرين ألفاً)[2].

وذكر الشيخ علي بن عيسى الإربلي: (وكان عدة من قتل من جند الجمل ستة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعين انساناً. وكانوا ثلاثين ألف. فأتى القتل على أكثر من نصفهم، وقتل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف وسبعون رجلاً. وكانوا عشرين ألفاً)[3]. اي أن عدد القتلى في جيش الناكثين (١٦٧٩٠ رجلاً) من ثلاثين ألف رجل. وقتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام (١٠٧٠ رجلاً) من عشرين ألف رجل.

وذكر سبط الجوزي: (واختلفوا في الذين قتلوا في ذلك اليوم. فقال قوم: قتل من عسكر عائشة «رض» ثمانية عشر ألفاً، وقيل: اثني عشر ألفاً. ومن أصحاب عليّ عليه السلام خمسة آلاف. وقيل: ألف)[4].

وذكر ابن أعثم الكوفي: (قال أبو يعقوب إسحاق بن يوسف الفزاري: سألت أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب عمن قتل من أصحاب عليّ رضي الله عنه، وعائشة رضي الله عنها في يوم الجمل. فقال: أما علي رضي الله عنه فكان في عشرين ألفاً، قتل من أصحابه ألف رجل وسبعون رجلاً، وأما عائشة فكانت في ثلاثين ألفاً ويزيدون. فقتل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل، ومن بني ضبَّة ألف رجل، ومن بني ناجية أربعمائة رجل، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل، ومن بني حنظلة سبعمائة رجل، ومن سائر أخلاط الناس تسعة آلاف رجل)[5]. أي أنَّ عدد القتلى في جيش عائشة قد بلغ (١٥٩٩٠ رجلاً) من ثلاثين ألف رجل.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤١٩.

(٢) نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٥٠، أنساب الأشراف: البلاذري ج٢ ص٢٦٥.

(٣) كشف الغمة: أبو الحسن الإربلي، ج١ ص٢٤٢، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص١٩١، نور الأبصار: الشبلنجي، ص١٠٢.

(٤) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٥.

(٥) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٧.

وقال المسعودي: (إن الذي قتل من أصحاب عليّ في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس، ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشرة ألفاً. وقيل غير ذلك)[1].

وذكر المسعودي: (قيل لأبي لبيد الجهضمي من الأزد: أتحب علياً؟! قال: وكيف أحب رجلاً قتل من قومي في بعض يوم ألفين وخمسمائة!! وقتل من الناس حتى لم يكن أحدٌ يعزي أحداً، واشتغل أهل كل بيت بمن لهم؟!)[2].

ما ذنب أمير المؤمنين عليه السلام إذا لم تحبه أيها الصعلوك الناكث بيعته؟! فإذا كان عندك لوم فلُم من أشعل الحرب الظالمة التي أكلت من قومك ٢٥٠٠ متمرد على إمامهم الشرعي!!

وذكر الشيخ المجلسي في رواية أخرى: (قيل إن عدة من قتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً. ومن أصحاب عليّ أربعة آلاف، أو خمسة آلاف)[3].

وذكر الطبري: (عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا: كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب عليّ، ونصفهم من أصحاب عائشة. من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مضر ألفان، وخمسمائة من قيس، وخمسمائة من تميم، وألف من بني ضبة، وخمسمائة من بكر بن وائل. وقيل: قتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف. قالا: وقتل من بني عدي يومئذٍ سبعون شيخاً كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن. وقالت عائشة: ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدي!!)[4].

وقال ابن كثير: (وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف. وأما الجرحى فلا يحصون كثرة!!)[5].

---

(١) مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٧١.

(٢) مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٧١، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٥.

(٣) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢١١.

(٤) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٢، الكامل في التاريخ: ابن الأثير ج٣ ص١٤٢، الفخري: ابن طباطبا ص٨٨، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٣٦.

(٥) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٣٧.

لقد تمخضت حرب الجمل عن آلاف القتلى وأما الجرحى فلا يحصون كثرة كما يقول ابن كثير، غير ما خلفته من أرامل ويتامى، وما سببَّته من قطع الأواصر الإجتماعية، وبث الفرقة والشقاق بين المسلمين، والإستهانة بمنصب الإمامة، والتحدِّي العلني لآيات القرآن الكريم، والإستهتار بالأحاديث النبوية الشريفة التي تحذِّر من إشعال هذه الحرب قبل أن تشتعل بعشرات السنوات، وتحذِّر القادة الناكثين من قيادتها وإضرامها. فمن يتحمل كل ذلك؟ ومن يتحمل مآسيها وتبعاتها وما خلَّفته من كوارث وأحزان؟! لا شك أن عائشة وطلحة والزبير هم الذين يتحملون مسؤوليتها وتبعاتها بالدرجة الأولى. ثم الأمثل فالأمثل. ولولاهم لما تحرَّك الآخرون في إضرامها، وقد وثقنا دورهم في التخطيط والتنفيذ لهذه الحرب وقيادتها إلى آخر مراحلها حتى سقطوا بين قتيل وأسير في الأبواب والفصول السابقة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. فإذا كان هذا جزاء من يقتل مؤمناً واحداً متعمداً، فكيف بمن يتسبب في قتل آلاف المؤمنين عن عمد وسبق إصرار؟!

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر[1]. وقادة حرب الجمل قد قاتلوا عشرين ألف من المؤمنين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام. ألا يكون ذلك القتال كفراً؟!

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر وغيره: أن النبي ﷺ قال: من حمل علينا السلاح فليس منا[2]. فقادة حرب الجمل وأعوانهم ليسوا من المسلمين لرفعهم السلاح واستخدامه ضد المؤمنين، وتسبَّبوا في قتل الآلاف منهم. ومعنى الحديث النبوي واضح وضوح الشمس.

وبعد أن انتهت الحرب بهزيمة الناكثين وفرار الزبير من ميدان المعركة منهزماً وقد توجه إلى وادي السباع، لحقه ابن جرموز فغدر به واحتز رأسه وأتى به إلى أمير

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص١١٤، (رقم الحديث: ٦٤).

(٢) صحيح مسلم: ج١ ص١٣٧، (رقم الحديث: ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

المؤمنين عليه السلام. وقد تعددت الروايات في طريقة غدر ابن جرموز بالزبير. فبعض المؤرخين قال بأنه غدر به وهو نائم، وبعضهم قال إن الغدر قد تم حين انشغل الزبير بأداء الصلاة، وبعضهم قال: إن الغدر قد تم أثناء مسايرة ابن جرموز للزبير في الطريق. ووصف بعضهم المواجهة المسلحة بين ابن جرموز وأصحابه من جانب والزبير وأصحابه من جانب آخر تغلَّب فيها في النهاية ابن جرموز واحتز رأس الزبير.

على كل حال، أيّاً كان السبب، فقد ذكر الشيخ المفيد: (وسايره ابن جرموز، فبينا هو يسايره ويستأخر والزبير يفارقه، قال: يا أبا عبد الله انزع درعك فاجعلها على فرسك فإنها تثقلك وتعيبك، فنزعها الزبير، وجعل عمرو بن جرموز ينكص ويتأخر والزبير يناديه أن يلحقه وهو يجري بفرسه، ثم ينحاز عنه حتى اطمأن إليه ولم ينكر تأخره عنه، فحمل عليه وطعنه بين كتفه فأخرج السنان من ثدييه ونزل فاحتز رأسه وجاء به إلى الأحنف، فأنفذه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال: ناولني السيف. فناول فهزَّه وقال: سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الحين ومصارع السوء!! ثم تفرَّس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبه، ومنه قرابة، ولكن الشيطان دخل منخريك!! فأوردك هذا المورد)[1].

تأمل في قول أمير المؤمنين عليه السلام حين تفرَّس في وجه الزبير (... ولكن الشيطان دخل منخريك!! فأوردك هذا المورد). وهذا القول شهادة من إمام معصوم في حق الزبير. وهذا القول يدل على عدم توبة الزبير، وكيف تاب وقد دخل الشيطان في منخريه؟! ولو تاب لرجع إلى إمامه يقاتل بين يديه الناكثين الذين أتى بهم. وقد وثقنا في الفصل السابق مباشرته القتال ضد إمامه الشرعي إلى أن انهزم جيشه ولاذ بالفرار فلاقى حتفه البائس في وادي السباع. وهذا العمل الذي قام به دليل على أن الشيطان قد دخل منخريه فحال بينه وبين التوبة. ولو أراد التوبة لعرف أن طريقها لا يؤدي إلى وادي السباع.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٨٨، ٣٩٨، ٣٩٠، وأنظر: العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٥٤، نصوص من تاريخ أبي مخنف، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٤٧، الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٣، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٤.

وتأمل في قول أمير المؤمنين حين تناول سيف الزبير وهزَّه: (سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله ﷺ، ولكن الحين ومصارع السوء!!). فقد شهد على أن الزبير قد مات ميتة السوء، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة دون أن يكون في عنقه بيعة. ولو مات ميتة محمودة لما قال له ذلك. والميتة المحمودة لا يكون محلها في وادي السباع، بل يكون محلها تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام. وقد حاربها الزبير إلى أن فرَّ منهزماً، فكيف يكون مصرعه مصرعاً حميداً؟!

وذكر ابن أبي الحديد مصرع الزبير فقال: (. . . فلما قام إلى الصلاة شدَّ ابن جرموز عليه فقتله وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه، وحثا عليه تراباً يسيراً، ورجع إلى الأحنف، فأخبره، فقال: والله ما أدري أسأت أم أحسنت؟ إذهب إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فجاء إلى عليّ عليه السلام، فقال للآذن: قل له: عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه، فأدخله. وفي كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف، فقال له: وأنت قتلته؟ قال: نعم. قال: والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لئيماً، ولكن الحين ومصارع السوء!! ثم قال: ناولني سيفه، فناوله فهزَّه وقال: سيف طالما جلّى به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ. فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين!! فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: بشِّر قاتل ابن صفية بالنار. فخرج ابن جرموز خائباً وقال:

أتيت عليّاً برأس الزبير ... أبغي به عنده الزلفة
فبشِّر بالنار يوم الحساب ... فبئست بشارة ذي التحفة
فقلت له إن قتل الزبير ... لولا رضاك من الكلفة
فإن ترض ذاك فمنك الرّضا ... وإلا فدونك لي حلفة
وربِّ المحلين والمحرمين ... وربِّ الجماعة والألفة
لسيَّان عندي قتل الزبير ... وضرطة عنز بذي الجحفة

ثم خرج ابن جرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النهر، فقتله معهم فيمن قتل)[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، وانظر: مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٤، العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٢٩ ـ ١٣٠، الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٤٨ ـ ١٤٩، نور الأبصار: الشبلنجي، ص١٠١.

فقد ركَّز أمير المؤمنين عليه السلام على أن الزبير مات ميتة سوء (ولكن الحين ومصارع السوء!!). ولو أراد المصرع المحمود لقاتل تحت راية إمامه أمير المؤمنين عليه السلام بدلاً من أن يقاتله إلى أن مني بالهزيمة ففرَّ من أرض المعركة إلى وادي السباع.

وأما تبشير قاتل الزبير بالنار، ليس السبب فيه كرامة للزبير، فهو رأس من رؤوس الفتنة، وإنما السبب يرجع إلى عاقبة القاتل وهو ابن جرموز. فقد قتل رجلاً غيلة بعد أن أصدر أمير المؤمنين عليه السلام العفو العام (لما انهزم الناس يوم الجمل أمر أمير المؤمنين عليه السلام منادياً ينادي: أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً)[1]. أو كما ذكر اليعقوبي: (ثم نادى منادي عليّ: ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍّ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمن الأسود والأحمر)[2].

فالعفو العام صريح ومحدَّد في أن (لا يتبعوا مدبراً ـ ولا يتبع مولٍّ ـ ولا يطعن في وجه مدبر. ثم آمن الأسود والأحمر). والعفو يشمل جميع فلول الناكثين من الجرحى والهاربين والمختبئين في بيوتهم. والزبير يشمله العفو العام لأنه من الهاربين. وقيام ابن جرموز بقتله غيلة أو من خلال مواجهة مسلحة خلاف لمبدأ العفو العام الذي أصدره أمير المؤمنين عليه السلام. وهو تعدٍّ صارخ، وخرق واضح لذلك العفو الذي أصدره إمام المسلمين هذا من جانب.

ومن جانب آخر، فإن المتأمل في أبيات ابن جرموز التي قالها فيما بعد يكتشف فيها الدليل الواضح على عدم إيمانه، وعدم تورعه في سفك دماء الناس وخصوصاً البيت الأخير منها.

ومن جانب ثالث، فإن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله على علم بالخاتمة السيئة لابن جرموز، وأنه سوف يخرج على إمامه، ويلاقي حتفه البائس وهو يحارب إمامه أمير المؤمنين عليه السلام تحت راية الخوارج راية الضلال. وهذا ما حدث فعلاً على أرض الواقع كما أخبر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله. فقد ذكر ابن أبي الحديد في نهاية خبر ابن

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٥، الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٩٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٧، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢١٤.

جرموز: (ثم خرج ابن جرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النهر، فقتله معهم فيمن قتل). لهذا السبب طلب نبي الرحمة صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام ـ قبل وقوع الحادثة بعشرات السنوات ـ أن يبشِّره بالنار لعلمه بسوء خاتمته مستقبلاً لكونه من الخوارج المتمردين على الإمام والمارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وحتى لا يظن الناس أن له منزلة عند الله حين قام بقتل الزبير رأس المتمردين، مع العلم أنه قد غدر به بعد صدور العفو العام. وللسيد المرتضى ردٌّ مفحم ردَّ فيه على سفاسف القاضي عبد الجبار بخصوص الموضوع نفسه، فارجع إليه إن شئت[1].

وقال البلاذري: (وأمر عليّ برأسه فحمل إلى وادي السباع فدفن مع بدنه)[2]. هذا هو الموقف الإنساني لأمير المؤمنين عليه السلام من أحد رؤوس المتمردين، وإذا قارنا بين هذا الموقف وموقف جيش يزيد بن معاوية في كربلاء لوجدنا الفرق بين الإيمان والكفر، والمثل الإنسانية وقوانين الغاب، والموقف الحضاري والموقف الهمجي.

بعد أن فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك توجَّه إلى قائدة جيش الناكثين عائشة بنت أبي بكر في دار عبد الله بن خلف الخزاعي. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (فدعا عليّ ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوى عليها، وأقبل إلى منزل عائشة، ثم استأذن ودخل، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة وهي تبكي وهن يبكين معها. قال: ونظرت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى عليّ، فصاحت هي ومن كان معها هناك من النسوة وقلن بأجمعهن: يا قاتل الأحبة!! يا مفرق بين الجميع أيتم الله منك بنيك!! كما أيتمت ولد عبد الله بن خلف. فنظر إليها عليّ فعرفها فقال: أما إني لا ألومك أن تبغضيني وقد قتلت جدك في يوم بدر، فقتلت عمك يوم أحد، وقتلت زوجك الآن. ولو كنت قاتل الأحبة كما تقولين لقتلت من في هذا البيت ومن في هذه الدار. قال: فأقبل عليّ على عائشة فقال: ألا تنحين كلابك هؤلاء عني؟! اما إنني قد هممت أن أفتح باب هذا البيت فاقتل من فيه، وباب هذا البيت فأقتل من فيه. ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة فضربت أعناقهم صبراً!! قال: فسكتت وسكتت النسوة فلم

---

(١) الشافي في الإمامة: السيد المرتضى، ج٤ ص٣٢١ ـ ٣٦٦.

(٢) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٥٤.

تنطق واحدة منهن. قال: ثم أقبل على عائشة فجعل يوبِّخها ويقول: أمرك الله أن تقري في بيتك وتحتجبي بسترك ولا تبرجي، فعصيته وخضت الدماء، تقاتليني ظالمة!! وتحرضين عليَّ الناس، وبما شرَّفك الله وشرَّف أباءك من قبلك، وسمَّاك أم المؤمنين، وضرب عليك الحجاب. قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلفك فيه رسول الله ﷺ إلى أن يأتيك فيه أجلك. ثم قام عليّ فخرج من عندها)[1].

فقد قالت صفية بنت الحارث الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى إمامها أمير المؤمنين عليه السلام: (يا قاتل الأحبة!! يا مفرق الجميع!! أيتم الله بنيك!! كما أيتمت ولد عبد الله بن خلف). فالذي قتل أحبَّتها هو الذي أخرجهم لقتال إمامهم وترأسهم تحت راية الضلال. والذي فرَّق جمع المسلمين هو الذي جمع شمل الناكثين وأتى بهم إلى البصرة ففرق جمع أهلها وشتَّت كلمتهم.

وأما دعاؤها على أولاده باليتم وفيهم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة فليس غريباً، لأن هذا هو مستوى موقفها من أداء آجر الرسالة. ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. فالويل لهذه الشقية حين وقفت مع الأشقياء وتنكرت للصالحين. وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام لها: (أما إني لا ألومك أن تبغضيني!! وقد قتلت جدك في يوم بدر، فقتلت عمك يوم أحد، وقتلت زوجك الآن...) فيه دلالة على نفاق هذه المرأة. لأن بغض أمير المؤمنين علامة من علامات النفاق. ولا عجب أن تبغض هذه المرأة إمامها أمير المؤمنين عليه السلام. فقد قتل جدها وعمَّها كافرين. أحدهما في غزوة بدر والآخر في غزوة أحد. كما قتل زوجها ناكثاً بيعته في حرب الجمل التي أشعلتها عائشة. وقد وثقنا ذلك في الفصل السابق[2].

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٥، تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٢، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤٣، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٩، تجارب الأمم: ابن مسكويه، ج١ ص٣٢٩، تفسير فرات الكوفي، ج١ ص١١، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٢، نهج السعادة: الشيخ محمد باقر المحمودي، ج١ ص٣٧٤، دعائم الإسلام: القاضي النعمان، ج١ ص٣٩٤، مستدرك الوسائل: ميرزا النوري ج١١ ص٥١.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٦١، المناقب: الموفق الخوازمي، ص١٨٨.

وقد ردَّ أمير المؤمنين عليه السلام على صفية بنت الحارث الثقفية وفنَّد ادِّعاءاتها الكاذبة حين قال لها: (لو كنت قاتل الأحبة كما تقولين لقتلت من في هذا البيت ومن في هذه الدار). وقد كانوا في متناول يده لو أراد ذلك.

وذكر المسعودي أن أمير المؤمنين قال: (لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت وقد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر وغيرهم). وقد اشتركوا جميعهم في حرب إمامهم. ولو أراد أن يقتلهم لقتلهم جميعهم لكونهم مجرمين، لكنه تركهم وشملهم عفوه الكريم.

وذكر فرات الكوفي أن أمير المؤمنين عليه السلام قد قال لصفية: (لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار ـ وأومىء بيده إلى ثلاث حجر في الدار ـ قال فضربنا بأيدينا على قوائم السيوف، وضربنا بأبصارنا إلى الحجر التي أومى إليها، فوالله ما بقيت في الدار باكية إلا سكتت ولا قائمة إلا جلست. قلت: يا أبا القاسم، فمن كان في تلك الحجر الثلاث؟ قال: أما واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً، ومعه شباب قريش جرحى. وأما الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير ومعه آل الزبير جرحى. وأما الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أين ما دارت. قلت: يا أبا القاسم هؤلاء أصحاب القرحة، فهلا ملتم عليهم بهذه السيوف؟ قال: يا ابن أخي، أمير المؤمنين كان أعلم منك. وسعهم أمانه. إنا لما هزمنا القوم نادى منادياً: لا يذفَّف على جريح ولا يتبع مدبر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن)[1].

فقد كان يعلم بوجودهم رغم ذلك لم يأمر بقتلهم، مع العلم أنهم من عتاة الناكثين ومن كبار المتمردين. وهذا الموقف الإنساني خير دليل في تفنيد ادِّعاءات صفية بنت الحارث الثقفية.

وقوله لها: (ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة فضربت أعناقهم صبراً). دليل واضح على أن الناكثين المختبئين في دارها لا يستحقون العفو والشفقة. وإنما عفا عنهم تكرماً منه كما عفا رسول الله صلى الله عليه وآله عن مشركي مكة وسمَّاهم الطلقاء.

وقد قال لها: (ألا تنحِّين كلابك هؤلاء عني). من المعروف عن أمير

---

(١) تفسير فرات الكوفي: فرات الكوفي، ج١ ص١١٢.

المؤمنين عليه السلام أنه لا يتفوَّه بهذه الألفاظ. وإن صحَّ ما قاله المؤرخون فهذا دليل على أن أولئك النسوة من ذوات الخلق السيء بحيث أنه أخرجهن من جماعة البشر إلى حظيرة الحيوانات. واشتراكهن مع صاحبة الدار في مجابهة أمير المؤمنين عليه السلام بذلك الكلام القارص خير دليل على سوء نيتهن وخبث سريرتهن. فلا عجب أن يصفهن بذلك الوصف الذي ينطبق عليهن تمام الإنطباق.

ثم أقبل على عائشة يوبِّخها على ما فعلته، وشهد عليها بالعصيان لأوامر ربها. وهذا بحد ذاته تفنيد لادّعاءات أتباعها حين وصفوها بالإجتهاد، وأعطوها أجر المجتهد المخطيء. كما شهد عليها بأنها قد سفكت كثيراً من الدماء البريئة بغير حق. وقوله لها: (وخضت الدماء) دليل على ذلك. كما اتهمها بأنها قاتلته وهي ظالمة له، وقد حرَّضت عليه أوباش الناس وطغامهم. وسيكون حسابها عسيراً يوم القيامة في التهم التي وُجِّهت إليها. ولم تستطع أن تنفي تلك التهم عنها. لكن أتباعها قد ملؤوا الكتب في الدفاع عنها بما لا طائل تحته. فتباً لتلك الأقلام المأجورة.

وبعد أن خرج أمير المؤمنين عليه السلام من عندها (جاءها عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال لها: يا أماه! كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف؟ فصمتت ولم تجبه. وجاءها مالك الأشتر وقال لها: الحمد لله الذي نصر وليَّه وكبت عدوه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. فكيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟ فقالت: من أنت ثكلتك أمك؟ فقال: أنا ابنك الأشتر. قالت: كذبت!! لست بأمك!! قال: بلى، وإن كرهت!! فقالت: أنت الذي أردت أن تثكل أختي أسماء ابنها؟! فقال: المعذرة إلى الله ثم إليك، والله إني لولا كنت طاوياً ثلاثة لأرحتك منه)[1].

فقد أنكرت أمومتها للأشتر وكذَّبته وهي تعلم بأن هذا الإنكار مخالف لصريح القرآن الكريم. وأن الأشتر أكَّد على أمومتها له وإن كرهت. ثم لامته على محاولته قتل ابن أختها عبد الله بن الزبير. فهو عندها أغلى من جميع أتباعها حين جعلتهم وقوداً رخيصاً لحربها المجنونة.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٧٠.

وذكر الشيخ الإربلي: فلما وضعت الحرب أوزارها ودخلت عائشة إلى البصرة ودخل عليها عمار بن ياسر ومعه الأشتر فقالت: من معك يا أبا اليقظان؟ فقال: مالك الأشتر. فقالت: أنت فعلت بعبد الله ما فعلت؟ فقال: نعم فلولا كوني شيخاً كبيراً وطاوياً لقتلته وأرحت المسلمين منه. قالت: أوما سمعت قول النبي ﷺ: إن المسلم لا يقتل إلا عن كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل النفس التي حرَّم الله قتلها؟ فقال: يا أم المؤمنين على أحد الثلاثة ما قاتلناه. ثم أنشد:

أعايش لولا أنني كنت طاوياً ... ثلاثاً لألفيت أبن أختك هالكا
عشية يدعو والرماح تحوزه ... بأضعف صوت اقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وعمّه ... خدب عليه في العجاجة باركا
فنجّاه مني أكله وشبابه ... وأنّي شيخ لم أكن متماسكا[1]

وزاد أبو مخنف على الأبيات السابقة:

وقالت على أي الخصال صرعته ... بقتلٍ أتى؟ أم ردّةٍ لا أبالكا
أم المحصن الزاني الذي حلَّ قتله ... فقلت لها لا بدّ من بعض ذلكا

فلو سألنا عائشة: لماذا قاتلت عشرين ألفاً من جيش أمير المؤمنين عليه السلام؟! هل قاتلتهم لأنهم كفروا بعد إيمان؟ أم زنوا بعد إحصان؟ أم قتلوا النفس التي حرَّم الله قتلها؟!

وروى الطبري بسنده عن جرير بن حازم قال: سمعت أبا يزيد المديني يقول: قال عمار بن ياسر لعائشة رضي الله عنها حين فرغ القوم: يا أم المؤمنين، ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك؟ قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنك ما علمت قوَّال بالحق!! قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك[2].

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن موسى بن عبد الله الأسدي قال: (لما انهزم

---

(١) كشف الغمة: الشيخ أبو الحسن الإربلي ج١ ص٢٤٣، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٦٣، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٤٩، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٥.

أهل البصرة أمر علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام أن تنزل عائشة قصر ابن أبي خلف، فلما نزلت جاءها عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال: يا أمة كيف رأيت ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟ فقالت: استبصرت يا عمار من أنّك غلبت؟ فقال: أنا أشد استبصاراً من ذلك. أم والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنكم على الباطل. فقالت له عائشة: هكذا يخيّل إليك. اتق الله يا عمار فإن سنّك قد كبرت، ودقَّ عظمك، وفني أجلك، وأذهبت دينك لابن أبي طالب!! فقال عمار رحمه الله: إني والله اخترت لنفسي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت علياً أقرأهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأعلمهم بتأويله وأشدهم تعظيماً لحرمته، وأعرفهم بالسنّة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظم عنائه وبلائه في الإسلم فسكتت)[1].

فهي تنكر أشد الإنكار أنها على باطل وأن أمير المؤمنين عليه السلام على حق. وقولها لعمار بن ياسر (هكذا يخيّل إليك) يدل على ذلك. وقولها لعمار: (اتق الله يا عماراً فإن سنّك قد كبرت ودق عظمك وفني أجلك، وأذهبت دينك لابن أبي طالب!!) يدل على عدم توبتها إلى ذلك الوقت الذي جرى فيه هذا الحوار. وقد اتهمت عمار بأنه قد أذهب دينه لاتّباعه أمير المؤمنين عليه السلام، أما هي فقد تمسكت بدينها حين حاربته بأولئك الطغام الناكثين أبناء السوء. متجاهلة حديث نبي الرحمة صلى الله عليه وآله.

فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وآله وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟.... قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك. يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ، فإن لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى. يا عمار من تقلَّد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در،

---

(١) الأمالي: الشيخ الطوسي، ص١٤٢، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٦٦.

ومن تقلَّد سيفاً أعان به عدو عليّ عليه قلَّده الله يوم القيامة وشاحين من نار. قلنا يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله)[1].

فقد قالت عائشة لعمار بن ياسر: (. . . . أذهبت دينك لابن أبي طالب!!). فقد اتهمته بذلك الإتهام الغريب دون أن تكترث لقول نبي الرحمة ﷺ له: (يا عمار بن ياسر، إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع عليّ، فإنه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى). فقد جعلت السنَّة بدعة، والبدعة سنَّة، واعتبرت إتِّباع أمير المؤمنين عليه السلام خروجاً من الدين، ومحاربته تمسّكاً بالدين. ولم تكتف بالإعتقاد نظرياً بهذه الفكرة، بل طبَّقتها عملياً، وسلكت وادياً غير الوادي الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام، بل صدَّت ٣٠٠٠٠ رجل عن سلوك ذلك الوادي فكانت السبب الأكبر في إدخالهم في الردى وإخراجهم من الهدى. فما أعظم تلك الجنابة التي ارتكبتها في حق نفسها وغيرها من المسلمين.

وإذا كان عقاب من يتقلد سيفاً ويعين به أعداء أمير المؤمنين عليه السلام أن يقلده الله سبحانه وتعالى وشاحين من نار يوم القيامة. فما عقاب من يأتي بـ ٣٠٠٠٠ متمرد ناكث ويقلِّدهم ٣٠٠٠٠ سيف لقتال أمير المؤمنين عليه السلام؟ نترك الجواب لأتباع عائشة الذين ما زالوا يدافعون عنها وعن جرائمها بدلاً من الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام والضحايا الأبرياء الذين تسببت في سفك دمائهم وزهق أرواحهم. ألا يخاف أتباع عائشة أن يقلِّدهم الله سبحانه وتعالى وشاحين من نار؟!

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وهربت فلول الناكثين تسلل الجرحى ليلاً ودخلوا البصرة. فقد ذكر ابن الأثير: (وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة فأقام عليّ بظاهر البصرة ثلاثاً)[2]. أين اختبئوا؟ ومن آواهم؟

فقد ذكر الطبري: (أوى عبد الله بن الزبير إلى دار رجل من الأزد يُدعى وزيراً. وقال: ائت أم المؤمنين وأعلمها بمكاني، وإيَّاك أن يطلّع على هذا محمد بن أبي

---

(١) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج١٣ ص١٨٧، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٣ ص١٧٠، (رقم الحديث: ١٢٠٨).

(٢) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤١، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٣٦، نور الأبصار: الشبلنجي، ص١٠٣.

بكر. فأتى عائشة رضي الله عنها فأخبرها. فقالت: عليّ بمحمد. فقال: يا أم المؤمنين إنه قد نهاني أن يعلم به محمد. فأرسلت إليه، فقالت: إذهب مع هذا الرجل حتى تجيئني بابن أختك. فانطلق معه، فدخل بالأزدي على ابن الزبير. قال: جئت والله بما كرهت، وأبت أم المؤمنين إلا ذلك. فخرج عبد الله ومحمد وهما يتشاتمان، فذكر محمد عثمان فشتمه وشتم عبد الله محمداً حتى انتهى إلى عائشة في دار عبد الله بن خلف. وكان عبد الله بن خلف قبل يوم الجمعة مع عائشة، وقتل عثمان أخوه مع عليّ، وأرسلت عائشة في طلب من كان جريحاً!! فضمَّت منهم ناساً!! وضمَّت مروان فيمن ضمَّت!! فكانوا في بيوت الدار)[1].

إيواء الجرحى كعمل إنساني بحت عمل طيِّب لا غبار عليه، لكنَّ السؤال، من الذين آوتهم عائشة؟! لقد آوت مجموعة من الأشرار الذين نكثوا بيعة إمامهم، وآوتهم في بيت لا علاقة لها به، ولا يحق لها أن تتصرف فيه بحيث تُؤوي فيه الغرباء. فقد آوت ابن أختها عبد الله بن الزبير الذي كان له النصيب الأوفر في إشعال حرب الجمل كلما أرادت أن تخبو. فلما وصلت عائشة ماء الحوأب ونبحتها الكلاب فأرادت الرجوع حين تأكدت أن هذا الماء ماء الحوأب، جاءها عبد الله بن الزبير بخمسين رجلاً من الأعراب يشهدون بأن هذا الماء ليس ماء الحوأب[2]. فكانت أول شهادة زور في الإسلام. ولولا شهادة الزور التي لفقها عبد الله بن الزبير لرجعت عائشة وتفككت أوصال حرب الجمل. ورغم هذه الجريمة التي ارتكبها في حق المسلمين وفي حق خالته عائشة حيث تحمَّلت أوزار تلك الحرب بسبب موقفه الخياني إلا أنها أحسنت إليه أعظم الإحسان حين آوته وهو جريح في منزل لا تملك التصرف فيه، وقدَّمت له خدمة لا يستحقها، ولما قوي عوده فيما بعد جازى أبناء أخواله جزاء يخجل منه التاريخ. فلو تركته عائشة يموت من جراحه مختبئاً مذعوراً لأراحت المسلمين من شرِّه. ولم يقتصر دوره في شهادة الزور التي ابتلي المسلمون من شرِّها، بل هو الذي أثنى والده عن التوبة والإنسحاب من المعركة، فأجبره على البقاء في ميدان القتال يقود الناكثين ويدبِّر أمرهم. ولولاه لانسحب والده الزبير،

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٠، وانظر: الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٢) انظر: كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٥٨. الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٨٢.

وبانسحابه سينسحب عدد من الناكثين فتتضعضع أركان الجيش نوعاً ما. لكنه بوقوفه ذلك الموقف المخزي حافظ على جيش الناكثين من التفكك والإنهيار قبيل الحرب. ومن أجل هذا العمل البطولي كافأته بإيوائه في دار عبد الله بن خلف. فقد قدَّمت خدمة طيبَّة لأحد الذئاب الضواري.

ولم تكتف بإيواء عبد الله بن الزبير، فقد آوت غصناً خبيثاً من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن، وقرداً قبيحاً من القرود التي رآها رسول الله ﷺ تنزو على منبره فساءه ذلك، وبإيوائها لذلك القرد فقد أساءت للنبي ﷺ. وذكر السيوطي: (وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن)[1]. فيكف جاز لها بعد ذلك أن تُؤوي غصناً أعوجاً من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن؟! وقد آوته بعد أن أبلى بلاءاً شديداً في محاربة إمامه أمير المؤمنين عليه السلام من جانب، وبعد أن رمى ابن عمها وقائد جيشها طلحة بسهم من جانب آخر. فقد آوت مجموعة من الناكثين قد حاربوا الإسلام والمسلمين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]. وعائشة قد جعلت نفسها معيناً ومساعداً للمضلِّين الناكثين أثناء الحرب وبعدها. فما أقبح هذا العمل الخياني!!

وبعد انتهاء الحرب جيء بالأسرى إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ذكر الشيخ المفيد: (وكان إذا أتي بأسير منهم، فإن كان قد قتل قتله، وإن لم تقم عليه بيَّنة بالقتل أطلقه)[2]. وكان من ضمن الأسرى إبنا عثمان بن عفان. فقد ذكر الشيخ المفيد: (وأُسر يومئذٍ سعيد وأبان ابنا عثمان، فجيء بهما إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلما وقفا بين يديه قال بعض من حضر: اقتلهما يا أمير المؤمنين. فقال عليّ عليه السلام، بئس ما قلتم، آمنت الناس كلَّهم وأقتل هذين الرجلين؟! ثم أقبل عليهما وقال لهما: إرجعا عن غيِّكما وانزعا، وانطلقا حيث شئتما، فإن أحببتما فأقيما عندي أصل أرحامكما فقالا: يا أمير المؤمنين نحن نبايع وننصرف. فبايعا وانصرفا)[3].

---

(١) الدر المنثور: السيوطي، ج٤ ص٢١١.
(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٦.
(٣) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٨٢.

فمتى نقارن بين موقف أمير المؤمنين عليه السلام من ابني عثمان، وموقفهما منه عليه السلام حين حارباه ونكثا بيعته نجد الفرق بين السماحة واللؤم، والعفو والإنتقام، والعدل والبغي، وطيب العنصر وخبثه. وكل إناء بالذي فيه ينضح.

ومتى نقارن بين موقف أمير المؤمنين عليه السلام من ابني عثمان لما جيء بهما أسيرين، وموقف زعماء الإنقلاب في السقيفة من أمير المؤمنين لما جيء به أسيراً نجد الفرق بين الإصلاح والفرعنة، والتواضع والغطرسة، والسماحة وحب الإنتقام، والحضارة والهمجية، ونشر الطمأنينة وبث الذعر، وإفشاء السلام وإثارة الفتنة[1].

وذكر ابن قتيبة: (وانهزم الناس وأُسرت عائشة، وأُسر مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان، وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاص. فقال عمَّار لعليّ: يا أمير المؤمنين اقتل هؤلاء الأسرى. فقال عليّ: لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع. فدعا عليّ بموسى بن طلحة، فقال الناس: هذا أول قتيل يقتل، فلما أتى به علي قال: تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس؟ قال: نعم. فبايع وبايع الجميع وخلَّى سبيلهم)[2].

فقد رفض أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتل أسرى الناكثين إذا رجعوا إلى جماعة المسلمين ونزعوا عن البغي والعدوان، في حين أن الناكثين قد حاربوا أهل القبلة من المسلمين. وقتلوا أسراهم كما فعلوا بالسبابجة وأصحاب عثمان بن حنيف.

وذكر ابن أبي الحديد: (أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلَّماه فيه فخلَّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان!! لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبَّته!! أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر. ثم قال: قد رُوي هذا الخبر من طرق كثيرة، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج

---

(١) انظر: الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٢٨ ـ ٣١، أنساب الأشراف: البلاذري، ج١ ص٥٨٦ ـ ٥٨٧.
(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٩٧.

البلاغة وهي: قوله عليه السلام في مروان: يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وإن له إمرة. . . .) إلى آخر الكلام[1].

فقد خلَّى سبيل مروان وعفا عنه، فقابل مروان الإحسان بالإساءة. وقلب ظهر المجن لأمير المؤمنين عليه السلام وسبَّه على المنابر، مدَّعياً أن حكم بني أمية لا يستقيم أمره إلا بسبِّه. وقد حذَّر أمير المؤمنين المسلمين من خطر هذا الرجل الأموي لما تلاقيه الأمة منه ومن أولاده الشجرة الملعونة في القرآن، لكنهم لم يأبهوا لتلك التحذيرات فقبلوا به خليفة للمسلمين وانضموا تحت رايته راية الضلال بعد أن شاب صدغاه[2].

ثم أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس إلى عائشة كي يخبرها بالإرتحال إلى المدينة. فقد ذكر ابن أعثم الكوفي: (ثم دعا عليّ رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: إذهب إلى عائشة فقل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة. فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن، ثم التفت فإذا راحلة عليها وسائد فأخذ منها وسادة وطرحها ثم جلس عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس! أخطأت السنَّة دخلت منزلي بغير إذني!! فقال ابن عباس: لو كنت في منزلك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخلت عليك إلا بإذنك، وذلك المنزل الذي أمرك الله عزّ وجلّ أن تقرِّي فيه، فخرجت منه عاصية لله عزّ وجلّ ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله، وبعد، فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالإرتحال إلى المدينة فارتحلي ولا تعصي. فقالت عائشة: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب!! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف وأربدَّت له الوجوه. فقالت عائشة: أبيت ذلك عليكم يا بن عباس!! فقال ابن عباس: لقد كانت أيامك قصيرة المدة ظاهرة الشؤم، بيِّنة النكد. وما كنت في أيامك إلا كقدر حلب شاة، حتى صرت ما تأخذين وما تعطين، ولا تأمرين ولا تنهين، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد حيث يقول:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص١٤٦، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٥، وانظر: بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٢٩، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٦٣، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٤٩ ـ ١٥١.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص١٤٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، ج٥ ص١٥٢ ـ ١٥٣، الإصابة: ابن حجر، ج٣ ص٤٧٧.

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك عندهم في كلّ محتفل طنين ذباب

قال: فبكت عائشة بكاءً شديداً ثم قالت: نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلداً هو أبغض إليَّ من بلد أنتم به يا بني هاشم!! فقال ابن عباس: ولم ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندك يا بنت أبي بكر!! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يا بن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندك أننا جعلناك أم المؤمنين وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صدِّيقاً وهو ابن أبي قحافة، وبنا سمِّيت أم المؤمنين لا بتيم وعديّ. فقالت عائشة يا بن عباس! أتمنون عليّ برسول الله ﷺ؟ فقال: ولم لا نمنّ عليك برسول الله ﷺ، ولو كانت فيك شعرة منه أو ظفر لمننت علينا وعلى جميع العالمين بذلك؟ وبعد فإنما كنت تسع إحدى حشايا من حشاياه، لست بأحسنهن وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً، ولا بأرشحهن عرقاً. وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تعصين، وتأمري ولا تخالفين، ونحن لحم الرسول ﷺ ودمه، وفينا ميراثه وعلمه. فقالت عائشة: يا ابن عباس! ما باذلك عليك علي بن أبي طالب! فقال ابن عباس: إذاً والله أقرُّ له وهو أحق به مني وأولى، لأنه أخوه وابن عمه زوج الطاهرة ابنته وأبو سبطيه ومدينة علمه وكشَّاف الكرب عن وجهه، وأما أنتِ فلا والله ما شكرتِ نعماءنا عليك وعلى أبيك من قبلك! ثم خرج وسار إلى عليّ فأخبره بما جرى بينه وبين عائشة من الكلام)[1].

فقد استأذن عبد الله بن عباس (فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن!!). فماذا يدل إصرارها على عدم الإذن لعبد الله بن عباس بالدخول عليها؟ ألا يدل ذلك على أنها ما زالت متمرِّدة إلى تلك اللحظة؟ والألفاظ التي تفوَّهت بها في نهاية حديثها مع ابن عباس تدل على ذلك. وعلى الرغم من هزيمتها وأسرها إلا أنها لم تتب من جريمتها.

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٢٢٩، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٦٩، العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٣٣، الشافي: السيد المرتضى، ج٤ ص٣٥٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص١٨٤، وانظر: مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٨، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٦.

وقد اتهمت عبد الله بن عابس بأنه قد أخطأ السنَّة حين دخل البيت دون إذن وأخذ وسادة وطرحها وجلس عليها دون إذن، ناسية أنها قد أخطأت السنَّة خطأً فاحشاً حين خرجت من بيتها الذي أمرت أن تقرَّ فيه وقد حاربت إمامها ورفضت أن تبايعه. وقد قال لها ابن عباس حسب رواية المجلسي في بحار الأنوار: (نحن أولى بالسنَّة منك!! ونحن علَّمناك السنَّة!! وإنما بيتك الذي خلَّفك فيه رسول الله فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشة لدينك، عاتبة على ربِّك عاصية لرسول الله).

فقد بيَّن مغالطاتها، وفنَّد مزاعمها، واتَّمها بالظلم لنفسها، والغض لدينها، والعتاب على ربِّها، والعصيان لنبيِّها نبي الرحمة ﷺ. ولم تستطع أن ترد تلك التهم التي وُجِّهت إليها. وهذا العجز دليل الإفلاس والعصيان والتمَّرد.

ولما قال لها عبد الله بن عباس: فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالإرتحال إلى المدينة، فارتحلي ولا تعصي. فقد ردَّت عليه عن عمد وسبق إصرار بهذا القول: (رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب!) فقولها أقبح من فعلها.

نشم من هذا الجواب على أنها ـ إلى هذه اللحظة ـ ترفض الإعترف بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنها ترفض أن تكون له بيعة في عنقها. وحربها الظالمة التي شنَّتها ضده أكبر دليل على ذلك. فهي ترفض أن يكون الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وتصرّ على أن أمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب فقط لا غير. وهذه هي الخيانة للإسلام والمسلمين، والتنكر لوصي رسول الله ﷺ وخليفته الحقيقي.

ولهذا فقد فطن عبد الله بن عباس إلى مغزى كلامها والهدف الذي تقصده فقال: (وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف، وأربَّدت له الوجوه!!) فقد أكَّد على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام حين أحسَّ منها عدم الإعتراف بها، وأن إمامته ثابتة في عنقها وإن رغم أنفها، واربَّد وجهها. لكنها أصرَّت مرة ثانية على عدم الإعتراف بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت لابن عباس: (أبيت ذلك عليكم يا بن عباس!!). وبهذا الإصرار على الإباء والرفض، فقد أخرجت نفسها من جماعة المسلمين، وخرجت من الدنيا دون أن تكون في عنقها بيعة لإمامها

الشرعي. وبعد أن تأكد عبد الله بن عباس من إصرارها في عدم الإعتراف بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام قال لها: (لقد كانت أيامك قصيرة المدَّة ظاهرة الشؤم بيّنة النكد...).

أما الشيخ المجلسي في بحار الأنوار فقد ذكر الحوار كما يلي: (فقالت: رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطاب. فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين وأمسّ برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدم سبقاً، وأكثر علماً، وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر!! فقالت: أبيت ذلك!! فقال: أما والله إن كان إباؤك فيه لقصير المدة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم، بيِّن النكد، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة....).

فقد أصرَّت على أن أمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب فقط. ولهذا قال لها ابن عباس ما قال من كلام جارح حين قارن بين أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر وصاحبه، وانتصر لأمير المؤمنين، فأبت أن تعترف بإمامته أشد الإباء، فعلَّق عبد الله بن عباس على إبائها الذي جلب لها الشؤم والنكد.

وأما ابن أبي الحديد فقد ذكر الحوار على النحو التالي: (فقالت: وأين أمير المؤمنين؟! ذاك عمر!! فقلت: عمر وعلي. قالت: أبيت!! قلت: أما والله ما كان أبوك إلا قصير المدة، عظيم المشقة، قليل المنفعة، ظاهر الشؤم، بيِّن النكد، وما عسى أن يكون أبوك؟! والله ما كان أمرك إلا كحلب شاة...).

فقد اتفق الجميع على ذكر إبائها في الإعتراف بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام. ناسية أن هذا الرفض الغريب لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام قد ضرَّها ولم يضرّ إمامها، وقد حكمت على نفسها بميتة السوء بمحض إرادتها دون إكراه، وقد أصرَّت على تلك الميتة السيئة عن عمد وسبق إصرار، وعن علم ووعي كاملين.

ولما سمعت عائشة بالبيتين اللذين استشهد بهما عبد الله بن عباس بكت بكاءً شديداً ثم قالت: (نعم والله أرحل عنكم! فما خلق الله بلداً هو أبغض إليَّ من بلد أنتم به يا بني هاشم!!).

فقد وافقت في النهاية على مغادرة البصرة إلى المدينة بعد اللتيا واللتي، وبعد أن أظهرت البغض الشديد الذي ملأ قلبها تجاه أهل البيت عليهم السلام، وقد

حاولت أن تخفيه عن المسلمين لما يحمله من تبعات سيئة فلم تستطع، وباحت به بصورة بشعة حين طفح الكيل. فإذا كانت تكنّ البغض للبلد الذي يتواجد فيه أهل البيت عليهم السلام، فماذا سيكون مستوى بغضها لأهل البيت أنفسهم؟! لقد جازت زوجها ونبيِّها الجزاء السيء في أهل بيته، وأدَّت أجر الرسالة بصورة مقزِّزة، وأبدلت المودَّة بالبغض الشديد الذي تجاوز أهل البيت عليهم السلام إلى البلدان التي يتواجدون فيها. وقد ملأت قلبها بالحقد الأسود تجاه أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ذاهلة عن نتائجه السيئة.

فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن مساور الحميري عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك منافق[1].

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن زرّ قال: قال عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأمي صلى الله عليه وآله إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق[2].

وروى ابن عساكر بسنده عن محمد بن منصور الطوسي قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سأله رجل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «عليّ قسيم النار» فقال: هذا حديث يضطرب طريقه عن الأعمش، ولكن الحديث الذي ليس عليه لبس هو قول النبي صلى الله عليه وآله: يا عليّ لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. فمن أبغض علياً فهو في الدرك الأسفل من النار[3].

فقد حكمت على نفسها بالنفاق والخروج من زمرة المؤمنين بسبب بغضها

---

(١) المسند: أحمد بن حنبل، ج٦ ص٢٩٢، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٢، ص٢٠٨ ـ ٢١٠، مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩ ص١٣٣.

(٢) صحيح مسلم: ج١ ص١٢٠، (رقم الحديث: ٧٨)، سنن ابن ماجة: ج١ ص٤٢، (رقم الحديث: ١١٤)، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج٢ ص٢٥٥، المسند: أحمد بن حنبل، ج١ ص٨٤، ٩٥، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج٤ ص١٨٥، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٢ ص١٩٠ ـ ٢١٠.

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٢ ص٢٥٣.

الشديد لأمير المؤمنين عليه السلام سيد بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وآله. وإذا أضفنا معاني الأحاديث النبوية السابقة إلى الآية ١٤٥ من سورة النساء سيكون الأمر واضحاً ويصير العذاب رهيباً. فهل تتحمل عائشة أن تكون في الدرك الأسفل من النار؟! ـ فقد وثقنا في الأبواب والفصول السابقة ـ مواقفها من إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت في جميع تلك المواقف لا تحبّه، بل رفضت الإذعان لإمامته، ولم تبايعه قط، وقادت جيشاً يتكون من ٣٠,٠٠٠ من المتمردين الناكثين لقتاله حتى وقعت أسيرةً بين يديه، ورفضت إطاعة أوامره بالرحيل عن البصرة كما رأينا وأصرَّت على العصيان والتمرّد وهي أسيرة بعد انتهاء حربها المجنونة. فأي موقف من هذه المواقف يدل على حبِّها لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام؟! فالإنسان المنصف يحكم على أنها تحمل أطناناً من الحقد الأسود تجاه إمامها عجزت عن إخفائه في قلبها فأفشته في فلتات لسانها. ولم نتجن على المرأة، بل طبَّقنا عليها قاعدة: من فمك أدينك. مستندين في ذلك على آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي الأمين صلى الله عليه وآله.

أما الشيخ المجلسي فقد روى كلامها على هذا النحو: (أخرج والله عنكم، فما في الأرض بلد أبغض إليَّ من بلد تكونون فيه!! فقال ابن عباس رحمه الله: فلم؟ والله ماذا بلاءنا عندك ولا بصنيعنا إليك إنا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك لابن جدعان إلى أضيافه؟!).

وأما السيد المرتضى فقد ذكر كلامها على النحو التالي: (قال ابن عباس: فوالله يعلم لبكت حتى سمعت نشيجها، فقالت: أفعل، ما بلد أبغض إليَّ من بلد لصاحبك مملكة فيه!! وبلد قُتل فيه أبو محمد وأبو سليمان، تعني طلحة بن عبيد الله وابنه. . . . ثم قالت: والله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكن!! نخرج لعمري من بلدك، فابغض بها والله بلد إليَّ وبمن فيها!! فقلت: الله ما هذا جزاؤنا بأيدينا عندك ولا عند أبيك، لقد جعلنا أبيك صديقاً، وجعلناك للناس أمّاً).

فبغضها لأمير المؤمنين عليه السلام واضح لا غبار عليه، وإذا كانت تعتقد بأنها ستهلك إذا لم يغفر الله لها ولأتباعها، فلماذا حشرت نفسها في الأمور التي تؤدي إلى الهلاك؟! وهل اتعضت من هذا الهلاك الأبدي؟!.

وقال لها ابن عباس: (وإنما كنت تسع إحدى حشايا من حشاياه، لست بأحسنهن وجهاً، ولا بأكرمهن حسباً، ولا بأرشحهن عرقاً. وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تعصين، وتأمري ولا تخالفين). وهذه المقارنة بينها وبين نساء النبي ﷺ الأخريات تفنِّد الآراء التي تقول بأنها أحبّ زوجاته إليه.

أما الشيخ المجلسي فقد ذكر عبارات ابن عباس على النحو التالي: (وما أنت إلا حشيته من تسع حشايا خلَّفهن بعده، لست بأبيضهن لوناً، ولا بأحسنهن وجهاً، ولا بأرشحهن عرقاً، ولا بأنضرهن ورقاً، ولا بأطراهن أصلاً، فصرت تأمرين فتطاعين، وتدعين فتجابين). وهذه الأوصاف كلها تفنِّد القول الشائع بين الناس بأنها أحب النساء للنبي ﷺ.

وذكر ابن أعثم الكوفي: (فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن، فجاء الحسن فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: «أما والذي خلق الحبة وبرأ النسمة! لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين» قال: وعائشة في وقتها قد ضفرت قرنها الأيمن وهي تريد أن تضفر الأيسر، فلما قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحلوني!! فقالت لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين! جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك ثم خرج من عندك وهو مغضب، ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع!! قالت عائشة إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله ﷺ، فمن أحب أن ينظر إلى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا الغلام!! وبعد، فقد بعث إليّ أبوه بما قد علمتُ ولا بد من الرحيل!! فقالت لها المرأة: سألتك بالله وبمحمد ﷺ إلا أخبرتيني بماذا بعث إليك عليّ رضي الله عنه؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: ويحك!! إن رسول الله ﷺ أصاب من مغازيه نفلاً فجعل يقسم ذلك في أصحابه، فسألناه أن يعطينا منه شيئاً وألححن عليه في ذلك، فلامنا عليّ رضي الله عنه وقال: حسبكن أضجرتن رسول الله ﷺ، فتجهَّمناه!! وأغلظنا له في القول. فقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]. فأغلظنا له أيضاً في القول وتجهَّمناه!! فغضب النبي ﷺ من ذلك وما استقبلنا به علياً، فأقبل عليه ثم قال: يا عليّ! إني قد جعلت طلاقهن إليك!! فمن طلقتها منهن

فهي بائنة!! ولم يوقّت النبي ﷺ في ذلك وقتاً في حياة ولا موت، فهي تلك الكلمة، وأخاف أن أبين من رسول الله!!)[1].

فقد أقسم أمير المؤمنين بالله العظيم وهو لا يقسم على باطل إذا لم تخرج عائشة من البصرة وتتجه إلى بيتها في المدينة سيطلّقها. وقوله لها: (لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين!!) فيه تهديد فوري لها من جانب. وفيه دلالة واضحة على تمرّد عائشة وعصيانها من جانب آخر. فلولا عصيانها في مغادرة البصرة إلى المدينة لما بعث لها ذلك التهديد الفوري (لئن لم ترحلي الساعة) المصحوب بالقسم بالله العظيم. أضف إلى ذلك فإن طبيعة عائشة من خلال تصرفاتها في جميع المواقف التي مرَّت بها من خلال ما عرفناه من سيرتها لا يصلح لها الأسلوب الليِّن السمح. فقد عرفنا قوة دهائها في توظيف الأساليب الملتوية في تحريض أهل البصرة على إمامهم وقد نجحت في ذلك، كما أنها أمرت الزبير بقتل السبابجة دون أن يطرف لها جفن أو يخفق لها قلب. فإمرأة تحمل بين جوانحها هذا القلب المتعطش للدماء والفتن لا يصلح لها إلا الأسلوب العنيف الذي يحمل تهديداً جدِّياً.

وقد اقترح عبد الله بن عباس على أمير المؤمنين عليه السلام أن يترك عائشة في البصرة فرفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلك لما يعرفه من طبيعتها ونفسيتها. فقد ذكر الطبرسي: (وروى عن ابن عباس قال لأمير المؤمنين عليه السلام ـ حين أبت عائشة الرجوع ـ : دعها في البصرة ولا ترحلها. فقال عليّ عليه السلام: إنها لا تألوا شراً، ولكني أردّها إلى بيتها)[2]. فلا غرابة أن يهدِّدها أمير المؤمنين عليه السلام ذلك التهديد الفوري لئن لم ترحل فوراً سيبعث لها بما تعلمه، ويقسم على ذلك بالله العظيم الذي خلق الحبة وبرأ النسمة.

وتأمَّل في قولها: (إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله ﷺ، فمن أحب أن ينظر إلى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا الغلام!!). فإذا كنت صادقة حقاً في أن كلام الإمام الحسن عليه السلام قد أقلقك لأنه ابن بنت رسول الله ﷺ، فلماذا رفضت

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٦، مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، ج٢ ص١٣٤.
(٢) الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٤، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٦٧.

دفنه مع جده في حجرته وسمحت بدفن الغرباء مكانه؟! وإذا كان الأمر كما قلت: من أحب أن ينظر إلى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا الغلام، فلماذا تحتجبين عنه وعن أخيه الإمام الحسين عليهما السلام؟

وتأمل في قولها في حق أمير المؤمنين عليه السلام: (فتجهَّمناه وأغلظنا له في القول!! .... فأغلظنا له في القول وتجهَّمناه!!). وفي المعجم الوسيط: جهمه جهماً: استقبله بوجه كريه، وأغلظ له القول. وتجهمَّه، وله: جهمه. وفي الحديث: إلى من تكلني؟ إلى عدوٍّ يتجهَّمني؟![1].

فقد استقبلت ـ مع صويحباتها ـ أمير المؤمنين عليه السلام بوجه كريه كما استقبل مشركو الطائف رسول الله ﷺ بوجوه كريهة حين ذهب إليهم لهدايتهم. فما أشبه الليلة بالبارحة!! وقد اعترفت بلسانها أنها ممن شاركن في استقبال أمير المؤمنين عليه السلام بوجوه كريهة وأغلظن له في القول مرَّتين.

وتأمل في قولها: (فغضب النبي ﷺ من ذلك، وما استقبلنا به علياً!!). فغضب النبي ﷺ منها ومن صويحباتها اللاتي وقفن معها يدل على عظم الجناية التي ارتكبنها. والعقاب المؤلم الذي فرضه نبي الرحمة ﷺ عليهن فيه دلالة على حجم الذنب وخطورته. فبإمكان النبي ﷺ أن يوبِّخهن ويطلب منهن الإعتذار والإستغفار، فلماذا ترك كل ذلك وجعل أمر طلاقهن بيده؟!

وتأمل في قول نبي الرحمة ﷺ لأمير المؤمنين: (يا عليّ! إني قد جعلت طلاقهن إليك، فمن طلَّقتها منهن فهي بائنة!!).

فإذا كان موضوع طلاق عائشة بيد أمير المؤمنين عليه السلام. فكيف تجرَّأت عليه وتمرَّدت على إمامته وحاربته بذلك الجيش الناكث؟! فجريمة تلك الدماء البريئة التي سفكتها أعظم أثراً وأشد وقعاً على نفسها من موضوع طلاقها. فلماذا تأثرت من موضوع الطلاق ولم تتأثر من تبعات تلك الجريمة المروِّعة التي خلَّفت وراءها آلاف القتلى والجرحى والأرامل واليتامى؟! أضف إلى ذلك، ألم تفكر بخطورة استخدام أمير المؤمنين لذلك السلاح الذي بيده ضدَّها في أي وقت حين رفعت راية العصيان والتمرد؟! فمتى كان لها عقل كي تفكِّر به التفكير الصحيح؟!

---

(١) المعجم الوسيط: ج١ ص١٤٤، مادة (جهم).

وهنا يثار سؤال، لماذا لم يجعل نبي الرحمة ﷺ أمر طلاق زوجاته بيد أبي بكر أو عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان الذين يروي أتباعهم بأنهم أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام؟! فلو كانوا يستحقون هذا الفخر لما تجاهلهم نبي الرحمة ﷺ. وقيامه ﷺ بحصر أمر طلاق زوجاته بيد أمير المؤمنين فقط دليل على أنه هو الخليفة الشرعي بعده، وهو الذي يقوم بشؤونه الخاصة والعامة، هذا من جانب، ومن جانب آخر يدل هذا الأمر على عصمة أمير المؤمنين عليه السلام. فمن غير المعقول أن يوكل نبي الرحمة موضوع طلاق زوجاته لشخص غير معصوم يتصرف فيه تصرفاً مطلقاً تبعاً لأهوائه وميوله. فلا بد أن يكون ذلك الشخص معصوماً حتى لا يظلمهن.

وشرط العصمة متوافر في أمير المؤمنين عليه السلام المطهر من الرجس في الذكر الحكيم، وغير متوافر في أبي بكر وعمر وعثمان. والذين لا يملكون حق طلاق زوجات النبي ﷺ لا يحق لهم أن يكونوا خلفاء عليهن وعلى المسلمين. فالذي لا يملك حقاً صغيراً مثل هذا لا يملك حقاً كبيراً مثل الخلافة والإمامة.

وقال الطبرسي: (وروى عن الباقر عليه السلام أنه قال: لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما أراني إلا مطلقها، فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول: «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي» لما قام فشهد؟ فقال فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان فشهدوا: أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي» قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها. فقال علي عليه السلام: لقد أنبأني رسول الله ﷺ بنبأ فقال: إن الله تعالى يمدك يا عليّ يوم الجمل بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين)[1].

وذكر أيضاً رواية سعد بن عبد الله الأشعري عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قال: (قلت له: يا مولانا وابن مولانا روي لنا أن رسول الله ﷺ جعل طلاق نسائه إلى أمير المؤمنين عليّ حتى أنَّه بعث يوم الجمل رسولاً إلى عائشة وقال: «إنك أدخلتِ الهلاك على الإسلام وأهله بالغش الذي حصل منك وأوردتِ

(١) الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٤، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٠١.

أولادك في موضع الهلاك للجهالة فإن امتنعت وإلا طلقتك». فأخبرنا يا مولانا عن معنى الطلاق الذي فوَّض حكمه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: إن الله تقدَّس إسمه عظَّم شأن نساء النبي ﷺ، فخصَّهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن، إن هذا شرف باق ما دمن لله على طاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلِّقها من الأزواج، وأسقطها من شرف أُميَّة (أمهات) المؤمنين)[1].

فلقب أم المؤمنين لعائشة باق ما دامت مطيعة لله سبحانه وتعالى، فمتى ما عصب ربَّها بعد وفاة رسول الله ﷺ وخرجت على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام فعليه أن يطلّقها ويسقطها من شرف أمهات المؤمنين بأمر من زوجها ونبيِّها نبي الرحمة ﷺ. ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن هزمها في حربها المجنونة: (والله ما أراني إلا مطلّقها. . . .). فقد جنت على نفسها بنفسها[2].

ولما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على إرسال عائشة إلى المدينة اشترى الأشتر جملاً لعائشة فردَّته ولم تأخذه. فقد ذكر الطبري بسنده عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: لما فرغوا يوم الجمل أمرني الأشتر فانطلقت فاشتريت له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من مهرة. فقال: انطلق به إلى عائشة، فقل لها بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث وقال: هذا عوض من بعيرك. فانطلقت به إليها فقلت: مالك يقرأك السلام، ويقول: إن هذا البعير مكان بعيرك. قالت: لا سلَّم الله عليه!! إذ قتل يعسوب العرب، تعني ابن طلحة، وصنع بابن أختي ما صنع!! قال: فرددته إلى الأشتر وأعلمته، قال: فأخرج ذراعين شعراوين وقال: أرادوا قتلي، فما أصنع؟[3].

فقد وقف الأشتر موقفاً ودِّياً منها فقابلته بالنقيض، وذلك حين اشترى لها جملاً عوضاً عن جملها الذي أمر أمير المؤمنين عليه السلام بحرقه، فرفضت قبول ذلك الجمل وردَّت عليه بكلام خشن في وقت هي فيه في أشد الحاجة للمساعدة. وما

---

(١) الإحتجاج: الطبرسي، ج٢ ص٤٦٢، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٦٧.
(٢) انظر: بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٥.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٣.

دامت لم تستطع أن تنسى صنيع الأشتر بمحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، فكيف تستطيع أن تنسى صنيع أمير المؤمنين عليه السلام بجيشها حين فكّك أوصاله وأذاقها الهزيمة والأسر؟!

وذكر الطبري: (فسرَّحها عليّ وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهَّزها وأمر لها بأثني عشر ألفاً من المال، فاستقل ذلك عبد الله بن جعفر، فأخرج لها مالاً عظيماً وقال: إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو عليَّ!!)[1]. فقد أحسن إليها أمير المؤمنين عليه السلام وابن أخيه عبد الله بن جعفر لكنها قابلت الإحسان بالإساءة حين قالت: (فما خلق الله بلداً هو أبغض إليَّ من بلد أنتم به يا بني هاشم!!)[2].

وذكر أبو حنيفة الدينوري: أن أمير المؤمنين عليه السلام، قال لمحمد بن أبي بكر: (سِرْ مع أختك حتى توصلها إلى المدينة، وعجِّل اللحوق بي بالكوفة. فقال: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين. فقال عليّ: لا أعفيك منه، وما لك بدّ. فسار بها حتى أوردها المدينة)[3].

وذكر الشيخ المجلسي رواية عن حبة العرني (أن أمير المؤمنين بعث إلى عائشة محمداً أخاها رحمة الله عليه وعمار بن ياسر رضوان الله عليه، وأن ارتحلي والحقي بيتك الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: والله لا أريم عن هذا البلد أبداً!! فرجعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبراه بقولها فغضب ثم ردَّهما إليها وبعث معهما الأشتر فقال: والله لتخرجنَّ أو لتحملن احتمالاً. ثم قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا معشر عبد القيس اندبوا إلى الحرة الخيّرة، من نسائكم. فإن هذه المرأة من نسائكم، فإنها قد أبت أن تخرج لتحملوها احتمالاً. فلما علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليجهزني. فأتوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فذكروا له ذلك فجهَّزها وبعث معها النساء)[4].

فقد أصرت على عدم الرحيل، ونشرت راية التمرد والعصيان وهي أسيرة في

---

(١) تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٠٥.

(٢) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٤، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٢٢٩.

(٣) الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٥٢.

(٤) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٤.

قبضة يده، وأصرَّ أمير المؤمنين عليه السلام بدوره على رحيلها إلى البيت الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن أبت سيخرجها ويحتملها احتمالاً بالإستعانة بنساء خيِّرات من عبد القيس. لقد ابتلى أمير المؤمنين عليه السلام بإمرأة ناكثة بلغت الغاية في تمردها وعصيانها قبل الحرب وبعد هزيمتها فيها. فكيف لو انتصرت في حربها المجنونة؟!

وعن محصن بن زياد الضبي قال: سمعت الأحنف بن قيس يقول: بعث عليّ إلى عائشة أن ارجعي إلى الحجاز فقالت: لا أفعل. فقال لها: لئن لم تفعلي لأرسلنَّ إليك نسوة من بكر بن وائل بسفار حداد يأخذنك بها. قال: فخرجت حينئذٍ[1].

وعن إسحاق بن إبراهيم عن أشرس العبدي عن عبد الجليل أن أمير المؤمنين بعث عمار بن ياسر رحمه الله إلى عائشة أن ارتحلي فأبت عليه، فبعث إليها بامرأتين وامرأة من ربيعة معهن الإبل فلما رأتهن ارتحلت[2]. لقد حاولت بكل الوسائل أن لا تغادر البصرة إلى البيت الذي أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ فيه، لكن أمير المؤمنين عليه السلام فوَّت عليها الفرصة فذهبت محاولاتها أدراج الرياح. ولو سألنا هذا السؤال: لماذا أصرَّت على البقاء في البصرة ورفضت الذهاب إلى بيتها في المدينة؟! لقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام على السؤال حين طلب منه عبد الله بن عباس أن يتركها في البصرة حين رفضت الرجوع إلى المدينة، فقال: (إنها لا تألوا شراً، ولكني أردّها إلى بيتها)[3].

وذكر الشيخ المفيد: (لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلانس، وقلَّدهن السيوف، وأمرهن أن يحفظنها، ويكنَّ عن يمينها وشمالها ومن ورائها. فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي، بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص٢٧٥.

(٣) الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٤، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٦٧.

فلما قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فما رأتهن ندمت على ما فرَّطت بذم أمير المؤمنين عليه السلام وسبِّه، وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

لقد قابلت الإحسان بالإساءة، وتنكرت للمعاملة الحسنة. لقد استنكرت على أمير المؤمنين عليه السلام أن يبعث معها الرجال دون أن تعرف حقيقة الأمر، وفي الواقع ما هن إلا نسوة مثلها. وأقامت الدنيا ولم تقعدها طوال الطريق لأنه لم يحفظ بها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله. وإذا كان الأمر كذلك ولم يكن كما تتصورين، فلماذا خرجت مع طغام الرجال ولم تحفظي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ومن الذي أخرجك مع الرجال من ذوي النفوس المريضة ولم يحفظ بك حرمة رسول الله؟! فلماذا تتجاهلين حقائق الأمور وتتمسكين بالخيالات والأوهام؟! ما هكذا تورد يا عائش الإبل.

وتأمل في قوله: (فلما قدمن المدينة ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرَّطت بذم أمير المؤمنين عليه السلام وسبِّه وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله). لما اكتشفت عائشة حقيقة الأمر وعرفت طبيعة اللواتي رافقنها في سفرها وما هن إلا نسوة من نساء البصرة الخيرات العفيفات ندمت على فرَّطت بذم أمير المؤمنين عليه السلام وسبِّه دون مبرر شرعي أو عقلي، فدعت له أن يجازيه الله خيراً لأنه حفظ فيها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله. لكن هذا التحول الإيجابي استمرَّ لفترة قصيرة جداً لأنه وليد المفاجأة غير المتوقعة أمام النسوة اللواتي عرفن نفسيتها عن قرب حين صحبنها في الطريق، وسرعان ما رجعت إلى طبيعتها في الحقد والكراهية وتركت التطبّع، وهذا ما سنعرفه في مستقبل البحث.

وعلى الرغم من أنها ذمَّت أمير المؤمنين عليه السلام وسبَّته طول الطريق ثم دعت له حين عرفت حقيقة الأمر بأنه حفظ فيها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أننا لم نسمع منها ذمّاً أو سباً لطلحة والزبير وعبد الله بن الزبير الذين لم يحفظوا فيها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تعلم علم اليقين بشاعة انتهاكهم لتلك الحرمة. ولكن أنَّى لها

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٥١، وانظر: تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٦، مروج الذهب: ابن المسعودي، ج٢ ص٣٧٠.

ذلك؟! وكيف تذمّهم أو تسبّهم وهي شريكتهم في هتك حرمة زوجها ونبيّها نبي الرحمة ﷺ؟

وذكر ابن أعثم الكوفي: (ثم دعا عليّ رضي الله عنه بنسوة من نساء أهل البصرة فأمرهن أن يخرجن مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من البصرة في تلك النسوة. وقد كان عليّ رضي الله عنه أوصاهن أن يتزيَّن بزي الرجال، عليهن العمائم، فجعلت عائشة تقول في طريقها: فعل بي عليّ وفعل، ثم وجه معي رجالاً يردّوني إلى المدينة!! قال: فسمعتها امرأة منهن فحرَّكت بعيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحك يا عائشة! أما كفاك ما فعلت حتى أنك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين؟! ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشة واستغفرت وقالت: هذا ما لقيت من ابن أبي طالب)[1].

فاستنكار إحدى النسوة على عائشة فيه دلالة واضحة على أنها تكلَّمت بكلام لا يليق بأمير المؤمنين عليه السلام، واسترجاعها واستغفارها منه يؤكد ذلك.

وذكر ابن مسكويه: (وجهَّز علي عائشة لغرة رجب سنة ست وثلاثين بكل شيء ينبغي لها، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام. واختار من نساء البصرة المعروفات أربعين امرأة. وأمر أخاها محمداً بالخروج معها، وخرج في تشييعها أميالاً. وسرَّح بنيه معها يوماً)[2]. فقد أحسن إليها غاية الإحسان، وسمح للناجين من الناكثين المتمردين أن يخرجوا معها إلا من أحب المقام في البصرة. وجهَّزها بكل ما تحتاج إليه، لكنها قابلت خدماته وإحسانه بالإساءة إليه في ذمِّه وسبِّه.

ثم تفرَّغ عليه السلام إلى تقسيم الغنائم والأموال. فقد ذكر ابن أبي الحديد: (قال أبو الأسود الدؤلي: لما ظهر عليّ عليه السلام يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غُرِّي غيري مراراً. ثم نظر إلى المال، وصعَّد فيه بصره وصوَّب، وقال: اقسموه بين أصحابي

---

(١) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٧، وانظر: الإمامة والسياسة: ابن قيبة، ج١ ص٩٨.

(٢) تجارب الأمم: ابن مسكويه، ج١ ص٣٣١، الفخري: ابن طباطبا، ص٨٨، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤٤، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٣٧.

خمسمائة خمسمائة!! فقسِّم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً!! كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس إثنا عشر ألفاً)[1].

لم يقم أمير المؤمنين عليه السلام بعدّ الأموال، ولم يحسبها، ولم يأمر أحداً بعدِّها، وإنما أمر أصحابه بتوزيعها على أفراد جيشه بالتساوي، وحدَّد لهم نصيب كل فرد وهو خمسمائة، فكيف عرف أمير المؤمنين عليه السلام ذلك؟ وعلام يدل؟ وهل يستطيع أبو بكر وعمر وعثمان أن يفعلوا الشيء نفسه؟! كلا، وربِّ العباد.

وذكر الشيخ المفيد: (ثم نزل عليه السلام واستدعى جماعة من أصحابه، فمشوا معه حتى دخل بيت المال وأرسل إلى القراء فدعاهم ودعا الخزّان وأمرهم بفتح الأبواب التي داخلها المال، فلما رأى كثرة المال قال: هذا جناي وخياره فيه. ثم قسَّم المال بين أصحابه فأصاب كل رجل منه، ستة آلاف ألف درهم. وكان أصحابه إثني عشر ألفاً. وأخذ هو عليه السلام كأحدهم، فبينا هم على تلك الحالة إذا أتاه آت فقال: يا أمير المؤمنين إن اسمي سقط من كتابك، وقد رأيت من البلاء ما رأيت. فدفع سهمه إلى ذلك الرجل)[2]. فقد خرج من البصرة ولم يصب من مالها شيئاً. كما أنه قسَّم الأموال علانية أمام أعين الجميع.

وذكر الشيخ المفيد: (روى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: لقد رأيت بالبصرة عجباً. لما قدم طلحة والزبير قد أرسلا إلى أناس من أهل البصرة وأنا فيهم، فدخلنا بيت المال معهما، فلما رأيا ما فيه من الأموال قالا: هذا ما وعدنا الله ورسوله. ثم تليا هذه الآية: «وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجَّل لكم هذه» إلى آخر الآية وقالا: نحن أحق بهذا المال من كل أحد!! فلما كان من أمر القوم ما كان دعانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخلنا معه بيت المال، فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأرض وقال: يا صفراء يا بيضاء، غرِّي غيري. وقسَّمه بين أصحابه بالسويَّة حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٤٩، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٧١، وانظر: تاريخ الطبري، ج٥ ص٢٢٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤٥.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٠، وانظر شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٥٠.

عزلها لنفسه فجاءه رجل فقال: إن اسمي سقط من كتابك. فقال عليه السلام: ردّوها عليه. ثم قال: الحمد لله الذي لم يصل إليَّ من هذا المال شيء ووفَّره على المسلمين)[1].

والفرق واضح في المقارنة بين أمير المؤمنين عليه السلام وزعماء حرب الجمل. فأمير المؤمنين لم تغره الأموال المكدَّسة في بيت المال، في حين أن طلحة والزبير وعائشة قد باعوا ضمائرهم وداسوا على القيم الدينية حين نهبوا قسماً كبيراً من المال الموجود في بيت المال. وقد خرج أمير المؤمنين عليه السلام من بيت المال صفر اليدين وهو راض عن ذلك وترجم رضاءه بالحمد لله سبحانه وتعالى. وخرج طلحة والزبير وعائشة وهم مغتبطون مسرورون بما سرقوه من أموال ليست ملكاً لهم وقد وظَّفوا الباقي في شراء أصحاب القلوب المريضة والذمم الميِّتة، فكل إناء بالذي فيه ينضح.

فقد ذكر الشيخ المفيد استيلاء طلحة والزبير وعائشة على الأموال الموجودة في بيت المال بعد غدرهم بعثمان بن حنيف وأصحابه فقال: (ورجع طلحة والزبير فنزلا دار الإمارة، وغلبا على بيت المال، فتقدمت عائشة بحمل مالٍ منه لتفرقه في أنصارها!! ودخله طلحة والزبير في طائفة من أنصارهما واحتملا منه شيئاً كثيراً، فلما خرجا نصبا على أبوابه الأقفال، ووكَّلا به من قبلهما قوماً، فأمرت عائشة بختمه، فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد أن يختمه الزبير دونه، فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت: يختمانه ويختم عني ابن أختي عبد الله بن الزبير، فختم يومئذٍ بثلاثة ختوم!!)[2].

كما وظفوا الباقي في شراء ذمم الرجال حين يقترب موعد الحرب[3].

وذكر ابن أبي الحديد: (اتَّفقت الرواة كلها على أنه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض فقسَّمه بين أصحابه، وأنهم قالوا له: اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دماءهم وتحرَّم علينا سبيهم؟! فقال: كيف يحل لكم ذريَّة ضعيفة في دار هجرة

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠١.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٨٤.

(٣) انظر: الجمل: الشيخ المفيد، ص٢٨٧، تاريخ الطبري: ج٥ ص١٨٢.

وإسلام؟! أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه. فلما أكثروا عليه قال: فأقرعوا على عائشة، لأدفعها إلى من تصيبه القرعة! فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين! ثم انصرفوا)[1].

لم يتعرض أمير المؤمنين عليه السلام لما وارته الدور وأغلقت عليه الأبواب من نساء وذرية وأموال ومتاع، وإنما قسم ما وجده في عسكر الناكثين من سلاح ودابة وغير ذلك. وقارن بين فعله وما فعله خالد بن الوليد بقوم مالك بن نويرة، وما فعله جيش يزيد.

وذكر ابن قتيبة: (ثم أمر المنادي فنادى. لا يقتلن مدبر، ولا يجهز على جريح، ولكم ما في عسكرهم، وعلى نسائهم العدة، وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض الله. فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تحل لنا أموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم؟ فقال: لا يحل ذلك لكم. فلما أكثروا عليه في ذلك قال: اقترعوا، هاتوا بسهامكم ثم قال: أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟ فقالوا: نستغفر الله. فقال: وأنا أستغفر الله)[2].

وذكر مسكويه: (وجمع الاسلاب إلى المسجد بالبصرة ونادى: من عرف شيئاً فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان)[3].

وذكر الشيخ المفيد: (ولما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع، فقام إليه رجل قال: يا أمير المؤمنين هذه الفرس كانت لي، وإنما أعرتها لفلان ولم أدر أنه يخرج عليها، فسأله البيِّنة على ذلك، فأقام البيِّنة أنها عارية، فردَّها وقسم ما سوى ذلك)[4]. فلم يقسم من ممتلكات الناكثين إلا الغنائم الخالصة التي وجدها في ساحة المعركة ولم يتعرض إلى غيرها.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٥٠، الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٥، الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٥١.

(٢) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة، ج١ ص٩٧، وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٣، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١٤٥، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٧ ص٢٣٦.

(٣) تجارب الأمم: مسكويه، ج١ ص٣٢٩.

(٤) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٦.

ثم كتب أمير المؤمنين عليه السلام عدة رسائل، منها رسالته التي كتبها إلى أهل المدينة يبشّرهم فيها بالنصر.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي بن أبي طالب، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد . . . . وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملي عثمان بن حنيف ما صنعا!! فقدمت إليهم الرسل وأعذرت كل الأعذار. ثم نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء، وقدّمت الحجة، وأقلت العثرة والزلة، واستتبتهما ومن معهما من نكثهم بيعتي، ونقضهما عهدي، فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادي في الغيّ!! فلم أجد بدًّا من مناصفتهم لي، فناصفتهم بالجهاد، فقتل الله من قتل منهم ناكثاً، وولي من ولّى منهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحق والسنَّة في حكمهم، واخترت لهم عاملاً استعمله عليهم، وهو عبد الله بن العباس. وإني سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى. وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين من الهجرة[1].

فقد طلب أمير المؤمنين عليه السلام من طلحة والزبير وأتباعهما أن يتوبوا من نكثهم بيعته ونقضهم عهده فأبوا إلا قتاله وقتال من معه، والتمادي في الغي والفساد، فلم يجد بداً من جهادهم، فقتل الله بعضهم، وهرب الباقون، وعفا عن الآخرين.

والجدير بالتوقف عنده في كلام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (فناصفتهم بالجهاد). فقد اعتبر قتال الناكثين جهاداً. والجهاد فيه ثواب كبير لأمير المؤمنين وأفراد جيشه، وفيه عقاب عسير للطرف الآخر المناوىء وهم طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم من الناكثين المتمردين. ولم يجاهد أمير المؤمنين عليه السلام الناكثين إلا بعد أن أبو التوبة وأصروا على القتال والتمادي في الغي والضلال والعناد.

وقوله: (فقتل الله من قتل منهم ناكثاً) فيه دلالة على أن مصير الذين قتلوا، قد قتلوا على نكث البيعة ولم يقتلوا على التوبة. بل هذه شهادة على نفي توبتهم، وإثبات جريمة النكث في أعناقهم. فتباً لهم وما جنت أيديهم.

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة إلى أم هانيء بنت أبي طالب عليها السلام: سلام

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٥، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي، ج٤ ص٧٩.

عليكِ، أحمد إليكِ الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإنا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة. فأعطانا الله النصر عليهم بحوله وقوته، وأعطاهم سنَّة الظالمين، فقتل منهم طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عتَّاب وجمع لا يحصى. وقتل منا بنو مجدوع وابنا صوحان، وعلباء وهند وثمامة فيمن يُعد من المسلمين رحمهم الله. والسلام)[1].

فقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام على جيش الناكثين وقادته بالبغي والظلم (فإنا التقينا مع البغاة الظلمة!!). وهذه الشهادة تنفي عنهم التوبة. وقوله: (وأعطاهم سنَّة الظالمين) دليل آخر على ظلمهم وأنهم لم يوفَّقوا إلى التوبة.

وقوله: (وقتل منا بنو مجدوع وابنا صوحان وعلباء وهند وثمامة فيمن يُعد من المسلمين رحمهم الله) دليل آخر على التفريق بن الفئتين المتحاربتين. فقد اعتبر أصحابه من جماعة المسلمين وخصوصاً الذين استشهدوا منهم. واعتبر الفئة الأخرى بغاة وظلمة وخصوصاً قادتهم الذين لقوا حتفهم. وأن الله سبحانه وتعالى قد أعطاه وأعطى أصحابه (النصر) على الناكثين، وأعطى الناكثين قادة وأتباعاً أمواتاً وأحياءاً (سنَّة الظالمين). فقد ميَّز بين الفريقين في الوصف، فوصف كل فريق بما يستحق من الوصف. فهنيئاً لأصحابه وأتباعه، وتعساً لأعدائه ومناوئيه.

وكتب إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد . . . حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء، وأقمت الحجة، وأقلت العثرة والزلة من أهل الردَّة من قريش وغيرهم!! واستتبتهم عن نكثهم بيعتي وعهدِ اللهِ لي عليهم، فأبوا إلا قتالي وقتال من معي، والتمادي في الغي فناهضتهم بالجهاد، فقتل من قتل منهم، وولَّى من ولَّى إلى مصرهم، فسألوني ما دعوتهم إليه من كفِّ القتال فقبلت منهم، وغمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحق والسنَّة بينهم،

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٧، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي، ج٤ ص٨١. وانظر: تاريخ الطبري: ج٥ ص٢٢٤، جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت، ج١ ص٣٣٤.

واستعملت عبد الله بن العباس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى...[1].

فقد وسم أمير المؤمنين عليه السلام الناكثين بالمرتدين، وركَّز على زعماء الجمل القرشيين وغيرهم (وأقلت العثرة والزلَّة من أهل الردَّة من قريش وغيرهم!!). وقد وصفهم بأنهم أهل ردَّة، أي أنهم رجعوا إلى الكفر مرة ثانية بعد إسلامهم. وهذه الشهادة في حق الناكثين لها تبعات خطيرة على مصيرهم قادة وأتباعاً.

فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة، لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)[2].

وروي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عميَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها. ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه[3].

فخروج الناكثين من الطاعة ومفارقتهم جماعة المسلمين بذلك الأسلوب الدموي العنيف المدعوم بقوة السلاح والبطش لا يختلف عليه اثنان. وقد وثَّقناه مراراً في الفصول السابقة. ولقاؤهم حتفهم البائس وهم يحاربون تحت راية الضلال مصداق للميتة الجاهلية، وكيف لا يكون ذلك وقد خرجوا من الطاعة وفارقوا الجماعة ولقوا حتفهم وليس في عنقهم بيعة لإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام؟!

وهذه الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها تؤكد ردَّة الناكثين (وأقمت الحجة وأقلت العثرة والزلَّة من أهل الردَّة من قريش وغيرهم!!). وإلا، كيف لم يرتدوا على أعقابهم وقد ماتوا ميتة جاهلية عن عمد وسبق إصرار؟!

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٩٨، الشافي في الإمامة: السيد المرتضى، ج٤ ص٣٢٩، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٣١، نهج السعادة: المحمودي، ج٤ ص٨٣.

(٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٦، (رقم الحديث: ١٨٥١).

(٣) صحيح مسلم: ج٤ ص١٢٤، (رقم الحديث: ١٨٤٨).

وروى مسلم في صحيحه عدة روايات بسنده عن عبد الله بن عمر وغيره أن النبي ﷺ قال: من حمل علينا السلاح فليس منا[1]. ورواه أيضاً عن أبي موسى وابي هريرة. وفي روايته الأخرى: من سلَّ علنيا السيف فليس منا.

ومما لا شك فيه أن ٣٠٠٠٠ من الناكثين قد حملوا سلاحهم وسلُّوا سيوفهم ضد إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه من المسلمين في معركة رهيبة قد خلَّفت وراءها آلاف القتلى والجرحى من الفريقين، فضلاً عن الآلاف من الأرامل واليتامى الذين أمسوا بلا والٍ يلي أمورهم ويرعى شؤونهم ويلبِّي متطلباتهم. فالناكثون الذين سلّوا سيوفهم في وجوه المسلمين وإمامهم الشرعي وخلَّفوا تلك المآسي المروِّعة ليسوا من المسلمين كما نطقت به الأحاديث النبوية الصحيحة، وما داموا ليسوا من المسلمين فقد ارتدوا على أعقابهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وأقمت الحجَّة وأقلت العثرة والزلَّة من أهل الردَّة من قريش وغيرهم).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر. قال زبيد: فقلت لأبي وائل أنت سمعته عن عبد الله يرويه عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم[2]. فإذا كان قتال المسلم الواحد كفراً، فكيف بمن قاتل آلاف المسلمين مع إمامهم الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام؟! ألا يكون ذلك القتال كفراً؟! فإن كان قتال الناكثين لإمامهم أمير المؤمنين والمسلمين الذين معه كفراً كما صرَّح به الحديث النبوي الشريف فقد ارتدوا على أعقابهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فيهم: (وأقمت الحجة وأقلت العثرة والزلة من أهل الردَّة من قريش وغيرهم).

وكتب رسالة إلى قرظة بن كعب وأهل الكوفة:

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين. سلام عليكم. فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إله هو، أما بعد، فإنا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرَّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم وقُتل طلحة والزبير، وقد تقدمت إليهما بالمعذرة،

---

(١) صحيح مسلم: ج١ ص١٣٧، (رقم الحديث: ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

(٢) صحيح مسلم: ج١ ص١١٤، (رقم الحديث: ٦٤).

واستشهدت عليهما صلحاء الأمة ونكثهما بالبيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين، ولاذ أهل البصرة بعائشة، فقتل حولها عالم جمّ لا يحصي عددهم إلا الله. ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا. فماكانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر!! مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربِّها ونبيِّها، واغترار من اغترَّ بها، وما صنعته من التفرق بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين بلا بيِّنة ولا معذرة ولا حجة لها. فلما هزمهم الله أمرتُ أن لا يُقتل مدبر، ولا يُجهز على جريح، ولا يُكشف عورة، ولا يُهتك ستر، ولا يُدخل دار إلا بإذن أهلها، وقد آمنت الناس. وقد استشهد منا رجال صالحون، ضاعف الله لهم الحسنات، ورفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصابرين، وجزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبيهم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودعيتم فأجبتم، فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب عبد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين[1].

فقوله: (وقُتل طلحة والزبير، وقد تقدمت إليهما بالمعذرة، واستشهدت عليهما صلحاء الأمة ونكثهما بالبيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين) فيه دلالة واضحة على أنه قد ألقى عليهما الحجة، ولم يترك لهما عذراً مقبولاً يعتذرون به يوم القيامة. فيأتيان يوم القيامة دون أن يكون لديهما مستند شرعي يستندان عليه في بغيهما وعدوانهما. فماذا سيفعل الله سبحانه وتعالى بهما وهما قائدان من قوادّ الضلالة؟!

وقوله: (فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر) فيه دلالة على شؤم عائشة. فقد قارن بين عائشة وعاقر ناقة النبي صالح عليه السلام، فقال إن الشؤم الذي جلبته عائشة على أهل البصرة أكثر من الشؤم الذي جلبه عاقرو الناقة على قومهم. فالويل لها من كونها أشأم من عاقر الناقة من خلال هذه المقارنة.

وقوله: (مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربِّها ونبيِّها، واغترار من اغترَّ بها، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين بلا بيّنة ولا

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٣، الشافي في الإمامة: السيد المرتضى، ج٤ ص٣٣٠، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٥٢، نهج السعادة: المحمودي، ج٤ ص٨٦.

معذرة ولا حجة لها) فيه دلالة واضحة على الإثم الكبير الذي ارتكبته عائشة من جرَّاء عصيانها لربِّها ونبيها، بالإضافة إلى شؤمها على قومها وأتباعها. وقد شهد عليها أمير المؤمنين عليه السلام بالعصيان، والعاصي يأخذ جزاءه عاجلاً أم آجلاً. والجزاء يكون بحجم المعصية. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

فعقاب من يعصي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله الخلود في النار والعذاب المهين والضلال المبين. والمسلم الغيور على دينه ولديه عقل لا يشك في عصيان عائشة لربِّها ونبيِّها. فقد أمرها الله سبحانه وتعالى أن تقرَّ في بيتها فخالفته عن علم ودراية، وحذَّرها نبيُّها من ركوب الجمل «عسكر» ومن نباح كلاب «الحوأب» فعصته وأشعلت حرب الجمل عن عمد وسبق إصرار. فكيف لا يشملها عقاب من يعصي الله ورسوله؟! فلم تستثن الآيات السابقة أحداً. فالعقاب يشمل العاصين جميعهم دون مراعاة لأحسابهم وأنسابهم.

ولم يقتصر الإثم الكبير على عصيانها لربِّها ونبيِّها، بل ـ بالإضافة إلى ذلك ـ تتحمل إثم من اغترَّ بها. فهل تستطيع أن تتحمل إثم ٣٠٠٠٠ من الناكثين الذين غرَّتهم فأوردتهم موارد الهلكة؟! وهل تستطيع أن تتحمل إثم قتل آلاف الشهداء الذين استشهدوا تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام؟! وهل تستطيع أن تتحمل إثم تضييع آلاف الأرامل واليتامى الذين أصبحوا بلا عائل يعيلهم وينقذهم من شظف العيش؟! وإذا لم تتحمل عائشة إثم تلك المآسي كلها، فمن يتحملها إذن؟! وإذا أضفنا إلى ذلك الإثم، إثم ما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وما سفكته من دماء المسلمين بلا مبرر شرعي تستند عليه سيكون الإثم عظيماًومخيفاً في آن واحد لا يقوى عليه جسمها الضعيف. فماذا جنت على نفسها؟!

وقوله: (وقد آمنت الناس) فيه دلالتان: الدلالة الأولى أنه قد طبَّق في أهل البصرة سيرته العلوية الحسنة التي بعثت الأمن في قلوبهم، وأرجعت لهم الطمأنينة التي افتقدوها. وخير دليل على ذلك العفو الشامل الذي أعلنه للجميع. والدلالة

الثانية، يوضح هذا الكلام الحالة السابقة التي فرضها الناكثون في البصرة بالقوة، والمتمثلة في بث الرعب والخوف وفقدان الطمأنينة. وقد صوَّر ابن الأثير تلك الحالة بقوله: (وبقي طلحة والزبير ـ بعد أخذ عثمان ـ بالبصرة، ومعهم بيت المال والحرس، والناس معهما، ومن لم يكن معهما استتر!!)[1].

ولم ينس أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو للشهداء الذين استشهدوا تحت لوائه ويصفهم بالصلاح، كما أنه لم ينس أن يشيد بالمقاتلين الآخرين الذين سمعوا دعوته فأطاعوه، ودعاهم فأجابوه. فقد أشاد بفضل كلٍّ ذي فضل.

وكتب عليه السلام بالفتح إلى عماله في الآفاق:

إن الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما وشقاقهما ونكثهما وهزم جمعهما وردَّ عائشة خاسرة[2].

ففي هذه الرسالة إقرار بأن طلحة والزبير قد قُتلا على البغي والشقاق والنكث. كما أن الله سبحانه وتعالى قد ردَّ عائشة خاسرة من ثواب المجتهد المخطيء كما يتشدق بذلك أتباعها والمدافعون عنها، ومثقلة بالإثم والوزر ومسؤولية سفك الدماء.

وروى الواقدي أن أمير المؤمنين عليه السلام: لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس، إني أحمد الله على نعمته، قُتل طلحة والزبير، وهُزمت عائشة. وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً وأهانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وإن أول خطئها في نفسها، وما كانت والله على القوم إلا أشأم من ناقة الحجر، وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً، وما زادهم الشيطان إلا طغياناً. ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين. إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا به، يرجون مغفرة من الله، وإننا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل!! وسيجمعنا الله وإيَّاهم يوم الفصل، وأستغفر الله لي ولكم[3].

---

(١) الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص١١٠.

(٢) الفصول المختارة: الشيخ المفيد، ج١ ص١٠٥، نهج السعادة، المحمودي، ج٤ ص٨٥.

(٣) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٢.

فقوله: (وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً، وما زادهم الشيطان إلا طغياناً) فيه دلالة على أن الناكثين لم يتخلوا عن حقدهم الدفين بعد الهزيمة، ولم يزدادوا إلا حقداً. هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد ازدادوا في الطغيان والتمرد بفعل ما كان يوسوس لهم الشيطان. وهذا دليل على أنهم لم يتعظوا من هزيمتهم المخزية في الحرب، ولو استطاعوا أن يعيدوا الحرب مرة ثانية لأعادوها. ومواقفهم الخيانية تؤيد ذلك.

وقوله: (ولقد جاؤوا مبطلين، وأدبروا ظالمين) فيه دلالة على أن الناكثين قد جاؤوا إلى البصرة وهم على باطل في تمردهم ونكثهم وبغيهم، وخرجوا من البصرة منهزمين ظالمين غير مظلومين. فقد جاؤوا على الباطل وخرجوا بالإثم.

ولم ينس أن يشير في خطبته إلى أنصاره الذين جاهدوا معه. فقد وصفهم بالإيمان والجهاد في سبيل الله، وأنهم يرجون مغفرة الله سبحانه وتعالى. كما وصف نفسه وأفراد جيشه بأنهم على الحق، وأن أعداءه الناكثين على باطل. وأصحاب الحق وأصحاب الباطل لا يجتمعون معاً في الجنة، فأصحاب الحق في الجنة، وأصحاب الباطل في السعير. ثم قال: (وسيجمعنا الله وإيَّاهم يوم الفصل). فإذا كان أحد الفريقين على حق، والفريق الآخر على باطل، ستعرف النتيجة مسبقاً في محكمة العدل الإلهي. فسوف يحكم الله سبحانه وتعالى لأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه ويدين عاشة وطلحة والزبير وأعوانهم الظلمة. وهناك سيخسرالمبطلون ويفوز المحقون.

عن الحارث بن سريع قال: لما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على رسوله وقال:

أيها الناس، إن الله عزّ وجلّ ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أن نقمته وعقابه على أهل معصيته، يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة! ويا جند المرأة! وأتباع البهيمة! رغا فأجبتم، وعقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مرَّاق، يا أهل البصرة! أنتم شرّ خلق الله!! أرضكم قريبة من الماء، بعيدة عن السماء، خفَّت عقولكم، وسفهت

أحلامكم، شهرتم سيوفكم، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم، فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، فالنار لكم مدَّخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة نكثتم بيعتي، وظاهرتم عليَّ ذوي عداوتي!! فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟

فقام رجال منهم فقالوا: نظن خيراً يا أمير المؤمنين، ونرى أنَّك ظفرت وقدرت. فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحب إلى ربّ العالمين. فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم، فإياكم والفتنة، فإنكم أول من نكث البيعة، وشقَّ عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، أخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة[1].

فقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام أهل البصرة بعدة صفات غير محمودة: فهم أهل المؤتفكة وجند المرأة وهي عائشة، وأتباع البهيمة ويقصد بذلك جمل عائشة. كما صوَّر نفسيات أهل البصرة وخصالهم السيئة. فقد قال عنهم بأنهم قد أطاعوا الجمل حين رغا، وانهزموا حين عُقر، وأن أحلامهم دقاق، وعهدهم شقاق، ودينهم نفاق، وهم فسقة مرَّاق يمرقون من الدين، وهم شرّ خلق الله، قد خفَّت عقولهم، وسفهت أحلامهم. وهذه الأوصاف كلها أوصاف مذمومة في أهل البصرة من أتباع عائشة وطلحة والزبير. وأمير المؤمنين مطهر من الرجس لا يقول إلا حقاً.

وقد اتهمهم بأنهم قد شهروا سيوفهم في وجه إمامهم والمؤمنين الذين معه. وقد ذكرنا عقاب من يشهر سيفه في وجه المسلمين، واتهمهم أيضاً بأنهم قد سفكوا دماءهم ودماء المسلمين بغير حق، وأنهم خالفوا إمامهم، كل ذلك بأمر مباشر من قادة حرب الجمل وهم طلحة والزبير وعائشة. ثم وعد المجرمين منهم بالنار في الآخرة والعار في الدنيا. كما أكَّد على أنهم قد نكثوا البيعة، وساعدوا أعداءه عليه وأعانوهم. ويقصدبهم قادة حرب الجمل عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم.

ولما فرغ من كل ذلك قال لهم: فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟! فقد اعترف

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٠٧، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٥١، نهج السعادة: المحمودي، ج١ ص٣٦٨، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٨، الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٥١.

أهل البصرة بقبح الجريمة وبشاعة الذنب، فاستدروا عطفه وعفوه حين عرفوه أهلاً للعفو. فقال لهم: (لقد عفوت عنكم، فإيَّاكم والفتنة، فإنكم أول من نكث البيعة وشقَّ عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، وأخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة). فقد شملهم بعفوه، وأغضى عن اساءتهم، وحذَّرهم من الفتنة والتمرد مرة ثانية. فقد أثبت عليهم الجريمة، وأقرُّوا بها، ثم عفا عنهم.

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال: لما استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على رسوله ثم قال:

يا معاشر الناس! قد استخلفت عليكم عبد اللهبن العباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاغ عن الحق فأعلموني أعزله عنكم، فإني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإني لم أولِّهِ عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر الله لنا ولكم[1].

فقد أمرهم بالسمع لواليهم الجديد وإطاعة أمره ما أطاع الله ورسوله. فالسمع والطاعة للوالي مشروطان بطاعة الوالي لله ورسوله. كما طلب منهم أن يعلموه إن أحدث فيهم حدثاً أو زاغ عن الحق لكي يعزله عنهم. فقد ضرب لهم أروع الأمثلة في سياسة الإمام وحسن رعايته للرعية.

ولما ضبط أمير المؤمنين عليه السلام أمور البصرة عزم على التوجه إلى الكوفة. فقد روى أبو مخنف: لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام التوجه إلى الكوفة قام في أهل البصرة فقال:

ما تنقمون عليَّ يا أهل البصرة؟ ـ وأشار إلى قميصه وردائه ـ فقال: والله إنهما لمن غزل أهلي. ما تنقمون مني يا أهل البصرة؟ ـ وأشار إلى صرَّة في يده فيها نفقته ـ فقال: والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة، فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين[2].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٢٠، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٥٢، نهج السعادة: المحمودي، ج١ ص٤٥٢.

(٢) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٢٢، نصوص من تاريخ أبي مخنف: تحقيق كامل سلمان الجبوري، ج١ ص١٥٠، نهج السعادة: المحمودي، ج١ ص٤٥٧.

فقد ضرب أروع الأمثلة لصورة الإمام الزاهد الذي لا تغرّه زخارف الدنيا ولا يخضم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع. فلم يخرج من البصرة إلا بردائه وقميصه وهما من غزل أهله، وصرَّة في يده فيها نفقته، وهي من غلته بالمدينة. فمتى نقارن بين دخول أمير المؤمنين عليه السلام البصرة ودخول زعماء الناكثين فيها نجد الفرق بين دخول الفاتحين ودخول الناهبين، ودخول المصلحين ودخول المخرِّبين، ودخول أئمة العدل، ودخول شياطين الجور.

ومتى نقارين بين خروجه منها وخروج قادة حرب الجمل منها نجد الفرق بين خروج الظافرين المحسنين، وخروج المنهزمين المخذولين، وبين حسن الخاتمة له، وسوء الخاتمة لهم، ورضوان الله عليه، وغضب الله عليهم.

ثم خرج من البصرة وشيَّعه الناس إلى خارجها، ولما صار إلى مرمى سهم منها استقبل الكوفة بوجهه، وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال:

الحمد لله الذي أخرجني من أخبث البلاد وأخشنها تراباً، وأسرعها خراباً، وأقربها من الماء، وابعدها من السماء، بها مغيض الماء، وبها تسعة أعشار الشرّ، وهي مسكن الجن، الخارج منها برحمة، والداخل إليها بذنب، أما إنها لا تذهب الدنيا حتى يجيء إليها كل فاجر ويخرج منها كل مؤمن، حتى يكون مسجدها كجؤجؤ سفينة[1].

وبخروج أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة فقد اسدل الستار على حرب الجمل التي أشعلها طلحة والزبير وعائشة. وقد خرج منها أمير المؤمنين عليه السلام مظفراً منصوراً، وقد لاقى فيها طلحة والزبير حفتهما وقتلا فيها أخبث قتلة. ووقعت عائشة أسيرة فردَّت إلى بيتها الذي ينبغي أن تقرَّ فيه. وذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وهناك غدر به ابن ملجمم المرادي فدفن هناك وأصبح قبره مزاراً ومناراً للمسلمين إلى يومنا هذا. أما قبر طلحة والزبير فقد صارا في حالة يرثى لها. بل أصبح عبرةً للمعتبرين.

فقد قال الحسن البصري عن مصير قبري طلحة والزبير: (وقد كان له قبل ذلك

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٢٢، وانظر: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٥١، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٤٥.

جهاد مع رسول الله، ووقاه بيده فضيَّع أمر نفسه، ولقد رأيت قبره مأوى السقَّائين، فيضع عنده أحدهم قربته ثم يقضي حاجته!! فما رأيت أعجب من هؤلاء القوم! وأما الزبير.... والله ما رأيت مثله أحداً قط، فضاع دمه، وهذا قبره بوادي السباع مخرأة الثعالب!! خرجا، ولما خرجا لم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا، فعزَّ عليَّ هذه الشقوة التي كتبت عليهما)[1].

فقد أصبح قبر طلحة مرحاضاً للسقَّائين يقضون حاجاتهم عنده. وهذه النهاية التعيسة عبرة للمعتبر، ودرس أليم للناكثين والمتمردين على الحق والعدالة. وأصبح قبر الزبير مخرأة للثعالب!! وهذا المصير المؤلم درس ينبغي أن لا ينساه المتمردون في كل زمان ومكان. وإذا بحث المسلم الغيور عن قبر المتمرد الأكبر معاوية بن أبي سفيان سيجده بحالٍ أسوأ من حال قبري طلحة والزبير. ولله في خلقه شؤون. وفي ضربات القدر أسمى العبر. فهل اعتبر أتباع السقيفة؟!

وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، وهناك بدأ جهاده مع أكبر طواغيت بني أمية معاوية بن أبي سفيان. ووصلت عائشة إلى المدينة مهزومة خائبة يغلي قلبها من الحقد الأعمى لأمير المؤمنين عليه السلام. وما أن استقرَّ بها المقام حتى بدأت تثير حرباً شرسة ضد أمير المؤمنين عليه السلام. واتخذت هذه المرة صورة جديدة تختلف عن حربها الأولى ولا تقل شراسة عنها. فقد أشعلت حرب الإشاعات والكذب والدجل، والسباب والشتائم، واختلاق الأحاديث المكذوبة على لسان نبي الرحمة صلى الله عليه وآله لتشويه سمعة أمير المؤمنين عليه السلام والحط من مكانته في قلوب المسلمين. وقد ذهبت محاولاتها أدراج الرياح، وخرجت من الدنيا حاملة أوزار تلك الحرب السيئة، وبقي الإمام عليه السلام ـ شاءت أم أبت ـ إماماً للمسلمين، وعلماً للهدى، ومناراً للمتقين.

فقد ذكر ابن أبي الحديد: (وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممَّهن بالعمائم، وقلَّدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق، ذكرته بما لا يجوز أن

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٨٥.

يذكر به!! وتأفّفت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي!! فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن، وقلن لها: إنما نحن نسوة)[1].

تأمل في قوله: (فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به!!). فماذا قالت في حق أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة أنه لا يجوز أن يذكر به!! ولماذا أخفى المؤرخون كلامها الشنيع؟! فلو كان كلاماً محموداً ينطبق مع الموازين الشرعية لما أخفوه. أضف إلى ذلك، ما سبب تأفّفها؟! وهل هتك أمير المؤمنين عليه السلام سترها، حقاً برجاله وجنده الذين وكلهم بها؟! ألم يكن لديها فطنة لتكتشف حقيقة من صحبها طول الطريق؟! وإذا سلّمنا ذلك وقلنا أن العمل الرائع الذي قام به أمير المؤمنين عليه السلام ـ حاشاه ذلك ـ هتك لسترها. ألم تفكر في هتك سترها حين خرجت مع الرجال الناكثين لقتال إمامها وأبنائها؟! ألم تهتك سترها بنفسها مع أولئك الأشرار من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم؟ فلماذا تسكت عن هتك سترها حقيقة مع الرجال الغرباء عند خروجها معهم؟ ولماذا تتشدق زوراً في هتك سترها عند رجوعها إلى بيتها مع نسوة مثلها؟ مواقفها مواقف غريبة تدل على غربتها وضياعها حين حادت عن الصراط المستقيم.

وروى محمد بن إسحاق أن عائشة لما وصلت إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرِّض الناس على أمير المؤمنين. وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البختري تحرّضهم عليه عليه السلام[2].

لم يهدأ بالها بعد الهزيمة المنكرة ولم تستسلم، ولما وصلت إلى المدينة أخذت تحرِّض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، وتحثهم على الخروج على الطاعة وشقّ عصا الجماعة. فهي لا تستطيع أن ترى أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للمسلمين. فقد تمنَّت أن تنطبق السماء على الأرض بمجرد أن عرفت أن المسلمين قد بايعوه وتركوا ابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي. وقد قالت بأن المسلمين تعسوا تعسوا!! حين لم يبايعوا طلحة وبايعوا بدلاً منه أمير المؤمنين عليه السلام. فكيف تصبر

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٣، إحقاق الحق: السيد شهاب الدين المرعشي، ج٨ ص٦٥٦.

(٢) الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٥، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٦٧.

على التعاسة التي ملأت قلبها؟ ولم تكتف بتحريض الناس البسطاء في المدينة، وإنما كتبت إلى معاوية وأهل الشام تحرّضهم على أمير المؤمنين عليه السلام. فقد تحالفت مع زعيم الطلقاء لتقويض صرح الخلافة الإسلامية حين عجزت عن تهديمه بنفسها حين حشدت في سبيل تقويضه ٣٠٠٠٠ متمرد من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، فرجعت تجر أذيال الخيبة والخذلان، حاملة فوق ظهرها أوزار تلك الحرب الظالمة. لقد وصلت بها الأمور أن تتحالف مع رموز الزندقة والنفاق وتحرّضهم ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا التحريض دليل واضح لما تضمره من شرٍّ للإسلام والمسلمين وإمامهم الشرعي. وهي تعلم علم اليقين بأن هذا التحريض الرخيص يخالف أحكام القرآن الكريم وسنَّة زوجها النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

وقد اختارت الأسود بن البختري لتوصيل رسالتها إلى معاوية بن أبي سفيان. وقد أسلم هذا الرجل يوم الفتح فهو من المؤلفة قلوبهم. وقُتل أبوه يوم بدر كافراً. ولما بعث معاوية بن أبي سفيان المجرم بسر بن أرطاة إلى المدينة ليقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فيها بعث معه الأسود بن البختري مستشاراً له[1]. فقد بعثت برسالتها التحريضية إلى معاوية مع أحد المؤلفة قلوبهم لا دين له حين كان من أنصار معاوية، ومن ضمن أفراد جيش بسر بن أرطاة وأحد مستشاريه. واختيارها لأمثال هذه العناصر فيه ما فيه. وكل إناء بالذي فيه ينضح. وهذا ما نضحه إناء عائشة.

فقد كان موقفها سيئاً من أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن أبي البختري قال: (لما أن جاء عائشة قتل عليّ عليه السلام سجدت!!)[2]. ويدل هذا السجود على شدة حقدها الأسود لأمير المؤمنين عليه السلام وشدة بعدها عن أحكام الدين الحنيف. فقد أتت ببدعة قبيحة ما أنزل الله بها من سلطان. وأصبحت دليلاً واضحاً على عدم توبتها. وإنما ندمت من هزيمتها وعدم تحقيق ما كانت تصبو إليه. ومما يؤكد حقدها الأسود ما ذكره الطبري وغيره (ولما انتهى إلى عائشة قتل عليّ رضي الله عنه قالت:

---

(١) انظر: أسد الغابة: ابن الأثير، ج١ ص١٢٧، (رقم الترجمة: ١٣٣).

(٢) مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٥٥، نهج السعادة: المحمودي، ج٨ ص٤٧٢.

ألقت عصاها واستقرَّت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد. فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب ابنة أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟! فقالت: إني أنسى!! فإذا نسيت فذكروني!!)[1].

فقد أبدت فرحتها الشديدة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وارتاح قلبها المثقل بالحقد الأسود البغيض، وقرَّت عيناها كما قرَّت عين المسافر بالرجوع إلى وطنه سالماً غانماً. وسألت عن قاتله الذي حقَّق لها أحلامها التي عجزت عن تحقيقها، ولم تلعنه أو تستاء من فعلته السيِّئة أو تنتقده. وحين عرفت أنه من قبيلة مراد تمثلت بذلك البيت الشعري السيء. ولما عابها الناس (حسب رواية سبط ابن الجوزي) وعابتها زينب بنت أبي سلمة، قالت بدهاء ومكر وسرور مبطَّن: (إني أنسى!! فإذا نسيت فذكروني!!). فالناسي لا يشمت بمقتل أحد المؤمنين، فكيف بأمير المؤمنين وسيد المسلمين؟! ولم يشر المؤرخون إلذين رووا الخبر إلى أي إشارة تدل على التوبة والندم. بل الخبر كله يدل على الفرح والسعادة والشماتة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام. وقد عابها الناس في ذلك، وهذا ما فهمته زينب بنت أبي سلمة، وما يفهمه كل إنسان عنده أدنى معرفة بالشعر. حتى أن عائشة نفسها لم تنكر ذلك الفرح والسعادة والشماتة حين جوبهت بقوارص الكلم، غاية الأمر أنها برَّرت تصرّفها المخالف لأحكام الدين بالنسيان.

وما دام الأمر كذلك، فهل تستطيع أن تتشبث بتلك الحجة الواهية (حجة النسيان) إذا وقفت في محكمة العدل الإلهي أمام الإله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟! وهل يستطيع أتباعها المدافعون عنها أن يدافعوا عن تصرّفها هذا في محكمة العدل الإلهي؟! كلا، لن يجرؤوا على الدفاع عنها؟!

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦ ص٨٧، مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٥٥، الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج٣ ص٢٥٩، أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، ج١ ص٥٣٤، العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد، ص٢٠٩، نهج السعادة: المحمودي، ج٨ ص٤٧٢، تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص١٨٩، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٣٤٠.

لقد وصل بها الأمر أعظم من هذا. فقد ذكر ابن عبد البر القرطبي: (وقالت عائشة رضي الله عنها لما بلغها قتل عليّ: لتصنع العرب ما شاءت!! فليس لها أحد ينهاها!!)[1].

فقد نبهَّت العرب إلى شيء غافلين عنه، وحرَّضتهم على أن يعملوا ما يشاؤون من موبقات ومحرَّمات فلا يوجد أحد يمنعهم من ارتكاب تلك المخازي والموبقات بعد أمير المؤمنين عليه السلام. فقد قُتل الذي كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وقولها: (فليس أحدٌ يمنعها!!) دليل على أنها تدعو العرب إلى عمل أشياء تخالف حكم الشرع، وما دام أمير المؤمنين عليه السلام حارس الشرع وحاميه قد رحل من الدنيا فلا يوجد أحد يمنعهم من ارتكاب تلك المخالفات. ولا يوجد دليل على أنها تقصد أن يعمل العرب ما يشاؤون من عمل الخير الذي يتفق مع الشرع. فقولها: (فلتصنع العرب ما شاءت!!) فيه إطلاق. أي أنهم: فليعملوا أي شيء يريدون. وقولها: (فليس أحد يمنعها!!) يحدد هوَّية الشيء الذي تدعو إليه. فأمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع العرب من عمل الخير الذي يتفق مع الشرع. وعائشة تعرف ذلك قبل غيرها، والناس جميعهم يعرفون ذلك بما فيهم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام. وإنما يمنع العرب من عمل الشر الذي يخالف الشرع. فالمنع يتفق مع عمل الشر لا مع عمل الخير. وهذا ما كانت تقصده عائشة. فلم يكن عمل الخير عند العرب متوقفاً على موت أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد أن سمعت عائشة بقتله حثت العرب على عمل ذلك الخير. وإنما حثتهم على عمل الشر والمفاسد والموبقات بمجرد أن عرفت بمقتل حامي الشريعة وحارسها الثقل الأصغر الذي لا يفترق عن القرآن الكريم. والويل لها من تلك الدعوة الشاذة اذا نفذَّها أتباعها ومحبوها على أرض الواقع، لأنها بذلك ستحمل وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة. وهذه الدعوة الشاذة دليل على عدم توبتها، والتائب لا يدعو إلى شيء يخالف نهج أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يفترق عن القرآن بنص حديث الثقلين. لقد كانت عائشة برميلاً من الشرّ والفتن والشقاق.

---

(١) الإستيعاب بهامش الإصابة: ابن عبد البر القرطبي، ج٣ ص٥٧، نهج السعادة: المحمودي، ج٨ ص٤٧٢، ملحقات الإحقاق: السيد شهاب الدين المرعشي، ج٨ ص٨٠٣، ٨٠٤، ذخائر العقبى: محب الدين الطبري، ص١١٥.

وروي عن مسروق أنه قال: دخلت على عائشة فجلست إليها فحدثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له: عبد الرحمن حتى وقف. فقالت: يا مسروق، أتدري لم سمَّيته عبد الرحمن؟! فقلت: لا، فقالت: حباً مني لعبد الرحمن بن ملجم!![1].

فلم تكتف بالفرح بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام والإستشهاد بتلك الأشعار التي يشم منها رائحة البغض والنفاق، والسجود شكراً لله سبحانه وتعالى على قتله. لم تكتف بكل ذلك، بل عمدت إلى غلام أسود من غلمانها وسمَّته بإسم عبد الرحمن، وأخبرت مسروقاً أنها سمَّته بهذا الإسم حباً منها لعبد الرحمن بن ملجم الذي قتل إمامها أمير المؤمنين عليه السلام. لقد وصل بها الحقد الأسود ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام إلى درجة أنها أحبَّت الخوارج، بل أحبَّت اشقى أشقياء الخوارج الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لأنه أراحها من إمام لا ترغب في وجوده ولا تكنّ له ذرة من الحب والإحترام. ولقد حاولت أن تقتله أو تزيحه عن منصب الإمامة بالإستعانة بـ ٣٠٠٠٠ من عفاريت السقيفة فلم تفلح في ذلك ورجعت إلى بيتها مهزومة ذليلة خاسرة، ولما قام عبد الرحمن بن ملجم بالمهمة نيابة عنها أحبَّته حبّاً شديداً لأنه حقَّق لها هدفها المنشود على طبق من ذهب. فلماذا لا تحب رجلاً حقَّق لها حلمها المنشود؟! وما دام الأمر كذلك، فالويل لها حين يحشرها الله مع ذلك الشقي الذي حبَّته، فالإنسان يُحشر مع من أحب. وما دامت تحب عبد الرحمن بن ملجم ولا تحب أمير المؤمنين عليه السلام، فلن يحشرها الله مع إمامها، بل سيحشرها مع قاتل إمامها أشقى الأولين والآخرين. وهي التي اختارت الشخص الذي سيحشر معها. وهذا التصرف السيِّء يدل على أنها لم تتب، ولم تذق طعم التوبة.

وبسبب هذه المواقف الشاذة التي وقفتها عائشة ضد إمامها أمير المؤمنين عليه السلام أرادت امرأة من عبد القيس أن تذكرها بخطأ تصرفاتها في حربها وبعد انتهائها من الحرب. فقد ذكر ابن عبد ربه: (دخلت أم أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة

---

(١) الشافي في الإمامة: السيد المرتضى، ج٤ ص٣٥٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٢٨، ص١٥٠، ج٣٢، ٣٤١.

الجمل فقالت لها: يا أم المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار! قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟! قالت: خذوا بيد عدوة الله!!)[1].

لقد عرفت عائشة الحكم الشرعي لمن يقتل ابناً له صغيراً. ولما سألتها أم أوفى السؤال الآخر، قالت: خذو بيد عدوة الله. ولم تجب على السؤال، بل تهرَّبت من الإجابة عمداً. وإذا كانت أم أوفى عدوة الله حقاً لأنها سألت عائشة ذلك السؤال، فهل كانت عائشة نفسها عدوة لله حين قتلت عشرين ألفاً من أبنائها الأكابر؟! وإذا لم تكن عدوة الله، فمن باب أولى، أن أم أوفى العبدية ليست عدوة لله. وما دام الأمر كذلك، فلماذا وصفتها عائشة بالعداوة؟!

تلفتت عائشة يميناً وشمالاً لعلها تجد معيناً يساعدها على عدوها أمير المؤمنين حياً وميتاً فلم تجد أفضل من معاوية بن أبي سفيان الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام حرباً لا هوادة فيها حتى انتصر عليه في النهاية بالخديعة والدسائس والمكائد وشراء زعماء القبائل من أصحاب الدنيا بالأموال الكثيرة. فقوَّت علاقتها به وهي تعرفه رأساً من رؤوس الفتن، وزعيماً من زعماء النفاق، وإماماً من أئمة الضلال. فدافعت عن ملكه، ومنعت المسلمين من زعزعة أركان حكمه الذي ما أنزل الله به من سلطان، في حين أنها قادت ٣٠٠٠٠ متمرد لتقويض خلافة أمير المؤمنين عليه السلام. وبعملها هذا، فقد رفضت الخلافة الشرعية، وحمت حكم الطواغيت والجبابرة. كل ذلك بسبب بغضها الشديد لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد ذكر ابن كثير: (قال ابن عساكر بإسناده عن أبي داود الطيالسي: حدثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: الا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في الخلافة؟. فقالت: وما تعجب من ذلك؟! هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفار!!)[2].

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الاندلسي، ج٤ ص١٣٥، عيون الأخبار: ابن قتيبة، المجلد الأول، ص٢٠٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٨٦.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص١٣٨، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٩٢.

فقد تقوَّلت على الله سبحانه وتعالى حين ادَّعت بأنه يؤتي سلطانه (الخلافة) البرَّ والفاجر. فالقرآن الكريم يدعو إلى التمسك بمكارم الأخلاق في كل صغيرة وكبيرة، فمن غير الممكن أن يتنازل عن تلك الأخلاق الفاضلة في موضع من أجلِّ الموضوعات وأهمها وهو موضوع الخلافة والإمامة العظمى، فيسمح أن يكون من نصيب البرّ والفاجر على السِّواء!! ما هذا الهراء يا عائشة؟!

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فقد جعل الله سبحانه وتعالى النبي إبراهيم عليه السلام إماماً، وهو من أولي العزم من الرسل، ولم يجعل الملك الفاجر في زمنه النمرود إماماً للناس. وحين عرف النبي إبراهيم عليه السلام عظم منصب الإمامة ومنزلته عند الله وأهميته في المجمتع طلب من الله أن يجعله في ذريته أيضاً (ومن ذريتي) فأجابه الله سبحانه وتعالى: (لا ينال عهدي الظالمين). فقد استجاب له بأنه سيجعل منصب الإمامة ذلك المنصب الجليل في عقبه الصالحين المتقين، واستبعد منهم الظالمين ربَّهم وأنفسهم في أي حالة من الحالات، صغر ظلمهم أم كبر، وسواء أكان ظلمهم في بداية حياتهم أم في نهايتها.

وعلى الرغم من هذا الدليل القرآني الواضح الذي ينفي إعطاء منصب الإمامة للظالمين إلا أن عائشة تصر على السباحة ضد التيار، وتتجاهل صريح القرآن الكريم وتقول للأسود بن يزيد في شأن موضوع حكم معاوية: (وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر!! وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة!! وكذلك غيره من الكفار!!). فبغضها لأمير المؤمنين عليه السلام هو الذي شجَّعها على تبنِّي هذه الآراء الشاذة في الدفاع عن معاوية بن أبي سفيان. وإلا فهي تعرف تاريخ هذا الرجل في حربه للإسلام والمسلمين عن دراية ومعرفة، وقد عاصرته وهو يقود مع أبيه جيش المشركين في جميع الغزوات حتى فتح مكة. فما حجتها في الدفاع عن حكمه الجائر في حين أنها رفضت الإمامة الراشدة الشرعية لأمير المؤمنين عليه السلام؟!

وقد عرف معاوية أيضاً أهمية عائشة ومساعدتها له في ترسيخ حكمه الجائر فأغدق عليها الأموال الطائلة فردَّت على إحسانه بالإحسان إليه أيضاً. فهما

يشتركان معاً في بغض أمير المؤمنين عليه السلام. وقد جمعتهما المصالح والأهداف المنشودة.

فقد ورى أبو نعيم الأصفهاني بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم أنه قال: أهدى معاوية لعائشة ثياباً وورقاً وأشياء توضع في اسطوانها[1].

وعن هشام بن عروة عن أبيه: أن معاوية بن أبي سفيان بعث إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف فقسمتها حتى لم تترك منها شيئاً[2].

وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته[3].

وروى ابن كثير عن سعيد بن عبد العزيز قال: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار!! وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس[4].

وأخرج ابن سعد وقال: دخل المنكدر بن عبد الله على عائشة، فقالت: لك ولد؟ قال: لا. فقالت: لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتها لك. قال: فما أمست حتى بعث إليها معاوية بمال. فقالت: ما أسرع ما ابتليت، وبعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف درهم فاشترى منها جارية[5].

فقد أغدق معاوية على عائشة الأموال الآتية:

١ ـ ١٨٠٠٠ دينار.

٢ ـ ١٠٠٠٠ درهم.

٣ ـ ٢٠٠٠٠٠ من الأموال التي لم تُعرف من الدنانير أو الدراهم.

٤ ـ ثياب وورق وأشياء أخرى لم تُعرف قيمتها.

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج٢ ص٤٨، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٦٨.

(٢) المستدرك: الحاكم، ج٤ ص١٣، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج٢ ص٤٧، البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص١٤٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٦٨.

(٣) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص١٤٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٦٨.

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص١٤٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٦٩.

(٥) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٦٩.

وذكر ابن كثير رواية عن مروان: قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً يقتلك؟! فقال: لا! إني في بيت الأمان، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن. يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك؟! قالت: صالح!! قال: فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عزّ وجلّ[1].

فقد وصفته بالصلاح، وكيف لا تصفه بالصلاح وقد أغدق عليها تلك الأموال الطائلة؟! لقد عرف معاوية كيف يشتري عائشة بما نهبه من أموال المسلمين.

وروى ابن كثير رواية أخرى: (وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلَّم عليها من وراء الحجاب ـ وذلك بعد قتله حجراً وأصحابه ـ قالت له: أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه؟ فقال لها: فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أماه، ثم قال لها: فكيف برِّي بك يا أمه؟! فقالت: إنك بي لبار!! فقال يكفيني هذا عند الله، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عزّ وجلّ)[2].

فقد اعترفت بأنه بارٌ بها حين اشترى رضاها بتلك الأموال الطائلة. ووصفته بالبرّ والصلاح وهي تعلم تاريخه الأسود قبل إسلامه وبعده، ولو لم يكن من جرائمه إلا ما فعله في صفين لكفى، لكن أنى لها أن تنتقده وقد فعلت مثل فعلته حين أشعلت حرب الجمل؟ فقد اشترك الإثنان في إشعال حربين طاحنتين ضد أمير المؤمنين عليه السلام أودتا بحياة آلاف القتلى والجرحى، وخلَّفتا آلاف الأرامل والأيتام، فانهزمت عائشة ورجعت خائبة خاسرة وانتصر معاوية بالمكائد والدسائس والخدع. فتفرَّغ الإثنان فيما بعد لوضع الأحاديث المكذوبة على لسان نبي الرحمة ﷺ ضد أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الأطهار.

روى الزهري أن عروة حدَّثه قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص٥٨، المسند: أحمد بن حنبل، ج٤، ص٩٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ج٤ ص٢٧١.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨ ص٥٦.

الله ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: ديني. وروى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في عليّ عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما، إني لأتهمهما في بني هاشم!! قال: وأما الحديث الأول، فقد ذكرناه، وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشة، إن سرَّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا!! فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب!![1].

قد يقول قائل بأن عائشة لم ترو هذين الحديثين ولم تختلقهما على لسان رسول الله ﷺ وإنما اختلقهما على لسانها ابن أختها عروة. لكن قول الزهري يشير إلى ذلك حين سأله معمر عن الحديثين فقال له: (ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما!! وإني لأتهمهما في بني هاشم!!). فقد اتهم الزهري الإثنين معاً: عائشة وابن أختها عروة بن الزبير. فلو كانت عائشة بريئة لما اتهمها في الكذب على لسان رسول الله ﷺ في بني هاشم عامة وأمير المؤمنين خاصة.

أضف إلى ذلك، فإن تاريخ عائشة مشهور ومعروف في مخالفتها لأوامر ربِّها ونبيِّها وإمامها عن قصد وعمد وسبق إصرار. فلماذا لا تختلق الأحاديث وتروِّجها على لسان زوجها ونبيِّها نبي الرحمة؟! فمتى عرفت التقوى والورع؟!

فقد اشتركت مع صاحبتها حفصة في إفشاء سرّ النبي ﷺ، ففضحهما القرآن الكريم في سورة تتلى آناء الليل وأطراف النهار. وقد كانتا السبب في تحريم النبي ﷺ على نفسه ما أحلّ الله له. وقد صغا قلبها وقلب صاحبتها حفصة عن الحق بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. واتهمهما القرآن الكريم بالتظاهر على زوجهما ونبيهما نبي الرحمة ﷺ. وهذا التظاهر ليس تظاهراً عادياً، فقد حشد الله سبحانه وتعالى ضدهما فريقاً من المدافعين للدفاع عن النبي ﷺ. وقد تمثَّل هذا الفريق في الله سبحانه وتعالى والملك جبرائيل وصالح المؤمنين والملائكة. فكل هؤلاء مستعدون للدفاع عن

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤ ص٦٤.

النبي ﷺ والوقوف معه ضد تظاهر عائشة وصاحبتها حفصة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وإن دلَّ هذا الإجراء على شيء، فإنما يدل على خطورة ذلك التظاهر السيِّء المخالف لأحكام القرآن الكريم. والشيء الملفت للأذهان الذي ينبغي الإلتفات إليه، أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أحد أعضاء ذلك الفريق المدافع عن النبي ﷺ. وهذا ما لا تتحمله عائشة ولا تقبل به بأي حال من الأحوال.

فقد أخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وصالح المؤمنين» قال: عليّ بن أبي طالب[1].

وروى ابن عساكر بسنده عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: «وصالح المؤمنين» قال: هو عليّ بن أبي طالب[2].

وروى الحاكم الحسكاني عدة روايات عن الإمام عليّ عليه السلام وأسماء بنت عميس وابن عباس وعمار بن ياسر وحذيفة، جميعهم قالوا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وصالح المؤمنين» عليّ بن أبي طالب[3].

فجميع هذه الروايات تدل على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو المقصود بقوله تعالى: «وصالح المؤمنين» الذي سيساعد النبي ﷺ ضد عائشة وحفصة حين تظاهرتا ضده. وهذه المساعدة التي ثبَّتها القرآن الكريم لأمير المؤمين عليه السلام لا تقبل بها عاشة كما لم تقبل بإمامته فيما بعد.

ثم هدَّد القرآن الكريم عائشة وحفصة بين التوبة والتظاهر. وما دامتا عاجزتين عن تحمل تبعات التظاهر، فالتوبة أسهل الخيارين لهما. لكن السؤال الذي يتبادر

---

(١) الدر المنثور: السيوطي، ج٦ ص٢٦٩، كشف الغمة: الإربلي، ج١ ص٣١٦، غاية المرام: السيد هاشم البحراني، ص٣٦٦، مناقب علي بن أبي طالب: ابن مردويه، ص٣٣٥.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج٢ ص٤٢٥ ـ ٤٢٦، الدر المنثور: السيوطي، ج٦ ص٢٧٠، شواهد التنزيل: الحسكاني، ج٢ ص٢٦١، مناقب علي بن أبي طالب: ابن مردويه، ص٣٣٥.

(٣) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، ج٢ ص٢٥٤ ـ ٢٦٣، غاية المرام: السيد هاشم البحراني، ص٣٦٦، فرائد السمطين: الجويني، ج١ ص٣٦٣.

إلى الذهن هو: هل تابتا من تظاهرهما حقاً؟! فالآيات الكريمة من سورة التحريم لم تبين أنهما تابتا من جريمة التظاهر. وفي هذه الحالة ستبقى جريمة التظاهر ضد نبي الرحمة ﷺ ثابتة عليهما، وستبقى التوبة مطلوبة منهما.

ثم هدَّدها القرآن الكريم بطلاقها وصاحبتها من النبي ﷺ. وضرب لها ولصاحبتها مثلاً بالمرأتين الخاسرتين، وهما امرأتا النبي نوح والنبي لوط عليهما السلام، حين ماتتا وهما كافرتان. ولم ينفعهما زواجهما من نبيين كريمين أن تكونا من أهل النار.

فالمرأة التي تقف وجهاً لوجه ضد ربِّها ونبيِّها لا تتورع عن اختلاق الأحاديث على لسان نبيِّها نبي الرحمة ﷺ. فتاريخها المليء بالمخالفات والمحرَّمات شاهد على ذلك.

ولم تقتصر عائشة على هذه المخالفة فقط، بل خالفت أوامر ربِّها صراحة وعن قصد وسبق إصرار ودراية حين أمرها بأن تقرَّ في بيتها فعصته وخرجت تجر جيشاً ناكثاً لقتل إمامها وزعزعة أركان إمامته فعادت بالخيبة والخذلان بعد أن خلَّفت وراءها آلاف القتلى والجرحى وما تبع ذلك من الأرامل واليتامى.

وهذه الجريمة ليست بأقل من جريمة الكذب على لسان رسول الله ﷺ، فكلتا الجريمتين عقابهما الخلود في النار. وما عملته مخالفة صريحة لأحكام القرآن الكريم وسنَّة النبي الكريم ﷺ والمرأة. التي ترتكب هذه الجريمة عن دراية وعلم بحرمتها لا تتورع عن ارتكاب تلك الجريمة عن دراية وعلم بحرمتها. فالجريمتان كلتاهما تتعلقان بعدوها أمير المؤمنين عليه السلام. والتاريخ يشهد أنها كانت مستعدة في كل وقت للإساءة إلى إمامها بشتى أنواع الوسائل المحرَّمة.

فقد رفضت الإذعان له والإعتراف بإمامته بمجرد أن عرفت أن المسلمين قد بايعوه. وجنَّ جنونها وخرجت عن طورها وقالت للشخص الذي أخبرها بذلك: (لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا!! ويحك!! انظر ما تقول!!)[1]. ولما تأكدت من ذلك وعرفت أن الأمور قد خرجت من يديها

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٢١٥.

صرخت بحرقة في كبدها: (أوفعلوها؟! وددت أن هذه أُطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت!!)[1].

لقد اسودَّت الدنيا أمام عينيها، وتمنَّت أن يُخرب الكون وتنطبق السماء على الأرض لمجرد أن سمعت أن أمير المؤمنين عليه السلام تولى الخلافة حين بايعه الناس، فلم تصبر على ذلك فقالت ما قالته من عبارات شاذة وسمجة ومخالفة لأحكام القرآن الكريم. فما المانع أن ترتكب مثلها في حق أمير المؤمنين عليه السلام؟!

فالمرأة التي تتصرف هذا التصرف المخالف للشرع والعقل لا تتورع عن اختلاق تلك الأحاديث على لسان نبيِّها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله. فالموقفان يصبَّان في مصبٍّ واحد ويحققان هدفاً واحداً وهو إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن منصب الإمامة والحط منه ومن إمامته الشرعية.

فما الفرق بين رفض الإمامة الشرعية لأمير المؤمنين عليه السلام والتنكر لها ومحاربتها ومحاربة صاحبها الشرعي في حرب من أقذر الحروب التي عرفها المسلمون واختلاق الأحاديث على لسان النبي صلى الله عليه وآله لتشويه سمعة أمير المؤمنين عليه السلام الذي رفضت إمامته؟! فالحادثتان المخالفتان للشرع تصبّان في مصبٍّ واحد لتحقيق هدف واحد.

كما أنها لم تعترف بتوجيهات نبيِّها وتحذيراته، وقد جعلتها وراء ظهرها عن عمد وسبق إصرار. فقد حذَّرها من الخروج على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، فخالفته وخرجت تجر جيشاً مكوناً من ٣٠٠٠٠ متمرد لم يعرفوا طعم الإسلام ولم يتذوقوا حلاوة الإيمان، وجميعهم من الطغام وأبناء السوء والطلقاء والمؤلفة قلوبهم كما بيَّنا ذلك في الفصول السابقة. فأين ذهب تقواها وورعها إن كانت تعرف طعم التقوى والورع؟!

كما نهاها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله من ركوب الجمل (عسكر) فخالفته وركبت ذلك الجمل الملعون عن قصد وسبق إصرار. وحذَّرها من نباح كلاب (الحوأب) وقد تأكدت من وقوعه عياناً فخالفته وواصلت طريقها جاعلة أحاديث نبيّها وراء ظهرها.

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢١٧.

وقد حذَّرها القرآن الكريم والنبي الأمين ﷺ من شق عصا الطاعة والخروج على جماعة المسلمين ونشر الفساد في الأرض وسفك الدماء البريئة، فلم تراع كل ذلك، بل ارتكبت تلك المعاصي كلها، فشقت عصا الطاعة وتمرَّدت على إمامها الشرعي، وخرجت على جماعة المسلمين بجيش مكوَّن من ٣٠٠٠٠ متمرد، ونشرت الفساد في البصرة المتمثل في نقض العهود وسفك الدماء والتمثيل بالمؤمنين ونهب الأموال العامة في بيت المال. ولم تأسف على تلك الأعمال، ولم يطرف لها جفن، ولم يخفق لها قلب، فكيف يطرف لها جفن أو يخفق لها قلب حين تضع الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله من أجل إسقاط مكانة أمير المؤمنين عليه السلام عند المسلمين؟! فقد قامت بجميع الأعمال السابقة المتعلقة بحرب الجمل من أجل القضاء على إمامها وتقويض إمامته ومكانته عند المسلمين. والمرأة لم تتورع عن كل ذلك. والقول ببراءتها يحتاج إلى دليل. والدليل مفقود. فتاريخها الأسود يؤكِّد على اختلاقها الحديث على لسان النبي ﷺ.

ولم تقصر عائشة حقدها على أمير المؤمنين عليه السلام فقط، بل تعدَّى حقدها إلى أولاده عليهم السلام. فلما سمَّت جعدة بنت الأشعث الإمام الحسن عليه السلام أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يدفنه مع جده رسول الله ﷺ فلما سمعت عائشة قالت: (ما لكم ولي تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب!!)[1].

وهذا الكلام صريح في عدم حبِّها لسيد شباب أهل الجنة، وهذا البغض له مساويء وتبعات في الدنيا والآخرة.

وذكر اليعقوبي في تاريخه: (وتُوفي الحسن بن علي في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السّم، ولم أسقه مثل مرَّتي هذه، وأنا ميِّت من يومي، فإذا أنا متّ فادفني مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه مني، إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجته دم)[2].

لا شك أنه عليه السلام أولى بدفنه عند جده رسول الله ﷺ من الغرباء، لكنه كان

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤٣٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ج٢ ص١٥٦، وانظر: بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٤٤ ص١٤١.

يعلم بحقد عائشة عليه فأراد أن يكشف حقيقتها للتاريخ وللأجيال حتى لا يغتروا بها، فأمر أخاه الإمام الحسين عليه السلام أن يدفنه عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن يُمنع من ذلك، فإذا مُنع من ذلك فلا يسفك فيه محجمة دم. وهذا ما حدث كما توقعه. فهل تطلب عزيزي القاريء أثراً بعد عين؟!

فقد ذكر اليعقوبي: (قيل إن عائشة ركبت بغلة شهباء وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد!! فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال لها: يا عمَّة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال: يوم البغلة الشهباء؟! فرجعت)[1].

وذكر أبو الفرج الأصفهاني: (لما أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلاً واستنفرت بني أمية ومروان بن الحكم، ومن كان هناك منهم ومن حشمهم)[2].

فمواقفها الشاذة هذه من سيد شباب أهل الجنة عليه السلام دليل على حقدها عليه وعلى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. وقد ازداد هذا الحقد بعد هزيمتها في حرب الجمل، فأرادت أن تعوِّض عن تلك الهزيمة الذليلة بهذا الحقد الأسود البغيض.

وقد عرف الرجال الأشرار نفسية عائشة، وما يضمّه قلبها من الحقد تجاه أمير المؤمنين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام فحاولوا استغلال اسمها والمتاجرة به، وقد صرَّحوا بذلك علانية. فقد ذكر ابن أبي الحديد، أن عمرو بن العاص قد قال لعائشة بعد هزيمتها في حرب الجمل: (لوددت أنك قتلت يوم الجمل!! قالت: ولم لا أبا لك؟! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة!! ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ بن أبي طالب عليه السلام!!)[3].

لقد قال عمرو بن العاص هذا الكلام لعائشة، فلماذا لم يقل هذه السفاسف لإمرأة أخرى أو لأحد قادة السقيفة البارزين؟! ولماذا اختار عائشة بالذات لتلك المهمة الشيطانية لتقويض صرح الخلافة الإسلامية؟!

---

(١) تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ج٢ ص١٥٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، ص٨٢، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٦، ص٥١، وانظر: الكافي: الكليني، ج١ ص٣٠٠ ـ ٣٠٣، بحار الأنوار الشيخ المجلسي، ج٤٤ ص١٤١ ـ ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٦ ص٣٢٢، الإحتجاج: الطبرسي، ج١ ص١٦٥، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٦٧، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٨٧.

وقد قال لها: (كنت تموتين بأجلك، وتدخلين الجنة!) وقد نسي المسكين أن يقول لها: وتفوزين بالشهادة لإستبسالك في قتال أمير المؤمنين عليه السلام!!. فالمرأة التي تعصي أمر إمامها وتنكث بيعته وتتمرد عليه وتحاربه لا تشم رائحة الجنة.

وقوله: (ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ بن أبي طالب عليه السلام) دليل واضح على نفسية هذا الرجل ونفسية أصحابه، وأنهم لا يعرفون معنى للدين ولا يؤمنون بالمعاد، ولا يعتقدون بالثواب والعقاب. فالرجل الذي يتمنى أن تموت عائشة في حربها الظالمة حتى يتاجر بقميصها في حرب إمامه كما تاجر بقميص عثمان ذلك القميص السيِّء لا يعرف معنى الإيمان ولا يحمل ذرة من التقوى والورع. بل هو رجل متعطش لسفك الدماء وبث الفتنة بين المسلمين. ولم يتكلم بضمير المتكلم المفرد، وإنما تفوَّه بضمير الجمع (ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ بن أبي طالب) أي أنه وأصحابه الأشرار سيرفعون قميص عائشة في وجه أمير المؤمنين عليه السلام ويتهمونه بقتلها مثلما اتهموه بقتل عثمان، وسيكون وقع أثر قميص عائشة أكثر من وقع أثر قميص عثمان. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على انسلاخ عمرو بن العاص وأصحابه من الإسلام كما تنسلخ الحية من جلدها، هذا من جانب، ومن جانب آخر، يدل على أن عائشة ليست من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه، بل من أعدائه، ولو لم تكن من أعدائه لما تلهفوا على المتاجرة باسمها وقميصها ضده. فلا يُتاجر بقميص المُحب ضد حبيبه.

ولم يقتصر الأمر على عمرو بن العاص، فقد شاركه معاوية في ذلك لكن بطريقته الخاصة. فقد ذكر ابن عبد ربه: (قال العتبي: قدم زيد بن منية على معاوية من البصرة وهو أخو يعلي بن منبه (منية) صاحب جمل عائشة ومتولي تلك الحروب ورأس أهل البصرة، وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلي بن منبه (منية) فلما دخل على معاوية شكا إليه ديناً لزمه فقال: يا كعب اعطه ثلاثين ألفاً!! فلما ولَّى قال: وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى!! ثم قال له: الحق بصهرك يعني عتبة)[1].

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج١ ص٢٠٣، أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد مرتضى العسكري، ص٢٨٧.

فقد أعطى معاوية زيد بن منية ثلاثين ألفاً لأنه أخو يعلي بن منية الذي اشترى الجمل (عسكر) لعائشة وأقرض زعماء الجمل أموالاً طائلة لكي يتقوّوا بها في حربهم ضد إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام. ولما همَّ بالإنصراف من عند معاوية، قال: اعطوه ثلاثين ألفاً ليوم الجمل!! فقد أصبحت المشاركة في حرب الجمل والبلاء الحسن فيها والإنضواء فيها تحت لواء عائشة سبباً وجيهاً للمكافئة والإحسان. بل يكفي أن يكون المرء قريباً لأحد الأشخاص الذين أبلوا بلاءً حسناً في حرب الجمل سواء كان البلاء الحسن بمال أو عتاد أو مشاركة فعَّالة لكي يكون من المقربين إلى حكام بني أمية فينال منهم الأموال الطائلة. كل ذلك من أجل سواد عيون عائشة التي تجرأت على محاربة إمامها الشرعي وتمرَّدت عليه ورفضت بيعته علانية وقادت ضده ذلك الجيش الناكث الذي ضمَّ ٣٠٠٠٠ من عتاة المتمردين الناكثين وعفاريتهم المردة.

ومثلما كان هناك فريق من الأشرار يؤيِّد عائشة ويبدي استعداده للمتاجرة بقميصها ضد أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان هناك فريق من الأخيار يؤيِّد أمير المؤمنين عليه السلام ويحث الآخرين على نصرته. وخير من يمثل هذا الفريق أم المؤمنين أم سلمة، رضي الله عنها، تلك المرأة الصالحة التي وهبت نفسها لنصرة الحق وأهله.

فقد ذكر الشيخ المفيد: (عن أبي سعيد التيمي عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: شهدت مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل، فلما رأيت عائشة واقفة بين الصَّفين معها طلحة والزبير قلت: أم المؤمنين وزوجة الرسول صلى الله عليه وآله وحواريَّه وصاحبه بأحد، فدخلني ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلاة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي وقلت: عليّ أمير المؤمنين وأحق الناس بسيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأولهم إسلاماً لم يكن بالذي يقدم على شبهة، فقاتلت معه قتالاً شديداً، فلما انقضت الحرب أتيت المدينة فسرت إلى بيت أم سلمة رضي الله عنها، فاستأذنت عليها فقيل: من هذا؟ فقلت: سائل. فقالت: أطعموا السائل. فقلت: إني والله لم أسأل طعاماً ولكني مولى لأبي ذر رضي الله عنه، جئت أسأل عن ديني. فقالت: مرحباً بك! فقصصت عليها قصتي. فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطايرها؟ فقلت: إني بينما أحس ذلك إذ كشف الله عن قلبي، فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى

فرغ. فقالت: أحسنت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[1]. وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون، ولم يخرجاه.

فقد حاولت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، أن تبيِّن للناس حق أمير المؤمنين عليه السلام وباطل عائشة. فحين عرفت أن أبا ثابت مولى أبي ذر قد قاتل في حرب الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام قالت له: (أحسنت). وهذا الجواب تأييد لحق أمير المؤمنين عليه السلام وتفنيد لأباطيل عائشة، وهو على طرف نقيض لكلام عمرو بن العاص لعائشة المخالف لأحكام القرآن الكريم وسنَّة النبي ﷺ.

وقول رسول الله ﷺ: (عليّ مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) دليل واضح على أن أمير المؤمنين عليه السلام على حق، وأن عائشة على باطل في حربها الظالمة، وهي ضد القرآن الكريم لكونها ضد أمير المؤمنين عليه السلام الذي يكون دائماً مع القرآن والقرآن معه. ومن العيب المخجل الدفاع عن حرب كانت ضد أحكام القرآن الكريم، ومن الحماقة الدفاع عن مثيري تلك الحرب ومضرميها وقد حاربوا رجلاً معصوماً من الذنوب لا يفترق عن القرآن ولا يفترق القرآن عنه.

لم يتب المدافعون عن عائشة من ذنب الدفاع عنها في حربها الظالمة، في حين أن عائشة ندمت على ما فعلته في الحرب. لكنها ندمت على ما فرَّطت في حق عثمان بعد هزيمتها في الحرب مباشرة، وبعد أن وقعت أسيرة في قبضة أمير المؤمنين عليه السلام وأحسَّت أن الرياح أتت بما لا تشتهيه. أما ندمها من قتالها لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام لم يحدث إلا في أواخر حياتها حين أطبقت عليها مخالب الموت، وتجسَّدت أمام ناظريها فظائع حرب الجمل. في تلك اللحظات الأخيرة أحسَّت بالندم إذ لات حين مناص. وإلا فهي قد ازدادت حقداً على إمامها وسجدت لله شكراً حين سمعت بمقتله، وحرَّضت عليه معاوية كي ينهض في حرب

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٤١٧، المستدرك: الحاكم، ج٣ ص١٢٤، تفسير الحبري: الحبري، ص١٥٣، ١٥٤، الامالي: الشيخ الطوسي، ص٤٧٤، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٠٦، وانظر: كشف الغمة: الإربلي، ج١ ص١٤٨، المناقب: الخوارزمي، ص١٧٦ ـ ١٧٧، فرائد السمطين: الجويني، ج١ ص١٧٧.

أخرى ضده عسى أن يحقق هدفها الذي لم تستطع تحقيقه. كما حرَّضت العرب على الإنفلات وارتكاب ما يحلو لهم عندما سمعت بموته وذلك حين غاب عنهم إمامهم الذي كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وبمقتله فقد غاب عنهم من يمنعهم من ارتكاب المحرمات والمخالفات الشرعية. كما شنَّت عليه حملة شعواء من الأحاديث المكذوبة على لسان النبي ﷺ للحط من مكانته في قلوب المسلمين، وتقويض أركان إمامته في الأمة. فمتى ندمت من ذلك؟! فالتي ترتكب تلك المساويء لا تعرف طريق الندم والتوبة من قرب. وإنما ندمت على ما اقترفته عند الإحتضار كما سنبيِّنه.

فقد ذكر الواقدي بسنده عن كبشة بنت كعب عن عائشة أنها قالت: (. . . فوالله إني لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل أبو محمد طلحة؟ إذ قال قائل: قُتل! فقلت: ما فعل أبو سليمان؟ فقيل: قد قُتل! فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناي وانقطعت من الحزن، وأكثرت الإسترجاع والندامة!! وذكرت من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه وأنا أسأل عن عبد الله فقيل لي: قُتل فازددت هماً وغمّاً حتى كاد ينصرع قلبي، فوالله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل فمي طعام ولا شراب، وإني عند قوم ما يقصّرون في ضيافتي، وإن الخبز في منازلهم لكثير، ولكني أذهب أعالج الشبع من الطعام فما أقدر، فنعوذ بالله من الفتنة! ولقد كنت ألَّبتُ على عثمان حتى نيل منه ما نيل، فلما قُتل ندمت!! وعلمت أن المسلمين لا يستخلفون مثله أبداً!! كان والله أجلَّهم حلماً، وأعبدهم عبادة وأبذلهم عند النائبة، وأوصلهم للرحم!!)[1].

فقولها: (ولقد كنت ألَّبتُ على عثمان حتى نيل منه ما نيل، فلما قُتل ندمت!!) فيه اعتراف صريح على أنَّها قد ألَّبت المسلمين على عثمان من جانب، وأنها ندمت على قتله بسبب تأليبها من جانب آخر. ولم تشر في كلامها إلى ندمها من قتال إمامها أمير المؤمنين عليه السلام. فهي لا تعتبر نفسها مخطئة في حقه، بل عملت على تأليب المسلمين ضده كما عرفنا فيما سبق، وأما مدحها لعثمان بذلك المدح المصطنع فلا معنى له حين قالت سابقاً عنه: بعداً لنعثل!! اقتلوا نعثلاً فقد كفر. فقد كانت صادقة في أحدهما وكاذبة في الآخر.

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٨٠.

وروى ابن أبي سبرة عن علقمة عن أمه قالت: سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل وأنَّ على هودجي دروع الحديد والنبل يخلص إليَّ منها وأنا في الهودج، فهوَّن عليَّ ذلك ما صنعناه بعثمان وألَّبنا عليه حتى قتلناه وجرينا عليه الغواة، فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين[1].

فقد استهانت بالنبل الذي خلص إليها في الهودج بسبب ما صنعته بعثمان حين ألَّبت عليه الناس حتى قتلته. ولم تندم من قتالها لأمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر البلاذري بسنده عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: يا ليتني كنت نسياً منسياً قبل أمر عثمان، فوالله ما أحببت لعثمان شيئاً إلا أصيب مني مثله، حتى لو أحببت أن يقتل لقتلت!![2].

فقد ندمت من موقفها ضد عثمان وليس من حربها لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام. لقد حاولت جهدها التخلص من عثمان الذي أنقص عطاءها فابتلت بإمام لا ترغب فيه فحاربته، ولما هزمها ندمت على تفريطها بعثمان الذي كان أحب إلى نفسها منه، على الرغم من أنه إمامها الشرعي.

وذكر البلاذري عن عائشة أنها قالت: ما أنا وطلحة والزبير، وبيعة من بويع، وحرب من حورب، يا ليتني قررت في بيتي!! ولكنها بلية جاءت بمقدار!![3]. فإذا ضممنا هذا الإعتراف إلى اعترافها السابق إتضح لنا أنها ندمت من تأليب المسلمين على عثمان، ولم تندم من قتالها لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر ابن الأثير: (قال أبو معشر عن محمد بن قيس: ذكر لعائشة يوم الجمل، فقالت: والناس يقولون: يوم الجمل؟ قالوا: لها: نعم، فقالت: وددت أني لو كنت جلست كما جلس صواحبي، وكان أحب إليَّ من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وآله بضع عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام!! أو مثل عبد الله بن الزبير!!)[4].

---

(١) الجمل: الشيخ المفيد، ص٣٨١.

(٢) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٦٥.

(٣) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٦٦.

(٤) أسد الغابة: ابن الأثير، ج٣ ص٤٤٥، (رقم الترجمة: ٣٢٧٧)، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٦٦، مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٧ ص٢٣٨.

لقد صرَّحت بأنها كانت تودّ أن تجلس في بيتها مع زوجات النبي الأخريات، وهذا الجلوس في بيتها أحب إليها من أن تلد من رسول الله عدداً من الأولاد مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام!! أو مثل: عبد الله بن الزبير!! لقد تمنَّت أن تلد من رسول الله ﷺ أولاداً منحرفين أمثال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أو عبد الله بن الزبير، بدلاً من أن تتمنى أن تلد من رسول الله ﷺ مثل ولده إبراهيم أو بنته فاطمة الزهراء أو مثل سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام. لماذا تمنَّت أن يكون أولادها مثل هذين الرجلين؟

لقد كان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عثماني الهوى، وقد تزوج ابنة عثمان، وقد كان معه في الدار، وقد جُرح أثناء الهجوم على عثمان. وقد كان عمه أبا جهل الذي قتل سمية أم عمار بن ياسر. وقد شارك عبد الرحمن في حرب الجمل مع عائشة وكان قائد ميسرة جيش الناكثين. هذا هو مصداق ندمها وتوبتها من خلال هذه الأمنية البائسة.

وقد ذكر ابو حنيفة الدينوري: (ولما بلغ طلحة والزبير ورود عليّ رضي الله عنه بالجيوش، وقد أقبل حتى نزل «الخريبة» فعبَّأهم طلحة والزبير، وكتَّباهم كتائب، وعقدا الألوية، فجعلا على الخيل محمد بن طلحة، وعلى الرجَّالة عبد الله بن الزبير... ووليَّا أمر الميسرة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام!! وهو الذي قالت عائشة فيه: وددت لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك أحبّ إليّ من عشرة أولاد، لو رزقتهن من رسول الله ﷺ على فضل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعقله وزهده!!)[1]. لا تسأل عن المرء واسأل عن جليسه وحبيبه.

هذا هو حال الرجل ومدى تمسكه من الدين، فقد تمنَّت أن تلد من رسول الله ﷺ عشرة أولاد كلهم أمثال هذا المتمرد الذي لا يختلف تمرده عن تمرد عمِّه أبي جهل. فقد كان قائداً من قواد جيش الضلالة، وكان قائد الميسرة في جيش الناكثين، وقد حارب إمامه الشرعي أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن نكث بيعته. وإذا كانت هذه قيمة الرجل عرفنا قيمة ندم عائشة حين تمنَّت أن تلد عشرة أولاد مثل

---

(١) الأخبار الطوال: أبو حنيفة الدينوري، ص١٤٦، ١٤٧، وانظر: أسد الغابة: لابن الأثير، ج٣ ص٤٤٤، (رقم الترجمة: ٣٢٧٧).

هذا المتمرد الناكث والعفريت العاتي. وكل إناء بالذي فيه ينضح. وهذا ما نضحه إناء عائشة.

أما عبد الله بن الزبير، فحدَّث عنه ولا حرج حين تمنَّت عائشة أن تلد عشرة أولاد مثله. فقد ذكر ابن أبي الحديد: (وكان عبد الله بن الزبير يبغض علياً عليه السلام!! وينتقصه!! وينال من عرضه!!)[1]. بهذا الفاسق بان مصداق ندم عائشة.

وقال أيضاً: (وروى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السيرة، أنه مكث أيام ادِّعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله، وقال: لا يمنعني من ذكره إلا أنه تشمخ رجال بآنافها!!)[2].

وقال أيضاً: (وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة بن معمر بن المثني: أن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره!!)[3]. تعساً لندم مربوط بهذا الزنديق الحاقد.

وقال أيضاً: (وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس: ما حديث أسمعه عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تأنيبي وذمّي! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره. فقال: ابن الزبير: إني أكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة!!)[4].

وقال أيضاً: (وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب، وهو الذي زيَّن لعائشة مسيرها إلى البصرة، وكان سبَّاباً فاحشاً!! يبغض بني هاشم!! ويلعن ويسبّ علي بن أبي طالب عليه السلام!!)[5]. فهنيئاً لندمها البائس المعقود بهذا الحاقد اللئيم.

هذه صورة عبد الله بن الزبير بدون أقنعة. فقد كان قائد الرجَّالة في جيش الناكثين، وقد مكث أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله حتى لا يشمخ، بنو هاشم بآنافهم حسب ادِّعاءاته الباطلة، وقد اتهم أهل النبي صلى الله عليه وآله بأنهم أهيل سوء!! وقد اعترف بشحمة لسانه بأنه كان يبغض أهل البيت عليهم السلام منذ أربعين سنة!!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤ ص٦١.
(٢) المرجع السابق: ج٤ ص٦٢.
(٣) المرجع السابق: ج٤ ص٦٢.
(٤) المرجع السابق: ج٤ ص٦٢.
(٥) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٤ ص٧٩.

وقد ادَّعت عائشة الندم من خروجها في حرب الجمل، بحيث لو أنها خُيِّرت أن تبقى في بيتها مع نساء النبي ﷺ أو أن تلد عشرة أبناء من النبي ﷺ كلهم مثل المنافق المتمرد عبد الله بن الزبير، لودَّت أن تبقى جالسة في بيتها على الخيار الآخر. وصورة هذا المتمرد المنافق أحد قواد جيش الناكثين الذي وقف موقفاً سيئاً من نبي الرحمة ﷺ تكشف لنا عن حقيقة ندم عائشة وموقفها السيء من إمامها أمير المؤمنين عليه السلام.

عن مسروق رضي الله عنه قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت «وقرن في بيوتكن» بكت حتى تبل خمارها!![1].

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن ذكوان حاجب عائشة: أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقلت هذا ابن عابس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله، فقال: هذا عبد الله بن عباس يستأذن ـ وهي تموت ـ فقالت: دعني من ابن عباس. فقال: يا أمتاه! إن ابن عباس من صالحي بنيك ليسلم عليك ويودِّعك. فقالت: إئذن له إن شئت. قال: فأدخلته، فلما جلس، قال: أبشري. . . . فقالت: دعني منك يا ابن عباس!! والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منيساً!!) أي حيضة[2].

وذكر سبط ابن الجوزي: (قال هشام: فكانت عائشة تبكي بعد يوم الجمل وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً!! أي الحيضة الملقاة[3].

فقد ندمت على ما فعلته في حرب الجمل في حالة الإحتضار كما ذكر أحمد بن حنبل وأبو نعيم الأصفهاني. أما قبل أن ترى بشائر الموت فقد كانت تؤلِّب المسلمين والمتمردين والعرب على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أظهرت الفرح بمقتله وسجدت لله شكراً على ذلك كما بيَّناه سابقاً. فهل استطاعت أن تصلح ما

---

(١) الدر المنثور: السيوطي، ج٥ ص٢٠٣، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٧٦، .

(٢) المسند: أحمد بن حنبل، ج١ ص٢٧٦، ٣٤٩، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج٢ ص٤٥، أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٧٦.

(٣) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٧، حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، ج٢ ص٤٥، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج٩ ص١٨٥، المناقب: الخوارزمي، ص١٨٢.

أفسدته قبل التوبة؟! لم تصلح ذرَّة من الفساد الذي عملته، فكيف يقبل الله سبحانه وتعالى توبتها؟!

(وفي بلاغات النساء: أن عائشة لما احتضرت جزعت فقيل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وابنة أبي بكر الصدِّيق؟! فقالت: إن يوم الجمل لمعترض في حلقي!! ليتني متُّ قبله!! أو كنت نسياً منسياً!!)[1].

فقد أحسَّت بأن يوم الجمل قد اعترض في حلقها عند الإحتضار. أما قبل الإحتضار فلم تعره اهتماماً كما وضَّحنا. وإنما ندمت من تأليبها المسلمين على عثمان حين جاءت النتائج بما لا تشتهيها. لقد جاء ندمها متأخِّراً كثيراً، ولم تصلح ما أفسدته.

(وروى ابن سعد أيضاً: أن عائشة قالت: والله لوددت أني كنت شجرة!! والله لوددت أني كنت مدرة!! والله لوددت أن الله لم يكن خلقني!!)[2]. لقد تمنَّت أن تكون جماداً من الشجر أو الطين، كما ودَّت لو أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقها. والمرأة التي تتمنى أن تكون بهذه الصورة الذليلة لا تكون من فضليات النساء كفضل الثريد على باقي الطعام. وهذا الندم لم يكن بعد حرب الجمل مباشرة لأنه يتناقض مع تحريضها لمعاوية ضد إمامها الشرعي، ويتعارض أيضاً مع تحريضها للعرب كي يفعلوا ما يشاؤون بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، ويتعارض أيضاً مع فرحها وسرورها وسجودها شكراً لله حين سمعت بمقتل إمامها أمير المؤمنين. فلا بد من حمل هذا الندم منها عند الإحتضار حين تجسدت أمام عينيها الفظائع التي ارتكبتها في حربها المجنونة. فلم تعرف قيمة التوبة إلا في تلك الدقائق الرهيبة. فهل نفعتها التوبة هناك؟! ولماذا أخرَّت التوبة إلى ذلك الوقت الضيِّق الحرج؟!

وذكر ابن أعثم الكوفي: (فكانت عائشة إذا ذكرت يوم الجمل تبكي بكاءً شديداً ثم تقول: يا ليتني لم أشهد ذلك المشهد! يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة! ثم قالت عائشة: ولو لم أشهد الجمل لكان أحب إليَّ من أن يكون لي من رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ولد عبد الرحمن بن الحارث، فإنه كان له عشرة أولاد ذكور، كل يركب)[3].

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، ص٢٧٦.

(٢) المرجع السابق: ص٢٧٦.

(٣) كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي، ج٢ ص٤٨٧.

وذكر سبط ابن الجوزي: (وددت أني لم أخرج هذا المخرج وأني أصابني كيت وكيت!! قال ابن الكلبي: وكانت إذا ذكرت يوم الجمل بكت حتى تبل خمارها وتأخذ بحلقها كأنها تخنق بنفسها!! وكانت إذا ذكرت أم سلمة تذكر نهيها لها وتبكي!!)[1].

وذكر أيضاً: (وكانت إذا ذكرت يوم الجمل تخنق نفسها، تأخذ بحلقها وتقول: وددت أني مت قبل ذلك بعشرين سنة!! وكانت إذا رأت أم سلمة تبكي تذكر نصيحتها)[2].

فالمرأة التي تتمنى أن تموت قبل حرب الجمل بعشرين سنة وتبكي حتى تبل خمارها وتأخذ بحلقها كي تخنق نفسها وتتذكر قيمة نصائح أم سلمة رضي الله عنها لا تقوم بتحريض زعيم الطلقاء معاوية بن أبي سفيان على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، ولا تقوم بتأليب العرب ضده، ولا تسجد لله شكراً لمقتله وتظهر الفرح والسرور لرحيله من الدنيا. فإما أنها ندمت من حرب الجمل وقت الإحتضار كما رأينا، ونحمل باقي الأخبار على ذلك. وإما أنها ندمت على دورها في حرب الجمل قبل الإحتضار بمدة أيّاً كانت هذه المدة. فإذا قارنا هذا الندم مع فرحها بمقتل إمامها أمير المؤمنين عليه السلام وتحريض الأوباش ضده نجد أن ذلك الندم عبارة عن ندم مصطنع مغلف بالرياء لخداع السذّج من الناس. لأنه من الإستحالة أن يجتمع الندم الحقيقي والتوبة النصوحة مع ما قامت به من تحريض العرب والطلقاء على إمامها وإظهار الفرح والسعادة بمقتله. ولا يمكن أن نعكس الأمر، فنجعل ندمها ندماً حقيقياً وتوبتها توبة نصوحة، وتحريضها للطلقاء والعرب والأوباش ضد إمامها تحريضاً مصطنعاً مغلفاً بالرياء. وكذلك سجودها وفرحتها بمقتل إمامها. فالرياء والتصنع يكون في الندم والتوبة وليس في التحريض والتأليب والسجود والفرح والشماتة.

وسواء قلنا أن الندم والتوبة كانا وقت الإحتضار قبيل الرحيل من الدنيا، أو كانا مصطنعين ومغلّفين بالرياء قبل ذلك بمدة، ففي الحالتين كلتيهما لا ينفعها الندم لأنها لم تصلح ما أفسدته من قتل ونهب للأموال وتعذيب، وتشريد اليتامى

---

(١) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٧.

(٢) تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص٨٧.

وتضييع الأرامل، وقد خرجت من الدنيا دون أن يكون في عنقها بيعة لإمامها أمير المؤمنين عليه السلام. والتاريخ شاهد على ذلك. فأي قيمة لهذا الندم والتوبة المصطنعين؟!

وذكر الحاكم النيسابوري: (ماتت عائشة أم المؤمنين ليلة الثلاثاء بعد صلاة الوتر، ودفنت من ليلتها بالبقيع لخمس عشرة ليلة خلت من رمضان. وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وكان مروان غائباً، وكان أبو هريرة يخلفه)[1].

وذكر أيضاً: (قالت عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر، فقالت: إني أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حدثاً!! فادفنوني مع أزواجه. فدفنت بالبقيع)[2].

وقال ابن عبد ربه: (وماتت عائشة في ايام معاوية وقد قاربت السبعين، وقيل لها: تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: لا، إني أحدثت بعده حدثاً، فادفنوني مع إخوتي بالبقيع)[3].

وبموت عائشة انتهت حرب الجمل، لكن آثارها ما زالت جاثمة على صدور المسلمين إلى الآن، وستبقى إلى قيام الساعة.

وقبل أن نختم البحث نذكر بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بحرب الجمل.

عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فانقطع شسع نعله فألقاها إلى عليّ عليه السلام يصلحها، ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر الصديق: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: لا، فقال عمر بن الخطاب: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه ذاكم خاصف النعل. ويد علي عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله يصلحها. قال أبو سعيد: فأتيت علياً عليه السلام فبشرّته بذلك فلم يحفل به، كأنه شيء قد كان علمه من قبل[4].

---

(١) المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٤ ص٤.

(٢) المستدرك: الحاكم النيسابوري، ج٤ ص٦.

(٣) العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٣٥.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٢٠٧، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٣٠٧، كنز العمال: المتقي الهندي، ج١٣ ص٤٧ (رقم الحديث: ٣٦٣٤٧)، مجمع الزاوئد: الهيثمي، ج٥ ص١٨٦.

أي أن قتال أمير المؤمنين عليه السلام كقتال رسول الله صلى الله عليه وآله فكلاهما على حق في قتال الطرف الآخر. والذين قاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام مثل الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله فجميعهم على باطل يستحقون القتل لأنهم قاتلوا النبي صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام. ولا خير في مقاتلين يشبهون الذين قاتلوا نبي الرحمة صلى الله عليه وآله. لأن مصيرهم كمصير أولئك المجرمين. فهل اعتبر أتباع السقيفة بهذا الحديث أثناء دفاعهم عن قادة الضلال في حرب الجمل؟!

وعن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق، فأهدت له الأزد جزراً فبعثوها معي، فدخلت عليه فسلَّمت عليه وقلت له: يا أبا أيوب، قد كرَّمك الله عزّ وجلّ بصحبة نبيِّه صلى الله عليه وآله، ونزوله عليك، فما لي أراك تستقبل الناس بسيفك، تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة!! قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا أن نقاتل مع علي الناكثين!! فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين!! فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين!! ولم أرهم بعد[1].

فرسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر المسلمين أن يقاتلوا الناكثين تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام. كما أمرهم أيضاً بقتال القاسطين والمارقين تحت قيادته. فقد ساوى بين الناكثين والقاسطين والمارقين. ولم يفرِّق نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بين القادة والأتباع في الطوائف الثلاث. ولا يمكن أن يأمر المسلمين بقتال الأتباع ويستثن القادة وهم رؤوء الفتنة. فالأمر بالقتال يشمل الجميع، ولا خير في ناس يأمر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله المسلمين بقتالهم تحت قيادة أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يفكر أولئك القادة بإشعال حروبهم بعشرات السنوات. فهل اتعظ أتباع السقيفة؟!

وذكر ابن أبي الحديد: (روى كثير من المحدثين عن عليّ عليه السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كُتب عليَّ جهاد المشركين. قال: فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كتب عليَّ فيها الجهاد؟ قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنَّة!! فقلت: يا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٣ ص٢٠٧، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٣٠٨، الغدير: الأميني، ج٣ ص١٩٢.

رسول الله، فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في الدين!! ومخالفة الأمر!! فقلت: يا رسول الله، إنك وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجِّلها لي بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟! أما إني وعدتك الشهادة وستستشهد، تُضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذاً؟! فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت، فأعد للخصومة فإنك مخاصم!! فقلت: يا رسول الله، لو بيَّنت لي قليلاً. فقال: إن أمتي ستفتن من بعدي!! فتتأول القرآن وتعمل بالرأي!! وتستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع، وتحرِّف الكتاب عن مواضعه، وتغلب كلمة الضلال!! فكن جليس بيتك حتى تقلِّدها!! فإذا قلدتها جاشت عليك الصدور!! وقلبت لك الأمور!! تقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله!! فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى!! فقلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟! أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردَّة؟! فقال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل!! فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال: بل منا، بنا فتح، وبنا يختم، وبنا ألَّف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلِّف بين القلوب بعد الفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب من فضله)[1].

فهذا الخبر قد رواه كثير من المحدِّثين عن أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه الكثرة من الرواة تعطي الإطمئنان بصحة الخبر.

وقول النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليَّ جهاد المشركين) فيه دلالة واضحة على أن قتال أمير المؤمنين للناكثين لم يكن أمراً شخصياً، بل بأمر من الله سبحانه وتعالى. فهو الذي فرض عليه قتال أولئك المفتونين كما فرض على رسول الله صلى الله عليه وآله قتال المشركين. وسمَّى الله سبحانه وتعالى قتال المشركين والمفتونين جهاداً. والفئة التي يأمر الله سبحانه وتعالى بقتالها تحت راية الإمام الشرعي للنبي صلى الله عليه وآله لا خير فيها ولا تزن عند الله

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٩ ص٢٠٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٣٠٨، ٣٠٩، نهج السعادة: المحمودي، ج١ ص٤٢٣ ـ ٤٢٩.

جناح بعوضة. وما دام قتالها جهاداً، فهناك ثواب ينتظر المجاهدين، وعقاب ينتظر الناكثين، الفئة التي ينتظرها العقاب ستكون في جنهم لا محالة. وسيكون مصيرها كمصير المشركين الذين حاربوا نبي الرحمة ﷺ وويل لهم من هذا التشبيه حين شبههم رسول الله ﷺ بالمشركين الذين حاربوه من حيث استحقاق العقاب والمصير المشترك.

وقد بيَّن رسول الله ﷺ هوية الناكثين المفتونين. فهم قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهم مخالفون للسنَّة. ولما سأل أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ عن سبب قتالهم، أرجع نبي الرحمة علة قتالهم إلى سببين:

السبب الأول: الإحداث في الدين.

السبب الثاني: مخالفة الأمر.

فقد أحدثوا في الدين بدعاً لم تكن موجودة من قبل من قتل ونهب للأموال وتعذيب ونشر الفساد. كما أنهم شقوا عصا الطاعة وفارقوا جماعة المسلمين وتمردوا على إمامهم. ولهذين السببين وجب على المسلمين قتالهم تحت راية إمام الحق أمير المؤمنين عليه السلام الذي عيَّنه الله سبحانه وتعالى لقتالهم قبل أن يفكروا في تمردهم.

ولما سأل أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ أن يسأل الله في تعجيل شهادته ويجعله يستشهد بين يديه، قال له: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟! أي أن الله سبحانه وتعالى قد ادَّخر أمير المؤمنين عليه السلام لقتال الطوائف الثلاث: الناكثة والقاسطة والمارقة. فإذا استشهد بين يدي رسول الله ﷺ فمن الذي يقاتل أولئك المنحرفين؟! فأمير المؤمنين عليه السلام هو الإمام الشرعي المناسب الذي ادَّخره الله سبحانه وتعالى للقيام بمهمة قتال الناكثين والقاسطين والمارقين بجدارة وكفاءه واقتدار. فلو كان هناك رجل أكفأ منه للقيام بهذه المهمة لبيَّنه الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم.

وقول نبي الرحمة ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: (فأعد للخصومة، فإنك مخاصم) فيه دلالة واضحة على أن الطرفين سيقفان للخصومة في محكمة العدل الإلهي. أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من المجاهدين في جانب، وزعماء الناكثين

والقاسطين والمارقين وأتباعهم من المفتونين في الجانب الآخر. فلمن سيصدر الله سبحانه وتعالى الحكم؟ هل سيصدره لأمير المؤمنين عليه السلام الذي أمره بجهاد الناكثين والقاسطين والمارقين؟ أم سيصدره للناكثين والقاسطين والمارقين الذين كُتب على أمير المؤمنين جهادهم؟! فحكم محكمة العدل الإلهي معروف لصالح من سيكون؟ فأين سيكون مصير الطرف الآخر؟!

وقد طلب أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشرح له طبيعة وضع الأمة في المستقبل، كيف يكون وضعها؟ فبيَّن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله مجموعة من الأمور منها: أن الأمة ستفتن من بعده، فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال. فأفراد الأمة الذين سيلجون في الفتنة بعد النبي صلى الله عليه وآله ليسوا من أتباع أمير المؤمنين عليه السلام فلا بد أن يكونوا من الطرف الآخر الذين تركوه واتجهوا إلى غيره وتنكروا لإمامته ونكثوا بيعته وحاربوه في المعارك الثلاث، وتأولوا آيات القرآن الكريم وعملوا بالرأي والقياس وحرفوا الكتاب عن مواضعه، وعمَّموا كلمة الضلال بين المسلمين. فأمير المؤمنين وأتباعه بعيدون عن الفتنة والإفتتان بعد النبي صلى الله عليه وآله. وكيف لا يكون ذلك وهو مأمور بجهاد المفتونين في الجمل وصفين والنهروان كما أُمر النبي صلى الله عليه وآله بجهاد المشركين؟! فالمأمور بجهاد المفتونين لا يكون مفتوناً لا هو ولا الذين جاهدوا تحت رايته بصدق وإخلاص. وإنما الذين فُتنوا بعد النبي صلى الله عليه وآله هم الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وتنكروا لإمامته ونكثوا بيعته. فتعساً لأولئك الأشقياء المفتونين ولمن يدافع عن جرائمهم.

وقول نبي الرحمة صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: (فكن جليس بيتك حتى تقلِّدها، فإذا قلِّدتها جاشت عليك الصدور، وقلِّبت لك الأمور، تقاتل حينئذٍ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى) فيه دلالة على غدر الأمة به. وقد أمره بالجلوس في بيته حتى يقلّدوه الخلافة ويبايعوه عليها. فإذا قلَّدوه الخلافة وبايعوه جاشت عليه صدور الناكثين وقلَّبوا له الأمور. حينئذٍ ينبغي عليه أن يقاتلهم على تأويل القرآن كما قاتل نبي الرحمة صلى الله عليه وآله المشركين واليهود على تنزيله. فقد أمره نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بقتالهم، كما كتب الله سبحانه وتعالى عليه قتالهم قبل ذلك. ثم بيَّن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بأن حال الناكثين والقاسطين

والمارقين ليس بأقل من حال المشركين واليهود في المرة الأولى. فهل اعتبر أتباع السقيفة بمصير قادتهم قادة الضلال؟!

ولما استوضح أمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلة هؤلاء الناكثين والقاسطين والمارقين، هل هم بمنزلة فتنة أم بمنزلة ردَّة؟ قال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل. فهم عميان في فتنة سوداء مظلمة لا يهتدون إلى طريق الحق. فمن الحماقة والجهل الركون إلى دعاة الفتن والضلال.

وروى ابن عساكر بسنده عن عليّ قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين[1].

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قبل أن يفكروا بتمردهم بعشرات السنوات. والفئات التي أمر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وصيَّه الشرعي بقتالها لا خير فيها، والذين يأمر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بقتالهم سيكون مصيرهم إلى النار. والذين لا يستحقون القتل لا يأمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم. وفي هذا الحديث النبوي الشريف دلالة على أن الناكثين مجرمون ومتمرِّدون على إمامهم الشرعي ويستحقون القتل بسبب تمردهم ونكثهم ومروقهم من الدين. كما يُشم من هذا الحديث تحذير للآخرين من الدفاع عن الفئات التي أمر نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بقتالها. وإذا كان ثمة دفاع، فينبغي أن يكون للإمام الشرعي الذي أمره النبي صلى الله عليه وآله بقتال تلك الفئات الثلاث وليس العكس. ومن يخالف الأمر ويمتطي العناد ويدافع عن تلك الفئات التي أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالها فقد خالف السنَّة النبوية الشريفة وباء بالإثم. والثواب لا يكون في الدفاع عن أشخاص أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم واستئصال فتنتهم وفسادهم في الأمة. فما عذر أتباع السقيفة يوم القيامة من دفاعهم الذليل؟!

وروى الهيثمي بسنده عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم أو يوحى إليه... ثم أخذ بيدي فقال: يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً

---

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ابن عساكر، ج٣ ص١٥٨ ـ ١٧٥، كنز العمال: المتقي الهندي، ج١٣، ص٥٠، (رقم الحديث: ٣٦٣٦٣)، مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٧ ص٢٣٨، ج٥ ص١٨٦، المناقب: الموفق الخوارزمي، ص١٧٦، ١٩٤، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص١٣٨، المستدرك: الحاكم، ج٣ ص١٣٩، تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج٨ ص٣٤٠، الغدير: الأميني، ج٣ ص١٩٢ ـ ١٩٥، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٣٠٣.

حق على الله تعالى جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك شيء[1].

فقد فرض الله على المسلمين جهاد من يقاتل أمير المؤمنين عليه السلام. فمن لم يستطع أن يجاهدهم بيده فليجاهدهم بلسانه، ومن لم يستطع ذلك فبقلبه. هذا هو المطلوب، لا أن يُدافع عنهم، ويُتستر على جرائمهم. فجهادهم واجب بنص الحديث النبوي.

وروى البخاري بسنده عن عبد الله رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ من حيث يطلع قرن الشيطان[2].

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان[3]. وفي روايات أخرى قاله عند باب حفصة، وأخرى نحو المشرق.

فقد بيَّن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله للمسلمين أن الفتنة هنا ـ ثلاث مرات ـ وأشار نحو مسكن عائشة. فإذا جمعنا قوله كلمة (هنا) والإشارة إلى مسكن عائشة اتضح لنا بأن الفتنة تتمثل في عائشة نفسها. وقد حذَّرها نبي الرحمة صلى الله عليه وآله من الخروج إليها وقيادتها وهذا ما فعلته في حرب الجمل. فإذا لم تسمِّ حرب الجمل فتنة، فبماذا تسمى؟! ولو كان قصد نبي الرحمة أن الفتنة من المشرق لقال مثلاً: إن الفتنة من المشرق حيث يطلع قرن الشيطان. لكنه لم يقل ذلك.

وفي رواية عبد الله بن عمر التي رواها مسلم في صحيحه أنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا....) أي أن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله حين خرج من بيت عائشة قال: رأس الكفر ههنا. أي من هذا المكان ومن هذا البيت، لمكان كلمة (ههنا) التي تدل على القرب المكاني. ولو أراد

---

(١) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩ ص١٣٤، الغدير: الأميني، ج٣ ص١٩٠، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الفيروزآبادي، ج٢ ص٣٩٧.

(٢) صحيح البخاري: ج٤ ص١٠٠. العمدة: ابن البطريق، ص٤٥٦، بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢، ص٢٨٧.

(٣) صحيح مسلم: ج٥ ص٤٢٤ (رقم الحديث: ٢٩٠٥ والأحاديث التي بعده)، المسند: أحمد بن حنبل، ج٢ ص٢٣.

المشرق لقال مثلاً: من جهة المشرق، أو: من تلك الجهة. التي تدل على البعد المكاني، لا أن يستخدم كلمة تدل على القرب المكاني. أي من المكان الذي خرج منه. ففي المعجم الوسيط: هنا: اسم إشارة للقريب. وتتصل به ها التنبيه، فيقال: ها هنا أو هنا[1].

ففي رواية البخاري هناك ارتباط بين الإشارة إلى مسكن عائشة ووجود الفتنة في المكان نفسه حين روى الحديث هكذا (فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ).

وفي رواية مسلم في صحيحه فيها ارتباط بين المكان الذي خرج منه النبي ﷺ ووجود رأس الكفر من المكان نفسه حين روى الحديث هكذا (خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا). ولو أراد المشرق لقال مثلاً: رأس الكفر من هناك، للبعيد، ولم يربطه بالإشارة إلى مسكن عائشة حتى لا يضعها في دائرة التهمة.

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم، ربط فيها النبي ﷺ الفتنة ببيت حفصة حين رواها مسلم هكذا (أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة، فقال بيده نحو المشرق: الفتنة ههنا) فلو أراد المشرق لقال مثلا: الفتنة هناك. للبعيد لا أن يستخدم إسم الإشارة للقريب ويربطه بالقيام عند باب حفصة حتى لا يضعها في دائرة التهمة. فكل الدلائل تشير إلى أن الفتنة معصوبة برأس عائشة. وما فعلته في حرب الجمل مصداق حقيقي لتلك الفتنة. ولم تقتصر في فتنتها على حرب الجمل في مدينة البصرة وهي إلى الشرق من المدينة المنورة، بل خرجت الفتنة من بيتها حين تآمرت مع صاحبتها حفصة على النبي ﷺ وتظاهرتا عليه فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهما قرآناً يتلى على مرِّ الليالي والأيام، كما خرجت الفتنة من بيتها أيضاً حين رجعت إليه بعد حرب الجمل مهزومة ذليلة فشنَّت منه حرباً شعواء على إمامها أمير المؤمنين عليه السلام في التحريض والتأليب وبث الأحاديث المكذوبة على لسان النبي ﷺ للنيل منه كما مرَّ علينا موثقاً في هذا الفصل.

كما ختمنا بحثنا بذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تمدح أمير

---

(١) المعجم الوسيط: ج٢ ص٩٩٨ (مادة: هنا).

المؤمنين عليه السلام وتحذر المسلمين من زعماء حرب الجمل، نختم بحثنا أيضاً بنماذج متفرقة من الشعر حين مدح الشعراء أمير المؤمنين عليه السلام وانتقدوا زعماء حرب الجمل. قال خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين في يوم الجمل:

أعائش خلِّي عن عليّ وعيبه ... بما ليس فيه إنما أنت والده
وصي رسول الله من دون أهله ... وأنت على ما كان من ذاك شاهده
وحسبك منه بعض ما تعلمينه ... ويكفيك لو لم تعلمي غير واحده
إذا قيل ماذا عبت منه رميته ... بخذل ابن عفان وما تلك آبده
وليس سماء الله قاطرة دماً ... لذاك وما الأرض الفضاء بمائده[1].

وقال عثمان بن حنيف، وبعضهم ينسبها إلى امرأة من عبد القيس:

شهدت الحروب فشيبتني ... فلم أر يوماً كيوم الجمل
أشدّ على مؤمن فتنةً ... وأقتل منهم لحرق بطل
فليت الظعينة في بيتها ... ويا ليت عسكر لم يرتحل[2].

وقال السيد الحميري في عائشة:

جاءت مع الأشقين في هودج ... تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرةٌ ... تريد أن تأكل أولادها[3].

وقال أيضاً في زعماء حرب الجمل:

أإلى أمية أم إلى شيع التي ... جاءت على الجمل الخدب الشوقب
تهوي من البلد الحرام فنبَّهت ... بعد الهدوِّ كلابَ أهل الحوأب
يحدو الزبير بها وطلحةُ عسكراً ... يا للرجال لرأي أمٍّ مشجب
يا للرِّجال لرأي أمٍّ قادها ... ذئبان يكتنفانها في أذؤب
ذئبان قادهما الشقاء وقادها ... للحين فاقتحما بها في منشب
في ورطةٍ لحجابها فتحملت ... منها على قتبٍ بإثمٍ محقب

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١ ص١٤٦.
(٢) بحار الأنوار: الشيخ المجلسي، ج٣٢ ص١٨٤، العقد الفريد: ابن عبد ربه، ج٤ ص١٣١، مروج الذهب: المسعودي، ج٢ ص٣٦٩، أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢ ص٢٧٠.
(٣) ديوان السيد الحميري: شرح: ضياء حسين الأعلمي، ص٧٩، مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، ج٣ ص١٤٨.

أمٌّ تدبّ إلى ابنها ووليِّها ... بالمؤذيات له دبيب العقرب
أما الزبير فحاص حين بدت له ... جأواء تبرق في الحديد الأشهب
حتى إذا أمن الحتوف وتحته ... عارى النواهق دو نجاء ملهب
أثوى ابن جرموز عمير شلوه ... في القاع منعفراً كشلو التولب
واغتر طلحة عند مختلف القنا ... عبل الذراع شديد أصل المنكب
فاختلَّ حبة قلبه بمذلَّق ... ريَّان من دم جوفه المتصبب[1]

وقال أيضاً في عائشة:

أعائشُ ما دعاك إلى قتال ... الوصيِّ وما عليه تنقيمنا
ألم يعهد إليك الله أن لا ... تُري أبداً من المتبرجينا
وأن تُرخي الحجاب وأن تقرّي ... ولا تتبرجي للناظرينا
وقال لك النبيّ أيا حميرا ... سيبدي منك فعل الحاسدينا
وقال ستنبحين كلاب قومٍ ... من الأعراب والمتعرِّبينا
وقال ستركبين على خدبٍ ... يسمّى عسكراً فتقاتلينا
فخنتِ محمداً في أقربيه ... ولم ترعي له القول الرَّصينا[2].

وقال أيضاً يخاطب من خرج لقتال أمير المؤمنين عليه السلام في واقعة الجمل:

وبيعة ظاهرة بايعتموها ... على الإسلام ثم نقضتموها
وقد قال الإله لهن قرنا ... فما قرَّت ولا أقررتموها
يسوق لها البعير أبو خُبيبٍ ... لحين أبيه إذ سيرتموها[3].

وقال أبو الحسن الناشي:

ألا يا خليفة خير الورى ... لقد كفر القوم إذ خالفوكا
أدل الدليل على أنهم ... أتوك وقد سمعوا النص فيكا
خلافهم بعد دعوتهم ... ونكثهم بعدما بايعوكا

---

(١) ديوان السيد الحميري: شرح: ضياء حسين الأعلمي، ص٣٨، أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، المجلد الأول، ص٥٥٤، تحت راية الحق: علي محمد علي دخيّل، ص١٢٦.

(٢) ديوان السيد الحميري: شرح: ضياء حسين الأعلمي، ص٢٠٢، مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، ج٣ ص١٥٠.

(٣) ديوان السيد الحميري: شرح: ضياء حسين الأعلمي، ص٢١٧.

طغوا بالخريبة واستنجدوا ... بصفين والنهر إذ صالتوكا
ناس هم حاصروا نعثلاً ... ونالوه بالقتل ما استأذنوكا
فيا عجباً منهم إذ جنوا ... دماً وبشاراته طالبوكا[1].

وقال أبو القاسم الزاهي:

من كسح البصرة من ناكثها ... وقصَّ رجل عسكر بما رقص
وفرَّق المال وقال: خمسةٌ ... لواحد. فساوت الجند الحصص
وقال في ذي اليوم يأتي مددٌ ... وعدَّ فلم يزد وما نقص[2].

وقال أيضاً في عائشة:

كم نُهيت عن تبرُّج فعصت ... وأصبحت للخلاف متبعة
قال لها في البيوت قرِّي ... فخالفته العفيفة الورعة!![3].

وقال شاعر في زعماء الجمل:

وأقبلت في بقايا السيف يقدمها ... إلى الخريبة شيخاها المضلان
يقودها (عسكر) حتى إذا قربت ... وحللت رحلها في قيس غيلان
ونبحت أكلباً بالحوأب اذّكرت ... فنادت الويل لي والعول ردَّاني
يا طلح إن رسول الله خبَّرني ... بأن سيري هذا سير عدواني
وانني لعلِّي فيه ظالمة ... ويا زبير أقيلاني أقيلاني
فاقسما قسماً بالله أنهما ... قد خلَّف الماءَ خلف المنزل الثاني
وطأطأت رأسها عمداً وقد علمت ... بأن أحمد لم يخبربهتان[4].

وقال مهيار الديلمي في زعماء الجمل:

مواقف في الغدر يكفي سبةً ... منها وعاراً لهم يومُ الجمل
يا ليت شعري عن أكف أرهقت ... لك المواضي وانتحتك بالذُّبل
واحتطبت تبغيك بالشرّ على ... أي اعتذار في المعاد تتكل
أنسيت صفقتها أمس على ... يديك ألاَّ غير ولا بدل

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، ج٣ ص١٥٣ الغدير: الأميني، ج٤ ص٢٥.
(٢) الغدير: الأميني، ج٣ ص٢٨٩، تحت راية الحق: علي محمد دخيّل، ص١٥٦.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب، ج٣ ص١٤٨.
(٤) المرجع السابق: ج٣ ص١٥٠.

وعن حَصان أبرزت يكشف ... باستخراجها ستر النبي المنسدل
تطلب أمراً لم يكن ينصره ... بمثلها في الحرب إلاّ من خذل
يا للرجال و(لتيم) تدَّعي ... ثأر (بني أمية) وتنتحل
وللقتيل يلزمون دمه ... وفيهم القاتل غير من قتل
حتى إذا دارت رحى بغيهم ... عليهم وسبق السيف العذل
وأنجز النكث العذاب فيهم ... بعد اعتزال منهم بما مطل
عاذوا بعفوٍ ماجدٍ معوّدٍ ... للصبر حمَّال لهم على العلل
فنجَّت البقيا عليهم من نجا ... وأكل الحديد منهم من أكل
فاحتج قوم بعد ذاك لهم ... بفاضحات ربُّها يوم الجدل
فقلَّ منهم من لوى ندامةً ... عنانه عن المصاع فاعتزل
وانتزع العامل من قناته ... فردَّ بالكرة فشدَّ فحمل
والحال تنبي أن ذاك لم يكن ... عن توبة وإنما كان فضل
ومنهم من تاب بعد موته ... وليس بعد الموت للمرء عمل[1].

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد النحوي المصري الملَّقب بالمفجَّع:

وله منه عفوه عن أناس ... عكفوا يعبدون عجلاً حليًّا
حرق العجل ثمَّ منَّ عليهم ... إذ أنابوا وأمهل السامريًّا
وعليٌّ فقد عفا عن أناس ... شرعوا نحوه القنا الزاعبيا
يوم ساروا إليه بالجمل الأو ... رق قد جلَّل الضبي والقنيا
فقناهم بسيفه ثم نالوا ... صفحه بعد عقره الأرحبيا
وعفا عنهم وقال نصرنا ... ورعى الآخرون مرعىً وبياً[2].

وقال الشيخ محمد كاظم الأزري:

يوم جاءت تقود بالجمل العسـ ... ـكر لا تتقي ركوب خطاها
فألحَّت كلاب حوأب نبحاً ... فاستدلت به على حوباها
يا ترى أيّ أمة لنبيّ ... جاز في شرعه قتل نساها

---

(١) ديوان مهيار الديلمي، ج٣ ص١١٤، أروع ما قيل في محمد وأهل بيته: محسن عقيل، ص١٦٩.
(٢) أروع ما قيل في محمد وأهل بيته: محسن عقيل، ص١٥٧.

أيّ أمٍّ للمؤمنين أساءت ... ببنيها ففرقتهم سواها
شتتهم في كل شِعب ووادٍ ... بئس أمّ عتت على أبناها
نسيت آية التبرج أم لم ... تدر أن الرحمن عنه عناها
حفظت أربعين ألف حديث ... ومن الذكر آية تنساها[1].

وقال الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

أخرجوها من بيتها فأباحوا ... حرمات الرسول دون انتهاء
وهي تتلو من محكم الذكر آياً ... لحجاب النساء من كل رائي
قل بحق للمؤمنات جميعاً ... كل طرف يغضضنه بحياء
يا نساء النبي قرن حجاباً ... في بيوت النبيّ بين النساء
أيّ أمّ كهذه الأم ألقت ... ببنيها في لجّة من دماء
نبحتها كلاب حوأب شؤماً ... فاستهانت من شؤمها بالعواء
ظلمت نفسها وألقت بنيها ... في أضاليل فتنة عشواء
قد أرادوا أن يطفئوا من ضلال ... كلَّ نورٍ من الإله مضاء
وأبى الله رحمة منه إلا ... أن يتم الهدى بغير انطفاء
حين قادت جموعهم وهي فيها ... تتهادى لطخية عمياء
فتراءى الجمعان ديناً وكفراً ... جيش عدلٍ هادٍ وجيش اعتداء
وإذا بالضلال وهو فلول ... والحميرا من جملة الأسراء
وإذا بالزبير وهو ذبيح ... بعد هجران ساحة الهيجاء
وإذا بالصريع طلحة ملقى ... حين أهوى من قمة الكبرياء
وخطام الشيطان ملقىً عليه ... بعد عقرٍ أودى به ورغاء
فتعالى الدين الحنيف بناء ... وتداعى للشرك شرّ بناء
وعليّ والحق تحت لواء ... وهم والضلال تحت لواء[2].

وقال الشيخ حمدان الخيِّر في عائشة:

أمي بحب بنيها جدُّ مولعة ... وعز أبنائها أقصى أمانيها

---

(١) أروع ما قيل في محمد وأهل بيته: محسن عقيل، ص٢٠٥، الأزرية: ص٩٩.
(٢) ملحمة أهل البيت: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، ج٢ ص٣٨.

أمي تضم بنيها لا تفرقهم ... ولا تفوت معاليهم مساعيها
فما لبنت أبي بكر مروَّعة ... تسير بالفتنة الكبرى وتصليها
جرَّت بنيها لغايات مضللة ... وفرقة جذوة الأحقاد تزكيها
شدَّت على الشيخ لم تحفل بتوبته ... ولم ترقّ لعين فاض هاميها
أخو أمية لاءٍ عن رعيته ... يدني قرابته منه ويعليها
قميص طه جديد لم يلمّ به ... بلىً، وشرعة طه لاح باليها
عواصف من مرير النقد لاذعةٌ ... أمي وأمك بين الناس تحكيها
تثيرها في ثغور البيد عاصفةً ... عرش الخليفة شلو في سوافيها
زوج الرسول تجر المسلمين إلى ... حرب عوان فماذا تبتغي فيها
للأم ستر فما للأم تطلبها ... هوجاء تطفي لشيب الرأس طاغيها
زوج الرسول تريد الحرب قاتلةً ... لم لا تشد على النيران تطفيها؟
هل بيعة المرتضى قضَّت مضاجعها ... فهبَّت الثورة الأولى تثنيها؟
وقادت الجيش غلاَّباً ومضطرباً ... كأنه القدر نار الثار تغليها
ترجين ثأراً وإنا منك نطلبه ... النفس بالنفس شرع الله يجزيها
علا نداك وصوت منك مرتفع ... تألبت ثورة هالت غواشيها
ألم تريدي له قتلاً وواعجباً ... تلك المقالات قوليها وزكيها
وأول القول لم يبلغه آخره ... قوادم الطير خير من خوافيها
لا تنكري ستر ما حاولت من عمل ... هذي المكايد لا تخفي معانيها
لو أن غير أبي السبطين أحرزها ... لما رأتك من الهيجا مرائيها
كلاب (حوأب) هل تنسين نبحتها ... لا تغفليها فملء السمع داويها
أما ذكرت عن المختار قولته ... ونحن عنك كما حدَّثت نرويها[1].

وقال الشيخ جعفر الهلالي:

فيوم (البصرة) (طلحتها) ... وافى و (زبير) يعضده
من بعد البيعة قد نكثوا ... والنكث عظيم مشهده
وأثاروا الحرب غداة حلا ... لهما الدينار وعسجده

(١) مجلة الموسم: المجلد الثالث: العدد ١١، ١٩٩٠م ص٩٥٩.

حسدوه لفضل كان له ... والفضل يكثر حسّده
و(لعائشة) فيها دور ... مذ جاءت ثمّة تقصده
ركبت جملاً وأتت تعدو ... ولذاك الستر تبدّده
فكأنْ لم تسمع ما نزلت ... فيه الآيات تؤكّده
مذ قال (وقرن) فأين الوقر ... غذاة الدِّين يحدّده
فمشت للبصرة يصحبها ... جمع للفتنة مقصده
وكلاب (الحوأب) تنبحها ... فتحقق أمرٌ تعهده
مذ حذَّرها المختار بأن ... لا تبغي الشرَّ وتنشده
فبدت إذ ذلك محجمةً ... مذ بان هناك تأيّده
وتصيح هنالك ردّوني ... قد بان لحق مورده
ولكن شهود الزور أتت ... فغدت للواقع تجحده
فمضت وتناست ما سمعت ... ورأته عياناً تشهده
وبذاك عصت أمر الهادي ... في إثم راحت توجده
فاعجب من أمّ كيف غدت ... لجلال الحرمة تفقده
والأعجب منها قد راح ... لذاك الخلف يسدّده
لم يستنكر منها فعلاً ... فيه للحقّ تهدّده
فبأمر منها كم قد سال ... دمٌ في الأرض مبرَّده
فكأن الأمر بدا سهلاً ... وكأنَّ الشرعَ يؤيّده
أجهاداً هذا تحسبه ... لا فالإسلام يفنّده
والمرأة لم يفرض فيها ... للدين جهاد نعهده
وجهاد المرأة حسن ... تبعُلها للزوج تؤكّده
وعجيب من ستجاهده ... في ما تبغيه وتقصده
أتجاهد من هو نفس الطّهر ... ومن هو في الجلّي يده
يا للإسلام لحادثةٍ ... منها يتبرَّأ (أحمده)
فبأي العذر ستقدم يوم ... الحشر إذا ما تشهده
فتق في الدِّين تقوم به ... لعظيم الشمل تبدّده
ومذ انتصر الإسلام بذاك ... اليوم وأشرق فرقده

وأطاح البغي بأهليه ... وهوى إذ ذاك مشيَّده
إذ أودى القتل (بطلحتها) ... و(زبيرُ) نكَّد مشهده
وهوى بالمرأة (عسكرها) ... للأرض وفرَّت حشَّده
ما كان (عليّ) منتقماً ... بل كان يزيد تودّده
فعفا عمَّن قد حاربه ... ممن يزداد تعنده
إذ جيء بـ (مروان) ينقاد ... إليه وبان تهدّهده
فتغاضى عنه ولم يلزمه ... بما في الحرب جنت يده
و لـ (عائشة) قد صان وقد ... كانت للباطل تسنده
وتكفَّلها بحراسته ... كرماً للحرمة يقصده
وأحاط بها من (عبد القيس) ... نساء كانت تعضده
قد غيَّر منها الزَّي كأن ... النسوة فيه مجنَّده
وغدت تشكوه طوال الدرب ... تعيب هداه وتنقده
وتقول (عليّ) ما راعى ... خدري في جندٍ يحشده
وعجيب كيف ترى في ... هذا الموقف هتكاً يقصده
وبذاك يريد رعايتها ... وحماية خدر ينشده
وتناست أمسِ وقد ركبت ... جملاً للهتك تجسِّده
حتى حلَّت في يثربها ... فتجلَّى الحق ومقصده
وإذا بالجند هم النسوان ... غدت للزّي تجدِّده[1].

وقال سعيد عسيلي في أقطاب حرب الجمل:

حقدت عليه بنو أمية إذ رأت ... تلك المكاسب تنتهي وتبدَّد
عادت لخسَّتها تؤلب ضده ... وتبث ألوان النِّفاق وتفسد
ومشى يسايرها الزبير مع الهوى ... ويطيع طلحة في هواه ويحسد
وكلاهما في نكث بيعته غوى ... ضد الإمام وضلَّ فيه المقصد
عجباً حواريّ الرسول وسيفه ... أتبيتَ مخدوعاً وأنت الأرشد
يا فارس الميدان يا قطب الرحى ... يا من له كل الفوارس تشهد

(١) الملحمة العلوية: الشيخ جعفر الهلالي، ص١٠٩ ـ ١١٣.

أتصمّ سمعك عن حديث محمّد ... وتطيع طلحة بالمقال وتجحد؟!
والله لو علمت صفيَّة ما جرى ... كانت عليك من التراب ستحقد
ورجت بأنك لم تكن من أجل ما ... تجني وإنك بالدّنا لا تولد
أوما علمت بأن صنو المصطفى ... وحبيبه وهو الإمام السيّد
وهو الذي بالحق يمشي دائماً ... والحق يتبع ظله ويردد
هذا أمير المؤمنين بجانبي ... وأنا بجانبه أسير وأنشد
لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى ... إلا عليّ بالإله مؤيّد
لولاه ما عرف الأنام محمَّداً ... أو كان ربّ للبريّة يُعبد
لولا انحرافك يا زبير عن الذي ... في حقه ورد الحديث المسند
لنظمت فيك من البيان قلائداً ... برَّاقة جيد الزمان تقلّد
ومضى عليّ في سياسته ولم ... يحفل بمن نقموا عليه وعربدوا
نهج أهاج المترفين فآثروا ... حبّ الخلاف وفيه لم يترددوا
خوفاً على ثرواتهم أن تنتهي ... ويضيع مال للمفاسد يرصد
وتحرَّكت بين القلوب ضغائن ... كالنار لو طال المدى لا تخمد
واستيقظ الحقد الدفين وأعلنت ... سود النوايا بالنزاع تهدّد
لعبت بطلحة والزبير مطامع ... وكأنها درّ تلوح وعسجد
حبّ الإمارة يا له من مطلب ... وعليه كلّ منهما يتنهد
يئسا فأُعلنت الضغائن ضد من ... أوصى له من قبل ذلك أحمد
مضيا فضاعا في جحيم أوارها ... وبنو أمية بالنتاج تفرَّدوا[1].

وقال أيضاً في عائشة:

بالله يا زوج الرسول ألم تعي ... في مسمعيك من النبي كلاما؟
حاربت من شهد النبي بفضله ... وكرهت منه أن يكون إماما
ردَّت هواك طبيعة الأنثى إلى ... حقدٍ ثوى بين الضلوع وناما
خالفت بالقرآن أوضح آية ... صار الخروج بها عليك حراما
ولقد خرجت على الإمام وبعدما ... ملكت يداه من الأمور زماما

(١) الإمامان علي والحسن عليهما السلام: سعيد عسيلي، ص١٥٢.

أو ليس ماء الحوأب الجاري غدا ... مستغرباً إذ شاهد الأعلاما؟
وهم الذين تعسفوا وتجبَّروا ... بين العباد وحلَّلوا الإجراما
قلتِ اقتلوا دون الخليفة (نعثلاً) ... فلقد طغى وبحر كفرٍ عاما
أخرجت للدنيا قميص المصطفى ... إذ كان يحوي الوحي وإلالهاما
وصرخت لم يبل القميص وإنما ... عثمان أبلى شرعةً ونظاما
ولكم طمعت بأن تعود إمارة ... ويكون فيها طلحة يتسامى
لما علمت بأن صنو المصطفى ... ملك الزمام ورسَّخ الأحكاما
ناديت يا ليت السماء على الثَّرى ... وقعت ولا نال الوصي مراما
عثمان كان بغير جرمٍ قتله ... قتلوه مظلوماً وجزّوا الهاما
ثم اتهمت المرتضى بجريمةٍ ... وكشفت عن وجه العداء لثاما
وهو البريء ولم يكن يرضى بما ... فعلوا به بل ردَّ عنه وحامى
ثم انثنيت إلى البطاح بفتنةٍ ... عمياء فيها قد زرعت خصاما
حتى ارتحلت إلى العراق ببازل ... عَبَرَ السهول وجاوز الآكاما
وهناك ضمَّ الناس بحر من دم ... فيه الأنامل أصبحت أكواما
وقتلت من أجل الإمارة والياً ... صلَّى لرب العالمين وصاما
من ثم قدت الجيش نحو معارك ... جعلت صباح المسلمين ظلاما
وغزت قلوب المسلمين ضغائن ... تركت بأجواء الصَّفاء غماما
غرقت بها الأجيال بعد تعصّب ... أعمى ليصبح معولاً هدَّاما
ولقد نصرت بني أمية بعدما ... أضحوا من الملك العقيم يتامى
وأعدت من بعد العدالة ظلمهم ... للعالمين فرسَّخوا الأقداما
كيما يطارد من أحبَّ المرتضى ... والظلم راح يذيقه الأسقاما
ينزون ظلماً فوق منبر أحمدٍ ... نزو القرود وأصبحوا حكَّاما
ما هكذا يا أمّ قال محمّد ... وأراد منك ما فعلت وراما[1].

وقال أيضاً واصفاً معركة الجمل:

قد كان طلحة بالخلافة طامعاً ... لكنه يتعمد الكتمانا

---

(١) الإمامان علي والحسن عليهما السلام: سعيد عسيلي، ص١٥٤ ـ ١٥٧.

خدع الزبير وراح يوهمه بها ... وإذا الزبير بدا لها ظمآنا
وهناك أم المؤمنين وقد بدت ... أحقادها فتنوَّعت أولوانا
راحوا يبثون الدعاية عنوةً ... ضد الوصي وأظهروا الأشجانا
وعزوا إليه تهمةً في أنَّه ... من بين ممن قاتلوا عثمانا
جمعوا من الغوغاء جيشاً عارماً ... نزل العراق فأيقظ الأضغانا
قتلوا هنالك أربعين ضحيةً ... كانوا لوالي حيدرٍ أعوانا
وغدوا إلى الولي فكان بأسره ... وبنتف لحيته لهم رضوانا
وتوجَّه الليث الغضوب بجيشه ... حتى رأى جيش العدو عيانا
والسهل أصبح ضفتين كأنه ... نهر به أبطاله تتدانى
والخيل في الميدان ليس يظلها ... إلا الشموس فتبعث النيرانا
حتى المنايا راح يرقب بعضها ... بعضاً وفيه أصبحت ذؤبانا
وقف الوصي لدى الأسنَّة وهو في ... كمدٍ وأمسى حائراً ولهانا
فهو الذي ماضيه يشهد أنَّه ... قلب العروش وحطَّم التيجانا
قد كان يرغب أن يكون لسيفه ... حظاً بمن قد عانقوا الأوثانا
أما وقد فرضت عليه وقيعة ... ممن تلاعب بالعهود وخانا
وعصى إمام زمانه ظلماً وقد ... أمسى ظلوماً جاوز الطغيانا
فليعطهم بالصبر عذراً واضحاً ... والصبر يحمل رحمةً وحنانا
نادى على جيش الإمامة قائلاً ... لا تبدؤوا حرباً تكون عوانا
فلعلَّ فيهم من يعود لرشده ... من بعد ما قد أصبحوا عميانا
وإذا سهام الناكثين كأنها ... مطرٌ تحدَّر في الثرى غدرانا
والصبر عيل لدى الفوارس فانثنت ... نحو الوصيّ لتطلب استئذانا
نجل الخليفة جاء يرجو قائلاً ... مرنا فإن الصبر قد أضنانا
إن العدو ينالنا بسهامه ... ظلماً ومنها جندلت صرعانا
والأمر أمرك إنما دعنا نمت ... بين السيوف البيض يا مولانا
خرج الوصيّ إلى الوقيعة حاسراً ... من غير درعٍ قد بدا عريانا
من ثم نادى يا زبير لنلتقي ... فلعلَّه خيراً يكون لقانا
وأتاه فاعتنقا وقال برقةٍ ... بعد البكاء أتستحل دمانا؟

هلا ذكرت مقالةً من أحمدٍ ... في ذات يوم طاب فيه سرانا؟
إذ قال إنَّك سوف تظلمني وقد ... ثبت الحديث وأثبت البرهانا
فأجابه صدق الرسول وإنما ... حالفت بعد رحيله النسيانا
ويحي ضللت عن الرَّشاد وضلَّ بي ... درب أصبت بسيره الخسرانا
أنا تائب لله رغم عواذلي ... ومن الإله سأطلب الغفرانا
عاد الزبير إلى الوراء مغادراً ... تلك الجموع وقد نوى الهجرانا
ومضى إلى وادي السباع نديمه ... شبح الندامة والأسى قد عانى
فثوى بها والقتل كان نصيبه ... من خارجيّ يجحد الإيمانا
إيه ابن جرموز غدرت بفارس ... في سيفه كم جندل الأقرانا
لولا خروجك يا زبير على الذي ... ثبتت إمامته وفيه هدانا
لنظمت فيك قصائداً وكأنها ... درّ يعانق بالحروف جمانا
رفع الغضنفر طرفه في خشيةٍ ... نحو السماء وقد بدا وجلانا
وبذلة فيها انكسار واضح ... مثل اليتيم إذا رأى الإحسانا
من ثم ناجى ربَّه ودعاؤه ... قد شقَّ في كبد السماء عنانا
ربَّاه أنت إلى الذليل المرتجى ... يا عالماً بالغيب أنت رجانا
من كان منّا باغياً متعنتاً ... خذه وأنت بما ترى أولانا
فلقد أحب الناكثون بأن يروا ... دمع اليتامى يحرق الأجفانا
طلب اللواء لكي يكون أمامه ... رمزاً فيجمع حوله الشجعانا
ولطالما قد كان يخفق فوقه ... كجناح طير إن رأت عقبانا
وتسابق الحسنان نحو لوائه ... وثباً وشبل الليث لا يتوانى
خشي الوصي بأن ينالهما الرَّدى ... وهما شموس الحق في دنيانا
هو لا يبالي بالمنية إن دنت ... منه وإن منها دنا سيَّانا
كل الخطوب تهون دون أذاهما ... وهما بقية من أنار دجانا
بهما رسول الله يبقى نسله ... بين البريَّة يسعد الأزمانا
قال: ارجعا لا تهدما شيخوختي ... فأكابد الآلام والأحزانا
ودعا محمدَ قائلاً بحماسةٍ ... هيا بني فقم بحمل لوانا
وتلاقت الأبطال واشتبك القنا ... والموت راح يردِّد الألحانا

وسنابك الخيل العتاق تناثرت ... من تحتها نار تثير دخانا
والسيف يأخذ في رجال المرتضى ... وعلى الصعيد يجندل الفرسانا
وجناح ميمنة الوصيّ أصابه ... قتل ذريع أشبع الغربانا
والناس تأمل بالوصيّ وسيفه ... إذ شاهدوه غافياً نعسانا
وأتاه نجل جهين يصرخ قائلاً ... أتنام والموت الزؤام أتانا
ورجالنا صرعى باسياف العدا ... والأرض قد كثرت بها قتلانا
أدرك رجالك واشهر السيف الذي ... من كل كرب كريهة نجّانا
وإذا بحيدر يستفيق من الغفا ... كالليث مجروحاً يقول كفانا
هيا احزموا بطني لأركب بغلةً ... هي مركب الهادي بها أهدانا
شقَّ الصفوف بسيفه فتمزقت ... مثل القطيع إذا رأى السّرحانا
قطف الرؤوس على الجسوم كأنه ... بين الجنائن يقطف الرّمانا
وسطا على الأرواح سطوة باسل ... حتى دعاها تترك الأبدانا
من ذكريات حُنين قد عادت له ... بدر وأحد والهدى قد صانا
وبصوته نادى محمد قائلاً ... هيَّا تقدَّم واقتحم أعدانا
لكن من حمل اللواء وقد رأى ... تلك السهام كثيرة فتوانى
وبكفه دفع الفتى بظهره ... دفعاً يهز بجسمه الشّريانا
وكأنه قد قال هذي سطوتي ... أنا لا أريدك أن تكون جبانا
إذ غاص شبل الليث في قلب الوغى ... يروي حساماً للدما عطشانا
والرمح يطعن في الصدور ترائباً ... والسيف ينصب للرّدى ميزانا
وإذا الإمام يعود بعد هجومه ... ويقول فقد الماء قد أعيانا
ورأوا بأن الماء سوف يضره ... وشرابه سيعيده صديانا
أعطوه غير الماء كأساً قد حوت ... عسلاً شهياً يطرد الأدرانا
شرب الضريب وقال بعد أن ارتوى ... هو طائفي طعمه روَّانا
فأجابه الساقي فديتك إنني ... مما أراه سأفقد الوجدانا
عجباً وهذا الموت ينشر ظله ... فوق الرؤوس ويبعث الهذيانا
وترى القلوب لدى الحناجر أصبحت ... والخوف راح يفصّل الأكفانا
وتُميِّز العسل الذي قد ذقته ... بالطائفي وتذهل الأذهانا

فأجابه والله ما خفت الردى ... أبداً ولا هزَّ الكماة جنانا
ولو الجبال الراسيات تهدَّمت ... فوقي لما هزَّت بي الأركانا
ثم انبرى للحرب يشعل نارها ... وأمامه تلوي الكماة عنانا
فكأنه سيل تدافع خلفها ... وتراه في تيَّاره طوفانا
ولقد أحاط الناكثون بهودج ... ملأ القلوب لحيدر عدوانا
ثم استماتوا دونه وأكفهم ... نثرت على وجه الصعيد بنانا
جمل له في آل ضبّة نسبة ... من حوله قد أثخنوا إثخانا
وأصيب (عسكر) بالسهام كأنها ... في جسمه شوك حوى عيدانا
صاح الوصيّ على الفوارس قائلاً ... والصوت يحمل قوةً وبيانا
هيا اعقروا الجمل اللعين فإنه ... في كل عضوٍ قد حوى شيطانا
سمعوا نداء المرتضى فتبادروا ... مثل السباع إذا رأت حملانا
تالله كم قُطعت أكفّ حوله ... وهوت جسوم تلبس القمصانا
وتمكنوا من عقره حتى هوى ... للأرض يكدم جلمداً صوانا
وإذا بسهم جاء من كبد السماء ... كجناح نحلٍ قد بدا رنَّانا
فأصاب طلحة فارتمى وكأنه ... طيرٌ غدا لا يحسن الطيرانا
وهوى على وجه الصعيد مجدَّلاً ... بدمائه وكأنه ما كانا
مروان قاتل طلحةٍ بسهامه ... يا ويح أمٍّ أنجبت مروانا
هُزمت جيوش الناكثين ومُزِّقت ... مثل الحمام إذا رأى العقبانا
نادى منادي حيدر من بعدها ... تلك الجحافل عانت الخذلانا
لا تقتلوا الجرحى ورفقاً بالذي ... قد فرَّ وأعطوا للأسير أمانا
ونساؤهم حُرمٌ عليكم رغم ما ... فعلوا وذلك يغضب الديَّانا
أمر الوصيّ ربيبه وشقيق من ... بالحرب جاءت تطلب السلطانا
انظر لأختك يا بنيّ فهل شكت ... أو شاهدت مما رأته هوانا
مهما جرى منها سنصفح طالما ... فيها رسول الله قد أوصانا
فأطاعه ودنا وقال معاتباً ... أختاه كنا دائماً إخوانا
لقد ارتكبت من الأمور عظيمةً ... قد أغضبت تحت التراب أبانا
وقد افترقنا بالحقيقة عندما ... خالفت بعد خروجك القرآنا

هل تذكرين من الرسول مقالةً ... فيها فم الدنيا بدا ملآنا
الحق يمشي مع عليّ دائماً ... وعليّ عنه لم يجد سلوانا
نادى الوصي برقّةٍ معهودةٍ ... فيه تضم الأهل والجيرانا
هل ترحلين إلى مزار المصطفى ... قالت نهم وبه نرى مأوانا
فدعا وعمَّم نسوةً بعمائم ... زيّ الرجال بدا لهنّ ضمانا
ومضين بين ركابها يحرسنها ... وسيوفهن أخافت الغربانا
لم تدر أم المؤمنين بان من ... كان بخدمة ركبها نسوانا
قالت لقد بعث الرجال برفقتي ... وأنا حرام أن أرى إنسانا
فرفعن عن تلك الوجوه براقعاً ... كشفت خدوداً كالبدور حسانا
من ثمّ قلن لها أتينا نسوةً ... كُتمت بأثناء المسير خطانا
كنا حواليك طوال طريقنا ... وخلال سيرك ما رآك سوانا
ولقد رأيت وجوهنا لما بدت ... والله مثلك بالحياء كسانا[1].

لقد رأينا في القصائد كلها التي ذكرناها انتقاداً لزعماء حرب الجمل من جانب، وإشادة بمواقف أمير المؤمنين عليه السلام من جانب آخر. وأنه على حق، ومناوئيه على باطل.

فقد انتقد جميع الشعراء عائشة وطلحة والزبير، الذين أشعلوا تلك الحرب الظالمة التي أهلكت الحرث والنسل. ولم يبخلوا في توظيف شعرهم في المعركة. فقد بيَّنوا للعالم وللمسلمين مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام على يد الصحابة المقرَّبين منه والعارفين حقه. كما بيَّنوا ظالمية مناوئيه، محمَّلينهم مسؤولية إشعال تلك الحرب ونتائجها المرَّة، وما أفرزته من المآسي المرعبة.

وكان قصدنا من هذا البحث الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام، وتفنيد أقاويل مناوئيه، وبيان زيف ادِّعاءاتهم، وفضح أكاذيبهم واتهاماتهم الباطلة، وتعرية ممارساتهم الملتوية، وكشف اللثام عن حقيقة هذه الحرب وأسبابها وأهدافها البعيدة، وتعرية مثيريها، وكشف القناع عن وجوههم، وإظهارهم بصورهم الحقيقية كي لا يغتر بهم أحد من الناس.

---

(١) الإمامان علي والحسن عليهما السلام: سعيد عسيلي، ص١٥٨ ـ ١٦٧.

وقد تكون هناك بعض القسوة في العبارات واستنتاج النتائج. لكن هذه القسوة ترجع في الأساس إلى قساوة عمل زعماء الجمل، وشراسة تصرفهم ضد إمامهم والمسلمين الأبرياء.

وأدعوا الباحثين إلى خوض غمار هذه البحوث التي ضرب عليها حرَّاس السقيفة طوقاً من حديد، ومنعوا الباحثين من الخوض فيها. فالعلم ملك لجميع الناس، والكشف عن الحق وإزهاق الباطل واجب على كل الناس، وخصوصاً أصحاب العلم والقلم.

هذا ما أردت من البحث، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

١ ـ أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، مطبعة الحيدري.

٢ ـ الإحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٣ ـ إحقاق الحق وإزهاق الباطل: القاضي السيد نور الدين الحسيني المرعشي التستري. مع ملحقات الإحقاق: السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي، مكتبة آية الله المرعشي، قم، إيران.

٤ ـ الأخبار الطوال: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار المسيرة، بيروت.

٥ ـ الإختصاص: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملّقب بالشيخ المفيد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٢م.

٦ ـ أورع ما قيل في محمد وأهل بيته: محسن عقيل، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٧ ـ أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٨ ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب: بهامش الإصابة: ابن عبد البر النمري القرطبي، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٢٨ هـ.

٩ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، تصحيح: الشيخ عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٠ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

١١ ـ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.

١٢ ـ الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني: تحقيق: د. يوسف البقاعي، وغريد الشيخ، مؤسسة النور للمطبوعات ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٣ ـ الأمالي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد، دار التيار الجديد.

١٤ ـ الأمالي: أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

١٥ ـ الإمامان علي والحسن عليهما السلام: سعيد عسيلي، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٦ ـ الإمامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري: تحقيق: الأستاذ: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٧ ـ الإمام علي بن أبي طالب: أحمد الرحماني الهمداني، مؤسسة أهل البيت، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

١٨ ـ أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري. الجزء الأول: تحقيق الدكتور محمد حميد الله. دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.

١٩ ـ أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، الجزء الثاني والثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٢٠ ـ الإيضاح: أبو محمد الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢١ ـ بحار الأنوار: الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٣م. والأجزاء من ٢٩ ـ ٣١، تحقيق: الشيخ عبد الزهراء العلوي، دار الرضا، بيروت، والأجزاء من ٣٢ ـ ٣٤، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م.

٢٢ ـ البداية والنهاية: أبو الفداء بن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٣ ـ البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، قم، إيران.

٢٤ ـ بيت الأحزان: الشيخ عباس القمي، دار الحكمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٥ ـ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار القلم، بيروت.

٢٦ ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧ ـ تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي البغدادي، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٨ ـ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي الغروي، تحقيق: الفاضل حسين الإستادولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٩ ـ تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله ﷺ: محمد بن العباس بن علي بن مروان بن الماهيار البزاز المعروف بابن الجُحام، تحقيق: فارس تبريزيان، نشر الهادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠ ـ تجارب الأمم: أبو علي مسكويه الرازي، تحقيق: الدكتور أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣١ ـ تحت راية الحق: علي محمد علي دخيّل، دار المرتضى، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٢ ـ تذكرة الخواص: أبو المظفر يوسف شمس الدين الملقب بسبط ابن الجوزي، المطبعة العلمية، النجف، العراق، ١٣٦٩هـ.

٣٣ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

٣٤ ـ تطهير الجنان واللسان: أحمد بن حجر الهيتمي، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٦٦٥م.

٣٥ ـ تفسير الحبري: أبو عبد الله الكوفي الحسيني بن الحكم بن مسلم الحبري، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣٦ ـ تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٢م.

٣٧ ـ تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٣٨ ـ تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٣٩ ـ تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، مؤسسة إسماعيليان، قم، إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

٤٠ ـ الجمل: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: السيد علي مير شريفي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤١ ـ جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٤٢ ـ جمهرة رسائل العرب: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٤٣ ـ الحدائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني، تحقيق: محمد تقي الأيرواني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٤٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية. بيروت.

٤٥ ـ خصائص الإمام علي بن أبي طالب: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٤٦ ـ الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.

٤٧ ـ دعائم الإسلام: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، ١٩٦٣م.

٤٨ ـ دلائل الصدق: الشيخ محمد حسن المظفر، مكتبة بصيرتي، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٤٩ ـ ديوان السيد الحميري: شرح: ضياء حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٥٠ ـ ديوان مهيار الديلمي: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٠م.

٥١ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

٥٢ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة: أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٥٣ ـ سفينة البحار: الشيخ عباس القمي، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٥٤ ـ السنَّة: عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٥٥ ـ سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

٥٦ ـ السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الوفاق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٥٧ ـ السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

٥٨ ـ الشافي في الإمامة: علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٥٩ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦٠ ـ شواهد التنزيل: عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذَّاء الحنفي النيسابوري، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٦١ ـ الشيعة هم أهل السنَّة: الدكتور محمد التيجاني السماوي، مؤسسة الفجر، لندن.

٦٢ ـ صحيح البخاري: البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣١٣هـ.

٦٣ ـ صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: الدكتور موسى شاهين لاشين، والدكتور: أحمد عمر هاشم، مؤسسة عز الدين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦٤ ـ الصحيح المسند من فضائل الصحابة: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، دار الهجرة، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٦٥ ـ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي، مكتبة القاهرة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

٦٦ ـ عبقات الأنوار: السيد حامد حسين اللكهنوي، ترجمة: علي الحسيني الميلاني، مؤسسة البعثة، طهران، إيران، ١٤٠٥هـ.

٦٧ ـ العشرة المبشرون بالجنة من طبقات ابن سعد، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.

٦٨ ـ العقد الفريد: شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٦٩ ـ علي والوصية: الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري، دار الزهراء، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

٧٠ ـ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار: يحيى بن الحسن الأسدي الحلي، المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٠٧هـ.

٧١ ـ عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٢٥م.

٧٢ ـ الغارات: ابو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفي، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٧٣ ـ غاية المرام في حجة الخصام: السيد هاشم البحراني، دار القاموس الحديث، بيروت.

٧٤ ـ الغدير: الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م.

٧٥ ـ فاسألوا أهل الذكر: الدكتور محمد التيجاني السماوي، مؤسسة الفجر، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٧٦ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م.

٧٧ ـ فدك: السيد محمد حسن الموسوي القزويني الحائري، تحقيق: باقر المقدسي، مطبوعات النجاح، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٧٨ ـ فرائد السمطين: إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني الخراساني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٧٩ ـ الفرق: أبو حاتم السجستاني، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨٠ ـ الفرق: ثابت بن أبي ثابت، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨١ ـ الفرق: أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: الدكتور صبيح التميمي، دار أسامة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨٢ ـ الفصول المائة: السيد أصغر ناظم زاده القمي، انتشارات أهل البيت، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨٣ ـ فضائل أمير المؤمنين: أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، جمع وترتيب: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الدليل، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٤ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.

٨٥ ـ الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.

٨٦ ـ الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨٧ ـ كتاب السبعة من السلف: السيد مرتضى السيد محمد الحسيني الفيروز آبادي، مكتبة فيروز آبادي، قم، إيران.

٨٨ ـ كتاب الفتوح: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٨٩ ـ كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٩٠ ـ الكشاف: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الدار العلمية.

٩١ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨١هـ.

٩٢ ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، تحقيق: محمد هادي الأميني، دار إحياء تراث أهل البيت، طهران، إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٩٣ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٩٤ ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار الفكر.

٩٥ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

٩٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

٩٨ ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٩٩ ـ مستدرك الوسائل: الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٠٠ ـ المسند: الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.

١٠١ ـ معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٢ ـ معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، مكتبة الصدوق، مطبعة الحيدري، طهران، ١٣٧٩هـ.

١٠٣ ـ المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، العراق، الطبعة الثانية.

١٠٤ ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

١٠٥ ـ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

١٠٦ ـ مقتل الحسين: أبو المؤيد الموفق أحمد المكي أخطب خوارزم المعروف بالخوارزمي، تحقيق الشيخ: محمد السماوي، مكتبة، المفيد، قم، إيران.

١٠٧ ـ ملحمة أهل البيت: عبد المنعم الفرطوسي، مؤسسة أهل البيت، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٠٨ ـ الملحمة العلوية: الشيخ جعفر الهلالي، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٠٩ ـ المناقب: الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

١١٠ ـ مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.

١١١ ـ مناقب الإمام علي بن أبي طالب: أبو الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي، تحقيق: محمد باقر البهبودي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.

١١٢ ـ مناقب علي بن أبي طالب: أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، جمع وترتيب: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، دار الحديث، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١٣ ـ منتخب كنز العمال، بهامش المسند: المتقي الهندي، دار صادر بيروت.

١١٤ ـ مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

١١٥ ـ الموسم (مجلة): العدد الحادي عشر، المجلد الثالث، ١٩٩٠م.

١١٦ ـ ميزان الحكمة: محمدي الري شهري، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٥م.

١١٧ ـ الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.

١١٨ ـ نسب قريش: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، تصحيح وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

١١٩ ـ النصرة لسيد العترة في حرب البصرة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: السيد علي ميرشريفي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٢٠ ـ نصوص من تاريخ أبي مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي، تنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٢١ ـ نفحات القرآن: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة، إيران.

١٢٢ ـ نهج البلاغة: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٣ ـ نهج الحق وكشف الصدق: الإمام الحسن بن يوسف المطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي، مؤسسة دار الهجرة، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٢٤ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢٥ ـ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

١٢٦ ـ وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

١٢٧ ـ وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المرعشي، قم، إيران، ١٣٨٢هـ.

١٢٨ ـ ينابيع المودة لذوي القربى: الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

المحتويات

الإهداء ٥

مقدمة ٧

الباب الأول:

أسباب الثورة على عثمان

الفصل الأول: الفساد المالي ١١

الفصل الثاني: الفساد الإدراي والسياسي ٤٠

الفصل الثالث: الفساد القضائي ٦٨

الباب الثاني

مقتل عثمان

الفصل الأول: الثوَّار ١٠٩

الفصل الثاني: الحصار الأول ١٢٦

الفصل الثالث: الحصار الثاني ١٤٠

الفصل الرابع: النهاية المأساوية ١٦٥

الباب الثالث:

بيعة أمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الأول: المبايعون ١٧٥

الفصل الثاني: الرافضون لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام ١٨١
الفصل الثالث: الناكثون ٢١٣

الباب الرابع:

المسيرة إلى البصرة

الفصل الأول: التخطيط والتآمر الثلاثي بين عائشة وطلحة والزبير ٢٣٧
الفصل الثاني: ما حدث في المسير ٢٩٣
الفصل الثالث: استنجاد أمير المؤمنين (ع) بأهل الكوفة ٣٣٠
الفصل الرابع: الوصول إلى البصرة وبث الفساد فيها (الجمل الأصغر) ٣٣٩

الباب الخامس:

حرب الجمل

الفصل الأول: قبل الحرب ٤٢٧
الفصل الثاني: أثناء الحرب ٤٦٧
الفصل الثالث: بعد الحرب ٥٧٣
المراجع والمصادر ٦٩١
المحتويات ٧٠٣